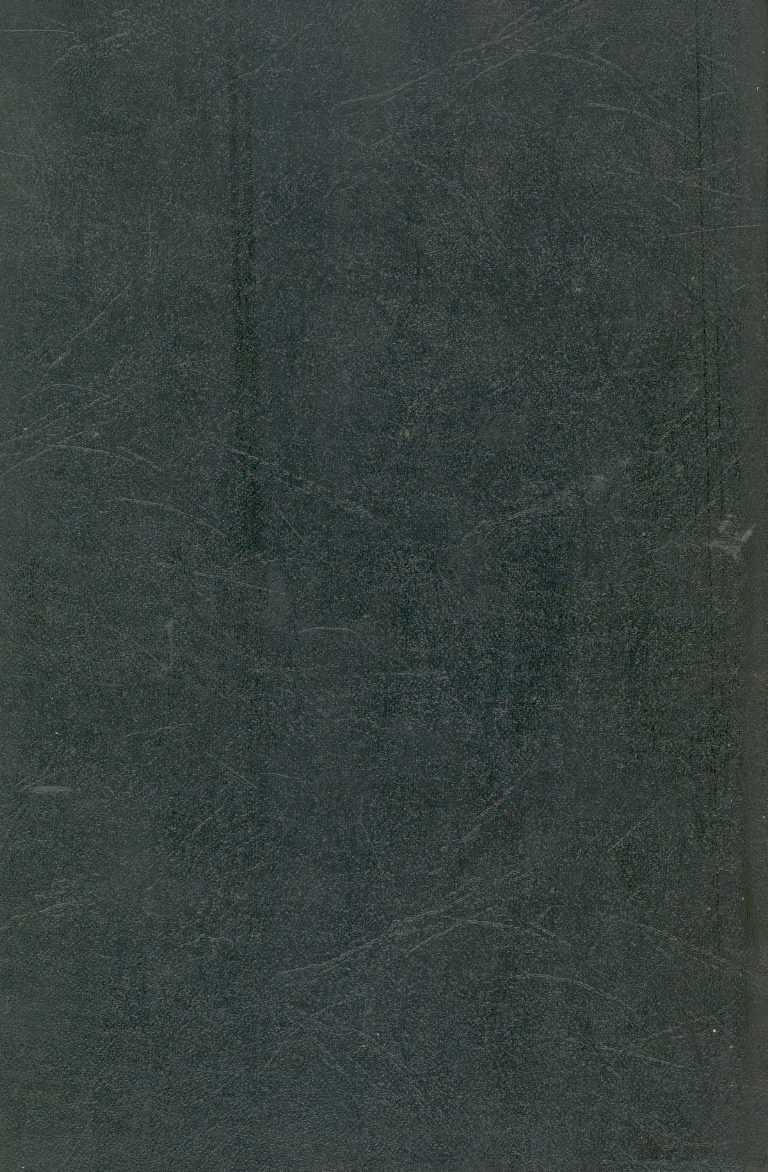
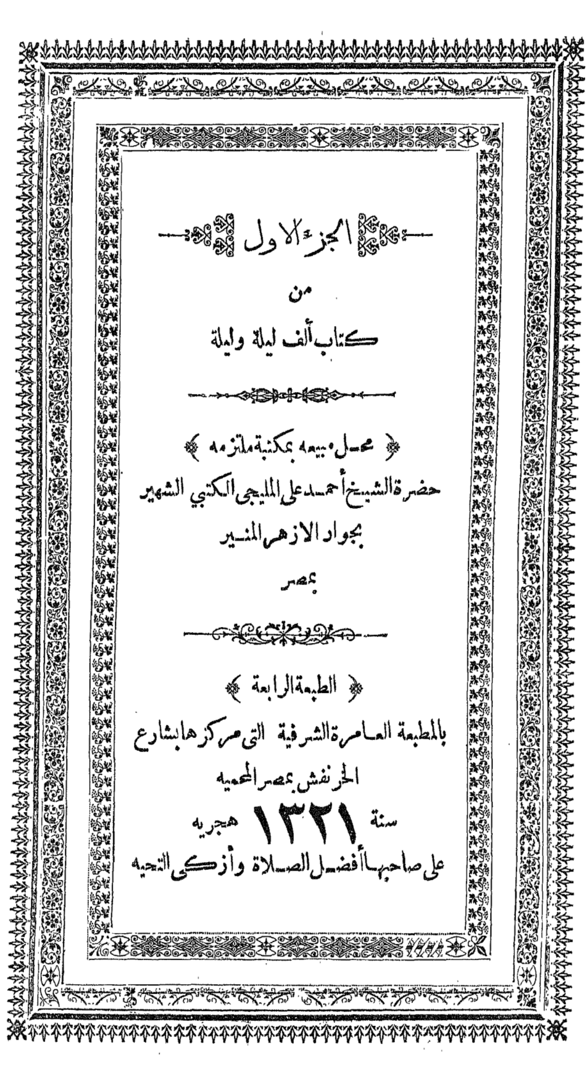




الجزء الاول

من

كتاب ألف ليلة وليلة

محل بيعه بمكتبة ملتزمه

حضرة الشيخ أحمد على المليجى الكتبي الشهير

بجوار الازهر المنير

بمصر

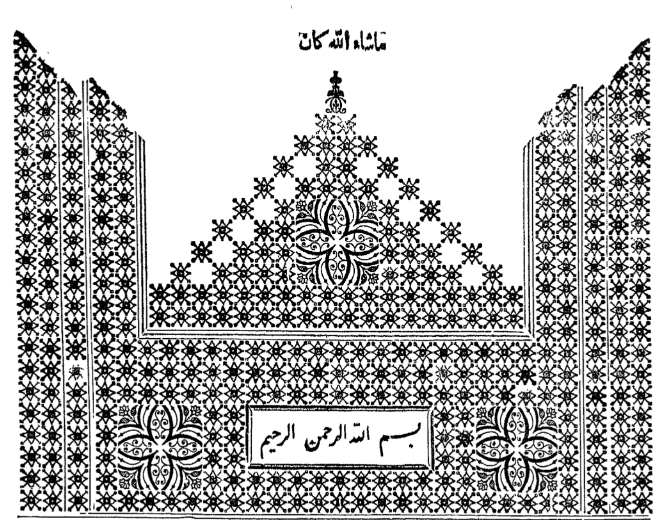
الطبعة الرابعة

بالمطبعة العامرة الشرفية التى مركزها بشارع

الخرنفش بمصر المحميه

سنة ١٣٢١ هجريه

على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحيه



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا ومولانا محمد وعلى آله صلاة وسلاما دائمين متلازمين الى يوم الدين (وبعد) فان سير الاولين صارت عبرة للآخرين لكي يرى الانسان العبر التى حصلت لغيره فيعتبر ويطالع حديث الامم السالفة وما جرى لهم فينزجر فسبحان من جعل حديث الأولين عبرة لقوم آخرين (فمن) تلك العبر الحكايات التى تسمى ألف ليلة وليلة وما فيها من الغرائب والأمثال

(حكايات الملك شهريار وأخيه الملك شاه زمان)

(حكى) والله أعلم وأحكم وأعز وأكرم أنه كان فيما مضى وتقدم من قديم الزمان وسالف العصر والأوان ملك من ملوك ساسان بجزائر الهند والصين صاحب جند وأعوان وخدم وحشم وكان له ولدان أحدهما كبير والآخر صغير وكانا فارسين بطلين وكان الكبير أفرس من الصغير وقد ملك البلاد وحكم بالعدل بين العباد وأحبه أهل بلاده ومملكته وكان اسمه الملك شهريار وكان أخوه الصغير اسمه الملك شاه زمان وكان ملك سمرقند العجم ولم يزل الامر مستقيما فى بلادهما وكل واحد منهما فى مملكته حاكم عادل فى رعيته مدة عشرين سنة وهم فى غاية البسط والانشراح ولم يزالا على هذه الحالة الى أن اشتاق الملك الكبير الى أخيه الصغير فأمر وزيره أن يسافر اليه ويحضر به فأجابه بالسمع والطاعة وسافر حتى وصل بالسلامة ودخل على أخيه وبلغه السلام وأعلمه أن أخاه مشتاق اليه وقصده أن يزوره فأجابه بالسمع والطاعة وتجهز للسفر وأخرج خيامه وجماله وبغاله وخدمه وأعوانه وأقام وزيره حاكما فى بلاده وخرج طالبا بلاد أخيه فلما كان فى نصف الليل تذكر حاجة نسيها فى قصره فرجع ودخل قصره فوجد زوجته راقدة فى فراشه معانقة عبدا أسود من العبيد فلما رأى هذا اسودت الدنيا فى وجهه وقال فى نفسه اذا كان هذا الامر قد وقع وأنا ما فارقت المدينة فكيف حال هذه العاهرة اذا غبت عند أخى مدة ثم انه سل سيفه وضرب الاثنين فقتلهما فى الفراش ورجع من وقته وساعته وأمر بالرحيل وسار الى أن وصل الى مدينة أخيه ففرح أخوه بقدومه ثم خرج اليه ولاقاه وسلم عليه ففرح به غاية الفرح وزين له المدينة وجلس معه يتحدث بانشراح فتذكر الملك شاه زمان ما كان من أمر زوجته فحصل عنده غم زائد واصفر لونه وضعف جسمه فلما رآه أخوه على هذه الحالة ظن فى نفسه أن ذلك بسبب مفارقته بلاده ومملكته فترك سبيله ولم

يسأله عن ذلك ثم انه قال له في بعض الايام يا أخي اني أراك ضعف جسمك واصفر لونك فقال له يا أخي أنا في باطني جرح ولم يخبره بما رأى من زوجته فقال اني أريد أن تسافر معي الى الصيد والقنص لعلك ينشرح صدرك فأبى ذلك فسافر أخوه وحده الى الصيد وكان في قصر الملك شبابيك تطل على بستان أخيه فنظر واذا بباب القصر قد فتح وخرج منه عشرون جارية وعشرون عبدا وامرأة أخيه تمشي بينهم وهي في غاية الحسن والجمال حتى وصلوا الى فسقية وخلعوا ثيابهم وجلسوا مع بعضهم واذا بامرأة الملك قالت يا مسعود فجاءها عبد أسود فعانقها وعانقته وواقعها وكذلك باقي العبيد فعلوا بالجواري ولم يزالوا في بوس وعناق ونيك ونحو ذلك حتى ولى النهار فلما رأى ذلك أخو الملك قال في نفسه والله ان بليتي أخف من هذه البلية وقد هان ما عنده من القهر والغم وقال هذا أعظم مما جرى لي ولم يزل في أكل وشرب وبعد هذا جاء أخوه من السفر فسلما على بعضهما ونظر الملك شهريار الى أخيه الملك شاه زمان وقد رد لونه واحمر وجهه وصار يأكل بشهية بعدما كان قليل الاكل فتعجب من ذلك وقال يا أخي كنت أراك مصفر اللون والوجه والآن قد رد اليك لونك فأخبرني بحالك فقال له أما تغير لوني فأذكره لك واعف عني من اخبارك برد لوني فقال له أخبرني أولا بتغير لونك وضعفك حتى أسمعه فقال له يا أخي اعلم أنك لما أرسلت وزيرك الي يطلبني للحضور بين يديك جهزت حالي وقد برزت من مدينتي ثم اني تذكرت الخرزة التي أعطيتها لك في قصري فرجعت فوجدت زوجتي معها عبد أسود وهو نائم في فراشي فقتلتهما وجئت اليك وأنا متفكر في هذا الامر فهذا سبب تغير لوني وضعفي وأما رد لوني فاعف عني من أن أذكره لك فلما سمع أخوه كلامه قال له أقسمت عليك بالله أن تخبرني بسبب رد لونك فأعاد عليه جميع ما رآه فقال شهريار لاخيه شاه زمان مرادي ان أنظر بعيني فقال له أخوه شاه زمان اجعل انك مسافر للصيد والقنص واختف عندي وأنت تشاهد ذلك وتحققه عيانا فنادى الملك من ساعته بالسفر فخرجت العساكر والخيام الى ظاهر المدينة وخرج الملك ثم انه جلس في الخيام وقال لغلمانه لا يدخل علي أحد ثم انه تنكر وخرج مختفيا الى القصر الذي فيه أخوه وجلس في الشباك المطل على البستان ساعة من الزمان واذا بالجواري وسيدتهم دخلوا مع العبيد وفعلوا كما قال أخوه واستمروا كذلك الى العصر فلما رأى الملك شهريار ذلك الامر طار عقله من رأسه وقال لاخيه شاه زمان قم بنا نسافر الى حال سبيلنا وليس لنا حاجة بالملك حتى ننظر هل جرى لاحد مثلنا أو لا فيكون موتنا خيرا من حياتنا فأجابه لذلك ثم انهما خرجا من باب سر في القصر ولم يزالا مسافرين أياما وليالي الى أن وصلا الى شجرة في وسط مرج عندها عين ماء بجانب البحر المالح فشربا من تلك العين وجلسا يستريحان فلما كان بعد ساعة مضت من النهار واذا هم بالبحر قد هاج وطلع منه عمود أسود صاعد الى السماء وهو قاصد تلك المرجة قال فلما رأيا ذلك خافا وطلعا الى أعلى الشجرة وكانت عالية وصارا ينظران ماذا يكون الخبر واذا بجني طويل القامة عريض الهامة واسع الصدر على رأسه صندوق فطلع الى البر وأتى الشجرة التي هما فوقها وجلس تحتها وفتح الصندوق وأخرج منه علبة ثم فتحها فخرجت منها صبية غراء بهية كأنها الشمس المضيئة كما قال الشاعر

أشرقت في الدجى فلاح النهار * واستنارت بنورها الاسحار
من سناها الشموس تشرق لما * تتبدى وتنجلي الاقمار
تسجد الكائنات بين يديها * حين تبدو وتهتك الأستار
واذا أومضت بروق حماها * هطلت بالمدامع الأمطار

قال فلما نظر اليها الجني قال يا سيدة الحرائر التي قد اختطفتها ليلة عرسها أريد أن أنام قليلا ثم ان الجني وضع رأسه على ركبتها ونام فرفعت الصبية رأسها الى أعلى الشجرة فرأت الملكين وهما فوق تلك الشجرة فرفعت رأس الجني من فوق ركبتها ووضعتها على الارض ووقفت تحت الشجرة وقالت لهما بالاشارة انزلا ولا تخافا من هذا العفريت فقالا لها بالله عليك أن تسامحينا من هذا الامر فقالت لهما بالله عليكما أن تنزلا والا نبهت عليكما العفريت فيقتلكما شر قتلة فخافا ونزلا اليها فقامت لهما وقالت ارصعا رصعا عنيفا والا أنبه عليكما العفريت فمن خوفهما قال الملك شهريار لاخيه الملك شاه زمان يا أخي افعل ما أمرتك به فقال لا أفعل حتى تفعل أنت قبلي وأخذا يتغامزان على

نيكهما فقالت لهما مالي أراكما تتغامزان فان لم تتقدما وتفعلا والا نبهت عليكما العفريت فمن خوفهما من الجني فعلا ما أمرتهما به فلما فرغا قالت لهما افيقا وأخرجت لهما من جيبها كيسا وأخرجت لهما منه عقدا فيه خمسمائة وسبعون خاتما فقالت لهما أتدرون ما هذه فقالا لا ندري فقالت لهما أصحاب هذه الخواتم كلهم كانوا يفعلون بي على غفلة قرن هذا العفريت فأعطياني خاتميكما انتما الاثنان الاخوان فأعطياها من يديهما خاتمين فقالت لهما ان هذا العفريت قد اختطفني ليلة عرسي ثم انه وضعني في علبة وجعل العلبة داخل الصندوق ورمى على الصندوق سبعة أقفال وجعلني في قاع البحر العجاج المتلاطم بالامواج ولم يعلم ان المرأة منا اذا أرادت أمرا لم يغلبها شئ كما قال بعضهم

لا تأمنن الى النسا * ولا تثق بعهودهن   فرضاؤهن وسخطهن * معلق بفروجهن
يبدين ودا كاذبا * والغدر حشو ثيابهن   بحديث يوسف فاعتبر * متحذرا من كيدهن
أو ما ترى ابليس أخرج آدما من أجلهن

﴿وقال بعضهم﴾

كف لوما غدا يقوي الملوما * ويزيد الغرام عشقا عظيما
ان أكن عاشقا فلم آت الا * ما أتته الرجال قبلي قديما
انما يكثر التعجب ممن * كان من فتنة النساء سليما

فلما سمعا منها هذا الكلام تعجبا غاية العجب وقالا لبعضهما اذا كان هذا عفريتا وجرى له أعظم مما جرى لنا فهذا شئ يسلينا ثم انهما انصرفا من ساعتهما ورجعا الى مدينة الملك شهريار ودخلا قصره ثم انه رمى عنق زوجته وكذلك أعناق الجواري والعبيد وصار الملك شهريار كلما يأخذ بنتا بكرا يزيل بكارتها ويقتلها من ليلتها ولم يزل على ذلك مدة ثلاث سنوات فضجت الناس وهربت ببناتها ولم يبق في تلك المدينة بنت تحمل الوطء ثم ان الملك أمر الوزير ان يأتيه ببنت على جري عادته فخرج الوزير وفتش فلم يجد بنتا فتوجه الى منزله وهو غضبان مقهور خائف على نفسه من الملك وكان الوزير له بنتان ذاتا حسن وجمال وبهاء وقد واعتدال الكبيرة اسمها شهرزاد والصغيرة اسمها دنيازاد وكانت الكبيرة قد قرأت الكتب والتواريخ وسير الملوك المتقدمين وأخبار الامم الماضين قيل انها جمعت ألف كتاب من كتب التواريخ المتعلقة بالامم السالفة والملوك الخالية والشعراء فقالت لابيها مالي أراك متغيرا حامل الهم والاحزان وقد قال بعضهم في المعنى شعرا

قل لمن يحمل هما * ان هما لا يدوم * مثل ما يفنى السرور * هكذا تفنى الهموم

فلما سمع الوزير من ابنته هذا الكلام حكى لها ما جرى له من الاول الى الآخر مع الملك فقالت له بالله يا أبت زوجني هذا الملك فاما أن أعيش واما أن أكون فداء لبنات المسلمين وسببا لخلاصهن من بين يديه فقال لها بالله عليك لا تخاطري بنفسك أبدا فقالت له لا بد من ذلك فقال أخشى عليك أن يحصل لك ما حصل للحمار والثور مع صاحب الزرع فقالت له وما الذي جرى لهما يا أبت

﴿حكاية الحمار والثور مع صاحب الزرع﴾

(قال) اعلمي يا بنتي انه كان لبعض التجار أموال ومواش وكان له زوجة وأولاد وكان الله تعالى أعطاه معرفة ألسن الحيوانات والطير وكان مسكن ذلك التاجر الأرياف وكان عنده في داره حمار وثور فأتى يوما الثور الى مكان الحمار فوجده مكنوسا مرشوشا وفي معلفه شعير مغربل وتبن مغربل وهو راقد مستريح وفي بعض الاوقات يركبه صاحبه لحاجة تعرض له ويرجع على حاله فلما كان في بعض الأيام سمع التاجر الثور وهو يقول للحمار هنيئا لك ذلك أنا تعبان وأنت مستريح تأكل الشعير مغربلا ويخدمونك وفي بعض الأوقات يركبك صاحبك ويرجع وأنا دائما للحرث والطحن فقال له الحمار اذا خرجت الى الغيط ووضعوا على رقبتك الناف فارقد ولا تقم ولو ضربوك فان قمت فارقد ثانيا فاذا رجعوا بك ووضعوا لك الفول فلا تأكله كأنك ضعيف وامتنع من الاكل والشرب يوما أو يومين أو ثلاثة فانك تستريح من التعب والجهد وكان التاجر يسمع كلامهما فلما جاء السواق الى الثور بعلفه أكل منه شيئا يسيرا فأصبح السواق يأخذ الثور الى المحرث فوجده ضعيفا فقال له التاجر خذ الحمار وحرثه مكانه اليوم

كله فرجع الرجل وأخذ الحمار مكان الثور وحرثه مكانه اليوم كله فلما رجع آخر النهار شكره الثور على تفضلاته
حيث أراحه من التعب في ذلك اليوم فلم يرد عليه الحمار جوابا وندم أشد الندامة فلما كان ثاني يوم جاء الزراع وأخذ
الحمار وحرثه الى آخر النهار فلم يرجع الحمار الا مسلوخ الرقبة شديد الضعف فتأمله الثور وشكره ومجده فقال
له الحمار كنت مقيما مستريحا فما ضرني الا فضولي ثم قال اعلم اني لك ناصح وقد سمعت صاحبنا يقول ان لم يقم الثور
من موضعه فاعطوه للجزار ليذبحه ويعمل جلده نطعا وأنا خائف عليك ونصحتك والسلام فلما سمع الثور كلام
الحمار شكره وقال في غد أسرح معهم ثم ان الثور أكل علفه بتمامه حتى لحس المدود بلسانه كل ذلك وصاحبهما
يسمع كلامهما فلما طلع النهار خرج التاجر وزوجته الى دار البقر وجلسا فجاء السواق وأخذ الثور وخرج فلما
رأى الثور صاحبه حرك ذنبه وضرط وبرطع فضحك التاجر حتى استلقى على قفاه فقالت له زوجته من أي شئ
تضحك فقال لها شئ رأيته وسمعته ولا أقدر أن أبوح به فأموت فقالت له لابد أن تخبرني بذلك وما سبب ضحكك ولو
كنت تموت فقال لها ما أقدر أن أبوح به خوفا من الموت فقالت له أنت لم تضحك الا علي ثم انها لم تزل تلح عليه وتلج في
الكلام الى أن غلبت عليه فتحير وأحضر أولاده وأرسل أحضر القاضي والشهود وأراد أن يوصي ثم يبوح لها بالسر
ويموت لانه كان يحبها محبة عظيمة لانها بنت عمه وأم أولاده وكان قد عمر من العمر مائة وعشرين سنة ثم انه أرسل
أحضر جميع أهلها وأهل حارته وقال لهم حكايته وانه متى قال لاحد على سره مات فقال لها جميع الناس ممن
حضرها بالله عليك اتركي هذا الامر لئلا يموت زوجك أبو أولادك فقالت لهم لا أرجع عنه حتى يقول لي ولو يموت
فسكتوا عنها ثم ان التاجر قام من عندهم وتوجه الى دار الدواب ليتوضأ ثم يرجع يقول لهم ويموت وكان عنده ديك
تحته خمسون دجاجة وكان عنده كلب فسمع التاجر الكلب وهو ينادي الديك ويسبه ويقول له أنت فرحان
وصاحبنا رايح يموت فقال الديك للكلب وكيف ذلك الامر فأعاد الكلب عليه القصة فقال له الديك والله ان
صاحبنا قليل العقل أنا لي خمسون زوجة أرضي هذه وأغضب هذه وهو ماله الا زوجة واحدة ولا يعرف صلاح
أمره معها فماله لا يأخذ لها بعضا من عيدان التوت ثم يدخل الى حجرتها ويضربها حتى تموت أو تتوب ولا تعود
تسأله عن شئ قال فلما سمع التاجر كلام الديك وهو يخاطب الكلب رجع الى عقله وعزم على ضربها * ثم قال
الوزير لابنته شهرزاد ربما فعل بك مثل ما فعل التاجر بزوجته فقالت له وما فعل قال دخل عليها الحجرة بعد
ما قطع لها عيدان التوت وخبأها داخل الحجرة وقال لها تعالي داخل الحجرة حتى أقول لك ولا ينظرني أحد ثم أموت
فدخلت معه ثم انه قفل باب الحجرة عليهما ونزل عليها بالضرب الى أن أغمي عليها فقالت له تبت ثم انها قبلت يديه
ورجليه وتابت وخرجت هي واياه وفرح الجماعة وأهلها وقعدوا في أسر الاحوال الى الممات * فلما سمعت ابنة
الوزير مقالة أبيها قالت له لابد من ذلك فجهزها وطلع الى الملك شهريار وكانت قد أوصت أختها الصغيرة وقالت
لها اذا توجهت الى الملك أرسلت أطلبك فاذا جئت عندي ورأيت الملك قضى حاجته مني فقولي يا أختي حدثينا
حديثا غريبا نقطع به السهر وأنا أحدثك حديثا يكون فيه الخلاص ان شاء الله ثم ان أباها الوزير طلع بها الى
الملك فلما رآه فرح وقال أتيت بحاجتي فقال نعم فلما أراد أن يدخل عليها بكت فقال لها مالك فقالت أيها الملك ان
لي أختا صغيرة أريد أن أودعها فأرسل الملك اليها فجاءت الى أختها وعانقتها وجلست تحت السرير فقام الملك
وأخذ بكارتها ثم جلسوا يتحدثون فقالت لها أختها الصغيرة بالله عليك يا أختي حدثينا حديثا نقطع به سهر ليلتنا
فقالت حبا وكرامة ان أذن لي هذا الملك المهذب فلما سمع ذلك الكلام وكان به قلق فرح بسماع الحديث

* حكاية التاجر مع العفريت *

﴿ فلما كانت الليلة الاولى ﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد انه كان تاجر من التجار كثير المال والمعاملات في البلاد
قد ركب يوما وخرج يطالب في بعض البلاد فاشتد عليه الحر فجلس تحت شجرة وحط يده في خرجه وأكل كسرة
كانت معه وتمرة فلما فرغ من أكل التمرة رمى النواة واذا هو بعفريت طويل القامة وبيده سيف فدنا من ذلك
التاجر وقال له قم حتى أقتلك مثل ما قتلت ولدي فقال له التاجر كيف قتلت ولدك قال له لما أكلت التمرة ورميت
نواتها جاءت النواة في صدر ولدي فقضي عليه ومات من ساعته فقال التاجر للعفريت اعلم أيها العفريت اني على

دين ولي مال كثير وأولاد وزوجة وعندي رهون فدعني أذهب الى بيتي وأعطي كل ذي حق حقه ثم أعود اليك
ولك علي عهد وميثاق أني أعود اليك فتفعل بي ما تريد والله على ما أقول وكيل فاستوثق منه الجني وأطلقه فرجع
الى بلده وقضى جميع تعلقاته وأوصل الحقوق الى أهلها وأعلم زوجته وأولاده بما جرى له فبكوا وكذلك جميع
أهله ونساؤه وأولاده وأوصى وقعد عندهم الى تمام السنة ثم توجه وأخذ كفنه تحت ابطه وودع أهله وجيرانه
وجميع أهله وخرج رغما عن أنفه وأقام عليه العياط والصراخ فمشى الى أن وصل الى ذلك البستان وكان ذلك
اليوم أول السنة الجديدة فبينما هو جالس يبكي على ما يحصل له واذا بشيخ كبير قد أقبل عليه ومعه غزالة مسلسلة
فسلم على ذلك التاجر وحياه وقال له ما سبب جلوسك في هذا المكان وأنت منفرد وهو مأوى الجن فأخبره التاجر
بما جرى له مع ذلك العفريت وبسبب قعوده في هذا المكان فتعجب الشيخ صاحب الغزالة وقال والله يا أخي ما دينك
الا دين عظيم وحكايتك حكاية عجيبة لو كتبت بالابر على آماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر ثم انه جلس بجانبه
وقال والله يا أخي لا أبرح من عندك حتى أنظر ما يجري لك مع ذلك العفريت ثم انه جلس عنده يتحدث معه فغشي
على ذلك التاجر وحصل له الخوف والفزع والغم الشديد والفكر المزيد وصاحب الغزالة بجانبه واذا بشيخ ثان
قد أقبل عليهما ومعه كلبتان سلاقيتان من الكلاب السود فسألهما بعد السلام عليهما عن سبب جلوسهما في هذا
المكان وهو مأوى الجان فأخبراه بالقصة من أولها الى آخرها فلم يستقر به الجلوس حتى أقبل عليهم شيخ ثالث
ومعه بغلة زرزورية فسلم عليهم وسألهم عن سبب جلوسهم في هذا المكان فأخبروه بالقصة من أولها الى آخرها
وليس في الاعادة افادة واذا بغبرة هاجت وزوبعة عظيمة قد أقبلت من وسط تلك البرية فانكشفت الغبرة واذا
بذلك الجني وبيده سيف مسلول وعيونه ترمي بالشرر فأتاهم وجذب ذلك التاجر من بينهم وقال له قم حتى أقتلك
مثل ما قتلت ولدي وحشاشة كبدي فانتحب ذلك التاجر وبكى وأعلن الثلاثة شيوخ بالبكاء والعويل والنحيب
فانتبه منهم الشيخ الاول وهو صاحب الغزالة وقبل يد ذلك العفريت وقال له أيها الجني وتاج ملوك الجان اذا حكيت
لك حكايتي مع هذه الغزالة ورأيتها عجيبة أتهب لي ثلث دم هذا التاجر قال نعم أيها الشيخ اذا أنت حكيت لي
الحكاية ورأيتها عجيبة وهبت لك ثلث دمه فقال ذلك الشيخ الاول اعلم أيها العفريت أن هذه الغزالة هي بنت عمي
ومن لحمي ودمي وكنت تزوجت بها وهي صغيرة السن وأقمت معها نحو ثلاثين سنة فلم أرزق منها بولد فأخذت لي
سرية فرزقت منها بولد ذكر كأنه البدر اذا بدا بعينين مليحتين وحاجبين مزججين وأعضاء كاملة فكبر شيأ فشيأ
الى أن صار ابن خمس عشرة سنة فطرأت لي سفرة الى بعض المدائن فسافرت بمتجر عظيم وكانت بنت عمي هذه
الغزالة تعلمت السحر والكهانة من صغرها فسحرت ذلك الولد عجلا وسحرت الجارية أمه بقرة وسلمتهما الى الراعي
ثم جئت أنا بعد مدة طويلة من السفر فسألت عن ولدي وعن أمه فقالت لي جاريتك ماتت وابنك هرب ولم أعلم
أين راح فجلست مدة سنة وأنا حزين القلب باكي العين الى أن جاء عيد الضحية فأرسلت الى الراعي أن يخصني
ببقرة سمينة فجاءني ببقرة سمينة وهي سريتي التي سحرتها تلك الغزالة فشمرت ثيابي وأخذت السكين بيدي
وتهيأت لذبحها فصاحت وبكت بكاء شديدا فقمت عنها وأمرت ذلك الراعي فذبحها وسلخها فلم يجد فيها شحما ولا لحما
غير جلد وعظم فندمت على ذبحها حيث لا ينفعني الندم وأعطيتها للراعي وقلت له ائتني بعجل سمين فأتاني بولدي
المسحور عجلا فلما رآني ذلك العجل قطع حبله وجاءني وتمرغ علي وولول وبكى فأخذتني الرأفة عليه وقلت للراعي
ائتني ببقرة ودع هذا * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فقالت لها أختها ما أطيب حديثك
وألطفه وألذه وأعذبه فقالت لها وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة ان عشت وأبقاني الملك فقال الملك في
نفسه والله ما أقتلها حتى أسمع بقية حديثها ثم انهم باتوا تلك الليلة الى الصباح متعانقين فخرج الملك الى محل حكمه
وطلع الوزير بالكفن تحت ابطه ثم حكم الملك وولى وعزل الى آخر النهار ولم يخبر الوزير بشيء من ذلك فتعجب
الوزير غاية العجب ثم انفض الديوان ودخل الملك شهريار قصره

* فلما كانت الليلة الثانية * قالت دنيازاد لأختها شهرزاد يا أختي أتممي لنا حديثك الذي هو حديث التاجر
والجني قالت حبا وكرامة ان أذن لي الملك في ذلك فقال لها الملك احكي فقالت بلغني أيها الملك السعيد ذو الرأي

الرشيد أنه لما رأى بكاء العجل حن قلبه اليه وقال للراعي ابق هذا العجل بين البهائم كل ذلك والجني يتعجب من
حكاية ذلك الكلام العجيب ثم قال صاحب الغزالة يا سيد ملوك الجان كل ذلك جرى وابنة عمي هذه الغزالة تنظر
وترى وتقول اذبح هذا العجل فانه سمين فلم يهن علي أن أذبحه وأمرت الراعي أن يأخذه فأخذه وتوجه به ففي ثاني يوم
أنا جالس واذا بالراعي أقبل علي وقال يا سيدي اني أقول شيأ تسر به ولي البشارة فقلت نعم فقال أيها التاجر ان لي بنتا
كانت تعلمت السحر في صغرها من امرأة عجوز كانت عندنا فلما كنا بالامس وأعطيتني العجل دخلت به عليها
فنظرت اليه بنتي وغطت وجهها وبكت ثم انها ضحكت وقالت يا أبي قد خس قدري عندك حتى تدخل على
الرجال الاجانب فقلت لها وأين الرجال الاجانب ولماذا بكيت وضحكت فقالت لي ان هذا العجل الذي معك ابن
سيدي التاجر ولكنه مسحور سحرته زوجة أبيه هو وأمه فهذا سبب ضحكي وأما سبب بكائي فمن أجل أمه حيث
ذبحها أبوه فتعجبت من ذلك غاية العجب وما صدقت بطلوع الصباح حتى جئت اليك لأعلمك فلما سمعت أيها الجني
كلام هذا الراعي خرجت معه وأنا سكران من غير مدام من كثرة الفرح والسرور الذي حصل لي الى أن أتيت الى
داره فرحبت بي ابنة الراعي وقبلت يدي ثم ان العجل جاء الي وتمرغ علي فقلت لابنة الراعي أحق ما تقولينه عن
ذلك العجل فقالت نعم يا سيدي انه ابنك وحشاشة كبدك فقلت لها أيتها الصبية ان أنت خلصتيه فلك عندي
ما تحت يد أبيك من المواشي والأموال فتبسمت وقالت يا سيدي ليس لي رغبة في المال الا بشرطين * الأول أن
تزوجني به * والثاني أن أسحر من سحرته وأحبسها والا فلست آمن مكرها فلما سمعت أيها الجني كلام بنت الراعي
قلت ولك فوق جميع ما تحت يد أبيك من الأموال زيادة وأما بنت عمي فدمها لك مباح فلما سمعت كلامي أخذت
طاسة وملأتها ماء ثم انها عزمت عليها ورشت بها العجل وقالت له ان كان الله خلقك عجلا فدم على هذه الصفة ولا
تتغير وان كنت مسحورا فعد الى خلقتك الاولى باذن الله تعالى واذا به انتفض ثم صار انسانا فوقعت عليه وقلت له
بالله عليك احك لي جميع ما صنعت بك وبامك بنت عمي فحكى لي جميع ما جرى لهما فقلت يا ولدي قد قيض الله
لك من خلصك وخلص حقك ثم اني أيها الجني زوجته ابنة الراعي ثم انها سحرت ابنة عمي هذه الغزالة وجئت الى
هنا فرأيت هؤلاء الجماعة فسألتهم عن حالهم فأخبروني بما جرى لهذا التاجر فجلست لأنظر ما يكون وهذا حديثي
فقال الجني هذا حديث عجيب وقد وهبت لك ثلث دمه فعند ذلك تقدم الشيخ الثاني صاحب الكلبتين السلاقيتين
وقال له اعلم يا سيد ملوك الجان أن هاتين الكلبتين اخوتي وأنا ثالثهم ومات والدي وخلف لنا ثلاثة آلاف دينار
ففتحت أنا دكانا أبيع فيه وأشتري وسافر أخي بتجارته وغاب عنا مدة سنة مع القوافل ثم أتى وما معه شئ فقلت
له يا أخي أما أشرت عليك بعدم السفر فبكى وقال يا أخي قدر الله عز وجل علي بهذا ولم يبق لهذا الكلام فائدة
ولست أملك شيأ فأخذته وطلعت به الى الدكان ثم ذهبت به الى الحمام وألبسته حلة من الملابس الفاخرة وأكلت أنا
واياه وقلت له يا أخي اني أحسب ربح دكاني من السنة الى السنة ثم أقسمه دون رأس المال بيني وبينك ثم اني عملت
حساب الدكان من ربح مالي فوجدته ألفي دينار فحمدت الله عز وجل وفرحت غاية الفرح وقسمت الربح بيني
وبينه شطرين وأقمنا مع بعضنا أياما ثم ان اخوتي طلبوا السفر أيضا وأرادوا أن أسافر معهم فلم أرض وقلت لهم أي
شئ كسبتم في سفركم حتى أكسب أنا فألحوا علي ولم أطعهم بل أقمنا في دكاكيننا نبيع ونشتري سنة كاملة وهم
يعرضون علي السفر وأنا لم أرض حتى مضت ست سنوات كوامل ثم وافقتهم على السفر وقلت لهم يا اخوتي اننا
نحسب ما عندنا من المال فحسبناه فاذا هو ستة آلاف دينار فقلت ندفن نصفها تحت الارض لينفعنا اذا أصابنا
أمر ويأخذ كل واحد منا ألف دينار ونتسبب فيها قالوا نعم الرأي فأخذت المال وقسمته نصفين ودفنت ثلاثة آلاف
دينار وأما الثلاثة آلاف دينار الاخرى فأعطيت كل واحد منهم ألف دينار وجهزنا بضائع واكترينا مركبا ونقلنا
فيها حوائجنا وسافرنا مدة شهر كامل الى أن دخلنا مدينة وبعنا بضائعنا فربحنا في الدينار عشرة دنانير ثم أردنا
السفر فوجدنا على شاطئ البحر جارية عليها خلق مقطع فقبلت يدي وقالت يا سيدي هل عندك احسان ومعروف
أجازيك عليهما قلت نعم ان عندي الاحسان والمعروف ولو لم تجازيني فقالت يا سيدي تزوجني وخذني لبلادك
فاني قد وهبتك نفسي فافعل معي معروفا فانني ممن يصنع معه المعروف والاحسان ويجازي عليهما ولا يغرنك حالي

فلما سمعت كلامها حن قلبي اليها لامر يريده الله عز وجل فاخذتها وكسوتها وفرشت لها في المركب فرشا حسنا وأقبلت عليها وأكرمتها ثم سافرنا وقد أحبها قلبي محبة عظيمة وصرت لا أفارقها ليلا ولا نهارا واشتغلت بها عن اخوتي فغاروا مني وحسدوني على مالي وكثرة بضاعتي وطمحت عيونهم في المال جميعه وتحدثوا بقتلي وأخذ مالي وقالوا نقتل أخانا ويصير المال جميعه لنا وزين لهم الشيطان أعمالهم فجاؤني وأنا نائم بجانب زوجتي وحملوني أنا وزوجتي ورموني في البحر فلما استيقظت زوجتي انتفضت فصارت عفريتة وحملتني وأطلعتني على جزيرة وغابت عني قليلا وعادت الى عند الصباح وقالت لي أنا زوجتك التي حملتك ونجيتك من القتل باذن الله تعالى واعلم انني جنية رأيتك فحبك قلبي لله وأنا مؤمنة بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم فجئتك بالحال الذي رأيتني فيه فتزوجت بي وها أنا قد نجيتك من الغرق وقد غضبت على اخوتك ولا بد أن أقتلهم فلما سمعت حكايتها تعجبت وشكرتها على فعلها وقلت لها أما هلاك اخوتي فلا ينبغي ثم حكيت لها ما جرى لي معهم من أول الزمان الى آخره فلما سمعت كلامي قالت أنا في هذه الليلة أطير اليهم وأغرق مركبهم وأهلكهم فقلت لها بالله عليك لا تفعلي فان صاحب المثل يقول * يا محسنا لمن أساء كفى المسيء فعله * وهم اخوتي على كل حال قالت لا بد من قتلهم فاستعطفتها ثم انها حملتني وطارت فوضعتني على سطح داري ففتحت الابواب وأخرجت الذي خبأته تحت الارض وفتحت دكاني بعد ما سلمت على الناس واشتريت بضائع فلما كان الليل دخلت داري فوجدت هاتين الكلبتين مربوطتين فيها فلما رأياني قاما الي وبكيا وتعلقا بي فلم أشعر الا وزوجتي قالت هؤلاء اخوتك فقلت من فعل بهم هذا الفعل قالت أنا أرسلت الى أختي ففعلت بهم ذلك وما يتخلصون الا بعد عشر سنوات فجئت وأنا سائر اليها تخلصهم بعد اقامتهم عشر سنوات في هذا الحال فرأيت هذا الفتى فأخبروني بما جرى له فاردت أن لا أبرح حتى أنظر ما يجري بينك وبينه وهذه قصتي (قال الجني) انها حكاية عجيبة وقد وهبت لك ثلث دمه في جنايته فعند ذلك تقدم الشيخ الثالث صاحب البغلة وقال للجني أنا أحكي لك حكاية أعجب من حكاية الاثنين وتهب لي باقي دمه وجنايته فقال الجني نعم فقال الشيخ أيها السلطان ورئيس الجان ان هذه البغلة كانت زوجتي سافرت وغبت عنها سنة كاملة ثم قضيت سفري وجئت اليها في الليل فرأيت عبدا أسود راقدا معها في الفراش وهما في كلام وغنج وضحك وتقبيل وهراش فلما رأتني عجلت وقامت الي بكوز فيه ماء فتكلمت عليه ورشتني وقالت اخرج من هذه الصورة الى صورة كلب فصرت في الحال كلبا فطردتني من البيت فخرجت من الباب ولم أزل سائرا حتى وصلت الى دكان جزار فتقدمت وصرت آكل من العظام فلما رآني صاحب الدكان أخذني ودخل بي بيته فلما رأتني بنت الجزار غطت وجهها مني فقالت أتجيء لنا برجل وتدخل علينا به فقال أبوها أين الرجل قالت ان هذا الكلب رجل سحرته امرأة وأنا أقدر على تخليصه فلما سمع أبوها كلامها قال بالله عليك يا بنتي خلصيه فاخذت كوزا فيه ماء وتكلمت عليه ورشت علي منه قليلا وقالت اخرج من هذه الصورة الى صورتك الاولى فصرت الى صورتي الاولى فقبلت يدها وقلت لها أريد أن تسحري زوجتي كما سحرتني فاعطتني قليلا من الماء وقالت اذا رأيتها نائمة فرش هذا الماء عليها فانها تصير كما انت طالب فوجدتها نائمة فرششت عليها الماء وقلت اخرجي من هذه الصورة الى صورة بغلة فصارت في الحال بغلة وهي هذه التي تنظرها بعينك أيها السلطان ورئيس ملوك الجان ثم التفت اليها وقال أصحيح هذا فهزت رأسها وقالت بالاشارة نعم هذا صحيح فلما فرغ من حديثه اهتز الجني من الطرب ووهب له ثلث دمه * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح * فقالت لها أختها يا أختي ما أحلى حديثك وأطيبه وألذه وأعذبه فقالت وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة ان عشت وأبقاني الملك فقال الملك والله لا أقتلها حتى أسمع بقية حديثها لانه عجيب ثم باتوا تلك الليلة متعانقين الى الصباح فخرج الملك الى محل حكمه ودخل عليه الوزير والعسكر واحتبك الديوان فحكم الملك وولى وعزل ونهى وأمر الى آخر النهار ثم انفض الديوان ودخل الملك شهريار الى قصره

❊ فلما كانت الليلة الثالثة ❊

قالت لها أختها دنيازاد يا أختي أتمي لنا حديثك فقالت حبا وكرامة بلغني أيها الملك السعيد أن الشيخ الثالث لما قال للجني حكاية أعجب من الحكايتين تعجب الجني غاية العجب واهتز من الطرب وقال قد وهبت لك باقي جنايته وأطلقته لكم فاقبل التاجر على الشيوخ وشكرهم وهنوه بالسلامة

وترجع كل واحد الى بلده وما هذه بأعجب من حكاية الصياد فقال لها الملك وما حكاية الصياد

﴿حكاية الصياد مع العفريت﴾

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه كان رجل صياد وكان طاعنا في السن وله زوجة وثلاثة أولاد وهو فقير الحال وكان من عادته أنه يرمي شبكته كل يوم أربع مرات لا غير ثم انه خرج يوما من الأيام في وقت الظهر الى شاطئ البحر وحط مقطفه وطرح شبكته وصبر الى ان استقرت في الماء ثم جمع خيطانها فوجدها ثقيلة فجذبها فلم يقدر على ذلك فذهب بالطرف الى البر ودق وتدا وربطها فيه ثم تعرى وغطس في الماء حول الشبكة وما زال يعالج حتى أطلعها ففرح ولبس ثيابه وأتى الى الشبكة فوجد فيها حمارا ميتا فلما رأى ذلك حزن وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم قال ان هذا الرزق عجيب وأنشد يقول

يا خائضا في ظلام الليل والهلكه * أقصر عنالك فليس الرزق بالحركه

ثم ان الصياد لما رأى الحمار الميت خلصه من الشبكة وعصرها فلما فرغ من عصرها نشرها وبعد ذلك نزل البحر وقال بسم الله وطرحها فيه وصبر عليها حتى استقرت ثم جذبها فثقلت ورسخت أكثر من الاول فظن أنه سمك فربط الشبكة وتعرى ونزل وغطس ثم عالج الى أن خلصها وأطلعها على البر فوجد فيها زيرا كبيرا وهو ملآن برمل وطين فلما رأى ذلك تأسف وأنشد قول الشاعر

يا حرقة الدهر كفي * ان لم تكفي فعفي
فلا بحظي أعطى * ولا بصنعة كفي
خرجت أطلب رزقي * وجدت رزقي توفي
كم جاهل في ظهور * وعالم متخفي

ثم انه رمى الزير وعصر شبكته ونظفها واستغفر الله وعاد الى البحر ثالث مرة ورمى الشبكة وصبر عليها حتى استقرت وجذبها فوجد فيها شقافة وقوارير فأنشد قول الشاعر

هو الرزق لا حل لديك ولا ربط * ولا قلم يجدي عليك ولا خط

ثم انه رفع رأسه الى السماء وقال اللهم انك تعلم أني لم أرم شبكتي غير أربع مرات وقد رميت ثلاثا ثم انه سمى الله ورمى الشبكة في البحر وصبر الى ان استقرت وجذبها فلم يطق جذبها واذا بها اشتبكت في الارض فقال لا حول ولا قوة الا بالله فتعرى وغطس عليها وصار يعالج فيها الى ان طلعت على البر وفتحها فوجد فيها قمقما من نحاس أصفر ملآن وفمه مختوم برصاص عليه طبع خاتم سيدنا سليمان فلما رآه الصياد فرح وقال هذا أبيعه في سوق النحاس فانه يساوي عشرة دنانير ذهبا ثم انه حركه فوجده ثقيلا فقال لا بد أني أفتحه وأنظر ما فيه وأدخره في الخرج ثم أبيعه في سوق النحاس ثم انه أخرج سكينا وعالج في الرصاص الى أن فكه من القمقم وحطه على الارض وهزه لينكب ما فيه فلم ينزل منه شئ ولكن خرج من ذلك القمقم دخان صعد الى عنان السماء ومشى على وجه الارض فتعجب غاية العجب وبعد ذلك تكامل الدخان واجتمع ثم انتفض فصار عفريتا رأسه في السحاب ورجلاه في التراب برأس كالقبة وأيد كالمداري ورجلين كالصواري وفم كالمغارة وأسنان كالحجارة ومناخير كالابريق وعينين كالسراجين أشعث أغبر فلما رأى الصياد ذلك العفريت ارتعدت فرائصه وتشبكت أسنانه ونشف ريقه وعمي عن طريقه فلما رآه العفريت قال لا اله الا الله سليمان نبي الله ثم قال العفريت يا نبي الله لا تقتلني فاني لا عدت أخالف لك قولا ولا أعصي لك أمرا فقال له الصياد أيها المارد أتقول سليمان نبي الله وسليمان مات من مدة ألف وثمانمائة سنة ونحن في آخر الزمان فما قصتك وما حديثك وما سبب دخولك في هذا القمقم فلما سمع المارد كلام الصياد قال لا اله الا الله أبشر يا صياد فقال الصياد بماذا تبشرني فقال بقتلك في هذه الساعة أشر القتلات قال الصياد تستحق على هذه البشارة يا قيم العفاريت زوال الستر عنك يا بعيد لاي شئ تقتلني وأي شئ يوجب قتلي وقد خلصتك من القمقم ونجيتك من قرار البحر وأطلعتك الى البر فقال العفريت تمن علي أي موتة تموتها وأي قتلة تقتلها فقال الصياد ما ذنبي حتى يكون هذا جزائي منك قال العفريت اسمع حكايتي يا صياد قال الصياد قل وأوجز في الكلام فان روحي وصلت الى قدمي قال اعلم أني من الجن المارقين

وقد عصيت سليمان بن داود وأنا صخر الجني فأرسل لي وزيره آصف بن برخيا فأتى بي مكرهاً وقادني اليه وأنا ذليل
على رغم أنفي وأوقفني بين يديه فلما رآني سليمان استعاذ مني وعرض علي الايمان والدخول تحت طاعته فأبيت
فطلب هذا القمقم وحبسني فيه وختم علي بالرصاص وطبعه بالاسم الاعظم وأمر الجن فاحتملوني وألقوني في وسط
البحر فأقمت مائة عام وقلت في قلبي كل من خلصني أغنيته الى الابد فمرت المائة عام ولم يخلصني أحد ودخلت على
مائة أخرى فقلت كل من خلصني فتحت له كنوز الارض فلم يخلصني أحد فمرت علي أربعمائة عام أخرى فقلت كل
من خلصني أقضي له ثلاث حاجات فلم يخلصني أحد فغضبت غضبا شديدا وقلت في نفسي كل من خلصني في هذه
الساعة قتلته ومنيته كيف يموت وها أنت قد خلصتني ومنيتك كيف تموت فلما سمع الصياد كلام العفريت قال
يالله العجب أنا ما جئت أخلصك الا في هذه الأيام ثم قال الصياد للعفريت اعف عن قتلي يعف الله عنك ولا تهلكني
يسلط الله عليك من يهلكك فقال المارد لابد من قتلك فتمن علي أي موتة تموتها فلما تحقق ذلك منه الصياد راجع
العفريت وقال اعف عني اكراما لما أعتقتك فقال العفريت وأنا ما أقتلك الا لاجل ما خلصتني فقال له الصياد
ياشيخ العفاريت هل أصنع معك مليح فتقابلني بالقبيح ولكن لم يكذب المثل حيث قال

فعلنا جميلا قابلونا بضده * وهذا لعمري من فعال الفواجر
ومن يفعل المعروف مع غير أهله * يجازى كما جوزي مجير أم عامر

فلما سمع العفريت كلامه قال له لا تطمع فلابد من موتك فقال الصياد هذا جني وأنا انسي وقد أعطاني الله عقلا
كاملا وها أنا أدبر أمرا في هلاكه بحيلتي وعقلي وهو يدبر بمكره وخبثه ثم قال للعفريت هل صممت على قتلي قال نعم
فقال له بالاسم الاعظم المنقوش على خاتم سليمان أسألك عن شئ وتصدقني فيه قال نعم ثم ان العفريت لما سمع
ذكر الاسم الأعظم اضطرب واهتز وقال له اسأل وأوجز فقال له كيف كنت في هذا القمقم والقمقم لا يسع يدك
ولا رجلك فكيف يسعك كلك فقال له العفريت وهل أنت لا تصدق انني كنت فيه فقال الصياد لا أصدقك أبدا
حتى أنظرك فيه بعيني * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الرابعة) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الصياد لما قال للعفريت لا أصدقك أبدا حتى
أنظرك بعيني في القمقم انتفض العفريت وصار دخانا صاعدا الى الجو ثم اجتمع ودخل في القمقم قليلا قليلا
حتى استكمل الدخان داخل القمقم واذا بالصياد أسرع وأخذ السدادة الرصاص المختومة وسد بها فم القمقم
ونادى العفريت وقال له تمن علي أي موتة تموتها لأرمينك في هذا البحر وأبني لي هنا بيتا وكل من أتى هنا أمنعه
أن يصطاد وأقول له هنا عفريت وكل من أطلعه يبين له أنواع الموت ويخبره بينها فلما سمع العفريت كلام
الصياد أراد الخروج فلم يقدر ورأى نفسه محبوسا ورأى عليه طبع خاتم سليمان وعلم أن الصياد سجنه في سجن
أحقر العفاريت وأقذرها وأصغرها ثم ان الصياد ذهب بالقمقم الى جهة البحر فقال له العفريت لا لا فقال
الصياد لابد لابد فلطف المارد كلامه وخضع وقال ما تريد أن تصنع بي يا صياد قال ألقيك في البحر ان كنت أقمت
فيه ألفا وثمانمائة عام فأنا أجعلك تمكث فيه الى أن تقوم الساعة أما قلت لك أبقني يبقيك الله ولا تقتلني يقتلك
الله فأبيت قولي وما أردت الا غدري فألقاك الله في يدي فغدرت بك فقال العفريت افتح لي حتى أحسن اليك
فقال له الصياد تكذب يا ملعون أنا مثلي ومثلك مثل وزير الملك يونان والحكيم رويان فقال العفريت وما شأن
وزير الملك يونان والحكيم رويان وما قصتهما

(حكاية وزير الملك يونان والحكيم رويان وهي من ضمن ماقبلها)

(قال) الصياد اعلم أيها العفريت أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان في مدينة الفرس وأرض
رومان ملك يقال له الملك يونان وكان ذا مال وجنود وبأس وأعوان من سائر الأجناس وكان في جسده برص
قد عجزت فيه الاطباء والحكماء ولم ينفعه منه شرب أدوية ولا سفوف ولا أدهان ولم يقدر أحد من الاطباء أن
يداويه وكان قد دخل مدينة الملك يونان حكيم كبير طاعن في السن يقال له الحكيم رويان وكان عارفا بالكتب
اليونانية والفارسية والرومية والعربية والسريانية وعلم الطب والنجوم وعالما بأصول حكمتها وقواعد أمورها

من منفعتها ومضرتها عالما بخواص النباتات والحشائش والاعشاب المضرة والنافعة قد عرف علم الفلاسفة وجاز جميع العلوم الطبية وغيرها ثم ان الحكيم لما دخل المدينة وأقام بها أياما قلائل سمع خبر الملك وما جرى له في بدنه من البرص الذي ابتلاه الله به وقد عجزت عن مداواته الاطباء وأهل العلوم فلما بلغ ذلك الحكيم بات مشغولا فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وسلمت الشمس على زين الملاح لبس أفخر ثيابه ودخل على الملك يونان وقبل الارض ودعا له بدوام العز والنعم وأحسن ما به تكلم وأعلمه بنفسه فقال أيها الملك بلغني ما اعتراك من هذا الذي في جسدك وان كثيرا من الاطباء لم يعرفوا الحيلة في زواله وها أنا أداويك أيها الملك ولا أسقيك دواء ولا أدهنك بدهن فلما سمع الملك يونان كلامه تعجب وقال له كيف تفعل فوالله ان أبرأتني أغنيتك لولد الولد وأنعم عليك وكل ما تتمناه فهو لك وتكون نديمي وحبيبي ثم انه خلع عليه وأحسن اليه وقال له أتبرئني من هذا المرض بلا دواء ولا دهان قال نعم أبرئك بلا مشقة في جسدك فتعجب الملك غاية العجب ثم قال له أيها الحكيم الذي ذكرته لي يكون في أي الأوقات وفي أي الأيام فأسرع به يا ولدي قال له سمعا وطاعة ثم نزل من عند الملك واكترى له بيتا وحط فيه كتبه وأدويته وعقاقيره ثم استخرج الأدوية والعقاقير وجعل منها صولجانا وجوّفه وعمل له قصبة وصنع له كرة بمعرفته فلما صنع الجميع وفرغ منها طلع الى الملك في اليوم الثاني ودخل عليه وقبل الارض بين يديه وأمره أن يركب الى الميدان وأن يلعب بالكرة والصولجان وكان معه الأمراء والحجاب والوزراء وأرباب الدولة فما استقر به الجلوس في الميدان حتى دخل عليه الحكيم رويان وناوله الصولجان وقال له خذ هذا الصولجان واقبض عليه مثل هذه القبضة وامش في الميدان واضرب به الكرة بقوتك حتى يعرق كفك وجسدك فينفذ الدواء من كفك فيسري في سائر جسدك فاذا عرقت وأثر الدواء فيك فارجع الى قصرك وادخل بعد ذلك الحمام واغتسل ونم فقد برئت والسلام فعند ذلك أخذ الملك يونان ذلك الصولجان من الحكيم وأمسكه بيده وركب الجواد وركب الكرة بين يديه وساق خلفها حتى لحقها وضربها بقوة وهو قابض بكفه على قصبة الصولجان ومازال يضرب به الكرة حتى عرق كفه وسائر بدنه وسرى له الدواء من القبضة وعرف الحكيم رويان أن الدواء سرى في جسده فأمره بالرجوع الى قصره وان يدخل الحمام من ساعته فرجع الملك يونان من وقته وأمر ان يخلوا له الحمام فأخلوه له وتسارعت الفراشون وتسابقت المماليك وأعدوا للملك قماشه ودخل الحمام واغتسل غسلا جيدا ولبس ثيابه داخل الحمام ثم خرج منه وركب الى قصره ونام فيه هذا ما كان من أمر الملك يونان * وأما ما كان من أمر الحكيم رويان فانه رجع الى داره وبات فلما أصبح الصباح طلع الى الملك واستأذن عليه فأذن له في الدخول فدخل وقبل الارض بين يديه وأشار الى الملك بهذه الأبيات

زهت الفصاحة اذ دعيت لها أبا * واذا دعت يوما سواك لها أبى
يا صاحب الوجه الذي أنواره * تمحو من الخطب الكريهة غياهبا
مازال وجهك مشرقا متهللا * كيلا ترى وجه الزمان مقطبا
أوليتني من فضلك المنن التي * فعلت بنا فعل السحاب مع الربا
وصرفت جل المال في طلب العلا * حتى بلغت من الزمان مآربا

فلما فرغ من شعره نهض الملك قائما على قدميه وعانقه وأجلسه بجنبه وخلع عليه الخلع السنية ولما خرج الملك من الحمام نظر الى جسده فلم يجد فيه شيأ من البرص وصار جسده نقيا مثل الفضة البيضاء ففرح بذلك غاية الفرح واتسع صدره وانشرح فلما أصبح الصباح دخل الديوان وجلس على سرير ملكه ودخلت عليه الحجاب وأكابر الدولة ودخل عليه الحكيم رويان فلما رآه قام اليه مسرعا وأجلسه بجانبه واذا بموائد الطعام قد مدت فأكل بصحبته ومازال عنده ينادمه طول نهاره فلما أقبل الليل أعطى الحكيم ألفي دينار غير الخلع والهدايا وأركبه جواده وانصرف الى داره والملك يونان يتعجب من صنعه ويقول هذا داواني من ظاهر جسدي ولم يدهني بدهان فوالله ماهذه الاحكمة بالغة فيجب علي لهذا الرجل الانعام والاكرام وأن أتخذه جليسا وأنيسا مدى الزمان وبات الملك يونان مسرورا فرحا بصحة جسمه وخلاصه من مرضه فلما أصبح الملك وجلس على كرسيه ووقفت أرباب دولته بين

يديه وجلست الامراء والوزراء على يمينه ويساره ثم طلب الحكيم رويان فدخل عليه وقبل الارض بين يديه
فقام له الملك وأجلسه بجانبه وأكل معه وحياه وخلع عليه وأعطاه ولم يزل يتحدث معه الى أن أقبل الليل فرسم
له بخمس خلع وألف دينار ثم انصرف الحكيم الى داره وهو شاكر للملك فلما أصبح الصباح خرج الملك الى الديوان
وقد أحدقت به الأمراء والوزراء والحجاب وكان له وزير من وزرائه بشع المنظر نحس الطالع لئيم بخيل حسود
مجبول على الحسد والمقت فلما رأى ذلك الوزير ان الملك قرب الحكيم رويان وأعطاه هذا الانعام حسده عليه
وأضمر له الشر كما قيل في المعنى ما خلا جسد من حسد وقيل في المعنى الظلم كمين في النفس القوة تظهره والعجز
يخفيه ثم ان الوزير تقدم الى الملك يونان وقبل الارض بين يديه وقال له يا ملك العصر والأوان أنت الذى شمل
الناس احسانك ولك عندى نصيحة عظيمة فان أخفيتها عنك أكون ولد زنا فان أمرتنى ان أبديها أبديتها لك فقال
الملك وقد أزعجه كلام الوزير وما نصيحتك فقال أيها الملك الجليل قد قالت القدماء من لم ينظر فى العواقب فما
الدهر له بصاحب وقد رأيت الملك على غير صواب حيث أنعم على عدوه وعلى من يطلب زوال ملكه وقد أحسن
اليه وأكرمه غاية الاكرام وقربه غاية القرب وأنا أخشى على الملك من ذلك فانزعج الملك وتغير لونه وقال له
من الذى تزعم انه عدوى وأحسن اليه فقال له أيها الملك ان كنت نائما فاستيقظ فأنا أشير الى الحكيم رويان
فقال له الملك ان هذا صديقى وهو أعز الناس عندى لانه داوانى بشئ قبضته بيدى وأبرأنى من مرضى الذى عجزت
فيه الاطباء وهو لا يوجد مثله فى هذا الزمان فى الدنيا غربا وشرقا فكيف أنت تقول عليه هذا المقال وأنا من هذا
اليوم أرتب له الجوامك والجرايات وأعمل له فى كل شهر ألف دينار ولو قاسمته فى ملكى لكان قليلا عليه وما أظن
انك تقول ذلك الا حسدا كما بلغنى عن الملك السندباد ثم قال الملك يونان ذكروالله أعلم* وأدرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المباح فقالت لها أختها يا أختى ما أحلى حديثك وأطيبه وألذه وأعذبه فقالت لها وأين هذا
مما أحدثكم به الليلة المقبلة ان عشت وأبقانى الملك فقال الملك فى نفسه والله لا أقتلها حتى أسمع بقية حديثها
لانه حديث عجيب ثم انهم باتوا تلك الليلة متعانقين الى الصباح ثم خرج الملك الى محل حكمه واحتبك الديوان
فحكم وولى وعزل وأمر ونهى الى آخر النهار ثم انفض الديوان فدخل الملك قصره وأقبل الليل وقضى حاجته من
بنت الوزير شهرزاد

﴿فلما كانت الليلة الخامسة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الملك يونان قال لوزيره أيها الوزير أنت داخلك
الحسد من أجل هذا الحكيم فتريد أن أقتله وبعد ذلك أندم كما ندم الملك السندباد على قتل البازى فقال الوزير
وكيف كان ذلك فقال الملك ذكر أنه كان ملك من ملوك الفرس يحب الفرجة والتنزه والصيد والقنص وكان له
باز رباه ولا يفارقه ليلا ولا نهارا ويبيت طول الليل حامله على يده واذا طلع الى الصيد يأخذه معه وهو عامل له
طاسة من الذهب معلقة فى رقبته يسقيه منها فبينما الملك جالس واذا بالوكيل على طير الصيد يقول يا ملك الزمان
هذا أوان الخروج الى الصيد فاستعد الملك للخروج وأخذ البازى على يده وسار والى أن وصلوا الى واد ونصبوا
شبكة الصيد واذا بغزالة وقعت فى تلك الشبكة فقال الملك كل من فاتت الغزالة من جهته قتلته فضيقوا عليها حلقة
الصيد واذا بالغزالة أقبلت على الملك وشبت على رجليها وحطت يديها على صدرها كأنها تقبل الارض للملك
فطأطأ الملك للغزالة ففرت من فوق دماغه وراحت الى البر فالتفت الملك الى العسكر فرآهم يتغامزون عليه فقال
يا وزير ماذا يقول العساكر فقال يقولون انك قلت كل من فاتت الغزالة من جهته يقتل فقال الملك وحياة رأسى
لأتبعنها حتى أجئ بها ثم طلع الملك فى أثر الغزالة ولم يزل وراءها وصار البازى يلطشها على عينيها الى أن أعماها
ودوخها فسحب الملك دبوسا وضربها فقلبها ونزل فذبحها وسلخها وعلقها فى قربوس السرج وكانت ساعة حر
وكان المكان قفرا لم يوجد فيه ماء فعطش الملك وعطش الحصان فالتفت الملك فرأى شجرة ينزل منها ماء مثل
السمن وكان الملك لابسا فى كفه جلدا فأخذ الطاسة من رقبة البازى وملأها من ذلك الماء ووضع الماء قدامه
واذا بالبازى لطش الطاسة فقلبها فأخذ الملك الطاسة ثانيا وملأها وظن ان البازى عطشان فوضعها قدامه
فلطشها ثانيا وقلبها فغضب الملك من البازى وأخذ الطاسة ثالثا وقدمها للحصان فقلبها البازى بجناحيه فقال

الملك الله يخيبك يا أشأم الطيور أحرمتني من الشرب وأحرمت نفسك وأحرمت الحصان ثم ضرب البازي بالسيف فرمى أجنحته فصار البازي يقيم رأسه ويقول بالاشارة أنظر الذي فوق الشجرة فرفع الملك عينه فرأى فوق الشجرة حية والذي يسيل سمها فندم الملك على قص أجنحة البازي ثم قام وركب حصانه وسار ومعه الغزالة حتى وصل الى مكانه الاول فألقى الغزالة الى الطباخ وقال له خذها واطبخها ثم جلس الملك على الكرسي والبازي على يده فشهق البازي ومات فصاح الملك حزنا وأسفا على قتل البازي حيث خلصه من الهلاك وهذا ما كان من حديث الملك السندباد * فلما سمع الوزير كلام الملك يونان قال له أيها الملك العظيم الشان وما الذي فعلته من الضرر ورأيت منه سوأ انما أفعل معك هذا شفقة عليك وستعلم صحة ذلك فان قبلت مني نجوت والا هلكت كما هلك وزير كان احتال على ابن ملك من الملوك وكان لذلك الملك ولد مولع بالصيد والقنص وكان له وزير فأمر الملك ذلك الوزير أن يكون مع ابنه أينما توجه فخرج يوما من الايام الى الصيد والقنص وخرج معه وزير أبيه فسارا جميعا فنظرا الى وحش كبير فقال الوزير لابن الملك دونك هذا الوحش فاطلبه فقصده ابن الملك حتى غاب عن العين وغاب عنه الوحش في البرية وتحير ابن الملك فلم يعرف أين يذهب واذا بجارية على رأس الطريق وهي تبكي فقال لها ابن الملك من أنت قالت بنت ملك من ملوك الهند وكنت في البرية فأدركني النعاس فوقعت من فوق الدابة ولم أعلم بنفسي فصرت منقطعة حائرة فلما سمع ابن الملك كلامها رق لحالها وحملها على ظهر دابته وأردفها وسار حتى مر بجزيرة فقالت له الجارية يا سيدي أريد أن أزيل ضرورة فأنزلها الى الجزيرة ثم تعوقت فاستبطأها فدخل خلفها وهي لا تعلم به فاذا هي غولة وهي تقول لأولادها يا أولادي قد أتيتكم اليوم بغلام سمين فقالوا لها ائتينا به يا أمنا نأكله في بطوننا فلما سمع ابن الملك كلامهم أيقن بالهلاك وارتعدت فرائصه وخشي على نفسه ورجع فخرجت الغولة فرأته كالخائف الوجل وهو يرتعد فقالت له ما بالك خائفا فقال لها ان لي عدوا وأنا خائف منه فقالت الغولة انك تقول أنا ابن الملك قال لها نعم قالت له ما لك لا تعطي عدوك شيأ من المال فترضيه به فقال لها انه لا يرضى بمال ولا يرضى الا بالروح وأنا خائف منه وأنا رجل مظلوم فقالت له ان كنت مظلوما كما تزعم فاستعن بالله عليه فانه يكفيك شره وشر جميع ما تخافه فرفع ابن الملك رأسه الى السماء وقال يا من يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء انصرني على عدوي واصرفه عني انك على ما تشاء قدير فلما سمعت الغولة دعاءه انصرفت عنه وانصرف ابن الملك الى أبيه وحدثه بحديث الوزير وأنت أيها الملك متى أمنت لهذا الحكيم قتلك أقبح القتلات وان كنت أحسنت اليه وقربته منك فانه يدبر في هلاكك أما ترى أنه أبرأك من المرض من ظاهر الجسد بشئ أمسكته بيدك فلا تأمن أن يهلكك بشئ تمسكه أيضا فقال الملك يونان صدقت فقد يكون كما ذكرت أيها الوزير الناصح فلعل هذا الحكيم أتى جاسوسا في طلب هلاكي واذا كان أبرأني بشئ أمسكته بيدي فانه يقدر أن يهلكني بشئ أشمه ثم ان الملك يونان قال لوزيره أيها الوزير كيف العمل فيه فقال له الوزير ارسل اليه في هذا الوقت واطلبه فان حضر فاضرب عنقه فتكفى شره وتستريح منه واغدر به قبل أن يغدر بك فقال الملك يونان صدقت أيها الوزير ثم ان الملك أرسل الى الحكيم فحضر وهو فرحان ولا يعلم ما قدره الرحمن كما قال بعضهم في المعنى

يا خائفا من دهره كن آمنا * وكل الأمور الى الذي بسط الثرى
ان المقدر كائن لا ينمحي * ولك الأمان من الذي ما قدرا

وأنشد الحكيم مخاطبا قول الشاعر

اذا لم أقم يوما لحقك بالشكر * فقل لي ان أعددت نظمي مع النثر
لقد جددت لي قبل السؤال بأنعم * أتتني بلا مطل لديك ولا عذر
فمالي لا أعطي ثناءك حقه * وأثني على علياك في السر والجهر
سأشكر ما أوليتني من صنائع * يخف لها فمي وان أثقلت ظهري

(وأيضا في المعنى)

كن عن همومك معرضا * وكل الامور الى القضا
وابشر بخير عاجل * تنسى به ما قد مضى
فلرب أمر مسخط * لك في عواقبه رضا
الله يفعل ما يشا * ء فلا تكن متعرضا

(وأيضا في المعنى)

سلم أمورك للحكيم العالم * وأرح فؤادك من جميع العالم

واعلم بان الامر ليس كما تشا * بل ما يشاء الله أحكم حاكم
[(وأيضا في المعنى) لا تيئس وانس الهموم جميعها * ان الهموم تزيل لب الحازم
لا ينفع التدبير عبدا عاجزا * فاتركه تسلم في نعيم دائم

فلما حضر الحكيم رويان قال له الملك أتعلم لماذا أحضرتك فقال الحكيم لا يعلم الغيب الا الله تعالى فقال له الملك أحضرتك لاقتلك وأعدمك روحك فتعجب الحكيم رويان من تلك المقالة غاية العجب وقال أيها الملك لماذا تقتلني وأى ذنب بدا مني فقال له الملك قد قيل لي انك جاسوس وقد أتيت لتقتلني وها أنا أقتلك قبل أن تقتلني ثم ان الملك صاح على السياف وقال له اضرب رقبة هذا الغدار وأرحنا من شره فقال الحكيم أبقني يبقك الله ولا تقتلني يقتلك الله ثم انه كرر عليه القول مثل ما قلت لك أيها العفريت وأنت لا تدعني بل تريد قتلي فقال الملك يونان للحكيم رويان اني لا آمن الا ان قتلتك فانك أبرأتني بشئ أمسكته بيدي فلا آمن ان تقتلني بشئ أشمه أو غير ذلك فقال الحكيم أيها الملك أهذا جزائي منك تقابل المليح بالقبيح فقال الملك لا بد من قتلك من غير مهلة فلما تحقق الحكيم ان الملك قاتله لا محالة بكى وتأسف على ما صنع من الجميل مع غير أهله كما قيل في المعنى

ميمونة من سمات العقل عارية * لكن أبوها من الالباب قد خلقا
لم يمش في يابس يوما ولا وحل * الا بنور هداه يتقى الزلقا *

وبعد ذلك تقدم السياف وغمى عينيه وشهر سيفه وقال ائذن والحكيم يبكي ويقول للملك ابقني يبقك الله ولا تقتلني يقتلك الله وأنشد قول الشاعر

نصحت فلم أفلح وغشوا فافلحوا * فاوقعني نصحي بدار هوان
فان عشت لم أنصح وان مت فانع لي * ذوى النصح من بعدي بكل لسان

ثم ان الحكيم قال للملك أيكون هذا جزائي منك فتجازيني مجازاة التمساح قال الملك وما حكاية التمساح فقال الحكيم لا يمكنني أن أقولها وأنا في هذا الحال فبالله عليك ابقني يبقك الله ثم ان الحكيم بكى بكاء شديدا فقام بعض خواص الملك وقال أيها الملك هب لنا دم هذا الحكيم لاننا ما رأيناه فعل معك ذنبا وما رأيناه الا أبرأك من مرضك الذى أعيا الأطباء والحكماء فقال لهم الملك لم تعرفوا سبب قتلي لهذا الحكيم وذلك لاني ان أبقيته فأنا هالك لا محالة ومن أبرأني من المرض الذى كان بي بشئ أمسكته بيدي فيمكنه أن يقتلني بشئ أشمه فأنا أخاف أن يقتلني ويأخذ على جعالة لانه ربما كان جاسوسا وما جاء الا ليقتلني فلا بد من قتله وبعد ذلك آمن على نفسي فقال الحكيم أبقني يبقك الله ولا تقتلني يقتلك الله فلما تحقق الحكيم أيها العفريت ان الملك قاتله لا محالة قال له أيها الملك ان كان ولا بد من قتلي فامهلني حتى أنزل الى داري فاخلص نفسي وأوصي أهلي وجيراني أن يدفنوني وأهب كتب الطب وعندي كتاب خاص الخاص أهبه لك هدية تدخره في خزانتك فقال الملك للحكيم وما هذا الكتاب قال فيه شئ لا يحصى وأقل ما فيه من الاسرار انك اذا قطعت رأسي وفتحته وعددت ثلاث ورقات ثم تقرأ ثلاثة أسطر من الصحيفة التي على يسارك فان الرأس تكلمك وتجاوبك عن جميع ما سألتها عنه فتعجب الملك غاية العجب واهتز من الطرب وقال له أيها الحكيم وهل اذا قطعت رأسك تكلمت فقال نعم أيها الملك وهذا أمر عجيب ثم ان الملك أرسله مع المحافظة عليه فنزل الحكيم الى داره وقضى أشغاله في ذلك اليوم وفي اليوم الثاني ثم طلع الحكيم الى الديوان وطلعت الامراء والوزراء والحجاب والنواب وأرباب الدولة جميعا وصار الديوان كزهر البستان واذا بالحكيم دخل الديوان ووقف قدام الملك ومعه كتاب عتيق ومكحلة فيها ذرور وجلس وقال ائتوني بطبق فأتوه بطبق وكب فيه الذرور وفرشه وقال أيها الملك خذ هذا الكتاب ولا تعمل به حتى تقطع رأسي فاذا قطعتها فاجعلها في ذلك الطبق وأمر بكبسها على ذلك الذرور فاذا فعلت ذلك فان دمها ينقطع ثم افتح الكتاب ففتحه الملك فوجده ملصوقا فحط أصبعه في فمه وبله بريقه وفتح أول ورقة والثانية والثالثة والورق ما ينفتح الا بجهد ففتح الملك ست ورقات ونظر فيها فلم يجد فيها كتابة فقال الملك أيها الحكيم ما فيه شئ مكتوب فقال الحكيم قلب زيادة على ذلك فقلب فيه زيادة فلم يكن الا قليلا من الزمان حتى سرى فيه السم لوقته وساعته فان الكتاب كان

مسموما فعند ذلك تزخزح الملك وصاح وقال قد سرى فى السم فانشد الحكيم رويان يقول

تحكموا فاستطالوا فى حكومتهم * وعن قليل كان الحكم لم يكن * لو انصفوا انصفوا لكن بغوا فبغى
عليهم الدهر بالآفات والمحن * واصبحوا ولسان الحال ينشدهم * هذا بذاك ولا عتب على الزمن

فلما فرغ رويان الحكيم من كلامه سقط الملك ميتا من وقته فاعلم أيها العفريت ان الملك يونان لو أبقى الحكيم رويان لابقاه الله ولكن أبى وطلب قتله فقتله الله وأنت أيها العفريت لو أبقيتنى لابقاك الله * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فقالت لها أختها دنيازاد ما أحلى حديثك فقالت وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة ان عشت وأبقانى الملك وباتوا تلك الليلة فى نعيم وسرور الى الصباح ثم طلع الملك الى الديوان ولما انفض الديوان دخل قصره واجتمع بأهله

* (فلما كانت الليلة السادسة) * قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الصياد لما قال للعفريت لو أبقيتنى كنت أبقيتك لكن ما أردت الا قتلى فأنا أقتلك محبوسا فى هذا القمقم وألقيك فى هذا البحر ثم صرخ المارد وقال بالله عليك أيها الصياد لا تفعل وأبقنى كرما ولا تؤاخذنى بعملى فاذا كنت أنا مسيأ كن أنت محسنا وفى الامثال السائرة يا محسنا لمن أساء كفى المسىء فعله ولا تعمل كما عمل أمامة مع عاتكة قال الصياد وما شأنهما فقال العفريت ما هذا وقت حديث وأنا فى السجن حتى تطلعنى منه وأنا أحدثك بشأنهما فقال الصياد لا بد من القائك فى البحر ولا سبيل الى اخراجك منه فانى كنت أستعطفك وأتضرع اليك وأنت لا تريد الا قتلى من غير ذنب استوجبته منك ولا فعلت معك سوأ قط ولم أفعل معك الا خيرا لكونى أخرجتك من السجن فلما فعلت معى ذلك علمت أنك ردىء الاصل واعلم أننى ما رميتك فى هذا البحر الا لاجل ان كل من أطلعك أخبره بخبرك وأحذره منك فيرميك فيه ثانيا فتقيم فى هذا البحر الى آخر الزمان حتى ترى أنواع العذاب فقال العفريت أطلقنى فهذا وقت المروآت وأنا أعاهدك انى لم أسؤك أبدا بل أنفعك بشىء يغنيك دائما فأخذ الصياد عليه العهد أنه اذا أطلقه لا يؤذيه أبدا بل يعمل معه الجميل فلما استوثق منه بالايمان والعهود وحلفه باسم الله الاعظم فتح له الصياد فتصاعد الدخان حتى خرج وتكامل فصار عفريتا مشوه الخلقة ورفس القمقم فرماه فى البحر فلما رأى الصياد رمى القمقم فى البحر أيقن بالهلاك وبال فى ثيابه وقال هذه ليست علامة خير ثم انه قوى قلبه وقال أيها العفريت قال الله تعالى وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا وأنت قد عاهدتنى وحلفت أنك لا تغدر بى فان غدرت بى يجزك الله فانه غيور يمهل ولا يهمل وأنا قلت لك مثل ما قال الحكيم رويان للملك يونان أبقنى يبقك الله فضحك العفريت ومشى قدامه وقال أيها الصياد اتبعنى فمشى الصياد وراءه وهو لم يصدق بالنجاة الى أن خرجا من ظاهر المدينة وطلعا على جبل ونزلا الى برية متسعة واذا فى وسطها بركة ماء فوقف العفريت عليها وأمر الصياد أن يطرح الشبكة ويصطاد فنظر الصياد الى البركة وهذا السمك ألوانا الأبيض والاحمر والازرق والاصفر فتعجب الصياد من ذلك ثم انه طرح شبكته وجذبها فوجد فيها أربع سمكات كل سمكة بلون فلما رآها الصياد فرح فقال له العفريت ادخل بها الى السلطان وقدمها اليه فانه يعطيك ما يغنيك وبالله اقبل عذرى فاننى فى هذا الوقت لم أعرف طريقا وأنا فى هذا البحر مدة ألف وثمانمائة عام ما رأيت ظاهر الدنيا الا فى هذه الساعة ولا تصطد منها كل يوم الا مرة واحدة واستودعتك الله ثم دق الارض بقدميه فانشقت وابتلعته ومضى الصياد الى المدينة وهو متعجب مما جرى له مع هذا العفريت ثم أخذ السمك ودخل به منزله وأتى بماجور ثم ملأه ماء وحط فيه السمك فاختبط السمك من داخل الماجور فى الماء ثم حمل الماجور فوق رأسه وقصد به قصر الملك كما أمره العفريت فلما طلع الصياد الى الملك وقدم له السمك تعجب الملك غاية العجب من ذلك السمك الذى قدمه اليه الصياد لانه لم ير فى عمره مثله صفة ولا شكلا فقال القوا هذا السمك للجارية الطباخة وكانت هذه الجارية قد أهداها له ملك الروم منذ ثلاثة أيام وهو لم يجربها فى طبيخ فامرها الوزير أن تقليه وقال لها يا جارية ان الملك يقول لك ما ادخرت دمعتى الا لشدتى ففرجينا اليوم على طهيك وحسن طبيخك فان السلطان جاء اليه واحد بهدية ثم رجع الوزير بعد ما أوصاها فامره الملك أن يعطى الصياد أربعمائة دينار

فأعطاه الوزير اياها فأخذها في حجره وتوجه الى منزله لزوجته وهو فرحان مسرور ثم اشترى لعياله ما يحتاجون اليه هذا ما كان من أمر الصياد (وأما) ما كان من أمر الجارية فانها أخذت السمك ونظفته ورصته في الطاجن ثم انها تركت السمك حتى استوى وجهه وقلبته على الوجه الثاني واذا بحائط المطبخ قد انشقت وخرجت منها صبية رشيقة القد أسيلة الخد كاملة الوصف كحيلة الطرف بوجه مليح وقد رجيح لابسة كوفية من خز أزرق وفي أذنيها حلق وفي معاصمها أساور وفي أصابعها خواتيم بالفصوص المثمنة وفي يدها قضيب من الخيزران فغرزت القضيب في الطاجن وقالت يا سمك هل أنت على العهد مقيم فلما رأت الجارية هذا غشي عليها وقد أعادت الصبية القول ثانيا وثالثا فرفع السمك رأسه في الطاجن وقال نعم نعم ثم قال جميعه هذا البيت

ان عدت عدنا وان وافيت وافينا * وان هجرت فانا قد تكافينا

فعند ذلك قلبت الصبية الطاجن وخرجت من الموضع الذي دخلت منه والتحمت حائط المطبخ ثم أفاقت الجارية فرأت الاربع سمكات محروقة مثل الفحم الاسود فقالت تلك الجارية من أول غزوته حصل كسر عصبته فبينما هي تعاتب نفسها واذا بالوزير واقف على رأسها وقال لها هاتي السمك للسلطان فبكت الجارية وأعلمت الوزير بالحال وبالذي جرى فتعجب الوزير من ذلك وقال ما هذا الا أمر عجيب ثم انه أرسل الى الصياد فأتوا به اليه فقال له أيها الصياد لابد أن تجيء لنا بأربع سمكات مثل التي جئت بها أولا فخرج الصياد الى البركة وطرح شبكته ثم جذبها واذا بأربع سمكات فأخذها وجاء بها الى الوزير فدخل بها الوزير الى الجارية وقال لها قومي اقليها قدامي حتى أرى هذه القضية فقامت الجارية وأصلحت السمك ووضعته في الطاجن على النار فما استقر الا قليلا واذا بالحائط قد انشقت والصبية قد ظهرت وهي لابسة ملبسها وفي يدها القضيب فغرزته في الطاجن وقالت يا سمك يا سمك هل أنت على العهد القديم مقيم فرفعت السمكات رؤسها وأنشدت هذا البيت

ان عدت عدنا وان وافيت وافينا * وان هجرت فانا قد تكافينا

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السابعة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد انه لما تكلم السمك قلبت الصبية الطاجن بالقضيب وخرجت من الموضع الذي جاءت منه والتحم الحائط فعند ذلك قام الوزير وقال هذا أمر لا يمكن اخفاؤه عن الملك ثم انه تقدم الى الملك وأخبره بما جرى قدامه فقال لابد أن أنظر بعيني فأرسل الى الصياد وأمره أن يأتي بأربع سمكات مثل الاول وأمهله ثلاثة أيام فذهب الصياد الى البركة وأتاه بالسمك في الحال فأمر الملك ان يعطوه أربعمائة دينار ثم التفت الملك الى الوزير وقال له سو أنت السمك ههنا قدامي فقال الوزير سمعا وطاعة فأحضر الطاجن ورمى فيه السمك بعد ان نظفه ثم قلبه واذا بالحائط قد انشقت وخرج منها عبد أسود كأنه ثور من الثيران أو من قوم عاد وفي يده فرع من شجرة خضراء وقال بكلام فصيح مزعج يا سمك يا سمك هل أنت على العهد القديم مقيم فرفع السمك رأسه من الطاجن وقال نعم نعم وأنشد هذا البيت

ان عدت عدنا وان وافيت وافينا * وان هجرت فانا قد تكافينا

ثم أقبل العبد على الطاجن وقلبه بالفرع الى ان صار فحما أسود ثم ذهب العبد من حيث أتى فلما غاب العبد عن أعينهم قال الملك هذا أمر لا يمكن السكوت عنه ولابد أن هذا السمك له شأن غريب فأمر باحضار الصياد فلما حضر قال له من أين هذا السمك فقال له من بركة بين أربع جبال وراء هذا الجبل الذي بظاهر مدينتك فالتفت الملك الى الصياد وقال له مسيرة كم يوم قال له يا مولانا السلطان مسيرة نصف ساعة فتعجب السلطان وأمر بخروج العسكر من وقته مع الصياد فصار الصياد يلعن العفريت وساروا الى ان طلعوا الجبل ونزلوا منه الى برية متسعة لم يروها مدة أعمارهم والسلطان وجميع العسكر يتعجبون من تلك البرية التي نظروها بين أربع جبال والسمك فيها على أربعة ألوان أحمر وأبيض وأصفر وأزرق فوقف الملك متعجبا وقال للعسكر ولمن حضر هل أحد منكم رأى هذه البركة في هذا المكان فقالوا كلهم لا فقال الملك والله لا أدخل مدينتي ولا أجلس على

تحت ملكي حتى أعرف حقيقة هذه البركة وسمكها ثم أمر الناس بالنزول حول هذه الجبال فنزلوا ثم دعا بالوزير وكان وزيرا خبيرا عاقلا لبيبا عالما بالامور فلما حضر بين يديه قال له انى أردت أن أعمل شيأ فاخبرك به وذلك أنه خطر ببالي أن أنفرد بنفسي في هذه الليلة وأبحث عن خبر هذه البركة وسمكها فاجلس على باب خيمتي وقل للامراء والوزراء والحجاب ان السلطان متشوش وأمرني أن لا آذن لاحد في الدخول عليه ولم تعلم أحدا بقصدى فلم يقدر الوزير على مخالفته ثم ان الملك غير حالته وتقلد سيفه وانسل من بينهم ومشى بقية ليله الى الصباح فلم يزل سائرا حتى اشتد عليه الحر فاستراح ثم مشى بقية يومه وليلته الثانية الى الصباح فلاح له سواد من بعد ففرح وقال لعلى أجد من يخبرني بقضية البركة وسمكها فلما قرب من السواد وجده قصرا مبنيا بالحجارة السود مصفحا بالحديد وأحد شقي بابه مفتوح والآخر مغلق ففرح الملك ووقف على الباب ودق دقا لطيفا فلم يسمع جوابا فدق ثانيا وثالثا فلم يسمع جوابا فدق رابعا دقا مزعجا فلم يجبه أحد فقال لاشك انه خال فشجع نفسه ودخل من باب القصر الى دهليزه ثم صرخ وقال يا أهل القصر اني رجل غريب وعابر سبيل هل عندكم شيء من الزاد وأعاد القول ثانيا وثالثا فلم يسمع جوابا فقوى قلبه وثبت نفسه ودخل من الدهليز الى وسط القصر فلم يجد فيه أحدا غير انه مفروش وفي وسطه فسقية عليها أربع سباع من الذهب الاحمر تلقي الماء من أفواهها كالدر والجواهر وفي دائره طيور وعلى ذلك القصر شبكة تمنعها من الطلوع فتعجب من ذلك وتأسف حيث لم ير فيه أحدا يستخبر منه عن تلك البركة والسمك والجبال والقصر ثم جلس بين الابواب يتفكر واذا هو بانين من كبد حزين فسمعه يترنم بهذا الشعر

لما خفيت ضنى ووجدى قد ظهر * والنوم من عيني تبدل بالسهر * ناديت وجدا قد تزايد بي الفكر

يا وجد لا تبقي علي ولا تذر * هاهو مهجتي بين المشقة والخطر

فلما سمع السلطان ذلك الانين نهض قائما وقصد جهته فوجد سترا مسبولا على باب مجلس فرفعه فرأى خلف الستر شابا جالسا على سرير مرتفع عن الارض مقدار ذراع وهو شاب مليح بقد رجيح ولسان فصيح وجبين أزهر وخد أحمر وشامة على كرسي خده كترس من عنبر كما قال الشاعر

ومهفهف من شعره وجبينه * مشت الورى في ظلمة وضياء * ما أبصرت عيناك أحسن منظر

فيما يرى من سائر الاشياء * كالشامة الخضراء فوق الوجنة الـ * حمراء تحت المقلة السوداء

ففرح به الملك وسلم عليه والصبي جالس وعليه قباء حرير بطراز من ذهب لكن عليه أثر الحزن فرد السلام على الملك وقال له ياسيدى اعذرني في عدم القيام فقال الملك أيها الشاب اخبرني عن هذه البركة وعن سمكها الملون وعن هذا القصر وسبب وحدتك فيه وما سبب بكائك فلما سمع الشاب هذا الكلام نزلت دموعه على خده وبكى بكاء شديدا فتعجب الملك وقال ما يبكيك أيها الشاب فقال كيف لا أبكي وهذه حالتي ومد يده الى أذياله فرفعها فاذا نصفه التحتاني الى قدميه حجر ومن سرته الى شعر رأسه بشر ثم قال الشاب اعلم أيها الملك أن لهذا السمك أمرا عجيبا لو كتب بالابر على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر وذلك ياسيدى أنه كان والدى ملك هذه المدينة وكان اسمه محمود صاحب الجزائر السود وصاحب هذه الجبال الاربعة أقام في الملك سبعين عاما ثم توفي والدى وتسلطنت بعده وتزوجت بابنة عمي وكانت تحبني محبة عظيمة بحيث اذا غبت عنها لا تأكل ولا تشرب حتى تراني فمكثت في عصمتي خمس سنين الى أن ذهبت يوما من الايام الى الحمام فأمرت الطباخ أن يجهز لنا طعاما لاجل العشاء ثم دخلت هذا القصر ونمت في الموضع الذى أنا فيه وأمرت جاريتين أن يروحا على وجهي فجلست واحدة عند رأسي والاخرى عند رجلي وقد قلقت لغيابها ولم يأخذني نوم غير أن عيني مغمضة ونفسي يقظانة فسمعت التي عند رأسي تقول للتي عند رجلي يامسعودة ان سيدنا مسكين شبابه وياخسارته مع سيدتنا الخبيثة الخاطئة فقالت الاخرى لعن الله النساء الزانيات ولكن مثل سيدنا وأخلاقه لا يصلح لهذه الزانية التي كل ليلة تبيت في غير فراشه فقالت التي عند رأسي ان سيدنا مغفل حيث لم يسأل عنها فقالت الاخرى ويلك وهل عند سيدنا علم بحالها أوهي تخليه باختياره بل تعمل له عملا في قدح الشراب الذى يشربه كل ليلة قبل المنام فتضع فيه البنج فينام ولم يشعر بما يجرى ولم يعلم أين تذهب

ولا يعلم ما تصنع لانها بعد ما تسقيه الشراب تلبس ثيابها وتخرج من عنده فتغيب الى الفجر وتأتي اليه وتبخره عند أنفه بشيء فيستيقظ من منامه فلما سمعت كلام الجواري صار الضياء في وجهي ظلاما وما صدقت أن الليل أقبل وجاءت بنت عمي من الحمام فمددنا السماط وأكلنا وجلسنا ساعة زمانية نتنادم كالعادة ثم دعوت بالشراب الذي أشربه عند المنام فناولتني الكاس فتراوغت عنه وجعلت أني أشربه مثل عادتي ودلقته في عبي ورقدت في الوقت والساعة واذا بها قالت نم ليتك لم تقم والله كرهتك وكرهت صورتك وملت نفسي من عشرتك ثم قامت ولبست أفخر ثيابها وتبخرت وتقلدت سيفا وفتحت باب القصر وخرجت فقمت وتبعتها حتى خرجت من القصر وشقت في أسواق المدينة الى أن انتهت الى أبواب المدينة فتكلمت بكلام لا أفهمه فتساقطت الاقفال وانفتحت الابواب وخرجت وأنا خلفها وهي لا تشعر حتى انتهت الى ما بين الكيمان وأتت حصنا فيه قبة مبنية بطين لها باب فدخلته هي وصعدت أنا على سطح القبة وأشرفت عليها واذا بها قد دخلت على عبد اسود احدى شفتيه غطاء وشفته الثانية وطاء وشفاهه تلقط الرمل من الحصى وهو مبتلي وراقد على قليل من قش القصب فقبلت الارض بين يديه فرفع ذلك العبد رأسه اليها وقال لها ويلك ما سبب قعودك الى هذه الساعة كان عندنا السودان وشربوا الشراب وصار كل واحد بعشيقته وأنا ما رضيت أن أشرب من شأنك فقالت يا سيدي وحبيب قلبي أما تعلم اني متزوجة بابن عمي وأنا أكره النظر في صورته وأبغض نفسي في صحبته ولولا اني أخشى على خاطرك لكنت جعلت المدينة خرابا يصيح فيها البوم والغراب وانقل حجارتها الى خلف جبل قاف فقال العبد تكذبين يا عاهرة وأنا أحلف وحق فتوة السودان والا تكون مروتنا مروة البيضان ان بقيت تقعدي الى هذا الوقت من هذا اليوم لا أصاحبك ولا أضع جسدي على جسدك يا خائنة أتغيبين علي من أجل شهوتك يا منتنة يا أخس البيضان قال الملك فلما سمعت كلامهما وأنا أنظر بعيني ما جرى بينهما صارت الدنيا في وجهي ظلاما ولم أعرف روحي في أي موضع وصارت بنت عمي واقفة تبكي عليه وتتذلل بين يديه وتقول له يا حبيبي وثمرة فؤادي ما أحد غيرك بقي لي فان طردتني يا ويلي يا حبيبي يا نور عيني ومازالت تبكي وتتضرع له حتى رضي عليها ففرحت وقامت وقلعت ثيابها ولباسها وقالت له يا سيدي هل عندك ما تأكله جاريتك فقال لها اكشفي اللقان فان تحتها عظام فيران مطبوخة فكليها ومرمشيها وقومي لهذه القوارة تجدي فيها بوظة فاشربيها فقامت وأكلت وشربت وغسلت يديها وجاءت فرقدت مع العبد على قش القصب وتعرت ودخلت معه تحت الهدمة والشراميط فلما نظرت الى هذه الفعال التي فعلتها بنت عمي غبت عن الوجود فنزلت من فوق أعلى القبة ودخلت وأخذت السيف من بنت عمي وهممت أن أقتل الاثنين فضربت العبد أولا على رقبته فظننت انه قد قضي عليه * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فلما أصبح الصباح دخل الملك الى محل الحكم واحتبك الديوان الى آخر النهار ثم طلع الملك قصره فقالت لها أختها دنيا زاد تممي لنا حديثك قالت حبا وكرامة

﴿فلما كانت الليلة الثامنة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الشاب المسحور قال للملك لما ضربت العبد لاقطع رأسه قطعت الحلقوم والجلد واللحم فظننت أني قتلته فشخر شخيرا عاليا فتحركت بنت عمي وقامت بعد ذهابي فأخذت السيف وردته الى موضعه وأتت المدينة ودخلت القصر ورقدت في فراشي الى الصباح ورأيت بنت عمي في ذلك اليوم قد قطعت شعرها ولبست ثياب الحزن وقالت يا ابن عمي لا تلمني فيما أفعله فانه بلغني ان والدتي توفيت وان والدي قتل في الجهاد وان أخوي أحدهما مات ملسوعا والآخر رديما فيحق لي أن أبكي وأحزن فلما سمعت كلامها سكت عنها وقلت لها افعلي ما بدا لك فاني لا أخالفك فمكثت في حزن وبكاء وعديد سنة كاملة من الحول الى الحول وبعد السنة قالت لي أريد أن ابني لي في قصرك مدفنا مثل القبة وأنفرد فيه بالاحزان وأسميه بيت الاحزان فقلت لها افعلي ما بدا لك فبنت لها بيتا للحزن وبنت في وسطه قبة ومدفنا مثل الضريح ثم نقلت العبد وأنزلته فيه وهو ضعيف جدا لا ينفعها بنافعة لكنه يشرب الشراب ومن اليوم الذي جرحته فيه ما تكلم الا انه حي لان أجله لم يفرغ فصارت كل يوم تدخل عليه القبة بكرة وعشيا وتبكي عنده وتعدد عليه وتسقيه

الشراب والمسلوق ولم تزل على هذه الحالة صباحا ومساء الى ثانى سنة وأنا أطول بالى عليها الى أن دخلت عليها يوما من الايام على غفلة فوجدتها تبكى وتلطم وجهها وتقول هذه الابيات

هدمت وجودى فى الورى بعد بعدكم * فان فؤادى لا يحب سواكم
خذوا كرما جسمى الى أين ترتموا * وأين حللتم فادفنونى حداكم
وان تذكروا اسمى عند قبرى يجيبكم * أنين عظامى عند صوت نداكم

فلما فرغت من شعرها قلت لها وسيفى مسلول فى يدى هذا كلام الخائنات اللاتى ينكرن العشرة ولا يحفظن الصحبة وأردت أن أضربها فرفعت يدى فى الهواء فقامت وقد علمت انى أنا الذى جرحت العبد ثم وقفت على قدميها وتكلمت بكلام لا أفهمه وقالت جعل الله بسحرى نصفك حجرا ونصفك الآخر بشرا فصرت كما ترى وبقيت لا أقوم ولا أقعد ولا أنا ميت ولا أنا حى فلما صرت هكذا سحرت المدينة وما فيها من الاسواق والغيطان وكانت مدينتنا أربعة أصناف مسلمين ونصارى ويهود ومجوس فسحرتهم سمكا فالابيض مسلمون والاحمر مجوس والازرق نصارى والاصفر يهود وسحرت الجزائر الاربعة أربعة جبال وأحاطتها بالبركة ثم انها كل يوم تعذبنى وتضربنى بسوط من الجلد مائة ضربة حتى يسيل الدم ثم تلبسنى من تحت هذه الثياب ثوبا من الشعر على نصفى الفوقانى ثم ان الشاب بكى وأنشد هذا الشعر

صبرا لحكمك يا اله القضا * أنا صابر ان كان فيه لك الرضا
قد ضقت بالامر الذى قد نابنى * فوسيلتى آل النبى المرتضى

فعند ذلك التفت الملك الى الشاب وقال له أيها الشاب زدتنى هما على همى ثم قال له وأين تلك المرأة قال فى المدفن الذى فيه العبد راقد فى القبة وهى تجىء له كل يوم مرة وعند مجيئها تجىء الى وتجردنى من ثيابى وتضربنى بالسوط مائة ضربة وأنا أبكى وأصيح ولم يكن فى حركة حتى أدفعها عن نفسى ثم بعد ان تعاقبنى تذهب الى العبد بالشراب والمسلوقة بكرة النهار قال الملك والله يا فتى لافعلن معك معروفا أذكر به وجميلا يؤرخونه سيرا من بعدى ثم جلس الملك يتحدث معه الى أن أقبل الليل ثم قام الملك وصبر الى أن جاء وقت السحر فتجرد من ثيابه وتقلد سيفه ونهض الى المحل الذى فيه العبد فنظر الى الشمع والقناديل ورأى البخور والادهان ثم قصد العبد وضربه فقتله ثم حمله على ظهره ورماه فى بئر كانت فى القصر ثم نزل ولبس ثياب العبد وهو داخل القبة والسيف معه مسلول فى طوله فبعد ساعة أتت العاهرة الساحرة وعند دخولها جردت ابن عمها من ثيابه وأخذت سوطا وضربته فقال آه يكفينى ما أنا فيه فارحمينى فقالت هل كنت أنت رحمتنى وأبقيت لى معشوقى ثم ألبسته اللباس الشعر والقماش من فوقه ثم نزلت الى العبد ومعها قدح الشراب وطاسة المسلوقة ودخلت عليه القبة وبكت وولولت وقالت يا سيدى كلمنى يا سيدى حدثنى وأنشدت تقول

فالى متى هذا التجنب والجفا * ان الذى فعل الغرام لقد كفى
كم قد تطيل الهجر لى متعمدا * ان كان قصدك حاسدى فقد اشتفى

ثم انها بكت وقالت يا سيدى كلمنى وحدثنى فخفض صوته وعوج لسانه وتكلم بكلام السودان وقال آه آه لا حول ولا قوة الا بالله فلما سمعت كلامه صرخت من الفرح وغشى عليها ثم انها استفاقت وقالت لعل سيدى صحيح فخفض الملك صوته بضعف وقال يا عاهرة أنت لا تستحقى ان أكلمك قالت ما سبب ذلك قال سببه انك طول النهار تعاقبين زوجك وهو يصرخ ويستغيث حتى أحرمتينى النوم من العشاء الى الصباح ولم يزل زوجك يتضرع ويدعو عليك حتى أقلقنى صوته ولولا هذا لكنت تعافيت فهذا الذى منعنى عن جوابك فقالت عن اذنك أخلصه مما هو فيه فقال لها الملك خلصيه وأريحينا فقالت سمعا وطاعة ثم قامت وخرجت من القبة الى القصر وأخذت طاسة ملأتها ماء ثم تكلمت عليها فصار الماء يغلى كما يغلى القدر ثم رشته منها وقالت بحق ما تلوته ان تخرج من هذه الصورة الى صورتك الاولى فانتفض الشاب وقام على قدميه وفرح بخلاصه وقال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالت له اخرج ولا ترجع الى هنا والا قتلتك وصرخت فى وجهه فخرج من بين يديها وعادت

الى القبة ونزلت وقالت ياسيدى أخرج الىّ حتى أنظرك فقال لها بكلام ضعيف أى شئ فعلتيه أرحتينى من الفرع ولم تريحينى من الاصل فقالت ياحبيبى وماهو الاصل قال أهل هذه المدينة والاربع جزائر كل ليلة اذا انتصف الليل يرفع السمك رأسه ويدعو علىّ وعليك فهو سبب منع العافية عن جسمى فخلصيهم وتعالى خذى بيدى وأقيمينى فقد توجهت الى العافية فلما سمعت كلام الملك وهى تظنه العبد قالت له وهى فرحة ياسيدى على رأسى وعينى بسم الله ثم نهضت وقامت وهى مسرورة تجرى وخرجت الى البركة وأخذت من مائها قليلا * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿ فلما كانت الليلة التاسعة ﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الصبية الساحرة لما أخذت شيأ من ماء البركة وتكلمت عليه بكلام لا يفهم تحرك السمك ورفع رأسه وصار آدميين فى الحال وانفك السحر عن أهل المدينة وصارت المدينة عامرة والاسواق منصوبة وصار كل واحد فى صناعته وانقلبت الجبال جزائر كما كانت ثم ان الصبية الساحرة رجعت الى الملك فى الحال وهى تظن أنه العبد وقالت ياحبيبى ناولنى يدك الكريمة أقبلها فقال الملك بكلام خفى تقربى منى فدنت منه وقد أخذ صارمه وطعنها به فى صدرها حتى خرج من ظهرها ثم ضربها فشقها نصفين وخرج فوجد الشاب المسحور واقفا فى انتظاره فهنأه بالسلامة وقبل الشاب يده وشكره فقال له الملك أتقعد فى مدينتك أم تجى معى الى مدينتى فقال الشاب ياملك الزمان أتدرى ما بينك وبين مدينتك فقال الملك يومان ونصف فعند ذلك قال له الشاب أيها الملك ان كنت نائما فاستيقظ ان بينك وبين مدينتك سنة للجد وما أتيت فى يومين ونصف الا لأن المدينة كانت مسحورة وأنا أيها الملك لا أفارقك لحظة عين ففرح الملك بقوله ثم قال الحمد لله الذى منّ علىّ بك فأنت ولدى لانى طول عمرى لم أرزق ولدا ثم تعانقا وفرحا فرحا شديدا ثم مشيا حتى وصلا الى القصر وأخبر الملك الذى كان مسحورا أرباب دولته أنه مسافر الى الحج الشريف فهيؤا له جميع ما يحتاج اليه ثم توجه هو والسلطان وقلب السلطان ملتهب على مدينته حيث غاب عنها سنة ثم سافر ومعه خمسون مملوكا ومعه الهدايا ولم يزالا مسافرين ليلا ونهارا سنة كاملة حتى أقبلا على مدينة السلطان فخرج الوزير والعساكر لمقابلته بعدما قطعوا الرجاء منه وأقبلت العساكر وقبلت الارض بين يديه وهنؤه بالسلامة فدخل وجلس على الكرسى ثم أقبل على الوزير وأعلمه بكل ماجرى على الشاب فلما سمع الوزير ماجرى على الشاب هنأه بالسلامة ولما استقر الحال أنعم السلطان على أناس كثير ثم قال للوزير علىّ بالصياد الذى أتى بالسمك فارسل الى ذلك الصياد الذى كان سببا لخلاص أهل المدينة فاحضره وخلع عليه وسأله عن حاله وهل له أولاد فاخبره أن له ابنا وبنتين فتزوج الملك باحدى بنتيه وتزوج الشاب بالاخرى وأخذ الملك الابن عنده وجعله خازندارا ثم أرسل الوزير الى مدينة الشاب التى هى الجزائر السود وقلده سلطنتها وأرسل معه الخمسين مملوكا الذين جاؤا معه وأرسل معه كثيرا من الخلع لسائر الامراء فقبل الوزير يديه وخرج مسافرا واستقر السلطان والشاب وأما الصياد فانه قد صار أغنى أهل زمانه وبناته زوجات الملوك الى أن أتاهم الممات وما هذا بأعجب مما جرى للحمال

﴿ حكاية الحمال مع البنات ﴾

فانه كان انسان من مدينة بغداد وكان أعزب وكان حمالا فبينما هو فى السوق يوما من الايام متكئا على قفصه اذ وقفت عليه امرأة ملتفة بازار موصلى من حرير مزركش بالذهب وحاشيتاه من قصب فرفعت قناعها فبان من تحته عيون سود بأهداب وأجفان وهى ناعمة الاطراف كاملة الاوصاف وبعد ذلك قالت بحلاوة لفظها هات قفصك واتبعنى فما صدق الحمال بذلك وأخذ القفص وتبعها الى أن وقفت على باب دار فطرقت الباب فنزل لها رجل نصرانى فاعطته دينارا وأخذت منه مقدارا من الزيتون ووضعته فى القفص وقالت له احمله واتبعنى فقال الحمال هذا والله نهار مبارك ثم حمل القفص وتبعها فوقفت على دكان فكهانى واشترت منه تفاحا شاميا وسفرجلا عثمانيا وخوخا عمانيا وياسمينا حلبيا وبنوفرا دمشقيا وخيارا نيليا وليمونا مصريا وأترجا سلطانيا ومرسينا وريحانيا وتمرحنا وأقحوانا وشقائق النعمان وبنفسجا وجلنارا ونسرينا ووضعت الجميع فى قفص الحمال وقالت له احمل فحمل وتبعها حتى وقفت على جزار وقالت له اقطع عشرة أرطال لحمة فقطع لها ولفت اللحم فى ورق موز ووضعته فى القفص

وقالت له احمل يا حمال فحمل وتبعها ثم وقفت على النقلي وأخذت من سائر النقل وقالت للحمال احمل واتبعني
فحمل القفص وتبعها الى أن وقف على دكان الحلواني واشترت طبقا وملأته من جميع ما عنده من مشبك
وقطائف بالمسك محشوة وصابونية وأقراص ليمونية وميمونية وأمشاط وأصابع ولقيمات القاضي ووضعت جميع
أنواع الحلاوة في الطبق ووضعته في القفص فقال الحمال لو أعلمتيني لجئت معي ببغل تحمل عليه هذه الامور
فتبسمت ثم وقفت على العطار واشترت منه عشرة مياه ماء ورد وماء زهر وماء خلاف وغير ذلك وأخذت قدرا من
السكر وأخذت مرش ماء ورد ممسك وحصى لبان ذكر وعودا وعنبرا ومسكا وأخذت شمعا اسكندرانيا ووضعت
الجميع في القفص وقالت احمل قفصك واتبعني فحمل القفص وتبعها به الى أن أتت دارا مليحة وقدامها رحبة فسيحة
وهي عالية البنيان مشيدة الاركان بابها بشقتين من الآبنوس مصفح بصفائح الذهب الاحمر فوقفت الصبية على
الباب ودقت دقا لطيفا واذا بالباب انفتح بشقتيه فنظر الحمال الى من فتح لها الباب فوجدها صبية رشيقة القد
قاعدة النهد ذات حسن وجمال وقد واعتدال وجبين كغرة الهلال وعيون كعيون الغزلان وحواجب كهلال رمضان
وخدود مثل شقائق النعمان وفم كخاتم سليمان ووجه كالبدر في الاشراق ونهدين كرمانتين باتفاق وبطن
مطوي تحت الثياب كطي السجل للكتاب فلما نظر الحمال اليها سلبت عقله وكاد القفص أن يقع من فوق رأسه ثم
قال ما رأيت عمري أبرك من هذا النهار فقالت الصبية البوابة للدلالة والحمال مرحبا وهي من داخل الباب ومشوا
حتى انتهوا الى قاعة فسيحة مزركشة مليحة ذات تراكيب وشاذروانات ومصاطب وسدلات وخزائن عليها الستور
مرخيات وفي وسط القاعة سرير من المرمر مرصع بالدر والجوهر منصوب عليه ناموسية من الاطلس الاحمر ومن
داخله صبية بعيون بابلية وقامة ألفية ووجه يخجل الشمس المضية فكأنها بعض الكواكب الدرية أو عقيلة
عربية كما قال فيها الشاعر

من قاس قدك بالغصن الرطيب فقد * أضحى القياس به زورا وبهتانا
الغصن أحسن ما تلقاه مكتسيا * وأنت أحسن ما تلقاك عريانا

فنهضت الصبية الثالثة من فوق السرير وخطرت قليلا الى ان صارت في وسط القاعة عند أختيها وقالت ما وقوفكم
حطوا عن رأس هذا الحمال المسكين فجاءت الدلالة من قدامه والبوابة من خلفه وساعدتهما الثالثة وحططن
عن الحمال وأفرغن ما في القفص وصفوا كل شيء في محله وأعطين الحمال دينارين وقلن له توجه يا حمال فنظر الى
البنات وما هن فيه من الحسن والطبائع الحسان فلم ير أحسن منهن ولكن ليس عندهن رجال ونظر ما عندهن
من الشراب والفواكه والمشمومات وغير ذلك فتعجب غاية العجب ووقف عن الخروج فقالت له الصبية مالك
لا تروح هل أنت استقللت الاجرة والتفتت الى أختها وقالت لها اعطيه دينارا آخر فقال الحمال والله يا سيداتي ان
أجرتي نصفان وما استقللت الاجرة وانما اشتغل قلبي وسري بكن وكيف حالكن وأنتن وحدكن وما عندكن رجال
ولا أحد يؤانسكن وأنتن تعرفن ان المنارة لا تثبت الا على أربعة وليس لكن رابع وما يكمل حظ النساء الا بالرجال
كما قال الشاعر

انظر الى أربع عندي قد اجتمعت * جنك وعود وقانون ومزمار

أنتن ثلاثة فتفتقرن الى رابع يكون رجلا عاقلا لبيبا حاذقا وللاسرار كاتما فقلن له نحن بنات ونخاف ان نودع السر
عند من لا يحفظه وقد قرأنا في الاخبار شعرا

صن عن سواك السر لا تودعنه * من أودع السر فقد ضيعه

فلما سمع الحمال كلامهن قال وحياتكن اني رجل عاقل أمين قرأت الكتب وطالعت التواريخ أظهر الجميل
وأخفي القبيح وأعمل بقول الشاعر

لا يكتم السر الا كل ذي ثقة * والسر عند خيار الناس مكتوم
السر عندي في بيت له غلق * ضاعت مفاتحه والباب مختوم

فلما سمع البنات الشعر والنظام وما أبداه من الكلام قلن له أنت تعلم اننا غرمنا على هذا المقام جملة من المال فهل
معك شيء تجازينا به فنحن لا ندعك تجلس عندنا حتى تغرم مبلغا من المال لان خاطرك أن تجلس عندنا وتصير

ندعنا وتطلع على وجوهنا الصباح الملاح فقالت صاحبة الدار اذا كانت بغير المال محبه فلا تساوي وزن حبه
وقالت البوابة ان يكن معك شيء ترح بلاشيء فقالت الدلالة يا أختي نكف عنه فوالله ماقصر اليوم معنا ولو كان
غيره ماطول روحه علينا ومهما جاء عليه أغرمه عنه ففرح الحمال وقال والله ما استفتحت بالدراهم الا منك فقلن له
اجلس على الرأس والعين وقامت الدلالة وشدت وسطها وصفت القناني وروقت المدام وعملت الحضرة على جانب
البحر وأحضرت ما يحتاجون اليه ثم قدمت المدام وجلست هي وأختها وجلس الحمال بينهن وهو يظن أنه في المنام
ثم قدمت باطية المدام وملأت أول قدح وشربته والثاني والثالث ثم ملأت وناولت أختها والاخرى ثم ملأت
وناولت الحمال فأخذ الحمال منها الكأس وأنشد هذا الشعر

اشرب الراح فائزا بالعوافي * ان هذا الشراب للداء شافي

وقال أيضا هذا البيت لا يشرب الراح الامن به طرب * يكون بالسكر في أفراحه وافي
و بعد هذا الشعر قبل أيديهن وشرب معهن ثم نزل عند صاحبة المحل وقال ياسيدتي أنا عبدك ومملوكك وخدامك
وأنشد يقول على الباب عبد من عبيدك واقف * بجودك والاحسان والشكر عارف
فقالت اشرب هنيأ وعافية في مجاري الصحة فأخذ الكاس وقبل يديها وترنم بقول الشاعر

ناولتها شبه خديها مشعشعة * حمراء يحكي سناها ضوء مقباس
فقبلتها وقالت وهي ضاحكة * فكيف تسقي خدود الناس للناس
قلت اشربي فهي من دمعي وحمرتها * دمي ومازجها في الكاس أنفاسي

فأخذت الصبية القدح وشربته ونزلت عند أختها ولازلن والحمال بينهن في رقص وغناء ومشمومات ولم يزل الحمال
معهن في عناق وتقبيل وهذه تكلمه وهذه تجذبه وهذه بالمشموم تضربه وهو معهن حتى لعبت الخمرة بعقولهم فلما
تحكم الشراب معهم قامت البوابة وتجردت من ثيابها وصارت عريانة ثم رمت نفسها في تلك البحيرة ولعبت في
الماء وأخذت الماء في فمها وبخت الحمال ثم غسلت أعضاءها ومابين فخذيها ثم طلعت من الماء ورمت نفسها في
حجر الحمال وقالت له ياحبيبي ما اسم هذا وأشارت الى فرجها فقال الحمال رحمك فقالت يوه يوه أما تستحي ومسكته من
رقبته وصارت تصكه فقال فرجك فقال كسك فقالت غيره فقال زنبورك فلم تزل تصكه حتى ذاب قفاه
و رقبته من الصك ثم قال لها وما اسمه فقالت له حبق الجسور فقال الحمال الحمد لله على السلامة ياحبق الجسور ثم انهم
أدار والكأس والطاس فقامت الثانية وخلعت ثيابها ورمت نفسها في تلك البحيرة وعملت مثل الاولى وطلعت
ورمت نفسها في حجر الحمال وأشارت الى فرجها وقالت يانور عيني ما اسم هذا قال فرجك فقالت أما يقبح عليك
هذا الكلام وصكته كفا طن له ما في القاعة فقال حبق الجسور فقالت له لا والضرب والصك على قفاه فقال لها
وما اسمه فقالت له السمسم المقشور ثم قامت الثالثة وخلعت ثيابها ونزلت تلك البحيرة وفعلت مثل من قبلها ثم
لبست ثيابها وألقت نفسها في حجر الحمال وقالت له أيضا ما اسم هذا وأشارت الى فرجها فصار يقول لها كذا وكذا
الى ان قال لها وهي تضربه وما اسمه فقالت خان أبي منصور ثم بعد ساعة قام الحمال ونزع ثيابه ونزل البحيرة وذكره
يسبح في الماء وغسل مثل ما غسلن ثم طلع ورمى نفسه في حجر سيدتهن ورمى ذراعيه في حجر البوابة ورمى رجليه في
حجر الدلالة ثم أشار الى ايره وقال ياسيدتي ما اسم هذا فضحك الكل على كلامه حتى انقلبن على ظهورهن وقلن زبك
قال لا وأخذ من كل واحدة عضة قلن ايرك قال لا وأخذ من كل واحدة حضنا * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت
عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة العاشرة﴾ قالت لها أختها دنيازاد يا أختي أتمي لنا حديثك قالت حبا وكرامة قد بلغني أيها
الملك السعيد أنهن لم يزلن يقلن زبك ايرك وهو يقبل و يعانق وهن يتضاحكن الى أن قلن له وما اسمه قال اسمه
البغل الجسور الذي يرعى حبق الجسور و يعلق بالسمسم المقشور و يبيت في خان أبي منصور فضحكن حتى
استلقين على ظهورهن ثم عادوا الى منادمتهم ولم يزالوا كذلك الى أن أقبل الليل عليهم فقلن للحمال توجه وأرنا
عرض أكتافك فقال الحمال والله خروج الروح أهون من الخروج من عندكن دعونا نصل الليل بالنهار وكل

فما يروح الى حال سبيله فقالت الدلالة خلياه عندكن نتفرج عليه فانه خليع ظريف فقلن له تبيت عندنا بشرط أن تدخل تحت الحكم ومهما رأيته لاتسأل عنه ولا عن سببه فقال نعم فقلن قم واقرأ ما على الباب مكتوبا فقام الى الباب فوجد مكتوبا عليه بماء الذهب لاتتكلم فيما لايعنيك تسمع مالايرضيك فقال الحمال اشهدوا انى لاأتكلم فيما لايعنيني ثم قامت الدلالة جهزت لهم مأكولا فأكلوا ثم أوقدوا الشمع والعود وقعدوا فى أكل وشرب واذا هم سمعوا دق الباب فلم يختل نظامهم فقامت واحدة منهن الى الباب ثم عادت وقالت قد كمل صفاؤنا فى هذه الليلة لانى وجدت بالباب ثلاثة أعجام ذقونهم محلوقة وهم عور بالعين الشمال وهذا من أعجب الاتفاق وهم ناس غرباء قد حضروا من أرض الروم ولكل واحد منهم شكل وصورة مضحكة فان دخلوا نضحك عليهم ولم تزل تتلطف بصاحبتيها حتى قالتا لها دعيهم يدخلون واشرطى عليهم ان لايتكلموا فيما لايعنيهم فيسمعوا مالايرضيهم ففرحت وراحت ثم عادت ومعها الثلاثة العور ذقونهم محلوقة وشوار بهم مبرومة ممشوقة وهم صعاليك فسلموا وتأخروا فقام لهم البنات وأقعدوهم فنظر الثلاثة رجال الى الحمال فوجدوه سكران فلما عاينوه ظنوا انه منهم وقالوا هو صعلوك مثلنا يؤانسنا فلما سمع الحمال هذا الكلام قام وقلب عينيه وقال لهم اقعدوا بلا فضول اما قرأتم ما على الباب فضحك البنات وقلن لبعضهن اننا نضحك على الصعاليك والحمال ثم وضعن الاكل للصعاليك فأكلوا ثم جلسوا يتنادمون والبوّابة تسقيهم ولما دار الكاس بينهم قال الحمال للصعاليك يااخواننا هل معكم حكاية أو نادرة تسلوننا بها فدبت فيهم الحرارة وطلبوا آلات اللهو فأحضرت لهم البوابة دفا موصليا وعودا عراقيا وجنكا عجميا فقام الصعاليك واقفين وأخذ واحد منهم الدف وأخذ واحد العود وأخذ واحد الجنك وضربوا بها وغنت البنات وصار لهم صوت عال فبينما هم كذلك واذا بطارق يطرق الباب فقامت البوّابة لتنظر من بالباب وكان السبب فى دق الباب ان فى تلك الليلة نزل الخليفة هرون الرشيد لينظر ويسمع مايتجدد من الاخبار هو وجعفر وزيره ومسرور سياف نقمته وكان من عادته ان يتنكر فى صفة التجار فلما نزل تلك الليلة ومشى فى المدينة جاءت طريقهم على تلك الدار فسمعوا آلات الملاهى فقال الخليفة لجعفر انى أريد أن ندخل هذه الدار ونشاهد صواحب هذه الاصوات فقال جعفر هؤلاء قوم قد دخل السكر فيهم ونخشى ان يصيبنا منهم شر فقال لابد من دخولنا وأريد أن تتحيل حتى ندخل عليهم فقال جعفر سمعا وطاعة ثم تقدم جعفر وطرق الباب فخرجت البوّابة وفتحت الباب فقال لها ياسيدتى نحن تجار من طبرية ولنا فى بغداد عشرة أيام ومعنا تجارة ونحن نازلون فى خان التجار وعزم علينا تاجر فى هذه الليلة فدخلنا عنده وقدم لنا طعاما فأكلنا ثم تنادمنا عنده ساعة ثم أذن لنا بالانصراف فخرجنا بالليل ونحن غرباء فتهنا عن الخان الذى نحن فيه فنرجوا من مكارمكم ان تدخلونا هذه الليلة نبيت عندكم ولكم الثواب فنظرت البوّابة اليهم فوجدتهم بهيئة التجار وعليهم الوقار فدخلت لصاحبتيها وشاورتهما فقالتا لها أدخليهم فرجعت وفتحت لهم الباب فقالوا لها أندخل باذنك قالت ادخلوا فدخل الخليفة وجعفر ومسرور فلما رأتهم البنات قمن لهم وخدمنهم وقلن مرحبا وأهلا وسهلا بأضيافنا ولنا عليكم شرط ان لاتتكلموا فيما لايعنيكم فتسمعوا مالايرضيكم قالوا نعم وبعد ذلك جلسوا للشراب والمنادمة فنظر الخليفة الى الثلاثة الصعاليك فوجدهم عورا بالعين الشمال فتعجب منهم ونظر الى البنات وماهم فيه من الحسن والجمال فتحير وتعجب واستمروا فى المنادمة والحديث وأتين للخليفة بشراب فقال أنا حاج وانعزل عنهم فقامت البوّابة وقدمت له سفرة مزركشة ووضعت عليها باطية من الصينى وسكبت فيها ماء الخلاف وأرخت فيه قطعة من الثلج ومزجته بسكر فشكرها الخليفة وقال فى نفسه لابد أن أجازيها فى غد على فعلها من صنيع الخير ثم اشتغلوا بمنادمتهم فلما تحكم الشراب قامت صاحبة البيت وخدمتهم ثم أخذت بيد الدلالة وقالت يا أختى قومى بمقتضى ديننا فقالت لها نعم فعند ذلك قامت البوابة وأطلعت الصعاليك خلف الابواب قدامهن وذلك بعد أن أخلت وسط القاعة ونادين الحمال وقلن له ما أقل مودتك ما أنت غريب بل أنت من أهل الدار فقام الحمال وشد وسطه وقال ماتردن قلن قف مكانك ثم قامت الدلالة وقالت للحمال ساعدنى فرأى كلبتين من الكلاب السود فى رقبتيهما جنازير فأخذهما الحمال ودخل بهما الى وسط القاعة فقامت صاحبة المنزل وشمرت عن معصمها وأخذت سوطا وقالت للحمال قدم كلبة منهما فجرها فى الجنزير

وقدمها والكلبة تبكي وتحرك رأسها الى الصبية فنزلت الصبية عليها بالضرب على رأسها والكلبة تصرخ وما زالت تضربها حتى كلت سواعدها فرمت السوط من يدها ثم ضمت الكلبة الى صدرها ومسحت دموعها وقبلت رأسها ثم قالت للحمال ردها وهات الثانية فجاء بها وفعلت بها مثل مافعلت بالاولى فعند ذلك اشتغل قلب الخليفة وضاق صدره وغمز جعفر ان يسألها فقال له بالاشارة اسكت ثم التفتت صاحبة البيت للبوابة وقالت لها قومي لقضاء ما عليك قالت نعم ثم ان صاحبة البيت صعدت على سرير من المرمر مصفح بالذهب والفضة وقالت للبوابة والدلالة ائتيا بما عندكما فاما البوابة فانها صعدت على سرير بجانبها واما الدلالة فانها دخلت مخدعا واخرجت منه كيسا من الاطلس باهداب خضر ووقفت قدام الصبية صاحبة المنزل ونفضت الكيس واخرجت منه عودا واصلحت اوتاره وانشدت هذه الابيات

ردوا على جفني النوم الذي سلبا * وخبروني بعقلي أية ذهبا
علمت لما رضيت الحب منزلة * أن المنام على جفني قد غضبا
قالوا عهدناك من أهل الرشاد فما * أغواك قلت اطلبوا من لحظه السببا
اني له عن دمي المسفوك معتذر * أقول حملته في سفكه تعبا
ألقى بمرآة فكري شمس صورته * فعكسها شب في أحشائي اللهبا
من صاغه الله من ماء الحياة وقد * أجرى بقيته في ثغره شنبا
ماذا ترى في محب ماذكرت له * الا شكا او بكى او حن او طربا
يرى خيالك في الماء الزلال اذا * رام الشراب فيروى وهو ما شربا

وانشدت أيضا

سكرت من لحظه لا من مدامته * ومال بالنوم عن عيني تمايله
فما السلاف سلتني بل سوالفه * وما الشمول شلتني بل شمائله
لوى بعزمي أصداغ لوين له * وغال عقلي بما تحوي غلائله

فلما سمعت الصبية ذلك قالت طيبك الله ثم شقت ثيابها ووقعت على الارض مغشيا عليها فلما انكشف جسدها رأى الخليفة عليه أثر ضرب المقارع والسياط فتعجب من ذلك غاية العجب فقامت البوابة ورشت الماء على وجهها وأتت اليها بحلة وألبستها اياها فقال الخليفة لجعفر أما تنظر الى هذه المرأة وما عليها من اثر الضرب فأنا لا اقدر أن أسكت على هذا وما أستريح الا ان وقفت على حقيقة خبر هذه الصبية وحقيقة خبر هاتين الكلبتين فقال جعفر يامولانا قد شرطوا علينا شرطا وهو أن لانتكلم فيما لا يعنينا فنسمع ما لا يرضينا ثم قامت الدلالة فأخذت العود وأسندته الى نهدها وغمزته بأناملها وانشدت تقول

ان شكونا الهوى فماذا نقول * أو تلفنا شوقا فماذا السبيل
أو بعثنا رسلا تترجم عنا * ما يؤدي شكوى المحب رسول
أو صبرنا فما لنا من بقاء * بعد فقد الاحباب الا قليل
ليس الا تأسفا ثم حزنا * ودموعا على الخدود تسيل
أيها الغائبون عن لمح عيني * وهم في الفؤاد مني حلول
هل حفظتم لدى الهوى عهد صب * ليس عنه مدى الزمان يحول
أم نسيتم على التباعد صبا * شفه فيكم الضنى والنحول
واذا الحشر ضمنا أتمنى * من لدن ربنا حسابا يطول

فلما سمعت المرأة الثانية شعر الدلالة شقت ثيابها كما فعلت الاولى وصرخت ثم ألقت نفسها على الارض مغشيا عليها فقامت الدلالة وألبستها حلة ثانية بعد ان رشت الماء على وجهها ثم قامت المرأة الثالثة وجلست على سرير وقالت للدلالة غني لي لاوفي ديني فما بقي غير هذا الصوت فأصلحت الدلالة العود وانشدت هذه الابيات

فالى متى هذا الصدود وذا الجفا * فلقد جرى من أدمعي ماقد كفى
كم قد أطلت الهجر لي متعمدا * ان كان قصدك حاسدي فقد اشتفى
لو أنصف الدهر الخؤون لعاشق * ما كان يوما للعواذل منصفا
فلمن أبوح بصبوتي ياقاتلي * ياخيبة الشاكي اذا فقد الوفا
ويزيد وجدي في هواك تلهفا * فمتى وعدت ولا رأيتك مخلفا
يامسلمون خذوا بثار متيم * ألف السهاد لديه طرف ما غفا
أيحل في شرع الغرام تذللي * ويكون غيري بالوصال مشرفا

ولقد كلفت بحبكم متلذذا * وغدا عذولي في الهوى متكلفا

فلما سمعت المرأة الثالثة قصيدتها صرخت وشقت ثيابها وألقت نفسها على الارض مغشيا عليها فلما انكشف جسدها ظهر فيه أثر ضرب المقارع مثل من تقدم فقال الصعاليك ليتنا ما دخلنا هذه الدار وكنا بتنا على الكيمان لقد تكدر مبيتنا هنا بشيء يقطع الصلب فالتفت الخليفة اليهم وقال لهم لم ذلك قالوا قد اشتغل سرنا بهذا الامر فقال الخليفة أما أنتم من هذا البيت قالوا لا ولا ظننا هذا الموضع الا للرجل الذي عندكم فقال الحمال والله ما رأيت هذا الموضع الا هذه الليلة وليتني بت على الكيمان ولم أبت فيه فقال الجميع نحن سبعة رجال وهن ثلاث نسوة وليس لهن رابعة فنسألهن عن حالهن فان لم يجبننا طوعا اجبننا كرها واتفق الجميع على ذلك فقال جعفر ما هذا رأي سديد دعوهن فنحن ضيوف عندهن وقد شرطن علينا شرطا فنوفي به ولم يبق من الليل الا القليل وكل منا يمضي الى حال سبيله ثم انه غمز الخليفة وقال ما بقي غير ساعة وفي غد نحضرهن بين يديك فتسألهن عن قصتهن فأبى الخليفة وقال لم يبق لي صبر عن خبرهن وقد كثر بينهن القيل والقال ثم قالوا ومن يسألهن فقال بعضهم الحمال ثم قال لهم النساء يا جماعة في أي شيء تتكلمون فقام الحمال لصاحبة البيت وقال لها يا سيدتي سألتك بالله وأقسم عليك به ان تخبرينا عن حال الكلبتين وبأي سبب تعاقبينهما ثم تعودين تبكين وتقبلينهما وان تخبرينا عن سبب ضرب أختك بالمقارع وهذا سؤالنا والسلام فقالت صاحبة المكان للجماعة صحيح ما يقوله عنكم فقال الجميع نعم الا جعفر فانه سكت فلما سمعت الصبية كلامهم قالت والله لقد آذيتمونا يا ضيوفنا الاذية البالغة وتقدم لنا اننا شرطنا عليكم ان من تكلم فيما لا يعنيه سمع ما لا يرضيه أما كفى اننا أدخلناكم منزلنا وأطعمناكم زادنا ولكن لا ذنب لكم وانما الذنب لمن أوصلكم الينا ثم شمرت عن معصمها وضربت الارض ثلاث ضربات وقالت عجلوا واذا باب خزانة قد فتح وخرج منه سبعة عبيد وبأيديهم سيوف مسلولة فقالت كتفوا هؤلاء الذين كثر كلامهم واربطوا بعضهم ببعض ففعلوا وقالوا أيتها المخدرة ائذني لنا في ضرب رقابهم فقالت امهلوهم ساعة حتى أسألهم عن حالهم قبل ضرب رقابهم فقال الحمال بالله يا سيدتي لا تقتليني بذنب الغير فان الجميع أخطؤوا ودخلوا في الذنب الا أنا والله لقد كانت ليلتنا طيبة لو سلمنا من هؤلاء الصعاليك الذين لو دخلوا مدينة عامرة لاخربوها ثم أنشد يقول

ما أحسن الغفران من قادر * لا سيما عن غير ذي ناصر

بحرمة الود الذي بيننا * لا تقتلي الاول بالآخر

فلما فرغ الحمال من كلامه ضحكت الصبية * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الحادية عشرة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الصبية لما ضحكت بعد غيظها أقبلت على الجماعة وقالت اخبروني بخبركم فما بقي من عمركم الا ساعة ولولا أنتم أعزاء أو أكابر قومكم أو حكام لعجلت جزاءكم فقال الخليفة ويلك يا جعفر عرفها بنا والا تقتلنا فقال جعفر من بعض ما نستحق فقال له الخليفة لا ينبغي الهزل في وقت الجد كل منهما له وقت ثم ان الصبية أقبلت على الصعاليك وقالت لهم هل أنتم اخوة فقالوا لها لا والله ما نحن الا فقراء الحجام فقالت لواحد منهم هل أنت ولدت أعور فقال لا والله وانما قد جرى لي أمر عجيب حين تلفت عيني ولهذا الامر حكاية لو كتبت بالابر على آماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر فسألت الثاني والثالث فقالا لها مثل الاول ثم قالوا ان كل واحد منا من بلد وان حديثنا عجيب وأمرنا غريب فالتفتت الصبية لهم وقالت كل واحد منكم يحكي حكايته وما سبب مجيئه الى مكاننا ثم يملس على رأسه ويروح الى حال سبيله فأول من تقدم الحمال فقال يا سيدتي أنا رجل حمال حملتني هذه الدلالة وأتت بي الى هنا وجرى لي معكن ما جرى وهذا حديثي والسلام فقالت له ملس على رأسك ورح فقال والله ما أروح حتى أسمع حديث رفقائي فتقدم الصعلوك الاول وقال لها يا سيدتي اعلمي ان سبب حلق ذقني وتلف عيني ان والدي كان ملكا وله أخ وكان أخوه ملكا في مدينة أخرى واتفق ان أمي ولدتني في اليوم الذي ولد فيه ابن عمي ثم مضت سنون وأعوام وأيام حتى كبرنا وكنت أزور عمي في بعض السنين وأقعد عنده أشهرا عديدة فزرته مرة فأكرمني ابن عمي غاية الاكرام وذبح لي الاغنام وروق لي المدام وجلسنا للشراب

فلما تحكم الشراب فينا قال لى ابن عمى يا ابن عمى ان لى عندك حاجة مهمة وأريد أن لا تخالفنى فيما أريد أن أفعله فقلت له حبا وكرامة فاستوثق منى بالايمان العظام ونهض من وقته وساعته وغاب قليلا ثم عاد وخلفه امرأة مزينة مطيبة وعليها من الحلل ما يساوى مبلغا عظيما فالتفت الىّ والمرأة خلفه وقال خذ هذه المرأة واسبقنى على الجبانة الفلانية ووصفها لى فعرفتها وقال ادخل بها التربة وانتظرنى هناك فلم يمكنى المخالفة ولم أقدر على رد سؤاله لاجل اليمين الذى حلفته فأخذت المرأة وسرت الى ان دخلت التربة أنا واياها فلما استقر بنا الجلوس جاء ابن عمى ومعه طاسة فيها ماء وكيس فيه جبس وقدوم ثم انه أخذ القدوم وجاء الى قبر فى وسط التربة ففكه ونقض أحجاره الى ناحية التربة ثم حفر بالقدوم فى الارض حتى كشف عن طابق قدر الباب الصغير فبان من تحت الطابق سلم معقود ثم التفت الى المرأة بالاشارة وقال لها دونك وما تختارين فنزلت المرأة على ذلك السلم ثم التفت الىّ وقال يا ابن عمى تمم المعروف اذا نزلت أنا فى ذلك الموضع فرد الطابق ورد عليه التراب كما كان وهذا تمام المعروف وهذا الجبس الذى فى الكيس وهذا الماء الذى فى الطاسة اعجن منه الجبس وجبس القبر فى دائر الاحجار كما كان أول حتى لا يعرفه أحد ولا يقول هذا فتح جديد وتطيينه عتيق لان لى سنة كاملة وأنا أعمل فيه وما يعلم به الا الله وهذه حاجتى عندك ثم قال لى لا أوحش الله منك يا ابن عمى ثم نزل على السلم فلما غاب عن عينى قمت ورددت الطابق وفعلت ما أمرنى به حتى صار القبر كما كان ثم رجعت الى قصر عمى وكان عمى فى الصيد والقنص فنمت تلك الليلة فلما أصبح الصباح تذكرت الليلة الماضية وما جرى فيها بينى وبين ابن عمى وندمت على ما فعلت معه حيث لا ينفع الندم ثم خرجت الى المقابر وفتشت على التربة فلم أعرفها ولم أزل أفتش حتى أقبل الليل ولم أهتد اليها فرجعت الى القصر ولم آكل ولم أشرب وقد اشتغل خاطرى بابن عمى من حيث لا أعلم له حالا فاغتممت غما شديدا وبت ليلتى مغموما الى الصباح فجئت ثانيا الى الجبانة وأنا أتفكر فيما فعله ابن عمى وندمت على سماعى منه وقد فتشت فى الترب جميعا فلم أعرف تلك التربة ولازمت التفتيش سبعة أيام فلم أعرف له طريقا فزادبى الوسواس حتى كدت أن أجن فلم أجد فرجا دون أن سافرت ورجعت الى أبى فساعة وصولى الى مدينة أبى نهض الىّ جماعة من باب المدينة وكتفونى فتعجبت كل العجب لانى ابن سلطان المدينة وهم خدم أبى وغلمانى ولحقنى منهم خوف زائد فقلت فى نفسى يا ترى ما جرى على والدى وصرت أسأل الذين كتفونى عن سبب ذلك فلم يردوا على جوابا ثم بعد حين قال لى بعضهم وكان خادما عندى ان أباك قد غدر به الزمان وخانته العساكر وقتله الوزير ونحن نترقب وقوعك فأخذونى وأنا غائب عن الدنيا بسبب هذه الاخبار التى سمعتها عن أبى فلما تمثلت بين يدى الوزير الذى قتل أبى وكان بينى وبينه عداوة قديمة وسبب تلك العداوة أنى كنت مولعا بضرب البندق فاتفق انى كنت واقفا يوما من الايام على سطح قصرى واذا بطائر نزل على سطح قصر الوزير وكان واقفا هناك فأردت أن أضرب الطير واذا بالبندقة أخطأت الطير وأصابت عين الوزير فأتلفتها بالقضاء والقدر كما قال الشاعر

دع الاقدار تفعل ما تشاء * وطب نفسا بما فعل القضاء
ولا تفرح ولا تحزن بشئ * فان الشئ ليس له بقاء

وكما قال الآخر

مشينا خطا كتبت علينا * ومن كتبت عليه خطا مشاها
ومن كانت منيته بأرض * فليس يموت فى أرض سواها

ثم قال ذلك الصعلوك فلما أتلفت عين الوزير لم يقدر أن يتكلم لان والدى كان ملك المدينة فهذا سبب العداوة بينى وبينه فلما وقفت قدامه وأنا مكتف أمر بضرب عنقى فقلت له أتقتلنى بغير ذنب فقال أى ذنب أعظم من هذا وأشار الى عينه المتلفة فقلت له فعلت ذلك خطأ فقال ان كنت فعلته خطأ فأنا أفعله بك عمدا ثم قال قدموه بين يدى فقدمونى بين يديه فمد أصبعه فى عينى الشمال فأتلفها فصرت من ذلك الوقت أعور كما ترونى ثم كتفنى ووضعنى فى صندوق وقال للسياف تسلم هذا واشهر حسامك وخذه واذهب به الى خارج المدينة واقتله ودعه للوحوش تأكله فذهب بى السياف وسار حتى خرج من المدينة وأخرجنى من الصندوق وأنا مكتوف اليدين مقيد الرجلين وأراد أن يغمى عينى ويقتلنى فبكيت وأنشدت هذه الابيات

جعلتكم درعاً حصيناً لتمنعوا * سهام العدا عني فكنتم نصالها * وكنت أرجي عند كل ملمة
تخص يميني ان تكون شمالها * دعوا قصة العذال عني بمعزل * وخلوا العدا ترمي الي نبالها
اذا لم تقوا نفسي مكايدة العدا * فكونوا سكوتاً لا عليها ولا لها

وأنشدت أيضاً هذه الأبيات

وإخوان تخذتهم دروعاً * فكانوها ولكن للأعادي * وخلتهم سهاماً صائبات
فكانوا ولكن في فؤادي * وقالوا قد صفت منا قلوب * لقد صدقوا ولكن عن ودادي
وقالوا قد سعينا كل سعي * لقد صدقوا ولكن في فسادي

فلما سمع السياف شعري وكان سياف أبي ولي عليه الاحسان قال يا سيدي كيف أفعل وأنا عبد مأمور ثم قال لي فز بعمرك ولا تعد الى هذه الارض فتهلك وتهلكني معك كما قال الشاعر

ونفسك فز بها ان خفت ضيماً * وخل الدار تنعي من بناها
فانك واجد أرضاً بأرض * ونفسك لم تجد نفساً سواها
عجبت لمن يعيش بدار ذل * وأرض الله واسعة فلاها
ومن كانت منيته بأرض * فليس يموت في أرض سواها
وما غلظت رقاب الاسد حتى * بأنفسها تولت ما عناها

فلما قال لي ذلك قبلت يديه وما صدقت بالنجاة حتى فررت وهان علي تلف عيني بنجاتي من القتل وسافرت حتى وصلت الى مدينة عمي فدخلت عليه وأعلمته بما جرى لوالدي وبما جرى لي من تلف عيني فبكى بكاء شديداً وقال لقد زدتني هماً على همي وغماً على غمي فان ابن عمك قد فقد منذ أيام ولم أعلم بما جرى له ولم يخبرني أحد بخبره وبكى حتى أغمي عليه فلما استفاق قال يا ولدي قد حزنت على ابن عمك حزناً شديداً وأنت زدتني بما حصل لك ولأبيك غماً على غمي ولكن يا ولدي بعينك ولا بروحك ثم انه لم يمكني السكوت عن ابن عمي الذي هو ولده فأعلمته بالذي جرى له كله ففرح عمي بما قلته له فرحاً شديداً عند سماع خبر ابنه وقال أرني التربة فقلت والله يا عمي لم أعرف مكانها لاني رجعت بعد ذلك مرات لافتش عليها فلم أعرف مكانها ثم ذهبت أنا وعمي الى الجبانة ونظرت يميناً وشمالاً فعرفتها ففرحت أنا وعمي فرحاً شديداً ودخلت أنا واياه التربة وأزحنا التراب ورفعنا الطابق ونزلت أنا وعمي مقدار خمسين درجة فلما وصلنا الى آخر السلم واذا بدخان طلع علينا فغشى أبصارنا فقال عمي الكلمة التي لا يخاف قائلها وهي لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم مشينا واذا نحن بقاعة ممتلئة دقيقاً وحبوباً ومأكولاً وغير ذلك ورأينا في وسط القاعة ستارة مسبولة على سرير فنظر عمي الى السرير فوجد ابنه هو والمرأة التي قد نزلت معه صارا فحماً أسود وهما متعانقان كأنهما ألقيا في جب نار فلما نظر عمي ذلك بصق في وجهه وقال تستحق يا خبيث فهذا عذاب الدنيا وبقي عذاب الآخرة وهو أشد وأبقى * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الثانية عشرة) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصعلوك قال للصبية والجماعة والخليفة وجعفر يستمعون الكلام ثم ان عمي ضرب ولده بالنعال وهو راقد كالفحم الاسود فتعجبت من ضربه وحزنت على ابن عمي حيث صار هو والصبية فحماً أسود ثم قلت بالله يا عمي خفف الهم عن قلبك فقد اشتغل سري وخاطري بما قد جرى لولدك وكيف صار هو والصبية فحماً أسود أما يكفيك ما هو فيه حتى تضربه بالنعال فقال يا ابن أخي ان ولدي هذا كان من صغره مولعاً بحب أخته وكنت أنهاه عنها وأقول في نفسي انهما صغيران فلما كبرا وقع بينهما القبيح وسمعت بذلك ولم أصدق ولكن زجرته زجراً بليغاً وقلت له احذر من هذه الفعال القبيحة التي لم يفعلها أحد قبلك ولا يفعلها أحد بعدك والا تبقى بين الملوك بالعار والنقصان الى الممات وتشيع أخبارنا مع الركبان واياك أن تصدر منك هذه الفعال فاني أسخط عليك وأقتلك ثم حجبته عنها وحجبتها عنه وكانت الخبيثة تحبه محبة عظيمة وقد تمكن الشيطان منهما فلما رأى أني حجبته فعل هذا المكان الذي تحت الارض خفية ونقل فيه المأكول كما تراه واستغفلني لما خرجت الى الصيد وأتى الى هذا المكان فغار عليه وعليها الحق سبحانه وتعالى وأحرقهما ولعذاب الآخرة

أشد وأبقى ثم بكى وبكيت معه وقال لي أنت ولدي عوضا عنه ثم اني تفكرت ساعة في الدنيا وحوادثها من قتل الوزير والدي وأخذه مكانه وتلف عيني وما جرى لابن عمي من الحوادث الغريبة فبكيت ثم اننا صعدنا ورددنا الطابق والتراب وعملنا القبر كما كان ثم رجعنا الى منزلنا فلم يستقر بنا الجلوس حتى سمعنا دق طبول وبوقات ورمحت الابطال وامتلأت الدنيا بالعجاج والغبار من حوافر الخيل فحارت عقولنا ولم نعرف الخبر فسأل الملك عن الخبر فقيل ان وزير أخيك قتله وجمع العسكر والجنود وجاء بعسكره ليهجموا على المدينة في غفلة وأهل المدينة لم يكن لهم طاقة بهم فسلموا اليه فقلت في نفسي متى وقعت أنا في يده قتلني وتراكمت علي الأحزان وتذكرت الحوادث التي حدثت لابي وأمي ولم أعرف كيف العمل فان ظهرت عرفني أهل المدينة وعسكر أبي فيسعون في قتلي وهلاكي فلم أجد شيأ أنجو به الا حلق ذقني فحلقتها وغيرت ثيابي وخرجت من المدينة وقصدت هذه المدينة والسلام لعل أحدا يوصلني الى أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين حتى أحكي له قصتي وما جرى لي فوصلت الى هذه المدينة في هذه الليلة فوقفت حائرا ولم أدر أين أمضي واذا بهذا الصعلوك واقف فسلمت عليه وقلت له أنا غريب فقال وأنا غريب أيضا فبينما نحن كذلك واذا برفيقنا هذا الثالث جاءنا وسلم علينا وقال أنا غريب فقلنا له ونحن غريبان فمشينا وقد هجم علينا الظلام فساقنا القدر اليكم وهذا سبب حلق ذقني وتلف عيني فقالت الصبية ملس على رأسك وروح فقال لها لا أروح حتى أسمع خبر غيري فتعجبوا من حديثه فقال الخليفة لجعفر والله أنا ما رأيت مثل الذي جرى لهذا الصعلوك * ثم تقدم الصعلوك الثاني وقبل الارض وقال يا سيدتي أنا ما ولدت أعور وانما لي حكاية عجيبة لو كتبت بالابر على آماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر فأنا ملك ابن ملك وقرأت القرآن على سبع روايات وقرأت الكتب على أربابها من مشايخ العلم وقرأت علم النجوم وكلام الشعراء واجتهدت في سائر العلوم حتى فقت أهل زماني فعظم حظي عند سائر الكتبة وشاع ذكري في سائر الاقاليم والبلدان وشاع خبري عند سائر الملوك فسمع بي ملك الهند فأرسل يطلبني من أبي وأرسل اليه هدايا وتحفا تصلح للملوك فجهزني أبي في ست مراكب وسرنا في البحر مدة شهر كامل حتى وصلنا الى البر وأخرجنا خيلا كانت معنا في المركب وحملنا عشرة جمال هدايا ومشينا قليلا واذا بغبار قد علا وثار حتى سد الاقطار واستمر ساعة من النهار ثم انكشف فبان من تحته ستون فارسا وهم ليوث عوابس فتأملناهم واذا هم عرب قطاع طريق فلما رأونا ونحن نفر قليل ومعنا عشرة أحمال هدايا الملك الهند رمحوا علينا وشرعوا الرماح بين أيديهم نحونا فأشرنا اليهم بالاصابع وقلنا لهم نحن رسل الى ملك الهند المعظم فلا تؤذونا فقالوا نحن لسنا في أرضه ولا تحت حكمه ثم انهم قتلوا بعض الغلمان وهرب الباقون وهربت أنا بعد ان جرحت جرحا بليغا واشتغلت عنا العرب بالمال والهدايا التي كانت معنا فصرت لا أدري أين أذهب وكنت عزيزا فصرت ذليلا وسرت الى أن أتيت رأس الجبل فدخلت مغارة حتى طلع النهار ثم سرت منها حتى وصلت الى مدينة عامرة بالخير قد ولى عنها الشتاء ببرده وأقبل عليها الربيع بورده ففرحت بوصولي اليها وقد تعبت من المشي وعلاني الهم والاصفرار فتغيرت حالتي ولا أدري أين أسلك فملت الى خياط في دكان وسلمت عليه فرد علي السلام ورحب بي وباسطني وسألني عن سبب غربتي فأخبرته بما جرى لي من أوله الى آخره فاغتم لاجلي وقال يا فتى لا تظهر ما عندك فاني أخاف عليك من ملك هذه المدينة لانه أكبر أعداء أبيك وله عنده ثار ثم أحضر لي ما كولا ومشروبا فأكلت وأكل معي وتحادثت معه في الليل وأخلى لي محلا في جانب حانوته وأتاني بما أحتاج اليه من فراش وغطاء فأقمت عنده ثلاثة أيام ثم قال لي أما تعرف صنعة تكتسب بها فقلت له اني فقيه طالب علم كاتب حاسب فقال ان صنعتك في بلادنا كاسدة وليس في مدينتنا من يعرف علما ولا كتابة غير المال فقلت والله لا أدري شيأ غير الذي ذكرته لك فقال شد وسطك وخذ فأسا وحبلا واحتطب في البرية حطبا تتقوت به الى أن يفرج الله عنك ولا تعرف أحدا بنفسك فيقتلوك ثم اشترى لي فأسا وحبلا وأرسلني مع بعض الحطابين وأوصاهم علي فخرجت معهم واحتطبت فأتيت بحمل على رأسي فبعته بنصف دينار فأكلت ببعضه وأبقيت بعضه ودمت على هذا الحال مدة سنة ثم بعد السنة ذهبت يوما على عادتي الى البرية لاحتطب منها ودخلتها فوجدت فيها خميلة أشجار فيها حطب كثير فدخلت الخميلة وأتيت شجرة وحفرت حولها وأزلت التراب عن جدارها فاصطكت الفاس في حلقة نحاس فنظفت

الترابِ وإذا هي في طابق من خشب فكشفته فبان تحته سلم فنزلت الى أسفل السلم فرأيت بابا فدخلته فرأيت قصرا محكم البنيان فوجدت فيه صبية كالدرة السنية تنفي عن القلب كل هم وغم وبلية فلما نظرت اليها سجدت لخالقها لما أبدع فيها من الحسن والجمال فنظرت الي وقالت لي أنت انسي أم جني فقلت لها انسي فقالت ومن أوصلك الى هذا المكان الذي لي فيه خمسة وعشرون سنة ما رأيت فيه انسيا أبدا فلما سمعت كلامها وجدت له عذوبة وقلت لها يا سيدتي أوصلني الله الى منزلك ولعله يزيل همي وغمي وحكيت لها ما جرى لي من الاول الى الآخر فصعب عليها حالي وبكت وقالت أنا الاخرى أعلمك بقصتي فاعلم اني بنت ملك أقصى الهند صاحب جزيرة الآبنوس وكان قد زوجني بابن عمي فاختطفني ليلة زفافي عفريت اسمه جرجريس بن رجموس بن ابليس فطار بي ونزل بي في هذا المكان ونقل فيه كل ما احتاج اليه من الحلي والحلل والقماش والمتاع والطعام والشراب وفي كل عشرة أيام يجيئني مرة فيبيت هنا ليلة وعاهدني اذا عرضت لي حاجة ليلا أو نهارا ان ألمس بيدي هذين السطرين المكتوبين على القبة فما أرفع يدي حتى أراه عندي ومنذ كان عندي له اليوم أربعة أيام وبقي له ستة أيام حتى يأتي فهل لك أن تقيم عندي خمسة أيام ثم تنصرف قبل مجيئه بيوم فقلت نعم ففرحت ثم نهضت على أقدامها وأخذت بيدي وأدخلتني من باب مقنطر وانتهت بي الى حمام لطيف ظريف فلما رأيته خلعت ثيابي وخلعت ثيابها ودخلت فجلست على مرتبة وأجلستني معها وأتت بسكر ممسك وسقتني ثم قدمت لي مأكولا فأكلنا وتحادثنا ثم قالت لي نم واسترح فانك تعبان فنمت يا سيدتي وقد نسيت ما جرى لي وشكرتها فلما استيقظت وجدتها تكبس رجلي فدعوت لها وجلسنا نتحادث ساعة ثم قالت والله اني كنت ضيقة الصدر وأنا تحت الارض وحدي ولم أجد من يحدثني خمسة وعشرين سنة فالحمد لله الذي أرسلك الي ثم أنشدت

لو علمنا مجيئكم لفرشنا * مهجة القلب أو سواد العيون
وفرشنا خدودنا والتقينا * ليكون المسير فوق الجفون

فلما سمعت شعرها شكرتها وقد تمكنت محبتها في قلبي وذهب عني همي وغمي ثم جلسنا في منادمة الى الليل فبت معها ليلة ما رأيت مثلها في عمري وأصبحنا مسرورين فقلت لها هل أطلعك من تحت الارض وأريحك من هذا الجني فضحكت وقالت اقنع واسكت ففي كل عشرة أيام يوم للعفريت وتسعة لك فقلت وقد غلب علي الغرام فأنا في هذه الساعة أكسر هذه القبة التي عليها النقش المكتوب لعل العفريت يجيء حتى أقتله فاني موعود بقتل العفاريت فلما سمعت كلامي أنشدت تقول

يا طالبا للفراق مهلا * بحيلة قد كفى اشتياق * اصبر فطبع الزمان غدر * وآخر الصحبة الفراق

فلما سمعت شعرها لم ألتفت لكلامها بل رفست القبة رفسا قويا * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الثالثة عشرة) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الصعلوك الثاني قال للصبية يا سيدتي لما رفست القبة رفسا قويا قالت لي المرأة ان العفريت قد وصل الينا أما حذرتك من هذا والله لقد آذيتني ولكن انج بنفسك واطلع من المكان الذي جئت منه فمن شدة خوفي نسيت نعلي وفاسي فلما طلعت درجتين التفت لانظرهما فرأيت الارض قد انشقت وطلع منها عفريت ذو منظر بشع وقال ما هذه الزعجة التي أرعشتني بها فما مصيبتك فقالت ما أصابني شيء غير ان صدري ضاق فأردت أن أشرب شرابا يشرح صدري فنهضت لأقضي أشغالي فوقعت على القبة فقال لها العفريت تكذبين يا فاجرة ونظر في القصر يمينا وشمالا فرأى النعل والفاس فقال لها ما هذه الامتاع الانس من جاء اليك فقالت ما نظرتهما الا في هذه الساعة ولعلهما تعلقا معك فقال العفريت هذا كلام محال لا ينطلي علي يا عاهرة ثم انه أعراها وصلبها بين أربعة أوتاد وجعل يعاقبها ويقررها بما كان فلم يهن علي أن أسمع بكاءها فطلعت من السلم مذعورا من الخوف فلما وصلت الى أعلى الموضع رددت الطابق كما كان وسترته بالتراب وندمت على ما فعلت غاية الندم وتذكرت الصبية وحسنها وكيف يعاقبها هذا الملعون وهي لها معه خمسة وعشرون سنة وما عاقبها الا بسببي وتذكرت أبي ومملكته وكيف صرت حطابا فقلت هذا البيت

اذا ما أتاك الدهر يوما بنكبة * فيوم ترى يسرا ويوم ترى عسرا

ثم مشيت الى أن أتيت رفيقى الخياط فلقيته من أجلى على مقالى النار وهو لى فى الانتظار فقال انى بت البارحة وقلبى عندك وخفت عليك من وحش أو غيره فالحمد لله على سلامتك فشكرته على شفقته على ودخلت خلوتى وجعلت أتفكر فيما جرى لى وألوم نفسى على رفسى هذه القبة واذا بصديقى الخياط دخل على وقال لى فى الدكان شخص أعجمى يطلبك ومعه فاسك ونعالك قد جاء بهما الى الخياطين وقال لهم انى خرجت وقت أذان المؤذن لاجل صلاة الفجر فعثرت بهما ولم أعلم لمن هما فدلونى على صاحبهما فدله الخياطون عليك وها هو قاعد فى دكانى فاخرج اليه واشكره وخذ فاسك ونعالك فلما سمعت هذا الكلام اصفر لونى وتغير حالى فبينما أنا كذلك واذا بأرض محلى قد انشقت وطلع منها الاعجمى واذا هو العفريت وقد كان عاقب الصبية غاية العقاب فلم تقر له بشئ فأخذ الفاس والنعل وقال لها ان كنت جرجريس من ذرية ابليس فأنا أجىء بصاحب هذا الفاس والنعل ثم جاء بهذه الحيلة الى الخياطين ودخل على ولم يمهلنى بل اختطفنى وطار وعلا بى ونزل بى وغاص فى الارض وأنا لا أعلم بنفسى ثم طلع بى القصر الذى كنت فيه فرأيت الصبية عريانة والدم يسيل من جوانبها فقطرت عيناى بالدموع فأخذها العفريت وقال لها يا عاهرة هذا عشيقك فنظرت الى وقالت له لا أعرفه ولا رأيته الا فى هذه الساعة فقال لها العفريت أهذه العقوبة ولم تقرى فقالت ما رأيته عمرى وما يحل من الله أن أكذب عليه فقال لها العفريت ان كنت لا تعرفينه فخذى هذا السيف واضربى عنقه فأخذت السيف وجاءتنى ووقفت على رأسى فأشرت لها بحاجبى ودمعى يجرى على وجنتى ففهمت وغمزتنى وقالت أنت الذى فعلت بنا هذا كله فأشرت لها ان هذا وقت العفو ولسان حالى يقول

يترجم طرفى عن لسانى لتعلموا ❊ ويبدو لكم ما كان صدرى يكتم

ولما التقينا والدموع سواجم ❊ خرست وطرفى بالهوى يتكلم

تشير لنا عما تقول بطرفها ❊ وأرمى اليها بالبنان فتفهم

حواجبنا تقضى الحوائج بيننا ❊ فنحن سكوت والهوى يتكلم

فلما فهمت الصبية اشارتى رمت السيف من يدها يا سيدتى فناولنى العفريت السيف وقال لى اضرب عنقها وأنا أطلقك ولا أنكد عليك فقلت نعم وأخذت السيف وتقدمت بنشاط ورفعت يدى فقالت لى بحاجبها أنا ما قصرت فى حقك فهملت عيناى بالدموع ورميت السيف من يدى وقلت أيها العفريت الشديد والبطل الصنديد اذا كانت امرأة ناقصة عقل ودين لم تستحل ضرب عنقى فكيف يحل لى أن أضرب عنقها ولم أرها عمرى فلا أفعل ذلك أبدا ولو سقيت من الموت كاس الردى فقال العفريت أنتما بينكما مودة ثم أخذ السيف وضرب يد الصبية فقطعها ثم ضرب الثانية فقطعها ثم قطع رجلها اليمنى ثم قطع رجلها اليسرى حتى قطع أربعها بأربع ضربات وأنا أنظر بعينى فأيقنت بالموت ثم أشارت الى بعينها فرآها العفريت فقال لها قد زنيت بعينك ثم ضربها فقطع رأسها والتفت الى وقال يا انسى نحن فى شرعنا اذا زنت الزوجة يحل لنا قتلها وهذه الصبية اختطفتها ليلة عرسها وهى بنت اثنتى عشرة سنة ولم تعرف أحدا غيرى وكنت أجيئها فى كل عشرة أيام ليلة واحدة فى زى رجل أعجمى فلما تحققت أنها خانتنى قتلتها وأما أنت فلم أتحقق انك خنتنى فيها ولكن لا بد أنى ما أخليك فى عافية فتمن على أى ضرر ففرحت يا سيدتى غاية الفرح وطمعت فى العفو وقلت له وما أتمناه عليك قال تمن على أى صورة أسحرك فيها اما صورة كلب واما صورة حمار واما صورة قرد فقلت له وقد طمعت أنه يعفو عنى والله ان عفوت عنى يعفو الله عنك بعفوك عن رجل مسلم لم يؤذك وتضرعت اليه غاية التضرع وبقيت بين يديه وقلت له أنا مظلوم فقال لى لا تطل على الكلام أما القتل فلا تخف منه وأما العفو عنك فلا تطمع فيه وأما سحرك فلا بد منه ثم شق الارض وطار بى الى الجو حتى نظرت الى الدنيا كأنها قصعة ماء ثم حطنى على جبل وأخذ قليلا من التراب وهمهم عليه وتكلم ورشنى وقال اخرج من هذه الصورة الى صورة قرد فمن ذلك الوقت صرت قردا ابن مائة سنة فلما رأيت نفسى فى هذه الصورة القبيحة بكيت على روحى وصبرت على جور الزمان وعلمت أن الزمان ليس لاحد وانحدرت من أعلى الجبل الى أسفله وسافرت مدة شهر ثم ذهبت الى شاطئ البحر المالح فوقفت ساعة واذا أنا بمركب فى وسط

البحر قد طاب ريحها وهي قاصدة البر فاختفيت خلف صخرة على جانب البحر وسرت الى أن أتيت وسط المركب فقال واحد منهم أخرجوا هذا المشؤم من المركب وقال واحد منهم نقتله وقال آخر أقتله بهذا السيف فأمسكت طرف السيف وبكيت وسالت دموعي فحن على الريس وقال لهم يا تجار ان هذا القرد استجار بي وقد أجرته وهو في جواري فلا أحد يتعرض له ولا يشوش عليه ثم ان الريس صار يحسن الي ومهما تكلم به أفهمه وأقضي حوائجه كلها وأخدمه في المركب وقد طاب لها الريح مدة خمسين يوما فرسينا على مدينة عظيمة وفيها عالم كثير لا يحصي عددهم الا الله تعالى فساعة وصولنا أوقفنا مركبنا فجاءتنا مماليك من طرف ملك المدينة فنزلوا المركب وهنوا التجار بالسلامة وقالوا ان ملكنا يهنيكم بالسلامة وقد أرسل اليكم هذا الدرج الورق وقال كل واحد يكتب فيه سطرا فقمت وأنا في صورة القرد وخطفت الدرج من أيديهم فخافوا أني أقطعه وأرميه في الماء فنهروني وأرادوا قتلي فأشرت لهم أني أكتب فقال لهم الريس دعوه يكتب فان لخبط الكتابة طردناه عنا وان أحسنها اتخذته ولدا فاني ما رأيت قردا أفهم منه ثم أخذت القلم واستمديت الحبر وكتبت سطرا بقلم الرقاع ورقمت هذا الشعر

لقد كتب الدهر فضل الكرام * وفضلك للآن لا يحسب
فلا أيتم الله منك الورى * لانك للفضل نعم الاب

(وكتبت بالقلم الريحاني هذا الشعر)

له قلم عم الاقاليم نفعه * لتوقيعه للعالمين منافع
وخمسة أنهار أنامله التي * تسيل على الاقطار خمس أصابع

(وكتبت بقلم الثلث هذين البيتين)

وما من كاتب الا سيفني * ويبقي الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بخطك غير شئ * يسرك في القيامة أن تراه

(وكتبت تحته بقلم المشق هذين البيتين)

اذا فتحت دواة العز والنعم * فاجعل مدادك من جود ومن كرم
واكتب بخير اذا ما كنت مقتدرا * بذاك شرفت فضلا نسبة القلم

ثم ناولتهم ذلك الدرج الورق فطلعوا به الى الملك فلما تأمل الملك ما في ذلك الدرج لم يعجبه خط أحد الا خطي فقال لاصحابه توجهوا الى صاحب هذا الخط والبسوه هذه الحلة وأركبوه بغلة وهاتوه بالنوبة وأحضروه بين يدي فلما سمعوا كلام الملك تبسموا فغضب منهم ثم قال كيف آمركم بأمر فتضحكون علي فقالوا أيها الملك ما نضحك على كلامك بل الذي كتب هذا الخط قرد وليس هو آدميا وهو مع ريس المركب فتعجب الملك من كلامهم واهتز من الطرب وقال أريد أن أشتري هذا القرد ثم بعث رسلا الى المركب ومعهم البغلة والحلة وقال لابد أن تلبسوه هذه الحلة وتركبوه البغلة وتأتوا به فساروا الى المركب وأخذوني من الريس وألبسوني الحلة فاندهش الخلائق وصاروا يتفرجون علي فلما طلعوا بي الى الملك ورأيته قبلت الارض بين يديه ثلاث مرات فأمرني بالجلوس فجلست على ركبتي فتعجب الحاضرون من أدبي وكان الملك أكثرهم تعجبا ثم ان الملك أمر الخلق بالانصراف فانصرفوا ولم يبق الا الملك والطواشي ومملوك صغير وأنا ثم أمر الملك بطعام فقدموا سفرة طعام فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين فأشار الي الملك أن كل فقمت وقبلت الارض بين يديه سبع مرات وجلست آكل معه وقد ارتفعت السفرة وذهبت فغسلت يدي وأخذت الدواة والقلم والقرطاس وكتبت هذين البيتين

أناجر الضأن ترياق من العلل * وأصحن الحلو فيها منتهى أملي
يا لهف قلبي على مد السماط اذا * ماجت كنافته بالسمن والعسل

(وكتبت أيضا هذين البيتين)

اليك اشتياقي يا كنافة زائد * وليس غنى لي عنك كلا ولا صبر
فلا زلت أكلي كل يوم وليلة * ولا زال منهلا بجرعاتك القطر

ثم قمت وجلست بعيدا فنظر الملك الى ما كتبته وقرأه فتعجب وقال هل يكون لقرد هذه الفصاحة وهذا الخط
والله ان هذا من أعجب العجب ثم قدم للملك شطرنج فقال لي الملك أتلعب قلت برأسي نعم فتقدمت وصففت الشطرنج
ولعبت معه مرتين فغلبته فحار عقل الملك وقال لو كان هذا آدميا لفاق أهل زمانه ثم قال لخادمه اذهب الى سيدتك
وقل لها كلمي الملك حتى تجيء فتتفرج على هذا القرد العجيب فذهب الطواشي وعاد ومعه سيدته بنت الملك فلما
نظرت الي غطت وجهها وقالت يا أبي كيف طاب على خاطرك ان ترسل الي فيراني الرجال الاجانب فقال يا بنتي
ما عندي سوى المملوك الصغير والطواشي الذي رباك وهذا القرد وأنا أبوك فممن تغطين وجهك فقالت ان هذا
القرد ابن ملك واسم أبيه ايمار صاحب جزائر الابنوس الداخلة وهو مسحور سحره العفريت جرجريس الذي هو
من ذرية ابليس وقد قتل زوجته بنت ملك أقناموس وهذا الذي تزعم أنه قرد انما هو رجل عالم عاقل فتعجب
الملك من ابنته ونظر الي وقال أحق ما تقول عنك فقلت برأسي نعم وبكيت فقال الملك لابنته من أين عرفت أنه
مسحور فقالت يا أبت كان عندي وأنا صغيرة عجوز ماكرة ساحرة علمتني صناعة السحر وقد حفظته وأتقنته
وعرفت مائة وسبعين بابا من أبوابه أقل باب منها أنقل به حجارة مدينتك خلف جبل قاف واجعلها لجة بحر واجعل
أهلها سمكا في وسطه فقال أبوها بحق اسم الله عليك أن تخلصي لنا هذا الشاب حتى أجعله وزيري وهل فيك
هذه الفضيلة ولم أعلم خلصيه حتى أجعله وزيري لانه شاب ظريف لبيب فقالت له حبا وكرامة ثم أخذت بيدها
سكينا وعملت دائرة * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الرابعة عشرة) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصعلوك قال للصبية يا سيدتي ثم ان بنت
الملك أخذت بيدها سكينا مكتوبا عليها أسماء عبرانية وخطت بها دائرة في وسط القصر وكتبت فيها أسماء وطلاسم
وعزمت بكلام وقرأت كلاما لا يفهم فبعد ساعة أظلمت علينا جهات القصر حتى ظننا أن الدنيا قد انطبقت علينا
واذا بالعفريت قد تدلى علينا في أقبح صفة بأيد كالمداري ورجلين كالصواري وعينين كمشعلين يوقدان نارا ففزعنا
منه فقالت بنت الملك لا أهلا بك ولا سهلا فقال العفريت وهو في صورة أسد يا خائنة كيف خنت اليمين أما تحالفنا
على انه لا يتعرض أحد للآخر فقالت له يا لعين ومن أين لك يمين فقال العفريت خذي ما جاءك ثم انقلب أسدا
وفتح فاه وهجم على الصبية فأسرعت وأخذت شعرة من شعرها بيدها وهمهمت بشفتيها فصارت الشعرة سيفا ماضيا
وضربت ذلك الاسد نصفين فصارت رأسه عقربا وانقلبت الصبية حية عظيمة وهجمت على هذا اللعين وهو في صفة
عقرب فتقاتلا قتالا شديدا ثم انقلب العقرب عقابا فانقلبت الحية نسرا وصارت وراء العقاب واستمرا ساعة زمانية
ثم انقلب العقاب قطا أسود فانقلبت الصبية ذئبا فتشاحنا في القصر ساعة زمانية وتقاتلا قتالا شديدا فرأى القط
نفسه مغلوبا فانقلب وصار رمانة حمراء كبيرة ووقعت تلك الرمانة في بركة فقصدها الذئب فارتفعت في الهواء
ووقعت على بلاط القصر فانكسرت وانتثر الحب كل حبة وحدها وامتلأت أرض القصر حبا فانقلب ذلك الذئب
ديكا لاجل أن يلتقط ذلك الحب حتى لا يترك منه حبة فبالامر المقدر تدارت حبة في جانب الفسقية فصار الديك
يصيح ويرفرف بأجنحته ويشير الينا بمنقاره ونحن لا نفهم ما يقول ثم صرخ علينا صرخة تخيل لنا منها أن القصر قد
انقلب علينا ودار في أرض القصر كلها حتى رأى الحبة التي تدارت في جانب الفسقية فانقض عليها ليلتقطها واذا
بالحبة سقطت في وسط الماء الذي في البركة فصارت سمكة وغاصت في الماء فانقلب الديك حوتا كبيرا ونزل
خلفها وغاب ساعة واذا بنا قد سمعنا صراخا عاليا فارتجفنا فبعد ذلك طلع العفريت وهو شعلة نار فألقى من فمه نارا
ومن عينيه ومنخريه نارا ودخانا وانقلبت الصبية لجة نار فأردنا أن نغطس في ذلك الماء خوفا على أنفسنا من
الحريق والهلاك فما نشعر الا والعفريت قد صرخ من تحت النيران وصار عندنا في الليوان ونفخ في وجوهنا بالنار
فلحقته الصبية ونفخت في وجهه بالنار أيضا فأصابنا الشرر منها ومنه فأما شررها فلم يؤذنا وأما شرره فلحقني منه شرارة
في عيني فأتلفتها وأنا في صورة القرد ولحق الملك شرارة منه في وجهه فأحرقت نصفه التحتاني بذقنه وحنكه ووقعت
أسنانه التحتانية ووقعت شرارة في صدر الطواشي فاحترق ومات من وقته وساعته فأيقنا بالهلاك وقطعنا رجاءنا من
الحياة فبينما نحن كذلك واذا بقائل يقول الله أكبر الله أكبر قد فتح ربي ونصر وخذل من كفر بدين محمد سيد البشر

وأذا بالقائل بنت الملك قد أحرقت العفريت فنظرنا اليه فرأيناه قد صار كوم رماد ثم جاءت الصبية الينا وقالت الحقوني بطاسة ماء فجاؤا بها اليها فتكلمت عليها بكلام لانفهمه ثم رشتني بالماء وقالت أخلص بحق الحق وبحق اسم الله الاعظم الى صورتك الاولى فصرت بشرا كما كنت أولا ولكن تلفت عيني فقالت الصبية النار النار ياوالدى أنا مابقيت أعيش لانى موعودة بالقتل ولو كان من الانس لقتلته من أول الامر وماتعبت الاوقت فرط الرمانة حين لقطت حبها ونسيت الحبة التى فيها روح الجنى فلو لقطتها لمات من ساعته ولكن مارأيتها بالقضاء والقدر ولم أشعر الا وهو قد أتى وجرى لى معه حرب شديد تحت الارض وفى الهواء والماء وكلما فتح على بابا فتحت عليه بابا أعظم منه الى ان فتح على باب النار وقل من فتح عليه باب النار ونجا منه انما ساعدنى عليه القدر حتى أحرقته قبلى وكنت أعهدمنه الدين بدين الاسلام وها أنا ميتة والله خليفتى عليكم ثم انها لم تزل تستغيث من النار واذا بشرر أسود قد طلع الى صدرها وطلع الى وجهها فلما وصل الى وجهها بكت وقالت أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ثم نظرنا اليها فرأيناها كوم رماد بجانب كوم العفريت فحزنا عليها وتمنيت لو كنت مكانها ولا أرى ذلك الوجه المليح الذى عمل فى هذا المعروف يصير رمادا لكن حكم الله لايرد فلما رأى الملك ابنته صارت كوم رماد نتف بقية لحيته ولطم على وجهه وشق ثيابه وفعلت كما فعل وبكينا عليها ثم جاء الحجاب وأرباب الدولة فوجدوا السلطان فى حالة العدم وعنده كوما رماد فتعجبوا وداروا حول الملك ساعة فلما أفاق أخبرهم بما جرى لابنته مع العفريت فعظمت مصيبتهم وصرخ النساء والجوارى وعملوا العزاء سبعة أيام ثم ان الملك أمر أن يبنى على رماد ابنته قبة عظيمة وأوقد فيها الشموع والقناديل وأما رماد العفريت فانهم أذروه فى الهواء الى لعنة الله ثم مرض السلطان مرضا أشرف منه على الموت واستمر مرضه شهرا وعادت اليه العافية فطلبنى وقال لى يافتى قد قضينا زماننا فى أهنا عيش آمنين من نوائب الزمان حتى جئتنا فأقبلت علينا الاكدار فليتنا مارأيناك ولا رأينا طلعتك القبيحة التى بسببها صرنا فى حالة العدم فأولا عدمت ابنتى التى كانت تساوى مائة رجل وثانيا جرى لى من الحريق ماجرى وعدم اضراسى ومات خادمى ولكن مابيدك حيلة بل جرى قضاء الله علينا وعليك والحمد لله حيث خلصتك ابنتى وأهلكت نفسها فاخرج ياولدى من بلادى وكفى ماجرى بسببك وكل ذلك مقدر علينا وعليك فاخرج بسلام فخرجت ياسيدتى من عنده وماصدقت بالنجاة ولا أدرى أين أتوجه وخطر على قلبى ماجرى لى وكيف خلونى فى الطريق سالما منهم ومشيت شهرا وتذكرت دخولى فى المدينة غريبا واجتماعى بالخياط واجتماعى بالصبية تحت الارض وخلاصى من العفريت بعد ان كان عازما على قتلى وتذكرت ماحصل لى من المبدا الى المنتهى فحمدت الله وقلت بعينى ولا بروحى ودخلت الحمام قبل أن أخرج من المدينة وحلقت ذقنى وجئت ياسيدتى وفى كل يوم أبكى وأتفكر المصائب التى عاقبتها تلف عينى وكلما أتذكر ماجرى لى أبكى وأنشد هذه الابيات

تحيرت والرحمن لاشك فى أمرى * وحلت بى الاحزان من حيث لاأدرى * سأصبر حتى يعلم الناس أننى
صبرت على شئ أمر من الصبر * وما أحسن الصبر الجميل مع التقى * وماقدر المولى على خلقه يجرى
سرائر سرى ترجمان سريرتى * اذا كان سرا لسر سرك فى سرى * ولو أن مابى بالجبال لهدمت
وبالنار أطفاها وبالريح لم يسر * ومن قال ان الدهر فيه حلاوة * فلا بد من يوم أمر من المر

ثم سافرت الاقطار ووردت الامصار وقصدت دار السلام بغداد لعلى أتوصل الى أمير المؤمنين وأخبره بما جرى لى فوصلت الى بغداد هذه الليلة فوجدت أخى هذا الاول واقفا متحيرا فقلت السلام عليك وتحدثت معه واذا بأخينا الثالث قد أقبل علينا وقال السلام عليكم أنا رجل غريب فقلنا له ونحن غريبان وقد وصلنا هذه الليلة المباركة فمشينا نحن الثلاثة ومافينا أحد يعرف حكاية أحد فساقتنا المقادير الى هذا الباب ودخلنا عليكم وهذا سبب حلق ذقنى وتلف عينى فقالت له ان كانت حكايتك غريبة فامسح على رأسك واخرج الى حال سبيلك فقال لا أخرج حتى أسمع حديث رفيقى فتقدم الصعلوك الثالث وقال أيتها السيدة الجليلة ماقصتى مثل قصتهما

بل قصتى أعجب وذلك ان هذين جاءهما القضاء والقدر وأما أنا فسبب حلق ذقنى وتلف عينى أننى جلبت القضاء لنفسى والهم لقلبى وذلك انى كنت ملكا ابن ملك ومات والدى وأخذت الملك من بعده وحكمت وعدلت وأحسنت للرعية وكان لى محبة فى السفر فى البحر وكانت مدينتى على البحر والبحر متسع وحولنا جزائر معدة للقتال فاردت أن أتفرج على الجزائر فنزلت فى عشرة مراكب وأخذت معى مؤنة شهر وسافرت عشرين يوما ففى ليلة من الليالى هبت علينا رياح مختلفة الى أن لاح الفجر فهدأ الريح وسكن البحر حتى أشرقت الشمس ثم اننا أشرفنا على جزيرة وطلعنا الى البر وطبخنا شيأ نأكله فأكلنا ثم أقمنا يومين وسافرنا عشرين يوما فاختلفت علينا المياه وعلى الريس واستغرب الريس البحر فقلنا للناظور انظر البحر بتأمل فطلع على الصارى ثم نزل ذلك الناظور وقال للريس رأيت عن يمينى سمكا على وجه الماء ونظرت الى وسط البحر فرأيت سوادا من بعيد يلوح تارة أسود وتارة أبيض فلما سمع الريس كلام الناظور ضرب الارض بعمامته ونتف لحيته وقال للناس ابشروا بهلاكنا جميعا ولا يسلم منا أحد وشرع يبكى وكذلك نحن الجميع نبكى على أنفسنا فقلت أيها الريس أخبرنا بما رأى الناظور فقال ياسيدى اعلم اننا تهنا يوم جاءت علينا الرياح المختلفة ولم يهدأ الريح الا بكرة النهار ثم أقمنا يومين فتهنا فى البحر ولم نزل تائهين أحد عشر يوما من تلك الليلة وليس لنا ريح يرجعنا الى ما نحن قاصدون آخر النهار وفى غد نصل الى جبل من حجر أسود يسمى حجر المغناطيس وتجرنا المياه غصبا الى جهته فتمزق المركب ويروح كل مسمار فى المركب الى الجبل ويلتصق به لان الله وضع فى حجر المغناطيس سرا وهو أن جميع الحديد يذهب اليه وفى ذلك الجبل حديد كثير لا يعلمه الا الله تعالى حتى انه تكسر من قديم الزمان مراكب كثيرة بسبب ذلك الجبل ويلى ذلك البحر قبة من النحاس الاصفر معقودة على عشرة أعمدة وفوق القبة فارس على فرس من نحاس وفى يد ذلك الفارس رمح من نحاس ومعلق فى صدر الفارس لوح من رصاص منقوش عليه أسماء وطلاسم فيها أيها الملك مادام هذا الفارس راكبا على هذه الفرس تنكسر المراكب التى تفوت من تحته ويهلك ركابها جميعا ويلتصق جميع الحديد الذى فى المركب بالجبل وما الخلاص الا اذا وقع هذا الفارس من فوق تلك الفرس ثم ان الريس ياسيدتى بكى بكاء شديدا فتحققنا أننا هالكون لا محالة وكل منا ودع صاحبه فلما جاء الصباح قربنا من ذلك الجبل وساقتنا المياه اليه غصبا فلما صارت المراكب تحته انفتحت وفرت المسامير منها وكل حديد فيها نحو حجر المغناطيس ونحن دائرون حوله فى آخر النهار وتمزقت المركب فمنا من غرق ومنا من سلم ولكن أكثرنا غرق والذين سلموا لم يعلموا ببعضهم لان تلك الامواج واختلاف الارياح أدهشتهم وأما أنا ياسيدتى فنجانى الله تعالى لما أراده من مشقتى وعذابى وبلوتى فطلعت على لوح من الالواح فالقاه الريح والامواج الى جبل فاصبت طريقا متطرقا الى أعلاه على هيئة السلالم منقورة فى الجبل فسميت الله تعالى * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الخامسة عشرة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الصعلوك الثالث قال للصبية والجماعة مكتفون والعبيد واقفون بالسيوف على رؤسهم ثم انى سميت الله ودعوته وابتهلت اليه وحاولت الطلوع على الجبل وصرت أتمسك بالنقر التى فيه حتى أسكن الله الريح فى تلك الساعة وأعاننى على الطلوع فطلعت سالما على الجبل وفرحت بسلامتى غاية الفرح ولم يكن لى دأب الا القبة فدخلتها وصليت فيها ركعتين شكرا لله على سلامتى ثم انى نمت تحت القبة فسمعت قائلا يقول يا ابن خصيب اذا انتبهت من منامك فاحفر تحت رجليك تجد قوسا من نحاس وثلاث نشابات من رصاص منقوشا عليها طلاسم فخذ القوس والنشابات وارم الفارس الذى على القبة وأرح الناس من هذا البلاء العظيم فاذا رميت الفارس يقع فى البحر ويقع القوس من يدك فخذ القوس وادفنه فى موضعه فاذا فعلت ذلك يطفو البحر ويعلو حتى يساوى الجبل ويطلع عليه زورق فيه شخص غير الذى رميته فيجىء اليك وفى يده مجذاف فاركب معه ولا تسم الله تعالى فانه يحملك ويسافر بك مدة عشرة أيام الى أن يوصلك الى بحر السلامة فاذا وصلت هناك تجد من يوصلك الى بلدك وهذا انما يتم لك اذا لم تسم الله

استيقظت من نومي وقمت بنشاط وقصدت الماء كما قال الهاتف وضربت الفارس فرميته فوقع في البحر ووقع
القوس من يدي فأخذت القوس ودفنته فهاج البحر وعلا حتى ساوى الجبل الذي أنا عليه فلم ألبث غير ساعة
حتى رأيت زورقا في وسط البحر يقصدني فحمدت الله تعالى فلما وصل الي الزورق وجدت فيه شخصا من
النحاس في صدره لوح من الرصاص منقوش بأسماء وطلاسم فنزلت في الزورق وأنا ساكت لا أتكلم فحملني
الشخص أول يوم والثاني والثالث الى تمام عشرة أيام حتى رأيت جزائر السلامة ففرحت فرحا عظيما ومن
شدة فرحي ذكرت الله وسميت وهللت وكبرت فلما فعلت ذلك قذفني من الزورق في البحر ثم رجع في البحر
وكنت أعرف العوم فعمت ذلك اليوم الى الليل حتى كلت سواعدي وتعبت أكتافي وصرت في الهلكات ثم
تشهدت وأيقنت بالموت وهاج البحر من كثرة الرياح فجاءت موجة كالقلعة العظيمة فحملتني وقذفتني قذفة
صرت بها فوق البر لما يريد الله فطلعت البر وعصرت ثيابي ونشفتها على الارض وبت فلما أصبحت لبست ثيابي
وقمت أنظر أين أمشي فوجدت غوطة فجئتها ودرت حولها فوجدت الموضع الذي أنا فيه جزيرة صغيرة والبحر
محيط بها فقلت في نفسي كلما أخلص من بلية أقع في أعظم منها فبينما أنا متفكر في أمري وأتمنى الموت اذ نظرت
مركبا فيها ناس فقمت وطلعت على شجرة واذا بالمركب التصقت بالبر وطلع منها عشرة عبيد معهم مساحي فمشوا
حتى وصلوا الى وسط الجزيرة وحفروا في الارض وكشفوا عن طابق فرفعوا الطابق وفتحوا بابه ثم عادوا الى
المركب ونقلوا منها خبزا ودقيقا وسمنا وعسلا وأغناما وجميع ما يحتاج اليه الساكن وصار العبيد مترددين بين
المركب وباب الطابق وهم يحولون من المركب وينزلون في الطابق الى أن نقلوا جميع ما في المركب ثم بعد ذلك
طلع العبيد ومعهم ثياب أحسن ما يكون وفي وسطهم شيخ كبير هرم قد عمر زمنا طويلا وأضعفه الدهر حتى صار
فانيا وبيد ذلك الشيخ في يده صبي قد أفرغ في قالب الجمال وألبس من الحسن حلة الكمال حتى انه يضرب بحسنه
الامثال وهو كالقضيب الرطب يسحر كل قلب بجماله ويسلب كل لب بكماله فلم يزالوا سائرين حتى
أتوا الى الطابق ونزلوا فيه وغابوا عن عيني فلما توجهوا قمت ونزلت من فوق الشجرة ومشيت الى موضع الردم
ونبشت التراب ونقلته وصبرت نفسي حتى أزلت جميع التراب فانكشف الطابق فاذا هو خشب مقدار حجر
الطاحون فرفعته فبان من تحته سلم معقود من حجر فتعجبت من ذلك ونزلت في السلم حتى انتهيت الى آخره
فوجدت شيأ نظيفا ووجدت بستانا وثانيا وثالثا الى تمام تسعة وثلاثين وكل بستان أرى فيه ما يكل عنه الوصف
من أشجار وأنهار وأثمار وذخائر ورأيت بابا فقلت في نفسي ما الذي في هذا المكان فلابد أن أفتحه وأنظر ما فيه
ثم فتحته فوجدت فيه فرسا مسرجا ملجما مربوطا ففككته وركبته فطار بي الى أن حطني على سطح وأنزلني
وضربني بذيله فأتلف عيني وفر مني فنزلت من فوق السطح فوجدت عشرة شباب عور فلما رأوني قالوا لا مرحبا
بك فقلت لهم أتقبلوني أجلس عندكم فقالوا والله لا تجلس عندنا فخرجت من عندهم حزين القلب باكي العين
وكتب الله لي السلامة حتى وصلت الى بغداد فحلقت ذقني وصرت صعلوكا فوجدت هذين الاثنين العور
فسلمت عليهما وقلت لهما أنا غريب فقالا ونحن غريبان فهذا سبب تلف عيني وحلق ذقني فقالت له امسح
على رأسك وروح فقال والله لا أروح حتى أسمع قصة هؤلاء ثم ان الصبية التفتت الى الخليفة وجعفر ومسرور
وقالت لهم أخبروني بخبركم فتقدم جعفر وحكى لها الحكاية التي قالها للبوابة عند دخولهم فلما سمعت كلامه قالت
وهبت بعضكم لبعض فخرجوا الى أن صاروا في الزقاق فقال الخليفة للصعاليك يا جماعة الى أين تذهبون فقالوا
ما ندري أين نذهب فقال لهم الخليفة سيروا وبيتوا عندنا وقال لجعفر خذهم وأحضرهم لي غدا حتى ننظر
ما يكون فامتثل جعفر ما أمره به الخليفة ثم ان الخليفة طلع الى قصره ولم يجئه نوم في تلك الليلة فلما أصبح جلس
على كرسي المملكة ودخلت عليه أرباب الدولة فالتفت الى جعفر بعد ان طلعت أرباب الدولة وقال ائتني
بالثلاث صبايا والكلبتين والصعاليك فنهض جعفر وأحضرهم بين يديه فأدخل الصبايا تحت الاستار والتفت
لهن جعفر وقال لهن قد عفونا عنكن لما أسلفتن من الاحسان الينا ولم تعرفننا فها أنا أعرفكن وأنتن بين يدي
الخامس من بني العباس هرون الرشيد فلا تخبرنه الا حقا فلما سمع الصبايا كلام جعفر عن لسان أمير المؤمنين

تقدمت الكبيرة وقالت يا أمير المؤمنين ان لي حديثا لو كتب بالابر على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السادسة عشرة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان كبيرة الصبايا لما تقدمت بين يدي أمير المؤمنين قالت ان لي حديثا عجيبا وهو ان هاتين الصبيتين أختاي من ابي من غير أمي فمات والدنا وخلف خمسة آلاف دينار وكنت أنا أصغرهن سنا فجهزت أختاي وتزوجت كل واحدة برجل ومكثنا مدة ثم ان كل واحد من أزواجهما هيأ متجرا وأخذ من زوجته ألف دينار وسافر الجميع بعضهم وتركوني فغابوا أربع سنين وضيع زوجاهما المال وخسرا وتركاهما في بلاد الناس فجاآني في هيئة الشحاتين فلما رأيتهما ذهلت عنهما ولم أعرفهما ثم اني لما عرفتهما قلت لهما ما هذا الحال فقالتا يا أختنا ان الكلام لم يفد الآن وقد جرى القلم بما حكم الله فأرسلتهما الى الحمام وألبست كل واحدة حلة وقلت لهما يا أختي أنتما الكبيرتان وأنا الصغيرة وأنتما عوض عن أبي وأمي والارث الذي نابني معكما قد جعل الله فيه البركة فكلا من زكاته وأحوالي جليلة وأنا وأنتما سواء وأحسنت اليهما غاية الاحسان فمكثتا عندي مدة سنة كاملة وصار لهما مال من مالي فقالتا ان الزواج خير لنا وليس لنا صبر عنه فقلت لهما يا أختي لم تريا في الزواج خيرا فان الرجل الجيد قليل في هذا الزمان وقد جربتما الزواج فلم يقبلا كلامي وتزوجا بغير رضاي فزوجتهما من مالي وسترتهما ومضتا مع زوجيهما فأقاما مدة يسيرة ولعب عليهما زوجاهما وأخذا ما كان معهما وسافرا وتركاهما فجاءتا عندي وهما عريانتان واعتذرتا وقالتا لا تؤاخذينا فأنت أصغر منا سنا وأكمل عقلا وما بقينا نذكر الزواج أبدا فقلت مرحبا بكما يا أختي ما عندي أعز منكما وقبلتهما وزدتهما اكراما ولم نزل على هذه الحالة سنة كاملة فأردت أن أجهز لي مركبا الى البصرة فجهزت مركبا كبيرة وحملت فيها البضائع والمتاجر وما أحتاج اليه في المركب وقلت يا أختي هل لكما أن تقعدا في المنزل حتى أسافر وأرجع أو تسافرا معي فقالتا نسافر معك فانا لا نطيق فراقك فأخذتهما وسافرنا وكنت قسمت مالي نصفين فأخذت النصف وخبأت النصف الثاني وقلت ربما يصيب المركب شيء ويكون في العمر مدة فاذا رجعنا نجد شيأ ينفعنا ولم نزل مسافرين أياما وليالي فتاهت بنا المركب وغفل الريس عن الطريق ودخلت المركب بحرا غير البحر الذي نريده ولم نعلم بذلك مدة وطاب لنا الريح عشرة أيام فلاحت لنا مدينة على بعد فقلنا للريس ما اسم هذه المدينة التي أشرفنا عليها فقال والله لا أعلم ولا رأيتها قط ولا سلكت عمري هذا البحر ولكن جاء الأمر بسلامة فما بقي الا أن تدخلوا هذه المدينة وتخرجوا بضائعكم فان حصل لكم بيع فبيعوا وغاب ساعة ثم جاءنا وقال قوموا اطلعوا الى المدينة وتعجبوا من صنع الله في خلقه واستعيذوا من سخطه فطلعنا المدينة فوجدنا كل من فيها ممسوخا حجارة سودا فاندهشنا من ذلك ومشينا في الاسواق فوجدنا البضائع باقية والذهب والفضة باقيين على حالهما ففرحنا وقلنا لعل هذا يكون له أمر عجيب وتفرقنا في شوارع المدينة وكل واحد اشتغل عن رفيقه بما فيها من المال والقماش وأما أنا فطلعت الى القلعة فوجدتها محكمة فدخلت قصر الملك فوجدت جميع الاواني من الذهب والفضة ثم رأيت الملك جالسا وعنده حجابه ونوابه ووزراؤه وعليه من الملابس شيء يتحير فيه الفكر فلما قربت من الملك وجدته جالسا على كرسي مرصع بالدر والجوهر فيه كل درة تضيء كالنجمة وعليه حلة مزركشة بالذهب وواقفا حوله خمسون مملوكا لابسين أنواع الحرير وفي أيديهم السيوف مجردة فلما نظرت لذلك دهش عقلي ثم مشيت ودخلت قاعة الحريم فوجدت في حيطانها استارا من الحرير ووجدت الملكة عليها حلة مزركشة باللؤلؤ الرطب وعلى رأسها تاج مكلل بأنواع الجواهر وفي عنقها قلائد وعقود وجميع ما عليها من الملبوس والمصاغ باق على حاله وهي ممسوخة حجرا أسود ووجدت بابا مفتوحا فدخلته ووجدت فيه سلما بسبع درج فصعدته فرأيت مكانا مرخما مفروشا بالبسط المذهبة ووجدت فيه سريرا من المرمر مرصعا بالدر والجوهر ونظرت نورا لامعا في جهة فقصدتها فوجدت فيها جوهرة مضيئة قدر بيضة النعامة على كرسي صغير وهو يضيء كالشمعة ونورها ساطع ومفروش على ذلك السرير من أنواع الحرير ما يحير الناظر فلما نظرت الى ذلك تعجبت ورأيت في ذلك

المكان شمعة موقدة فقلت فى نفسى لابد أن أحدا أوقد هذه الشموع ثم انى مشيت حتى دخلت موضعا غيره وصرت أفتش فى الاماكن ونسيت نفسى مما دهشنى من التعجب من تلك الاحوال واستغرق فكرى الى ان دخل الليل فأردت الخروج فلم أعرف الباب وتهت عنه فعدت الى الجهة التى فيها الشموع الموقدة وجلست على السرير وتغطيت بلحاف بعدان قرأت شيأ من القرآن وأردت النوم فلم أستطع ولحقنى القلق فلما انتصف الليل سمعت تلاوة القرآن بصوت حسن رقيق فالتفت الى مخدع فرأيت بابه مفتوحا فدخلت الباب ونظرت المكان فاذا هو معبد وفيه قناديل معلقة موقدة وفيه سجادة مفروشة جالس عليها شاب حسن المنظر فتعجبت كيف هو سالم دون أهل المدينة فدخلت وسلمت عليه فرفع بصره ورد عليّ السلام فقلت له أسألك بحق ما تتلوه من كتاب الله ان تجيبنى عن سؤالى فتبسم وقال أخبرينى عن سبب دخولك هذا المكان وأنا أخبرك بجواب ما تسأليني عنه فأخبرته بخبرى فتعجب من ذلك ثم انى سألته عن خبر هذه المدينة فقال امهلينى ثم طبق المصحف وأدخله فى كيس من الاطلس واجلسنى بجنبه فنظرت اليه فاذا هو كالبدر حسن الاوصاف لين الاعطاف بهى المنظر رشيق القد أسيل الخد زهى الوجنات كأنه المقصود من هذه الابيات

رصد المنجم ليله فبداله * قد المليح يميس فى برديه * وأمده زحل سواد ذوائب
والمسك هادى الخال فى خديه * وغدت من المريخ حمرة خده * والقوس يرمى النبل من جفنيه
وعطارد أعطاه فرط ذكائه * وأبى السها نظر الوشاة اليه
فغدا المنجم حائرا مما رأى * والبدر باس الارض بين يديه

فنظرت له نظرة أعقبتنى ألف حسرة وأوقدت بقلبى كل جمرة فقلت له يامولاى اخبرنى عما سألتك فقال سمعا وطاعة اعلمى ان هذه المدينة مدينة والدى وجميع أهله وقومه وهو الملك الذى رأيتيه على الكرسى ممسوخا حجرا وأما الملكة التى رأيتيها فهى أمى وقد كانوا مجوسا يعبدون النار دون الملك الجبار وكانوا يقسمون بالنار والنور والظل والحرور والفلك الذى يدور وكان أبى ليس له ولد فرزق بى فى آخر عمره فربانى حتى نشأت وقد سبقت لى السعادة وكان عندنا عجوز طاعنة فى السن مسلمة تؤمن بالله ورسوله فى الباطن وتوافق أهلى فى الظاهر وكان أبى يعتقد فيها لما يرى عليها من الامانة والعفة وكان يكرمها ويزيد فى اكرامها وكان يعتقد انها على دينه فلما كبرت سلمنى أبى اليها وقال خذيه وربيه وعلميه أحوال ديننا واحسنى تربيته وقومى بخدمته فأخذتنى العجوز وعلمتنى دين الاسلام من الطهارة وفرائض الوضوء والصلاة وحفظتنى القرآن فلما أتممت ذلك قالت لى ياولدى اكتم هذا الامر عن أبيك ولا تعلمه به لئلا يقتلك فكتمته عنه ولم أزل على هذا الحال مدة أيام قلائل وقد ماتت العجوز وزاد أهل المدينة فى كفرهم وعتوهم وضلالهم فبينما هم على ماهم فيه اذ سمعوا مناديا ينادى بأعلى صوته مثل الرعد القاصف سمعه القريب والبعيد يقول يا أهل هذه المدينة ارجعوا عن عبادة النار واعبدوا الملك الجبار فحصل عند أهل المدينة فزع واجتمعوا عند أبى وهو ملك المدينة وقالوا له ماهذا الصوت المزعج الذى سمعناه فاندهشنا من شدة هوله فقال لهم لايهولنكم الصوت ولا يفزعكم ولا يردكم عن دينكم فمالت قلوبهم الى قول أبى ولم يزالوا مكبين على عبادة النار واستمروا على طغيانهم مدة سنة حتى جاء ميعاد ما سمعوا الصوت الاول فظهر لهم ثانيا فسمعوا ثلاث مرات على ثلاث سنين فى كل سنة مرة فلم يزالوا عاكفين على ماهم عليه حتى نزل عليهم المقت والسخط من السماء بعد طلوع الفجر فمسخوا حجارة سودا وكذلك دوابهم وأنعامهم ولم يسلم من أهل هذه المدينة غيرى ومن يوم جرت هذه الحادثة وأنا على هذه الحالة فى صلاة وصيام وتلاوة قرآن وقد سئمت من الوحدة وما عندى من يؤانسنى فعند ذلك قلت له أيها الشاب هل لك أن تروح معى الى مدينة بغداد وتنظر الى العلماء والى الفقهاء فتزداد علما وفقها وأكون أنا جاريتك مع انى سيدة قومى وحاكمة على رجال وخدم وغلمان وعندى مركب مشحونة بالمتجر وقد رمتنا المقادير على هذه المدينة حتى كان ذلك سببا فى اطلاعنا على هذه الامور وكان النصيب فى اجتماعنا ولم أزل أرغبه فى التوجه حتى أجابنى اليه * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السابعة عشر﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الصبية مازالت تحسن للشاب التوجه معها حتى غلب عليها النوم فنامت تلك الليلة تحت رجليه وهي لا تصدق بما هي فيه من الفرح ثم قالت فلما أصبح الصباح قمنا ودخلنا الى الخزائن وأخذنا ماخف حمله وغلا ثمنه ونزلنا من القلعة الى المدينة فقابلنا العبيد والريس وهم يفتشون علي فلما رأوني فرحوا بي وسألوني عن سبب غيابي فأخبرتهم بما رأيت وحكيت لهم قصة الشاب وسبب مسخ أهل هذه المدينة وماجرى لهم فتعجبوا من ذلك فلما رآني أختاي ومعي ذلك الشاب حسدتاني عليه وصارتا في غيظ وأضمرتا المكر لي ثم نزلنا المركب وأنا بغاية الفرح وأكثر فرحي بصحبة هذا الشاب وأقمنا ننتظر الريح حتى طاب لنا الريح فنشرنا القلوع وسافرنا فقعد أختاي عندنا وصارتا يتحدثان فقالتا لي ياأختنا ماتصنعين بهذا الشاب الحسن فقلت لهما قصدي ان أتخذه بعلا ثم التفت اليه وأقبلت عليه وقلت ياسيدي أقصدي ان أقول لك شيأ فلا تخالفني فيه فقال سمعا وطاعة ثم التفت الى أختي وقلت لهما يكفيني هذا الشاب وجميع هذه الاموال لكما فقالتا نعم مافعلت ولكنهما أضمرتا لي الشر ولم نزل سائرين مع اعتدال الريح حتى خرجنا من بحر الخوف ودخلنا بحر الأمان وسافرنا أياما قلائل الى أن قربنا من مدينة البصرة ولاحت لنا أبنيتها فادركنا المساء فلما أخذنا النوم قامت أختاي وحملتاني أنا والغلام بفرشنا ورمتانا في البحر فأما الشاب فانه كان لايحسن العوم فغرق وكتبه الله من الشهداء وأما أنا فكنت من السالمين فلما سقطت في البحر رزقني الله بقطعة خشب فركبتها وضربتني الامواج الى أن رمتني على ساحل جزيرة فلم أزل أمشي في الجزيرة باقي ليلتي فلما أصبح الصباح رأيت طريقا فيه أثر مشي على قدر قدم ابن آدم وتلك الطريق متصلة من الجزيرة الى البر وقد طلعت الشمس فنشفت ثيابي فيها وسرت في الطريق ولم أزل سائرة الى أن قربت من البر الذي فيه المدينة واذا أنا بحية تقصدني وخلفها ثعبان يريد هلاكها وقد تدلى لسانها من شدة التعب فأخذتني الشفقة عليها فعمدت الى حجر وألقيته على رأس الثعبان فمات من وقته فنشرت الحية جناحين وطارت في الجو فتعجبت من ذلك وقد تعبت فنمت في موضعي ساعة فلما أفقت وجدت تحت رجلي جارية وهي تكبس رجلي فجلست واستحييت منها وقلت لها من أنت وماشأنك فقالت ما أسرع مانسيتني أنت التي فعلت معي الجميل وقتلت عدوي فاني الحية التي خلصتيني من الثعبان فاني جنية وهذا الثعبان جني وهو عدوي وما نجاني منه الا أنت فلما نجيتني منه طرت في الريح وذهبت الى المركب التي رماك منها أختاك ونقلت جميع مافيها الى بيتك واغرقتها وأما أختاك فاني سحرتهما كلبتين من الكلاب السود فاني عرفت جميع ماجرى لك معهما وأما الشاب فانه غرق ثم حملتني أنا والكلبتين وألقتنا فوق سطح داري فرأيت جميع ماكان في المركب من الاموال في وسط بيتي ولم يضع منه شئ ثم ان الحية قالت لي وحق النقش الذي على خاتم سليمان اذا لم تضربي كل واحدة منهما في كل يوم ثلثمائة سوط لآتين واجعلنك مثلهما فقلت سمعا وطاعة فلم أزل ياأمير المؤمنين أضربهما ذلك الضرب وأشفق عليهما فتعجب الخليفة من ذلك ثم قال للصبية الثانية وأنت ماسبب الضرب الذي على جسدك فقالت ياأمير المؤمنين اني كان لي والد فمات وخلف مالا كثيرا فاقمت بعده مدة يسيرة وتزوجت برجل أسعد أهل زمانه فأقمت معه سنة كاملة ومات فورثت منه ثمانين ألف دينار مقتضى ماخصني بالفريضة الشرعية فعملت عشر بدلات كل بدلة بألف دينار فبينما أنا جالسة في يوم من الايام اذ دخلت علي عجوز بوجه مسعوط وحاجب ممعوط وعيونها مفجرة وأسنانها مكسرة ومخاطها سائل وعنقها مائل كما قال فيها الشاعر

عجوز النحس ابليس يراها * تعلمه الخديعة من سكوت
تقود من السياسة ألف بغل * اذا انفردوا بخيط العنكبوت

وكما قال الآخر

وعجوز لها الكهانة طبع * حللت في الحرام مالن يجوزا
دهمصت طفلة ولبطت فتاة * وزنت كهلة وقادت عجوزا

فلما دخلت العجوز سلمت علي وقالت ان عندي بنتا يتيمة والليلة عملت عرسها وأنا قصدي لك الاجر والثواب فاحضري عرسها فانها مكسورة الخاطر ليس لها الا الله تعالى ثم بكت وقبلت رجلي فأخذتني الرحمة والرأفة فقلت

سمعا وطاعة فقالت جهزى نفسك فانى وقت العشاء أجيء وآخذك ثم قبلت يدى وذهبت فقمت وهيأت نفسى وجهزت حالى واذا بالعجوز قد أقبلت وقالت ياسيدتى ان سيدات البلد قد حضرن وأخبرتهن بحضورك ففرحن وهن فى انتظارك فقمت وتهيأت وأخذت جوارى معى وسرت حتى أتينا الى زقاق هب فيه النسيم وراق فرأينا بوابة مقنطرة بقبة من الرخام مشيدة البنيان وفى داخلها قصر قد قام من التراب وتعلق بالسحاب فلما وصلنا الى الباب طرقته العجوز ففتح لنا ودخلنا فوجدنا دهليزا مفروشا بالبسط معلقا فيه قناديل موقدة وشموع مضيئة وفيه الجواهر والمعادن معلقة فمشينا فى الدهليز الى أن دخلنا القاعة فلم يوجد لها نظير مفروشة بالفراش الحرير معلقا فيها القناديل الموقدة والشموع المضيئة وفى صدر القاعة سرير من المرمر مرصع بالدر والجوهر وعليه ناموسية من الاطلس واذا بصبية خرجت من الناموسية مثل القمر فقالت لى مرحبا وأهلا وسهلا يا أختى آنستينى وجبرت خاطرى وأنشدت تقول

لو تعلم الدار من قد زارها فرحت * واستبشرت ثم باست موضع القدم
وأعلنت بلسان الحال قائلة * أهلا وسهلا بأهل الجود والكرم

ثم جلست وقالت يا أختى ان لى أخا وقد رآك فى بعض الافراح وهو شاب أحسن منى وقد أحبك قلبه حبا شديدا وأعطى هذه العجوز دراهم حتى أتتك وعملت هذه الحيلة لاجل اجتماعه بك ويريد أخى ان يتزوجك بسنة الله ورسوله وما فى الحلال من عيب فلما سمعت كلامها ورأيت نفسى قد انحجزت فى الدار فقلت للصبية سمعا وطاعة ففرحت وصفقت بيديها وفتحت بابا فخرج منه شاب مثل القمر كما قال الشاعر

قد زاد حسنا تبارك الله * جل الذى صاغه وسوّاه * قد حاز كل الجمال منفردا
كل الورى فى جماله تاهوا * قد كتب الحسن فوق وجنته * أشهد أن لا مليح الا هو

فلما نظرت اليه مال قلبى له ثم جاء وجلس واذا بالقاضى قد دخل ومعه أربعة شهود فسلموا وجلسوا ثم انهم كتبوا كتابى على ذلك الشاب وانصرفوا فالتفت الشاب الىّ وقال ليلتنا مباركة ثم قال ياسيدتى انى شارط عليك شرطا فقلت ياسيدى وما الشرط فقام وأحضر لى مصحفا وقال احلفى لى أنك لا تختارى أحدا غيرى ولا تميلى اليه فحلفت له على ذلك ففرح فرحا شديدا وعانقنى فأخذت محبته بمجامع قلبى وقدموا لنا السماط فأكلنا وشربنا حتى اكتفينا فدخل علينا الليل فأخذنى ونام معى على الفراش وبتنا فى عناق الى الصباح ولم نزل على هذه الحالة مدة شهر ونحن فى هناء وسرور وبعد الشهر استأذنته فى انى أسير الى السوق وأشترى بعض قماش فاذن لى فى الرواح فلبست ثيابى وأخذت العجوز معى ونزلت فى السوق فجلست على دكان شاب تاجر تعرفه العجوز وقالت لى هذا ولد صغير مات أبوه وخلف له مالا كثيرا ثم قالت له هات أعز ما عندك من القماش لهذه الصبية فقال لها سمعا وطاعة فصارت العجوز تثنى عليه فقلت ما لنا حاجة بثنائك عليه لان مرادنا ان نأخذ حاجتنا منه ونعود الى منزلنا فاخرج لنا ما طلبناه وأعطيناه الدراهم فأبى أن يأخذ شيأ وقال هذه ضيافتكم اليوم عندى فقلت للعجوز ان لم يأخذ الدراهم اعطه قماشه فقال والله لا آخذ منك شيأ والجميع هدية من عندى فى قبلة واحدة فانها عندى أحسن من جميع ما فى دكانى فقالت العجوز ما الذى يفيدك من القبلة ثم قالت يا بنتى قد سمعت ما قال هذا الشاب وما يصيبك شئ اذا أخذ منك قبلة وتأخذين ما تطلبينه فقلت لها أما تعرفين انى حالفة فقالت خليه يقبلك وأنت ساكتة ولا عليك شئ وتأخذين هذه الدراهم ولا زالت تحسن لى الامر حتى أدخلت رأسى فى الجراب ورضيت بذلك ثم انى غطيت عينى ودارت بطرف ازارى من الناس وحط فمه تحت ازارى على خدى فلما قبلنى عضنى عضة قوية حتى قطع اللحم من خدى فغشى علىّ ثم أخذتنى العجوز فى حضنها فلما أفقت وجدت الدكان مقفولة والعجوز تظهر لى الحزن وتقول ما دفع الله كان أعظم ثم قالت لى قومى بنا الى البيت واعملى نفسك ضعيفة وأنا أجيء اليك بدواء تداوين به هذه العضة فتبرئين سريعا فبعد ساعة قمت من مكانى وأنا فى غاية الفكر واشتداد الخوف فمشيت حتى وصلت الى البيت وأظهرت حالة المرض واذا بزوجى داخل وقال ما الذى أصابك ياسيدتى فى هذا الخروج فقلت له ما أنا طيبة فنظر الىّ وقال لى ما هذا الجرح الذى بخدك وهو

في المكان الذاهم فقلت لما استأذنتك وخرجت في هذا النهار لاشتري القماش زاحمني جمل حامل حطبا فشرمط نقابي وجرح خدي كما ترى فان الطريق ضيق في هذه المدينة فقال غدا اروح للحاكم واشكو له فيشنق كل حطاب في المدينة فقلت بالله عليك لا تتحمل خطيئة أحد فاني ركبت حمارا نفر بي فوقعت على الارض فصادفني عود فخدش خدي وجرحني فقال غدا اطلع لجعفر البرمكي وأحكي له الحكاية فيقتل كل حمار في هذه المدينة فقلت هل أنت تقتل الناس كلهم بسببي وهذا الذي جرى لي بقضاء الله وقدره فقال لابد من ذلك وشدد على ونهض قائما وصاح صيحة عظيمة فانفتح الباب وطلع منه سبعة عبيد سود فسحبوني من فرشي ورموني في وسط الدار ثم أمر عبدا منهم ان يمسكني من أكتافي ويجلس على رأسي وأمر الثاني أن يجلس على ركبتي ويمسك رجلي وجاء الثالث وفي يده سيف فقال ياسيدي أضربها بالسيف فأقسمها نصفين وكل واحد يأخذ قطعة يرميها في بحر الدجلة فيأكلها السمك وهذا جزاء من يخون الأيمان والمودة وأنشد هذا الشعر

اذا كان لي فيمن أحب مشارك * منعت الهوى روحي ليتلفني وجدي

وقلت لها يا نفس موتي كريمة * فلا خير في حب يكون مع الضد

ثم قال للعبد اضربها ياسعد فجرد السيف وقال اذكري الشهادة وتذكري ما كان لك من الحوائج وأوصي فان هذا آخر حياتك فقلت له يا عبد الخير تمهل علي قليلا حتى أتشهد وأوصي ثم رفعت رأسي ونظرت الى حالي وكيف صرت في الذل بعد العز فجرت عبرتي وبكيت وأنشدت هذه الابيات

أقمتم فؤادي في الهوى وقعدتم * وأسهرتم جفني القريح ونمتم

ومنزلكم بين الفؤاد وناظري * فلا القلب يسلوكم ولا الدمع يكتم

وعاهدتموني أن تقيموا على الوفا * فلما تملكتم فؤادي غدرتم

ولم ترحموا وجدي بكم وتلهفي * أأنتم صروف الحادثات أمنتم

سألتكم بالله ان مت فاكتبوا * على لوح قبري ان هذا متيم

لعل شجيا عارفا لوعة الهوى * يمر على قبر المحب فيرحم

فلما فرغت من شعري بكيت فلما سمع الشعر ونظر الى بكائي ازداد غيظا على غيظه وأنشد هذين البيتين

تركت حبيب القلب لا عن ملالة * ولكن جنى ذنبا يؤدي الى الترك

أراد شريكا في المحبة بيننا * وايمان قلبي لا يميل الى الشرك

فلما فرغ من شعره بكيت واستعطفته وقلت في نفسي أتواضع له وألين له الكلام لعله يعفو عني من القتل ولو كان يأخذ جميع ما أملك ثم شكوت اليه ما وجدته وأنشدت هذه الابيات

وحقك لو أنصفتني ما قتلتني * ولكن حكم البين ما فيه منصف

وحملتني ثقل الغرام وانني * لأعجز عن حمل القميص وأضعف

وما عجبا اتلاف روحي وانما * عجيبت لجسمي بعدكم كيف يعرف

فلما فرغت من شعري بكيت فنظر الي ونهرني وشتمني وأنشد هذه الابيات

تشاغلتم عنا بصحبة غيرنا * وأظهرتم الهجران ما هكذا كنا

سنترككم لما تركتم مرامنا * ونصبر عنكم مثل صبركم عنا

ونهوى سواكم مذ جنحتم لغيرنا * ونجعل قطع الوصل منكم لا منا

فلما فرغ من شعره صرخ على العبد وقال له اشطرها نصفين فليس لنا فيها فائدة فلما تقدم العبد الي أيقنت بالموت ويئست من الحياة وسلمت أمري لله تعالى واذا بالعجوز قد دخلت ورمت نفسها على أقدام الشاب وقبلتها وقالت يا ولدي بحق تربيتي لك تعفو عن هذه الصبية فانها ما فعلت ذنبا يوجب ذلك وأنت شاب صغير فأخاف عليك من دعائها ثم بكت العجوز ولم تزل تلح عليه حتى قال عفوت عنها ولكن لابد لي أن أعمل فيها أثرا يظهر عليها بقية عمرها ثم أمر العبيد فجذبوني من ثيابي وأحضر قضيبا من سفرجل ونزل به على جسدي بالضرب ولم يزل يضرب في ذلك الشاب على ظهري وجنبي حتى غبت عن الدنيا من شدة الضرب وقد يئست من حياتي ثم أمر العبيد أنه اذا دخل الليل يحملونني ويأخذون العجوز معهم ويرمونني في بيتي الذي كنت فيه سابقا ففعلوا ما أمرهم به سيدهم ورموني في بيتي فتعاهدت نفسي وداويت جسمي فلما شفيت بقيت أضلاعي كأنها مضروبة بالمقارع كما ترى فاستمريت في مداواة نفسي أربعة أشهر حتى شفيت ثم جئت الى الدار التي جرى لي فيها ذلك

الامر فوجدتها خرابة ووجدت الزقاق مهدوما من أوله الى آخره ووجدت فى موضع الدار كيما نا ولم أعلم سبب ذلك
فجئت الى أختى هذه التى من أبى فوجدت عندها هاتين الكلبتين فسلمت عليها وأخبرتها بخبرى وبجميع ماجرى
لى فقالت لى من ذا الذى من نكبات الزمان سلم الحمد لله الذى جعل الامر بسلامة ثم أخبرتنى بخبرها وبجميع
ماجرى لها مع أختيها وقعدت أنا وهى لا نذكر خبر الزواج على ألسنتنا ثم صاحبتنا هذه الصبية الدلالة وفى كل يوم
تخرج فتشترى لنا ما نحتاج اليه من المصالح واستمرينا على هذه الحالة الى هذه الليلة التى مضت فخرجت أختنا
تشترى لنا ما نحتاج اليه من المصالح على جرى عادتها فوقع لنا ما وقع من مجىء الحمال والصعاليك ومن مجيئكم فى
صفة تجار فلما صرنا فى هذا اليوم لم نشعر الا ونحن بين يديك وهذه حكايتنا فتعجب الخليفة من هذه الحكاية
وجعلها تاريخا مثبتا فى خزانته * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة الثامنة عشر * قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الخليفة أمر أن تكتب هذه القصة فى
الدواوين ويجعلوها فى خزانة الملك ثم انه قال للصبية الاولى هل عندك خبر بالعفريتة التى سحرت أختيك قالت
يا أمير المؤمنين انها أعطتنى شيأ من شعرها وقالت متى أردت حضورى فاحرقى من هذا الشعر شيأ فاحضر اليك
عاجلا ولو كنت خلف جبل قاف فقال الخليفة أحضرى لى الشعر فاحضرته الصبية فاخذه الخليفة وأحرق منه شيأ
فلما فاحت رائحته اهتز القصر وسمعوا دويا وصلصلة واذا بالجنية حضرت وكانت مسلمة فقالت السلام عليك
يا خليفة الله فقال وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقالت اعلم ان هذه الصبية زرعت معى جميلا ولا أقدر أن
أكافئها عليه فهى أنقذتنى من الموت وقتلت عدوى ورأيت ما فعله معها أختاها فما رأيت الا أنى أنتقم منهما
فسحرتهما كلبتين بعد أن أردت قتلهما فخشيت أن يصعب عليها وان أردت خلاصهما يا أمير المؤمنين أخلصهما
كرامة لك ولها فانى من المسلمين فقال لها خلصيهما وبعد ذلك نشرع فى أمر الصبية المضروبة ونفحص عن حالها
فاذا ظهر لى صدقها أخذت ثارها ممن ظلمها فقالت العفريتة يا أمير المؤمنين أنا أدلك على من فعل بهذه الصبية
هذا الفعل وظلمها وأخذ مالها وهو أقرب الناس اليك ثم ان العفريتة أخذت طاسة من الماء وعزمت عليها
ورشت وجه الكلبتين وقالت لهما عودا الى صورتكما الاولى البشرية فعادتا صبيتين سبحان خالقهما ثم قالت
يا أمير المؤمنين ان الذى ضرب الصبية ولدك الامين فانه كان يسمع بحسنها وجمالها وحكت له العفريتة جميع
ماجرى للصبية فتعجب وقال الحمد لله على خلاص هاتين الكلبتين على يدى ثم ان الخليفة أحضر ولده الامين بين
يديه وسأله عن قصة الصبية الاولى فاخبره على وجه الحق فاحضر الخليفة القضاة والشهود والصعاليك الثلاثة
وأحضر الصبية الاولى وأختيها اللتين كانتا مسحورتين فى صورة كلبتين وزوج الثلاثة للثلاثة الصعاليك الذين
أخبروهم أنهم كانوا ملوكا وعملهم حجابا عنده وأعطاهم ما يحتاجون اليه وأنزلهم فى قصر بغداد ورد الصبية
المضروبة لولده الامين وأعطاها مالا كثيرا وأمر أن تبنى الدار أحسن ما كانت ثم ان الخليفة تزوج بالدلالة ورقد
فى تلك الليلة معها فلما أصبح أفرد لها بيتا وجوارى يخدمنها ورتب لها راتبا وشيد لها قصرا * ثم قال لجعفر ليلة من
الليالى انى أريد أن ننزل فى هذه الليلة الى المدينة ونسأل عن أحوال الحكام والمتولين وكل من شكا منه أحد
عزلناه فقال جعفر سمعا وطاعة فلما نزل الخليفة وجعفر ومسرور وساروا فى المدينة ومشوا فى الاسواق مروا بزقاق
فرأوا شيخا كبيرا على رأسه شبكة وقفة وفى يده عصا وهو ماش على مهله وينشد هذه الابيات

يقولون لى أنت بين الورى * بعلمك كالليلة المقمره * فقلت دعونى من قولكم
فلا علم الا مع المقدره * فلو رهنونى وعلمى معى * وكل الدفاتر والمحبره
على قوت يوم لما أدركوا * قبول الرهان الى الآخره * فاما الفقير وحال الفقير
وعيش الفقير فما أكدره * وفى الصيف يعجز عن قوته * وفى البرد يدفا على المجمره
تليه الكلاب اذا ما مشى * ذليلا مهانا فما أحقره * اذا ما شكا حاله لامرئ
وبين عذرا فلن يعذره * اذا كان هذا حياة الفقير * فاصلح ما كان فى المقبره

فلما سمع الخليفة انشاده قال لجعفر أنظر هذا الرجل الفقير وانظر هذا الشعر فانه يدل على احتياجه ثم ان الخليفة
تقدم اليه وقال له يا شيخ ما حرفتك قال يا سيدى صياد وعندى عائلة وخرجت من بيتى من نصف النهار الى هذا
الوقت ولم يقسم الله لى شيأ أقوت به عيالى وقد كرهت نفسى وتمنيت الموت فقال له الخليفة هل لك أن ترجع معنا
الى البحر وتقف على شاطئ الدجلة وترمى شبكتك على بختى وكل ما طلع أشتريه منك بمائة دينار ففرح الرجل
لما سمع هذا الكلام وقال على رأسى أرجع معكم ثم ان الصياد رجع الى البحر ورمى شبكته وصبر عليها ثم انه جذب
الخيط وجر الشبكة اليه فطلع فى الشبكة صندوق مقفول ثقيل الوزن فلما نظره الخليفة جسه فوجده ثقيلا
فاعطى الصياد مائة دينار وانصرف وحمل الصندوق مسرور وهو وجعفر وطلعا به مع الخليفة الى القصر وأوقدوا
الشموع والصندوق بين يدى الخليفة فتقدم جعفر ومسرور وكسروا الصندوق فوجدوا فيه قفة خوص مخيطة
بصوف أحمر فقطعوا الخياطة فرأوا فيها قطعة بساط فرفعوها فوجدوا تحتها ازارا فرفعوا الازار فوجدوا تحته صبية
كأنها سبيكة فضة مقتولة ومقطعة فلما نظرها الخليفة جرت دموعه على خده والتفت الى جعفر وقال يا كلب
الوزراء أتقتل القتلى فى زمنى ويرمون فى البحر ويصيرون متعلقين بذمتى والله لابد أن أقتص لهذه الصبية ممن
قتلها واقتله وقال لجعفر وحق اتصال نسبى بالخلفاء من بنى العباس ان لم تأتنى بالذى قتل هذه لانصفها منه
لأصلبنك على باب قصرى أنت وأربعين من بنى عمك واغتاظ الخليفة فقال جعفر أمهلنى ثلاثة أيام قال أمهلتك
ثم خرج جعفر من بين يديه ومشى فى المدينة وهو حزين وقال فى نفسه من أين أعرف من قتل هذه الصبية حتى
أحضره للخليفة وان أحضرت له غيره يصير معلقا بذمتى ولا أدرى ما أصنع ثم ان جعفرا جلس فى بيته ثلاثة أيام وفى
اليوم الرابع أرسل اليه الخليفة يطلبه فلما تمثل بين يديه قال له أين قاتل الصبية قال جعفر يا أمير المؤمنين هل أنا
أعلم الغيب حتى أعرف قاتلها فاغتاظ الخليفة وأمر بصلبه على باب قصره وأمر مناديا أن ينادى فى شوارع بغداد
من أراد الفرجة على صلب جعفر البرمكى وزير الخليفة وصلب أولاد عمه على باب قصر الخليفة فليخرج ليتفرج
فخرجت الناس من جميع الحارات ليتفرجوا على صلب جعفر وصلب أولاد عمه ولم يعلموا سبب ذلك ثم أمر
بنصب الخشب فنصبوه وأوقفوهم تحته لأجل الصلب وصاروا ينتظرون الاذن من الخليفة وصار الخلق يتباكون
على جعفر وعلى أولاد عمه فبينما هم كذلك واذا بشاب حسن نقى الاثواب يمشى بين الناس مسرعا الى أن وقف
بين يدى الوزير وقال له سلامتك من هذه الوقفة يا سيد الامراء وكهف الفقراء أنا الذى قتلت القتيلة التى وجدتموها
فى الصندوق فاقتلنى فيها واقتص لها منى فلما سمع جعفر كلام الشاب وما أبداه من الخطاب فرح بخلاص نفسه
وحزن على الشاب فبينما هم فى الكلام واذا بشيخ كبير يفسح الناس ويمشى بينهم بسرعة الى أن وصل الى جعفر
والشاب فسلم عليهما ثم قال أيها الوزير لا تصدق كلام هذا الشاب فانه ما قتل هذه الصبية الا أنا فاقتص لها منى فقال
الشاب أيها الوزير ان هذا شيخ كبير خرفان لا يدرى ما يقول وأنا الذى قتلتها فاقتص لها منى فقال الشيخ يا ولدى أنت
صغير تشتهى الدنيا وأنا كبير شبعت من الدنيا وأنا أفديك وأفدى الوزير وبنى عمه وما قتل الصبية الا أنا فبالله
عليك أن تعجل بالاقتصاص منى فلما نظر الى ذلك الامر تعجب منه وأخذ الشاب والشيخ وطلع بهما عند الخليفة
وقال يا أمير المؤمنين قد حضر قاتل الصبية فقال الخليفة أين هو فقال ان هذا الشاب يقول أنا القاتل وهذا الشيخ
يكذبه ويقول لا بل أنا القاتل فنظر الخليفة الى الشيخ والشاب وقال من منكما قتل هذه الصبية فقال الشاب
ما قتلها الا أنا وقال الشيخ ما قتلها الا أنا فقال الخليفة لجعفر خذ الاثنين واصلبهما فقال جعفر اذا كان القاتل واحدا
فقتل الثانى ظلم فقال الشاب وحق من رفع السماء وبسط الارض انى أنا الذى قتلت الصبية وهذه أمارة قتلها
ووصف ما وجده الخليفة فتحقق عند الخليفة أن الشاب هو الذى قتل الصبية فتعجب الخليفة وقال ما سبب قتلك
هذه الصبية بغير حق وما سبب اقرارك بالقتل من غير ضرب وقولك اقتصوا لها منى فقال الشاب اعلم يا أمير المؤمنين
ان هذه الصبية زوجتى وبنت عمى وهذا الشيخ أبوها وهو عمى وتزوجت بها وهى بكر فرزقنى الله منها ثلاثة أولاد
ذكورا وكانت تحبنى وتخدمنى ولم أر عليها شيئا فلما كان أول هذا الشهر مرضت مرضا شديدا فاحضرت لها الاطباء
حتى حصلت لها العافية فاردت أن أدخلها الحمام فقالت انى أريد شيأ قبل دخول الحمام لانى أشتهيه فقلت لها وما

هو فقالت انى أشتهى تفاحة أشمها وأعض منها عضة فطلعت من ساعتى الى المدينة وفتشت على التفاح ولو كانت الواحدة بدينار فلم أجده فبت تلك الليلة وأنا متفكر فلما أصبح الصباح خرجت من بيتى ودرت على البساتين واحدا واحدا فلم أجده فيها فصادفنى خولى كبير فسألته عن التفاح فقال يا ولدى هذا شئ قل أن يوجد لانه معدوم ولا يوجد الا فى بستان أمير المؤمنين الذى فى البصرة وهو عند الخولى يدخره للخليفة فجئت الى زوجتى وقد حملتنى محبتى اياها على أن هيأت نفسى وسافرت خمسة عشر يوما ليلا ونهارا فى الذهاب والاياب وجئت لها بثلاث تفاحات اشتريتها من خولى البصرة بثلاثة دنانير ثم انى دخلت وناولتها اياها فلم تفرح بها بل تركتها فى جانبها وكان مرض الحمى قد اشتد بها ولم تزل فى ضعفها الى أن مضى لها عشرة أيام وبعد ذلك عوفيت فخرجت من البيت وذهبت الى دكانى وجلست فى بيعى وشرائى فبينما أنا جالس فى وسط النهار واذا بعبد أسود مر على وفى يده تفاحة يلعب بها فقلت له من أين أخذت هذه التفاحة حتى آخذ مثلها فضحك وقال أخذتها من حبيبتى وأنا كنت غائبا وجئت فوجدتها ضعيفة وعندها ثلاث تفاحات فقالت ان زوجى الديوث سافر من شأنها الى البصرة فاشتراها بثلاثة دنانير فأخذت منها هذه التفاحة فلما سمعت كلام العبد يا أمير المؤمنين اسودت الدنيا فى وجهى وقفلت دكانى وجئت الى البيت وأنا فاقد العقل من شدة الغيظ فلم أجد التفاحة الثالثة فقلت لها أين الثالثة فقالت لا أدرى ولا أعرف أين ذهبت فتحققت قول العبد وقمت أخذت سكينا وركبت على صدرها ونحرتها بالسكين وقطعت رأسها وأعضاءها وحطيتها فى القفة بسرعة وغطيتها بالازار وحطيت عليها شقة بساط وأنزلتها فى الصندوق وقفلته وحملتها على بغلتى ورميتها فى الدجلة بيدى فبالله عليك يا أمير المؤمنين أن تعجل بقتلى قصاصا لها فانى خائف من مطالبتها يوم القيامة فانى لما رميتها فى بحر الدجلة ولم يعلم بها أحد رجعت الى البيت فوجدت ولدى الكبير يبكى ولم يكن له علم بما فعلت فى أمه فقلت له ما يبكيك فقال انى أخذت تفاحة من التفاح الذى عند أمى ونزلت بها الى الزقاق ألعب مع اخوانى واذا بعبد أسود طويل خطفها منى وقال لى من أين جاءتك هذه فقلت له هذه سافر أبى وجاءها من البصرة من أجل أمى وهى ضعيفة واشترى ثلاث تفاحات بثلاثة دنانير فأخذها منى وضربنى وراح بها فخفت من أمى أن تضربنى من شأن التفاحة فلما سمعت كلام الولد علمت أن العبد هو الذى افترى الكلام الكذب على بنت عمى وتحققت أنها قتلت ظلما ثم انى بكيت بكاء شديدا واذا بهذا الشيخ وهو عمى والدها قد أقبل فأخبرته بما كان فجلس بجانبى وبكى ولم نزل نبكى الى نصف الليل وأقمنا العزاء خمسة أيام ولم نزل الى هذا اليوم ونحن نتأسف على قتلها فبحرمة أجدادك أن تعجل بقتلى وتقتص لها منى فلما سمع الخليفة كلام الشاب تعجب وقال والله لا أقتل الا العبد الخبيث * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة التاسعة عشرة) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الخليفة أقسم أنه لا يقتل الا العبد لان الشاب معذور ثم ان الخليفة التفت الى جعفر وقال له أحضر لى هذا العبد الخبيث الذى كان سببا فى هذه القضية وان لم تحضره فأنت تقتل عوضا عنه فنزل يبكى ويقول من أين أحضره ولا كل مرة تسلم الجرة وليس لى فى هذا الامر حيلة والذى سلمنى فى الاول يسلمنى فى الثانى والله ما بقيت أخرج من بيتى ثلاثة أيام والحق سبحانه يفعل ما يشاء ثم أقام فى بيته ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع أحضر القاضى وأوصى وودع أولاده وبكى واذا برسول الخليفة أتى اليه وقال له ان أمير المؤمنين فى أشد ما يكون من الغضب وأرسلنى اليك وحلف أنه لا يمر هذا النهار الا وأنت مقتول ان لم تحضر له العبد فلما سمع جعفر هذا الكلام بكى وبكت أولاده فلما فرغ من التوديع تقدم الى بنته الصغيرة ليودعها وكان يحبها أكثر من أولاده جميعا فضمها الى صدره وبكى على فراقها فوجد فى جيبها شيئا مكببا فقال لها ما الذى فى جيبك فقالت له يا أبت تفاحة جاء بها عبدنا ريحان ولها معى أربعة أيام وما أعطاها لى حتى أخذ منى دينارين فلما سمع جعفر بذكر العبد والتفاحة فرح وقال يا قريب الفرج ثم انه أمر باحضار العبد فحضر فقال له من أين هذه التفاحة فقال يا سيدى من مدة خمسة أيام كنت ماشيا فدخلت فى بعض أزقة المدينة فنظرت صغارا يلعبون ومع واحد منهم هذه التفاحة فخطفتها منه وضربته فبكى وقال هذه لأمى وهى مريضة واشتهت على أبى تفاحا فسافر الى البصرة وجاء لها بثلاث تفاحات بثلاث دنانير فأخذت هذه ألعب بها ثم بكى فلم ألتفت اليه وأخذتها وجئت بها هنا

فأخذتها سيدتي الصغيرة بدينارين فلما سمع جعفر هذه القصة تعجب لسكون الفتنة وقتل الصبية من عبده وأمر بسجن العبد وفرح بخلاص نفسه ثم أنشد هذين البيتين

ومن كانت رزيته بعبد * فالنفس تجعله فداها
فإنك واجد خدما كثيرا * ونفسك لم تجد نفسا سواها

ثم انه قبض على العبد وطلع به الى الخليفة فأمر أن تؤرخ هذه الحكاية وتجعل سيرا بين الناس فقال له جعفر لا تعجب يا أمير المؤمنين من هذه القصة فما هي بأعجب من حديث الوزير نور الدين مع شمس الدين أخيه فقال الخليفة وأي حكاية أعجب من هذه الحكاية فقال جعفر يا أمير المؤمنين لا أحدثك الا بشرط أن تعتق عبدي من القتل فقال قد وهبت لك دمه

﴿حكاية الوزير نور الدين مع شمس الدين أخيه﴾

فقال جعفر اعلم يا أمير المؤمنين أنه كان في مصر سلطان صاحب عدل واحسان له وزير عاقل خبير له علم بالأمور والتدبير وكان شيخا كبيرا وله ولدان كأنهما قمران وكان اسم الكبير شمس الدين واسم الصغير نور الدين وكان الصغير أميز من الكبير في الحسن والجمال وليس في زمانه أحسن منه حتى انه شاع ذكره في البلاد فكان بعض أهلها يسافر من بلاده الى بلاده لأجل رؤية جماله فاتفق أن والدهما مات فحزن عليه السلطان وأقبل على الولدين وقربهما وخلع عليهما وقال لهما أنتما في مرتبة أبيكما ففرحا وقبلا الارض بين يديه وعملا العزاء لأبيهما شهرا كاملا ودخلا في الوزارة وكل منهما يتولاها جمعة واذا أراد السلطان السفر يسافر مع واحد منهما فاتفق في ليلة من الليالي أن السلطان كان عازما على السفر في الصباح وكانت النوبة للكبير فبينما الاخوان يتحدثان في تلك الليلة اذ قال الكبير يا أخي قصدي أن أتزوج أنا وأنت في ليلة واحدة فقال الصغير افعل يا أخي ما تريد فاني موافقك على ما تقول واتفقا على ذلك ثم ان الكبير قال لأخيه ان قدر الله وخطبنا بنتين ودخلنا في ليلة واحدة ووضعتا في يوم واحد وأراد الله وجاءت زوجتك بغلام وجاءت زوجتي ببنت نزوجهما لبعضهما لانهما أولاد عم فقال نور الدين يا أخي ما تأخذ من ولدي في مهر بنتك قال آخذ من ولدك في مهر بنتي ثلاثة آلاف دينار وثلاثة بساتين وثلاث ضياع فان عقد الشاب عقده بغير هذا لا يصح فلما سمع نور الدين هذا الكلام قال ما هذا المهر الذي شرطته على ولدي أما تعلم أننا اخوان ونحن الاثنان وزيران في مقام واحد وكان الواجب عليك أن تقدم ابنتك لولدي هدية من غير مهر فانك تعلم ان الذكر أفضل من الأنثى وولدي ذكر ويذكر به بخلاف ابنتك فقال وما لها قال لا تذكر بها بين الأمراء ولكن أنت تريد أن تفعل معي على رأي الذي قال ان أردت ان تطرده فاجعل الثمن غاليا وقيل ان بعض الناس قدم على بعض أصحابه فقصده في حاجة فغلى عليه الثمن فقال له شمس الدين أراك قد قصرت لانك تجعل ابنك أفضل من بنتي ولا شك أنك ناقص عقل وليس لك أخلاق حيث تذكر شركة الوزارة وأنا ما أدخلتك معي في الوزارة الا شفقة عليك ولاجل أن تساعدني وتكون لي معينا ولكن قل ما شئت وحيث صدر منك هذا القول والله لا أزوج بنتي لولدك ولو وزنت ثقلها ذهبا فلما سمع نور الدين كلام أخيه اغتاظ وقال وأنا لا أزوج ابني ابنتك فقال شمس الدين أنا لا أرضاه لها بعلا ولولا أني أريد السفر لكنت عملت معك العبر ولكن لما أرجع من السفر يفعل الله ما يريد فلما سمع نور الدين من أخيه ذلك الكلام امتلأ غيظا وغاب عن الدنيا وكتم ما به وبات كل واحد في ناحية فلما أصبح الصباح برز السلطان للسفر وعدى الى الجيزة وقصد الاهرام وصحبته الوزير شمس الدين وأما أخوه نور الدين فبات في تلك الليلة في أشد ما يكون من الغيظ فلما أصبح الصباح قام وصلى الصبح وعمد الى خزانته وأخذ منها خرجا صغيرا وملأه ذهبا وتذكر قول أخيه واحتقاره اياه وافتخاره عليه فأنشد هذه الأبيات

سافر تجد عوضا عمن تفارقه * وانصب فان لذيذ العيش في النصب
ما في المقام لذي لب وذي أدب * معزة فاترك الاوطان واغترب
اني رأيت وقوف الماء يفسده * فان جرى طاب أو لم يجر لم يطب
والبدر لولا أفول منه ما نظرت * اليه في كل حين عين مرتقب

والاسد لولا فراق الغاب ما انقنصت * والسهم لولا فراق القوس لم يصب

والتبر كالترب ملقى فى أماكنه * والعود فى أرضه نوع من الحطب

فان تغرب هذا عز مطلبه * وان أقام فلا يعلو الى رتب

فلما فرغ من شعره أمر بعض غلمانه ان يشد له بغلة زرزورية عالية سريعة المشى فشدها ووضع عليها سرجا مذهبا بركابات هندية وعبا آت من القطيفة الاصبهانية فسارت كأنها عروس مجلية وأمر ان يجعل عليها بساط حرير وسجادة وأن يوضع الخرج من تحت السجادة ثم قال للغلام والعبيد قصدى ان أتفرج خارج المدينة وأروح نواحى القليوبية وأبيت ثلاث ليال فلا يتبعنى منكم أحد فان عندى ضيق صدر ثم أسرع وركب البغلة وأخذ معه شيأ قليلا من الزاد وخرج من مصر واستقبل البر فما جاء عليه الظهر حتى دخل مدينة بلبيس فنزل عن بغلته واستراح وأراح البغلة وأكل شيأ وأخذ من بلبيس ما يحتاج اليه وما يعلق به على بغلته ثم استقبل البر فما جاء عليه الظهر بعد يومين حتى دخل مدينة القدس فنزل عن بغلته واستراح وأراح بغلته وأخرج شيأ أكله ثم حط الخرج تحت رأسه وفرش البساط ونام فى مكان والغيظ غالب عليه ثم انه بات فى ذلك المكان فلما أصبح الصباح ركب وصار يسوق البغلة الى أن وصل الى مدينة حلب فنزل فى بعض الخانات وأقام ثلاثة أيام حتى استراح وأراح البغلة وشم الهواء ثم عزم على السفر وركب بغلته وخرج مسافرا ولا يدرى أين يذهب فلم يزل سائرا الى أن وصل الى مدينة البصرة ليلا ولم يشعر بذلك حتى نزل فى الخان وأنزل الخرج عن البغلة وفرش السجادة وأودع البغلة بعدتها عند البواب وأمره أن يسيرها فأخذها وسيرها فاتفق أن وزير البصرة جالس فى شباك قصره فنظر البغلة ونظر ما عليها من العدة الثمينة فظنها بغلة وزير من الوزراء أو ملك من الملوك فتأمل فى ذلك وحار عقله وقال لبعض غلمانه ائتنى بهذا البواب فذهب الغلام الى البواب وأتى به الى الوزير فتقدم البواب وقبل الارض بين يديه وكان الوزير شيخا كبيرا فقال للبواب من صاحب هذه البغلة وما صفاته فقال البواب يا سيدى ان صاحب هذه البغلة شاب صغير ظريف الشمائل من أولاد التجار عليه هيبة ووقار فلما سمع الوزير كلام البواب قام على قدميه وركب وسار الى الخان ودخل على الشاب فلما رأى نور الدين الوزير قادما عليه قام على قدميه ولاقاه واحتضنه ونزل الوزير من فوق جواده وسلم عليه فرحب به وأجلسه عنده وقال له يا ولدى من أين أقبلت وماذا تريد فقال نور الدين يا مولاى انى قدمت من مدينة مصر وكان أبى وزيرا فيها وقد انتقل الى رحمة الله وأخبره بما جرى من المبتدا الى المنتهى ثم قال وقد عزمت فى نفسى انى لا أعود أبدا حتى أنظر جميع المدن والبلدان فلما سمع الوزير كلامه قال له يا ولدى لا تطاوع النفس فترميك فى الهلاك فان البلاد خراب وأنا أخاف عليك من عواقب الزمان ثم انه أمر بوضع الخرج عن البغلة والبساط والسجادة وأخذ نور الدين معه الى بيته وأنزله فى مكان ظريف وأكرمه وأحسن اليه وأحبه حبا شديدا وقال له يا ولدى أنا بقيت رجلا كبيرا ولم يكن لى ولد ذكر وقد رزقنى الله بنتا تقاربك فى الحسن ومنعت عنها خطابا كثيرة وقد وقع حبك فى قلبى فهل لك أن تأخذ ابنتى جارية لخدمتك وتكون لها بعلا فان كنت تقبل ذلك اطلع الى سلطان البصرة وأقول له انه ولد أخى وأوصلك اليه حتى أجعلك وزيرا مكانى وألزم أنا بيتى فانى بقيت رجلا كبيرا فلما سمع نور الدين كلام وزير البصرة أطرق برأسه ثم قال سمعا وطاعة ففرح الوزير بذلك وأمر غلمانه أن يصنعوا الطعام وأن يزينوا قاعة الجلوس الكبيرة المعدة لحضور أكابر الامراء ثم جمع أصحابه ودعا أكابر الدولة وتجار البصرة فحضروا بين يديه وقال لهم انه كان لى أخ وزير بالديار المصرية ورزقه الله ولدين وأنا كما تعلمون رزقنى الله بنتا وكان أخى أوصانى أن أزوج بنتى لاحد أولاده فاجبته الى ذلك فلما استحقت الزواج أرسل الى أحد أولاده وهو هذا الشاب الحاضر فلما جاءنى أحببت أن أكتب كتابه على بنتى ويدخل بها عندى فقالوا نعم ما فعلت ثم شربوا السكر ورشوا ماء الورد وانصرفوا وأما الوزير فانه أمر غلمانه أن يأخذوا نور الدين ويدخلوا به الحمام وأعطاه الوزير بدلة من خاص ملبوسه وأرسل اليه الفوط والطاسات ومجامر البخور وما يحتاج اليه فلما خرج من الحمام لبس البدلة فصار كالبدر ليلة تمامه ثم ركب بغلته ولم يزل سائرا حتى وصل الى قصر الوزير فنزل عن البغلة ودخل على الوزير فقبل يده ورحب به الوزير * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الموفية للعشرين﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الوزير قام له ورحب به وقال له قم ادخل هذه الليلة على زوجتك وفى غد أطلع بك الى السلطان وأرجو لك من الله كل خير فقام نور الدين ودخل على زوجته بنت الوزير هذا ما كان من أمر نور الدين (وأما) ما كان من أمر أخيه فانه غاب مع السلطان مدة فى السفر ثم رجع فلم يجد أخاه فسأل عنه الخدام فقالوا له من يوم سافرت مع السلطان ركب بغلته بعدة الموكب وقال أنا متوجه الى جهة القليوبية فأغيب يوما أو يومين فان صدرى ضاق ولا يتبعنى منكم أحد ومن يوم خروجه الى هذا اليوم لم نسمع له خبرا فتشوش خاطر شمس الدين على فراق أخيه واغتم غما شديدا لفقده وقال فى نفسه ما سبب ذلك الا انى أغلظت عليه فى الحديث ليلة سفرى مع السلطان فلعله تغير خاطره وخرج مسافرا فلا بد أن أرسل خلفه ثم طلع وأعلم السلطان بذلك فكتب بطاقات وأرسل بها الى نوابه فى جميع البلاد ونور الدين قطع بلادا بعيدة فى مدة غياب أخيه مع السلطان فذهبت الرسل بالمكاتيب ثم عادوا ولم يقفوا له على خبر ويئس شمس الدين من أخيه وقال لقد أغظت أخى بكلامى له من جهة زواج الاولاد فليت ذلك لم يكن وما حصل ذلك الا من قلة عقلى وعدم تدبيرى ثم بعد مدة يسيرة خطب بنت رجل من تجار مصر وكتب كتابه عليها ودخل بها وقد اتفق ان ليلة دخول شمس الدين على زوجته كانت ليلة دخول نور الدين على زوجته بنت وزير البصرة وذلك بارادة الله تعالى حتى ينفذ حكمه فى خلقه وكان الامر كما قالاه فاتفق أن الزوجتين حملتا منهما وقد وضعت زوجة شمس الدين وزير مصر بنتا لا يرى فى مصر أحسن منها ووضعت زوجة نور الدين ولدا ذكرا لا يرى فى زمانه أحسن منه كما قال الشاعر

ومهفهف يغنى النديم بريقه * عن كأسه الملأى وعن ابريقه
فعل المدام ولونها ومذاقها * فى مقلتيه ووجنتيه وريقه

(وقال آخر)

ان جاءه الحسن كى يقاس به * ينكس الحسن رأسه خجلا
أو قيل يا حسن هل رأيت كذا * تقول أما نظير ذاك فلا *

فسموه حسنا وفى سابع ولادته صنعوا الولائم وعملوا أسمطة تصلح لاولاد الملوك ثم ان وزير البصرة أخذ معه نور الدين وطلع به الى السلطان فلما صار قدامه قبل الارض بين يديه وكان نور الدين فصيح اللسان ثابت الجنان صاحب حسن واحسان فانشد قول الشاعر

هذا الذى عم الأنام بعدله * وسطا فمهد سائر الآفاق
اشكر صنائعه فلسن صنائعا * لكنهن قلائد الاعناق
والثم أنامله فلسن أناملا * لكنهن مفاتح الارزاق

فاكرمهما السلطان وشكر نور الدين على ما قال وقال لوزيره من هذا الشاب فحكى له الوزير قصته من أولها الى آخرها وقال له هذا ابن أخى فقال له وكيف يكون ابن أخيك ولم نسمع به فقال يا مولانا السلطان انه كان لى أخ وزير بالديار المصرية وقد مات وخلف ولدين فالكبير جلس فى مرتبة والده وزيرا وهذا ولده الصغير جاء عندى وحلفت أنى لا أزوج ابنتى الا له فلما جاء زوجته بها وهو شاب وأنا صرت شيخا كبيرا وقل سمعى وعجز تدبيرى والقصد من مولانا السلطان أن يجعله فى مرتبتى فانه ابن أخى وزوج ابنتى وهو أهل للوزارة لانه صاحب رأى وتدبير فنظر السلطان اليه فأعجبه واستحسن رأى الوزير بما أشار عليه من تقدمه فى رتبة الوزراء فانعم عليه بها وأمر له بخلعة عظيمة وبغلة من خاص مركوبه وعين له الرواتب والجوامك فقبل نور الدين يد السلطان ونزل هو وصهره الى منزلهما وهما فى غاية الفرح وقالا ان قدم هذا المولود مبارك ثم ان نور الدين توجه ثانى يوم الى الملك وقبل الارض وأنشد هذين البيتين

سعادات تجدد كل يوم * واقبال وقد رغم الحسود
فما زالت لك الايام بيضا * وأيام الذى عاداك سود

فامره السلطان بالجلوس فى مرتبة الوزارة فجلس وتعاطى أمور خدمته ونظر بين الناس فى أمورهم وحكمه كما هى عادتهم كما جرت به عادة الوزراء وصار السلطان ينظر اليه ويتعجب من أمره وذكاء عقله وحسن تدبيره وتبصره فى أحواله فحبه وقربه اليه ولما انفض الديوان نزل نور الدين الى بيته وحكى لصهره ما وقع ففرح ولم يزل الوزير يربى المولود المسمى حسنا الى أن مضت عليه أيام ولم يزل نور الدين فى الوزارة حتى انه لا يفارق السلطان فى ليل ولا فى نهار وزاد له الجوامك والجرايات الى أن اتسع عليه الحال وصار له مراكب تسافر من تحت يده بالمتاجر وغيرها وعمر أملاكا كثيرة ودواليب وبساتين الى أن بلغ عمر ولده حسن أربع سنين فتوفى الوزير الكبير والد

زوجة نور الدين فاخرجه خرجة عظيمة وواراه فى التراب ثم اشتغل بعد ذلك بتربية ولده فلما بلغ أشده أحضر له فقيها يقرئه فى بيته وأوصاه بتعليمه وحسن تربيته فاقرأه وعلمه فوائد فى العلم بعد ان حفظ القرآن فى مدة سنوات وما زال حسن يزداد جمالا وحسنا واعتدالا كما قال الشاعر

قمر تكامل فى المحاسن وانتهى * فالشمس تشرق من شقائق خده
ملك الجمال بأسره فكأنما * حسن البرية كلها من عنده

وقد رباه الفقيه فى قصر أبيه ومن حين نشأته لم يخرج من قصر الوزارة الى أن أخذه والده الوزير نور الدين يوما من الأيام وألبسه بدلة من أفخر ملبوسه وأركبه بغلة من خيار بغاله وطلع به الى السلطان ودخل به عليه فنظر الملك حسن بدر الدين ابن الوزير نور الدين فانبهر من حسنه وأما أهل المملكة فانه لما مر عليهم أول مرة وهو طالع مع أبيه الى الملك تحيروا من فرط حسنه وجماله ورشاقة قده واعتداله وتحققوا فيه معنى قول الشاعر

رصد المنجم ليله فبدا له * قد المليح يميس فى برديه
وتأمل الجوزاء اذ نثرت به * حب الجمان يلوح فى عطفيه
وأمده زحل سواد ذوائب * والمسك هادى الخال فى خديه
وغدت من المريخ حمرة خده * والقوس يرمى النبل من جفنيه
وعطارد أعطاه فرط ذكائه * وأبى السها انظار الوشاة اليه
فغدا المنجم حائرا مما رأى * والبدر باس الارض بين يديه

فلما رآه السلطان أحبه وأنعم عليه وقال لأبيه يا وزير لا بد أنك تحضره معك فى كل يوم فقال سمعا وطاعة ثم عاد الوزير بولده الى منزله وما زال يطلع به الى السلطان فى كل يوم الى أن بلغ الولد من العمر خمسة عشر عاما ثم ضعف والده الوزير نور الدين فأحضره وقال يا ولدى اعلم ان الدنيا دار فناء والآخرة دار بقاء وأريد أن أوصيك وصايا فافهم ما أقول لك وأصغ بقلبك اليه وصار يوصيه بحسن عشرة الناس وحسن التدبير ثم ان نور الدين تذكر أخاه وأوطانه وبلاده وبكى على فرقة الاحباب وسحت دموعه وقال يا ولدى اسمع قولى فان لى أخا يسمى شمس الدين وهو عمك ولكنه وزير بمصر قد فارقته وخرجت على غير رضاه والقصد أنك تأخذ درجا من الورق وتكتب ما أمليه عليك فاحضر قرطاسا وصار يكتب فيه كل ما قاله أبوه فأملى عليه جميع ما جرى له من أوله الى آخره وكتب له تاريخ زواجه ودخوله على بنت الوزير وتاريخ وصوله الى البصرة واجتماعه بوزيرها وكتب وصية موثقة ثم قال لولده احفظ هذه الوصية فان ورقتها فيها أصلك وحسبك ونسبك فان أصابك شئ من الأمور فاقصد مصر واستدل على عمك وسلم عليه وأعلمه انى مت غريبا مشتاقا اليه فأخذ حسن بدر الدين الرقعة وطواها وافق عليها خرقة مشمعة وخاطها بين البطانة والظهارة وصار يبكى على أبيه من أجل فراقه وهو صغير وما زال نور الدين يوصى ولده حسن بدر الدين حتى طلعت روحه فاقام الحزن فى بيته وحزن عليه السلطان وجميع الأمراء ودفنوه ولم يزالوا فى حزن مدة شهرين وولده لم يركب ولم يطلع الديوان ولم يقابل السلطان وأقام مكانه بعض الحجاب وولى السلطان وزيرا جديدا مكانه وأمره أن يختم على أماكن نور الدين وعلى ماله وعلى عماراته وعلى أملاكه فنزل الوزير الجديد وأخذ الحجاب وتوجهوا الى بيت الوزير نور الدين يختمون عليه ويقبضون على ولده حسن بدر الدين ويطلعون به الى السلطان ليعمل فيه ما يقتضى رأيه وكان بين العسكر مملوك من مماليك الوزير نور الدين المتوفى فلم يهن عليه ولد سيده فذهب ذلك المملوك الى حسن بدر الدين فوجده منكس الرأس حزين القلب على فراق والده فاعلمه بما جرى فقال له هل فى الامر مهلة حتى أدخل فآخذ معى شيأ من الدنيا لأستعين به على الغربة فقال له المملوك انج بنفسك فلما سمع كلام المملوك غطى رأسه بذيله وخرج ماشيا الى أن صار خارج المدينة فسمع الناس يقولون ان السلطان أرسل الوزير الجديد الى بيت وزيره المتوفى ليختم على ماله وأماكنه ويقبض على ولده حسن بدر الدين ويطلع به اليه فيقتله وصارت الناس تتأسف على حسنه وجماله فلما سمع كلام الناس خرج الى غير مقصد ولم يعلم أين يذهب فلم يزل سائرا الى ان ساقته المقادير الى تربة والده فدخل المقبرة ومشى بين القبور الى أن جلس عند قبر أبيه وأزال ذيله من فوق رأسه فبينما هو جالس عند تربة أبيه اذ قدم عليه يهودى من البصرة وقال يا سيدى مالى أراك متغيرا فقال له انى كنت نائما فى هذه الساعة فرأيت أبى

يعاتبني على عدم زيارتي قبره فقمت وأنا مرعوب وخفت أن يفوت النهار ولم أزره فيصعب على الامر فقال له اليهودي ياسيدي ان أباك كان أرسل مراكب تجارة وقدم منها البعض ومرادي أن أشتري منك وسق كل مركب قدمت بألف دينار ثم أخرج اليهودي كيسا ممتلئا من الذهب وعد منه ألف دينار ودفعه الى حسن ابن الوزير ثم قال له اليهودي اكتب لي ورقة واختمها فاخذ حسن ابن الوزير ورقة وكتب فيها كاتب هذه الورقة حسن بدر الدين ابن الوزير نور الدين قد باع لليهودي فلان جميع وسق كل مركب وردت من مراكب أبيه المسافرين بألف دينار وقبض الثمن على سبيل التعجيل فاخذ اليهودي الورقة وصار حسن يبكي ويتذكر ما كان فيه من العز والاقبال ثم دخل عليه الليل وأدركه النوم فنام عند قبر أبيه ولم يزل نائما حتى طلع القمر فتدحرجت رأسه عن القبر ونام على ظهره وصار وجهه يلمع في القمر وكانت المقابر عامرة بالجن المؤمنين فخرجت جنية فنظرت وجه حسن وهو نائم فلما رأته تعجبت من حسنه وجماله وقالت سبحان الله ماهذا الشاب الا كأنه من الحور العين ثم طارت الى الجو تطوف على عادتها فرأت عفريتا طائرا فسلمت عليه وسلم عليها فقالت له من أين أقبلت قال من مصر فقالت له هل لك أن تروح معي حتى تنظر الى حسن الشاب النائم في المقبرة فقال لها نعم فسارا حتى نزلا في المقبرة فقالت له هل رأيت في عمرك مثل هذا فنظر العفريت اليه وقال سبحان من لاشبيه له ولكن يا أختي ان أردت حدثتك بما رأيت فقالت له حدثني فقال لها اني رأيت مثل هذا الشاب في اقليم مصر وهي بنت الوزير وقد علم بها الملك فخطبها من أبيها الوزير شمس الدين فقال له يامولانا السلطان اقبل عذري وارحم عبرتي فانك تعرف ان أخي نور الدين خرج من عندنا ولانعلم أين هو وكان شريكي في الوزارة وسبب خروجه اني جلست أتحدث معه في شأن الزواج فغضب مني وخرج مغضبا وحكى للملك جميع ماجرى بينهما ثم قال للملك فكان ذلك سببا لغيظه وأنا حالف أن لا أزوج بنتي الا لابن أخي من يوم ولدتها أمها وذلك نحو ثمان عشرة سنة ومن مدة قريبة سمعت ان أخي تزوج بنت وزير البصرة وجاءه منها ولد وأنا لا أزوج بنتي الا له كرامة لأخي ثم اني أرخت وقت زواجي وحمل زوجتي وولادة هذه البنت وهي باسم ابن عمها والبنات كثير فلما سمع السلطان كلام الوزير غضب غضبا شديدا وقال له كيف يخطب مثلي من مثلك بنتا فتمنعها منه وتحتج بحجة باردة وحياة رأسي لأزوجها الا لأقل مني برغم أنفك وكان عند الملك سائس أحدب بحدبة من قدام وحدبة من وراء فأمر السلطان باحضاره وكتب كتابه على بنت الوزير بالقهر وأمر أن يدخل عليها في هذه الليلة ويعمل له زفافا وقد تركته وهو بين مماليك السلطان وهم حوله في أيديهم الشموع موقدة يضحكون عليه ويسخرون منه على باب الحمام وأما بنت الوزير فانها جالسة تبكي بين المنقشات والمواشط وهي أشبه الناس بهذا الشاب وقد حجروا على أبيها ومنعوه أن يحضرها وما رأيت يا أختي اقبح من هذا الاحدب وأما الصبية فهي أحسن من هذا الشاب * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة الحادية والعشرون *

قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الجني لما حكى للجنية حكاية بنت وزير مصر وان الملك كتب كتابها على السائس الاحدب وهي في غاية الحزن وانه لا أحد يشبهها في الجمال الا هذا الشاب قالت له الجنية تكذب فان هذا الشاب أحسن أهل زمانه فرد عليها العفريت وقال والله يا أختي ان الصبية أحسن من هذا ولكن لا يصلح لها الا هو فانهما مثل بعضهما ولعلهما أخوان أو ولدا عم فيا خسارتها مع هذا الاحدب فقالت له يا أخي دعنا ندخل تحته ونحمله ونروح به الى الصبية التي تقول عليها وننظر أيهما أحسن فقال العفريت سمعا وطاعة هذا كلام صواب وليس هناك أحسن من هذا الرأي الذي أخبرتيه فانا أحمله ثم انه حمله وطار به الى الجو وصارت العفريتة في ركابه تحاذيه الى أن نزل به في مدينة مصر وحطه على مصطبة ونبهه فاستيقظ من النوم فلم يجد نفسه على قبر أبيه في أرض البصرة والتفت يمينا وشمالا فلم يجد نفسه الا في مدينة غير مدينة البصرة فاراد أن يصيح فغمزه العفريت وأوقد له شمعة وقال له اعلم اني قد جئت بك وأنا اريد أن أعمل معك شيأ لله فخذ هذه الشمعة وامش بها الى ذلك الحمام واختلط بالناس ولا تزل ماشيا معهم حتى تصل الى قاعة العروسة فاسبق وادخل

القاعة ولاتخش أحدا واذا دخلت فقف على يمين العريس الاحدب وكل ماجاءك المواشط والمغنيات والمنقشات
فحط يدك في جيبك تجده ممتلئا ذهبا فاكبش وارم لهم ولا تتوهم أنك تدخل يدك ولا تجده ممتلئا بالذهب فاعط
كل من جاءك بالحفنة ولاتخش من شئ وتوكل على الذي خلقك فما هذا بحولك وقوتك بل بحول الله وقوته فلما
سمع حسن بدر الدين من العفريت هذا الكلام قال ياترى أي شئ هذه القضية وما وجه الاحسان ثم مشى وأوقد
الشمعة وتوجه الى الحمام فوجد الاحدب راكب الفرس فدخل حسن بدر الدين بين الناس وهو على تلك الحالة
مع الصورة الحسنة وكان عليه الطربوش والعمامة والفرجية المنسوجة بالذهب ومازال ماشيا في الزينة وكلما
وقفت المغنيات للناس ينقطوهن يضع يده في جيبه فيلقاه ممتلئا بالذهب فيكبش ويرمي في الطار للمغنيات
والمواشط فيملأ الطار دنانير فاندهشت عقول المغنيات وتعجب الناس من حسنه وجماله ولم يزل على هذا الحال
حتى وصلوا الى بيت الوزير فردت الحجاب الناس ومنعوهم فقالت المغنيات والمواشط والله لاندخل الا ان دخل
هذا الشاب معنا لانه غمرنا باحسانه ولانجلي العروسة الا وهو حاضر فعند ذلك دخلوا به الى قاعة الفرح وأجلسوه
برغم أنف العريس الاحدب واصطفت جميع نساء الامراء والوزراء والحجاب صفين وكل امرأة معها شمعة كبيرة
موقدة مضيئة وكلهن ملثمات وصرن صفوفا يمينا وشمالا من تحت المنصة الى صدر الليوان الذي عند المجلس
الذي تخرج منه العروسة فلما نظر النساء حسن بدر الدين وما هو فيه من الحسن والجمال ووجهه يضيء كأنه
هلال مالت جميع النساء اليه فقالت المغنيات للنساء الحاضرات اعلموا ان هذا المليح ما نقطنا الا بالذهب الاحمر فلا
تقصرن في خدمته وأطعنه فيما يقول فازدحم النساء عليه بالشمع ونظرن الى جماله فانبهرت عقولهن من حسنه
وصارت كل واحدة منهن تود أن تكون في حضنه سنة أو شهرا أو ساعة ورفعن ما كان على وجوههن من النقاب
وتحيرت منهن الالباب وقلن هنيئا لمن كان هذا الشاب له أو عليه ثم دعون على ذلك السائس الاحدب ومن كان
سببا في زواجه بهذه المليحة وكلما دعون لحسن بدر الدين دعون على ذلك الاحدب ثم ان المغنيات ضربن بالدفوف
وأقبلت المواشط وبنت الوزير بينهن وقد طيبنها وعطرنها وألبسنها وحسن شعرها ونحرها بالحلى والحلل من
لباس الملوك الاكاسرة ومن جملة ماعليها ثوب منقوش بالذهب الاحمر وفيه صور الوحوش والطيور وهو مسبول
عليها من فوق حوائجها وفي عنقها عقد يساوي الالوف قد حوى كل فص من الجوهر ماحاز مثله تبع ولاقيصر
وصارت العروسة كأنها البدر اذا أقمر في ليلة أربعة عشر ولما أقبلت كانت كأنها حورية فسبحان من خلقها
بهية وأحدق بها النساء فصرن كالنجوم وهي بينهن كالقمر اذا انجلى عنه الغيم وكان حسن بدر الدين البصري
جالسا والناس ينظرون اليه فخطرت العروسة وأقبلت وتمايلت فقام اليها السائس الاحدب ليقبلها فاعرضت
عنه وانقلبت حتى صارت قدام حسن ابن عمها فضحك الناس فلما رأوها مالت الى نحو حسن بدر الدين وحط يده
في جيبه وكبش الذهب ورمى في طار المغنيات ففرحوا وقالوا كنا نشتهي أن تكون هذه العروسة لك فتبسم هذا
كله والسائس الاحدب وحده كأنه قرد وكلما أوقدوا له الشمعة طفئت فبهت وصار قاعدا في الظلام يمقت في نفسه
وهؤلاء الناس محدقون به وتلك الشموع الموقدة بهجتها من أعجب العجاب يتحير من شعاعها أولو الالباب وأما
العروسة فانها رفعت كفيها الى السماء وقالت اللهم اجعل هذا بعلي وأرحني من هذا السائس الاحدب وصارت
المواشط تجلي العروسة الى آخر السبع خلع على حسن بدر الدين البصري والسائس الاحدب وحده فلما فرغوا
من ذلك أذنوا للناس بالانصراف فخرج جميع من كان في الفرح من النساء والاولاد ولم يبق الا حسن بدر الدين
والسائس الاحدب ثم ان المواشط أدخلن العروسة ليكشفن ما عليها من الحلى والحلل ويهيئنها للعريس فعند
ذلك تقدم السائس الاحدب الى حسن بدر الدين وقال ياسيدي آنستنا في هذه الليلة وغمرتنا باحسانك فلم لا تقوم
تروح بيتك بلا مطرود فقال له بسم الله ثم قام وخرج من الباب فلقيه العفريت فقال له قف يابدر الدين فاذا خرج
الاحدب الى بيت الراحة فادخل انت واجلس في المخدع فاذا أقبلت العروسة فقل لها أنا زوجك والملك ما عمل
تلك الحيلة الا لانه يخاف عليك من العين وهذا الذي رأيته سائس من سياسنا ثم اقبل عليها واكشف وجهها

ولاتخش بأسا من أحد فبينما بدر الدين يتحدث مع العفريت واذا بالسايس دخل بيت الراحة وقعد على الكرسي فطلع له العفريت من الحوض الذي فيه الماء في صورة فار وقال زيق فقال الاحدب ما جاء بك هنا فكبر الفار وصار كالقط ثم كبر حتى صار كلبا وقال عوه عوه فلما نظر السايس ذلك فزع وقال اخسأ يا مشؤم فكبر الكلب وانتفخ حتى صار جحشا ونهق وصرخ في وجهه هاق هاق فانزعج السايس وقال الحقوني يا أهل البيت واذا بالجحش قد كبر وصار قدر الجاموسة وسد عليه المكان وتكلم بكلام ابن آدم وقال ويلك يا أحدب يا أنتن السياس فلحق السايس البطن وقعد على الملاقي بأثوابه واشتبكت أسنانه ببعضها فقال له العفريت هل ضاقت عليك الارض فلا تتزوج الا بمعشوقتي فسكت السايس فقال له رد الجواب والا أسكنتك التراب فقال والله مالي ذنب الا أنهم غصبوني وما عرفت أن لها عشاقا من الجواميس ولكن أنا تائب الى الله ثم اليك فقال له العفريت أقسم بالله ان خرجت في هذا الوقت من هذا الموضع أو تكلمت قبل أن تطلع الشمس لاقتلنك فاذا طلعت الشمس فاخرج الى حال سبيلك ولا تعد الى هذا البيت أبدا ثم ان العفريت قبض على السايس الاحدب وقلب رأسه في الملاقي وجعلها الى أسفل وجعل رجليه الى فوق وقال له استمر هنا وأنا أحرسك الى طلوع الشمس هذا ما كان من قصة الاحدب (وأما) ما كان من قصة حسن بدر الدين البصري فانه خلى الاحدب والعفريت يختصمان ودخل البيت وجلس في داخل المخدع واذا بالعروسة أقبلت ومعها عجوز فوقفت العجوز في باب المخدع وقالت يا أبا شهاب قم وخذ عروستك وقد استودعتك الله ثم ولت العجوز ودخلت العروسة في صدر المخدع وكان اسمها ست الحسن وقلبها مكسور وقالت في قلبها والله لا أمكنه من نفسي ولو طلعت روحي فلما دخلت الى صدر المخدع نظرت بدر الدين فقالت يا حبيبي والى هذا الوقت أنت قاعد لقد قلت في نفسي لعلك أنت والسايس الاحدب مشتركان في فقال حسن بدر الدين وأي شيء أوصل السايس اليك ومن أين له أن يكون شريكي فيك فقالت ومن زوجي أأنت أم هو قال بدر الدين يا سيدتي نحن ما عملنا هذا الا مسخرة به لنضحك عليه فلما نظرت المواشط والمغنيات وأهلك حسنك البديع خافوا علينا من العين فاكتراه أبوك بعشرة دنانير حتى يصرف عنا العين وقد راح فلما سمعت ست الحسن من بدر الدين ذلك الكلام فرحت وتبسمت وضحكت ضحكا لطيفا وقالت والله لقد أطفأت ناري فبالله خذني عندك وضمني الى حضنك وكانت بلا لباس فكشفت ثوبها الى نحرها فبان ما قدامها وو راءها فلما نظر بدر الدين صفاء جسمها تحركت فيه الشهوة فقام وحل لباسه ثم حل الكيس الذهب الذي كان أخذه من اليهودي ووضع فيه ألف دينار ولفه في سرواله وحطه تحت ذيل الطراحة وقلع عمامته ووضعها على الكرسي وبقي بالقميص الرفيع وكان القميص مطرزا بالذهب فعند ذلك قامت اليه ست الحسن وجذبته اليها وجذبها بدر الدين وعانقها وأخذ رجليها في وسطه ثم ركب المدفع وحرره على القلعة وأطلقه فهدم البرج فوجدها درة ما ثقبت ومطية لغيره ما ركبت فازال بكارتها وتملى بشبابها ولم يزل يركب المدفع ويرد الى غاية خمس عشرة مرة فعلقت منه فلما فرغ بدر الدين وضع يده تحت رأسها وكذلك الاخرى وضعت يدها تحت رأسه ثم انهما تعانقا وناما متعانقين وشرحا بعناقهما مضمون هذه الابيات

زر من تحب ودع كلام الحاسد * ليس الحسود على الهوى بمساعد
لم يخلق الرحمن أحسن منظرا * من عاشقين على فراش واحد
متعانقين عليهما حلل الرضا * متوسدين بمعصم وبساعد
واذا تألفت القلوب على الهوى * فالناس تضرب في حديد بارد
واذا صفا لك من زمانك واحد * فهو المراد وعش بذاك الواحد

هذا ما كان من أمر حسن بدر الدين وست الحسن بنت عمه (وأما) ما كان من أمر العفريت فانه قال للعفريتة قومي وادخلي تحت الشاب ودعينا نوديه مكانه لئلا يدركنا الصبح فان الوقت قريب فعند ذلك تقدمت العفريتة ودخلت تحت ذيله وهو نائم وأخذته وطارت به وهو على حاله بالقميص وهو بلا لباس ومازالت العفريتة طائرة به والعفريت يحاذيها فأذن الله الملائكة ان ترمي العفريت بشهاب من نار فاحترق وسلمت العفريتة فأنزلت

بدر الدين فى موضع ما أحرق الشهاب العفريت ولم تجاوزه به خوفا عليه وكان بالامر المقدر ذلك الموضع فى دمشق
الشام فوضعته العفريتة على باب من أبوابها وطارت فلما طلع النهار وفتحت أبواب المدينة خرج الناس فنظروا
شابا مليحا بالقميص والطاقية بلا عمامة ولا لباس وهو مما قاسى من السهر غرقان فى النوم فلما رآه الناس قالوا
يا بخت من كان هذا عنده فى هذه الليلة ويا ليته صبر حتى لبس حوائجه وقال الآخر مساكين أولاد الناس لعل
هذا يكون فى هذه الساعة خرج من المسكرة لبعض شغله فقوى عليه السكر فتاه عن المكان الذى كان قصده حتى
وصل الى باب المدينة فوجده مغلقا فنام ههنا وقد خاض الناس فيه بالكلام واذا بالهوى هب على بدر الدين
فرفع ذيله من فوق بطنه فبان من تحته بطن وسرة محققة وسيقان وأفخاذ مثل البلور فصار الناس يتعجبون
فانتبه بدر الدين فوجد روحه على باب مدينة وعليها ناس فتعجب وقال أين أنا يا جماعة الخير وما سبب اجتماعكم
علىّ وما حكايتى معكم فقالوا نحن رأيناك عند أذان الصبح ملقى على هذا الباب نائما ولا نعلم من أمرك غير هذا
فأين كنت نائما هذه الليلة فقال حسن بدر الدين والله يا جماعة انى كنت نائما هذه الليلة فى مصر فقال واحد هل
أنت تأكل حشيشا وقال بعضهم أأنت مجنون كيف تكون بائتا فى مصر وتصبح نائما فى مدينة دمشق فقال لهم
والله يا جماعة الخير لم أكذب عليكم أبدا وأنا كنت البارحة بالليل فى ديار مصر وقبل البارحة كنت بالبصرة
فقال واحد هذا شئ عجيب وقال الآخر هذا شاب مجنون وصفقوا عليه بالكفوف وتحدث الناس مع بعضهم وقالوا
ياخسارة شبابه والله ما فى جنونه خلاف ثم انهم قالوا له ارجع لعقلك فقال حسن بدر الدين كنت البارحة عريسا
فى ديار مصر فقالوا لعلك حلمت ورأيت هذا الذى تقول فى المنام فتحير حسن فى نفسه وقال لهم والله ما هذا منام وأين
السايس الاحدب الذى كان قاعدا عندنا والكيس الذهب الذى كان معى وأين ثيابى ولباسى ثم قام ودخل المدينة
ومشى فى شوارعها وأسواقها فازدحمت عليه الناس وزفوه فدخل دكان طباخ وكان ذلك الطباخ رجلا مسرفا
فتاب الله عليه من الحرام وفتح له دكان طباخ وكان أهل دمشق كلهم يخافون منه بسبب شدة بأسه فلما نظر الناس
الى الشاب وقد دخل دكان الطباخ افترقوا وخافوا منه فلما نظر الطباخ الى حسن بدر الدين وشاهد حسنه وجماله
وقعت فى قلبه محبته فقال له من أين أنت يا فتى فاحك لى حكايتك فانك صرت عندى أعز من روحى فحكى له
ما جرى من المبتدا الى المنتهى فقال له الطباخ يا سيدى بدر الدين اعلم ان هذا أمر عجيب وحديث غريب ولكن
يا ولدى اكتم ما معك حتى يفرج الله ما بك واقعد عندى فى هذا المكان وأنا مالى ولد فاتخذك ولدى فقال له بدر
الدين الامر كما تريد يا عم فعند ذلك نزل الطباخ الى السوق واشترى لبدر الدين أقمشة مفتخرة وألبسه اياها وتوجه
به الى القاضى وأشهد على نفسه انه ولده وقد اشتهر حسن بدر الدين فى مدينة دمشق انه ولد الطباخ وقعد عنده فى
الدكان يقبض الدراهم وقد استقر أمره عند الطباخ على هذه الحالة هذا ما كان من أمر حسن بدر الدين (وأما)
ما كان من أمر ست الحسن بنت عمه فانه لما طلع الفجر وانتبهت من النوم لم تجد حسنا بدر الدين قاعدا عندها
فاعتقدت أنه دخل المرحاض فجلست تنتظره ساعة واذا بأبيها قد دخل عليها وهو مهموم مما جرى له من السلطان
وكيف غصبه وزوج ابنته غصبا لاحد غلمانه الذى هو السايس الاحدب وقال فى نفسه لاقتل هذه البنت ان
كانت مكنت هذا الخبيث من نفسها فمشى الى ان وصل الى المخدع ووقف على بابه وقال يا ست الحسن فقالت له نعم
يا سيدى ثم انها خرجت وهى تتمايل من الفرح وقبلت الارض بين يديه وازداد وجهها نورا وجمالا لعناقها لذلك
الغزال فلما نظرها أبوها وهى بتلك الحالة قال لها يا خبيثة هل أنت فرحانة بهذا السايس فلما سمعت ست الحسن
كلام والدها تبسمت وقالت بالله يكفى ما جرى منك والناس يضحكون علىّ ويعايرونى بهذا السايس الذى ما يجىء
فى أصبعى قلامة ظفر زوجى والله ما بت طول عمرى ليلة أحسن من ليلة البارحة التى بتها معه فلا تهزأ بى وتذكر
لى ذلك الاحدب فلما سمع والدها كلامها امتزج بالغضب وازرقت عيناه وقال لها ويلك أى شئ هذا الكلام الذى
تقولينه ان السايس الاحدب قد بات عندك فقالت بالله عليك لا تذكره لى قبحه الله وقبح أباه فلا تكثر المزاح
بذكره فما كان السايس الا مكتريا بعشرة دنانير وأخذ أجرته وراح وجئت أنا ودخلت المخدع فنظرت زوجى
قاعدا بعد ما جلتنى عليه المغنيات ونقط بالذهب الاحمر حتى أغنى الفقراء الحاضرين وقد بت فى حضن زوجى

الخفيف الروح صاحب العيون السود والحواجب المقرونة فلما سمع والدها هذا الكلام صار الضياء في وجهه
ظلاما وقال لها يا فاجرة ما هذا الذي تقولينه اين عمك فقالت له يا أبت لقد فتت كبدي لاي شيء تتغافل فهذا زوجي
الذي أخذ وجهي قد دخل بيت الراحة واني قد علقت منه فقام والدها وهو متعجب ودخل بيت الخلاء فوجد
السائس الاحدب ورأسه مغروزة في الملاقي ورجلاه مرتفعة الى فوق فبهت فيه الوزير وقال أما هذا هو الاحدب
فخاطبه فلم يرد عليه وظن الاحدب أنه العفريت * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثانية والعشرون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السائس الاحدب لما كلمه الوزير
ظن انه العفريت فلم يرد عليه لانه ظن انه لا يكلمه الا العفريت فصرخ عليه الوزير وقال له تكلم والا أقطع رأسك
بهذا السيف فعند ذلك قال الاحدب والله يا شيخ العفاريت من حين جعلتني في هذا الموضع ما رفعت رأسي فبالله
عليك ان ترفق بي فلما سمع الوزير كلام الاحدب قال له ما تقول فاني أبو العروسة وما أنا عفريت فقال ليس عمري
في يدك ولا تقدر أن تأخذ روحي فرح الى حال سبيلك قبل أن يأتيك الذي فعل بي هذه الفعال فانتم لا تزوجوني
الا معشوقة الجواميس ومعشوقة العفاريت فلعن الله من زوجني بها ولعن من كان السبب في ذلك ثم ان السائس
الاحدب صار يحدث الوزير والد العروسة ويقول لعن الله من كان السبب في ذلك فقال له الوزير قم واخرج من
هذا المكان فقال له هل أنا مجنون حتى أروح معك بغير اذن العفريت فانه قال لي اذا طلعت الشمس فاخرج ورح
الى حال سبيلك فهل طلعت الشمس أو لا فاني لا أقدر أن أطلع من موضعي الا ان طلعت الشمس فعند ذلك قال له
الوزير من أتى بك الى هذا المكان فقال اني جئت البارحة الى هنا لاقضي حاجتي وأزيل ضروري واذا بفار طلع
من وسط الماء وصاح وصار يكبر حتى بقي قدر الجاموسة وقال لي كلاما دخل في أذني فخلني ورح لعن الله العروسة
ومن زوجني بها فتقدم اليه الوزير وأخرجه من المرحاض فخرج وهو يجري وما صدق أن الشمس طلعت وطلع
الى السلطان وأخبره بما اتفق له مع العفريت وأما الوزير أبو العروسة فانه دخل البيت وهو حائر العقل في أمر ابنته
فقال يا بنتي اكشفي لي عن خبرك فقالت ان الظريف الذي كنت أتجلى عليه بات عندي البارحة وأزال بكارتي
وعلقت منه وان كنت لم تصدقني فهذه عمامته بلفتها على الكرسي ولباسه تحت الفراش وفيه شيء ملفوف لم
أعرف ما هو فلما سمع والدها هذا الكلام دخل المخدع فوجد عمامة حسن بدر الدين ابن أخيه ففي الحال أخذها
في يده وقلبها وقال هذه عمامة وزراء الا أنها موصلية ثم نظر الى حرز مخيط في طربوشه فأخذه وفتقه وأخذ اللباس
فوجد الكيس الذي فيه ألف دينار ففتحه فوجد فيه ورقة فقرأها فوجد مبايعة اليهودي واسم حسن بدر الدين
ابن نور الدين البصري ووجد الالف دينار فلما قرأ شمس الدين الورقة صرخ صرخة وخر مغشيا عليه فلما أفاق
وعلم مضمون القصة تعجب وقال لا اله الا الله القادر على كل شيء وقال يا بنتي هل تعرفين من الذي أخذ وجهك
قالت لا قال انه ابن أخي وهو ابن عمك وهذه الالف دينار مهرك فسبحان الله فليت شعري كيف اتفقت هذه القضية
ثم فتح الحرز المخيط فوجد فيه ورقة مكتوبا فيها بخط أخيه نور الدين المصري أبي حسن بدر الدين فلما نظر خط
أخيه أنشد هذين البيتين

أرى آثارهم فأذوب شوقا * وأسكب في مواطنهم دموعي
وأسأل من بفرقتهم رماني * يمن علي يوما بالرجوع

فلما فرغ من الشعر قرأ الحرز فوجد فيه تاريخ زواجه بنت وزير البصرة وتاريخ دخوله بها وتاريخ عمره الى
حين وفاته وتاريخ ولادة ولده حسن بدر الدين فتعجب واهتز من الطرب وقابل ما جرى لاخيه على ما جرى له
فوجده سواء بسواء وزواجه وزواج الآخر موافقين تاريخا ودخولهما بزوجتيهما متوافقا وولادة حسن بدر الدين
ابن أخيه وولادة بنته ست الحسن متوافقين فأخذ الورقتين وطلع بهما الى السلطان وأعلمه بما جرى من أول الامر
الى آخره فتعجب الملك وأمر أن يؤرخ هذا الامر في الحال ثم أقام الوزير ينتظر ابن أخيه فما وقع له على خبر فقال
والله لاعملن عملا ما سبقني اليه أحد * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثالثة والعشرون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير قال والله لاعملن عملا ما سبقني

اليه أحد ثم أخذ دواة وقلما وكتب فيه أمتعة البيت وان الخشخانة في موضع كذا والستارة الفلانية في موضع كذا وكتب جميع ما في البيت ثم طوى الكتاب وأمر بخزن جميع الأمتعة وأخذ العمامة والطربوش وأخذ معه الفرجية والكيس وحفظهما عنده وأما بنت الوزير فانها لما كملت أشهرها ولدت ولدا مثل القمر يشبه والده من الحسن والكمال والبهاء والجمال فقطعوا سرته وكحلوا مقلته وسلموه الى المرضعات وسموه عجيبا فصار يومه بشهر وشهره بسنة فلما مر عليه سبع سنين أعطاه جده لفقيه ووصاه أن يربيه ويحسن تربيته فأقام في المكتب أربع سنوات فصار يقاتل أهل المكتب ويسبهم ويقول لهم من فيكم مثلي أنا ابن وزير مصر فقامت الاولاد واجتمعوا يشكون الى العريف مما قاسوه من عجيب فقال لهم العريف أنا أعلمكم شيأ تقولون له لما يجيء فيتوب عن المجيء للمكتب وذلك أنه اذا جاء غدا فاقعدوا حوله وقولوا لبعضكم والله ما يلعب معنا هذه اللعبة الامن يقول لنا على اسم أمه واسم أبيه ومن لم يعرف اسم أمه واسم أبيه فهو ابن حرام فلا يلعب معنا فلما أصبح الصباح أتوا الى المكتب وحضر عجيب فاحتاطت به الاولاد وقالوا نحن نلعب لعبة ولكن ما يلعب معنا الامن يقول لنا على اسم أمه واسم أبيه واتفقوا على ذلك فقال واحد منهم اسمي ماجد وأمي علوى وأبي عزالدين وقال الآخر مثل قوله وقال الآخر كذلك الى أن جاء الدور الى عجيب فقال أنا اسمي عجيب وأمي ست الحسن وأبي شمس الدين الوزير بمصر فقالوا له والله ان الوزير ما هو أبوك فقال لهم عجيب الوزير أبي حقيقة فعند ذلك ضحكت عليه الاولاد وصفقوا عليه وقالوا أنت ما تعرف لك أبا فقم من عندنا فلا يلعب معنا الامن يعرف اسم أبيه وفي الحال تفرق الاولاد من حوله وتضاحكوا عليه فضاق صدره وانخنق بالبكاء فقال له العريف هل تعتقد أن أباك جدك الوزير أبو أمك ست الحسن ان أباك ما تعرفه أنت ولا نحن لان السلطان كان زوجها للسايس الاحدب وجاءت الجن فناموا عندها فان لم تعرف لك أبا يجعلوك بينهم ولدزنا ألا ترى أن ابن البائع يعرف أباه فوزير مصر انما هو جدك وأما أبوك فلا نعرفه نحن ولا أنت فارجع لعقلك فلما سمع ذلك الكلام قام من ساعته ودخل على والدته ست الحسن وصار يشكو لها وهو يبكي ومنعه البكاء من الكلام فلما سمعت أمه كلامه وبكاءه التهب قلبها عليه وقالت له يا ولدي ما الذي أبكاك فاحك لي قصتك فحكى لها ما سمعه من الاولاد ومن العريف وقال يا والدتي من هو أبي قالت له أبوك وزير مصر فقال لها ليس هو أبي فلا تكذبي علي فان الوزير أبوك أنت لا أبي أنا فمن هو أبي فان لم تخبريني بالصحيح قتلت روحي بهذا الخنجر فلما سمعت والدته ذكر أبيه بكت لذكر ولد عمها وتذكرت محاسن حسن بدر الدين البصري وما جرى لها معه وأنشدت هذه الأبيات

أهاجوا الحب في قلبي وساروا * وقد شطت بهم تلك الديار
وبان العقل مني حيث بانوا * وفارقني هجوع واصطبار
وقد سار وافارقني سروري * وقد عدم القرار فلا قرار
وأجروا بالفراق دموع عيني * فادمعها تجاريها البحار
اذا ما اشتقت يوما ان أراهم * وزاد لهم حنين وانتظار
مثلت شخصهم في وسط قلبي * غرام واشتياق واذكار

أيا من ذكرهم أضحى دثاري * وما لي غير حبهم شعار * أحبتنا الى كم ذا التمادي * وكم هذا التباعد والنفار

ثم بكت وصرخت وكذلك ولدها واذا بالوزير دخل فلما نظر الى بكائهما احترق قلبه وقال ما يبكيكما فأخبرته بما اتفق لولدها مع صغار المكتب فبكى الآخر ثم تذكر أخاه وما اتفق له معه وما اتفق لابنته ولم يعلم بما في باطن الامر ثم قام الوزير في الحال ومشى حتى طلع الى الديوان ودخل على الملك وأخبره بالقصة وطلب منه الاذن بالسفر الى الشرق ليقصد مدينة البصرة ويسأل عن ابن أخيه وطلب من السلطان أن يكتب له مراسيم لسائر البلاد اذا وجد ابن أخيه في أي موضع يأخذه ثم بكى بين يدي السلطان فرق له قلبه وكتب له مراسيم لسائر الأقاليم والبلاد ففرح بذلك ودعا للسلطان وودعه ونزل في الحال وتجهز للسفر وأخذ ما يحتاج اليه وأخذ ابنته وولدها عجيبا وسافر أول يوم وثاني يوم وثالث يوم حتى وصل الى مدينة دمشق فوجدها ذات أشجار وأنهار كما قال الشاعر

من بعد يوم فى دمشق وليلتى * حلف الزمان بمثلها لا يغلط
بتنا وجنح الليل فى غفلاته * ومن الصباح عليه فرع أشمط
والطل فى تلك الغصون كأنه * درّ يصافحه النسيم فيسقط
والطير يقرأ والغدير صحيفة * والريح تكتب والغمام ينقط

فنزل الوزير فى ميدان الحصباء ونصب خيامه وقال لغلمانه نأخذ الراحة هنا يومين فدخل الغلمان المدينة لقضاء حوائجهم هذا يبيع وهذا يشترى وهذا يدخل الحمام وهذا يدخل جامع بنى أمية الذى ما فى الدنيا مثله ودخل المدينة عجيب هو وخادمه يتفرجان والخادم يمشى خلف عجيب وفى يده سوط لو ضرب به جملا لسقط ولم يقم فلما نظر أهل دمشق الى عجيب وقده واعتداله وبهائه وكماله بديع الجمال رخيم الدلال ألطف من نسيم الشمال وأحلى للظمآن من الماء الزلال والذ من العافية لصاحب الاعتلال فلما رآه أهل دمشق تبعوه وصارت الخلق تجرى وراءه وتتبعه وتقعد فى الطريق حتى يجىء عليهم وينظرونه الى أن وقف العبد بالامر المقدر على دكان أبيه حسن بدر الدين الذى أجلسه فيه الطباخ الذى اعترف عند القضاة والشهود أنه ولده فلما وقف عليه العبد فى ذلك اليوم وقف معه الخادم فنظر حسن بدر الدين الى ولده فأعجبه حين وجده فى غاية الحسن فحن اليه فؤاده وتعلق به قلبه وكان قد طبخ حب رمان محلى واشتدت به المحبة الالهية فنادى من الوجد وقال يا سيدى يا من ملك قلبى وفؤادى وحن اليه كبدى هل لك أن تدخل عندى وتجبر قلبى وتأكل من طعامى ثم فاضت عيناه بالدموع من غير اختياره وتذكر ما كان فيه فيما مضى وما هو فيه فى تلك الساعة فلما سمع عجيب كلام أبيه حن اليه قلبه والتفت الى الخادم وقال له ان هذا الطباخ حن قلبى اليه وكأنه قد فارق ولدا له فادخل بنا عنده لنجبر قلبه ونأكل ضيافته لعل الله يجمع شملنا بأبينا بجبرنا خاطره فلما سمع الخادم كلام سيده عجيب قال والله يا سيدى لا ينبغى كيف تكون ولد الوزير وتأكل فى دكان الطباخ ولكن أنا أحجب الناس عنك بهذه العصا خوفا أن ينظروا اليك والا فما يمكنك أن تدخل الدكان أبدا فلما سمع حسن بدر الدين كلام الخادم تعجب والتفت الى الخادم وقد سالت دموعه على خدوده وقال له ان قلبى أحبه فقال له الخادم دعنا من هذا الكلام ولا تدخل فعند ذلك التفت أبو عجيب للخادم وقال له يا كبير لأى شىء لا تجبر خاطرى وتدخل عندى يا من كأنه قسطل أسود وقلبه أبيض يا من قال فيه بعض واصفيه كذا وكذا من المدح حتى ضحك الخادم وقال أى شىء تقول فبالله قل وأوجز فانشد فى الحال هذين البيتين

لولا تأدبه وحسن ثقاته * ما كان فى دار الملوك محكما
وعلى الحريم فيا له من خادم * من حسنه خدمته أملاك السما

فتعجب الخادم من هذا الكلام وأخذ عجيبا ودخل دكان الطباخ فغرف حسن بدر الدين زبدية من حب الرمان وكانت بلوز وسكر فأكلوا سواء فقال لهم حسن بدر الدين آنستمونا كلوا هنيئا مريئا ثم ان عجيبا قال لوالده اقعد كل معنا لعل الله يجمع بيننا وبين من نريد فقال حسن بدر الدين يا ولدى هل بليت على صغر سنك بفرقة الاحباب فقال عجيب نعم يا عم حرق قلبى بفراق الاحباب والحبيب الذى فارقنى هو والدى وقد خرجت أنا وجدى نطوف عليه البلاد فواحسرتاه على جمع شملى به وبكى بكاء شديدا وبكى والده لبكائه وتذكر فرقة الاحباب وبعده عن والده ووالدته فحن له الخادم وأكلوا جميعا الى أن اكتفوا ثم بعد ذلك قاموا وخرجا من دكان حسن بدر الدين فأحس ان روحه فارقت جسده وراحت معهم فما قدر أن يصبر عنهم لحظة واحدة فقفل الدكان وتبعهم وهو لا يعلم أنه ولده وأسرع فى مشيه حتى لحقهم قبل أن يخرجوا من الباب الكبير فالتفت الطواشى وقال له ما لك يا طباخ فقال حسن بدر الدين لما نزلتم من عندى كأن روحى خرجت من جسمى ولى حاجة فى المدينة خارج الباب فأردت أن أرافقكم حتى أقضى حاجتى وأرجع فغضب الطواشى وقال لعجيب ان هذه أكلة مشؤمة وصارت علينا مكرمة وها هو تابعنا من موضع الى موضع فالتفت عجيب فرأى الطباخ فاغتاظ واحمر وجهه وقال للخادم دعه يمشى فى طريق المسلمين فاذا خرجنا الى خيامنا وخرج معنا وعرفنا أنه يتبعنا نطرده فأطرق رأسه ومشى والخادم وراءه فتبعهم حسن بدر الدين الى ميدان الحصباء وقد قربوا من الخيام فالتفتوا ورأوه خلفهم فغضب عجيب وخاف من الطواشى ان يخبر جده فانزعج بالغضب مخافة ان يقولوا انه دخل دكان الطباخ وان الطباخ تبعه فالتفت حتى صارت عيناه فى عين أبيه وقد بقى جسدا بلا روح ورأى عجيب عينه كأنها عين خائن وربما كان ولد زنا فازداد غضبا فأخذ حجرا

وضربه به والده فوقع الحجر في جبينه فبطحه فوقع حسن بدر الدين مغشيا عليه وسال الدم على وجهه وسار عجيب هو والخادم الى الخيام وأما حسن بدر الدين فانه لما أفاق مسح دمه وقطع قطعة من عمامته وعصب بها رأسه ولام نفسه وقال أنا ظلمت الصبي حيث غلقت دكاني وتبعته حتى ظن اني خائن ثم رجع الى الدكان واشتغل ببيع طعامه وصار مشتاقا الى والدته التي في البصرة ويبكي عليها وأنشد هذين البيتين

لا تسأل الدهر انصافا فتظلمه * فلست فيه ترى يا صاح انصافا
خذ ما تيسر وازو الهم ناحية * لابد من كدر فيه وان صافى

ثم ان حسن بدر الدين استمر مشتغلا ببيع طعامه وأما الوزير عمه فانه أقام في دمشق ثلاثة أيام ثم رحل متوجها الى حمص فدخلها ثم رحل عنها وصار يفتش في طريقه أينما حل وجهه في سيره الى ان وصل الى ماردين والموصل وديار بكر ولم يزل سائرا الى مدينة البصرة فدخلها فلما استقر به المنزل دخل الى سلطانها واجتمع به فاحترمه وأكرم منزله وسأله عن سبب مجيئه فأخبره بقصته وان أخاه الوزير علي نور الدين فترحم عليه السلطان وقال أيها الصاحب انه كان وزيري وكنت أحبه كثيرا وقد مات من مدة خمسة عشر عاما وخلف ولدا وقد فقدناه ولم نطلع له على خبر غير ان أمه عندنا لانها بنت وزيري الكبير فلما سمع الوزير شمس الدين من الملك ان أم ابن أخيه طيبة فرح وقال يا ملك اني أريد أن أجتمع بها فأذن له في الحال أن ينزل عندها في دار أخيه فنزل نور الدين ودخل عندها في دار أخيه وجال بطرفه في نواحيها وقبل أعتابها وتذكر أخاه نور الدين عليا وكيف مات غريبا وهو مشتاق اليه فبكى وأنشد

أمر على الديار ديار ليلى * أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي * ولكن حب من سكن الديارا

ثم دخل من الباب الى فسحة عظيمة فوجد بابا مقوصرا معقودا بالحجر الصوان مجزعا بأنواع الرخام من سائر الألوان فمشى في نواحي الدار ونظرها وجال بطرفه فيها فوجد اسم أخيه نور الدين مكتوبا بالذهب على جدرانها فأتى الى الاسم وقبله وبكى وأحرقه فراقه فأنشد هذه الأبيات

أستخبر الشمس عنكم كلما طلعت * وأسأل البرق عنكم كلما لمعا * أبيت والشوق يطويني وينشرني في راحتيه ولا أشكو له وجعا * أحبابنا ان يكن طال المدى فلكم * قد قطع القلب مني بعدكم قطعا

فلو مننتم على طرفي برؤيتكم * لكان أحسن شيء بيننا وقعا
لا تحسبوا أنني بالغير مشتغل * ان الفؤاد لحب الغير ما وسعا

ثم انه صار يمشي الى أن وصل الى قاعة زوجة أخيه أم حسن بدر الدين البصري وكانت في مدة غيبة ولدها قد لزمت البكاء والنحيب بالليل والنهار فلما طالت عليها المدة عملت لولدها قبرا من الرخام في وسط القاعة وصارت تبكي عليه ليلا ونهارا ولا تنام الا عند ذلك القبر فلما وصل الى مسكنها سمع حسها فوقف خلف الباب فسمعها تنشد على القبر هذين البيتين

بالله يا قبر هل زالت محاسنه * وهل تغير ذاك المنظر النضر
يا قبر لا أنت بستان ولا فلك * فكيف يجمع فيك الغصن والقمر

فبينما هي كذلك واذا بالوزير شمس الدين قد دخل عليها وسلم عليها وأعلمها انه أخو زوجها ثم أخبرها بما جرى وكشف لها عن القصة وان ابنها حسن بدر الدين بات عند ابنته ليلة كاملة ثم فقد عند الصباح وقال لها ان ابنتي حملت من ولدك وولدت ولدا وهو معي وانه ولدك وولد ولدك من ابنتي فلما سمعت خبر ولدها وانه حي ورأت أخا زوجها قامت اليه ووقعت على قدميه وقبلتهما وأنشدته هذين البيتين

لله در مبشري بقدومهم * فلقد أتى بأطايب المسموع لو كان يقنع بالخليع وهبته * قلبا تقطع ساعة التوديع
ثم ان الوزير أرسل الى عجيب ليحضره فلما حضر قامت له جدته واعتنقته وبكت فقال لها شمس الدين ما هذا وقت بكاء بل هذا وقت تجهيزك للسفر معنا الى ديار مصر عسى الله أن يجمع شملنا وشملك بولدك ابن أخي فقالت سمعا وطاعة ثم قامت من وقتها وجمعت جميع أمتعتها وذخائرها وجواريها وتجهزت في الحال ثم طلع الوزير شمس الدين الى سلطان البصرة وودعه فبعث معه هدايا وتحفا الى سلطان مصر وسافر من وقته هو وزوجة أخيه

ولم يزل سائراً حتى وصل الى مدينة دمشق فنزل على القانون وضرب الخيام وقال لمن معه انا نقيم بدمشق جمعة الى أن نشتري للسلطان هدايا وتحفا ثم قال عجيب للطواشي يا غلام اني اشتقت الى الفرجة فقم بنا ننزل الى سوق دمشق ونعتبر أحوالها وننظر ماجرى لذلك الطباخ الذى قد كنا أكلنا طعامه وشججنا رأسه مع أنه قد كان أحسن الينا ونحن أسأناه فقال الطواشي سمعا وطاعة ثم ان عجيبا خرج من الخيام هو والطواشي وحركته القرابة الى التوجه لوالده ودخلا مدينة دمشق ومازالا سائرين الى أن وصلا الى دكان الطباخ فوجداه واقفا في الدكان وكان ذلك قبل العصر وقد وافق الامر أنه طبخ حب رمان فلما قربا منه ونظره عجيب حن اليه قلبه ونظر الى أثر الضربة بالحجر في جبينه فقال السلام عليك ياهذا اعلم ان خاطري عندك فلما نظر اليه حسن بدر الدين تعلقت أحشاؤه به وخفق فؤاده اليه وأطرق برأسه الى الارض وأراد أن يدير لسانه في فمه فما قدر على ذلك ثم رفع رأسه الى ولده خاضعا متذللا اليه وأنشد هذه الأبيات

تمنيت من أهوى فلما رأيته * ذهلت فلم أملك لسانا ولا طرفا * وأطرقت اجلالا له ومهابة
وحاولت اخفاء الذى بي فلم يخف * وكنت معدا للعتاب صحائفا * فلما اجتمعنا ما وجدت ولا حرفا

ثم قال لهما اجبرا قلبي وكلا من طعامي فوالله مانظرت اليك أيها الغلام الاحن قلبي اليك وما كنت تبعتك الاوأنا بغير عقل فقال عجيب والله انك محب لنا ونحن أكلنا عندك لقمة فلازمتنا عقبها وأردت أن تهتكنا ونحن لانأكل لك أكلا الابشرط أن تحلف أنك لاتخرج وراءنا ولا تتبعنا والالانعود اليك من وقتنا هذا فنحن مقيمون في هذه المدينة جمعة حتى يأخذ جدي هدايا للملك فقال بدر الدين لكم على ذلك فدخل عجيب هو والخادم في الدكان فقدم لهما زبدية ممتلئة حب رمان فقال عجيب كل معنا لعل الله يفرج عنا ففرح حسن بدر الدين وأكل معهم وهو لم يغض طرفه عن النظر في وجهه وقد تعلق به قلبه وصارت كل جوارحه معه فقال له عجيب ألم تعلم اني قلت لك انك عاشق ثقيل فحسبك لاتطل النظر الى والى وجهي فلما سمع حسن بدر الدين كلامه أنشد هذه الأبيات

لك في القلوب سريرة لاتظهر * مطوية وحديثها لاينشر

يافاضح القمر المنير بحسنه * وبوجهه افتضح الصباح المسفر * لى في سنائك أمارة لاتنقضى
ومعاهد أبدا تزيد وتكثر * فاذوب من حرقي وجهك جنتي * وأموت من ظمئي وريقك كوثر

فصار حسن بدر الدين يلقم عجيبا ساعة ويلقم الطواشي ساعة وكب على أيديهما الماء حتى غسلا وحل فوطة حرير من وسطه فمسح أيديهما بها ورش عليهما ماء الورد من قمقم كان عنده وخرج من الدكان ثم عاد بقلتين من شربات ممزوجة بماء الورد المسك وقدمهما بين أيديهما وقال لهما تمما احسانكما فأخذ عجيب وشرب وناول الخادم ولازالا يشربان حتى امتلأت بطونهما وشبعا شبعا على خلاف عادتهما ثم انصرفا وأسرعا في مشيهما حتى وصلا الى خيامهما ودخل عجيب على جدته أم والده حسن بدر الدين فقبلته وتذكرت ولدها حسن بدر الدين فتنهدت وبكت ثم انها أنشدت هذين البيتين

لولم أرج بأن الشمل يجتمع * ما كان لى في حياتي بعدكم طمع
أقسمت مافي فؤادي غير حبكم * والله ربي على الاسرار مطلع

ثم قالت لعجيب ياولدي أين كنت قال في مدينة دمشق فعند ذلك قامت وقدمت له زبدية طعام من حب الرمان وكان قليل الحلاوة وقالت للخادم اقعد مع سيدك فقال الخادم في نفسه والله مالنا شهية في الاكل ثم جلس الخادم وأما عجيب فانه لما جلس كان بطنه ممتلئا بما أكل وشرب فأخذ لقمة وغمسها في حب الرمان وأكلها فوجده قليل الحلاوة لانه كان شبعانا فتضجر وقال أى شئ هذا الطعام الوحش فقالت جدته ياولدي أتعيب طبيخي وأنا طبخته ولا أحد يحسن الطبيخ مثلي الا والدك حسن بدر الدين فقال عجيب والله ياسيدتي ان طبيخك هذا غير متقن نحن في هذه الساعة رأينا في المدينة طباخا طابخ حب رمان ولكن رائحته ينفتح لها القلب وأما طعامه فانه يشهى نفس المتخوم ان تأكل وأما طعامك بالنسبة اليه فانه لايساوى كثيرا ولاقليلا فلما سمعت جدته كلامه اغتاظت غيظا شديدا ونظرت الى الخادم * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الرابعة والعشرون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان جدة عجيب لما سمعت كلامه اغتاظت

ونظرت الى الخادم وقالت له ويلك هل أنت أفسدت ولدي لانك دخلت به الى دكاكين الطباخين فخاف الطواشي وأنكر وقال ما دخلنا الدكان ولكن جزنا جوازا فقال عجيب والله لقد دخلنا وأكلنا وهو أحسن من طعامك فقامت جدته وأخبرت أخاز وجها وأغرته على الخادم فحضر الخادم قدام الوزير فقال له لم دخلت بولدي دكان الطباخ فخاف الخادم وقال ما دخلنا فقال عجيب بل دخلنا وأكلنا من حب الرمان حتى شبعنا وسقانا الطباخ شرابا بثلج وسكر فازداد غضب الوزير على الخادم وسأله فأنكر فقال له الوزير ان كان كلامك صحيحا فاقعد وكل قدامنا فعند ذلك تقدم الخادم وأراد أن يأكل فلم يقدر ورمى اللقمة وقال يا سيدي اني شبعان من البارحة فعرف الوزير انه أكل عند الطباخ فأمر الجواري أن يطرحنه فطرحنه ونزل عليه بالضرب الوجيع فاستغاث وقال يا سيدي اني شبعان من البارحة ثم منع عنه الضرب وقال له انطق بالحق فقال اعلم اننا دخلنا دكان الطباخ وهو يطبخ حب الرمان فغرف لنا منه والله ما أكلت عمري مثله ولا رأيت أقبح من هذا الذي قدامنا فغضبت أم حسن بدر الدين وقالت لابد ان تذهب الى هذا الطباخ وتجيء لنا بزبدية حب رمان من الذي عنده وتريه لسيدك حتى يقول أيهما أحسن وأطيب فقال الخادم نعم ففي الحال أعطته زبدية ونصف دينار فمضى الخادم حتى وصل الى الدكان وقال للطباخ نحن تراهنا على طعامك في بيت سيدنا لان هناك حب رمان طبخه أهل البيت فهات لنا بهذا النصف دينار وأدر بالك في طهيه وأتقنه فقد أكلنا الضرب الموجع على طبيخك فضحك حسن بدر الدين وقال والله ان هذا الطعام لا يحسنه أحد الا أنا ووالدتي وهي الآن في بلاد بعيدة ثم انه غرف الزبدية وأخذها وختمها بالمسك وماء الورد فأخذها الخادم وأسرع بها حتى وصل اليهم فأخذتها والدة حسن وذاقتها ونظرت حسن طعمها وجودته فعرفت طباخها فصرخت ثم وقعت مغشيا عليها فبهت الوزير من ذلك ثم رشوا عليها ماء الورد وبعد ساعة أفاقت وقالت ان كان ولدي في الدنيا فما طبخ حب الرمان هذا الا هو وهو ولدي حسن بدر الدين لا شك فيه ولا محالة لان هذا طعامه وما أحد يطبخه غيره الا أنا لاني علمته طبيخه فلما سمع الوزير كلامها فرح فرحا شديدا وقال واشوقاه الى رؤية ابن أخي أترى تجمع الأيام شملنا وما نطلب الاجتماع به الا من الله تعالى ثم ان الوزير قام من وقته وساعته وصاح على الرجال الذين معه وقال يمضي منكم عشرون رجلا الى دكان الطباخ ويهدمونها ويكتفونه بعمامته ويجرونه غصبا الى مكاني من غير اذى يحصل له فقالوا له نعم ثم ان الوزير ركب من وقته وساعته الى دار السعادة واجتمع بنائب دمشق وأطلعه على الكتب التي معه من السلطان فوضعها على رأسه بعد تقبيلها وقال من هو غريمك قال رجل طباخ ففي الحال أمر حجابه أن يذهبوا الى دكانه فذهبوا فرأوها مهدومة وكل شيء فيها مكسور لانه لما توجه الى دار السعادة فعلت جماعته ما أمرهم به وصاروا منتظرين مجيء الوزير من دار السعادة وحسن بدر الدين يقول في نفسه يا ترى أي شيء رأوا في حب الرمان حتى صار الى هذا الامر فلما حضر الوزير من عند نائب دمشق وقد أذن له في أخذ غريمه وسفره به فلما دخل الخيام طلب الطباخ فأحضروه مكتفا بعمامته فلما نظر حسن بدر الدين الى عمه بكى بكاء شديدا وقال يا مولاي ما ذنبي عندكم فقال له أنت الذي طبخت حب الرمان قال نعم فهل وجدتم فيه شيئا يوجب ضرب الرقبة فقال له الوزير هذا أقل جزائك فقال له يا سيدي أما توقفني على ذنبي فقال له الوزير نعم في هذه الساعة ثم ان الوزير صرخ على الغلمان وقال هاتوا الجمال وأخذوا حسن بدر الدين معهم وأدخلوه في صندوق وقفلوا عليه وساروا ولم يزالوا سائرين الى أن أقبل الليل فحطوا وأكلوا شيئا من الطعام وأخرجوا حسن بدر الدين فأطعموه وأعادوه الى الصندوق ولم يزالوا كذلك حتى وصلوا الى مكان فأخرجوا حسن بدر الدين من الصندوق وقال له هل أنت الذي طبخت حب الرمان قال نعم يا سيدي فقال الوزير قيدوه فقيدوه وأعادوه الى الصندوق وساروا الى أن وصلوا الى مصر وقد نزلوا في الزيدانية فأمر باخراج حسن بدر الدين من الصندوق وأمر باحضار نجار وقال اصنع لهذا لعبة خشب فقال حسن بدر الدين وما تصنع بها فقال أصلبك وأسمرك فيها ثم أدور بك المدينة كلها فقال على أي شيء تفعل بي ذلك فقال الوزير على عدم اتقان طبيخك حب الرمان كيف طبخته وهو ناقص فلفلا فقال له وهل لكونه ناقصا فلفلا تصنع معي هذا كله أما كفاك حبسي وكل يوم تطعموني أكلة

واحدة فقال له الوزير من أجل كونه ناقص فلفل ما جزاؤك الا القتل فتعجب حسن بدر الدين وحزن على روحه وصار يتفكر في نفسه فقال له الوزير في أي شئ تتفكر فقال له في العقول السخيفة التي مثل عقلك فانه لو كان عندك عقل ما كنت فعلت معي هذه الفعال لاجل نقص الفلفل فقال له الوزير يجب علينا ان نؤدبك حتى لا تعود لمثله فقال حسن بدر الدين ان الذي فعلته معي أقل شئ فيه أدبي فقال لا بد من صلبك وكل هذا والنجار يصلح الخشب وهو ينظر اليه ولم يزالوا كذلك الى أن أقبل الليل فأخذه عمه ووضعه في الصندوق وقال في غد يكون صلبك ثم صبر عليه حتى عرف أنه نام فقام وركب وأخذ الصندوق قدامه ودخل المدينة وسار الى أن دخل بيته ثم قال لابنته ست الحسن الحمد لله الذي جمع شملك بابن عمك قومي وافرشي البيت مثل فرشه ليلة الجلاء فأمرت الجواري بذلك فقمن وأوقدن الشمع وقد أخرج الوزير الورقة التي كتب فيها أمتعة البيت ثم قرأها وأمرأن يضعوا كل شئ في مكانه حتى ان الرائي اذا رأى ذلك لا يشك في أنها ليلة الجلاء بعينها ثم ان الوزير أمر أن تحط عمامة حسن بدر الدين في مكانها الذي حطها فيه بيده وكذلك السروال والكيس الذي تحت الطراحة ثم ان الوزير أمر ابنته أن تخفف نفسها كما كانت ليلة الجلاء وتدخل المخدع وقال لها اذا دخل عليك ابن عمك فقولي له قد أبطأت عليّ في دخولك بيت الخلاء ودعيه يبيت عندك وتحدثي معه الى النهار وكتب هذا التاريخ ثم ان الوزير أخرج بدر الدين من الصندوق بعد أن فك القيد من رجليه وخلع ما عليه من الثياب وصار بقميص النوم وهو رفيع من غير سروال كل هذا وهو نائم لا يعرف بذلك ثم انتبه بدر الدين من النوم فوجد نفسه في دهليز نير فقال في نفسه هل أنا في أضغاث أحلام أو في اليقظة ثم قام بدر الدين فمشى قليلا الى باب ثان ونظر واذا هو في البيت الذي انجلت فيه العروسة ورأى المخدع والسرير ورأى عمامته وحوائجه فلما نظر ذلك بهت وصار يقدم رجلا ويؤخر أخرى وقال في نفسه هل هذا في المنام أو في اليقظة وصار يمسح جبينه ويقول وهو متعجب والله ان هذا مكان العروسة التي انجلت فيه عليّ فاني أنا كنت في صندوق فبينما هو يخاطب نفسه واذا بست الحسن رفعت طرف الناموسية وقالت له يا سيدي أما تدخل فانك أبطأت عليّ في بيت الخلاء فلما سمع كلامها ونظر الى وجهها ضحك وقال ان هذه أضغاث أحلام ثم دخل وتنهد وتفكر فيما جرى له وتحير في أمره وأشكلت عليه قضيته ولما رأى عمامته وسرواله والكيس الذي فيه الالف دينار قال الله أعلم اني في أضغاث أحلام وصار من فرط التعجب متحيرا فعند ذلك قالت له ست الحسن ما لي أراك متعجبا متحيرا ما كنت هكذا في أول الليل فضحك وقال كم عام لي غائب عنك فقالت له سلامتك اسم الله حواليك أنت انما خرجت الى الكنيف لتقضي حاجة وترجع فأي شئ جرى في عقلك فلما سمع بدر الدين ذلك ضحك وقال لها صدقت ولكنني لما خرجت من عندك غلبني النوم في بيت الراحة فحلمت أني كنت طباخا في دمشق وأقمت بها عشر سنين وكأنه جاءني صغير من أولاد الاكابر ومعه خادم وحصل من أمره كذا وكذا ثم ان حسن بدر الدين مسح بيده على جبينه فرأى أثر الضرب عليه فقال والله يا سيدتي كأنه حق لانه ضربني على جبيني فشجه فكأنه في اليقظة ثم قال لعل هذا المنام حصل حين تعانقت أنا وأنت ونمنا فرأيت في المنام كأني سافرت الى دمشق بلا طربوش ولا عمامة ولا سروال وعملت طباخا ثم بت ساعة وقال والله كأني رأيت اني طبخت حب رمان وفلفله قليل والله ما كأني الا نمت في بيت الراحة فرأيت هذا كله في المنام فقالت له ست الحسن بالله عليك أي شئ رأيته زيادة على ذلك فحكى لها جميع ما رآه ثم قال والله لولا اني انتبهت لكانوا صلبوني على لعبة خشب فقالت له على أي شئ فقال على قلة الفلفل في حب الرمان ورأيت كأنهم أخربوا دكاني وكسروا مواعيني وحطوني في صندوق وجاؤا بالنجار يصنع لي لعبة من خشب لانهم أرادوا صلبي عليها فالحمد لله الذي جعل لي ذلك كله في المنام ولم يجعله في اليقظة فضحكت ست الحسن وضمته الى صدرها وضمها الى صدره ثم تذكر وقال والله ما كأنه الا في اليقظة فأنا ما عرفت أي شئ الخبر ولا حقيقة الحال ثم انه نام وهو متحير في أمره فتارة يقول رأيته في المنام وتارة يقول رأيته في اليقظة ولم يزل كذلك الى الصباح ثم دخل عليه عمه الوزير شمس الدين فسلم عليه فنظر له حسن بدر الدين وقال بالله عليك أما أنت الذي أمرت بتكتيفي وتسمير دكاني من شأن حب الرمان لكونه قليل الفلفل فعند ذلك قال الوزير اعلم يا ولدي انه ظهر الحق وبان ما كان مختفيا أنت ابن أخي

وما فعلت ذلك حتى تحققت انك الذي دخلت على بنتي تلك الليلة وما تحققت ذلك حتى رأيتك عرفت البيت وعرفت عمامتك وسروالك وذهبك والورقتين التي كتبتها بخطك والتي كتبها والدك أخي فاني ما رأيتك قبل ذلك وما كنت أعرفك وأما امك فاني جئت بها معي من البصرة ثم رمى نفسه عليه وبكى فلما سمع حسن بدر الدين كلام عمه تعجب غاية العجب وعانق عمه وبكى من شدة الفرح ثم قال له الوزير يا ولدي ان سبب ذلك كله ما جرى بيني وبين والدك وحكى له جميع ما جرى بينه وبين أخيه وأخبره بسبب سفر والده الى البصرة ثم ان الوزير ارسل الى عجيب فلما رآه والده قال هذا هو الذي ضربني بالحجر فقال الوزير هذا ولدك فعند ذلك رمى نفسه عليه وأنشد هذه الابيات

ولقد بكيت على تفرق شملنا * زمانا وفاض الدمع من أجفاني
ونذرت ان جمع المهيمن شملنا * ما عدت أذكر فرقة بلساني
هجم السرور على حتى انه * من فرط ما قد سرني أبكاني

فلما فرغ من شعره التفتت اليه والدته والقت روحها عليه وانشدت هذين البيتين

الدهر أقسم لا يزل مكدري * حنثت يمينك يا زمان فكفر
السعد وافى والحبيب مساعدي * فانهض الى داعي السرور وشمر

ثم ان والدته حكت له جميع ما وقع لها بعده وحكى لها جميع ما قاساه فشكروا الله على جمع شملهم ببعضهم ثم ان الوزير طلع الى السلطان وأخبره بما جرى له فتعجب وأمر أن يؤرخ ذلك في السجلات ليكون حكاية على ممر الأوقات ثم ان الوزير أقام مع ابن أخيه وابنته وابنها وزوجة أخيه في ارغد عيش الى أن أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات * وهذا يا امير المؤمنين ما جرى للوزير شمس الدين وأخيه نور الدين فقال الخليفة هرون الرشيد والله ان هذا الشيء عجاب ووهب للشاب سريه من عنده ورتب له ما يعيش به وصار ممن ينادمه * ثم ان البنت قالت وما هذا باعجب من حكاية الخياط والاحدب واليهودي والمباشر والنصراني فيما وقع لهم قال الملك وما حكايتهم

﴿حكاية الخياط والاحدب واليهودي والمباشر والنصراني فيما وقع بينهم﴾

قالت بلغني أيها الملك السعيد انه كان في قديم الزمان وسالف الدهر والأوان في مدينة الصين رجل خياط مبسوط الرزق يحب اللهو والطرب وكان يخرج هو وزوجته في بعض الاحيان يتفرجان على غرائب المنتزهات فخرجا يوما من أول النهار ورجعا آخره الى منزلهما عند المساء فوجدا في طريقهما رجلا أحدب رؤيته تضحك الغضبان وتزيل الهم والاحزان فعند ذلك تقدم الخياط هو وزوجته يتفرجان عليه ثم انهما عزما عليه أن يروح معهما الى بيتهما لينادمهما تلك الليلة فأجابهما الى ذلك ومشى معهما الى البيت فخرج الخياط الى السوق وكان الليل قد أقبل فاشترى سمكا مقليا وخبزا وليمونا وحلاوة يتحلون بها ثم رجع وحط السمك قدام الاحدب وجلسوا يأكلون فأخذت امرأة الخياط جزلة سمك كبيرة ولقمتها للاحدب وسدت فمه بكفها وقالت والله ما تأكلها الادفعة واحدة في نفس واحد ولا أمهلك حتى تمضغها فابتلعها وكان فيها شوكة قوية فتصلبت في حلقه لاجل انقضاء أجله فمات * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الخامسة والعشرون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان امرأة الخياط لما لقمت للاحدب الجزلة السمك مات لانقضاء أجله في وقته فقال الخياط لاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم هذا المسكين ما كان موته الا هكذا على أيدينا فقالت المرأة وما هذا التواني أما سمعت قول الشاعر

مالي أعلل نفسي بالمحال على * أمر يكون به هم وأحزان
ماذا القعود على نار وما خمدت * ان القعود على النيران خسران

فقال لها زوجها وما أفعله قالت له قم واحمله في حضنك وانشر عليه فوطة حرير وأخرج أنا قدامك وأنت ورائي في هذه الليلة وقل هذا ولدي وهذه أمه ومرادنا أن نوديه الى الطبيب ليداويه فلما سمع الخياط هذا الكلام قام وحمل الاحدب في حضنه وزوجته تقول يا ولدي سلامتك أين محل وجعك وهذا الجدري كان بك في أي مكان فكل من

رآهما يقول معهما طفل مصاب بالجدري ولم يزل الاساثر بين وهما يسألان عن منزل الطبيب حتى دلوهما على بيت
طبيب يهودي فقرعا الباب فنزلت لهما جارية سوداء وفتحت الباب ونظرت واذا بانسان حامل صغير وأمه معه
فقالت الجارية ما خبركم فقالت امرأة الخياط معنا صغير مرادنا أن ينظره الطبيب فخذي الربع دينار وأعطيه
لسيدك ودعيه ينزل ليرى ولدي فقد لحقه ضعف فطلعت الجارية ودخلت زوجة الخياط داخل العتبة وقالت
لزوجها دع الاحدب هنا ونفوز بانفسنا فأوقفه الخياط وأسنده الى الحائط وخرج هو وزوجته وأما الجارية فانها
دخلت على اليهودي وقالت له في أسفل البيت ضعيف مع امرأة ورجل وقد أعطياني ربع دينار لك وتصف لهما
ما يوافقه فلما رأى اليهودي الربع دينار فرح وقام عاجلا ونزل في الظلام فأول ما نزل عثرت رجله في الاحدب
وهو ميت فقال يا للعزير يا للمولى والعشر كلمات يا هرون ويوشع بن نون كأني عثرت في هذا المريض فوقع الى أسفل
فمات فكيف أخرج بقتيل من بيتي فحمله وطلع به من حوش البيت الى زوجته وأعلمها بذلك فقالت له وما قعودك
ههنا فان قعدت هنا الى طلوع النهار راحت أرواحنا فأنا وأنت نطلع به السطح ونرميه في بيت جارنا المسلم فانه
رجل مباشر على مطبخ السلطان وكثيرا ما تأتي القطط في بيته وتأكل مما فيه من الاطعمة والفيران وان استمر
فيه ليلة تنزل عليه الكلاب من السطوح وتأكله جميعه فطلع اليهودي وزوجته وهما حاملان الاحدب وأنزلاه
بيديه ورجليه الى الارض وجعلاه ملاصقا للحائط ثم نزلا وانصرفا ولم يستقر نزول الاحدب الا والمباشر قد جاء الى
البيت وفتحه وطلع البيت ومعه شمعة مضيئة فوجد ابن آدم واقفا في الزاوية في جانب المطبخ فقال ذلك المباشر
ما هذا والله ان الذي يسرق حوائجنا ما هو الا ابن آدم فيأخذ ما وجده من لحم أو دهن ولو خبأته من القطط
والكلاب وان قتلت قطط الحارة وكلابها جميعا لا يفيد لانه ينزل من السطوح ثم أخذ مطرقة عظيمة ووكزه بها
فصار عنده ثم ضربه بها على صدره فوقع فوجده ميتا فحزن وقال لا حول ولا قوة الا بالله وخاف على نفسه وقال لعن
الله الدهن واللحم وهذه الليلة كيف فرغت منية ذلك الرجل على يدي ثم نظر اليه فاذا هو أحدب فقال أما يكفي
انك أحدب حتى تكون حراميا وتسرق اللحم والدهن يا ستار استرني بسترك الجميل ثم حمله على أكتافه ونزل به من
بيته في آخر الليل وما زال سائرا به الى أول السوق فأوقفه بجانب دكان في رأس عطفة وتركه وانصرف واذا
بنصراني وهو سمسار السلطان وكان سكران فخرج يريد الحمام فقال له سكره ان المسيح قريب فما زال يمشي ويتمايل
حتى قرب من الاحدب وجعل يريق الماء قباله فلاحت منه التفاتة فوجد واحدا واقفا وكان النصراني قد خطفوا
عمامته في أول الليل فلما رأى الاحدب واقفا اعتقد انه يريد خطف عمامته فطبق كفه ولكم الاحدب على رقبته
فوقع في الارض وصاح النصراني على حارس السوق ثم نزل على الاحدب من شدة سكره ضربا وصار يخنقه خنقا
فجاء الحارس فوجد النصراني باركا على المسلم وهو يضربه فقال الحارس قم عنه فقام فتقدم اليه الحارس فوجده
ميتا فقال كيف يقتل النصراني مسلما ثم قبض على النصراني وكتفه وجاء به الى بيت الوالي والنصراني يقول في
نفسه يا مسيح يا عذراء كيف قتلت هذا وما أسرع ما مات في لكمة قد راحت السكرة وجاءت الفكرة ثم ان الاحدب
والنصراني باتا في بيت الوالي وأمر الوالي السياف أن ينادي عليه ونصب للنصراني خشبة وأوقفه تحتها وجاء
السياف ورمى في رقبة النصراني الحبل وأراد أن يعلقه واذا بالمباشر قد شق فرأى النصراني وهو واقف تحت
المشنقة ففسح الناس وقال للسياف لا تفعل أنا الذي قتلته فقال له الوالي لأي شيء قتلته قال اني دخلت الليلة بيتي
فرأيته نزل من السطح وسرق مصالحي فضربته بمطرقة على صدري فمات فحملته وجئت به الى السوق وأوقفته
في موضع كذا في عطفة كذا ثم قال المباشر ما كفاني أني قتلت مسلما حتى يقتل بسبب نصراني فلا تشنق غيري
فلما سمع الوالي كلام المباشر أطلق النصراني السمسار وقال للسياف اشنق هذا باعترافه فأخذ الحبل من رقبة
النصراني ووضعه في رقبة المباشر وأوقفه تحت الخشبة وأراد أن يعلقه واذا باليهودي الطبيب قد شق الناس
وصاح على السياف وقال له لا تفعل فما قتله الا أنا وذلك أنه جاءني في بيتي ليداوي فنزلت اليه فعثرت فيه برجلي
فمات فلا تقتل المباشر واقتلني فأمر الوالي بقتل اليهودي الطبيب فأخذ السياف الحبل من رقبة المباشر ووضعه
في رقبة اليهودي الطبيب واذا بالخياط جاء وشق الناس وقال للسياف لا تفعل فما قتله الا أنا وذلك اني كنت بالنهار

أتفرج وجئت وقت العشاء فلقيت هذا الاحدب سكران ومعه دف وهو يغني بفرحه فوقفت أتفرج عليه وجئت به الى بيتي واشتريت سمكا وقعدنا نأكل فأخذت زوجتي قطعة سمك ولقمة ودستهما في فمه فزور فمات فرفعته فاخذته أنا وزوجتي وجئنا به لبيت اليهودي فنزلت الجارية وفتحت لنا الباب فقلت لها قولي لسيدك ان بالباب امرأة ورجلا ومعهما ضعيف تعال انظره وصف له دواء واعطيتها ربع دينار فطلعت لسيدها واسندت الاحدب الى جهة السلم ومضيت أنا وزوجتي فنزل اليهودي فعثر فيه فظن أنه قتله ثم قال الخياط لليهودي أصحيح هذا قال نعم والتفت الخياط للوالي وقال له اطلق اليهودي واشنقني فلما سمع الوالي كلامه تعجب من أمر الاحدب وقال ان هذا أمر يؤرخ في الكتب ثم قال للسياف أطلق اليهودي واشنق الخياط باعترافه فقدمه السياف وقال هل نقدم هذا ونؤخر هذا ولا نشنق واحدا ثم وضع الحبل في رقبة الخياط فهذا ما كان من أمر هؤلاء (وأما) ما كان من أمر الاحدب فقيل انه كان مسخرة للسلطان وكان السلطان لا يقدر أن يفارقه فلما سكر الاحدب غاب عنه تلك الليلة وثاني يوم الى نصف النهار فسأل عنه بعض الحاضرين فقالوا له يا مولانا طلع به الوالي وهو ميت وأمر بشنق قاتله فنزل الوالي ليشنق القاتل فحضر له ثان وثالث وكل واحد يقول ما قتله الا أنا وكل واحد يذكر للوالي سبب قتله له فلما سمع الملك هذا الكلام صرخ على الحاجب وقال له انزل الى الوالي وائتني بهم جميعا فنزل الحاجب فوجد السياف كاد أن يقتل الخياط فصرخ عليه الحاجب وقال لا تفعل وأعلم الوالي أن القضية بلغت الملك ثم أخذه وأخذ الاحدب معه محمولا والخياط واليهودي والنصراني والمباشر وطلع بالجميع الى الملك فلما امتثل الوالي بين يديه قبل الارض وحكى له جميع ما جرى من الجميع وليس في الاعادة افادة فلما سمع الملك هذه الحكاية تعجب وأخذه الطرب وأمر أن يكتب ذلك بماء الذهب وقال للحاضرين هل سمعتم مثل قصة هذا الاحدب فعند ذلك تقدم النصراني وقال يا ملك الزمان ان أذنت لي حدثتك بشئ جرى لي وهو أعجب وأغرب وأطرب من قصة الاحدب فقال الملك حدثنا بما عندك فقال النصراني اعلم يا ملك الزمان أني لما دخلت تلك الديار أتيت بمتجر وأوقعني المقدور عندكم وكان مولدي بمصر وأنا من قبطها وتربيت بها وكان والدي سمسارا فلما بلغت مبلغ الرجال توفي والدي فعملت سمسارا مكانه فبينما أنا قاعد يوما من الايام واذا بشاب أحسن ما يكون وعليه أفخر ملبوس وهو راكب حمارا فلما رآني سلم علي فقمت اليه تعظيما له فاخرج منديلا وفيه قدر من السمسم وقال كم يساوي الاردب من هذا فقلت له مائة درهم فقال له خذ التراسين والكيالين واعمد الى خان الجوالي في باب النصر تجدني فيه وتركني ومضى وأعطاني السمسم بمنديله الذي فيه العينة فدرت على المشترين فبلغ ثمن كل أردب مائة وعشرين درهما فاخذت معي أربعة تراسين ومضيت اليه فوجدته في انتظاري فلما رآني قام الى المخزن وفتحه فكيلناه فجاء جميع ما فيه خمسين أردبا فقال الشاب لك في كل أردب عشرة دراهم سمسرة واقبض الثمن واحفظه عندك وقدر الثمن خمسة آلاف لك منها خمسمائة ويبقى لي أربعة آلاف وخمسمائة فاذا فرغ بيع حواصلي جئت اليك وأخذتها فقلت له الامر كما تريد ثم قبلت يديه ومضيت من عنده فحصل لي في ذلك اليوم ألف درهم وغاب عني شهرا ثم جاء وقال لي أين الدراهم فقلت ها هي حاضرة فقال احفظها حتى أجيء اليك فآخذها فقعدت أنتظره فغاب عني شهرا ثم جاء وقال لي أين الدراهم فقمت وسلمت عليه وقلت له هل لك أن تأكل عندنا شيأ فأبى وقال لي احفظ الدراهم حتى أمضي وأجيء فآخذها منك ثم ولى فقمت وأحضرت له الدراهم وقعدت أنتظره فغاب عني شهرا ثم جاء وقال لي بعد هذا اليوم آخذها منك ثم ولى فقمت وأحضرت له الدراهم وقعدت أنتظره فغاب عني شهرا فقلت في نفسي ان هذا الشاب كامل السماحة ثم بعد الشهر جاء وعليه ثياب فاخرة وهو كالقمر ليلة البدر وكأنه قد خرج من الحمام ووجهه كالقمر وهو بخد أحمر وجبين أزهر وشامة كأنها قرص عنبر وفي مثل ذلك قال الشاعر

البدر والشمس في برج قد اجتمعا * في غاية الحسن والاقبال قد طلعا
وزاد حسنهما للناظرين هوى * فيا له عندما داعي السرور دعا
في الحسن والظرف قد زادا وقد كملا * اليهما الروح راحت والفؤاد سعى
تبارك الله مخلوقاته عجب * ما شاء رب العلى في خلقه صنعا

فلما رأيته قبلت يديه ودعوت له وقلت له ياسيدى أما تقبض دراهمك فقال مهلا على حتى أفرغ من قضاء مصالحى وآخذها منك ثم ولى فقلت فى نفسى والله اذا جاء لأضيفنه لكونى انتفعت بدراهمه وحصل لى منها مال كثير فلما كان آخر السنة جاء وعليه بدلة أفخر من الاولى فحلفت عليه أن ينزل عندى ويضيفنى فقال لى بشرط أن ما تنفقه من مالى الذى عندك قلت نعم وأجلسته ونزلت فهيأت ما ينبغى من الاطعمة والاشربة وغير ذلك وأحضرته بين يديه وقلت له باسم الله فتقدم الى المائدة ومد يده الشمال وأكل معى فتعجبت منه فلما فرغنا غسل يده وناولته ما يمسحها به وجلسنا للحديث فقلت ياسيدى فرج عنى كربة لأى شئ أكلت بيدك الشمال لعل فى يدك اليمين شيأ يؤلمك فلما سمع كلامى أنشد هذين البيتين

خليلى لاتسألا على ما بمهجتى * من اللوعة الحرى فتظهر أسقام
وما عن رضا فارقت سلمى معوضا * بديلا ولكن للضرورة أحكام

ثم أخرج يده من كمه واذا هى مقطوعة زندا بلا كف فتعجبت من ذلك فقال لى لاتعجب ولا تقل فى خاطرك انى أكلت معك بيدى الشمال عجبا ولكن لقطع يدى اليمين سبب من العجب فقلت له وما سبب ذلك فقال اعلم انى من بغداد ووالدى من أكابرها فلما بلغت مبلغ الرجال سمعت السياحين والمسافرين والتجار يتحدثون بالديار المصرية فبقى ذلك فى خاطرى حتى مات والدى فأخذت أموالا كثيرة وهيأت متجرا من قماش بغدادى وموصلى ونحو ذلك من البضائع النفيسة وحزمت ذلك وسافرت من بغداد وكتب الله السلامة لى حتى دخلت مدينتكم هذه ثم بكى وأنشد هذه الابيات

قد يسلم الاكمه من حفرة * يسقط فيها الباصر الناظر * ويسلم الجاهل من لفظة * يهلك فيها العالم الماهر
ويعسر المؤمن فى رزقه * ويرزق الكافر الفاجر * ما حيلة الانسان ما فعله * هو الذى قدره القادر

فلما فرغ من شعره قال فدخلت مصر وأنزلت القماش فى خان سرور وفككت أحمالى وأدخلتها وأعطيت الخادم دراهم ليشترى لنا بها شيأ نأكله ونمت قليلا فلما قمت ذهبت بين القصرين ثم رجعت وبت ليلتى فلما أصبحت فتحت رزمة من القماش وقلت فى نفسى أقوم لأشق فى بعض الاسواق وأنظر الحال فأخذت بعض القماش وحملته لبعض غلمانى وسرت حتى وصلت قيسرية جرجس فاستقبلنى السماسرة وكانوا علموا بمجيئى فأخذوا منى القماش ونادوا عليه فلم يبلغ ثمنه رأس ماله فقال لى شيخ الدلالين ياسيدى أنا أعرف لك شيأ تستفيد به وهو أن تعمل مثل ما يعمل التجار فتبيع متجرك الى مدة معلومة بكاتب وشاهد وصيرفى وتأخذ ما يحصل من ذلك فى كل يوم خميس واثنين فتكسب الدراهم كل درهم اثنين وزيادة على ذلك تتفرج على مصر ونيلها فقلت هذا رأى سديد فأخذت معى الدلالين وذهبت الى الخان فأخذوا القماش الى القيسرية فبعته الى التجار وكتبت عليهم وثيقة الى الصيرفى وأخذت عليه وثيقة بذلك ورجعت الى الخان وأقمت أياما كل يوم أفطر على قدح من الشراب وأحضر اللحم الضانى والحلويات حتى دخل الشهر الذى استحقيت فيه الجباية فبقيت كل خميس واثنين أقعد على دكاكين التجار ويمضى الصيرفى والكاتب فيجيئان بالدراهم من التجار ويأتيانى بها الى أن دخلت الحمام يوما من الايام وخرجت الى الخان ودخلت موضعى وأفطرت على قدح من الشراب ثم نمت وانتبهت فأكلت دجاجة وتعطرت وذهبت الى دكان رجل تاجر يقال له بدر الدين البستانى فلما رآنى رحب بى وتحدث معى ساعة فى دكانه فبينما نحن كذلك واذا بامرأة جاءت وقعدت بجانبى وعليها عصابة مائلة وتفوح منها رائحة الطيب فسلبت عقلى بحسنها وجمالها ورفعت الازار فنظرت الى أحداق سود ثم سلمت على بدر الدين فرد عليها السلام ووقف وتحدث معها فلما سمعت كلامها تمكن حبها من قلبى فقالت لبدر الدين هل عندك تفصيلة من القماش المنسوج من خالص الذهب فأخرج لها تفصيلة فقالت للتاجر هل آخذها وأذهب ثم أرسل اليك ثمنها فقال لها التاجر لايمكن ياسيدتى لان هذا صاحب القماش وله على قسط فقالت ويلك ان عادتى أن آخذ منك كل قطعة قماش بجملة دراهم وأربحك فيها فوق ماتريد ثم أرسل اليك ثمنها فقال نعم ولكنى مضطر الى الثمن فى هذا اليوم فأخذت التفصيلة ورمته بها فى صدره وقالت ان طائفتكم لاتعرف لاحد قدرا ثم قامت

مولية فظننت انك زوجي راحت معها فقمت ووقفت وقلت لها يا سيدتي تصدقي علي بالالتفات وارجعي بخطواتك
الكريمة فرجعت وتبسمت وقالت لا حالك رجعت وقعدت قصادي على الدكان فقلت لبدر الدين هذه التفصيلة
كم ثمنها عليك قال ألف ومائة درهم فقلت له ولك مائة درهم فائدة فهات ورقة فاكتب لك فيها ثمنها فأخذت
التفصيلة منه وكتبت له ورقة بخطي وأعطيتها التفصيلة وقلت لها خذي أنت وروحي وان شئت هاتي ثمنها الي
في السوق وان شئت هي ضيافتك مني فقالت جزاك الله خيرا ورزقك مالي وجعلك بعلي فتقبل الله الدعوة وقلت
لها يا سيدتي اجعلي هذه التفصيلة لك ولك أيضا مثلها ودعيني أنظر وجهك فكشفت القناع عن وجهها فلما
نظرت وجهها نظرة أعقبتني ألف حسرة وتعلق قلبي بحبها فصرت لا أملك عقلي ثم رخت القناع وأخذت
التفصيلة وقالت يا سيدي لا توحشني وقد ولت وقعدت في السوق الى بعد العصر وأنا غائب العقل وقد تحكم الحب
عندي فمن شدة ما حصل لي من الحب سألت التاجر عنها حين أردت القيام فقال لي ان هذه صاحبة مال وهي بنت
أمير مات والدها وخلف لها مالا كثيرا فودعته وانصرفت وجئت الى الخان فقدم الي العشاء فتذكرتها فلم
آكل شيأ وغبت فلم يأتني نوم فسهرت الى الصباح ثم قمت فلبست بدلة غير التي كانت علي وشربت قدحا من الشراب
وأفطرت على شيء قليل وجئت الى دكان التاجر فسلمت عليه وجلست عنده فجاءت الصبية وعليها بدلة أفخر
من الاولى ومعها جارية فجلست وسلمت علي دون بدر الدين وقالت لي بلسان فصيح ما سمعت أعذب ولا أحلى منه
ارسل معي من يقبض الألف والمائتي درهم ثمن التفصيلة فقلت لها ولأي شيء العجلة فقالت لاعدمناك وناولتني
الثمن وقعدت أتحدث معها فأومأت اليها بالاشارة ففهمت اني أريد وصالها فقامت على عجل منها واستوحشت
مني وقلبي متعلق بها وخرجت أنا خارج السوق في أثرها واذا بجارية أتتني وقالت يا سيدي كلم سيدتي فتعجبت
وقلت ما يعرفني هنا أحد فقالت الجارية ما أسرع ما نسيتها سيدتي التي كانت اليوم على دكان التاجر فلان فمشيت
معها الى الصيارف فلما رأتني زوتني لجانبها وقالت يا حبيبي وقعت بخاطري وتمكن حبك من قلبي ومن ساعة
رأيتك لم يطب لي نوم ولا أكل ولا شرب فقلت لها عندي أضعاف ذلك والحال يغني عن الشكوى فقالت يا حبيبي
أجيء عندك أو تجيء عندي فقلت لها أنا رجل غريب ومالي مكان يأويني الا الخان فان تصدقت علي بأن
أكون عندك يكمل الحظ قالت نعم لكن الليلة ليلة الجمعة ما فيها شيء الا ان كان في غد بعد الصلاة فصل واركب
حمارك واسأل عن الحبانية فان وصلت فاسأل عن قاعة بركات النقيب المعروف بأبي شامة فاني ساكنة هناك
ولا تبطئ فاني في انتظارك ففرحت فرحا زائدا ثم افترقنا وجئت للخان الذي أنا فيه وبت طول الليل سهران فما
صدقت أن الفجر لاح حتى قمت وغيرت ملبوسي وتعطرت وتطيبت وأخذت معي خمسين دينارا في منديل
ومشيت من خان مسرور الى باب زويلة فركبت حمارا وقلت لصاحبه امض بي الى الحبانية فمضى في أقل من
لحظة فما أسرع ما وقف على درب يقال له درب المنقري فقلت له أدخل الدرب واسأل عن قاعة النقيب فغاب
قليلا وقال انزل فقلت امش قدامي الى القاعة فمشى حتى أوصلني الى المنزل فقلت له في غد تجيئني هنا وتوديني
فقال الحمار باسم الله فناولته ربع دينار ذهبا فأخذه وانصرف فطرقت الباب فخرج لي بنتان صغيرتان بكران
منهدتان كأنهما قمران فقالتا ادخل ان سيدتنا في انتظارك لم تنم الليلة لولعها بك فدخلت قاعة مغلقة بسبعة
أبواب وفي دائرها شبابيك مطلة على بستان فيه من الفواكه جميع الالوان وبه أنهار دافقة وطيور ناطقة وهي
مبيضة بياضا سلطانيا يرى الانسان وجهه فيه وسقفها مطلي بذهب وفي دائرها طرازات مكتوبة باللازورد
قد حوت أوصافا حسنة وأضاءت للناظرين وأرضها مفروشة بالرخام المجزع وفي أرضها فسقية وفي أركان تلك
الفسقية الدر والجوهر مفروشة بالبسط الحرير الملونة والمراتب فلما دخلت جلست * وأدرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المباح

﴿ فلما كانت الليلة السادسة والعشرون ﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الشاب التاجر قال للنصراني فلما
دخلت وجلست لم أشعر الا والصبية قد أقبلت وعليها تاج مكلل بالدر والجوهر وهي منقشة مخططة فلما رأتني
تبسمت في وجهي وحضنتني ووضعتني على صدرها وجعلت فمها على فمي وجعلت تمص لساني وأنا كذلك

وقالت أصحيح أتيت عندى أم هذا منام فقلت لها أنا عبدك فقالت أهلا ومرحبا والله من يوم رأيتك ما لذلى نوم ولا طاب لى طعام فقلت وأنا كذلك ثم جلسنا نتحدث وأنا مطرق برأسى الى الارض حياء ولم أمكث الا قليلا حتى قدمت لى سفرة من أفخر الالوان من محمر ومرقق ودجاج محشو فاكلت معها حتى اكتفينا ثم قدموا الى الطشت والابريق فغسلت يدى ثم تطيبنا بماء الورد والمسك وجلسنا نتحدث فانشدت هذين البيتين

لو علمنا قدومكم لفرشنا * مهجة القلب مع سواد العيون
ووضعنا خدودنا للقاكم * وجعلنا المسير فوق الجفون

وهى تشكوالى مالاقت وأنا أشكو اليها مالقيت وتمكن حبها عندى وهان على جميع المال ثم أخذنا نلعب ونتهارش مع العناق والتقبيل الى أن أقبل الليل فقدمت لنا الجوارى الطعام والمدام فاذا هى حضرة كاملة فشربنا الى نصف الليل ثم اضطجعنا ونمنا فنمت معها الى الصباح فما رأيت عمرى مثل هذه الليلة فلما أصبح الصباح قمت ورميت لها تحت الفراش المنديل الذى فيه الدنانير وودعتها وخرجت فبكت وقالت ياسيدى متى أرى هذا الوجه المليح فقلت لها أكون عندك وقت العشاء فلما خرجت أصبت الحمار الذى جاءبى بالامس على الباب ينتظرنى فركبت معه حتى وصلت خان مسرور فنزلت وأعطيت الحمار نصف دينار وقلت له تعال فى وقت الغروب قال على الرأس فدخلت الخان وأفطرت ثم خرجت أطالب بثمن القماش ثم رجعت وقد عملت لها خروفا مشويا وأخذت حلاوة ثم دعوت الحمال ووصفت له المحل وأعطيته أجرته ورجعت فى اشغالى الى الغروب فجاءنى الحمار فأخذت خمسين دينارا وجعلتها فى منديل ودخلت فوجدتهم مسحوا الرخام وجلوا النحاس وعمروا القناديل وأوقدوا الشموع وغرفوا الطعام وروقوا الشراب فلما رأتنى رمت يديها على رقبتى وقالت أوحشتنى ثم قدمت الموائد فأكلنا حتى اكتفينا ورفعت الجوارى المائدة وقدمت المدام فلم نزل فى شراب ونقل وحظ الى نصف الليل فنمنا الى الصباح ثم قمت وناولتها الخمسين دينارا على العادة وخرجت من عندها فوجدت الحمار فركبت الى الخان فنمت ساعة ثم قمت جهزت العشاء فعملت جوزاولوزا وتحتهم أرزا مفلفلا وعملت قلقاسا مقليا ونحو ذلك وأخذت فاكهة ونقلا ومشموما وأرسلتها وسرت الى البيت وأخذت خمسين دينارا فى منديل وخرجت فركبت مع الحمار على العادة الى القاعة فدخلت ثم أكلنا وشربنا ونمنا الى الصباح ولما قمت رميت لها المنديل وركبت الى الخان على العادة ولم أزل على تلك الحالة مدة الى أن بت وأصبحت لا أملك درهما ولا دينارا فقلت فى نفسى هذا من فعل الشيطان وأنشدت هذه الابيات

فقر الفتى يذهب أنواره * مثل اصفرار الشمس عند المغيب
ان غاب لا يذكر بين الورى * وان أتى فماله من نصيب
يمر فى الاسواق مستخفيا * وفى الفلا يبكى بدمع صبيب
والله ما الانسان من أهله * اذا ابتلى بالفقر الا غريب

ثم تمشيت الى أن وصلت بين القصرين ولا زلت أمشى حتى وصلت الى باب زويلة فوجدت الخلق فى ازدحام والباب منسد من كثرة الخلق فرأيت بالامر المقدر جنديا فزاحمته بغير اختيارى فجاءت يدى على جيبه فجسيته فوجدت فيه صرة من داخل الجيب الذى يدى عليه فعمدت الى تلك الصرة فاخذتها من جيبه فاحس الجندى بان جيبه خف فحط يده فى جيبه فلم يجد شيأ والتفت نحوى ورفع يده بالدبوس وضربنى على رأسى فسقطت الى الارض فاحاط الناس بنا وأمسكوا لجام فرس الجندى وقالوا أمن أجل الزحمة تضرب هذا الشاب هذه الضربة فصرخ عليهم الجندى وقال هذا حرامى سارق فعند ذلك أفقت ورأيت الناس يقولون هذا شاب مليح لم يأخذ شيأ فبعضهم يصدق وبعضهم يكذب وكثر القيل والقال وجذبنى الناس وأرادوا خلاصى منه فبالامر المقدر جاء الوالى هو وبعض الحكام فى هذا الوقت ودخلوا من الباب فوجدوا الخلق مجتمعين على وعلى الجندى فقال الوالى ما الخبر فقال الجندى والله يا أمير ان هذا حرامى وكان فى جيبى كيس أزرق فيه عشرون دينارا فاخذه وأنا فى الزحام فقال الوالى للجندى هل كان معك أحد فقال الجندى لا فصرخ الوالى على المقدم وقال امسكه وفتشه فامسكنى وقد زال الستر عنى فقال له الوالى أعره من جميع ما عليه فلما أعرانى وجدوا الكيس فى ثيابى فلما

وبعد والكيس أخذه الوالي وفتحه وعده فرأى فيه عشرين دينارا كما قال الجندي فغضب الوالي وصاح على أتباعه وقال قدموه فقدموني بين يديه فقال لي يا صبي قل الحق هل أنت سرقت هذا الكيس فاطرقت برأسي الى الارض وقلت في نفسي ان قلت ما سرقته فقد أخرجه من ثيابي وان قلت سرقته وقعت في العناء ثم رفعت رأسي وقلت نعم أخذته فلما سمع مني الوالي هذا الكلام تعجب ودعا الشهود فحضروا وشهدوا على منطقي هذا كله في باب زويلة فأمر الوالي السياف بقطع يدي فقطع يدي اليمنى فرق قلب الجندي وشفع في عدم قتلي وتركني الوالي ومضى وصارت الناس حولي وسقوني قدح شراب وأما الجندي فانه أعطاني الكيس وقال أنت شاب مليح ولا ينبغي أن تكون لصا فاخذته منه وأنشدت هذه الابيات

والله ما كنت لصا يا أخا ثقة * ولم أكن سارقا يا أحسن الناس
ولكن رمتني صروف الدهر عن عجل * فزاد همي ووسواسي وافلاسي
وما رميت ولكن الاله رمى * سهما فطير تاج الملك عن رأسي

فتركني الجندي وانصرف بعد ان أعطاني الكيس وانصرفت أنا ولففت يدي في خرقة وأدخلتها عبي وقد تغيرت حالتي واصفر لوني مما جرى لي فتمشيت الى القاعة وأنا على غير استواء ورميت روحي على الفراش فنظرتني الصبية متغيرا اللون فقالت لي ما وجعك ومالي أرى حالتك تغيرت فقلت لها رأسي توجعني وما أنا طيب فعند ذلك اغتاظت وتشوشت لاجلي وقالت لا تحرق قلبي يا سيدي اقعد وارفع رأسك وحدثني بما حصل لك اليوم فقد بان لي في وجهك كلام فقلت دعيني من الكلام فبكت وقالت كأنك قد فرغ غرضك منا فاني أراك على خلاف العادة فبكت وصارت تحدثني وأنا لا أجيبها حتى أقبل الليل فقدمت لي الطعام فامتنعت وخشيت أن تراني آكل بيدي الشمال فقلت لا أشتهي أن آكل في هذه الساعة فقالت حدثني بما جرى لك في هذا اليوم ولأي شيء أراك مهموما مكسور الخاطر والقلب فقلت في هذه الساعة أحدثك على مهلي فقدمت لي الشراب وقالت دونك فانه يزيل همك فلا بد أن تشرب وتحدثني بخبرك فقلت لها ان كان ولا بد فاسقيني بيدك فملأت القدح وشربته وملأته وناولتني اياه فتناولته منها بيدي الشمال وفرت الدمعة من جفني فانشدت هذه الأبيات

اذا أراد الله أمرا لامرئ * وكان ذا عقل وسمع وبصر * أصم أذنيه وأعمى قلبه
وسل منه عقله سل الشعر * حتى اذا أنفذ فيه حكمه * رد اليه عقله ليعتبر

فلما فرغت من شعري تناولت القدح بيدي الشمال وبكيت فلما رأتني أبكي صرخت صرخة قوية وقالت ما سبب بكائك قد أحرقت قلبي ومالك تناولت القدح بيدك الشمال فقلت لها ان بيدي حبة فقالت أخرجها حتى أفقعها لك فقلت ما هو وقت فقعها لا تطيلي علي فما أخرجها في تلك الساعة ثم شربت القدح ولم تزل تسقيني حتى غلب السكر علي فنمت مكاني فابصرت يدي بلا كف ففتشتني فرأت معي الكيس الذي فيه الذهب فدخل عليها من الحزن ما لا يدخل على أحد ولا زالت تتألم بسببي الى الصباح فلما أفقت من النوم وجدتها هيأت لي مسلوقة وقدمتها فاذا هي أربعة طيور من الدجاج وأسقتني قدح شراب فأكلت وشربت وحطيت الكيس وأردت الخروج فقالت أين تروح فقلت الى مكان كذا لا زحزح بعض الهم عن قلبي فقالت لا تروح بل اجلس فجلست فقالت لي وهل بلغت محبتك اياي الى ان صرفت جميع مالك علي وعدمت كفك فاشهدك علي والشاهد الله أني لا أفارقك وسترى صحة قولي ولعل الله استجاب دعوتي بزواجك وأرسلت خلف الشهود فحضروا فقالت لهم اكتبوا كتابي على هذا الشاب واشهدوا اني قبضت المهر فكتبوا كتابي عليها ثم قالت اشهدوا ان جميع مالي الذي في هذا الصندوق وجميع ما عندي من المماليك والجواري لهذا الشاب فشهدوا عليها وقبلت أنا التمليك وانصرفوا بعد ما أخذوا الاجرة ثم أخذتني من يدي وأوقفتني على خزانة وفتحت صندوقا كبيرا وقالت لي انظر هذا الذي في الصندوق فنظرت فاذا هو ملآن مناديل فقالت هذا مالك الذي أخذته منك فكلما أعطيتني منديلا فيه خمسون دينارا ألفه وأرميه في هذا الصندوق فخذ مالك فقد رده الله عليك وأنت اليوم عزيز فقد جرى عليك

القضاء بسببي حتى عدمت يمينك وأنا الآن لا أقدر على مكافأتك ولو بذلت روحي لكان ذلك قليلا ولك الفضل ثم قالت لي تسلم مالك فتسلمته ثم نقلت ما في صندوقها الى صندوقي وضممت مالها الى مالي الذي كنت أعطيتها اياه وفرج قلبي وزال همي فقمت فقبلتها وسكرت معها فقالت لقد بذلت جميع مالك ويدك في محبتي فكيف أقدر على مكافأتك والله لو بذلت روحي في محبتك لكان ذلك قليلا وما أقوم بواجب حقك علي ثم انها كتبت لي جميع ما تملك من ثياب بدنها وصيغتها وأملاكها بحجة وما نامت تلك الليلة الا مهمومة من أجلي حين حكيت لها ما وقع لي وبت معها ثم أقمنا على ذلك أقل من شهر وقوي بها الضعف وزاد بها المرض ولا مكثت غير خمسين يوما ثم صارت من أهل الآخرة فجهزتها وواريتها في التراب وعملت لها ختمات وتصدقت عليها بجملة من المال ثم نزلت من التربة فرأيت لها مالا جزيلا وأملاكا وعقارات ومن جملة ذلك تلك المخازن السمسم التي بعت لك منها ذلك المخزن وما كان اشتغالي عنك هذه المدة الا أني بعت بقية الحواصل والى الآن لم أفرغ من قبض الثمن فارجو منك أنك لا تخالفني فيما أقوله لك لأني أكلت زادك فقد وهبتك ثمن السمسم الذي عندك فهذا سبب أكلي بيدي الشمال فقلت له لقد أحسنت الي وتفضلت علي فقال لي لابد أن تسافر معي الى بلادي فاني اشتريت متجرا مصريا واسكندرانيا فهل لك في مصاحبتي فقلت نعم وواعدته على رأس الشهر ثم بعت جميع ما أملك واشتريت به متجرا وسافرت أنا وذلك الشاب الى هذه البلاد التي هي بلادكم فباع الشاب متجره واشترى متجرا عوضه من بلادكم ومضى الى الديار المصرية فكان نصيبي في قعودي هذه الليلة حتى حصل ما حصل من غربتي فهذا يا ملك الزمان ما هو أعجب من حديث الأحدب فقال الملك لابد من شنقكم كلكم *وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة السابعة والعشرون) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان ملك الصين لما قال لابد من شنقكم فعند ذلك تقدم المباشر الى ملك الصين وقال ان أذنت لي حكيت لك حكاية اتفقت لي في تلك المدة قبل أن أجد هذا الأحدب وان كانت أعجب من حديثه تهب لنا أرواحنا فقال الملك هات ما عندك فقال اعلم اني كنت الليلة الماضية عند جماعة عملوا ختمة وجمعوا الفقهاء فلما قرأ المقرئون وفرغوا مدوا السماط فمن جملة ما قدموا زرباجة فتقدمنا لنأكل من الزرباجة فتأخر واحد منا وامتنع من الأكل منها فحلفنا عليه فأقسم أنه لا يأكل منها فشددنا عليه فقال لا تشددوا علي فكفاني ما جرى من أكلها ثم أنشد هذا البيت

اذا صديق أنكرت جانبه * لم تعيني في فراقه الحيل

فلما فرغنا قلنا له بالله ما سبب امتناعك من الأكل من هذه الزرباجة فقال لأني لا آكل منها الا ان غسلت يدي أربعين مرة بالأشنان وأربعين مرة بالسعد وأربعين مرة بالصابون فجملتها مائة وعشرون مرة فعند ذلك أمر صاحب الدعوة غلمانه فأتوا بالماء الذي طلبه فغسل يديه كما ذكر ثم تقدم وهو متكره وجلس ومد يده وهو مثل الخائف ووضع يده في الزرباجة وصار يأكل وهو متغصب ونحن نتعجب منه غاية التعجب ويده ترتعد فنصب ابهام يده فاذا هو مقطوع وهو يأكل بأربعة أصابع فقلنا له بالله عليك ما لابهامك هكذا أهو خلقه الله أم أصابه حادث فقال يا اخواني ما هو هذا الابهام وحده ولكن ابهام الأخرى وكذلك رجلاي الاثنان ولكن انظروا ثم كشف ابهام يده الأخرى فوجدناها مثل اليمين وكذلك رجلاه بلا ابهامين فلما رأيناه كذلك ازددنا عجبا وقلنا له ما بقي لنا صبر على حديثك والاخبار بسبب قطع ابهامي يديك وابهامي رجليك وسبب غسل يديك مائة وعشرين مرة فقال اعلموا ان والدي كان تاجرا من التجار الكبار وكان أكبر تجار مدينة بغداد في أيام الخليفة هرون الرشيد وكان مولعا بشرب الخمر وسماع العود فلما مات لم يترك شيأ فجهزته وقد عملت له ختمات وحزنت عليه أياما وليالي ثم فتحت دكانه فما وجدته خلف الا يسيرا ووجدت عليه ديونا كثيرة فصبرت أصحاب الديون وطيبت خواطرهم وصرت أبيع وأشتري وأعطي من الجمعة الى الجمعة أصحاب الديون ولا زلت على هذه الحالة مدة الى أن وفيت الديون وزدت على رأس مالي فبينما أنا جالس يوما من الايام اذ رأيت صبية لم ترعيني أحسن منها عليها حلي وحلل فاخرة وهي راكبة بغلة وقدامها عبد وو راءها عبد فأوقفت البغلة على رأس السوق ودخلت ودخل خلفها خادم وقال يا سيدتي أخرجي ولا تعلمي أحدا فتطلقي فينا النار ثم حجبها الخادم فلما نظرت الى دكاكين التجار لم تجد أفخر

من دكاني فلما وصلت الى جهتي والخادم خلفها جلست على دكاني وسلمت علي فما سمعت أحسن من حديثها ولا أعذب من كلامها ثم كشفت عن وجهها فنظرتها نظرة أعقبتني ألف حسرة وتعلق قلبي بمحبتها وجعلت أكرر النظر الى وجهها وأنشدت هذين البيتين

قل للمليحة في الخمار الفاختي * الموت حقا من عذابك راحتي
جودي علي بزورة أحيا بها * ها قد مددت الى نوالك راحتي

فلما سمعت انشادهما أجابتني بهذه الابيات

عدمت فؤادي في الهوى ان سلاكم * فان فؤادي لا يحب سواكم
وان نظرت عيني الى غير حسنكم * فلا سرها بعد البعاد لقاكم
حلفت يمينا لست أسلو هواكم * وقلبي حزين مغرم بهواكم
سقاني الهوى كأسا من الحب صافيا * فياليته لما سقاني سقاكم
خذوا رمقي حيث استقرت بكم نوى * وأين حللتم فادفنوني حذاكم
وان تذكروا اسمي عند قبري يجيبكم * أنين عظامي عند رفع نداكم
فلو قيل لي ماذا على الله تشتهي * لقلت رضا الرحمن ثم رضاكم

فلما فرغت من شعرها قالت يافتى أعندك تفاصيل ملاح فقلت ياسيدتي مملوكك فقير ولكن اصبري حتى تفتح التجار دكاكينهم وأجيء لك بما تريدينه ثم تحدثت انا واياها وأنا غارق في بحر محبتها تائه في عشقها حتى فتحت التجار دكاكينهم فقمت وأخذت لها جميع ما طلبته وكان ثمن ذلك خمسة آلاف درهم وناولت الخادم جميع ذلك فأخذه الخادم وذهبا الى خارج السوق فقدموا لها البغلة فركبت ولم تذكر لي من أين هي واستحيت اني أذكر لها ذلك والتزمت الثمن للتجار وتكلفت غرامة خمسة آلاف درهم وجئت البيت وأنا سكران من محبتها فقدموا الى العشاء فأكلت لقمة وتذكرت حسنها وجمالها فاشغلني عن الاكل وأردت أن أنام فلم يجئني نوم ولم أزل على هذه الحالة أسبوعا وطالبتني التجار بأموالهم فصبرتهم أسبوعا آخر فبعد الاسبوع أقبلت وهي راكبة البغلة ومعها خادم وعبدان فسلمت علي وقالت ياسيدي أبطأنا عليك بثمن القماش فهات الصيرفي واقبض الثمن فجاء الصيرفي واخرج له الطواشي الثمن فقبضته وصرت أتحدث انا واياها الى أن عمر السوق وفتحت التجار فقالت خذ لي كذا وكذا فأخذت لها من التجار ما أرادت فأخذته ومضت ولم تخاطبني في ثمن فلما مضت ندمت على ذلك وكنت أخذت الذي طلبته بألف دينار فلما غابت عن عيني قلت في نفسي أي شيء هذه المحبة أعطتني خمسة آلاف درهم وأخذت شيأ بألف دينار وخفت الافلاس وضياع مال الناس وقلت ان التجار لم يعرفوا الا أنا فما كانت هذه المرأة الا محتالة خدعتني بحسنها وجمالها ورأتني صغيرا فضحكت علي ولم أسألها عن منزلها ولم أزل في وسواس وطالت غيبتها أكثر من شهر فطالبتني التجار وشددوا علي فعرضت عقاري للبيع وأشرفت على الهلاك ثم قعدت وأنا متفكر فلم أشعر الا وهي نازلة على باب السوق ودخلت علي فلما رأيتها زالت الفكرة ونسيت ما كنت فيه وأقبلت تحدثني بحديثها الحسن ثم قالت هات الميزان وزن مالك فأعطتني ثمن ما أخذته بزيادة ثم انبسطت معي في الكلام فكدت أن أموت فرحا وسرورا ثم قالت لي هل لك أنت زوجة فقلت لا اني لا أعرف امرأة ثم بكيت فقالت لي مالك تبكي فقلت من شيء خطر ببالي ثم اني أخذت بعض دنانير وأعطيتها للخادم وسألته أن يتوسط في الامر فضحك وقال هي عاشقة لك أكثر منك ومالها بالقماش حاجة وانما هو لاجل محبتها لك فخاطبها بما تريد فانها لا تخالفك فيما تقول فرأتني وأنا أعطي الخادم الدنانير فرجعت وجلست ثم قلت لها تصدقي على مملوكك واسمحي له فيما يقول ثم حدثتها بما في خاطري فأعجبها ذلك وأجابتني وقالت هذا الخادم يأتي برسالتي واعمل أنت بما يقوله لك الخادم ثم قامت ومضت وقمت وسلمت التجار أموالهم وحصل لهم الربح الا أنا فانها حين ذهبت حصل لي الندم من انقطاع خبرها عني ولم أنم طول ليلي فما كانت الا أيام قلائل وجاءني خادمها فأكرمته وسألته عنها فقال انها مريضة فقلت للخادم اشرح لي أمرها قال ان هذه الصبية ربتها السيدة زبيدة زوجة هرون الرشيد وهي من جواريها وقد اشتهت

على سيدتها الخروج والدخول فاذنت لها فى ذلك فصارت تخرج وتدخل حتى صارت قهرمانة ثم انها حدثت بك سيدتها وسألتها أن تزوجها بك فقالت سيدتها لا أفعل حتى أنظر هذا الشاب فان كان يشبهك زوجتك به ونحن نريد فى هذه الساعة أن ندخل بك الدار فان دخلت الدار ولم يشعر بك أحد وصلت الى تزويجك اياها وان انكشف أمرك ضربت رقبتك فماذا تقول قلت نعم أروح معك وأصبر على الامر الذى حدثتنى به فقال لى الخادم اذا كانت هذه الليلة فامض الى المسجد الذى بنته السيدة زبيدة على الدجلة فصل فيه وبت هنالك فقلت حبا وكرامة فلما جاء وقت العشاء مضيت الى المسجد وصليت فيه وبت هنالك فلما كان وقت السحر رأيت الخادمين قد أقبلا فى زورق ومعهما صناديق فارغة فادخلوها فى المسجد وانصرفوا وتأخر واحد منهما فتأملته واذا هو الذى كان واسطة بينى وبينها فبعد ساعة صعدت الينا الجارية صاحبتى فلما أقبلت قمت اليها وعانقتها فقبلتنى وبكت وتحدثنا ساعة فاخذتنى ووضعتنى فى صندوق وأغلقته على ولم أشعر الا وأنا فى دار الخليفة وجاؤا الى بشئ كثير من الامتعة بحيث يساوى خمسين ألف درهم ثم رأيت عشرين جارية أخرى وهن نهد أبكار وبينهن الست زبيدة وهى لم تقدر على المشى مما عليها من الحلى والحلل فلما أقبلت تفرقت الجوارى من حواليها فاتيت اليها وقبلت الارض بين يديها فأشارت لى بالجلوس فجلست بين يديها ثم شرعت تسألنى عن حالى وعن نسبى فاجبتها عن كل ما سألتنى عنه ففرحت وقالت والله ما خابت تربيتنا فى هذه الجارية ثم قالت لى اعلم ان هذه الجارية عندنا بمنزلة ولد الصلب وهى وديعة الله عندك فقبلت الارض قدامها ورضيت بزواجى اياها ثم أمرتنى ان أقيم عندهم عشرة أيام فاقمت عندهم هذه المدة وأنا لا أدرى من هى الجارية الا أن بعض الوصائف تاتينى بالغداء والعشاء لاجل الخدمة وبعد هذه المدة استأذنت السيدة زبيدة زوجها أمير المؤمنين فى زواج جاريتها فأذن لها وأمر لها بعشرة آلاف دينار فارسلت السيدة زبيدة الى القاضى والشهود وكتبوا كتابى عليها وبعد ذلك عملوا الحلويات والاطعمة الفاخرة وفرقوها على سائر البيوت ومكثوا على هذا الحال عشرة أيام أخر وبعد العشرين يوما أدخلوا الجارية الحمام لاجل الدخول بها ثم انهم قدموا سفرة فيها طعام ومن جملته خافقية زرباجة محشوة بالسكر وعليها ماء ورد ممسك وفيها أصناف الدجاج المحمرة وغيره من سائر الالوان مما يدهش العقول فوالله حين حضرت المائدة ما أمهلت نفسى حتى نزلت على الزرباجة وأكلت منها بحسب الكفاية ومسحت يدى ونسيت أن أغسلها ومكثت جالسا الى أن دخل الظلام وأوقدت الشموع وأقبلت المغنيات بالدفوف ولم يزالوا يجلون العروسة وينقطون بالذهب حتى طافت القصر كله وبعد ذلك أقبلوا بها على ونزعوا ما عليها من الملبوس فلما خلوت بها فى الفراش وعانقتها وأنا لم أصدق بوصالها شمت فى يدى رائحة الزرباجة فلما شمت الرائحة صرخت صرخة فنزل لها الجوارى من كل جانب فارتجفت ولم أعلم ما الخبر فقالت الجوارى مالك يا أختنا فقالت لهم أخرجوا عنى هذا المجنون فانا أحسب انه عاقل فقلت لها وما الذى ظهر لك من جنونى فقالت يا مجنون لاى شئ أكلت من الزرباجة ولم تغسل يدك فوالله لا أقبلك على عدم عقلك وسوء فعلك ثم تناولت من جانبها سوطا ونزلت به على ظهرى ثم على مقاعدى حتى غبت عن الوجود من كثرة الضرب ثم انها قالت للجوارى خذوه وامضوا به الى متولى المدينة ليقطع يده التى أكل بها الزرباجة ولم يغسلها فلما سمعت ذلك قلت لا حول ولا قوة الا بالله أتقطع يدى من أجل أكل الزرباجة وعدم غسلى اياها فدخلن عليها الجوارى وقلن لها يا أختنا لا تؤاخذيه بفعله هذه المرة فقالت والله لا بد أن أقطع شيأ من أطرافه ثم راحت وغابت عنى عشرة أيام ولم أرها الا بعد العشرة أيام ثم أقبلت على وقالت لى يا أسود الوجه أنا لا أصلح لك فكيف تأكل الزرباجة ولم تغسل يدك ثم صاحت على الجوارى فكتفونى وأخذت موسى ماضيا وقطعت ابهامى يدى وابهامى رجلى كما ترون يا جماعة فغشى على ثم ذرت على بالذرور فانقطع الدم وقلت فى نفسى لا آكل الزرباجة ما بقيت حتى أغسل يدى أربعين مرة بالاشنان وأربعين مرة بالسعد وأربعين مرة بالصابون فاخذت على ميثاقا أنى لا آكل الزرباجة حتى أغسل يدى كما ذكرت لكم فلما جئتم بهذه الزرباجة تغير لونى وقلت فى نفسى هذه سبب قطع ابهامى يدى ورجلى فلما غصبتم على قلت لا بد ان أوفى بما حلفت فقلت له والجماعة حاضرون ما حصل لك بعد ذلك قال فلما حلفت لها طاب قلبها وغت أنا واياها وأقمنا مدة على هذا الحال وبعد تلك المدة قالت ان أهل دار

الخلافة لا يعلمون بما حصل بيني وبينك فيها وما دخلها أجنبي غيرك وما دخلت فيها الا بعناية السيدة زبيدة ثم أعطتني خمسين ألف دينار وقالت خذ هذه الدنانير واخرج واشتر لنا بها دارا فسيحة فخرجت واشتريت دارا مليحة فسيحة ونقلت جميع ما عندها من النعم وما ادخرته من الأموال والقماش والتحف الى هذه الدار التي اشتريتها فهذا سبب قطع ابهامي فأكلنا وانصرفنا وبعد ذلك جرى لي مع الاحدب ما جرى وهذا جميع حديثي والسلام فقال الملك ما هذا بأعذب من حديث الاحدب بل حديث الاحدب أعذب من ذلك ولابد من صلبكم جميعا ثم ان اليهودي تقدم وقبل الارض وقال يا ملك الزمان أنا أحدثك بحديث أعجب من حديث الاحدب فقال له ملك الصين هات ما عندك فقال أعجب ما جرى لي في زمن شبابي اني كنت في دمشق الشام وتعلمت منه صنعة فعملت فيها فبينما أنا أعمل في صنعتي يوما من الايام اذ أتاني مملوك من بيت الصاحب بدمشق فخرجت له وتوجهت معه الى منزل الصاحب فدخلت فرأيت في صدر الايوان سريرا من المرمر بصفائح الذهب وعليه آدمي مريض راقد وهو شاب لم ير أحسن منه في زمانه فقعدت عند رأسه ودعوت له بالشفاء فأشار الي بعينه فقلت له يا سيدي ناولني يدك فأخرج لي يده اليسرى فتعجبت من ذلك وقلت في نفسي يا الله العجب ان هذا الشاب مليح ومن بيت كبير وليس عنده أدب ان هذا هو العجب ثم جسست مفاصله وكتبت له ورقة ومكثت أتردد عليه مدة عشرة أيام حتى تعافى ودخل الحمام واغتسل وخرج فخلع علي الصاحب خلعة مليحة وجعلني مباشرا عنده في المارستان الذي بدمشق فلما دخلت معه الحمام وقد أخلوه لنا من جميع الناس ودخل الخادم بالثياب وأخذ ثيابه التي كانت عليه من داخل الحمام فبعد أن تعرى رأيت يده اليمنى قطع أصبعها فلما رأيته أخذت أتعجب وحزنت عليه ونظرت الى جسده فوجدت عليه آثار ضرب مقارع فصرت أتعجب من أجل ذلك فنظر الي الشاب وقال لي يا حكيم الزمان لا تعجب من أمري فسوف أحدثك بحديث حتى نخرج من الحمام فلما خرجنا من الحمام ووصلنا الى الدار وأكلنا الطعام واسترحنا قال الشاب هل لك أن تتفرج في الغرفة فقلت نعم فأمر العبيد أن يطلعوا الفراش الى فوق وأمرهم أن يشووا خروفا وأن يأتوا الينا بفاكهة ففعل العبيد ما أمرهم به وأتوا بالفاكهة فأكلنا وأكل هو بيده الشمال فقلت له حدثني بحديثك فقال لي يا حكيم الزمان اسمع حكاية ما جرى لي اعلم انني من أولاد الموصل وكان لي والد قد توفي أبوه وخلف عشرة أولاد ذكور ومن جملتهم والدي وكان أكبرهم فكبروا كلهم وتزوجوا ورزق والدي بي وأما اخوته التسعة فلم يرزقوا بأولاد فكبرت أنا وصرت بين أعمامي وهم فرحون بي فرحا شديدا فلما كبرت وبلغت مبالغ الرجال وكنت ذات يوم مع والدي في جامع الموصل وكان اليوم يوم جمعة فصلينا الجمعة وخرج الناس جميعا وأما أنا ووالدي وأعمامي فانهم قعدوا يتحدثون في عجائب البلاد وغرائب المدن الى أن ذكروا مصر فقال بعض أعمامي ان المسافرين يقولون ما على وجه الارض أحسن من مصر ونيلها ولقد أحسن من قال فيها وفي نيلها هذين البيتين

بالله قل للنيل عني انني * لم أشف من ماء الفرات غليلا

يا قلب كم خلفت ثم بثينة * وأظن صبرك أن يكون جميلا

ثم انهم أخذوا يصفون مصر ونيلها فلما فرغوا من كلامهم وسمعت أنا هذه الاوصاف التي في مصر صار خاطري مشغولا بها ثم انصرفوا وتوجه كل واحد منهم الى منزله فبت تلك الليلة لم يأتني نوم من شغفي بها ولم يطب لي أكل ولا شرب فلما كان بعد أيام قلائل تجهز أعمامي الى مصر فبكيت على والدي لأجل الذهاب معهم حتى جهز لي متجرا ومضيت معهم وقال لهم لا تدعوه يدخل مصر بل اتركوه في دمشق ليبيع متجره فيها ثم سافرنا وودعت والدي وخرجنا من الموصل وما زلنا مسافرين حتى وصلنا الى حلب فأقمنا به أياما ثم سافرنا الى أن وصلنا دمشق فرأيناها مدينة ذات أشجار وأنهار وأثمار وأطيار كأنها جنة فيها من كل فاكهة فنزلنا في بعض الخانات واستمر بها أعمامي حتى باعوا واشتروا وباعوا بضاعتي فربح الدرهم خمسة دراهم ففرحت بالربح ثم تركني أعمامي وتوجهوا الى مصر فكنت بعدهم وسكنت في قاعة مليحة البنيان يعجز عن وصفها اللسان أجرتها كل شهر بدينارين وصرت أتلذذ بالمآكل والمشارب حتى صرفت المال الذي كان معي فبينما أنا قاعد على باب القاعة يوما من الايام واذا بصبية أقبلت علي وهي لابسة أفخر الملابس ما رأت عيني أفخر منها فغمزت عليها فما قصرت بل صارت داخل الباب فلما

دخلت ظفرت بها وفرحت بدخولها فرددت الباب علي وعليها وكشفت عن وجهها وقلعت ازارها فوجدتها
بديعة الجمال فتمكن حبها من قلبي فقمت وجئت بسفرة من أطيب المأكول والفاكهة وما يحتاج اليه المقام
وأكلنا ولعبنا وبعد اللعب شربنا حتى سكرنا ثم نمت معها في أطيب ليلة الى الصباح وبعد ذلك أعطيتها عشرة دنانير
فحلفت أنها لا تأخذ الدنانير مني ثم قالت يا حبيبي انتظرني بعد ثلاثة أيام وقت المغرب أكون عندك وهيّء لنا بهذه
الدنانير مثل هذا وأعطتني هي عشرة دنانير وودعتني وانصرفت فأخذت عقلي معها فلما مضت الأيام الثلاثة
أتت وعليها من المزركش والحلي والحلل أعظم مما كان عليها أولاً وكنت هيأت لها ما يليق بالمقام قبل أن تحضر ثم
أكلنا وشربنا ونمنا مثل العادة الى الصباح ثم أعطتني عشرة دنانير وواعدتني بعد ثلاثة أيام أنها تحضر عندي
فهيأت لها ما يليق بالمقام وبعد ثلاثة أيام حضرت في قماش أعظم من الاول والثاني ثم قالت لي يا سيدي هل أنا
مليحة فقلت أي والله فقالت هل تأذن لي أن أجيء معي بصبية أحسن مني وأصغر سناً مني حتى تلعب معنا ونضحك
واياها فانها سألتني ان تخرج معي وتبيت معنا لنضحك واياها ثم أعطتني عشرين ديناراً وقالت لي زد لنا المقام
لاجل الصبية التي تأتي معي ثم انها ودعتني وانصرفت فلما كان اليوم الرابع جهزت لها ما يليق بالمقام على العادة
فلما كان بعد المغرب واذا بها قد أتت ومعها واحدة ملفوفة بازار فدخلتا وجلستا ففرحت وأوقدت الشموع
واستقبلتهما بالفرح والسرور فقامتا ونزعتا ما عليهما من القماش وكشفت الصبية الجديدة عن وجهها فرأيتها
كالبدر في تمامه فلم أر أحسن منها فقمت وقدمت لهما الاكل والشرب فأكلنا وشربنا وصرت أقبل الصبية الجديدة
وأملأ لها القدح وأشرب معها فغارت الصبية الاولى في الباطن ثم قالت بالله ان هذه الصبية مليحة أما هي أظرف
مني قلت أي والله قالت خاطري أن تنام معها قلت على رأسي وعيني ثم قامت وفرشت لنا فقمت ونمت مع الصبية
الجديدة الى وقت الصبح فلما أصبحت وجدت يدي ملوثة بدم ففتحت عيني فوجدت الشمس قد طلعت فنبهت
الصبية فتدحرجت رأسها عن بدنها فظننت أنها فعلت ذلك من غيرتها منها ففكرت ساعة ثم قمت قلعت ثيابي
وحفرت في القاعة ووضعت الصبية ورددت عليها التراب وأعدت الرخام كما كان ثم لبست وأخذت بقية مالي
وخرجت وجئت الى صاحب القاعة ودفعت له أجرة سنة وقلت له أنا مسافر الى أعمامي بمصر ثم سافرت أنا لمصر
واجتمعت بأعمامي ففرحوا بي ووجدتهم قد فرغوا من بيع متجرهم ثم قالوا لي ما سبب مجيئك فقلت لهم اشتقت اليكم
وخفت أن لا يبقى معي شيء من مالي فأقمت عندهم سنة وأنا أتفرج على مصر ونيلها ووضعت يدي في بقية مالي
وصرت أصرف منه وآكل وأشرب حتى قرب سفر أعمامي فهربت منهم فقالوا لعله سبقنا ورجع الى دمشق
فسافروا وخرجت أنا فأقمت بمصر ثلاث سنين وصرت أصرف حتى لم يبق معي من المال شيء وأنا في كل سنة أرسل
الى صاحب القاعة أجرتها وبعد الثلاث سنين ضاق صدري ولم يبق معي الا أجرة السنة فقط فسافرت حتى وصلت
الى دمشق ونزلت في القاعة ففرح بي صاحبها فدخلت القاعة ومسحتها من دم الصبية المذبوحة ورفعت المخدة
فوجدت تحتها العقد الذي كان في عنق تلك الصبية فأخذته وتأملته وبكيت ساعة ثم أقمت يومين وفي اليوم
الثالث دخلت الحمام وغيرت أثوابي وأنا ما معي شيء من الدراهم فجئت يوماً الى السوق فوسوس لي الشيطان لاجل
انفاذ القدر فأخذت العقد الجوهر وتوجهت به الى السوق وناولته للدلال فقام لي وأجلسني بجانبه وصبر حتى عمر
السوق وأخذه الدلال ونادى عليه خفية وأنا لا أعلم واذا بالعقد ثمن بلغ ثمنه ألفي دينار فجاءني الدلال وقال لي ان
هذا العقد نحاس مصنوع بصنعة الافرنج وقد وصل ثمنه الى ألف درهم فقلت له نعم هذا كنا صنعناه لواحدة
نضحك عليها به وورثته زوجتي فاردنا بيعه فرح واقبض الالف درهم * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت
عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثامنة والعشرون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب لما قال للدلال اقبض الالف
درهم وسمع الدلال ذلك عرف أن قضيته مشكلة فتوجه بالعقد الى كبير السوق وأعطاه اياه فأخذه وتوجه به
الى الوالي وقال له ان هذا العقد سرق من عندي ووجدنا الحرامي لابساً لباس أولاد التجار فلم أشعر الا والظلمة
قد أحاطوا بي وأخذوني وذهبوا بي الى الوالي فسألني الوالي عن ذلك العقد فقلت له ما قلته للدلال فضحك

الوالى وقال ما هذا كلام الحق فلم أدر الا وحواشيه جردونى من ثيابى وضربونى بالمقارع على جميع بدنى فاحرقنى
الضرب فقلت أنا سرقته وقلت فى نفسى ان الاحسن انى أقول أنا سرقته ولا أقول ان صاحبته مقتولة عندى
فيقتلونى فيها فلما قلت انى سرقته قطعوا يدى وقلوها فى الزيت فغشى على فسقونى الشراب حتى أفقت فاخذت
يدى وجئت الى القاعة فقال صاحب القاعة حيث ما جرى لك هذا فاخل القاعة وانظر لك موضعا آخر لانك متهم
بالحرام فقلت له يا سيدى اصبر على يومين أو ثلاثة حتى أنظر لى موضعا قال نعم ومضى وتركنى فبقيت قاعدا أبكى
وأقول كيف أرجع الى أهلى وأنا مقطوع اليد والذى قطع يدى لم يعلم انى برىء فلعل الله يحدث بعد ذلك أمرا
وصرت أبكى بكاء شديدا فلما مضى صاحب القاعة عنى لحقنى غم شديد فتشوشت يومين وفى اليوم الثالث ما أدرى
الا وصاحب القاعة جاءنى ومعه بعض الظلمة وكبير السوق وادّعى على انى سرقت العقد فخرجت لهم وقلت لهم
ما الخبر فلم يمهلونى بل كتفونى ووضعوا فى رقبتى جنزيرا وقالوا لى ان العقد الذى كان معك طلع لصاحب دمشق
ووزيرها وحاكمها وقالوا ان هذا العقد قد ضاع من بيت الصاحب من مدة ثلاث سنين ومعه ابنته فلما سمعت هذا
الكلام منهم ارتعدت مفاصلى وقلت فى نفسى هم يقتلوننى ولا محالة والله لابد أننى أحكى للصاحب حكايتى فان شاء
قتلنى وان شاء عفا عنى فلما وصلنا الى الصاحب أوقفنى بين يديه فلما رآنى قال أهذا الذى سرق العقد ونزل به
ليبيعه انكم قطعتم يده ظلما ثم أمر بسجن كبير السوق وقال له اعط هذا دية يده والا أشنقك وآخذ جميع مالك ثم
صاح على أتباعه فاخذوه وجروه وبقيت أنا والصاحب وحدنا بعد أن فكوا الغل من عنقى باذنه وحلوا وثاقى ثم نظر
الى الصاحب وقال لى يا ولدى حدثنى وأصدقنى كيف وصل اليك هذا العقد فقلت يا مولاى انى أقول لك الحق
ثم حدثته بجميع ما جرى لى مع الصبية الاولى وكيف جاءتنى بالثانية وكيف ذبحتها من الغيرة وذكرت له الحديث
بتمامه فلما سمع كلامى هز رأسه وحط منديله على وجهه وبكى ساعة ثم أقبل على وقال لى اعلم يا ولدى ان الصبية
الكبيرة بنتى وكنت أحجر عليها فلما بلغت أرسلتها الى ولد عمها بمصر فمات فجاءتنى وقد تعلمت العهر من أولاد مصر
وجاءتك أربع مرات ثم جاءتك باختها الصغيرة والاثنتان شقيقتان وكانتا محبتين لبعضهما فلما جرى للكبيرة
ما جرى أخرجت سرها على أختها فطلبت منى الذهاب معها ثم رجعت وحدها فسألتها عنها فوجدتها تبكى عليها
وقالت لا أعلم لها خبرا ثم قالت لامها سرا جميع ما جرى من ذبحها أختها فاخبرتنى أمها سرا ولم تزل تبكى وتقول والله
لا أزال أبكى عليها حتى أموت وكلامك يا ولدى صحيح فانى أعلم بذلك قبل أن تخبرنى به فانظر يا ولدى ما جرى وأنا
أشتهى منك أن لا تخالفنى فيما أقول لك وهو انى أريد أن أزوّجك ابنتى الصغيرة فانها ليست شقيقة لهما وهى
بكر ولا آخذ منك مهرا وأجعل لكما راتبا من عندى وتبقى عندى بمنزلة ولدى فقلت له الامر كما تريد يا سيدى
ومن أين لى أن أصل الى هذا فارسل الصاحب فى الحال من عنده بريدا وأتانى بمالى الذى خلفه والدى وأنا اليوم
فى أرغد عيش فتعجبت منه وأقمت عنده ثلاثة أيام وأعطانى مالا كثيرا وسافرت من عنده فوصلت الى بلادكم
هذه فطابت لى فيها المعيشة وجرى لى مع الاحدب ما جرى * فقال ملك الصين ما هذا بأعجب من حديث الاحدب
ولا بد لى من شنقكم جميعا وخصوصا الخياط الذى هو رأس كل خطيئة ثم قال يا خياط ان حدثتنى بشىء أعجب من
حديث الاحدب وهبت لكم ذنوبكم

﴿ حكاية مزين بغداد ﴾

فعند ذلك تقدم الخياط وقال اعلم يا ملك الزمان ان الذى جرى لى أعجب مما جرى للجميع لانى كنت قبل أن أجتمع
بالأحدب أوّل النهار فى وليمة لبعض أصحاب أرباب الصنائع من خياطين وبزازين ونجارين وغير ذلك فلما طلعت
الشمس حضر الطعام لنأكل واذا بصاحب الدار قد دخل علينا ومعه شاب غريب مليح من أهل بغداد وعلى ذلك
الشاب أحسن ما يكون من الثياب وهو فى أحسن ما يكون من الجمال غير أنه أعرج فدخل علينا وسلم فقمنا فلما
أراد الجلوس رأى فينا انسانا مزينا فامتنع من الجلوس وأراد أن يخرج من عندنا فمنعناه نحن وصاحب المنزل
وشددنا عليه وحلف عليه صاحب المنزل وقال له ما سبب دخولك وخروجك فقال بالله يا مولاى لا تتعرض لى
بشىء فان سبب خروجى هذا المزين الذى هو قاعد فلما سمع منه صاحب الدعوة هذا الكلام تعجب غاية العجب

وقال كيف يكون هذا الشاب من بغداد وتشوش خاطره من هذا المزين ثم التفتنا اليه وقلنا له احك لنا ما سبب
غيظك من هذا المزين فقال الشاب يا جماعة انه جرى لي مع هذا المزين أمر عجيب في بغداد بلدي وكان هو سبب
عرجي وكسر رجلي وحلفت أني ما بقيت أقاعده في مكان ولا أسكن في بلد هو ساكن بها وقد سافرت من بغداد
ورحلت منها وسكنت في هذه المدينة وأنا الليلة لا أبيت الا مسافرا فقلنا بالله عليك أن تحكي لنا حكايتك معه
فاصفر لون المزين حين سألنا الشاب ثم قال الشاب اعلموا يا جماعة الخير أن والدي من أكابر تجار بغداد ولم يرزقه
الله تعالى بولد غيري فلما كبرت وبلغت مبلغ الرجال توفي والدي الى رحمة الله تعالى وخلف لي مالا وخدما وحشما
فصرت ألبس أحسن الملابس وآكل أحسن المآكل وكان الله سبحانه وتعالى بغضني في النساء الى أن كنت
ماشيا يوما من الايام في أزقة بغداد واذا بجماعة تعرضوا لي في الطريق فهربت ودخلت زقاقا لا ينفذ وارتكنت
في آخره على مصطبة فلم أقعد غير ساعة واذا بطاقة قبالة المكان الذي أنا فيه فتحت وطلت منها صبية كالبدر
في تمامه لم أر في عمري مثلها ولها زرع تسقيه وذلك الزرع تحت الطاقة فالتفتت يمينا وشمالا ثم قفلت الطاقة
وغابت عني فانطلقت في قلبي النار واشتغل خاطري بها وانقلب بغضي للنساء محبة فلا زلت جالسا في هذا المكان
الى المغرب وأنا غائب عن الدنيا من شدة الغرام واذا بقاضي المدينة راكب وقدامه عبيد وورائه خدام فنزل
ودخل البيت الذي طلت منه تلك الصبية فعرفت أنه أبوها ثم اني جئت منزلي وأنا مكروب ووقعت على الفراش
مهموما فدخلن علي جواري وقعدن حولي ولم يعرفن ما بي وأنا لم أبد لهن أمرا ولم أرد لخطابهن جوابا وعظم مرضي
فصارت الناس تعودني فدخلت علي عجوز فلما رأتني لم يخف عليها حالي فقعدت عند رأسي ولاطفتني وقالت لي
يا ولدي قل لي خبرك فحكيت لها حكايتي فقالت يا ولدي ان هذه بنت قاضي بغداد وعليها الحجر والموضع الذي
رأيتها فيه هو طبقتها وأبوها له قاعة كبيرة أسفل وهي وحدها وأنا كثيرا ما أدخل عندهم ولا تعرف وصالها
الا مني فشد حيلك فتجلدت وقويت نفسي حين سمعت حديثها وفرح أهلي في ذلك اليوم وأصبحت متماسك
الاعضاء مترجيا تمام الصحة ثم مضت العجوز ورجعت ووجهها متغير فقالت يا ولدي لا تسأل عما جرى منها
لما قلت لها ذلك فانها قالت لي ان لم تسكتي يا عجوز النحس عن هذا الكلام لافعلن بك ما تستحقينه ولا بد أن أرجع
اليها ثاني مرة فلما سمعت ذلك منها ازددت مرضا على مرضي فلما كان بعد أيام أتت العجوز وقالت يا ولدي أريد
منك البشارة فلما سمعت ذلك منها ردت روحي الى جسمي وقلت لها لك عندي كل خير فقالت اني ذهبت بالامس
الى تلك الصبية فلما نظرتني وأنا منكسرة الخاطر باكية العين قالت يا خالتي مالي أراك ضيقة الصدر فلما قالت
لي ذلك بكيت وقلت لها يا بنتي وسيدتي اني أتيتك بالامس من عند فتى يهواك وهو مشرف على الموت من أجلك
فقالت لي وقد رق قلبها ومن أين يكون هذا الفتى الذي تذكرينه قلت هو ولدي وثمرة فؤادي ورآك في الطاقة
من أيام مضت وأنت تسقين زرعك ورأى وجهك فهام بك عشقا وأنا أول مرة أعلمته بما جرى لي معك فزاد
مرضه ولزم الوساد وما هو الا ميت ولا محالة فقالت وقد اصفر لونها هل هذا كله من أجلي قلت أي والله فماذا
تأمرين قالت امضي اليه واقرئيه مني السلام واخبريه أن عندي أضعاف ما عنده فاذا كان يوم الجمعة قبل
الصلاة يجيء الى الدار وأنا أقول افتحوا له الباب وأطلعه عندي وأجتمع أنا واياه ساعة ويرجع قبل مجيء أبي من
الصلاة فلما سمعت كلام العجوز زال ما كنت أجده من الالم واستراح قلبي ودفعت اليها ما كان علي من الثياب
وانصرفت وقالت لي طب قلبك فقلت لها لم يبق في شيء من الالم وتباشر أهل بيتي وأصحابي بعافيتي ولم أزل
كذلك الى يوم الجمعة واذا بالعجوز دخلت علي وسألتني عن حالي فأخبرتها اني بخير وعافية ثم لبست ثيابي
وتعطرت ومكثت أنتظر الناس يذهبون الى الصلاة حتى أمضي اليها فقالت العجوز ان معك في الوقت اتساعا
زائدا فلو مضيت الى الحمام وأزلت شعرك لاسيما من أثر المرض لكان في ذلك صلاحك فقلت لها ان هذا هو
الرأي الصواب لكن أحلق رأسي أولا ثم أدخل الحمام فارسلت الى المزين ليحلق لي رأسي وقلت للغلام امض الى
السوق واتني بمزين يكون عاقلا قليل الفضول لا يصدع رأسي بكثرة كلامه فمضى الغلام وأتى بهذا الشيخ فلما
دخل سلم علي فرددت عليه السلام فقال أذهب الله غمك وهمك والبؤس والاحزان عنك فقلت تقبل الله منك

فقال ابشر ياسيدي فقد جاءتك العافية أتريد تقصير شعرك أو اخراج دم فانه ورد عن ابن عباس انه قال من قصر شعره يوم الجمعة صرف الله عنه سبعين داء وروى عنه أيضا انه قال من احتجم يوم الجمعة لا يأمن ذهاب البصر وكثرة المرض فقلت له دع عنك هذا الهذيان وقم في هذه الساعة احلق لي رأسي فاني رجل ضعيف فقام ومد يده وأخرج منديلا وفتحه واذا فيه اصطرلاب وهو سبع صفائح فأخذه ومضى الى وسط الدار ورفع رأسه الى شعاع الشمس ونظر مليا وقال لي اعلم انه مضى من يومنا هذا وهو يوم الجمعة وهو عاشر صفر سنة ثلاث وستين وسبعمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وطالعه بمقتضى ما أوجبه علم الحساب المريخ سبع درج وستة دقائق واتفق أنه قارنه عطارد وذلك يدل على ان حلق الشعر جيد جدا ودل عندي على أنك تريد الاقبال على شخص وهو مسعود لكن بعده كلام يقع وشئ لا أذكره فقلت له والله لقد أضجرتني وأزهقت روحي وفولت علي وأنا ما طلبتك الا لتحلق رأسي فقم واحلق رأسي ولا تطل علي الكلام فقال والله لو علمت حقيقة الامر لطلبت مني زيادة البيان وأنا أشير عليك انك تعمل اليوم بالذي آمرك به بمقتضى حساب الكواكب وكان سبيلك أن تحمد الله ولا تخالفني فاني ناصح لك وشفيق عليك وأود أن أكون في خدمتك سنة كاملة وتقوم بحقي ولا أريد منك أجرة على ذلك فلما سمعت ذلك منه قلت له انك قاتلي في هذا اليوم ولا محالة * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال له انك قاتلي في هذا اليوم فقال يا سيدي أنا الذي تسميني الناس الصامت لقلة كلامي دون اخوتي لان أخي الكبير اسمه البقبوق والثاني الهدار والثالث بقيق والرابع اسمه الكوز الاصواني والخامس اسمه العشار والسادس اسمه شقالق والسابع اسمه الصامت وهو أنا فلما زاد علي هذا المزين بالكلام رأيت أن مرارتي انفطرت وقلت للغلام اعطه ربع دينار وخله ينصرف عني لوجه الله فلا حاجة لي في حلاقة رأسي فقال هذا المزين حين سمع كلامي مع الغلام أي شئ هذا المقال يا مولاي والله لا آخذ منك أجرة حتى أخدمك ولا بد من خدمتك فانه واجب علي خدمتك وقضاء حاجتك ولا أبالي اذا لم آخذ منك دراهم فان كنت لا تعرف قدري فأنا أعرف قدرك وكان والدك رحمه الله تعالى له علينا الاحسان لانه كان كريما والله لقد أرسل والدك خلفي يوما مثل هذا اليوم المبارك فدخلت عليه وكان عنده جماعة من أصحابه فقال لي أخرج لي دما فأخذت الاصطرلاب وأخذت له الارتفاع فوجدت طالع الساعة نحسا واخراج الدم فيها صعبا فأعلمته بذلك فامتثل وصبر الى أن أتت الساعة الجيدة وأخرجت له فيها الدم ولم يخالفني بل شكرني وكذلك شكرني الجماعة الحاضرون وأعطاني والدك مائة دينار في نظير اخراج الدم فقلت له لا رحم الله أبي الذي عرف مثلك فضحك هذا المزين وقال لا اله الا الله محمد رسول الله سبحان من يغير ولا يتغير ما كنت أظنك الا عاقلا لكنك خرفت من المرض وقد قال الله في كتابه العزيز والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وأنت معذور على كل حال وما أدري سبب عجلتك وأنت تعلم أن والدك ما كان يفعل شيأ الا بمشورتي وقد قيل ان المستشار مؤتمن وما تجد أحدا أعرف مني بالامور وأنا واقف على أقدامي أخدمك وما ضجرت منك فكيف ضجرت أنت مني وأنا أصبر عليك لأجل ما لأبيك علي من الفضل فقلت له والله لقد أطلت علي الخطاب وزدت علي في المقال وأنا قصدي أن تحلق رأسي وتنصرف عني وأظهرت الغضب وأردت أن أقوم وان كان قد بل رأسي فقال قد علمت أنه قد غلب عليك الضجر مني لكن لا أؤاخذك لان عقلك ضعيف وأنت صبي ومن زمن قريب كنت أحملك على كتفي وأمضي بك الى المكتب فقلت له يا أخي بحق الله عليك انصرف عني حتى أقضي شغلي وقم الى حال سبيلك ثم مزقت أثوابي فلما رآني فعلت ذلك أخذ الموسى وسنه ولا زال يسنه حتى كادت روحي أن تفارق جسمي ثم تقدم الى رأسي وحلق منها بعضا ثم رفع يده وقال يا مولاي العجلة من الشيطان ثم انه أنشد هذين البيتين

تأن ولا تعجل لأمر تريده * وكن راحما للناس تبلى براحم
فما من يد الا يد الله فوقها * ولا ظالم الا سيبلى بظالم

ثم قال يا مولاي ما أظنك تعرف بمنزلتي فان يدي تقع على رأس الملوك والامراء والوزراء والحكماء والفضلاء وفي مثلي قال الشاعر

جميع الصنائع مثل العقود * وهذا المزين در السلوك
فيعلو على كل ذي حكمة * وتحت يديه رؤس الملوك

فقلت دع ما لا يعنيك فقد ضيقت صدري وأشغلت خاطري فقال أظنك مستعجلا فقلت له نعم نعم نعم فقال تمهل على نفسك فان العجلة من الشيطان وهي تورث الندامة والحرمان وقد قال عليه الصلاة والسلام خير الامور ما كان فيه تأن وأنا والله رابني أمرك فأشتهي أن تعرفني ما الذي أنت مستعجل من أجله ولعله خير فاني أخشى أن يكون شيأ غير ذلك وقد بقي من الوقت ثلاث ساعات ثم غضب ورمى الموسى من يده وأخذ الاصطرلاب ومضى الى الشمس ووقف حصة مديدة وعاد وقال قد بقي لوقت الصلاة ثلاث ساعات لا تزيد ولا تنقص فقلت له بالله عليك اسكت عني فقد فتت كبدي فأخذ الموسى وسنه كما فعل أولا وحلق بعض رأسي وقال أنا مهموم من عجلتك فلو أطلعتني على سببها لكان خيرا لك لانك تعلم أن والدك ما كان يفعل شيأ الا بمشورتي فلما علمت ان ما لي منه خلاص قلت في نفسي قد جاء وقت الصلاة وأريد أن أمضي قبل أن تخرج الناس من الصلاة فان تأخرت ساعة لا أدري أين السبيل الى الدخول اليها فقلت أوجز ودع عنك هذا الكلام والفضول فاني أريد أن أمضي الى دعوة عند أصحابي فلما سمع ذكر الدعوة قال يومك يوم مبارك علي لقد كنت البارحة حلفت على جماعة من أصدقائي ونسيت أن أجهز لهم شيأ يأكلونه وفي هذه الساعة تذكرت ذلك وافضحتاه منهم فقلت له لا تهتم بهذا الامر بعد تعريفك انني اليوم في دعوة فكل ما في داري من طعام وشراب لك ان أنجزت أمري وعجلت حلاقة رأسي فقال جزاك الله خيرا صف لي ما عندك لاضيافي حتى أعرفه فقلت عندي خمسة أوان من الطعام وعشر دجاجات محمرات وخروف مشوي فقال أحضرها لي حتى أنظرها فأحضرت له جميع ذلك فلما عاينه قال بقي الشراب فقلت له عندي قال أحضره فأحضرته له قال لله درك ما أكرم نفسك لكن بقي البخور والطيب فأحضرت له درجا فيه ند وعود وعنبر ومسك يساوي خمسين دينارا وكان الوقت قد ضاق حتى صار مثل صدري فقلت له خذ هذا واحلق لي جميع رأسي بحياة محمد صلى الله عليه وسلم فقال المزين والله ما آخذه حتى أرى جميع ما فيه فأمرت الغلام ففتح له الدرج فرمى المزين الاصطرلاب من يده وجلس على الارض يقلب الطيب والبخور والعود الذي في الدرج حتى كادت روحي أن تفارق جسمي ثم تقدم وأخذ الموسى وحلق من رأسي شيأ يسيرا وقال والله يا ولدي ما أدري أأشكرك أم أشكر والدك لان دعوتي اليوم كلها من بعض فضلك واحسانك وليس عندي من يستحق ذلك وانما عندي زيتون الحمامي وصليع الفسخاني وعوكل الفوال وعكرشة البقال وحميد الزبال وعكارش اللبان ولكل من هؤلاء رقصة يرقصها وأبيات ينشدها وأحسن ما فيهم أنهم مثل المملوك عبدك أنا لا أعرف كثرة الكلام ولا فضول أما الحمامي فانه يقول ان لم أذهب اليه يجيئني بيتي وأما الزبال فانه ظريف خليع كثيرا ما يرقص ويقول الخبر عندي زوجتي ما صار في صندوق وكل واحد من أصحابي له لطائف لا توجد في الآخر وليس الخبر كالعيان فان اخترت أن تحضر عندنا كان ذلك أحب اليك والينا واترك رواحك الى أصدقائك الذين قلت لي انك تريد الذهاب اليهم فان عليك أثر المرض وربما تمضي الى أقوام كثيري الكلام يتكلمون فيما لا يعنيهم وربما يكون فيهم واحد فضولي وأنت قلقت روحك من المرض فقلت ان شاء الله يكون ذلك في غير هذا اليوم فقال لي الانسب أن تقدم حضورك عند أصحابي لتغتنم مؤانستهم وتفوز بلطفهم وتعمل بقول الشاعر

لا تؤخر لذة ان أمكنت * انما الدهر سريع العطب

فضحكت عن قلب مشحون بالغيظ وقلت له اقض شغلي وأسير أنا في أمان الله تعالى وتمضي أنت الى أصحابك فانهم منتظرون قدومك فقال ما طلبت الا أن أعاشرك بهؤلاء الاقوام فانهم من أولاد الناس الذين ما فيهم فضولي ولو رأيتهم مرة واحدة لتركت جميع أصحابك فقلت له نعم الله سرورك بهم ولا بد أن أحضرهم عندي يوما فقال اذا أردت ذلك وقدمت دعوة أصحابك في هذا اليوم فاصبر حتى أمضي بهذا الاكرام الذي أكرمتني به وأدعه عند أصحابي يأكلون ويشربون ولا ينتظروني ثم أعود اليك وأمضي معك الى أصدقائك فليس بيني

وبين أصدقائي حشمة تمنعني عن تركهم والعود اليك عاجلا وأمضي معك أيما توجهت فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم امض أنت الى أصدقائك وانشرح معهم ودعني أمضي الى أصدقائي وأكون معهم في هذا اليوم فانهم منتظرون قدومي فقال المزين لا أدعك تمضي وحدك فقلت له ان الموضع الذي أمضي اليه لا يقدر أحد أن يدخل فيه غيري فقال أظنك اليوم في ميعاد واحدة والا كنت تأخذني معك وأنا أحق من جميع الناس وأساعدك على ما تريد فاني أخاف أن تدخل على امرأة أجنبية فتروح روحك فان هذه مدينة بغداد لا يقدر أحد أن يعمل فيها شيأ من هذه الأشياء لا سيما في مثل هذا اليوم وهذا والي بغداد صارم عظيم فقلت ويلك يا شيخ الشر أي شئ هذا الكلام الذي تقابلني به فسكت سكوتا طويلا وأدركنا وقت الصلاة وجاء وقت الخطبة وقد فرغ من حلق رأسي فقلت له امض الى أصحابك بهذا الطعام والشراب وأنا انتظرك حتى تعود وتمضي معي ولم أزل أخادعه لعله يمضي فقال لي انك تخادعني وتمضي وحدك وترمي نفسك في مصيبة لا خلاص لك منها فالله الله لا تبرح حتى أعود اليك وأمضي معك حتى أعلم ما يتم من أمرك فقلت له نعم لا تبطئ علي فأخذ ما أعطيته من الطعام والشراب وغيره وخرج من عندي فسلمه الى الحمال ليوصله الى منزله وأخفى نفسه في بعض الازقة ثم قمت من ساعتي وقد أعلنوا على المنارات بسلام الجمعة فلبست ثيابي وخرجت وحدي وأتيت الى الزقاق ووقفت على البيت الذي رأيت فيه تلك الصبية واذا بالمزين خلفي ولا أعلم به فوجدت الباب مفتوحا فدخلت واذا بصاحب الدار عاد الى منزله من الصلاة ودخل القاعة وغلق الباب فقلت من أين علم هذا الشيطان بي فاتفق في هذه الساعة لأمر يريده الله من هتك ستري أن صاحب الدار أذنبت جارية عنده فضربها فصاحت فدخل عنده عبد ليخلصها فضربه فصاح الآخر فاعتقد المزين أنه يضربني فصاح ومزق أثوابه وحثا التراب على رأسه وصار يصرخ ويستغيث والناس حوله وهو يقول قتل سيدي في بيت القاضي ثم مضى الى داري وهو يصيح والناس خلفه وأعلم أهل بيتي وغلماني فما دريت الا وهم قد أقبلوا يصيحون واسيداه كل هذا والمزين قدامهم وهو ممزق الثياب والناس معهم ولم يزالوا يصرخون وهو في أوائلهم يصرخ وهم يقولون واقتيلاه وقد أقبلوا نحو الدار التي أنا فيها فلما سمع القاضي ذلك عظم عليه الامر وقام وفتح الباب فرأى جمعا عظيما فبهت وقال يا قوم ما القصة فقال له الغلمان انك قتلت سيدنا فقال يا قوم وما الذي فعله سيدكم حتى أقتله * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿ فلما كانت الليلة الموفية الثلاثين ﴾

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن القاضي قال للغلمان ما الذي فعله سيدكم حتى أقتله وما لي أرى هذا المزين بين أيديكم فقال له المزين انت ضربته في هذه الساعة بالمقارع وأنا أسمع صياحه فقال القاضي وما الذي فعله حتى أقتله ومن أدخله داري ومن أين جاء والى أين يقصد فقال له المزين لا تكن شيخا نحسا فأنا أعلم الحكاية وسبب دخول دارك وحقيقة الامر كله فبنتك تعشقه وهو يعشقها فعلمت أنه قد دخل دارك وأمرت غلمانك فضربوه والله ما بيننا وبينك الا الخليفة أو تخرج لنا سيدنا ليأخذه أهله ولا تحوجني الى أن أدخل وأخرجه من عندكم وعجل أنت باخراجه فالجم القاضي عن الكلام وصار في غاية الخجل من الناس وقال للمزين ان كنت صادقا فادخل أنت وأخرجه فنهض المزين ودخل الدار فلما رأيت المزين دخل أردت أن أهرب فلم أجد لي مهربا غير أني رأيت في الطبقة التي أنا فيها صندوقا كبيرا فدخلت فيه ورددت الغطاء عليه وقطعت النفس فدخل القاعة بسرعة ولم يلتفت الى غير الجهة التي أنا فيها بل قصد الموضع الذي أنا فيه والتفت يمينا وشمالا فلم يجد الا الصندوق الذي أنا فيه فحمله على رأسه فلما فعل ذلك غاب رشدي ثم مر مسرعا فلما علمت انه ما يتركني فتحت الصندوق وخرجت منه بسرعة ورميت نفسي على الارض فانكسرت رجلي فلما توجهت الى الباب وجدت خلقا كثيرا لم أر في عمري مثل هذا الازدحام الذي حصل في ذلك اليوم فجعلت أنثر الذهب على الناس ليشتغلوا به فاشتغل الناس به وصرت أجري في ازقة بغداد وهذا المزين خلفي وأي مكان دخلت فيه يدخل خلفي وهو يقول أرادوا أن يفجعوني في سيدي الحمد لله الذي نصرني عليهم وخلص سيدي من أيديهم فما زلت يا سيدي مولعا بالعجلة لسوء تدبيرك حتى فعلت بنفسك هذه الافعال فلولا من الله عليك بي ما كنت خلصت

من هذه المصيبة التي وقعت فيها او ربما كانوا يرمونك في مصيبة لا تخلص منها أبدا فاطلب من الله أن أعيش لك حتى أخلصك والله لقد أهلكتني بسوء تدبيرك وكنت تريد أنك تروح وحدك ولكن لا نؤاخذك على جهلك لأنك قليل العقل عجول فقلت له أما كفاك ما جرى منك حتى تجري ورائي في الاسواق وصرت أتمنى الموت لأجل خلاصي منه فلا أجد موتا ينقذني منه فمن شدة الغيظ فررت منه ودخلت دكانا في وسط السوق واستجرت بصاحبها فمنعه عني وجلست في مخزن وقلت في نفسي ما بقيت أقدر أن أفترق من هذا المزين بل يقيم عندي ليلا ونهارا ولم يبق في قدرة على النظر الى وجهه فارسلت في الوقت أحضرت الشهود وكتبت وصية لأهلي وفرقت مالي وجعلت انسانا ناظرا عليهم وأمرته أن يبيع الدار والعقارات وأوصيته بالكبار والصغار وخرجت مسافرا من ذلك الوقت حتى أتخلص من ذلك القواد ثم جئت الى بلادكم فسكنتها ولي فيها مدة فلما عزمتم علي وجئت اليكم رأيت هذا القبيح القواد عندكم في صدر المكان فكيف يستريح قلبي و يطيب مقامي عندكم مع هذا وقد فعل معي هذه الفعال وانكسرت رجلي بسببه ثم ان الشاب امتنع من الجلوس فلما سمعنا حكايته مع المزين قلنا للمزين أحق ما قاله هذا الشاب عنك فقال والله أنا فعلت ذلك بمعرفتي ولولا اني فعلت لهلك وما سبب نجاته الا أنا ومن فضل الله عليه بسببي أنه أصيب برجله ولم يصب بروحه ولو كنت كثير الكلام ما فعلت معه ذلك الجميل وها أنا أقول لكم حديثا جرى لي حتى تصدقوا اني قليل الكلام وما عندي فضول من دون اخوتي وذلك أني كنت ببغداد في أيام خلافة أمير المؤمنين المنتصر بالله وكان يحب الفقراء والمساكين ويجالس العلماء والصالحين فاتفق له يوما أنه غضب على عشرة أشخاص فأمر المتولي ببغداد أن يأتيه بهم في زورق فنظرتهم أنا فقلت ما اجتمع هؤلاء الا لعزومة وأظنهم يقطعون يومهم في هذا الزورق في أكل وشرب وما يكون نديمهم غيري فقمت ونزلت معهم واختلطت بهم فقعدوا في الجانب الآخر فجاءهم أعوان الوالي بالاغلال و وضعوها في رقابهم و وضعوا في رقبتي غلا من جملتهم فهذا يا جماعة ما هو من مروأتي وقلة كلامي لأني ما رضيت أن أتكلم فأخذونا جميعا في الاغلال وقدمونا بين يدي المنتصر بالله أمير المؤمنين فأمر بضرب رقاب العشرة فضرب السياف رقاب العشرة وقد بقيت أنا فالتفت الخليفة فرآني فقال للسياف مالك لا تضرب رقاب جميع العشرة فقال ضربت رقاب العشرة كلهم فقال له الخليفة ما أظنك ضربت رقاب غير تسعة وهذا الذي بين يدي هو العاشر فقال السياف وحق نعمتك انهم عشرة قال عدهم فعدوهم فاذا هم عشرة فنظر الى الخليفة وقال ما حملك على سكوتك في هذا الوقت وكيف صرت مع أصحاب الدم فلما سمعت خطاب أمير المؤمنين قلت له اعلم يا أمير المؤمنين اني أنا الشيخ الصامت وعندي من الحكمة شئ كثير وأما رزانة عقلي وجودة فهمي وقلة كلامي فانها لا نهاية لها وصنعتي الزيانة فلما كان أمس بكرة النهار نظرت هؤلاء العشرة قاصدين الزورق فاختلطت بهم ونزلت معهم وظننت أنهم في عزومة فما كان غير ساعة واذا هم أصحاب جرائم فحضرت اليهم الاعوان ووضعوا في رقابهم الاغلال و وضعوا في رقبتي غلا من جملتهم فمن فرط مروأتي سكت ولم أتكلم فعدم كلامي في ذلك الوقت من فرط مروأتي فساروا بنا حتى أوقفونا بين يديك فأمرت بضرب رقاب العشرة و بقيت أنا بين يدي السياف ولم أعرفكم بنفسي أما هذه مروأة عظيمة قد أحوجتني الى أن أشاركهم في القتل ولكن طول دهري هكذا أفعل الجميل فلما سمع الخليفة كلامي وعلم أني كثير المروأة قليل الكلام ما عندي فضول كما يزعم هذا الشاب الذي خلصته من الاهوال قال الخليفة واخوتك الستة مثلك فيهم الحكمة والعلم وقلة الكلام قلت لا عاشوا ولا بقوا ان كانوا مثلي ولكن ذممتني يا أمير المؤمنين ولا ينبغي لك أن تقرن اخوتي بي لأنهم من كثرة كلامهم وقلة مروأتهم كل واحد منهم بعاهة فمنهم واحد أعرج و واحد أعور و واحد أفلج و واحد أعمى و واحد مقطوع الأذنين والأنف و واحد مقطوع الشفتين و واحد أحول العينين ولا تحسب يا أمير المؤمنين اني كثير الكلام ولا بد أن أبين لك اني أعظم مروأة منهم ولكل واحد منهم حكاية اتفقت له حتى صار فيه عاهة وان شئت أن أحكي لك فاعلم يا أمير المؤمنين أن الاول وهو الاعرج كان صنعته الخياطة ببغداد فكان يخيط في دكان استأجرها من رجل كثير المال وكان ذلك الرجل ساكنا على الدكان وكان في أسفل دار الرجل طاحون فبينما أخي الاعرج جالس في الدكان في بعض الأيام يخيط اذ رفع

رأسه فرأى امرأة كالبدر الطالع في روشن الدار وهي تنظر الناس فلما رآها أخي تعلق قلبه بحبها وصار يومه ذلك ينظر اليها وترك اشتغاله بالخياطة الى وقت المساء فلما كان وقت الصباح فتح دكانه وقعد يخيط وهو كلما غرز غرزة ينظر الى الروشن فمكث على ذلك مدة لم يخط شيأ يساوي درهما فاتفق ان صاحب الدار جاء الى أخي يوما من الأيام ومعه قماش وقال له فصل لي هذا وخيطه أقمصة فقال أخي سمعا وطاعة ولم يزل يفصل حتى فصل عشرين قميصا الى وقت العشاء وهو لم يذق طعاما ثم قال له كم أجرة ذلك فلم يتكلم أخي فاشارت اليه الصبية بعينها لا تأخذ منه شيأ وكان محتاجا الى فلس واستمر ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب الا القليل بسبب اجتهاده في تلك الخياطة فلما فرغ من الخياطة التي لهم أتى اليهم بالاقمصة وكانت الصبية قد عرفت زوجها بحال أخي وأخي لا يعلم ذلك واتفقت هي وزوجها على استعمال أخي في الخياطة بلا أجرة بل يضحكون عليه فلما فرغ أخي من جميع أشغالهما عملا عليه حيلة وزوجاه بجاريتهما وليلة أراد أن يدخل عليها قالا له بت الليلة في الطاحون والى غد يكون خيرا فاعتقد أخي أن لهما قصدا صحيحا فبات في الطاحون وحده وراح زوج الصبية غمز الطحان عليه ليدوره في الطاحون فدخل عليه الطحان في نصف الليل وجعل يقول ان هذا الثور بطال مع ان القمح كثير وأصحاب الطحين يطلبونه فانا أعلقه في الطاحون حتى يخلص طحين القمح فعلقه في الطاحون الى قريب الصبح فجاء صاحب الدار فرأى أخي معلقا في الطاحون والطحان يضربه بالسوط فتركه ومضى وبعد ذلك جاءت الجارية التي عقد عليها وكان مجيئها في بكرة النهار فحلته من الطاحون وقالت قد شق علي وعلى سيدتي ما جرى لك وقد حملنا همك فلم يكن له لسان يرد جوابا من شدة الضرب ثم ان أخي رجع الى منزله واذا بالشيخ الذي كتب الكتاب قد جاء وسلم عليه وقال له حياك الله زواجك مبارك انك بت الليلة في النعيم والدلال والعناق من العشاء الى الصباح فقال له أخي لا سلم الله الكاذب يا ألف قواد والله ما جئت الا لأطحن في موضع الثور الى الصباح فقال له حدثني بحديثك فحدثه أخي بما وقع له فقال له ما وافق نجمك نجمها ولكن اذا شئت أن أغير لك عقد العقد أغيره لك بأحسن منه لأجل أن يوافق نجمك نجمها فقال له انظر ان بقي لك حيلة أخرى ثم ان أخي تركه وأتى الى دكانه ينتظر أحدا يأتي اليه بشغل يتقوت من أجرته واذا هو بالجارية قد أتت اليه وكانت اتفقت مع سيدتها على تلك الحيلة فقالت له ان سيدتي مشتاقة اليك وقد طلعت السطح لترى وجهك من الروشن فلم يشعر أخي الا وهي قد طلعت له من الروشن وصارت تبكي وتقول لأي شيء قطعت المعاملة بيننا وبينك فلم يرد عليها جوابا فحلفت له ان جميع ما وقع له في الطاحون لم يكن باختيارها فلما نظر أخي الى حسنها وجمالها ذهب عنه ما حصل له وقبل عذرها وفرح برؤيتها ثم سلم عليها وتحدث معها وجلس في خياطته مدة وبعد ذلك ذهبت اليه الجارية وقالت له تسلم عليك سيدتي وتقول لك ان زوجها قد عزم على أنه يبيت عند بعض أصدقائه في هذه الليلة فاذا مضى عندهم تكون أنت عندنا وتبيت مع سيدتي في ألذ عيش الى الصباح وكان زوجها قد قال لها ما يكون العمل في مجيئه عندك حتى آخذه وأجره الى الوالي فقالت دعني أحتال عليه بحيلة وأفضحه فضيحة يشتهر بها في هذه المدينة وأخي لا يعلم شيأ من كيد النساء فلما أقبل المساء جاءت الجارية الى أخي وأخذته ورجعت به الى سيدتها فقالت له والله يا سيدي اني مشتاقة اليك كثيرا فقال بالله عجلي بقبلة قبل كل شيء فلم يتم كلامه الا وقد حضر زوج الصبية من بيت جاره فقبض على أخي وقال له والله لا أفارقك الا عند صاحب الشرطة فتضرع اليه أخي فلم يسمعه بل حمله الى دار الوالي فضربه بالسياط وأركبه جملا ودوره في شوارع المدينة والناس ينادون عليه هذا جزاء من يهجم على حريم الناس ووقع من فوق الجمل فانكسرت رجله فصار أعرج ثم نفاه الوالي من المدينة فخرج لا يدري أين يقصد فاغتظت أنا فلحقته وأتيت به والتزمت بأكله وشربه الى الآن فضحك الخليفة من كلامي وقال أحسنت فقلت لا أقبل هذا التعظيم منك دون أن تصغي الي حتى أحكي لك ما وقع لبقية اخوتي ولا تحسب أني كثير الكلام فقال الخليفة حدثني بما وقع لجميع اخوتك وشنف مسامعي بهذه الرقائق واسلك سبيل الاطناب في ذكر هذه اللطائف فقلت اعلم يا أمير المؤمنين ان أخي الثاني كان اسمه بقبق وقد وقع له أنه كان ماشيا يوما من الأيام متوجها الى حاجة له واذا

بعجوز قد استقبلته وقالت له أيها الرجل قف قليلا حتى أعرض عليك أمرا فان أعجبك فاقضه لي فوقف أخي فقالت له أدلك على شيء وأرشدك اليه بشرط أن لا يكون كلامك كثيرا فقال لها أخي هات كلامك قالت له ما قولك في دار حسنة وماؤها يجري وفاكهة ومدام ووجه مليح تشاهده وخد أسيل تقبله وقد رشيق تعانقه ولم تزل كذلك من العشاء الى الصباح فان فعلت ما أشترط عليك رأيت الخير فلما سمع أخي كلامها قال لها يا سيدتي وكيف قصدتيني بهذا الامر من دون الخلق أجمعين فاي شيء أعجبك مني فقالت لاخي أما قلت لك لا تكن كثير الكلام واسكت وامض معي ثم ولت العجوز وسار أخي تابعا لها طمعا فيما وصفته له حتى دخلا دارا فسيحة وصعدت به من أدنى الى أعلى فرأى قصرا ظريفا فنظر أخي فرأى فيه أربع بنات ما رأى الراؤن أحسن منهن وهن يغنين بأصوات تطرب الحجر الاصم ثم ان بنتا منهن شربت قدحا فقال لها أخي بالصحة والعافية وقام ليخدمها فمنعته من الخدمة ثم سقته قدحا فشرب وصفعته على رقبته فلما رأى أخي ذلك منها خرج مغضبا ومكثر الكلام فتبعته العجوز وجعلت تغمزه بعينها ان ارجع فرجع وجلس ولم ينطق فأعادت الصفع على قفاه الى أن أغمى عليه ثم قام أخي لقضاء حاجته فلحقته العجوز وقالت له اصبر قليلا حتى تبلغ ما تريد فقال لها أخي الى كم أصبر قليلا فقالت له العجوز اذا سكرت بلغت مرادك فرجع أخي الى مكانه وجلس فقامت البنات كلهن وأمرتهن العجوز أن يجردنه من ثيابه وان يرششن على وجهه ماء ورد ففعلن ذلك فقالت الصبية البارعة الجمال منهن أعزك الله قد دخلت منزلي فان صبرت على شرطي بلغت مرادك فقال لها أخي يا سيدتي أنا عبدك وفي قبضة يدك فقالت له اعلم ان الله شغفني بحب الطرب فمن أطاعني نال ما يريد ثم أمرت الجواري ان يغنين فغنين حتى طرب المجلس ثم قالت للجارية خذي سيدك واقضي حاجته واتيني به في الحال فأخذت الجارية أخي وهو لا يدري ما تصنع به فلحقته العجوز وقالت له اصبر ما بقي الا القليل فاقبل أخي على الصبية والعجوز تقول اصبر فقد بلغت ما تريد وانما بقي شيء واحد وهو أن تحلق ذقنك فقال لها أخي وكيف أعمل في فضيحتي بين الناس فقالت له العجوز انها ما أرادت أن تفعل بك ذلك الا لأجل أن تصير أمرد بلا ذقن ولا يبقى في وجهك شيء يشكها فانها صار في قلبها لك محبة عظيمة فاصبر فقد بلغت المنى فصبر أخي وطاوع الجارية وحلق ذقنه وجاءت به الى الصبية واذا هو محلوق الحاجبين والشارب والذقن محمر الوجه ففزعت منه ثم ضحكت حتى استلقت على قفاها وقالت يا سيدي لقد ملكتني بهذه الأخلاق الحسنة ثم حلفته بحياتها أن يقوم ويرقص فقام ورقص فلم تدع في البيت مخدة حتى ضربته بها وكذلك جميع الجواري صرن يضربنه بمثل نارنجة وليمونة وأترجة الى ان سقط مغشيا عليه من الضرب ولم يزل الصفع على قفاه والرجم في وجهه الى أن قالت له العجوز الآن بلغت مرادك واعلم أنه ما بقي عليك من الضرب شيء وما بقي الا شيء واحد وذلك ان من عادتها انها اذا سكرت لا تمكن أحدا من نفسها حتى تقلع ثيابها وسراويلها وتبقى عريانة من جميع ثيابها وأنت الآخر تقلع ثيابك وتجري وراءها وهي تجري قدامك كأنها هاربة منك ولم تزل تابعها من مكان الى مكان حتى يقوم ايرك فتمكنك من نفسها ثم قالت له قم اقلع ثيابك فقام وهو غائب عن الوجود وقلع ثيابه جميعا

* وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الحادية والثلاثون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان أخا المزين لما قالت له العجوز قم اقلع ثيابك قام وهو غائب عن الوجود وقلع ثيابه وصار عريانا فقالت الجارية لاخي قم الآن واجر ورائي وأجري أنا قدامك واذا أردت شيأ فاتبعني فجرت قدامه وتبعها ثم جعلت تدخل من محل الى محل وتخرج من محل الى محل آخر وأخي وراءها وقد غلب عليه الشبق وايره قائم كأنه مجنون ولم تزل تجري قدامه وهو يجري وراءها حتى سمع منها صوتا رقيقا وهي تجري قدامه وهو يجري وراءها فبينما هو كذلك اذ رأى نفسه في وسط زقاق وذلك الزقاق في وسط الجلادين وهم ينادون على الجلود فرآه الناس على تلك الحالة وهو عريان قائم الاير محلوق الذقن والحواجب والشوارب محمر الوجه فصاحوا عليه وصاروا يضحكون ويقهقهون وصار بعضهم يصفعه بالجلود وهو عريان حتى غشي عليه وحملوه على حمار حتى أوصلوه الى الوالي فقال ما هذا قالوا هذا وقع لنا من بيت الوزير وهو على هذه الحالة فضربه الوالي مائة سوط وخرجت أنا خلفه وجئت به وأدخلته المدينة سرا ثم

رتبت له ما يقتات به فلولا مروءتي ما كنت أحتمل مثله * وأما أخي الثالث فاسمه قفة ساقه القضاء والقدر الى دار كبيرة فدق الباب طمعا أن يكلمه صاحبها فيسأله شيأ فقال صاحب الدار من بالباب فلم يكلمه أحد فسمعه أخي يقول بصوت عال من هذا فلم يكلمه أخي وسمع مشيه حتى وصل الى الباب وفتحه فقال له ماتريد قال له أخي شيأ لله تعالى فقال له هل أنت ضرير قال له أخي نعم فقال له ناولني يدك فناوله يده فادخله الدار ولم يزل يصعد به من سلم الى سلم حتى وصل الى أعلى السطوح وأخي يظن انه يطعمه شيأ او يعطيه شيأ فلما انتهى الى أعلى مكان قال لأخي ماتريد يا ضرير قال أريد شيأ لله تعالى فقال له يفتح الله عليه فقال له أخي يا هذا أما كنت تقول لي ذلك وأنا في الاسفل فقال له يا أسفل السفلة لم تسألني شيأ لله حين سمعت كلامي أول مرة وأنت تدق الباب فقال أخي وفي هذه الساعة ماتريد أن تصنع بي فقال له ما عندي شيء حتى أعطيك اياه قال له انزل بي الى السلالم فقال له الطريق بين يديك فقام أخي واستقبل السلالم ومازال نازلا حتى بقي بينه وبين الباب عشرون درجة فزلقت رجله فوقع ولم يزل واقعا منحدرا في السلالم حتى انشجت رأسه فخرج وهو لا يدري أين يذهب فلحقه بعض رفقائه العميان فقالوا له أي شيء حصل لك في هذا اليوم فحدثهم بما وقع له ثم قال لهم يا اخواني أريد أن آخذ شيأ من الدراهم التي بقيت معنا وأنفق منه على نفسي وكان صاحب الدار مشى خلفه ليعرف حاله فسمع كلامه وأخي لا يدري بان الرجل يسعى خلفه الى أن دخل أخي مكانه ودخل الرجل خلفه وهو لا يشعر به وقعد أخي ينتظر رفقاءه فلما دخلوا عليه قال لهم اغلقوا الباب وفتشوا البيت كيلا يكون أحد غريب تبعنا فلما سمع الرجل كلام أخي قام وتعلق بحبل كان في السقف فطافوا البيت جميعه فلم يجدوا أحدا ثم رجعوا وجلسوا الى جانب أخي وأخرجوا الدراهم التي معهم وعدوها فاذا هي عشرة آلاف درهم فتركوها في زاوية البيت وأخذ كل واحد مما زاد عنها ما يحتاج اليه ودفنوا العشرة آلاف درهم في التراب ثم قدموا بين أيديهم شيأ من الاكل وقعدوا يأكلون فاحس أخي بصوت غريب في جهته فقال للأصحاب هل معنا غريب ثم مد يده فتعلقت بيد الرجل صاحب الدار فصاح على رفقائه وقال هذا غريب فوقعوا فيه ضربا فلما طال عليهم ذلك صاحوا يا مسلمين دخل علينا اللص يريد أن يأخذ مالنا فاجتمع عليهم خلق كثير فتعامى الرجل الغريب صاحب الدار الذي ادعوا عليه انه لص واغمض عينيه واظهر انه أعمى مثلهم بحيث لا يشك فيه أحد وصاح يا مسلمين أنا بالله والسلطان أنا بالله والوالي أنا بالله والأمير فان عندي نصيحة للامير فلم يشعروا الا وقد احتاط بهم جماعة الوالي فاخذوهم وأخي معهم وأحضروهم بين يديه فقال الوالي ما خبركم فقال ذلك الرجل اسمع كلامي أيها الوالي لا يظهر لك حقيقة حالنا الا بالعقوبة وان شئت فابدأ بعقوبتي قبل رفقائي فقال الوالي اطرحوا هذا الرجل واضربوه بالسياط فطرحوه وضربوه فلما أوجعه الضرب فتح احدى عينيه فلما ازداد عليه الضرب فتح عينه الاخرى فقال له الوالي ما هذه الفعال يا فاجر فقال اعطني الامان وأنا أخبرك فاعطاه الامان فقال نحن أربعة نعمل أرواحنا عميانا ونمر على الناس وندخل البيوت وننظر النساء ونحتال في فسادهن واكتساب الأموال من طرقهن وقد حصلنا من ذلك مكسبا عظيما وهو عشرة آلاف درهم فقلت لرفقائي اعطوني حقي ألفين وخمسمائة فقاموا وضربوني وأخذوا مالي وأنا مستجير بالله وبك وأنت أحق بحصتي من رفقائي وان شئت ان تعرف صدق قولي فاضرب كل واحد أكثر مما ضربتني فانه يفتح عينيه فعند ذلك أمر الوالي بعقوبتهم وأول ما بدأ بأخي ومازالوا يضربونه حتى كاد أن يموت ثم قال لهم الوالي يا فسقة تجحدون نعمة الله وتدعون أنكم عميان فقال أخي الله الله الله ما فينا بصير فطرحوه الى الضرب ثانيا ولم يزالوا يضربونه حتى غشي عليه فقال الوالي دعوه حتى يفيق وأعيدوا عليه الضرب ثالث مرة ثم أمر بضرب أصحابه كل واحد أكثر من ثلثمائة عصا والبصير يقول لهم افتحوا عيونكم والا جددوا عليكم الضرب ثم قال للوالي ابعث معي من يأتيك بالمال فان هؤلاء ما يفتحون أعينهم ويخافون من فضيحتهم بين الناس فبعث الوالي معه من أتاه بالمال فأخذه وأعطى الرجل منه ألفين وخمسمائة درهم على قدر حصته رغما عنهم ونفى أخي وباقي الثلاثة خارج المدينة فخرجت أنا يا أمير المؤمنين ولحقت أخي وسألته عن حاله فاخبرني بما ذكرته لك فادخلته المدينة سرا ورتبت له ما يأكل

وما شرب طول عمره فضحك الخليفة من حكايتي وقال صلوه بجائزة ودعوه ينصرف فقلت له والله ما آخذ شيئا
حتى أبين لأمير المؤمنين ما جرى لبقية أخوتي وأوضح له أني قليل الكلام فقال الخليفة اصدع آذاننا بخرافة خبرك
وزدنا من عجرك وبجرك فقلت وأما أخي الرابع يا أمير المؤمنين وهو الأعور فإنه كان جزارا ببغداد يبيع اللحم
ويربي الخرفان وكانت الكبار وأصحاب الأموال يقصدونه ويشترون منه اللحم فاكتسب من ذلك مالا عظيما
واقتنى الدواب والدور ثم أقام على ذلك زمنا طويلا فبينما هو في دكانه يوما من الأيام إذ وقف عليه شيخ كبير اللحية
فدفع له دراهم وقال اعطني بها لحما فأخذ منه الدراهم وأعطاه اللحم وانصرف فتأمل أخي في فضة الشيخ فرأى
دراهمه بيضا بياضها ساطع فعزلها وحدها في ناحية وأقام الشيخ يتردد عليه خمسة أشهر وأخي يطرح دراهمه
في صندوق وحدها ثم أراد أن يخرجها ويشتري غنما فلما فتح الصندوق رأى جميع ما فيه ورقا أبيض مقصوصا
فلطم وجهه وصاح فاجتمع الناس عليه فأخبرهم بحديثه فتعجبوا منه ثم رجع أخي إلى الدكان على عادته فذبح
كبشا وعلقه داخل الدكان وقطع لحما وعلقه خارج الدكان وصار يقول في نفسه لعل ذلك الشيخ يجيء فأقبض
عليه فما كان إلا ساعة وقد أقبل الشيخ ومعه الفضة فقام أخي وتعلق به وصار يصيح يا مسلمين الحقوني واسمعوا قصتي
مع هذا الفاجر فلما سمع الشيخ كلامه قال له أي شيء أحب إليك أن تعرض عن فضيحتي أو أفضحك بين الناس
فقال له أخي بأي شيء تفضحني قال بأنك تبيع لحم الناس في صورة لحم الغنم فقال له أخي كذبت يا ملعون فقال
الشيخ ما ملعون إلا الذي عنده رجل معلق في الدكان فقال له أخي إن كان الأمر كما ذكرت فمالي ودمي حلال
لك فقال الشيخ يا معاشر الناس إن هذا الجزار يذبح الآدميين ويبيع لحمهم في صورة لحم الغنم وإن أردتم أن
تعلموا صدق قولي فادخلوا دكانه فهجم الناس على دكان أخي فرأوا ذلك الكبش صار إنسانا معلقا فلما رأوا
ذلك تعلقوا بأخي وصاحوا عليه يا كافر يا فاجر وصار أعز الناس إليه يضربه ولطمه الشيخ على عينه فقلعها
وحمل الناس ذلك المذبوح إلى صاحب الشرطة فقال له الشيخ أيها الأمير إن هذا الرجل يذبح الناس ويبيع
لحمهم على أنه لحم غنم وقد أتيناك به فقم واقض حق الله عز وجل فدافع أخي عن نفسه فلم يسمع منه صاحب
الشرطة بل أمر بضربه خمسمائة عصا وأخذوا جميع ماله ولولا كثرة ماله لقتلوه ثم نفوا أخي من المدينة فخرج
هائما لا يدري أين يتوجه حتى دخل مدينة كبيرة واستحسن أن يعمل إسكافا ففتح دكانا وقعد يعمل شيئا يتقوت
منه فخرج ذات يوم في حاجة فسمع صهيل خيل فبحث على سبب ذلك فقيل له إن الملك خارج إلى الصيد والقنص
فخرج أخي ليتفرج على الموكب وهو يتعجب من خسة رأيه حيث انتقل من صنعة الجزارة إلى صنعة الإسكافة
فالتفت الملك فوقعت عينه على عين أخي فأطرق الملك رأسه وقال أعوذ بالله من شر هذا اليوم وثنى عنان فرسه
وانصرف راجعا فرجع جميع العسكر وأمر الملك غلمانه أن يلحقوا أخي ويضربوه فلحقوه وضربوه ضربا وجيعا
حتى كاد أن يموت ولم يدر أخي ما السبب فرجع إلى موضعه وهو في حالة العدم ثم مضى إلى إنسان من حاشية
الملك وقص عليه ما وقع له فضحك حتى استلقى على قفاه وقال له يا أخي اعلم أن الملك لا يطيق أن ينظر إلى أعور
لا سيما إن كان العور شمالا فإنه لا يرجع عن قتله فلما سمع أخي ذلك الكلام عزم على الهروب من تلك المدينة
ثم ارتحل منها وتحول إلى مدينة أخرى لم يكن فيها ملك وأقام بها زمانا طويلا ثم بعد ذلك تفكر في أمره وخرج يوما
ليتفرج فسمع صهيل خيل خلفه فقال جاء أمر الله وفر يطلب موضعا يستتر فيه فلم يجد ثم نظر فرأى بابا منصوبا
فدفع ذلك الباب فوقع فدخل فرأى دهليزا طويلا فاستمر داخلا فيه فلم يشعر إلا ورجلان قد تعلقا به وقالا الحمد
لله الذي مكننا منك يا عدو الله هذه ثلاث ليال ما أرحتنا ولا تركتنا ننام ولا يستقر لنا مضجع بل أذقتنا طعم الموت
فقال أخي يا قوم ما أمركم بالله فقالوا أنت تراقبنا وتريد أن تفضحنا وتفضح صاحب البيت أما يكفيك أنك أفقرته
وأفقرت أصحابك ولكن أخرج لنا السكين التي تهددنا بها كل ليلة وفتشوه فوجدوا في وسطه السكين التي
يقطع بها النعل فقال يا قوم اتقوا الله في أمري واعلموا أن حديثي عجيب فقالوا وما حديثك فأخبرهم بحديثه
طمعا أن يطلقوه فلم يسمعوا منه ما قاله ولم يلتفتوا إليه بل ضربوه ومزقوا ثوابه فلما تمزقت أثوابه وانكشف بدنه
وجدوا أثر الضرب بالمقارع على جنبيه فقالوا له يا ملعون هذا أثر الضرب يشهد على جرمك ثم أحضروا

أخي بين يدي الوالي فقال في نفسه قد وقعت بذنوبي وما يخلصني الا الله تعالى فلما حضر بين يدي الوالي قال له يا فاجر ما حملك على أن ضربت بالمقارع الا جرم عظيم ثم ضرب أخي مائة سوط ثم حملوه على جمل ونادوا عليه هذا جزاء من يهجم على بيوت الناس فلما سمعت به أنا خرجت اليه وما زالت دائرا معه وهم ينادون عليه حتى تركوه فأتيت اليه وأخذته وأدخلته المدينة سرا ورتبت له ما يأكل وما يشرب وأما أخي الخامس فانه كان مقطوع الاذنين يا أمير المؤمنين وكان رجلا فقيرا يسأل الناس ليلا وينفق ما يحصله بالسؤال نهارا وكان والدنا شيخا كبيرا طاعنا في السن فخلف لنا سبعمائة درهم فأخذ كل واحد منا مائة درهم * وأما أخي الخامس هذا فانه لما أخذ حصته تحير ولم يدر ما يصنع بها فبينما هو كذلك اذ وقع في خاطره انه يأخذ بها زجاجا من كل نوع ليتجر فيه ويربح فاشترى بالمائة درهم زجاجا وجعله في قفص كبير وقعد في موضع ليبيع ذلك الزجاج وبجانبه حائط فاسند ظهره اليها وقعد متفكرا في نفسه وقال ان رأس مالي في هذا الزجاج مائة درهم وأنا أبيعه بمائتي درهم ثم أشتري بالمائتي درهم زجاجا وأبيعه بأربعمائة درهم ولا أزال أبيع وأشتري الى أن يبقى معي مال كثير فأشتري به من جميع المتاجر والعطريات حتى يربح ربحا عظيما وبعد ذلك أشتري دارا حسنة وأشتري المماليك والخيل والسروج المذهبة وآكل وأشرب ولا أخلي مغنية في المدينة حتى أجيء بها في بيتي وأسمع مغانيها هذا كله وهو يحسب في نفسه وقفص الزجاج قدامه ثم قال وأبعث جميع الخاطبات في خطبة بنات الملوك والوزراء وأخطب بنت الوزير فقد بلغني أنها كاملة الحسن بديعة الجمال وأمهرها بألف دينار فان رضي أبوها حصل المراد وان لم يرض أخذتها قهرا على رغم أنفه فان حصلت في داري أشتري عشرة خدام صغار ثم أشتري لي كسوة الملوك والسلاطين وأصوغ لي سرجا من الذهب مرصعا بالجواهر ثم أركب ومعي المماليك يمشون حولي وقدامي وخلفي حتى اذا رآني الوزير قام اجلالا لي وأقعدني مكانه ويقعد هو دوني لانه صهري ويكون معي خادمان بكيسين في كل كيس ألف دينار فأعطيه ألف دينار مهر بنته وأهدي اليه الالف الثاني انعاما حتى أظهر له مروأتي وكرمي وصغر الدنيا في عيني ثم أنصرف الى داري فاذا جاء أحد من جهة امرأتي وهبت له دراهم وخلعت عليه خلعة وان أرسل الى الوزير بهدية رددتها عليه ولو كانت نفيسة ولم أقبلها منه حتى يعلموا أني عزيز النفس ولا أخلي نفسي الا في أعلى مكانة ثم أقدم اليهم في اصلاح شأني وتعظيمي فاذا فعلوا ذلك أمرتهم بزفافها ثم أصلح داري اصلاحا بينا فاذا جاء وقت الجلاء لبست أفخر ثيابي وقعدت على مرتبة من الديباج لا ألتفت يمينا ولا شمالا لكبر عقلي ورزانة فهمي وتجيء امرأتي وهي كالبدر في حليها وحللها وأنا لا أنظر اليها عجبا وتيها حتى يقول جميع من حضر يا سيدي امرأتك وجاريتك قائمة بين يديك فانعم عليها بالنظر فقد أضر بها القيام ثم يقبلون الارض قدامي مرارا فعند ذلك أرفع رأسي وأنظر اليها نظرة واحدة ثم أطرق برأسي الى الارض فيمضون بها وأقوم أنا وأغير ثيابي وألبس أحسن مما كان علي فاذا جاؤا بالعروسة المرة الثانية لا أنظر اليها حتى يسألوني مرارا فأنظر اليها ثم أطرق الى الارض ولم أزل كذلك حتى يتم جلاؤها * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثانية والثلاثون﴾

قالت بلغني أيها الملك السعيد ان أخا المزين الخامس قال ثم أطرق الى الارض ولم أزل كذلك حتى يتم جلاؤها ثم اني آمر بعض الخدام ان يرمي كيسا فيه خمسمائة دينار للمواشط فاذا أخذنه المواشط آمرهن ان يدخلنني عليها فاذا أدخلنني عليها لا أنظر اليها ولا أكلمها احتقارا لها لاجل ان يقال اني عزيز النفس حتى تجيء أمها تقبل رأسي ويدي وتقول لي يا سيدي انظر جاريتك فانها تشتهي قربك فاجبر خاطرها بكلمة فلم أرد عليها جوابا ولم تزل كذلك تستعطفني حتى تقوم وتقبل يدي ورجلي مرارا ثم تقول يا سيدي ان بنتي صبية مليحة ما رأت رجلا فاذا رأت منك هذا الانقباض انكسر خاطرها فمل اليها وكلمها ثم انها تقوم وتحضر لي قدحا فيه شراب ثم ان بنتها تأخذ القدح لتعطيني فاذا جاءتني تركتها قائمة بين يدي وأنا متكئ على مخدة مزركشة بالذهب لا أنظر اليها من كبر نفسي وجلالة قدري حتى تظن في نفسها اني سلطان عظيم الشأن فتقول يا سيدي بحق الله عليك لا ترد القدح من يد جاريتك فاني جاريتك فلا أكلمها فتلح علي وتقول لا بد من شربه وتقدمه الى فمي فانفض

يدي في وجهها وأرفسها وأعمل هكذا ثم رفس أخي برجله فجاءت في قفص الزجاج وكان في مكان مرتفع فنزل
على الارض فتكسر كل ما فيه ثم قال أخي هذا كله من كبر نفسي ولو كان أمره الي يا أمير المؤمنين لضربته ألف
سوط وشهرته في البلد ثم بعد ذلك صار أخي يلطم على وجهه ومزق ثيابه وجعل يبكي ويلطم والناس ينظرون
اليه وهم رائحون الى صلاة الجمعة فمنهم من يرمقه ومنهم من لم يفكر فيه وهو على تلك الحالة وراح منه رأس المال
والربح ولم يزل جالسا يبكي واذا بامرأة مقبلة الى صلاة الجمعة وهي بديعة الجمال تفوح منها رائحة المسك وتحتها
بغلة بردعتها من الديباج مزركشة بالذهب ومعها عدد من الخدم فلما نظرت الى الزجاج وحال أخي وبكائه
أخذتها الشفقة عليه ورق قلبها له وسألت عن حاله فقيل لها انه كان معه طبق زجاج يتعيش منه فانكسر منه
فأصابه ما تنظرينه فنادت بعض الخدام وقالت له ادفع الذي معك الى هذا المسكين فدفع له صرة فأخذها فلما
فتحها وجد فيها خمسمائة دينار فكاد أن يموت من شدة الفرح وأقبل أخي بالدعاء لها ثم عاد الى منزله غنيا وقعد
متفكرا واذا بداق يدق الباب فقام وفتح واذا بعجوز لا يعرفها فقالت له يا ولدي اعلم ان الصلاة قد قرب زوال
وقتها وأنا بغير وضوء واطلب منك ان تدخلني منزلك حتى أتوضأ فقال لها سمعا وطاعة ثم دخل أخي وأذن لها
بالدخول وهو طائر من الفرح بالدنانير فلما فرغت أقبلت الى الموضع الذي هو جالس فيه وصلت هناك
ركعتين ثم دعت لاخي دعاء حسنا فشكرها على ذلك وأعطاها دينارين فلما رأت ذلك قالت سبحان الله اني
لاعجب ممن أحبك وأنت بسمة الصعاليك خذ مالك عني وان كنت غير محتاج اليه فاردده الى التي أعطتك اياه
لما انكسر الزجاج منك فقال لها أخي يا أمي كيف الحيلة في الوصول اليها قالت يا ولدي انها تميل اليك لكنها
زوجة رجل موسر فخذ جميع مالك معك فاذا اجتمعت بها فلا تترك شيأ من الملاطفة والكلام الحسن الا وتفعله
معها فانك تنال من جمالها ومن مالها جميع ما تريد فأخذ أخي جميع الذهب وقام ومشى مع العجوز وهو لا يصدق
بذلك فلم تزل تمشي وأخي يمشي وراءها حتى وصلا الى باب كبير فدقته فخرجت جارية رومية ففتحت الباب
فدخلت العجوز وأمرت أخي بالدخول فدخل دارا كبيرة فلما دخلها رأى فيها مجلسا كبيرا مفروشا وستائر
مسبلة فجلس أخي ووضع الذهب بين يديه ووضع عمامته على ركبته فلم يشعر الا وجارية أقبلت ما رأى مثلها
الراؤن وهي لابسة أفخر القماش فقام أخي على قدميه فلما رأته ضحكت في وجهه وفرحت به ثم ذهبت
الى الباب وأغلقته ثم أقبلت على أخي وأخذت يده ومضيا جميعا الى أن أتيا الى حجرة منفردة فدخلاها واذا هي
مفروشة بأنواع الديباج فجلس أخي وجلست بجانبه ولاعبته ساعة زمانية ثم قامت وقالت له لا تبرح حتى أجيء
اليك وغابت عن أخي ساعة فبينما هو كذلك اذ دخل عليه عبد أسود عظيم الخلقة ومعه سيف مجرد يأخذ لمعانه
بالبصر وقال لاخي يا ويلك من جاء بك الى هذا المكان يا أخس الانس يا ابن الزنا وتربية الخنى فلم يقدر أخي ان
يرد عليه جوابا بل انعقد لسانه في تلك الساعة فأخذه العبد وأعراه ولم يزل يضربه بالسيف صفحا ضربات
متعددة أكثر من ثمانين ضربة الى ان سقط من طوله على الارض فرجع العبد عنه واعتقد أنه مات وصاح
صيحة عظيمة بحيث ارتجت الارض من صوته ودوى له المكان وقال أين المليحة فأقبلت اليه جارية في يدها طبق
مليح فيه ملح أبيض فصارت الجارية تأخذ من ذلك الملح وتحشو الجراحات التي في جلد أخي حتى تهورت وأخي
لا يتحرك خيفة أن يعلموا أنه حي فيقتلوه ثم مضت الجارية وصاح العبد صيحة مثل الاولى فجاءت العجوز الى أخي
وجرته من رجله الى سرداب طويل مظلم ورمته فيه على جماعة مقتولين فاستقر في مكانه يومين كاملين وكان الله
سبحانه وتعالى جعل الملح سببا لحياته لانه قطع سيلان عروق الدم فلما رأى أخي في نفسه القوة على الحركة قام
من السرداب وفتح طاقة في الحائط وخرج من مكان القتلى وأعطاه الله عز وجل الستر فمشى في الظلام واختفى
في هذا الدهليز الى الصبح فلما كان وقت الصبح خرجت العجوز في طلب صيد آخر فخرج أخي في أثرها وهي
لا تعلم به حتى أتى الى منزله ولم يزل يعالج نفسه حتى برئ ولم يزل يتعهد العجوز وينظر اليها كل وقت وهي تأخذ
الناس واحدا بعد واحد وتوصلهم الى تلك الدار وأخي لا ينطق بشيء ثم لما رجعت اليه صحته وكملت قوته عمد الى
خرقة وعمل منها كيسا وملأه زجاجا وشده في وسطه وتنكر حتى لا يعرفه أحد ولبس ثياب العجم وأخذ سيفا وجعله

تحت ثيابه فلما رأى العجوز قال لها بكلام العجم يا عجوز هل عندك ميزان يسع تسعمائة دينار فقالت العجوز لي ولد صغير صيرفي عنده سائر الموازين فامض معي اليه قبل أن يخرج من مكانه حتى يزن لك ذهبك فقال أخي امشي قدامي فسارت وسار أخي خلفها حتى أتت الباب فدقته فخرجت الجارية وضحكت في وجهه فقالت العجوز أتيتكم بلحمة سمينة فأخذت الجارية بيد أخي وأدخلته الدار التي دخلها سابقا وقعدت عنده ساعة وقامت وقالت لأخي لا تبرح حتى أرجع اليك وراحت فلم يستقر أخي الا والعبد قد أقبل ومعه السيف المجرد فقال لأخي قم يا مشؤم فقام أخي وتقدم العبد أمامه وأخي وراءه ومد يده الى سيفه الذي تحت ثيابه وضرب به العبد فرمى رأسه وسحبه من رجله الى السرداب ونادى أين المليحة فجاءت الجارية وبيدها الطبق الذي فيه الملح فلما رأت أخي والسيف بيده ولت هاربة فتبعها أخي وضربها فرمى رأسها ثم نادى أين العجوز فجاءت فقال لها أتعرفينني يا عجوز النحس فقالت لا يا مولاي فقال لها أنا صاحب الدنانير الذي جئت وتوضأت عندي وصليت ثم تحيلت علي حتى أوقعتيني هنا فقالت اتق الله في أمري فالتفت اليها وضربها بالسيف فصيرها قطعتين ثم خرج في طلب الجارية فلما رأته طار عقلها وطلبت منه الأمان فأمنها ثم قال لها ما الذي أوقعك عند هذا الاسود فقالت اني كنت جارية لبعض التجار وكانت هذه العجوز تتردد علي فقالت لي يوما من الايام ان عندنا فرحا ما رأى أحد مثله فأحب أن تنظري اليه فقلت لها سمعا وطاعة ثم قمت ولبست أحسن ثيابي وأخذت معي صرة فيها مائة دينار ومضيت معها حتى أدخلتني هذه الدار فلما دخلت ما شعرت الا وهذا الاسود أخذني ولم أزل عنده على هذا الحال ثلاث سنين بحيلة العجوز الكاهنة فقال لها أخي هل له في الدار شيء فقالت عنده شيء كثير فان كنت تقدر على نقله فانقله فقام أخي ومشى معها ففتحت له صناديق فيها أكياس فبقي أخي متحيرا فقالت له الجارية امض الآن ودعني هنا وهات من ينقل المال فخرج واكترى عشرة رجال وجاء فلما وصل الى الباب وجده مفتوحا ولم ير الجارية ولا الاكياس وانما رأى شيئا يسيرا من المال والقماش فعلم أنها خدعته فعند ذلك أخذ المال الذي بقي وفتح الخزائن وأخذ جميع ما فيها من القماش ولم يترك في الدار شيئا وبات تلك الليلة مسرورا فلما أصبح الصباح وجد بالباب عشرين جنديا فلما خرج اليهم تعلقوا به وقالوا له ان الوالي يطلبك فأخذوه وراحوا الى الوالي فلما رأى أخي قال له من أين لك هذا القماش فقال أخي أعطني الامان فأعطاه منديل الامان فحدثه بجميع ما وقع له مع العجوز من الاول الى الآخر ومن هروب الجارية ثم قال للوالي والذي أخذته خذ منه ما شئت ودع لي ما أتقوت به فطلب الوالي جميع المال والقماش وخاف أن يعلم به السلطان فأخذ البعض وأعطى أخي البعض وقال له اخرج من هذه المدينة والا أشنقك فقال السمع والطاعة فخرج الى بعض البلدان فخرجت عليه اللصوص فعروه وضربوه وقطعوا أذنيه فسمعت بخبره فخرجت اليه وأخذت اليه ثيابا وجئت به الى المدينة مسرورا ورتبت له ما يأكله وما يشربه * وأما أخي السادس يا أمير المؤمنين وهو مقطوع الشفتين فانه كان فقيرا جدا لا يملك شيئا من حطام الدنيا الفانية فخرج يوما من الايام يطلب شيئا يسد به رمقه فبينما هو في بعض الطرق اذ رأى دارا حسنة ولها دهليز واسع مرتفع وعلى الباب خدم وأمر ونهي فسأل بعض الواقفين هناك فقال هي لانسان من أولاد الملوك فتقدم أخي الى البوابين وسألهم شيئا فقالوا ادخل باب الدار تجد ما تحب من صاحبها فدخل الدهليز ومشى فيه ساعة حتى وصل الى دار في غاية ما يكون من الملاحة والظرف وفي وسطها بستان ما رأى الراؤن أحسن منه وأرضها مفروشة بالرخام وستورها مسبولة فصار أخي لا يعرف أين يقصد فمضى نحو صدر المكان فرأى انسانا حسن الوجه واللحية فلما رأى أخي قام اليه ورحب به وسأله عن حاله فأخبره أنه محتاج فلما سمع كلام أخي أظهر غما شديدا ومد يده الى ثياب نفسه ومزقها وقال هل أكون أنا ببلد وأنت بها جائع لا صبر لي على ذلك ووعده بكل خير ثم قال لا بد أن تمالحني فقال يا سيدي ليس لي صبر واني شديد الجوع فصاح يا غلام هات الطشت والابريق ثم قال له يا ضيفي تقدم واغسل يدك ثم أومأ كأنه يغسل يده ثم صاح على أتباعه ان قدموا المائدة فجعلت أتباعه تغدو وترجع كأنها تهيئ السفرة ثم أخذ أخي وجلس معه على تلك السفرة الموهومة وصار صاحب المنزل يومئ ويحرك شفتيه كأنه يأكل ويقول لأخي كل ولا تستح فانك جائع

وأنا أعلم ما أنت فيه من شدة الجوع فجعل أخي يومئ كأنه يأكل وهو يقول لأخي كل وانظر هذا الخبز وانظر بياضه
وأخي لا يبدي شيأ ثم ان أخي قال في نفسه ان هذا رجل يحب أن يهزأ بالناس فقال له ياسيدي عمري ما رأيت
أحسن من بياض هذا الخبز ولا ألذ من طعمه فقال هذا خبزته جارية لي كنت اشتريتها بخمسمائة دينار ثم
صاح صاحب الدار ياغلام قدم لنا السكباج الذي لا يوجد مثله في طعام الملوك ثم قال لأخي كل ياضيفي فانك شديد
الجوع ومحتاج الى الأكل فصار أخي يدور حنكه ويمضغ كأنه يأكل وأقبل الرجل يستدعي لونا بعد لون من
الطعام ولا يحضر شيء ويأمر أخي بالأكل ثم صاح ياغلام قدم لنا الفراريج المحشوة بالفستق ثم قال كل ما لم تأكل
مثله قط فقال ياسيدي ان هذا الأكل لا نظير له في اللذة وأقبل يومئ بيده الى فم أخي حتى كأنه يلقمه بيده وكان
يعدد هذه الألوان ويصفها لأخي بهذه الأوصاف وهو جائع فاشتد جوعه وصار بشهوة رغيف من شعير ثم قال له
صاحب الدار هل رأيت أطيب من أبازير هذه الأطعمة فقال له أخي لا ياسيدي فقال أكثر الأكل ولا تستح فقال
قد اكتفيت من الطعام فصاح الرجل على أتباعه ان قدموا الحلويات فحركوا أيديهم في الهواء كأنهم قدموا
الحلويات ثم قال صاحب المنزل لأخي كل من هذا النوع فانه جيد وكل من هذه القطائف بحياتي وخذ هذه
القطيفة قبل أن ينزل منها الجلاب فقال له أخي لا عدمتك ياسيدي وأقبل أخي يسأله عن كثرة المسك الذي في
القطائف فقال له ان هذه عادتي في بيتي فدائما يضعون لي في كل قطيفة مثقالا من المسك ونصف مثقال من
العنبر هذا كله وأخي يحرك رأسه وفمه ويلعب بين شدقيه كأنه يتلذذ بأكل الحلويات ثم صاح صاحب الدار على
أتباعه أن أحضروا النقل فحركوا أيديهم في الهواء كأنهم أحضروا النقل وقال لأخي كل من هذا اللوز ومن هذا
الجوز ومن الزبيب ونحو ذلك وصار يعدد له أنواع النقل ويقول له كل ولا تستح فقال له أخي ياسيدي قد اكتفيت
ولم يبق لي قدرة على أكل شيء فقال ياضيفي ان أردت أن تأكل وتتفرج على غرائب المأكولات فالله الله لا تكن
جائعا ثم فكر أخي في نفسه وفي استهزاء ذلك الرجل به وقال والله لأعملن فيه عملا يتوب بسببه الى الله عن هذه
الفعال ثم قال الرجل لأتباعه قدموا لنا الشراب فحركوا أيديهم في الهواء حتى كأنهم قدموا الشراب ثم أومأ
صاحب المنزل كأنه ناول أخي قدحا وقال خذ هذا القدح فانه أعجبك فقال ياسيدي هذا من احسانك وأومأ
أخي بيده كأنه يشربه فقال له هل أعجبك فقال له ياسيدي ما رأيت ألذ من هذا الشراب فقال له اشرب هنيأ وصحة
ثم ان صاحب البيت أومأ وشرب ثم ناول أخي قدحا ثانيا فخيل انه شربه وأظهر انه سكران ثم ان أخي غافله ورفع
يده حتى بان بياض ابطه وصفعه على رقبته صفعة رن لها المكان ثم ثنى عليه بصفعة ثانية فقال له الرجل ما هذا
يا أسفل العالمين فقال ياسيدي أنا عبدك الذي أنعمت عليه وأدخلته منزلك وأطعمته الزاد وأسقيته الخمر العتيق
فسكر وعربد عليك ومقامك أعلى من أن تؤاخذه بجهله فلما سمع صاحب المنزل كلام أخي ضحك ضحكا عاليا
ثم قال ان لي زمانا طويلا أسخر بالناس وأهزأ بجميع أصحاب المزاح والمجون ما رأيت منهم من له طاقة على
أن أفعل به هذه السخرية ولا من له فطنة يدخل بها في جميع أموري غيرك والآن عفوت عنك فكن
نديمي على الحقيقة ولا تفارقني ثم أمر باخراج عدة من أنواع الطعام المذكورة أولا فأكل هو وأخي حتى اكتفيا
ثم انتقلا الى مجلس الشراب فاذا فيه جوار كأنهن الأقمار فغنين بجميع الألحان واشتغلن بجميع الملاهي
ثم شربا حتى غلب عليهما السكر وأنس الرجل بأخي حتى كأنه أخوه وأحبه محبة عظيمة وخلع عليه خلعة
سنية فلما أصبح الصباح عادا لما كانا عليه من الأكل والشرب ولم يزالا كذلك مدة عشرين سنة ثم ان
الرجل مات وقبض السلطان على ماله واحتوى عليه فخرج أخي من البلد هاربا فلما وصل الى نصف الطريق
خرج عليه العرب فأسروه وصار الذي أسره يعذبه ويقول له اشتر روحك مني بالأموال والا أقتلك فجعل أخي
يبكي ويقول أنا والله لا أملك شيأ ياشيخ العرب ولا أعرف طريق شيء من المال وأنا أسيرك وصرت في يدك
فافعل بي ما شئت فأخرج البدوي الجبار من حزامه سكينا عريضة لو نزلت على رقبة جمل لقطعتها من الوريد
الى الوريد وأخذها في يده اليمنى وتقدم الى أخي المسكين وقطع بها شفتيه وشدد عليه في المطالبة وكان للبدوي
زوجة حسنة وكان اذا خرج البدوي تتعرض لأخي وتراوده عن نفسه وهو يمتنع حياء من الله تعالى

فاتفق أن راودت أخي يوما من الأيام فقام ولاعبها وأجلسها في حجره فبينما هما كذلك واذا بزوجها داخل عليهما فلما نظر الى أخي قال له ويلك يا خبيث أتريد الآن ان تفسد على زوجتي وأخرج سكينا وقطع بها ذكره وحمله على جمل وطرحه فوق جبل وتركه وسار الى حال سبيله فجاز عليه المسافرون فعرفوه فاطعموه واسقوه واعلموني بخبره فذهبت اليه وحملته ودخلت به المدينة ورتبت له ما يكفيه وها انا جئت عندك يا أمير المؤمنين وخفت ان أرجع الى بيتي قبل اخبارك فيكون ذلك غلطا وورائي ستة اخوة وأنا أقوم بهم فلما سمع أمير المؤمنين قصتي وما أخبرته به عن اخوتي ضحك وقال صدقت يا صامت أنت قليل الكلام ما عندك فضول ولكن الآن اخرج من هذه المدينة واسكن غيرها ثم نفاني من بغداد فلم أزل سائرا في البلاد حتى طفت الاقاليم الى ان سمعت بموته وخلافة غيره فرجعت الى المدينة فوجدته مات ووقعت عند هذا الشاب وفعلت معه أحسن الفعال ولولا انا لقتل وقد اتهمني بشئ ما هو فيّ وجميع ما نقله عني من الفضول وكثرة الكلام وكثافة الطبع وعدم الذوق باطل يا جماعة * ثم قال الخياط لملك الصين فلما سمعنا قصة المزين وتحققنا فضوله وكثرة كلامه وان الشاب مظلوم معه أخذنا المزين وقبضنا عليه وحبسناه وجلسنا حوله آمنين ثم أكلنا وشربنا وتمت الوليمة على أحسن حالة ولم نزل جالسين الى أن أذن العصر فخرجت وجئت منزلي وعشيت زوجتي فقالت أنت طول النهار في حظك وأنا قاعدة في البيت حزينة فان لم تخرج بي وتفرجني بقية النهار كان ذلك سبب فراقي منك فأخذتها وخرجت بها وتفرجنا الى العشاء ثم رجعنا فلقينا هذا الاحدب والسكر طافح منه وهو ينشد هذين البيتين

رق الزجاج وراقت الخمر * فتشابها وتشاكل الامر
فكأنما خمر ولا قدح * وكأنما قدح ولا خمر

فعزمت عليه فاجابني وخرجت لاشتري سمكا مقليا فاشتريت ورجعت ثم جلسنا نأكل فاخذت زوجتي لقمة وقطعة سمك وادخلتهما فيه وسدته فمات فحملته وتحايلت حتى رميته في بيت هذا الطبيب وتحايل الطبيب حتى رماه في بيت المباشر وتحايل المباشر حتى رماه في طريق السمسار وهذه قصة ما لقيته البارحة اما هي أعجب من قصة الاحدب * فلما سمع ملك الصين هذه القصة أمر بعض حجابه أن يمضوا مع الخياط ويحضروا المزين وقال لهم لابد من حضوره لاسمع كلامه ويكون ذلك سببا في خلاصكم جميعا وندفن هذا الاحدب ونواريه في التراب فانه ميت من أمس ثم نعمل له ضريحا لانه كان سببا في اطلاعنا على هذه الاخبار العجيبة فما كان الا ساعة حتى جاءت الحجاب هم والخياط بعد ان مضوا الى الحبس وأخرجوا منه المزين وساروا به الى أن أوقفوه بين يدي هذا الملك فلما رآه تأمله فاذا هو شيخ كبير جاوز التسعين أسود الوجه أبيض اللحية والحواجب مقرطم الاذنين طويل الانف في نفسه كبر فضحك الملك من رؤيته وقال يا صامت أريد أن تحكي لي شيأ من حكاياتك فقال المزين يا ملك الزمان ما شأن هذا النصراني وهذا اليهودي وهذا المسلم وهذا الاحدب بينكم ميت وما سبب هذا الجمع فقال له ملك الصين وما سؤالك عن هؤلاء فقال سؤالي عنهم حتى يعلم الملك اني غير فضولي ولا أشتغل الا بما يعنيني واني بريء مما اتهموني به من كثرة الكلام وان لي نصيبا من اسمي حيث لقبوني بالصامت كما قال الشاعر

وقلما أبصرت عيناك ذا لقب * الا ومعناه ان فتشت في لقبه

فقال الملك اشرحوا للمزين حال هذا الاحدب وما جرى له في وقت العشاء واشرحوا له ما حكى النصراني وما حكى اليهودي وما حكى المباشر وما حكى الخياط فحكوا له حكايات الجميع وليس في الاعادة افادة فحرك المزين رأسه وقال والله ان هذا الشئ عجاب اكشفوا لي عن هذا الاحدب فكشفوا له عنه فجلس عند رأسه وأخذ رأسه على حجره ونظر في وجهه وضحك ضحكا عاليا حتى انقلب على قفاه من شدة الضحك وقال لكل موتة سبب من الاسباب وموتة هذا الاحدب من عجب العجاب يجب ان تؤرخ في السجلات ليعتبر بما مضى من هو آت فتعجب الملك من كلامه وقال يا صامت احك لنا سبب كلامك هذا فقال يا ملك وحق نعمتك ان الاحدب فيه الروح ثم ان المزين أخرج من وسطه مكحلة فيها دهن ودهن رقبة الاحدب وغطاها حتى عرقت ثم أخرج كلبتين من حديد ونزل بهما في حلقه فالتقطتا القطعة السمك بعظمها فلما أخرجها رآها الناس بعيونهم ثم نهض الاحدب واقفا على قدميه وعطس عطسة واستفاق في نفسه وملس بيديه على وجهه وقال لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

فتعجب الحاضرون من الذي رأوه وعاينوه فضحك ملك الصين حتى غشي عليه وكذلك الحاضرون وقال السلطان والله ان هذه قصة عجيبة ما رأيت أغرب منها ثم ان السلطان قال يامسلمين يا جماعة العسكر هل رأيتم في عمركم أحدا يموت ثم يحيا بعد ذلك ولولا رزقه الله بهذا المزين لكان اليوم من أهل الآخرة فانه كان سببا لحياته فقالوا والله ان هذا من العجب العجاب ثم ان ملك الصين أمر ان تسطر هذه القصة فسطروها ثم جعلوها في خزانة الملك ثم خلع على اليهودي والنصراني والمباشر وخلع على كل واحد خلعة سنية وجعل الخياط خياطه ورتب له الرواتب وأصلح بينه وبين الاحدب وخلع على الاحدب خلعة سنية مليحة ورتب له الرواتب وجعله نديمه وانعم على المزين وخلع عليه خلعة سنية ورتب له الرواتب وجعل له جامكية وجعله مزين المملكة ونديمه ولم يزالوا في ألذ عيش واهناه الى أن أتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات وليس هذا بأعجب من قصة الوزيرين التي فيها ذكر أنيس الجليس قال الملك وما حكاية الوزيرين

﴿حكاية الوزيرين التي فيها ذكر أنيس الجليس﴾

(قالت) بلغني أيها الملك السعيد انه كان بالبصرة ملك من الملوك يحب الفقراء والصعاليك ويرفق بالرعية ويهب من ماله لمن يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وهو كما قال فيه بعض واصفيه

جعل القنا أقلامه وطروسه * مهج العدا ورأى المداد دماءها
وأظن ان الأقدمين لذا رأوا * ان يجعلوا الخطية أسماءها

وكان يقال لهذا الملك محمد بن سليمان الزيني وكان له وزيران أحدهما يقال له المعين بن ساوى والثاني يقال له الفضل بن خاقان وكان الفضل بن خاقان أكرم أهل زمانه حسن السيرة أجمعت القلوب على محبته واتفقت العقلاء على مشورته وكل الناس يدعون له بطول مدته لانه محضر خير مزيل للشر والضير وكان الوزير المعين بن ساوى يكره الناس ولا يحب الخير وكان محضر سوء كما قال فيه بعض واصفيه

تجمعت من لطف ذاته * فركبت من عنصر فاسد
ليس على الله بمستنكر * ان يجمع العالم في واحد

فلكل من هذين الوزيرين نصيب من قول الشاعر

لذ بالكرام بني الكرام فانما * تلد الكرام بنو الكرام كراما
ودع اللئام بني اللئام فانما * تلد اللئام بنو اللئام لئاما

وكان الناس على قدر محبتهم الفضل الدين بن خاقان يبغضون المعين بن ساوى بقدرة القادر ثم ان الملك محمد بن سليمان الزيني كان قاعدا يوما من الايام على كرسي مملكته وحوله أرباب دولته اذ نادى وزيره الفضل بن خاقان وقال له اني أريد جارية لا يكون في زمانها أحسن منها بحيث تكون كاملة في الجمال فائقة في الاعتدال حميدة الخصال فقال أرباب الدولة هذه لا توجد الا بعشرة آلاف دينار فعند ذلك صاح السلطان على الخازندار وقال احمل عشرة آلاف دينار الى دار الفضل بن خاقان فامتثل الخازندار أمر السلطان ونزل الوزير بعدما أمره السلطان ان يعمد الى السوق في كل يوم ويوصي السماسرة على ما ذكره وانه لا تباع جارية ثمنها فوق الالف دينار حتى تعرض على الوزير فلم تبع السماسرة جارية حتى يعرضوها عليه فامتثل الوزير أمره واستمر على هذا الحال مدة من الزمان ولم تعجبه جارية فاتفق يوما من الايام ان بعض السماسرة أقبل على دار الوزير الفضل بن خاقان فوجده راكبا متوجها الى قصر الملك فقبض على ركابه وأنشد هذين البيتين

يامن أعاد رميم الملك منشورا * أنت الوزير الذي لازال منصورا
أحييت مامات بين الناس من كرم * لازال سعيك عند الله مشكورا

ثم قال ياسيدي ان الجارية التي صدر بطلبها المرسوم الكريم قد حضرت فقال له الوزير علي بها فغاب ساعة ثم حضر ومعه جارية رشيقة القد قاعدة النهد بطرف كحيل وخد أسيل وخصر نحيل وردف ثقيل وعليها أحسن مايكون من الثياب ورضابها أحلى من الجلاب وقامتها تفضح غصون البان وكلامها أرق من النسيم اذا مر على زهر البستان كما قال فيها بعض واصفيها هذه الابيات

لها بشر مثل الحرير ومنطق * رخيم الحواشي لاهراء ولا نزر
وعينان قال الله كونا فكانتا

فهو ابن بالالباب ما تفعل الخمر * فيا حبها زدني جوى كل ليلة * ويا سلوة الايام موعدك الحشر
ذوائبها ليل ولكن جبينها * اذا اسفر يوم يلوح به الفجر

فلما رآها الوزير أعجبته غاية الاعجاب فالتفت الى السمسار وقال له كم ثمن هذه الجارية فقال وقف سعرها على عشرة آلاف دينار وحلف صاحبها ان العشرة آلاف دينار لم تجيء ثمن الفراريج التي أكلتها ولا ثمن الخلع التي خلعتها على معلميها فانها تعلمت الخط والنحو واللغة والتفسير وأصول الفقه والدين والطب والتقويم والضرب بالآلات المطربة فقال الوزير علي بسيدها فاحضره السمسار في الوقت والساعة فاذا هو رجل أعجمي عاش زمنا طويلا حتى صيره الدهر عظما في جلد كما قال الشاعر

ارعشني الدهر أي رعش * والدهر ذو قوة وبطش قد كنت أمشي ولست أعيا * واليوم أعيا ولست أمشي

فقال له الوزير رضيت ان تأخذ في هذه الجارية عشرة آلاف دينار من السلطان محمد بن سليمان الزيني فقال العجمي حيث كانت للسلطان فالواجب علي ان أقدمها اليه هدية بلا ثمن فعند ذلك أمر الوزير باحضار الاموال فلما حضرت وزن الدنانير للعجمي ثم أقبل النخاس على الوزير وقال عن اذن مولانا الوزير أتكلم فقال الوزير هات ما عندك فقال عندي من الرأي أن لا تطلع بهذه الجارية الى السلطان في هذا اليوم فانها قادمة من السفر واختلف عليها الهواء وأتعبها السفر ولكن خلها عندك في القصر عشرة أيام حتى تستريح فيزداد جمالها ثم أدخلها الحمام والبسها أحسن الثياب واطلع بها الى السلطان فيكون لك في ذلك الحظ الاوفر فتأمل الوزير كلام النخاس فوجده صوابا فأتى بها الى قصره وأخلى لها مقصورة ورتب لها كل يوم ما تحتاج اليه من طعام وشراب وغيره فمكثت مدة على تلك الرفاهية وكان للوزير الفضل بن خاقان ولد كأنه البدر اذا أشرق بوجه أقمر وخد أحمر عليه خال كنقطة عنبر وفيه عذار أخضر كما قال الشاعر في مثله هذه الابيات

ورد الخدود ودونه شوك القنا * فمن المحدث نفسه ان يجتني
لا تمدد الايدي اليه فطالما * شنوا الحروب لأن مددنا الاعينا
يا قلبه القاسي ورقة خصره * هلا نقلت الى هنا من ههنا
لو كان رقة خصره في قلبه * ما جار قط على المحب ولا جنى
يا عاذلي في حبه كن عاذري * من لي بجسم قد تملكه الضنى
ما الذنب الا للفؤاد وناظري * لولاهما ما كنت في هذا العنا

وكان الصبي لم يعرف قضية هذه الجارية وكان والده أوصاها وقال لها يا بنتي اعلمي اني ما اشتريتك الا سرية للملك محمد بن سليمان الزيني وان لي ولدا ما خلا بصبية في الحارة الا فعل بها فاحفظي نفسك منه واحذري ان تريه وجهك أو تسمعيه كلامك فقالت الجارية السمع والطاعة ثم تركها وانصرف واتفق بالامر المقدر ان الجارية دخلت يوما من الايام الحمام الذي في المنزل وقد حماها بعض الجواري ولبست الثياب الفاخرة فتزايد حسنها وجمالها ودخلت على زوجة الوزير فقبلت يدها فقالت لها نعيما يا أنيس الجليس كيف حالك في هذا الحمام فقالت يا سيدتي ما كنت محتاجة الا الى حضورك فيه فعند ذلك قالت سيدة البيت للجواري قمن بنا ندخل الحمام فامتثلن أمرها ومضين وسيدتهن بينهن وقد وكلت بباب المقصورة التي فيها أنيس الجليس جاريتين صغيرتين وقالت لهما لا تمكنا أحدا من الدخول على الجارية فقالتا السمع والطاعة فبينما أنيس الجليس قاعدة في المقصورة واذا بابن الوزير الذي اسمه علي نور الدين قد دخل وسأل عن أمه وعن العائلة فقالت له الجاريتان دخلوا الحمام وقد سمعت الجارية أنيس الجليس كلام علي نور الدين بن الوزير وهي من داخل المقصورة فقالت في نفسها يا ترى ما شأن هذا الصبي الذي قال لي الوزير عنه انه ما خلا بصبية في الحارة الا واقعها والله اني أشتهي ان أنظره ثم انها نهضت على قدميها وهي بأثر الحمام وتقدمت جهة باب المقصورة ونظرت الى علي نور الدين فاذا هو صبي كالبدر في تمامه فأورثتها النظرة ألف حسرة ولاحت من الصبي التفاتة اليها فنظرها نظرة أورثته ألف حسرة ووقع كل منهما في شرك هوى الآخر فتقدم الصبي الى الجاريتين وصاح عليهما فهربتا من بين يديه ووقفتا من بعيد ينظرانه وينظران ما يفعل واذا به تقدم الى باب المقصورة وفتحه ودخل على الجارية وقال لها أنت التي اشتراك لي أبي فقالت له نعم فعند ذلك تقدم الصبي اليها وكان في حال السكر وأخذ رجليها وجعلهما في وسطه وهي شبكت يديها في عنقه واستقبلته بتقبيل

وشهيق وغنج ومص لسانها ومصت لسانه فأزال بكارتها فلما رأى الجاريتان سيدهما الصغير دخل على الجارية أنيس الجليس صرختا وكان قد قضى الصبي حاجته وخرج هاربا وللنجاة طالبا وفر من الخوف عقب الفعل الذي فعله فلما سمعت سيدة البيت صراخ الجاريتين مضت وخرجت من الحمام والعرق يقطر منها وقالت ما سبب هذا الصراخ الذي في الدار فلما قربت من الجاريتين اللتين أقعدتهما على باب المقصورة قالت لهما ويلكما ما الخبر فلما رأياها قالتا ان سيدي على نور الدين جاء الينا وضربنا فهربنا منه فدخل على أنيس الجليس وعانقها وما ندري أي شئ عمل بعد ذلك فلما صحنا لك هرب فعند ذلك تقدمت سيدة البيت الى أنيس الجليس وقالت لها ما الخبر فقالت يا سيدتي أنا قاعدة واذا بصبي جميل الصورة دخل علي وقال لي أنت التي اشتراك أبي لي فقلت نعم والله يا سيدتي اعتقدت أن كلامه صحيح فعند ذلك أتى الي وعانقني فقالت لها هل فعل بك شيأ غير ذلك قالت نعم وأخذ مني ثلاث قبلات فقالت ما تركك من غير افتضاض ثم بكت ولطمت وجهها هي والجواري خوفا على علي نور الدين أن يذبحه أبوه فبينما هم كذلك واذا بالوزير دخل وسأل عن الخبر فقالت له زوجته احلف أن ما قلته لك تسمعه قال نعم فأخبرته بما فعله ولده فحزن ومزق ثيابه ولطم على وجهه ونتف لحيته فقالت له زوجته لا تقتل نفسك أنا أعطيك من مالي عشرة آلاف دينار ثمنها فعند ذلك رفع رأسه اليها وقال لها ويلك أنا مالي حاجة بثمنها ولكن خوفي أن تروح روحي ومالي فقالت له يا سيدي ما سبب ذلك قال لها أما تعلمين ان وراءنا هذا العدو الذي يقال له المعين بن ساوي ومتى سمع بهذا الامر تقدم الى السلطان وقال له * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثالثة والثلاثون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الوزير قال لزوجته أما تعلمين ان وراءنا عدوا يقال له المعين بن ساوي ومتى سمع بهذا الامر تقدم الى السلطان وقال له ان وزيرك الذي تزعم انه يحبك أخذ منك عشرة آلاف دينار واشترى بها جارية ما رأى أحد مثلها فلما أعجبته قال لابنه خذها أنت أحق بها من السلطان فأخذها وأزال بكارتها وها هي الجارية عنده فيقول الملك تكذب فيقول للملك عن اذنك أهجم عليه وآتيك بها فيأذن له في ذلك فيهجم على الدار ويأخذ الجارية ويحضرها بين يدي السلطان ثم يسئلها فما تقدر أن تنكر فيقول له يا سيدي أنت تعلم اني ناصح لك ولكن ما لي عندكم حظ فيمثل بي السلطان والناس كلهم يتفرجون علي وتروح روحي فقالت له زوجته لا تعلم أحدا وهذا الامر حصل خفية وسلم أمرك الى الله في هذه القضية فعند ذلك سكن قلب الوزير وطاب خاطره هذا ما كان من أمر الوزير (وأما) ما كان من أمر علي نور الدين فانه خاف عاقبة الامر فكان يقضي نهاره في البساتين ولا يأتي الا في آخر الليل لامه فينام عندها ويقوم قبل الصبح ولا يراه أحد ولم يزل كذلك شهرا وهو لم ير وجه أبيه فقالت أمه لابيه يا سيدي هل تعدم الجارية وتعدم الولد فان طال هذا الامر على الولد هج قال لها وكيف العمل قالت له اسهر هذه الليلة فاذا جاء فامسكه واصطلح أنت واياه واعطه الجارية فانها تحبه وهو يحبها وأعطيك ثمنها فسهر الوزير طول الليل فلما أتى ولده أمسكه وأراد نحره فادركته أمه وقالت له أي شئ تريد أن تفعل معه فقال لها أريد أن أذبحه فقال الولد لابيه هل أهون عليك فتغرغرت عيناه بالدموع وقال له يا ولدي كيف هان عليك ذهاب مالي وروحي فقال الصبي اسمع يا والدي مقال الشاعر

هبني جنيت فلم تزل أهل النهى * يهبون للجاني سماحا شاملا
ماذا عسى يرجو عدوك وهو في * درك الحضيض وأنت أعلى منزلا

فعند ذلك قام الوزير من على صدر ولده وأشفق عليه وقام الصبي وقبل يد والده فقال يا ولدي لو علمت انك تنصف أنيس الجليس كنت وهبتها لك فقال يا والدي كيف لا أنصفها قال أوصيك يا ولدي انك لا تتزوج عليها ولا تضاررها ولا تبيعها قال له يا والدي أنا أحلف لك أن لا أتزوج عليها ولا أبيعها ثم حلف له أيمانا على ما ذكر ودخل على الجارية فاقام معها سنة وأنسى الله تعالى الملك قصة الجارية * وأما المعين بن ساوي فانه بلغه الخبر ولكنه لم يقدر أن يتكلم لعظم منزلة الوزير عند السلطان فلما مضت السنة دخل الوزير فضل الدين بن خاقان الحمام وخرج وهو عرقان فأصابه الهواء فلزم الوساد وطال به السهاد وتسلسل به الضعف فعند ذلك نادى ولده

على نور الدين فلما حضر بين يديه قال له ياولدي ان الرزق مقسوم والاجل محتوم ولابد لكل نسمة من شرب كاس المنون وأنشد هذه الابيات

من فاته الموت لم يفته غدا * والكل منا على حوض الردى وردا * سوى العظيم بمن قد كان محتقرا
ولم يدع هيبة بين الورى أحدا * لم يبق من ملك كلا ولا ملك * ولا نبي يعيش دائم أبدا

ثم قال ياولدي مالي عندك وصية الا تقوى الله والنظر في العواقب وان تستوصي بالجارية أنيس الجليس فقال له ياأبت ومن مثلك وقد كنت معروفا بفعل الخير ودعاء الخطباء لك على المنابر فقال ياولدي أرجو من الله تعالى القبول ثم نطق بالشهادتين وشهق شهقة فكتب من أهل السعادة فعند ذلك امتلأ القصر بالصراخ ووصل الخبر الى السلطان وسمعت أهل المدينة بوفاة الفضل بن خاقان فبكت عليه الصبيان في مكاتبها ونهض ولده علي نور الدين وجهزه وحضرت الامراء والوزراء وأرباب الدولة وأهل المدينة مشهده وكان ممن حضر الجنازة الوزير المعين بن ساوي وأنشد بعضهم عند خروج جنازته من الدار هذه الابيات

قد قلت للرجل المولى غسله * هلا أطعت وكنت من نصحائه * جنبه ماءك ثم غسله بما
أذرت عيون المجد عند بكائه * وأزل مجاميع الحنوط ونحها * عنه وحنطه بطيب ثنائه
ومر الملائكة الكرام بحمله * شرفا ألست تراهم و بازائه
لاتوه أعناق الرجال بحمله * يكفي الذي حملوه من نعمائه

ثم مكث على نور الدين شديد الحزن على والده مدة مديدة فبينما هو جالس يوما من الايام في بيت والده اذ طرق الباب طارق فنهض على نور الدين وفتح الباب واذا برجل من ندماء والده وأصحابه فقبل يد على نور الدين وقال ياسيدي من خلف مثلك ما مات وهذا مصير سيد الاولين والآخرين صلى الله عليه وسلم ياسيدي طب نفسا ودع الحزن فعند ذلك نهض على نور الدين الى قاعة الجلوس ونقل اليها ما يحتاج اليه واجتمع عليه أصحابه وأخذ جاريته واجتمع عليه عشرة من أولاد التجار ثم انه أكل الطعام وشرب الشراب وجدد مقاما بعد مقام وصار يعطي ويتكرم فعند ذلك دخل عليه وكيله وقال له ياسيدي على نور الدين أما سمعت قول بعضهم من ينفق ولم يحسب افتقر ولقد أحسن من قال هذه الابيات

أصون دراهمي وأذب عنها * لعلمي انها سيفي وترسي * أأبذلها الى أعدى الاعادي
وأبدل في الورى سعدي بنحسي * فيأكلها ويشربها هنيأ * ولا يسخو الى أحد بفلس
وأحفظ درهمي عن كل شخص * لئيم الطبع لا يصفو لانسي * أحب الي من قولي لنذل
أنلني درهما لغد بخمس * فيعرض وجهه ويصد عني * فتبقى مثل نفس الكلب نفسي
فيا ذل الرجال بغير مال * ولو كانت فضائلهم كشمس

ثم قال ياسيدي النفقة الجزيلة والمواهب العظيمة تفني المال فلما سمع على نور الدين من وكيله هذا الكلام نظر اليه وقال له جميع ما قلته لا أسمع منه كلمة فما أحسن قول الشاعر

اذا ما ملكت المال يوما ولم أجد * فلا بسطت كفي ولا نهضت رجلي
فهاتوا بخيلا نال مجدا ببخله * وهاتوا أروني باذلا مات من بذل

ثم قال اعلم أيها الوكيل اني أريد اذا فضل عندك ما يكفيني لغدائي أن لا تحملني هم عشائي فانصرف الوكيل من عنده الى حال سبيله وأقبل على نور الدين على ما هو فيه من مكارم الاخلاق وكل من يقول له من ندمائه ان هذا الشيء مليح يقول هو لك هبة أو يقول ياسيدي ان الدار الفلانية مليحة يقول هي لك هبة ولم يزل على نور الدين يعقد لندمائه وأصحابه في أول النهار مجلسا وفي آخره مجلسا ومكث على هذا الحال سنة كاملة فبينما هو جالس يوما واذا بالجارية تنشد هذين البيتين

أحسنت ظنك بالايام اذ حسنت * ولم تخف سوء ما يأتي به القدر

وسالمتك الليالى فاغتررت بها * وعند صفو الليالى يحدث الكدر

فلما فرغت من شعرها اذا بطارق يطرق الباب فقام على نور الدين فتبعه بعض جلسائه من غير ان يعلم به فلما فتح الباب رآه وكيله فقال له على نور الدين ما الخبر فقال له ياسيدى الذى كنت أخاف عليك منه قد وقع لك قال وكيف ذلك قال اعلم انه ما بقى لك تحت يدى شئ يساوى درهما ولا أقل من درهم وهذه دفاتر المصروف الذى صرفته ودفاتر أصل مالك فلما سمع على نور الدين هذا الكلام أطرق برأسه الى الارض وقال لاحول ولاقوة الا بالله فلما سمع الرجل الذى تبعه خفية وخرج ليسأل عليه وما قاله له الوكيل رجع الى أصحابه وقال لهم انظروا أى شئ تعملون فان عليا نور الدين قد أفلس فلما رجع اليهم على نور الدين ظهر لهم الغم فى وجهه فعند ذلك نهض واحد من الندماء على قدميه ونظر الى على نور الدين وقال له ياسيدى انى أريد أن تأذن لى بالانصراف فقال على نور الدين لماذا الانصراف فى هذا اليوم فقال ان زوجتى تلد فى هذه الليلة ولا يمكننى أن أتخلف عنها وأريد ان أذهب اليها وانظرها فأذن له ونهض آخر وقال له ياسيدى نور الدين أريد اليوم أن أحضر عند أخى فانه يطاهر ولده وكل واحد يستأذنه بحيلة ويذهب الى حال سبيله حتى انصرفوا كلهم وبقى على نور الدين وحده فعند ذلك دعا جاريته وقال يا أنيس الجليس أما تنظرين ما حل بى وحكى لها ما قاله الوكيل فقالت ياسيدى من منذ ليال هممت ان أقول لك على هذا الحال فسمعتك تنشد هذين البيتين

اذا جادت الدنيا عليك فجد بها * على الناس طرا قبل أن تتفلت
فلا الجود يفنيها اذا هى أقبلت * ولا الشح يبقيها اذا هى ولت

فلما سمعتك تنشدهما سكت ولم أبد لك خطابا فقال لها على نور الدين يا أنيس الجليس أنت تعرفين أنى ما صرفت مالى الا على أصحابى وأظنهم لا يتركوننى من غير مواساة فقالت أنيس الجليس والله ما ينفعونك بنافعة فقال على نور الدين فأنا فى هذه الساعة أقوم وأروح اليهم وأطرق أبوابهم لعلى أنال منهم شيأ فأجعله فى يدى رأس مال وأتجر فيه وأترك اللهو واللعب ثم انه نهض من وقته وساعته ومازال سائرا حتى أقبل على الزقاق الذى فيه أصحابه العشرة وكانوا كلهم ساكنين فى ذلك الزقاق فتقدم الى أول باب وطرقه فخرجت له جارية وقالت له من أنت فقال لها قولى لسيدك على نور الدين واقف على الباب ويقول لك مملوكك يقبل أياديك وينتظر فضلك فدخلت الجارية وأعلمت سيدها فصاح عليها وقال لها ارجعى وقولى له ما هو هنا فرجعت الجارية الى على نور الدين وقالت له ياسيدى ان سيدى ما هو هنا فتوجه على نور الدين وقال فى نفسه ان كان هذا ولد زنا وأنكر نفسه فغيره ما هو ولد زنا ثم تقدم الى الباب الثانى وقال كما قال أولا فأنكر الآخر نفسه فعند ذلك أنشد هذا البيت

ذهب الذين اذا وقفت ببابهم * منوا عليك بما تريد من الندى

فلما فرغ من شعره قال والله لابد ان أمتحنهم كلهم عسى ان يكون فيهم واحد يقوم مقام الجميع فدار على العشرة فلم يجد أحدا منهم فتح الباب ولا أراه نفسه ولا أمر له برغيف فأنشد هذه الأبيات

المرء فى زمن الاقبال كالشجرة * فالناس من حولها مادامت الثمرة * حتى اذا أسقطت كل الذى حملت
تفرقوا وأرادوا غيرها شجرة * تبا لابناء هذا الدهر كلهم * فلم أجد واحدا يصفو من العشرة

ثم انه رجع الى جاريته وقد تزايد همه فقالت له ياسيدى أما قلت لك انهم لا ينفعونك بنافعة فقال والله ما فيهم من أرانى وجهه فقالت له ياسيدى بع من آثاث البيت شيأ فشيأ وانفق فباع الى ان باع جميع ما فى البيت ولم يبق عنده شئ فعند ذلك نظر الى أنيس الجليس وقال لها ما نفعل الآن فقالت له ياسيدى عندى من الرأى ان تقوم فى هذه الساعة وتنزل بى السوق فتبيعنى وأنت تعلم ان والدك كان اشترانى بعشرة آلاف دينار فلعل الله يفتح عليك ببعض هذا الثمن واذا قدر الله باجتماعنا نجتمع فقال لها يا أنيس الجليس ما يهون على فراقك ساعة واحدة فقالت له ولا أنا لكن للضرورة أحكام كما قال الشاعر

تلجئ الضرورات فى الامور الى * سلوك ما لا يليق بالادب ما حامل نفسه على سبب * الا لامر يليق بالسبب

فعند ذلك أخذ أنيس الجليس ودموعه تسيل على خديه ثم أنشد هذين البيتين

قفوا زودوني نظرة قبل بينكم * أعالل قلبا كاد بالبين يتلف
فان كان تزويدي بذلك كلفة * دعوني في وجدي ولا تتكلفوا

ثم مضى وسلمها الى الدلال وقال له اعرف مقدار ما تنادي عليه فقال له الدلال يا سيدي على نور الدين الاصول محفوظة ثم قال له أما هي أنيس الجليس الذي كان اشتراها والدك مني بعشرة آلاف دينار قال نعم فعند ذلك طلع الدلال الى التجار فوجدهم لم يجتمعوا كلهم فصبر حتى اجتمع سائر التجار وامتلأ السوق بسائر اجناس الجواري من تركية ورومية وشركسية وجرجية وحبشية فلما نظر الدلال الى ازدحام السوق نهض قائما وقال يا تجار يا أرباب الاموال ما كل مدور جوزة ولا كل مستطيلة موزة ولا كل حمراء لحمة ولا كل بيضاء شحمة ولا كل صهباء خمرة ولا كل سمراء تمرة يا تجار هذه الدرة اليتيمة التي لا تفي الاموال لها بقيمة بكم تفتحون باب الثمن فقال واحد بأربعة آلاف دينار وخمسمائة واذا بالوزير المعين بن ساوي في السوق فنظر على نور الدين واقفا في السوق فقال في نفسه ما باله واقفا فانه ما بقي عنده شئ يشتري به جواري ثم نظر بعينه فسمع المنادي وهو واقف ينادي في السوق والتجار حوله فقال الوزير في نفسه ما أظنه الا أفلس ونزل بالجارية ليبيعها ثم قال في نفسه ان صح ذلك فما أبرده على قلبي ثم دعا المنادي فاقبل عليه وقبل الارض بين يديه فقال اني أريد هذه الجارية التي تنادي عليها فلم يمكنه المخالفة فجاء بالجارية وقدمها بين يديه فلما نظر اليها وتأمل محاسنها من قامتها الرشيقة والفاظها الرقيقة أعجبته فقال له الى كم وصل ثمنها فقال أربعة آلاف وخمسمائة دينار فلما سمع ذلك التجار ما قدر واحد منهم أن يزيد درهما ولا دينارا بل تأخر واجميعا لما يعلمون من ظلم ذلك الوزير ثم نظر الوزير المعين بن ساوي الى الدلال وقال له ما سبب وقوفك رح والجارية على بأربعة آلاف دينار ولك خمسمائة دينار فراح الدلال الى على نور الدين وقال له يا سيدي راحت الجارية عليك بلا ثمن فقال له وما سبب ذلك قال له نحن فتحنا باب سعرها بأربعة آلاف دينار وخمسمائة فجاء هذا الظالم المعين بن ساوي ودخل السوق فلما نظر الجارية أعجبته وقال لي شاور على أربعة آلاف دينار ولك خمسمائة وما أظنه الا يعرف أن الجارية لك فان كان يعطيك ثمنها في هذه الساعة يكون ذلك من فضل الله لكن أنا أعرف من ظلمه انه يكتب لك ورقة حوالة على بعض عملائه ثم يرسل اليهم ويقول لا تعطوه شيأ فكلما ذهبت اليهم لتطالبهم يقولون في غد نعطيك ولا يزالون يعدونك ويخلفون يوما بعد يوم وأنت عزيز النفس وبعد أن يضجروا من مطالبتك اياهم يقولون اعطنا ورقة الحوالة فاذا أخذوا الورقة منك قطعوها وراح عليك ثمن الجارية فلما سمع على نور الدين من الدلال هذا الكلام نظر اليه وقال له كيف يكون العمل فقال له انا أشير عليك بمشورة فان قبلتها مني كان لك الحظ الاوفر قال تجيء في هذه الساعة عندي وأنا واقف في وسط السوق وتأخذ الجارية من يدي وتلكمها وتقول لها ويلك قد فديت يميني التي حلفتها ونزلت بك السوق حيث حلفت عليك انه لابد من اخراجك الى السوق ومناداة الدلال عليك فان فعلت ذلك ربما تدخل عليه الحيلة وعلى الناس ويعتقدون انك ما نزلت بها الا لاجل ابرار اليمين فقال هذا هو الرأي الصواب ثم ان الدلال فارقه وجاء الى وسط السوق وامسك بيد الجارية وأشار الى الوزير المعين بن ساوي وقال يا مولاي هذا مالكها قد أقبل ثم جاء على نور الدين الى الدلال ونزع الجارية من يده ولكمها وقال لها ويلك قد نزلت بك الى السوق لأجل ابرار يميني روحي الى البيت وبعد ذلك لا تخالفيني فلست محتاجا الى ثمنك حتى أبيعك أنا لو بعت أثاث البيت وأمثاله مرات عديدة ما بلغ قدر ثمنك فلما نظر المعين بن ساوي الى نور الدين قال له ويلك وهل بقي عندك شئ يباع أو يشترى ثم ان المعين بن ساوي أراد أن يبطش به فعند ذلك نظر التجار الى نور الدين وكانوا كلهم يحبونه فقال لهم ها أنا بين أيديكم وقد عرفتم ظلمه فقال الوزير والله لولا انتم لقتلته ثم رمز واكلهم لبعضهم بعين الاشارة وقالوا ما أحد منا يدخل بينك وبينه فعند ذلك تقدم على نور الدين الى الوزير ابن ساوي وكان نور الدين شجاعا فجذب الوزير من فوق سرجه فرماه على الارض وكان هناك معجنة طين فوقع الوزير في وسطها وجعل على نور الدين يلكمه فجاءت لكمة على اسنانه فاختضبت لحيته بدمه وكان مع الوزير عشرة مماليك فلما رأوا نور الدين فعل بسيدهم هذه الافعال وضعوا أيديهم على مقابض سيوفهم وأرادوا ان يهجموا

قلى على نور الدين ويقطعوه واذا بالناس قالوا المماليك هذا وزير وهذا ابن وزير وربما اصطلحا مع بعضهما وتكونون مبغوضين عند كل منهما وربما جاءت فيه ضربة فتموتون جميعا أقبح الموتات ومن الرأي أن لا تدخلوا بينهما فلما فرغ علي نور الدين من ضرب الوزير أخذ جاريته ومضى الى داره وأما الوزير ابن ساوي فانه قام من ساعته وكان قماش ثيابه أبيض فصار ملونا بثلاثة ألوان لون الطين ولون الدم ولون الرماد فلما رأى نفسه على هذه الحالة أخذ برشا وحبله في رقبته وأخذ في يده حزمتين من حلفة وسار الى أن وقف تحت القصر الذي فيه السلطان وصاح يا ملك الزمان مظلوم فاحضروه بين يديه فتأمله فرآه وزيره المعين بن ساوي فقال له من فعل بك هذه الفعال فبكى وانتحب وأنشد هذين البيتين

أيظلمني الزمان وأنت فيه * وتأكلني الكلاب وأنت ليث
ويروى من حياضك كل صاد * واعطش في حماك وأنت غيث

ثم قال ياسيدي أهكذا كل من يحبك ويخدمك تجري له هذه المشاق قال له ومن فعل بك هذه الفعال فقال الوزير اعلم أني خرجت اليوم الى سوق الجواري لعلي أشتري جارية طباخة فرأيت في السوق جارية ما رأيت في طول عمري مثلها فقال الدلال انها لعلي بن خاقان وكان مولانا السلطان اعطى أباه سابقا عشرة آلاف دينار ليشتري له بها جارية مليحة فاشترى تلك الجارية فاعجبته فاعطاها ولده فلما مات أبوه سلك طريق الاسراف حتى باع جميع ماعنده من الاملاك والبساتين والاواني فلما أفلس ولم يبق عنده شئ نزل بالجارية الى السوق على أن يبيعها ثم سلمها الى الدلال فنادى عليها وتزايدت فيها التجار حتى بلغ ثمنها أربعة آلاف دينار فقلت لعلي أشتري هذه لمولانا السلطان فان أصل ثمنها كان من عنده فقلت ياولدي خذ ثمنها أربعة آلاف دينار فلما سمع كلامي نظر الي وقال ياشيخ النحس أبيعها لليهود والنصارى ولا أبيعها لك فقلت انا ما أشتريها لنفسي وانما أشتريها لمولانا السلطان الذي هو ولي نعمتنا فلما سمع مني هذا الكلام اغتاظ وجذبني ورماني عن الجواد وأنا شيخ كبير وضربني ولم يزل يضربني حتى تركني كما تراني وأنا ما أوقعني في هذا كله الا اني جئت لأشتري هذه الجارية لسعادتك ثم ان الوزير رمى نفسه على الأرض وجعل يبكي ويرتعد فلما نظر السلطان حالته وسمع مقالته قام عرق الغضب بين عينيه ثم التفت الى من بحضرته من أرباب الدولة واذا بأربعين ضاربي سيف وقفوا بين يديه فقال لهم السلطان انزلوا في هذه الساعة الى دار ابن خاقان وانهبوها واهدموها وائتوني به وبالجارية مكتفين واسحبوهما على وجوههما وائتوا بهما بين يدي فقالوا له السمع والطاعة ثم انهم نزلوا وقصدوا المسير الى علي نور الدين وكان عند السلطان حاجب يقال له علم الدين سنجر وكان أولا من مماليك الفضل بن خاقان والد علي نور الدين فلما سمع أمر السلطان ورأى الاعداء تهيؤا الى قتل ابن سيده لم يهن عليه ذلك فركب جواده وسار الى أن أتى بيت علي نور الدين فطرق الباب فخرج له نور الدين فلما رآه عرفه وأراد ان يسلم عليه فقال ياسيدي ماهذا وقت سلام ولا كلام واسمع ماقال الشاعر

ونفسك فز بها ان خفت ضيما * وخل الدار تنعي من بناها
فانك واجد أرضا بأرض * ونفسك لم تجد نفسا سواها

فقال نور الدين ياعلم الدين ما الخبر فقال له انهض وفز بنفسك أنت والجارية فان المعين بن ساوي نصب لكما شركا ومتى وقعتما في يده قتلكما وقد أرسل اليكما السلطان أربعين ضاربا بالسيف والرأي عندي ان تهربا قبل ان يحل الضرر بكما ثم ان سنجر مد يده الى نور الدين بدنانير فعدها فوجدها أربعين دينارا وقال له ياسيدي خذ هذه ولو كان معي أكثر من ذلك لاعطيتك اياه لكن ماهذا وقت معاتبة فعند ذلك دخل نور الدين على الجارية واعلمها بذلك فتحيرت ثم خرج الاثنان في الوقت الى ظاهر المدينة وأسبل الله عليهما ستره ومشيا الى ساحل البحر فوجدا مركبا تجهزت للسفر والريس واقف في وسط المركب يقول من بقي له حاجة من وداع أو زوادة أونسي حاجة فليأت بها فانا متوجهون فقالوا كلهم لم يبق لنا حاجة يا ريس فعند ذلك قال الريس لجماعته هيا حلوا الطرف واقلعوا الاوتاد فقال علي نور الدين الى أين يا ريس فقال الى دار السلام بغداد * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الرابعة والثلاثون) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان

الريس لما قال لعلي نور الدين الى دار السلام مدينة بغداد نزل على نور الدين ونزلت معه الجارية وعوموا ونشروا القلوع فاندفعت المركب كأنها طير بجناحيه كما قال فيها بعضهم هذين البيتين

انظر الى مركب يسبيك منظره * يسابق الريح في سير لسراء
كأنه طائر قد مد أجنحة * أتى من الجو منقضاً على الماء

فسارت بهم المركب وطاب لهم الريح هذا ما جرى لهؤلاء (وأما) ما جرى للاربعين الذين أرسلهم السلطان فانهم جاؤا الى بيت علي نور الدين فكسروا الابواب ودخلوا وطافوا جميع الاماكن فلم يقفوا لهما على خبر فهدموا الدار ورجعوا واعلموا السلطان فقال اطلبوهما في أي مكان كانا فيه فقالوا السمع والطاعة ثم نزل الوزير المعين بن ساوي الى بيته بعد ان خلع عليه السلطان خلعة وقال له لا يأخذ بثارك الا أنا فدعا له بطول البقاء واطمأن قلبه ثم ان السلطان أمر ان ينادى في المدينة يا معاشر الناس كافة قد أمر السلطان ان من عثر بعلي نور الدين بن خاقان وجاء به الى السلطان خلع عليه خلعة وأعطاه ألف دينار ومن أخفاه أو عرف مكانه ولم يخبر به فانه يستحق ما يجري له عليه من النكال فصار جميع الناس في التفتيش على علي نور الدين فلم يعرفوا له أثراً هذا ما كان من أمر هؤلاء (وأما) ما كان من أمر علي نور الدين وجاريته فانهما وصلا بالسلامة الى بغداد فقال الريس هذه بغداد وهي مدينة أمينة قد ولى عنها الشتاء ببرده وأقبل عليها فصل الربيع بورده وأزهرت أشجارها وجرت أنهارها فعند ذلك طلع علي نور الدين هو وجاريته من المركب وأعطى الريس خمسة دنانير ثم سارا قليلاً فرمتهما المقادير بين البساتين فجاآ الى مكان فوجداه مكنوساً مرشوشاً بمصاطب مستطيلة وقواديس معلقة ملآنة بالماء وفوقه مكعب من القصب بطول الزقاق وفي صدر الزقاق باب بستان الا انه مغلق فقال نور الدين للجارية والله ان هذا المحل مليح فقالت يا سيدي اقعد بنا ساعة على هذه المصاطب فطلعا وجلسا على المصاطب ثم غسلا وجوههما وأيديهما واستلذا بمرور النسيم فناما وجل من لا ينام وكان هذا البستان يسمى بستان النزهة وهناك قصر يقال له قصر الفرجة وهو للخليفة هرون الرشيد وكان الخليفة اذا ضاق صدره يأتي الى هذا البستان ويدخل ذلك القصر فيقعد فيه وكان القصر له ثمانون شباكاً ومعلقاً فيه ثمانون قنديلاً وفي وسطه شمعدان كبير من الذهب فاذا دخله الخليفة أمر الجواري أن تفتح الشبابيك وأمر اسحق النديم والجواري أن يغنوا فينشرح صدره ويزول همه وكان للبستان خولي شيخ كبير يقال له الشيخ ابراهيم واتفق انه خرج ليقضي حاجة من أشغاله فوجد المتفرجين معهم النساء وأهل الريبة فغضب غضباً شديداً فصبر الشيخ ابراهيم حتى جاء عند الخليفة في بعض الايام فأعلمه بذلك فقال الخليفة كل من وجدته على باب البستان فافعل به ما أردت فلما كان ذلك اليوم خرج الشيخ ابراهيم الخولي لقضاء حاجة عرضت له فوجد الاثنين نائمين على البستان مغطيين بازار واحد فقال أما عرف ان الخليفة أعطاني اذناً ان كل من لقيته هنا أقتله ولكن أنا أضرب هذين ضرباً خفيفاً حتى لا يتقرب أحد من باب البستان ثم قطع جريدة خضراء وخرج اليهما ورفع يده فبان بياض ابطه وأراد ضربهما فتفكر في نفسه وقال يا ابراهيم كيف تضربهما ولم تعرف حالهما وقد يكونان غريبين أو من أبناء السبيل ورمتهما المقادير هنا فأنا أكشف عن وجوههما وأنظر اليهما فرفع الازار عن وجوههما وقال هذان حسنان لا ينبغي أن أضربهما ثم غطى وجوههما وتقدم الى رجل علي نور الدين وجعل يكبسها ففتح عينيه فوجده شيخاً كبيراً فاستحى علي نور الدين ولم رجليه واستوى قاعداً وأخذ يد الشيخ ابراهيم فقبلها فقال له يا ولدي من أين أنتم فقال له يا سيدي نحن غرباء وفرت الدمعة من عينه فقال الشيخ ابراهيم يا ولدي اعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم أوصى باكرام الغريب ثم قال له يا ولدي أما تقوم وتدخل البستان وتتفرج فيه فينشرح صدرك فقال له نور الدين يا سيدي هذا البستان لمن قال يا ولدي هذا البستان ورثته من أهلي وما كان قصد الشيخ ابراهيم بهذا الكلام الا أن يطمئنا ويدخلا البستان فلما سمع نور الدين كلامه شكره وقام هو وجاريته والشيخ ابراهيم قدامهما فدخلوا البستان فاذا هو بستان بابه مقنطر عليه كروم وأعنابه مختلفة الألوان الأحمر كأنه ياقوت والأسود كأنه آبنوس فدخلوا تحت عريشة فوجدوا فيها الاثمار صنواناً وغير صنوان

والاطيار تغرد بالالحان على الاغصان والهزار يترنم والقمري ملأ بصوته المكان والشحرور كأنه في تغريده انسان والفاخت كأنه شارب نشوان والاشجار قد اينعت أثمارها من كل مأكول ومن كل فاكهة زوجان والمشمش ما بين كافوري ولوزي ومشمش خراسان والبرقوق كأنه لون الحسان والقراسية تذهل عقل كل انسان والتين ما بين احمر وابيض واخضر من احسن الالوان والزهر كأنه اللؤلؤ والمرجان والورد يفضح بحمرته خدود الحسان والبنفسج كأنه الكبريت دنا من النيران والآس والمنثور والخزامى مع شقائق النعمان وتكللت تلك الاوراق بمدامع الغمام وضحك ثغر الاقحوان وصار النرجس ناظرا الى الورد بعيون السودان والاترج كأنه أكواب والليمون كبنادق من ذهب وفرشت الارض بالزهر من سائر الالوان وأقبل الربيع فاشرق ببهجته المكان والنهر في خرير والطير في هدير والريح في صفير والزمان في اعتدال والنسيم في اعتلال ثم دخل بهما الشيخ ابراهيم القاعة المعلقة فابتهجا بحسن تلك القاعة وما فيها من اللطائف الغريبة وجلسوا في بعض الشبابيك فتذكر نور الدين المقاساة التي مضت له فقال والله ان هذا المكان في غاية الحسن لقد ذكرني ما مضى وأطفأ من كربي جمر الغضى ثم ان الشيخ ابراهيم قدم لهما الاكل فأكلا كفايتهما ثم غسلا أيديهما وجلس نور الدين في شباك من تلك الشبابيك وصاح على جاريته فأتت اليه فصارا ينظران الى الاشجار وقد حملت سائر الاثمار ثم التفت على نور الدين الى الشيخ ابراهيم وقال له يا شيخ ابراهيم أما عندك شيء من الشراب لان الناس يشربون بعد أن يأكلوا فجاءه الشيخ ابراهيم بماء حلو بارد فقال له نور الدين ما هذا الشراب الذي أريده فقال له أتريد الخمر فقال له نور الدين نعم فقال أعوذ بالله منها ان لي ثلاثة عشر عاما ما فعلت ذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم لعن شاربه وعاصره وحامله فقال له نور الدين اسمع مني كلمتين قال قل ما شئت قال اذا لم تكن عاصر الخمر ولا شاربه ولا حامله هل يصيبك من لعنهم شيء قال لا قال خذ هذين الدينارين وهذين الدرهمين واركب هذا الحمار وقف بعيدا وأي انسان وجدته يشتري فصح عليه وقل له خذ هذين الدرهمين واشتر بهذين الدينارين خمرا واحمله على الحمار وحينئذ لا تكون شاربا ولا حاملا ولا عاصرا ولا مشتريا ولا يصيبك شيء مما أصاب الجميع فقال الشيخ ابراهيم وقد ضحك من كلامه والله ما رأيت أظرف منك ولا أحلى من كلامك فقال له نور الدين نحن صرنا محسوبين عليك وما عليك الا الموافقة فائت لنا بجميع ما نحتاج اليه فقال له الشيخ ابراهيم يا ولدي هذا كراري قدامك وهو الحاصل المعد لامير المؤمنين فادخله وخذ منه ما شئت فان فيه فوق ما تريد فدخل على نور الدين الحاصل فرأى فيه أواني من الذهب والفضة والبلور مرصعة بأصناف الجواهر فاخرج منها ما أراد وسكب الخمر في البواطي والقناني وصار هو وجاريته يتعاطيان واندهشا من حسن ما رأيا ثم ان الشيخ ابراهيم جاء لهما بالمشموم وقعد بعيدا عنهما فلم يزالا يشربان وهما في غاية الفرح حتى تحكم معهما الشراب واحمرت خدودهما وتغازلت عيونهما واسترخت شعورهما فقال الشيخ ابراهيم ما لي أقعد بعيدا عنهما كيف لا أقعد عندهما وأي وقت اجتمع في قصرنا مثل هذين الاثنين اللذين كأنهما قمران ثم ان الشيخ ابراهيم تقدم وقعد في طرف الايوان فقال له على نور الدين يا سيدي بحياتي ان تتقدم عندنا فتقدم الشيخ ابراهيم عندهما فملأ نور الدين قدحا ونظر الى الشيخ ابراهيم وقال له اشرب حتى تعرف ما لذة طعمه فقال الشيخ ابراهيم أعوذ بالله ان لي ثلاث عشرة سنة ما فعلت شيئا من ذلك فتغافل عنه نور الدين وشرب القدح ورمى نفسه في الارض وأظهر أنه غلب عليه السكر فعند ذلك نظرت اليه أنيس الجليس وقالت له يا شيخ ابراهيم أنظر هذا كيف عمل معي قال لها يا سيدتي ما له قالت دائما يعمل معي هكذا فيشرب ساعة وينام وأبقى أنا وحدي لا أجد لي نديما ينادمني على قدحي فاذا شربت فمن يعاطيني واذا غنيت فمن يسمعني فقال لها الشيخ ابراهيم وقد حنت أعضاؤه ومالت نفسه اليها من كلامها لا ينبغي من النديم أن يكون هكذا ثم ان الجارية ملأت قدحا ونظرت الى الشيخ ابراهيم وقالت بحياتي أن تأخذه وتشربه ولا ترده فاقبله واجبر خاطري فمد الشيخ ابراهيم يده وأخذ القدح وشربه وملأت له ثانيا ومدت اليه يدها به وقالت له يا سيدي بقي لك هذا فقال لها والله لا أقدر أن أشربه فقد كفاني الذي شربته فقالت له والله لابد منه فأخذ القدح وشربه ثم أعطته الثالث

فأخذه وأراد أن يشربه واذا بنور الدين هم قاعدا * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الخامسة والثلاثون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن عليا نور الدين هم قاعدا فقال له يا شيخ ابراهيم أي شئ هذا أما حلفت عليك من ساعة فأبيت وقلت انى لى ثلاثة عشر عاما ما فعلته فقال الشيخ ابراهيم وقد استحى والله مالى ذنب وانما هي شددت على فضحك نور الدين وقعدوا للمنادمة فالتفتت الجارية وقالت لسيدها سرا يا سيدى اشرب ولا تحلف على الشيخ ابراهيم حتى أفرجك عليه فجعلت الجارية تملأ وتسقى سيدها وسيدها يملأ ويسقيها ولم يزالا كذلك مرة بعد مرة فنظر لهما الشيخ ابراهيم وقال لهما أى شئ هذا وما هذه المنادمة لم لا تسقيانى وقد صرت نديما فضحكا من كلامه الى أن أغمى عليهما ثم شربا وسقياه وما زالوا فى المنادمة الى ثلث الليل فعند ذلك قالت الجارية يا شيخ ابراهيم عن اذنك هل أقوم وأوقد شمعة من هذا الشمع المصفوف فقال لها قومى ولا توقدى الا شمعة واحدة فنهضت على قدميها وابتدأت من أول الشمع الى أن أوقدت ثمانين شمعة ثم قعدت وبعد ذلك قال نور الدين يا شيخ ابراهيم وأنا أى شئ حظى عندك أما تخلينى أوقد قنديلا من هذه القناديل فقال له الشيخ ابراهيم قم وأوقد قنديلا واحدا ولا تتثاقل أنت الآخر فقام وابتدأ من أولها الى أن أوقد ثمانين قنديلا فعند ذلك رقص المكان فقال لهما الشيخ ابراهيم وقد غلب عليه السكر أنتما أخرع منى ثم انه نهض على قدميه وفتح الشبابيك جميعا وجلس معهما يتنادمون ويتناشدون الاشعار وابتهج بهم المكان فقدر الله السميع العليم الذى جعل لكل شئ سببا أن الخليفة كان فى تلك الساعة جالسا فى الشبابيك المطلة على ناحية الدجلة فى ضوء القمر فنظر الى تلك الجهة فرأى ضوء القناديل والشموع فى البحر ساطعا فلاحت من الخليفة التفاتة الى القصر الذى فى البستان فرآه يرهج من تلك الشموع والقناديل فقال على بجعفر البرمكى فما كان الا لحظة وقد حضر جعفر بين يدى أمير المؤمنين فقال له يا كلب الوزراء أتخدمنى ولم تعلمنى بما يحصل فى مدينة بغداد فقال له جعفر وما سبب هذا الكلام فقال لولا أن مدينة بغداد أخذت منى ما كان قصر الفرجة مبتهجا بضوء القناديل والشموع وانفتحت شبابيكه ويلك من الذى يكون له قدرة على هذه الفعال الا اذا كانت الخلافة أخذت منى فقال جعفر وقد ارتعدت فرائصه ومن أخبرك بان قصر الفرجة أوقدت فيه القناديل والشموع وفتحت شبابيكه فقال له تقدم عندى وانظر فتقدم جعفر عند الخليفة ونظر ناحية البستان فوجد القصر كأنه شعلة نار نورها غالب على نور القمر فأراد جعفر أن يعتذر عن الشيخ ابراهيم الخولى ربما يكون هذا الامر باذنه لما رأى فيه من المصلحة فقال يا أمير المؤمنين كان الشيخ ابراهيم فى الجمعة التى مضت قال لى يا سيدى جعفر انى أريد أن أفرح أولادى فى حياتك وحياة أمير المؤمنين فقلت له وما مرادك بهذا الكلام فقال لى مرادى أن تأخذ لى اذنا من الخليفة بأنى أطاهر أولادى فى القصر فقلت له افعل ما شئت من فرح أولادك وان شاء الله أجتمع بالخليفة وأعلمه بذلك فراح من عندى على هذا الحال ونسيت أن أعلمك فقال الخليفة يا جعفر كان لك عندى ذنب واحد فصار لك عندى ذنبان لانك أخطأت من وجهين الوجه الاول انك ما أعلمتنى بذلك الوجه الثانى أنك ما بلغت الشيخ ابراهيم مقصوده فانه ما جاء اليك وقال لك هذا الكلام الا تعريضا بطلب شئ من المال يستعين به على مقصوده فلم تعطه شيأ ولم تعلمنى حتى أعطيه فقال جعفر يا أمير المؤمنين نسيت فقال الخليفة وحق آبائى واجدادى ما أتم بقية ليلتى الا عنده فانه رجل صالح يتردد اليه المشايخ ويحتفل بالفقراء ويواسى المساكين وأظن أن الجميع عنده فى هذه الليلة فلا بد من الذهاب اليه لعل واحدا منهم يدعو لنا دعوة يحصل لنا بها خير فى الدنيا والآخرة وربما يحصل له نفع فى هذا الامر بحضورى ويفرح بذلك هو وأحبابه فقال جعفر يا أمير المؤمنين ان معظم الليل قد مضى وهم فى هذه الساعة على وجه الانفضاض فقال الخليفة لا بد من الرواح عندهم فسكت جعفر وتحير فى نفسه وصار لا يدرى فنهض الخليفة على قدميه وقام جعفر بين يديه ومعهما مسرور الخادم ومشى الثلاثة متنكرين ونزلوا من القصر وجعلوا يشقون فى الازقة وهم فى زى التجار الى أن وصلوا الى البستان المذكور فتقدم الخليفة فرأى البستان مفتوحا فتعجب وقال انظر الشيخ ابراهيم كيف خلى الباب مفتوحا الى هذا الوقت وما هى عادته ثم انهم دخلوا الى أن انتهوا الى آخر البستان

ووقفوا تحت القصر فقال الخليفة يا جعفر أريد أن أتسلل عليهم قبل أن أطلع عندهم حتى أنظر ما عليه المشايخ من النفحات وواردات الكرامات فان لهم شؤونا في الخلوات والجلوات لاننا الآن لم نسمع لهم صوتا ولم نر لهم أثرا ثم ان الخليفة نظر فرأى شجرة جوز عالية فقال يا جعفر أريد أن أطلع على هذه الشجرة فان فروعها قريبة من الشبابيك وأنظر اليهم ثم ان الخليفة طلع فوق الشجرة ولم يزل يتعلق من فرع الى فرع حتى وصل الى الفرع الذى يقابل الشباك وقعد فوقه ونظر من شباك القصر فرأى صبية وصبيا كأنهما قمران سبحان من خلقهما ورأى الشيخ ابراهيم قاعدا وفى يده قدح وهو يقول ياسيدة الملاح الشرب بلا طرب غير فلاح ألم تسمعى قول الشاعر

أدرها بالكبير وبالصغير * وخذها من يد القمر المنير

ولا تشرب بلا طرب فانى * رأيت الخيل تشرب بالصفير

فلما عاين الخليفة من الشيخ ابراهيم هذه الفعال قام عرق الغضب بين عينيه ونزل وقال يا جعفر أنا ما رأيت شيأ من كرامات الصالحين مثل ما رأيت فى هذه الليلة فاطلع أنت الآخر على هذه الشجرة وانظر لئلا تفوتك بركات الصالحين فلما سمع جعفر كلام أمير المؤمنين صار متحيرا فى أمره وصعد الى أعلى الشجرة واذا به نظر فرأى على نور الدين والشيخ ابراهيم والجارية وكان الشيخ ابراهيم فى يده القدح فلما عاين جعفر تلك الحالة أيقن بالهلاك ثم نزل فوقف بين يدى أمير المؤمنين فقال الخليفة يا جعفر الحمد لله الذى جعلنا من المتبعين لظاهر الشريعة المطهرة وكفانا شر تلبيسات الطريقة المزورة فلم يقدر جعفر أن يتكلم من شدة الخجل ثم نظر الخليفة الى جعفر وقال يا ترى من أوصل هؤلاء الى هذا المكان ومن أدخلهم قصرى ولكن مثل هذا الصبى وهذه الصبية ما رأت عينى حسنا وجمالا وقدا واعتدالا مثلهما فقال جعفر وقد استرجى رضا الخليفة صدقت يا أمير المؤمنين فقال يا جعفر اطلع بنا على هذا الفرع الذى هو مقابلهم لننفرج عليهم فطلع الاثنان على الشجرة ونظراهما فسمعا الشيخ ابراهيم يقول ياسيدتى قد تركت الوقار بشرب العقار ولا لذة لذلك الا بنغمات الاوتار فقالت له أنيس الجليس ياشيخ ابراهيم والله لو كان عندنا شئ من آلات الطرب لكان سرورنا كاملا فلما سمع الشيخ ابراهيم كلام الجارية نهض قائما على قدميه فقال الخليفة لجعفر يا ترى ماذا يريد أن يعمل فقال جعفر لا أدرى فغاب الشيخ ابراهيم وعاد ومعه عود فتأمله الخليفة فاذا هو عود اسحق النديم فقال الخليفة والله ان غنت الجارية ولم تحسن الغناء صلبتكم كلكم وان غنت وأحسنت الغناء فانى أعفو عنهم وأصلبك أنت فقال جعفر اللهم اجعلها لا تحسن الغناء فقال الخليفة لأى شئ فقال لاجل ان تصلبنا كلنا فيؤانس بعضنا بعضا فضحك الخليفة واذا بالجارية أخذت العود وأصلحت أوتاره وضربت ضربا يذيب الحديد ويفطن البليد وجعلت تنشد هذه الابيات

أضحى التنائى بديلا من تدانينا * وناب عن طيب دنيانا تجافينا

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولا جفت مآقينا

غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا * بان نغص فقال الدهر آمينا

ما الخوف أن تقتلونا فى منازلكم * وانما خوفنا ان تأثموا فينا

فقال الخليفة والله يا جعفر عمرى ما سمعت صوتا مطربا مثل هذا فقال جعفر لعل الخليفة ذهب ما عنده من الغيظ قال نعم ذهب ثم نزل من الشجرة هو وجعفر ثم التفت الى جعفر وقال أريد أن أطلع واجلس عندهم وأسمع الصبية تغنى قدامى فقال يا أمير المؤمنين اذا طلعت عليهم ربما تكدروا وأما الشيخ ابراهيم فانه يموت من الخوف فقال الخليفة يا جعفر لابد أن تعرفنى حيلة أحتال بها على معرفة حقيقة هذا الامر من غير أن يشعروا باطلاعنا عليهم ثم ان الخليفة هو وجعفر ذهبا الى ناحية الدجلة وهما متفكران فى هذا الامر واذا بصياد واقف يصطاد وكان الصياد تحت شبابيك القصر فرمى شبكته ليصطاد ما يقتات به وكان الخليفة سابقا صاح على الشيخ ابراهيم وقال له ما هذا الصوت الذى سمعته تحت شبابيك القصر فقال له الشيخ ابراهيم صوت الصيادين الذى يصطادون السمك فقال انزل وامنعهم من ذلك الموضع فامتنع الصيادون من ذلك الموضع فلما كانت تلك الليلة جاء صياد يسمى كريما ورأى باب البستان مفتوحا فقال فى نفسه هذا وقت غفلة لعلى أستغنم فى هذا الوقت صيدا ثم أخذ شبكته وطرحها فى البحر وصار ينشد هذه الابيات

يا راكب البحر في الاهوال والهلكه * أقصر عناك فليس الرزق بالحركه * أما ترى البحر والصياد منتصب
في ليله ونجوم الليل محتبكه * قد مد أطنابه والموج يلطمه * وعينه لم تزل في كلكل الشبكه
حتى اذا بات مسرورا بها فرحا * والحوت قد حط في فخ الردى حنكه * وصاحب القصر أمسى فيه ليلته
منعم البال في خير من البركه * وصار مستيقظا من بعد قدرته * لكن في ملكه ظبيا وقد ملكه
سبحان ربي يعطي ذا ويمنع ذا * بعض يصيد وبعض يأكل السمكه

فلما فرغ من شعره واذا بالخليفة وحده واقف على رأسه فعرفه الخليفة فقال له يا كريم فالتفت اليه لما سمعه سماه باسمه فلما رأى الخليفة ارتعدت فرائصه وقال والله يا أمير المؤمنين ما فعلته استهزاء بالمرسوم ولكن الفقر والعيلة قد حملاني على ما ترى فقال الخليفة اصطد على بختي فتقدم الصياد وقد فرح فرحا شديدا وطرح الشبكة وصبر الى أن أخذت حدها وثبتت في القرار ثم جذبها اليه فطلع فيها من أنواع السمك ما لا يحصى ففرح بذلك الخليفة فقال يا كريم اقلع ثيابك فقلع ثيابه وكانت عليه جبة فيها مائة رقعة من الصوف الخشن وفيها من القمل الذي له أذناب ومن البراغيث ما يكاد أن يسير بها على وجه الارض وقلع عمامته من فوق رأسه وكان له ثلاث سنين ما حلها وانما كان اذا رأى خرقة لفها عليها فلما قلع الجبة والعمامة خلع الخليفة من فوق جسمه ثوبين من الحرير الاسكندراني والبعلبكي وملوطة وفرجية ثم قال للصياد خذ هذه والبسها ثم لبس الخليفة جبة الصياد وعمامته ووضع على وجهه لثاما ثم قال للصياد رح أنت الى شغلك فقبل رجل الخليفة وشكره وأنشد هذين البيتين

أوليتني ما لا أقوم بشكره * وكفيتني كل الامور بأسرها
فلاشكرنك ما حييت وان أمت * شكرتك مني أعظمي في قبرها

فما فرغ الصياد من شعره حتى جال القمل على جلد الخليفة فصار يقبض بيده اليمين والشمال من على رقبته ويرمي ثم قال يا صياد ويلك ما هذا القمل الكثير في هذه الجبة فقال يا سيدي انه في هذه الساعة يؤلمك فاذا مضت عليك جمعة فانك لا تحس به ولا تتفكر فيه فضحك الخليفة وقال له ويلك كيف أخلي هذه الجبة على جسدي فقال الصياد اني أشتهي أن أقول لك كلاما ولكن أستحي من هيبة الخليفة فقال له قل ما عندك فقال له قد خطر ببالي يا أمير المؤمنين انك أردت ان تتعلم الصيد لاجل أن تكون في يدك صنعة تنفعك فان أردت ذلك يا أمير المؤمنين فان هذه الجبة تناسبك فضحك الخليفة من كلام الصياد ثم ولى الصياد الى حال سبيله وأخذ الخليفة مقطف السمك ووضع فوقه قليلا من الحشيش وأتى به الى جعفر ووقف بين يديه فاعتقد جعفر أنه كريم الصياد فخاف عليه وقال يا كريم ما جاء بك هنا انج بنفسك فان الخليفة هنا في هذه الليلة فلما سمع الخليفة كلام جعفر ضحك حتى استلقى على قفاه فقال جعفر لعلك مولانا أمير المؤمنين فقال الخليفة نعم يا جعفر وأنت وزيري وجئت أنا واياك هنا وما عرفتني فكيف يعرفني الشيخ ابراهيم وهو سكران فكن مكانك حتى أرجع اليك فقال جعفر سمعا وطاعة ثم ان الخليفة تقدم الى باب القصر ودقه فقام الشيخ ابراهيم وقال من بالباب فقال له أنا يا شيخ ابراهيم قال له من أنت قال له أنا كريم الصياد وسمعت أن عندك أضيافا فجئت اليك بشيء من السمك فانه مليح وكان نور الدين هو والجارية يحبان السمك فلما سمعا ذكر السمك فرحا به فرحا شديدا وقالت يا سيدي افتح له ودعه يدخل لنا عندك بالسمك الذي معه ففتح الشيخ ابراهيم الباب فدخل الخليفة وهو في صورة الصياد وابتدأ بالسلام فقال له الشيخ ابراهيم أهلا باللص السارق المقامر تعال أرنا السمك الذي معك فأراهم اياه فلما نظروه فاذا هو حي يتحرك فقالت الجارية والله يا سيدي ان هذا السمك مليح يا ليته مقلي فقال الشيخ ابراهيم والله صدقت ثم قال للخليفة يا صياد ليتك جئت بهذا السمك مقليا قم فاقله لنا وهاته فقال الخليفة على الرأس أقليه وأجيء به فقال له عجل بقليه والاتيان به فقام الخليفة يجري حتى وصل الى جعفر وقال يا جعفر طلبوا السمك مقليا فقال يا أمير المؤمنين هاته وأنا أقليه فقال الخليفة وتربة آبائي وأجدادي ما يقليه الا أنا بيدي ثم ان الخليفة ذهب الى خص الخولي وفتش فيه فوجد فيه كل شيء يحتاج اليه من آلة القلي حتى الملح والزعتر وغير ذلك فتقدم

الكانون وعلق الطاجن وقلاه قليا مليحا فلما استوى جعله على ورق الموز وأخذ من البستان ليمونا وطلع بالسمك ووضعه بين أيديهم فتقدم الصبي والصبية والشيخ ابراهيم وأكلوا فلما فرغوا غسلوا أيديهم فقال نور الدين والله يا صياد انك صنعت معنا معروفا في هذه الليلة ثم وضع يده في جيبه وأخرج له ثلاثة دنانير من الدنانير التي أعطاه اياها سنجر وقت خروجه للسفر وقال يا صياد اعذرني فوالله لو عرفتك قبل الذي حصل لي سابقا لكنت نزعت مرارة الفقر من قلبك لكن خذ هذا بحسب الحال ثم رمى الدنانير للخليفة فأخذها الخليفة وقبلها ووضعها في جيبه وما كان مراد الخليفة بذلك الا السماع من الجارية وهي تغني فقال الخليفة أحسنت وتفضلت لكن مرادي من تصدقاتك العميمة أن هذه الجارية تغني لنا صوتا حتى أسمعها فقال علي نور الدين يا أنيس الجليس قالت نعم قال لها وحياتي أن تغني لنا شيئا من شأن خاطر هذا الصياد لانه يريد أن يسمعك فلما سمعت كلام سيدها أخذت العود وغمزته بعد أن عركت أذنه وأنشدت هذين البيتين

وغادة لعبت بالعود أناملها * فعادت النفس عند الجس تختلس
قد أسمعت بالاغاني من به صمم * وقال أحسنت مغني من به خرس

ثم انها ضربت ضربا غريبا الى أن أذهلت العقول وأنشدت تقول هذين البيتين

ولقد شرفنا اذ نزلتم أرضنا * ومحاسنا كم ظلمة الديجور فيحق لي أني أخلق منزلي * بالمسك والماورد والكافور

فعند ذلك اطرب الخليفة وغلب عليه الوجد فلم يملك نفسه من شدة الطرب وصار يقول طيبك الله طيبك الله طيبك الله فقال نور الدين يا صياد هل أعجبتك الجارية وتحريكها الاوتار فقال الخليفة أي والله فقال نور الدين هي هبة مني اليك هبة كريم لا يرجع في عطائه ثم ان نور الدين نهض قائما على قدميه وأخذ ملوطة ورماها على الخليفة وهو في صورة الصياد وأمره أن يخرج ويروح بالجارية فنظرت الجارية اليه وقالت يا سيدي هل أنت رائح بلا وداع ان كان ولا بد فقف حتى أودعك وأنشدت هذين البيتين

لئن غبتموعني فان محلكم * لفي مهجتي بين الجوانح والحشا
وأرجو من الرحمن جمعا لشملنا * وذلك فضل الله يؤتيه من يشا

فلما فرغت من شعرها أجابها نور الدين وهو يقول ودعتني يوم الفراق وقالت * وهي تبكي من لوعة وفراق

ما الذي أنت صانع بعد بعدي * قلت قولي هذا لمن هو باق

ثم ان الخليفة لما سمع ذلك صعب عليه التفريق بينهما والتفت الى الصبي وقال له يا سيدي هل أنت خائف من جناية أو لاحد عليك دين فقال علي نور الدين والله يا صياد انه جرى لي ولهذه الجارية حديث عجيب وأمر غريب لو كتب بالابر على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر فقال الخليفة أما تحدثنا بحديثك وتعرفنا بخبرك عسى أن يكون لك فيه فرج فان فرج الله قريب فقال نور الدين يا صياد هل تسمع حديثنا نظما أو نثرا فقال الخليفة النثر كلام والشعر نظام فعند ذلك أطرق نور الدين رأسه الى الارض وأنشأ يقول هذه الابيات

يا خليلي انني هجرت رقادي * وهموي نمت لبعد بلادي * كان لي والد علي شفيق
غاب عني مجاور الالحاد * وجرت لي من بعد ذاك أمور * صرت منها مفتت الاكباد
اشترى لي من الحسان فتاة * مثل غصن بقدها المياد * فصرفت الذي ورثت عليها
وتخيرتها على الأجواد * سمتها البيع اذ تزايد همي * وجوى البين لم يكن بمرادي
* واذا ما دعا اليها مناد * زاد فيها شيخ كثير الفساد * فلذاك اغتظت غيظا شديدا
وملكي جذبتها بايادي * فتردى ذاك اللئيم بقبح * ثم قادت فيه لظى الاحقاد
من غرامي لكمته بيميني * وشمالي حتى شفيت فؤادي * ومن الخوف قد أتيت لداري
وتيقنت سطوة الاضداد * فهدى مالك البلاد لحبسي * فأتى الحاجب الرشيد السداد
رام الى أن أسير بعيدا * عن ذراهم مكمدا حسادي * فطلعنا من دارنا جنح ليل
طالبين المقام في بغداد * ليس شيء من الذخائر عندي * دونها منحة الى الصياد

غير أني أعطيك محبوب قلبي * فتيقن أني وهبت فؤادي

فلما فرغ من شعره قال الخليفة يا سيدي نور الدين اشرح لي أمرك فأخبره نور الدين بحاله من أوله الى آخره فلما فهم الخليفة هذا الحال قال له أين تقصد في هذه الساعة قال له بلاد الله فسيحة فقال له الخليفة أنا أكتب لك ورقة توصلها الى السلطان محمد بن سليمان الزيني فاذا قرأها لا يضرك بشيء * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة السادسة والثلاثون)

قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الخليفة لما قال لعلي نور الدين أنا أكتب لك ورقة توصلها الى السلطان محمد بن سليمان الزيني فاذا قرأها لا يضرك بشيء فقال له علي نور الدين وهل في الدنيا صياد يكاتب الملوك ان هذا شيء لا يكون أبدا فقال له الخليفة صدقت ولكن أنا أخبرك بالسبب اعلم أني قرأت أنا واياه في مكتب واحد عند فقيه وكنت أنا عريفه ثم أدركته السعادة وصار سلطانا وجعلني الله صيادا ولكن لم أرسل اليه في حاجة الا قضاها ولو أرسلت اليه في كل يوم من شأن ألف حاجة لقضاها فلما سمع نور الدين كلامه قال له اكتب حتى أنظر فأخذ دواة وقلما وكتب بعد البسملة أما بعد فان هذا الكتاب من هرون الرشيد بن المهدي الى حضرة محمد بن سليمان الزيني المشمول بنعمتي الذي جعلته نائبا عني في بعض مملكتي أعرفك أن الموصل اليك هذا الكتاب نور الدين ابن خاقان الوزير فساعة وصوله عندك تنزع نفسك من الملك وتجلسه مكانك فاني قد وليته على ما كنت وليتك عليه سابقا فلا تخالف أمري والسلام ثم أعطى علي نور الدين بن خاقان الكتاب فأخذه نور الدين وقبله وحطه في عمامته ونزل في الوقت مسافرا هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر الخليفة فان الشيخ ابراهيم نظر اليه وهو في صورة الصياد وقال يا أحقر الصيادين قد جئت لنا بسمكتين يساويان عشرين نصفا فأخذت ثلاثة دنانير وتريد أن تأخذ الجارية أيضا فلما سمع كلامه صاح عليه وأومأ الى مسرور فاشهر نفسه وهجم عليه وكان جعفر قد أرسل رجلا من صبيانه الى بواب القصر يطلب منه بدلة لامير المؤمنين فذهب الرجل وطلع بالبدلة وقبل الارض بين يدي الخليفة فخلع عليه الخليفة ما كان عليه ولبس تلك البدلة وكان الشيخ ابراهيم جالسا على كرسي والخليفة واقف ينظر ما يجري فعند ذلك بهت الشيخ ابراهيم وصار يعض في أنامله من الخجل ويقول يا ترى هل أنا نائم أم يقظان فنظر اليه الخليفة وقال يا شيخ ابراهيم ما هذا الحال الذي أنت فيه فعند ذلك أفاق من سكره ورمى نفسه على الارض وأنشد هذين البيتين

هب لي جناية ما زلت به القدم * فان للعبد من ساداته كرم

فعلت ما يقتضيه الجهل معترفا * فاين ما يقتضيه العفو والكرم

فعفا عنه الخليفة وأمر بالجارية أن تحمل الى القصر فلما وصلت الى القصر أفرد لها الخليفة منزلا وحدها ووكل بها من يخدمها وقال لها اعلمي اني أرسلت سيدك سلطانا على البصرة فان شاء الله نرسل اليه خلعة ونرسلك اليه صحبتها هذا ما جرى لهؤلاء (وأما) ما جرى لنور الدين علي بن خاقان فانه ما زال مسافرا حتى دخل البصرة وطلع قصر السلطان ثم صرخ صرخة عظيمة فسمعه السلطان فطلبه فلما حضر بين يديه قبل الارض قدامه ثم أخرج الورقة وأعطاه اياها فلما رأى عنوان الكتاب بخط أمير المؤمنين قام واقفا على قدميه وقبلها ثلاث مرات وقال السمع والطاعة لله تعالى ولامير المؤمنين ثم أحضر القضاة الاربعة والامراء وأراد أن يخلع نفسه من الملك واذا بالوزير المعين بن ساوي قد حضر فاعطاه السلطان ورقة أمير المؤمنين فلما قرأها قطعها عن آخرها وأخذها في فمه ومضغها ورماها فقال له السلطان وقد غضب ويلك ما الذي حملك على هذه الفعال قال له هذا ما اجتمع بالخليفة ولا بوزيره وانما هو علق شيطان مكار وقع بورقة فيها خط الخليفة فزورها وكتب فيها ما أراد فلأي شيء تعزل نفسك من السلطنة مع ان الخليفة لم يرسل اليك رسولا بخط شريف ولو كان هذا الامر صحيحا لارسل معه حاجبا أو وزيرا لكنه جاء وحده فقال له وكيف العمل قال له ارسل معي هذا الشاب وأنا آخذه وأتسلمه منك وأرسله صحبة حاجب الى مدينة بغداد فان كان كلامه صحيحا يأتينا بخط شريف وتقليد وان كان غير صحيح يرسلوه الينا مع الحاجب وأنا آخذ حقي من غريمي فلما سمع السلطان كلام الوزير ودخل عقله صاح على الغلمان فطرحوه

وضربوه الى أن اغمي عليه ثم أمران يضعوا في رجليه قيدا وصاح على السجان فلما حضر قبل الارض بين يديه
وكان هذا السجان يقال له قطيط فقال له ياقطيط أريد أن تأخذ هذا وترميه في مطمورة من المطامير التي عندك
في السجن وتعاقبه بالليل والنهار فقال السجان سمعا وطاعة ثم ان السجان أدخل نور الدين في السجن وقفل
عليه الباب ثم أمر بكنس مصطبة وراء الباب وفرشها بسجادة ومخدة وأقعد نور الدين عليها وفك قيده وأحسن
اليه وكان كل يوم يرسل الى السجان ويأمره بضربه والسجان يظهر انه يعاقبه وهو يلاطفه ولم يزل كذلك مدة
أربعين يوما فلما كان اليوم الحادي والاربعون جاءت هدية من عند الخليفة فلما رآها السلطان أعجبته فشاور
الوزراء في أمرها فقال بعضهم لعل هذه الهدية كانت للسلطان الجديد فقال الوزير المعين بن ساوي لقد كان
المناسب قتله وقت قدومه فقال السلطان والله لقد ذكرتني به انزل هاته واضرب عنقه فقال الوزير سمعا وطاعة
فقام وقال له ان قصدي أن أنادي في المدينة من أراد أن يتفرج على ضرب رقبة نور الدين علي بن خاقان
فليأت الى القصر فيأتي جميع الناس ليتفرجوا عليه لاشفي فؤادي وأكمد حسادي فقال له السلطان افعل
ماتريد فنزل الوزير وهو فرحان مسرور وأقبل على الوالي وأمره أن ينادي بما ذكرناه فلما سمع الناس المنادي
حزنوا وبكوا جميعا حتى الصغار في المكاتب والسوقة في دكاكينهم وتسابق الناس يأخذون لهم أماكن ليتفرجوا
فيها وذهب بعض الناس الى السجن حتى يأتي معه ونزل الوزير ومعه عشرة مماليك الى السجن فقال قطيط
السجان ماتطلب يامولانا الوزير فقال أحضر لي هذا العلق فقال السجان انه في أقبح حال من كثرة ماضربته
ثم دخل السجان فوجده ينشد هذه الابيات

من لي يساعدني على بلوائي * فقد اعتلى دائي وعز دوائي * والهجر أضنى مهجتي وحشاشتي
والدهر رد أحبتي أعدائي * ياقوم هل فيكم رفيق مشفق * يرثي لحالي أو يجيب ندائي
فالموت هان علي مع سكراته * وقطعت من طيب الحياة رجائي * يارب بالهادي البشير المصطفى
بحر المكارم سيد الشفعاء * أدعوك تنقذني وتغفر زلتي * وتزيل عني شقوتي وعنائي

فعند ذلك نزع منه السجان ثيابه النظاف وألبسه ثوبين وسخين ونزل به الى الوزير فنظره نور الدين فرآه عدوه
الذي لازال يطلب قتله فلما رآه بكى وقال له هل أمنت الدهر أما سمعت قول الشاعر

تحكموا فاستطالوا في تحكمهم * وعن قريب كأن الحكم لم يكن

ثم قال ياوزير اعلم ان الله سبحانه وتعالى هو الفعال لما يريد فقال له ياعلي اتخوفني بهذا الكلام فأنا في هذا اليوم
اضرب رقبتك على رغم أنف أهل البصرة ولا التفت الى نصحك وانما التفت الى قول الشاعر

دع الايام تفعل ماتشاء * وطب نفسا بما فعل القضاء

(وما أحسن قول الآخر) من عاش بعد عدوه * يوما فقد بلغ المنى

ثم ان الوزير أمر غلمانه أن يحملوه على ظهر بغل فقال الغلمان لعلي نور الدين وقد صعب عليهم دعنا نرجمه ونقطعه
ولو تروح أرواحنا فقال لهم علي نور الدين لاتفعلوا ذلك أبدا أما سمعتم قول الشاعر

لابد لي في مدة محتومة * فاذا انقضت أيامها مت لو أدخلتني الاسد في غاباتها * لم تغنها مادام لي وقت

ثم انهم نادوا على نور الدين هذا أقل جزاء من يزور مكتوبا على الخليفة الى السلطان ولازالوا يطوفون به في البصرة
الى أن أوقفوه تحت شباك القصر وجعلوه في منقع الدم وتقدم اليه السياف وقال له أنا عبد مأمور فان كان لك
حاجة فأخبرني بها حتى أقضيها لك فانه ما بقي من عمرك الا قدر مايخرج السلطان وجهه من الشباك فعند ذلك نظر
يمينا وشمالا وأنشد هذه الابيات

فهل فيكم خل شفيق يعينني * سألتكم بالله رد جوابي * مضى الوقت من عمري وحانت منيتي
فهل راحم لي كي ينال ثوابي * وينظر في حالي ويكشف كربتي * بشربة ماء كي يهون عذابي

فتباكت الناس عليه وقام السياف وأخذ شربة ماء يناوله اياها فنهض الوزير من مكانه وضرب قلة الماء بيده
فكسرها وصاح على السياف وأمره بضرب عنقه فعند ذلك عصب عيني علي نور الدين فصاح الناس على

الوزير وأقاموا عليه الصراخ وكثر بينهم القيل والقال فبينما هم كذلك واذا بغبار قد علا وعجاج ملأ الجو والفلا فلما نظر اليه السلطان وهو قاعد في القصر قال أنظروا ما الخبر فقال الوزير حتى نضرب عنق هذا قبل فقال له السلطان اصبر أنت حتى ننظر الخبر وكان ذلك الغبار غبار جعفر وزير الخليفة ومن معه وكان السبب في مجيئهم ان الخليفة مكث ثلاثين يوما لم يتذكر قصة علي بن خاقان ولم يذكرها له أحد الى ان جاء ليلة من الليالي الى مقصورة أنيس الجليس فسمع بكاءها وهي تنشد بصوت رقيق قول الشاعر

خيالك في التباعد والتداني ＊ وذكرك لا يفارقه لساني

وتزايد بكاؤها واذا بالخليفة قد فتح الباب ودخل المقصورة فرأى أنيس الجليس وهي تبكي فلما رأت الخليفة وقعت على قدميه وقبلتهما ثلاث مرات ثم أنشدت هذين البيتين

أيا من زكا أصلا وطاب ولادة ＊ وأثمر غصنا يانعا وزكا جنسا
أذكرك الوعد الذي سمحت به ＊ محاسنك الحسنا وحاشاك أن تنسى

فقال الخليفة من أنت قالت أنا هدية علي بن خاقان اليك وأريد انجاز الوعد الذي وعدتني به من انك ترسلني اليه مع التشريف والآن لي هنا ثلاثون يوما لم أذق طعم النوم فعند ذلك طلب الخليفة جعفرا البرمكي وقال من منذ ثلاثين يوما لم أسمع بخبر علي بن خاقان وما أظن الا ان السلطان قتله ولكن وحياة رأسي وتربة آبائي وأجدادي ان كان جرى له أمر مكروه لاهلكن من كان سببا فيه ولو كان أعز الناس عندي وأريد ان تسافر أنت في هذه الساعة الى البصرة وتأتي باخبار الملك محمد بن سليمان الزيني مع علي بن خاقان فامتثل أمره وسافر فلما أقبل جعفر نظر ذلك الهرج والمرج والازدحام فقال الوزير جعفر ما هذا الازدحام فذكروا له ما هم فيه من أمر علي نور الدين بن خاقان فلما سمع جعفر كلامهم أسرع بالطلوع الى السلطان وسلم عليه وأعلمه بما جاء فيه وانه اذا كان وقع لعلي نور الدين أمر مكروه فان السلطان يهلك من كان السبب في ذلك ثم انه قبض على السلطان والوزير المعين بن ساوي وأمر باطلاق علي نور الدين بن خاقان وأجلسه سلطانا في مكان السلطان محمد بن سليمان الزيني وقعد ثلاثة أيام في البصرة مدة الضيافة فلما كان صبح اليوم الرابع التفت علي بن خاقان الى جعفر وقال له اني اشتقت الى رؤية أمير المؤمنين فقال جعفر للملك محمد بن سليمان تجهز للسفر فاننا نصلي الصبح ونتوجه الى بغداد فقال السمع والطاعة ثم انهم صلوا الصبح وركبوا جميعهم ومعهم الوزير المعين بن ساوي وصار يتندم على فعله وأما علي نور الدين بن خاقان فانه ركب بجانب جعفر وما زالوا سائرين الى أن وصلوا الى بغداد دار السلام وبعد ذلك دخلوا على الخليفة فلما دخلوا عليه حكوا له قصة نور الدين فعند ذلك أقبل الخليفة على علي بن خاقان وقال له خذ هذا السيف واضرب به رقبة عدوك فأخذه وتقدم الى المعين بن ساوي فنظر اليه وقال له أنا عملت بمقتضى طبيعتي فاعمل أنت بمقتضى طبيعتك فرمى السيف من يده ونظر الى الخليفة وقال يا أمير المؤمنين انه خدعني وأنشد قول الشاعر

فخدعته بخديعة لما أتى ＊ والحر يخدعه الكلام الطيب

فقال الخليفة اتركه أنت ثم قال لمسرور يا مسرور قم أنت واضرب رقبته فقام مسرور ورمى رقبته فعند ذلك قال الخليفة لعلي بن خاقان تمن علي فقال يا سيدي أنا ما لي حاجة بملك البصرة وما أريد الا مشاهدة وجه حضرتك فقال الخليفة حبا وكرامة ثم ان الخليفة دعا بالجارية فحضرت بين يديه فأنعم عليهما وأعطاهما قصرا من قصور بغداد ورتب لهما مرتبات وجعله من ندمائه وما زال مقيما عنده الى أن أدركه الممات وليس هذا بأعجب من حكاية التاجر وأولاده قال الملك وكيف ذلك

﴿حكاية التاجر أيوب وابنه غانم وبنته فتنة﴾

قالت بلغني أيها الملك السعيد انه كان في قديم الزمان وسالف العصر والاوان تاجر من التجار له مال وله ولد كانه البدر ليلة تمامه فصيح اللسان يسمى غانم بن أيوب المتيم المسلوب وله أخت اسمها فتنة من فرط حسنها وجمالها فتوفي والدهما وخلف لهما مالا جزيلا ＊ وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السابعة والثلاثون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ذلك التاجر خلف لهما مالا جزيلا ومن

جملة ذلك مائة حمل من القز والديباج ونوافج المسك ومكتوب على الاحمال هذا بقصد بغداد وكان مراده أن يسافر الى بغداد فلما توفاه الله تعالى ومضت مدة أخذ ولده هذه الاحمال وسافر بها الى بغداد وكان ذلك فى زمن هرون الرشيد وودع أمه وأقاربه وأهل بلدته قبل سيره وخرج متوكلا على الله تعالى وكتب الله له السلامة حتى وصل الى بغداد وكان مسافرا صحبة جماعة من التجار فاستأجر له دارا حسنة وفرشها بالبسط والوسائد وأرخى عليها الستور وأنزل فيها تلك الاحمال والبغال والجمال وجلس حتى استراح وسلم عليه تجار بغداد وأكابرها ثم أخذ بقجة فيها عشرة تفاصيل من القماش النفيس مكتوب عليها أثمانها ونزل بها الى سوق التجار فلاقوه وسلموا عليه وأكرموه وتلقوه بالترحيب وأنزلوه على دكان شيخ السوق وباع التفاصيل فربح فى كل دينار دينارين ففرح غانم وصار يبيع القماش والتفاصيل شيأ فشيأ ولم يزل كذلك سنة وفى أول السنة الثانية جاء الى ذلك السوق فرأى بابه مقفولا فسأل عن سبب ذلك فقيل له انه توفى واحد من التجار وذهب التجار كلهم يمشون فى جنازته فهل لك أن تكتسب أجرا وتمشى معهم قال نعم ثم سأل عن محل الجنازة فدلوه على المحل فتوضأ ثم مشى مع التجار الى أن وصلوا المصلى وصلوا على الميت ثم مشى التجار جميعهم قدام الجنازة الى المقبرة فتبعهم غانم الى أن وصلوا بالجنازة الى المقبرة خارج المدينة ومشوا بين المقابر حتى وصلوا الى المدفن فوجدوا أهل الميت نصبوا على القبر خيمة وأحضروا الشموع والقناديل ثم دفنوا الميت وجلس القراء يقرؤن على ذلك القبر فجلس التجار ومعهم غانم بن أيوب وهو غالب عليه الحياء فقال فى نفسه أنا لم أقدر على أن أفارقهم حتى أنصرف معهم ثم انهم جلسوا يسمعون القرآن الى وقت العشاء فقدموا لهم العشاء والحلوى فأكلوا حتى اكتفوا وغسلوا أيديهم ثم جلسوا مكانهم فاشتغل خاطر غانم ببضاعته وخاف من اللصوص وقال فى نفسه أنا رجل غريب ومتهم بالمال فان بت الليلة بعيدا عن منزلى سرق اللصوص ما فيه من المال والاحمال وخاف على متاعه فقام وخرج من بين الجماعة واستأذنهم على انه يقضى حاجة فسار يمشى ويتتبع آثار الطريق حتى جاء الى باب المدينة وكان ذلك الوقت نصف الليل فوجد باب المدينة مغلقا ولم ير أحدا غاديا ولا رائحا ولم يسمع صوتا سوى نبيح الكلاب وعوى الذئاب فقال لا حول ولا قوة الا بالله كنت خائفا على مالى وجئت من أجله فوجدت الباب مغلقا فصرت الآن خائفا على روحى ثم رجع ينظر له محلا ينام فيه الى الصباح فوجد تربة محوطة بأربع حيطان وفيها نخلة ولها باب من الصوان مفتوح فدخلها وأراد أن ينام فلم يجئه نوم وأخذته رجفة ووحشة وهو بين القبور فقام واقفا على قدميه وفتح باب المكان ونظر فرأى نورا يلوح على بعد فى ناحية باب المدينة فمشى قليلا فرأى النور مقبلا فى الطريق التى توصل الى التربة التى هو فيها فخاف غانم على نفسه وأسرع برد الباب وتعلق حتى طلع فوق النخلة وتدارى فى قلبها فصار النور يتقرب من التربة شيأ فشيأ حتى قرب من التربة فتأمل النور فرأى ثلاثة عبيد اثنان حاملان صندوقا وواحد فى يده فاس وفانوس فلما قربوا من التربة قال أحد العبدين الحاملين للصندوق مالك يا صواب فقال العبد الآخر منهما مالك يا كافور فقال انا كنا هنا وقت العشاء وخلينا الباب مفتوحا فقال نعم هذا الكلام صحيح فقال هاهو مغلق متربس فقال لهما الثالث وهو حامل الفاس والنور وكان اسمه بخيتا ما أقل عقلكما أما تعرفان ان أصحاب الغيطان يخرجون من بغداد ويترددون هنا فيمسى عليهم المساء فيدخلون هنا ويغلقون عليهم الباب خوفا من السودان الذين هم مثلنا ان يأخذوهم ويشووهم ويأكلوهم فقالوا له صدقت وما فينا أقل عقلا منك فقال لهم انكم لم تصدقونى حتى ندخل التربة ونجد فيها أحدا وأظن انه اذا كان فيها أحد ورأى النور هرب فوق النخلة فلما سمع غانم كلام العبد قال فى نفسه ما أمكر هذا العبد فقبح الله السودان لما فيهم من الخبث واللؤم ثم قال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وما الذى يخلصنى من هذه الورطة ثم ان الاثنين الحاملين للصندوق قالا لمن معه الفاس تعلق على الحائط وافتح الباب لنا يا صواب لاننا تعبنا من حمل الصندوق على رقابنا فاذا فتحت لنا الباب لك علينا واحد من الذين نمسكهم ونقليه لك قليا جيدا بحيث لا يضيع من دهنه نقطة فقال صواب أنا خائف من شئ تذكرته من قلة عقلى وهو أننا نرمى الصندوق وراء الباب لانه ذخيرتنا فقال له ان رميناه ينكسر فقال أنا خائف أن يكون فى داخل التربة الحرامية الذين يقتلون الناس ويسرقون الاشياء لانهم اذا أمسى عليهم الوقت

يدخلون فى هذه الاماكن ويقسمون مايكون معهم فقال له الاثنان الحاملان للصندوق ياقليل العقل هل
تقدرون أن يدخلوا هذا ثم حملا الصندوق وتعلقا على الحائط ونزلا وفتحا الباب والعبد الثالث الذى هو بخيت
واقف لهما بالنور والمقطف الذى فيه بعض من الجبس ثم انهم جلسوا وقفلوا الباب فقال واحد منهم يا اخوانى
نحن تعبنا من المشى والشيل والحط وفتح الباب وقفله وهذا الوقت نصف الليل ولم يبق فينا قوة لفتح الباب ودفن
الصندوق ولكننا نجلس هنا ثلاث ساعات لنستريح ثم نقوم ونقضى حاجتنا ولكن كل واحد منا يحكى لنا سبب
تطويشه وجميع ماوقع له من المبتدا الى المنتهى لأجل فوات هذه الليلة * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت
عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثامنة والثلاثون﴾

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن
العبيد الثلاثة لما قالوا لبعضهم كل واحد يحكى جميع ماوقع له * قال الاول وهو الذى كان حامل النور أنا أحكى
لكم حكايتى فقالوا له تكلم قال لهم اعلموا يااخوانى أنى لما كنت صغيرا جاءبى الجلاب من بلادى وعمرى خمس
سنين فباعنى لواحد جاويش وكان له بنت عمرها ثلاث سنين فتربيت معها وكانوا يضحكون على وأنا ألاعب البنت
وأرقص لها وأغنى لها الى أن صار عمرى اثنتى عشرة سنة وهى بنت عشر سنين ولا يمنعونى عنها الى أن دخلت
عليها يوما من الايام وهى جالسة فى محل خلوة وكانها خرجت من الحمام الذى فى البيت لانها كانت معطرة
مبخرة ووجهها مثل القمر فى ليلة أربعة عشر فلاعبتنى ولاعبتها فنفر احليلى حتى صار مثل المفتاح الكبير
فدفعتنى على الارض فوقعت على ظهرى وركبت على صدرى وصارت تتمرغ على فانكشف احليلى فلما رأته
وهو نافر أخذته بيدها وصارت تحك به على أشفار فرجها من فوق لباسها فهاجت الحرارة عندى وحضنتها
فشبكت يدها فى عنقى وقرطت على بجهدها فما أشعر الا واحليلى فتق لباسها ودخل فى فرجها وأزال بكارتها فلما
عاينت ذلك هربت عند بعض أصحابى فدخلت عليها أمها فلما رأت حالها غابت عن الدنيا ثم تداركت أمرها
وأخفت حالها عن أبيها وكتمته وصبرت عليها مدة شهرين كل هذا وهم ينادونى ويلاطفونى حتى أخذونى من
المكان الذى كنت فيه ولم يذكروا شيأ من هذا الامر لابيها لانهم كانوا يحبونى كثيرا ثم ان أمها خطبت لها شابا
مزينا كان يزين أباها وأمهرتها من عندها وجهزتها له كل هذا وأبوها لايعلم بحالها وصاروا يجتهدون فى
تحصيل جهازها ثم انهم أمسكونى على غفلة وخصونى ولما زفوها للعريس جعلونى طواشيا لها أمشى قدامها
أينما راحت سواء كان رواحها الى الحمام أو الى بيت أبيها وقد ستروا أمرها وليلة الدخلة ذبحوا على قميصها حمامة
ومكثت عندها مدة طويلة وأنا أتملى بحسنها وجمالها على قدر ماأمكننى من تقبيل وعناق الى أن ماتت هى
وزوجها وأمها وأبوها ثم أخذونى بيت المال وصرت فى هذا المكان وقد ارتفقت بكم وهذا سبب قطع احليلى
والسلام * فقال العبد الثانى اعلموا يااخوتى انى كنت فى ابتداء أمرى ابن ثمان سنين ولكن كنت أكذب على
الجلابة فى كل سنة كذبة حتى يقعوا فى بعضهم فقلق منى الجلاب وأنزلنى فى يد الدلال وأمره أن ينادى من يشترى
هذا العبد على عيبه فقيل له وما عيبه قال يكذب فى كل سنة كذبة واحدة فتقدم رجل تاجر الى الدلال وقال له كم
أعطوا فى هذا العبد من الثمن على عيبه قال أعطوا ستمائة درهم قال ولك عشرون فجمع بينه وبين الجلاب
وقبض منه الدراهم وأوصلنى الدلال الى منزل ذلك التاجر وأخذ دلالته فكسانى التاجر ما يناسبنى ومكثت عنده
باقى سنتى الى أن هلت السنة الجديدة بالخير وكانت سنة مباركة مخصبة بالنبات فصار التجار يعملون العزومات
وكل يوم على واحد منهم الى أن جاءت العزومة على سيدى فى بستان خارج البلد فراح هو والتجار وأخذ لهم
مايحتاجون اليه من أكل وغيره فجلسوا يأكلون ويشربون ويتنادمون الى وقت الظهر فاحتاج سيدى الى
مصلحة من البيت فقال ياعبد اركب البغلة ورح الى المنزل وهات من سيدتك الحاجة الفلانية وارجع سريعا
فامتثلت أمره ورحت الى المنزل فلما قربت من المنزل صرخت وأرخيت الدموع فاجتمع أهل الحارة كبارا
وصغارا وسمعت صوتى زوجة سيدى وبناته ففتحوا الباب وسألونى عن الخبر فقلت لهم ان سيدى كان جالسا
تحت حائط قديم هو وأصحابه فوقعت عليهم فلما رأيت ماجرى لهم ركبت البغلة وجئت مسرعا لاخبركم فلما
سمع أولاده وزوجته ذلك الكلام صرخوا وشقوا ثيابهم ولطموا على وجوههم فأتت اليهم الجيران وأما زوجة

سيدي فانها اتلفت متاع البيت بعضه على بعض وخلعت رفوفه وكسرت طبقاته وشبابيكه وسخمت حيطانه بطين ونيلة وقالت ويلك يا كافور تعال ساعدني واخرب هذه الدواليب واكسر هذه الاواني والصيني فجئت اليها واخربت معها رفوف البيت واتلفت ما عليها ودواليبه واتلفت ما فيها ودرت على السقوف وعلى كل محل حتى اخربت الجميع وانا اصيح واسيداه ثم خرجت سيدتي مكشوفة الوجه بغطاء رأسها لا غير وخرج معها البنات والاولاد وقالوا يا كافور امش قدامنا وأرنا مكان سيدك الذي هو ميت فيه تحت الحائط حتى نخرجه من تحت الردم ونحمله في تابوت ونجيء به الى البيت فنخرجه خرجة مليحة فمشيت قدامهم وانا اصيح واسيداه وهم خلفي مكشوفي الوجوه والرؤس يصيحون وامصيبتاه وانكبتاه فلم يبق أحد من الرجال ولا من النساء ولا من الصبيان ولا صبية ولا عجوزة الا جاءت معنا وصاروا كلهم يلطمون وهم في شدة البكاء فمشيت بهم في المدينة فسأل الناس عن الخبر فاخبروهم بما سمعوا مني فقال الناس لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم اننا نمضي للوالي ونخبره فلما وصلوا الى الوالي أخبروه *وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة التاسعة والثلاثون) قالت بلغني أيها الملك السعيد انهم لما وصلوا الى الوالي وأخبروه قام الوالي وركب وأخذ معه الفعلة بالمساحي والقفف ومشوا تابعين أثري ومعهم كثير من الناس وانا قدامهم أبكي واصيح واحثو التراب على رأسي والطم على وجهي فلما دخلت عليهم ورآني سيدي وانا الطم واقول واسيدتاه من يحن علي بعد سيدتي ياليتني كنت فداءها فلما رآني سيدي بهت واصفر لونه وقال ما لك يا كافور ما هذا الحال وما الخبر فقلت له انك لما أرسلتني الى البيت لاجيء لك بالذي طلبته رحت الى البيت ودخلته فرأيت الحائط التي في القاعة وقعت فانهدمت القاعة كلها على سيدتي وأولادها فقال لي وهل سيدتك لم تسلم فقلت له لا ما سلم منهم احد واول من مات منهم سيدتي الكبيرة فقال وهل سلمت بنتي الصغيرة فقلت له لا فقال لي وما حال البغلة التي أركبها هل هي سالمة فقلت له لا يا سيدي فان حيطان البيت وحيطان الاصطبل انطبقت على جميع ما في البيت حتى على الغنم والاوز والدجاج وصاروا كلهم كوم لحم وصاروا تحت الردم ولم يبق منهم احد فقال لي ولا سيدك الكبير فقلت له لا فلم يسلم منهم احد وفي هذه الساعة لم يبق دار ولا سكان ولم يبق من ذلك كله أثر واما الغنم والاوز والدجاج فان الجميع أكلها القطط والكلاب فلما سمع سيدي كلامي صار الضياء في وجهه ظلاما ولم يقدر أن يتمالك نفسه ولا عقله ولم يقدر أن يقف على قدميه بل جاءه الكساح وانكسر ظهره ومزق أثوابه ونتف لحيته ولطم على وجهه ورمى عمامته من فوق رأسه وما زال يلطم على وجهه حتى سال منه الدم وصار يصيح آه وا أولاداه آه وازوجتاه آه وامصيبتاه من جرى له مثل ما جرى لي فصاحت التجار رفقاؤه اصحابه وبكوا معه ورثوا لحاله وشقوا أثوابهم وخرج سيدي من ذلك البستان وهو يلطم من شدة ما جرى له وأكثر اللطم على وجهه وصار كانه سكران فبينما الجماعة خارجون من باب البستان واذا هم نظروا غبرة عظيمة وصياحات باصوات مزعجة فنظروا الى تلك الجهة فرأوا الجماعة المقبلين وهم الوالي وجماعته والخلق والعالم الذين يتفرجون وأهل التاجر وراءهم يصرخون ويصيحون وهم في بكاء شديد وحزن زائد فاول من لاقى سيدي زوجته وأولادهم فلما رآهم بهت وضحك وقال لهم ما حالكم انتم وما حصل لكم في الدار وما جرى لكم فلما رأوه قالوا الحمد لله على سلامتك انت ورموا أنفسهم عليه وتعلقت أولاده به وصاحوا وا أبتاه الحمد لله على سلامتك يا أبانا وقالت له زوجته الحمد لله الذي أرانا وجهك بسلامة وقد اندهشت وطار عقلها لما رأته وقالت له كيف كانت سلامتك انت وأصحابك فقال لها وكيف كان حالكم في الدار فقالوا نحن طيبون بخير وعافية وما أصاب دارنا شيء من الشر غير ان عبدك كافورا جاءنا مكشوف الرأس ممزق الاثواب وهو يصيح واسيداه واسيداه فقلنا له ما الخبر يا كافور فقال ان سيدي جلس تحت حائط في البستان ليقضي حاجة فوقعت عليه فمات فقال لهم سيده والله انه أتاني في هذه الساعة وهو يصيح واسيدتاه واولاد سيدتاه وقال ان سيدتي وأولادها ماتوا جميعا ثم نظر الى جانبه فرآني وعمامتي ساقطة في رأسي وأنا أصيح وابكي بكاء شديدا واحثو التراب على رأسي فصرخ علي فاقبلت عليه فقال لي ويلك يا عبد النحس يا ابن الزانية يا ملعون الجنس ما هذه الوقائع التي عملتها

واسكن والله لأسلخن جلدك عن لحمك واقطعن لحمك عن عظمك فقلت له والله ما تقدر ان تعمل معي شيأ لانك قد اشتريتني على عيبي بهذا الشرط والشهود تشهدون عليك حين اشتريتني على عيبي وأنت عالم به وهو اني أكذب في كل سنة كذبة واحدة وهذه نصف كذبة فاذا كملت السنة كذبت نصفها الآخر فتبقى كذبة كاملة فصاح علي يا ألعن العبيد هل هذا كله نصف كذبة وانما هو داهية كبيرة اذهب عني فانت حر فقلت والله ان اعتقتني أنت ما أعتقتك أنا حتى تكمل السنة وأكذب نصف الكذبة الباقي وبعد ان أتمها فانزل بي السوق وبعني بما اشتريتني به على عيبي ولا تعتقني فانني مالي صنعة أقتات منها وهذه المسئلة التي ذكرتها لك شرعية ذكرها الفقهاء في باب العتق فبينما نحن في الكلام واذا بالخلائق والناس وأهل الحارة نساء ورجالا قد جاؤا يعملون العزاء وجاء الوالي وجماعته فراح سيدي والتجار الى الوالي وأعلموه بالقضية وان هذه نصف كذبة فلما سمع الحاضرون ذلك منه استعظموا تلك الكذبة وتعجبوا غاية العجب فلعنوني وشتموني فبقيت واقفا أضحك وأقول كيف يقتلني سيدي وقد اشتراني على هذا العيب فلما مضى سيدي الى البيت وجده خرابا وانا الذي أخربت معظمه وكسرت فيه شيأ يساوي جملة من المال فقالت له زوجته ان كافورا هو الذي كسر الاواني والصيني فازداد غيظه وقال والله ما رأيت عمري ولد زنا مثل هذا العبد وهو يقول انها نصف كذبه فكيف لو كانت كذبة كاملة فحينئذ كان أخرب مدينة أو مدينتين ثم ذهب من شدة غيظه الى الوالي فضربني علقة شديدة حتى غبت عن الدنيا وغشي علي فأتاني بالمزين في حال غشيتي فخصاني وكواني فلما أفقت وجدت نفسي خصيا وقال لي سيدي مثل ما أحرقت قلبي على أعز الشيء عندي أحرقت قلبك على أعز الشيء عندك ثم أخذني فباعني بأغلى ثمن لانني صرت طواشيا ومازلت ألقي الفتن في الاماكن التي أباع فيها وأنتقل من أمير الى أمير ومن كبير الى كبير بالبيع والشراء حتى دخلت قصر أمير المؤمنين وقد انكسرت نفسي وضعفت قوتي وأعدمت خصيتي فلما سمع العبدان كلامه ضحكا عليه وقالا له انك خبيث ابن خبيث قد كذبت كذبا شنيعا * ثم قالوا للعبد الثالث احك لنا حكايتك قال لهم يا أولاد عمي كل ما حكي هذا باطل فانا أحكي لكم سبب قطع خصيتي وقد كنت أستحق أكثر من ذلك لانني كنت نكحت سيدتي وابن سيدي والحكاية معي طويلة وما هذا وقت حكايتها لان الصباح يا أولاد عمي قريب وربما يطلع علينا الصباح ومعنا هذا الصندوق فنفتضح بين الناس وتروح أرواحنا فدونكم فتح الباب فاذا فتحناه ودخلنا محلنا قلت لكم على سبب قطع خصيتي ثم تعلق ونزل من الحائط وفتح الباب فدخلوا وحطوا الشمع وحفروا حفرة على قدر الصندوق بين أربعة قبور وصار كافور يحفر وصواب ينقل التراب بالقفف الى أن حفروا نصف قامة ثم حطوا الصندوق في الحفرة وردوا عليه التراب وخرجوا من التربة وردوا الباب وغابوا عن عين غانم بن أيوب فلما خلا لغانم المكان وعلم انه وحده اشتغل سره بما في الصندوق وقال في نفسه ياترى أي شئ في الصندوق ثم صبر حتى برق الفجر ولاح ربان ضياؤه فنزل من فوق النخلة وأزال التراب بيده حتى كشف الصندوق وخلصه ثم أخذ حجرا وضرب القفل فكسره وكشف الغطاء ونظر فيه فرأى صبية نائمة مبنجة ونفسها طالع ونازل الا انها ذات حسن وجمال وعليها حلي ومصاغ من الذهب وقلائد من الجوهر تساوي ملك السلطان ما يفي بثمنها مال فلما رآها غانم بن أيوب عرف انهم تغامزوا عليها فلما تحقق ذلك الامر عالج فيها حتى أخرجها من الصندوق وأرقدها على قفاها فلما استنشقت الارياح ودخل الهواء في مناخرها عطست ثم شرقت وسعلت فوقع من حلقها قرص بنج لو شمه الفيل لرقد من الليل الى الليل ففتحت عينيها وأدارت طرفها وقالت بكلام فصيح ويلك يا ريح ما فيك ري للعطشان ولا أنس للريان أين زهر البستان فلم يجاوبها أحد فالتفتت وقالت صبيحة شجرة الدر نور الهدى نجمة الصبح أنت في شهر نزهة حلوة ظريفة تكلموا فلم يجبها أحد فجالت بطرفها وقالت ويلي عند انزالي في القبور يا من يعلم ما في الصدور ويجازي يوم البعث والنشور من جابني من بين الستور والخدور ووضعني بين أربعة قبور هذا كله وغانم واقف على قدميه فقال لها يا سيدتي لا خدور ولا قصور ولا قبور ما هذا الا عبدك غانم بن أيوب ساقه اليك الملك علام الغيوب حتى ينجيك من هذه الكروب ويحصل لك غاية

المطلوب وسكتت فلما تحققت الأمر قالت أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله والتفتت الى غانم وقد وضعت يديها على صدرها وقالت له بكلام عذب أيها الشاب المبارك من جاءبي الى هذا المكان فها أنا قد أفقت فقال ياسيدتي ثلاثة عبيد خصيون أتوا وهم حاملون هذا الصندوق ثم حكى لها جميع ماجرى وكيف أمسى عليه المساء حتى كان سبب سلامتها والا كانت ماتت بغصتها ثم سألها عن حكايتها وخبرها فقالت له أيها الشاب الحمد لله الذي رماني عند مثلك فقم الآن وحطني في الصندوق واخرج الى الطريق فاذا وجدت مكاريا أو بغالا فاكتره لحمل هذا الصندوق وأوصلني الى بيتك فاذا صرت في دارك يكون خيرا وأحكي لك حكايتي وأخبرك بقصتي ويحصل لك الخير من جهتي ففرح وخرج الى البرية وقد شعشع النهار وطلعت الشمس بالانوار وخرجت الناس ومشوا فاكترى رجلا ببغل وأتى به الى التربة فحمل الصندوق بعد ماحط فيه الصبية ووقعت محبتها في قلبه وسار بها وهو فرحان لانها جارية تساوي عشرة آلاف دينار وعليها حلي وحلل يساوي مالا جزيلا وما صدق أن يصل الى داره وأنزل الصندوق وفتحه * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿ فلما كانت الليلة الموفية للاربعين ﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان غانم بن أيوب وصل الى داره بالصندوق وفتحه وأخرج الصبية منه ونظرت فرأت هذا المكان محلا مليحا مفروشا بالبسط الملونة والالوان المفرحة وغير ذلك ورأت قماشا محزوما وأحمالا وغير ذلك فعلمت انه تاجر كبير صاحب أموال ثم انها كشفت وجهها ونظرت اليه فاذا هو شاب مليح فلما رأته أحبته وقالت له هات لنا شيأ نأكله فقال لها غانم على الرأس والعين ثم نزل السوق واشترى خروفا مشويا وصحن حلاوة وأخذ معه نقلا وشمعا وأخذ معه نبيذا وما يحتاج اليه الامر من آلة المشموم وأتى الى البيت ودخل بالحوائج فلما رأته الجارية ضحكت وقبلته واعتنقته وصارت تلاطفه فازدادت عنده المحبة واحتوت على قلبه ثم أكلا وشربا الى أن أقبل الليل وقد أحب بعضهما بعضا لانهما كانا في سن واحد وحسن واحد فلما أقبل الليل قام المتيم المسلوب غانم بن أيوب وأوقد الشموع والقناديل فأضاء المكان وأحضر آلة المدام ثم نصب الحضرة وجلس هو واياها وكان يملأ ويسقيها وهي تملأ وتسقيه وهما يلعبان ويضحكان وينشدان الاشعار وزاد بهما الفرح وتعلقا بحب بعضهما فسبحان مؤلف القلوب ولم يزالا كذلك الى قريب الصبح فغلب عليهما النوم فنام كل منهما في موضعه الى أن أصبح الصباح فقام غانم بن أيوب وخرج الى السوق واشترى ما يحتاج اليه من خضرة ولحم وخمر وغيره وأتى به الى الدار وجلس هو واياها يأكلان فأكلا حتى اكتفيا وبعد ذلك أحضر الشراب وشربا ولاعبا بعضهما حتى احمرت وجناتهما واسودت أعينهما واشتاقت نفس غانم بن أيوب الى تقبيل الجارية والنوم معها فقال لها ياسيدتي ائذني لي بقبلة من فيك لعلها تبرد نار قلبي فقالت ياغانم اصبر حتى أسكر وأغيب واسمح لك سرا بحيث لم أشعر أنك قبلتني ثم انها أقامت على قدميها وخلعت بعض ثيابها وقعدت في قميص رفيع وكوفية فعند ذلك تحركت الشهوة عند غانم وقال ياسيدتي أما تسمحين لي بما طلبته منك فقالت والله لا يصح لك ذلك لانه مكتوب على دكة لباسي قول صعب فانكسر خاطر غانم بن أيوب وزاد عنده الغرام لما عز المطلوب فانشد هذه الابيات

سألت من أمرضني * في قبلة تشفي السقم * فقال لا لا أبدا * قلت له نعم نعم * فقال خذها بالرضا
من الحلال وابتسم * فقلت غصبا قال لا * الا على رأس علم * فلا تسل عما جرى * واستغفر الله ونم
فظن ماشئت بنا * فالحب يحلو بالتهم * ولا أبالي بعدذا * ان باح يوما أو كتم

ثم زادت محبته وانطلقت النيران في مهجته هذا وهي تمتنع منه وتقول مالك وصول الي ولم يزالا في عشقهما ومنادمتهما وغانم بن أيوب غريق في بحر الهيام وأما هي فانها قد ازدادت قسوة وامتناعا الى أن دخل الليل بالظلام وأرخى عليهما ذيل المنام فقام غانم وأشعل القناديل وأوقد الشموع وزاد بهجة المقام وأخذ رجليها وقبلهما فوجدهما مثل الزبد الطري فمرغ وجهه عليهما وقال ياسيدتي ارحمي أسير هواك ومن قتلت عيناك كنت سليم القلب لولاك ثم بكى قليلا فقالت له والله ياسيدي ونور عيني أنا والله لك عاشقة وبك واثقة ولكن أنا أعرف أنك لا تصل الي فقال لها وما المانع فقالت له سأحكي لك في هذه الليلة قصتي حتى تقبل عذري ثم انها

ثم رامت عليه وطوقت على رقبته بيديها وصارت تقبله وتلاطفه ثم وعدته بالوصال ولم يزالا يلعبان ويضحكان حتى تمكن حب بعضهما من بعض ولم يزالا على ذلك الحال وهما في كل ليلة ينامان على فرش واحد وكلما طلب منها الوصال تتعزز عنه مدة شهر كامل وتمكن حب كل واحد منهما من قلب الآخر ولم يبق لهما صبر عن بعضهما الى أن كانت ليلة من الليالي وهو راقد معها والاثنان سكرانان فمد يده على جسدها ولمس ثم مر بيده على بطنها ونزل الى سرتها فانتبهت وقعدت وتعهدت اللباس فوجدته مربوطا فنامت ثانيا فلمس عليها بيده ونزل بها الى سراويلها وتكتها وجذبها فانتبهت وقعدت وقعد غانم الى جانبها فقالت له ما الذي تريد قال أريد أن أنام معك وأتصافى أنا وأنت فعند ذلك قالت له أنا الآن أوضح لك أمري حتى تعرف قدري وينكشف لك سري ويظهر لك عذري قال نعم فعند ذلك شقت ذيل قميصها ومدت يدها الى تكة لباسها وقالت يا سيدي اقرأ الذي على هذا الطرف فأخذ طرف التكة في يده ونظره فوجده مرقوما عليه بالذهب أنا لك وأنت لي يا ابن عم النبي فلما قرأه نثر يده وقال لها اكشفي لي عن خبرك قالت نعم اعلم أنني محظية أمير المؤمنين واسمي قوت القلوب وان أمير المؤمنين لما رباني في قصره وكبرت نظر الى صفاتي وما أعطاني ربي من الحسن والجمال فأحبني محبة زائدة وأخذني وأسكنني في مقصورة وأمر لي بعشر جوار يخدمنني ثم انه أعطاني ذلك المصاغ الذي تراه معي ثم ان الخليفة سافر يوما من الايام الى بعض البلاد فجاءت السيدة زبيدة الى بعض الجواري التي في خدمتي وقالت اذا نامت سيدتك قوت القلوب فحطي هذه القطعة البنج في أنفها أو في شرابها ولك علي من المال ما يكفيك فقالت لها الجارية حبا وكرامة ثم ان الجارية أخذت البنج منها وهي فرحانة لاجل المال ولكونها كانت في الاصل جاريتها فجاءت الي ووضعت البنج في جوفي فوقعت على الارض وصارت رأسي عند رجلي ورأيت نفسي في دنيا أخرى ولما تمت حيلتها حطتني في ذلك الصندوق وأحضرت العبيد سرا وأنعمت عليهم وعلى البوابين وأرسلتني مع العبيد في الليلة التي كنت نائما فيها فوق النخلة وفعلوا معي ما رأيت وكانت نجاتي على يديك وأنت أتيت بي الى هذا المكان وأحسنت الي غاية الاحسان وهذه قصتي وما أعرف الذي جرى للخليفة في غيبتي فاعرف قدري ولا تشهر أمري فلما سمع غانم بن أيوب كلام قوت القلوب وتحقق انها محظية الخليفة تأخر الى ورائه خيفة من هيبة الخليفة وجلس وحده في ناحية من المكان يعاتب نفسه ويتفكر في أمره وصار متحيرا في عشق التي ليس له اليها وصول فبكى من شدة الغرام ولوعة الوجد والهيام وصار يشكو الزمان وما له من العدوان فسبحان من شغل قلوب الكرام بالمحبة ولم يعط الانذال منها وزن حبة وأنشد هذين البيتين

قلب المحب على الاحباب متعوب * وعقله مع بديع الحسن منهوب
وقائل قال لي ما الحب قلت له * الحب عذب ولكن فيه تعذيب

فعند ذلك قامت اليه قوت القلوب واحتضنته وقبلته وتمكن حبه في قلبها وباحت له بسرها وما عندها من المحبة وطوقت على رقبته بيديها وقبلته وهو يتمنع عنها خوفا من الخليفة ثم تحدثا ساعة من الزمان وهما غريقان في بحر محبة بعضهما الى أن طلع النهار فقام غانم ولبس أثوابه وخرج الى السوق على عادته وأخذ ما يحتاج اليه الامر وجاء الى البيت فوجد قوت القلوب تبكي فلما رأته سكتت عن البكاء وتبسمت وقالت له أوحشتني يا محبوب قلبي والله ان هذه الساعة التي غبتها عني كسنة فاني لا أقدر على فراقك وها أنا قد بينت لك حالي من شدة ولعي بك فقم بنا الآن ودع ما كان واقض أربك مني قال أعوذ بالله ان هذا شيء لا يكون كيف يجلس الكلب في موضع السبع والذي لمولاي يحرم علي أن أقربه ثم جذب نفسه منها وجلس في ناحية وزادت هي محبة بامتناعه عنها ثم جلست الى جانبه ونادمته ولاعبته فسكرا وهامت بالافتضاح به فغنت منشدة هذه الابيات

قلب المتيم كاد أن يتفتتا * فالى متى هذا الصدود الى متى
يا معرضا عني بغير جناية * فعوائد الغزلان أن تتلفتا
صد وهجر زائد وصبابة * ما كل هذا الامر يحمله الفتى

فبكى غانم بن أيوب وبكت هي لبكائه ولم يزالا يشربان الى الليل ثم قام غانم وفرش فرشتين كل فرش في مكان وحده فقالت له قوت القلوب لمن هذا الفرش الثاني فقال لها هذا لي والآخر لك ومن الليلة لا ننام الا على هذا

النمط وكل شئ للسيد حرام على العبد فقالت ياسيدى دعنا من هذا وكل شئ يجرى بقضاء وقدر فأبى فانطلقت النار فى قلبها وزاد غرامها فيه وقالت والله ما ننام الا سواء فقال معاذ الله وغلب عليها ونام وحده الى الصباح فزاد بها العشق والغرام واشتد بها الوجد والهيام وأقاما على ذلك ثلاثة أشهر طوال وهى كلما تقرب منه يمتنع عنها ويقول كل ما هو مخصوص بالسيد حرام على العبد فلما طال بها المطال مع غانم بن ايوب المتيم المسلوب وزادت بها الشجون والكروب أنشدت هذه الابيات

بديع الحسن كم هذا التجنى * ومن أغراك بالاعراض عنى * حويت من الرشاقة كل معنى

وحزت من الملاحة كل فن * وأجريت الغرام لكل قلب * وكلت السهاد بكل جفن

وأعرف قبلك الاغصان تجنى * فياغصن الاراك أراك تجنى * وعهدى بالظبا صيد فمالى

أراك تصيد أرباب المجن * وأعجب ما أحدث عنك أنى * فتنت وأنت لم تعلم بانى

فلا تسمح بوصل لى فانى * أغار عليك منك فكيف منى

ولست بقائل مادمت حيا * بديع الحسن كم هذا التجنى

وأقاموا على هذا الحال مدة والخوف يمنع غانما عنها فهذا ما كان من أمر المتيم المسلوب غانم بن أيوب ﴿وأما﴾ ما كان من أمر زبيدة فانها فى غيبة الخليفة فعلت بقوت القلوب ذلك الامر ثم صارت متحيرة تقول فى نفسها ماذا أقول للخليفة اذا جاء وسأل عنها وما يكون جوابى له فدعت بعجوز كانت عندها وأطلعتها على سرها وقالت لها كيف أفعل وقوت القلوب قد فرط فيها الفرط فقالت لها العجوز لما فهمت الحال اعلمى ياسيدتى أنه قرب مجىء الخليفة ولكن ارسلى الى نجار وأمريه أن يعمل صورة ميت من خشب ويحفر واله قبرا ويوقد حوله الشموع والقناديل وأمرى كل من فى القصر أن يلبسوا الاسود وأمرى جواريك والخدام اذا علموا أن الخليفة أتى من سفره أن يشيعوا الحزن فى الدهاليز فاذا دخل وسأل عن الخبر يقولون له ان قوت القلوب ماتت ويعظم الله أجرك فيها ومن معزتها عند سيدتنا دفنتها فى قصرها فاذا سمع ذلك يبكى ويعز عليه ثم يسهر القراء على قبرها القراءة والختمات فان قال فى نفسه ان بنت عمى زبيدة من غيرتها سعت فى هلاك قوت القلوب أوغلب عليه الهيام فأمر باخراجها من القبر فلا تفزعى من ذلك ولو حفروا على تلك الصورة التى على هيئة ابن آدم وأخرجوها وهى مكفنة بالاكفان الفاخرة فان أراد الخليفة ازالة الاكفان عنها لينظرها فامنعيه أنت من ذلك والاخرى تمنعه وتقول رؤية عورتها حرام فيصدق حينئذ أنها ماتت ويردها الى مكانها ويشكرك على فعالك وتخلصين ان شاء الله تعالى من هذه الورطة فلما سمعت السيدة زبيدة كلامها ورأت أنه صواب خلعت عليها خلعة وأمرتها أن تفعل ذلك بعد ما أعطتها جملة من المال فشرعت العجوز فى ذلك الامر حالا وأمرت النجار أن يعمل لها صورة كما ذكرناه وبعد تمام الصورة جاءت بها الى السيدة زبيدة فكفنتها وأوقدت الشموع والقناديل وفرشت البسط حول القبر ولبست السواد وأمرت الجوارى أن يلبسن السواد واشتهر الامر فى القصر أن قوت القلوب ماتت ثم بعد مدة أقبل الخليفة من غيبته وطلع الى قصره ولكن ماله شغل الا قوت القلوب فرأى الغلمان والخدام والجوارى كلهم لابسين السواد فارتجف فؤاده فلما دخل القصر على السيدة زبيدة رآها لابسة الاسود فسأل عن ذلك فأخبروه بموت قوت القلوب فوقع مغشيا عليه فلما أفاق سأل عن قبرها فقالت له السيدة زبيدة اعلم يا أمير المؤمنين أننى من معزتها عندى دفنتها فى قصرى فدخل الخليفة بثياب السفر الى القصر ليزور قوت القلوب فوجد البسط مفروشة والشموع والقناديل موقودة فلما رأى ذلك شكرها على فعلها ثم انه صار حائرا فى أمره ولم يزل ما بين مصدق ومكذب فلما غلب عليه الوسواس أمر بحفر القبر واخراجها منه فلما رأى الكفن وأراد أن يزيله عنها ليراها خاف من الله تعالى فقالت العجوز ردوها الى مكانها ثم ان الخليفة أمر فى الحال باحضار الفقهاء والمقرئين وقرأوا الختمات على قبرها وجلس بجانب القبر يبكى الى أن غشى عليه ولم يزل قاعدا على قبرها شهرا كاملا * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الحادية والاربعون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الخليفة لم يزل يتردد على قبرها مدة

شهر فاتفق أن الخليفة دخل الحريم بعد انفضاض الامراء والوزراء من بين يديه الى بيوتهم ونام ساعة فجلست
عند رأسه جارية وعند رجليه جارية وبعد أن غلب عليه النوم تنبه وفتح عينيه فسمع الجارية التي عند رأسه
تقول للتي عند رجليه ويلك يا خيزران قالت لها لاي شيء يا قضيب قالت لها ان سيدنا ليس عنده علم بما جرى
حتى انه يسهر على قبر لم يكن فيه الا خشبة منجورة صنعة النجار فقالت لها الاخرى وقوت القلوب أي شيء أصابها
فقالت اعلمي أن السيدة زبيدة أرسلت مع جارية بنجا وبنجتها فلما تحكم البنج منها وضعتها في صندوق وأرسلتها
مع صواب وكافور وأمرتهما أن يرمياها في التربة فقالت خيزران ويلك يا قضيب هل السيدة قوت القلوب لم
تمت فقالت سلامة شبابها من الموت ولكن أنا سمعت السيدة زبيدة تقول ان قوت القلوب عند شاب تاجر اسمه
غانم الدمشقي وان لها عنده بهذا اليوم أربعة أشهر وسيدنا هذا يبكي ويسهر الليالي على قبر لم يكن فيه الميت
وصارتا تتحدثان بهذا الحديث والخليفة يسمع كلامهما فلما فرغ الجاريتان من الحديث وعرف القضية وان هذا
القبر زور وان قوت القلوب عند غانم بن أيوب مدة أربعة أشهر غضب غضبا شديدا وقام وأحضر أمراء دولته
فعند ذلك أقبل الوزير جعفر البرمكي وقبل الارض بين يديه فقال له الخليفة بغيظ انزل يا جعفر بجماعة واسأل عن
بيت غانم بن أيوب واهجموا على داره وائتوني بجاريتي قوت القلوب ولابد لي أن أعذبه فأجابه جعفر بالسمع
والطاعة فعند ذلك نزل جعفر هو واتباعه والوالي صحبته ولم يزالوا سائرين الى أن وصلوا الى دار غانم وكان غانم خرج
في ذلك الوقت وجاء بقدر لحم وأراد أن يمد يده ليأكل منها هو وقوت القلوب فلاحت منها التفاتة فوجدت البلاء
أحاط بالدار والوزير والوالي والظلمة والمماليك بسيوف مجردة وداروا به كما يدور بالعين السواد فعند ذلك عرفت
أن خبرها وصل الى الخليفة سيدها فأيقنت بالهلاك واصفر لونها وتغيرت محاسنها ثم انها نظرت الى غانم وقالت له
يا حبيبي فز بنفسك فقال لها كيف أعمل والى أين أذهب ومالي ورزقي في هذه الدار فقالت له لا تمكث لئلا تهلك
ويذهب مالك فقال لها يا حبيبتي ونور عيني كيف أصنع في الخروج وقد أحاطوا بالدار فقالت له لا تخف ثم انها
نزعت ما عليه من الثياب وألبسته خلقانا بالية وأخذت القدر التي كان فيها اللحم ووضعتها فوق رأسه وحطت فيها
بعض خبز وزبدية طعام وقالت له أخرج بهذه الحيلة ولا عليك مني فأنا أعرف أي شيء في يدي من الخليفة فلما سمع
غانم كلام قوت القلوب وما أشارت عليه به خرج من بينهم وهو حامل القدر وستر عليه الستار ونجا من المكايد
والاضرار ببركة نيته فلما وصل الوزير جعفر الى ناحية الدار ترجل عن حصانه ودخل البيت ونظر الى قوت القلوب
وقد تزينت وتبهرجت وملأت صندوقا من ذهب ومصاغ وجواهر وتحف مما خف حمله وغلا ثمنه فلما دخل عليها
جعفر قامت على قدميها وقبلت الارض بين يديه وقالت له يا سيدي جرى القلم بما حكم الله فلما رأى ذلك جعفر قال
لها والله يا سيدتي انه ما أوصاني الا بقبض غانم بن أيوب فقالت اعلم انه حزم تجارات وذهب بها الى دمشق ولا علم
لي بغير ذلك وأريد أن تحفظ لي هذا الصندوق وتحمله الى قصر أمير المؤمنين فقال جعفر السمع والطاعة ثم أخذ
الصندوق وأمر بحمله وقوت القلوب معهم الى دار الخلافة وهي مكرمة معززة وكان هذا بعد أن نهبوا دار غانم ثم
توجهوا الى الخليفة فحكى له جعفر جميع ما جرى فأمر الخليفة لقوت القلوب بمكان مظلم وأسكنها فيه وألزم بها
عجوزا لقضاء حاجتها لانه ظن ان غانما فحش بها ثم كتب مكتوبا للامير محمد بن سليمان الزيني وكان نائبا في
دمشق ومضمونه ساعة وصول المكتوب اليك تقبض على غانم بن أيوب وترسله الي فلما وصل المرسوم اليه
قبله ووضعه على رأسه ونادى في الاسواق من أراد أن ينهب فعليه بدار غانم بن أيوب فجاؤا الى الدار فوجدوا أم
غانم وأخته قد صنعتا لهما قبرا وقعدتا عنده تبكيان فقبضوا عليهما ونهبوا الدار ولم يعلما ما الخبر فلما أحضرهما
عند السلطان سألهما عن غانم بن أيوب فقالتا له من مدة سنة ما وقفنا له على خبر فردوهما الى مكانهما هذا
ما كان من أمرهما (وأما) ما كان من أمر غانم بن أيوب المتيم المسلوب فانه لما سلبت نعمته تحير في أمره وصار
يبكي على نفسه حتى انفطر قلبه وسار ولم يزل سائرا الى آخر النهار وقد ازداد به الجوع وأضر به المشي حتى وصل
الى بلد فدخل المسجد وجلس على برش وأسند ظهره الى حائط المسجد وارتمى وهو في غاية الجوع والتعب ولم
يزل مقيما هناك الى الصباح وقد خفق قلبه من الجوع وركب جلده القمل وصارت رائحته منتنة وتغيرت أحواله

فاتى أهل تلك البلدة يصلون الصبح فوجدوه مطروحا ضعيفا من الجوع وعليه آثار النعمة لائحة فلما أقبلوا عليه وجدوه بردان جائعا فالبسوه ثوبا عتيقا قد بليت أكمامه وقالوا له من أين أنت يا غريب وما سبب ضعفك ففتح عينيه ونظر اليهم وبكى ولم يرد عليهم جوابا ثم ان بعضهم عرف شدة جوعه فذهب وجاء له بسكرجة عسل ورغيفين فأكل وقعدوا عنده حتى طلعت الشمس ثم انصرفوا الى اشغالهم ولم يزل على هذه الحالة شهرا وهو عندهم وقد تزايد عليه الضعف والمرض فتعطفوا عليه وتشاوروا مع بعضهم في أمره ثم اتفقوا على ان يوصلوه الى المارستان الذي ببغداد فبينما هم كذلك واذا بامرأتين سائلتين قد دخلتا عليه وهما أمه وأخته فلما رآهما أعطاهما الخبز الذي عند رأسه ونامتا عنده تلك الليلة ولم يعرفهما فلما كان ثاني يوم أتاه أهل القرية وأحضروا جملا وقالوا لصاحبه احمل هذا الضعيف فوق الجمل فاذا وصلت الى بغداد فانزله على باب المارستان لعله يتعافى فيحصل لك الاجر فقال لهم السمع والطاعة ثم انهم أخرجوا غانم بن أيوب من المسجد وحملوه بالبرش الذي هو نائم عليه فوق الجمل وجاءت أمه وأخته يتفرجان عليه من جملة الناس ولم يعلما به ثم نظرتا اليه وتأملتاه وقالتا انه يشبه غانما ابننا فيا ترى هل هو هذا الضعيف أولا وأما غانم فانه لم يفق الا وهو محمول فوق الجمل فصار يبكي وينوح وأهل القرية ينظرون وأمه وأخته يبكيان عليه ولم يعرفانه ثم سافرت أمه وأخته الى ان وصلتا الى بغداد وأما الجمال فانه لم يزل سائرا به حتى أنزله على باب المارستان وأخذ جمله ورجع فمكث غانم راقدا هناك الى الصباح فلما درجت الناس في الطريق نظروا اليه وقد صار رق الخلال ولم يزل الناس يتفرجون عليه حتى جاء شيخ السوق ومنع الناس عنه وقال أنا أكتسب الجنة بهذا المسكين لانهم متى أدخلوه المارستان قتلوه في يوم واحد ثم أمر صبيانه بحمله فحملوه الى بيته وفرش له فرشا جديدا ووضع له مخدة جديدة وقال لزوجته اخدميه بنصح فقالت على الرأس ثم تشمرت وسخنت له ماء وغسلت يديه ورجليه وبدنه وألبسته ثوبا من لبس جواريها وسقته قدح شراب ورشت عليه ماء ورد فأفاق وتذكر محبوبته قوت القلوب فزادت به الكروب هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر قوت القلوب فانه لما غضب عليها الخليفة * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* (فلما كانت الليلة الثانية والاربعون) * قالت بلغني أيها الملك السعيد ان قوت القلوب لما غضب عليها الخليفة وأسكنها في مكان مظلم استمرت فيه على هذا الحال ثمانين يوما فاتفق ان الخليفة مر يوما من الايام على ذلك المكان فسمع قوت القلوب تنشد الاشعار فلما فرغت من انشادها قالت يا حبيبي يا غانم ما أحسنك وما أعف نفسك قد أحسنت لمن أساءك وحفظت حرمة من انتهك حرمتك وسترت حريمه وهو سباك وسبى أهلك ولا بد أن تقف أنت وأمير المؤمنين بين يدي حاكم عادل وتنتصف عليه في يوم يكون القاضي هو الله والشهود هم الملائكة فلما سمع الخليفة كلامها وفهم شكواها علم أنها مظلومة فدخل قصره وأرسل الخادم لها فلما حضرت بين يديه أطرقت وهي باكية العين حزينة القلب فقال يا قوت القلوب أراك تتظلمين مني وتنسبينني الى الظلم وتزعمين أني أسأت الى من أحسن الي فمن هو الذي حفظ حرمتي وانتهكت حرمته وستر حريمي وسبيت حريمه فقالت له غانم بن أيوب فانه لم يقربني بفاحشة وحق نعمتك يا أمير المؤمنين فقال الخليفة لا حول ولا قوة الا بالله يا قوت القلوب تمني علي فانا أبلغك مرادك قالت تمنيت عليك محبوبي غانم بن أيوب فلما سمع كلامها قال احضره ان شاء الله مكرما فقالت يا أمير المؤمنين ان أحضرته أتهبني له فقال ان أحضرته وهبتك له هبة كريم لا يرجع في عطائه فقالت يا أمير المؤمنين ائذن لي أن أدور عليه لعل الله يجمعني به فقال لها افعلي ما بدا لك ففرحت وخرجت ومعها ألف دينار فزارت المشايخ وتصدقت عنه وطلعت ثاني يوم الى التجار واعطت عريف السوق دراهم وقالت له تصدق بها على الغرباء ثم طلعت ثاني جمعة ومعها ألف دينار ودخلت سوق الصاغة وسوق الجوهرجية وطلبت عريف السوق فحضر فدفعت له ألف دينار وقالت له تصدق بها على الغرباء فنظر اليها العريف وهو شيخ السوق وقال لها هل لك ان تذهبي الى داري وتنظري الى هذا الشاب الغريب ما أظرفه وما أكمله وكان هو غانم بن أيوب المتيم المسلوب ولكن العريف ليس له به معرفة وكان يظن أنه رجل مسكين مديون سلبت نعمته أو عاشق فارق أحبته فلما سمعت كلامه خفق قلبها

وتعلقت به أحشاؤها فقالت له ارسل معي من يوصلني الى دارك فارسل معها صبيا صغيرا فاوصلها الى الدار التي فيها
الغريب فشكرته على ذلك فلما دخلت تلك الدار وسلمت على زوجة العريف قامت زوجة العريف وقبلت
الارض بين يديها لانها عرفتها فقالت لها قوت القلوب أين الضعيف الذي عندكم فبكت وقالت ها هو يا سيدتي الا
انه ابن ناس وعليه أثر النعمة فالتفتت الى الفرش الذي هو راقد عليه وتأملته فرأته كأنه هو بذاته ولكنه قد تغير
حاله وزاد نحوله ورق الى ان صار كالخلال وانبهم عليها أمره فلم تتحقق انه هو ولكن أخذتها الشفقة عليه
فصارت تبكي وتقول ان الغرباء مساكين وان كانوا أمراء في بلادهم ورتبت له الشراب والادوية ثم جلست عند
رأسه ساعة وركبت وطلعت الى قصرها وصارت تطلع في كل سوق لاجل التفتيش على غانم ثم ان العريف أتى
بأمه وأخته فتنة ودخل بهما على قوت القلوب وقال يا سيدة المحسنات قد دخل مدينتنا في هذا اليوم امرأة وبنت
وهما من وجوه الناس وعليهما أثر النعمة لائح لكنهما لابستان ثيابا من الشعر وكل واحدة منهما معلقة في
رقبتها مخلاة وعيونهما باكية وقلوبهما حزينة وها أنا أتيت بهما اليك لتأويهما وتصونيهما عن ذل السؤال لانهما
ليستا أهلا لسؤال اللئام وان شاء الله ندخل بسببهما الجنة فقالت والله يا سيدي لقد شوقتني اليهما وأين هما
فأمرهما بالدخول فعند ذلك دخلت فتنة وأمها على قوت القلوب فلما نظرتهما قوت القلوب وهما ذاتا جمال بكت
عليهما وقالت والله انهما أولاد نعمة ويلوح عليهما أثر الغنى فقال العريف يا سيدتي اننا نحب الفقراء والمساكين
لاجل الثواب وهؤلاء ربما جار عليهم الظلمة وسلبوا نعمتهم وأخربوا ديارهم ثم ان المرأتين بكتا بكاء شديدا
وتفكرتا غانم بن أيوب المتيم المسلوب فزاد نحيبهما فلما بكتا بكت قوت القلوب لبكائهما ثم ان أمه قالت نسأل الله
أن يجمعنا بمن نريده وهو ولدي غانم بن أيوب فلما سمعت قوت القلوب هذا الكلام علمت ان هذه المرأة
أم معشوقها وان الاخرى أخته فبكت حتى غشي عليها فلما افاقت أقبلت عليهما وقالت لهما لا بأس عليكما فهذا
اليوم أول سعادتكما وآخر شقاوتكما فلا تحزنا * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الثالثة والاربعون) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قوت القلوب قالت لهما لا تحزنا ثم
أمرت العريف أن يأخذهما الى بيته ويخلي زوجته تدخلهما الحمام وتلبسهما ثيابا حسنة وتتوصى بهما
وتكرمهما غاية الاكرام وأعطته جملة من المال وفي ثاني يوم ركبت قوت القلوب وذهبت الى بيت العريف
ودخلت عند زوجته فقامت اليها وقبلت يديها وشكرت احسانها ورأت أم غانم وأخته وقد أدخلتهما زوجة
العريف الحمام ونزعت ما عليهما من الثياب فظهرت عليهما آثار النعمة فجلست تحادثهما ساعة ثم سألت
زوجة العريف عن المريض الذي عندها فقالت هو بحاله فقالت قوموا بنا نطل عليه ونعوده فقامت هي
وزوجة العريف وأم غانم وأخته ودخلن عليه وجلسن عنده فلما سمعهن غانم بن أيوب المتيم المسلوب يذكرن
قوت القلوب وكان قد انحل جسمه ورق عظمه ردت له روحه ورفع رأسه من فوق المخدة ونادى يا قوت القلوب
فنظرت اليه وتحققته فعرفته وصاحت بقولها نعم يا حبيبي فقال لها أقربي مني فقالت له لعلك غانم بن أيوب المتيم
المسلوب فقال لها نعم انا هو فعند ذلك وقعت مغشيا عليها فلما سمعت أخته وأمه كلامهما صاحتا بقولهما وافرحتاه
ووقعتا مغشيا عليهما وبعد ذلك استفاقتا فقالت له قوت القلوب الحمد لله الذي جمع شملنا بك وبأمك وأختك
وتقدمت اليه وحكت له جميع ما جرى لها من الخليفة وقالت اني قلت له قد أظهرت لك الحق يا أمير المؤمنين فصدق
كلامي ورضي عنك وهو اليوم يتمنى ان يراك ثم قالت لغانم ان الخليفة وهبني لك ففرح بذلك غاية الفرح فقالت
لهم قوت القلوب لا تبرحوا حتى أحضر ثم انها قامت من وقتها وساعتها وانطلقت الى قصرها وحملت الصندوق الذي
أخذته من داره وأخرجت منه دنانير وأعطت العريف اياها وقالت له خذ هذه الدنانير واشتر لكل شخص منهم
أربع بدلات كوامل من أحسن القماش وعشرين منديلا وغير ذلك مما يحتاجون اليه ثم انها دخلت بهما وبغانم
الحمام وأمرت بغسلهم وعملت لهم المساليق وماء الخولنجان وماء التفاح بعد أن خرجوا من الحمام ولبسوا الثياب
وأقامت عندهم ثلاثة أيام وهي تطعمهم لحم الدجاج والمساليق وتسقيهم السكر المكرر وبعد الثلاثة أيام ردت لهم
أرواحهم وأدخلتهم الحمام ثانيا وخرجوا وغيرت عليهم الثياب وخلتهم في بيت العريف وذهبت الى الخليفة

وقبلت الارض بين يديه واعلمته بالقصة وانه قد حضر سيدها غانم بن أيوب المتيم المسلوب وأن أمه واخته قد حضرتا فلما سمع الخليفة كلام قوت القلوب قال للخدام على بغانم فنزل جعفر اليه وكانت قوت القلوب قد سبقته ودخلت على غانم وقالت له ان الخليفة قد أرسل اليك ليحضرك بين يديه فعليك بفصاحة اللسان وثبات الجنان وعذوبة الكلام والبسته حلة فاخرة وأعطته دنانير بكثرة وقالت له أكثر البذل الى حاشية الخليفة وأنت داخل عليه واذا بجعفر أقبل عليه وهو على بغلته فقام غانم وقابله وحياه وقبل الارض بين يديه وقد ظهر كوكب سعده وارتفع طالع مجده فاخذه جعفر ولم يزالا سائرين حتى دخلا على أمير المؤمنين فلما حضرا بين يديه نظر الى الوزراء والامراء والحجاب والنواب وأرباب الدولة وأصحاب الصولة وكان غانم فصيح اللسان ثابت الجنان رقيق العبارة أنيق الاشارة فاطرق برأسه الى الارض ثم نظر الى الخليفة وأنشد هذه الابيات

أفديك من ملك عظيم الشان * متتابع الحسنات والاحسان

متوقد العزمات فياض الندى * حدث عن الطوفان والنيران * لا يلهجون بغيره من قيصر

في ذا المقام وصاحب الايوان * تضع الملوك على ثرى أعتابه * عند السلام جواهر التيجان

حتى اذا شخصت له أبصارهم * خروا لهيبته على الاذقان * ويفيدهم ذاك المقام مع الرضا

رتب العلا وجلالة السلطان * ضاقت بعسكرك الفيافي والفلا * فاضرب خيامك في ذرى كيوان

واقرى الكواكب بالمواكب محسنا * لشريف ذاك العالم الروحاني * وملكت شامخة الصياصي عنوة

من حسن تدبير وثبت جنان * ونشرت عدلك في البسيطة كلها * حتى استوى القاصي بها والداني

فلما فرغ من شعره طرب الخليفة من محاسن رونقه وأعجبته فصاحة لسانه وعذوبة منطقه *وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الرابعة والاربعون)

قالت بلغني أيها الملك السعيد ان غانم بن أيوب لما أعجب الخليفة فصاحته ونظمه وعذوبة منطقه قال له ادن مني فدنا منه ثم قال له اشرح لي قصتك وأطلعني على حقيقة خبرك فقعد وحدث الخليفة بما جرى له من المبتدا الى المنتهى وليس في الاعادة افادة فلما علم الخليفة انه صادق خلع عليه وقربه اليه وقال أبرئ ذمتي فأبرأ ذمته وقال له يا أمير المؤمنين ان العبد وما ملكت يداه لسيده ففرح الخليفة بذلك ثم أمر أن يفرد له قصر ورتب له من الجوامك والجرايات شيأ كثيرا فنقل أمه وأخته اليه وسمع الخليفة بأن أخته فتنة في الحسن فتنة فخطبها منه فقال له غانم انها جاريتك وأنا مملوكك فشكره وأعطاه مائة ألف دينار وأتى بالقاضي والشهود وكتبوا الكتاب ودخل هو وغانم في نهار واحد فدخل الخليفة على فتنة وغانم بن أيوب على قوت القلوب فلما أصبح الصباح أمر الخليفة أن يؤرخ جميع ما جرى لغانم من أوله الى آخره وأن يدون في السجلات لاجل أن يطلع عليه من يأتي بعده فيتعجب من تصرفات الاقدار ويفوض الامر الى خالق الليل والنهار وليس هذا بأعجب من حكاية الملك عمر النعمان وولده شركان وولده ضوء المكان وما جرى لهم من العجائب والغرائب قال الملك وما حكايتهم

(حكاية الملك عمر النعمان وولديه شركان وضوء المكان)

قالت بلغني أيها الملك السعيد انه كان بمدينة دمشق قبل خلافة عبد الملك بن مروان ملك يقال له عمر النعمان وكان من الجبابرة الكبار قد قهر الملوك الاكاسرة والقياصرة وكان لا يصطلى له بنار ولا يجاريه أحد في مضمار واذا غضب يخرج من منخريه لهيب النار وكان قد ملك جميع الاقطار ونفذ حكمه في سائر القرى والامصار وأطاع الله له جميع العباد ووصلت عساكره الى أقصى البلاد ودخل في حكمه المشرق والمغرب وما بينهما من الهند والسند والصين واليمن والحجاز والحبشة والسودان والشام والروم وديار بكر وجزائر البحار وما في الارض من مشاهير الانهار كسيحون وجيحون والنيل والفرات وأرسل رسله الى أقصى العمار ليأتوه بحقيقة الاخبار فرجعوا وأخبروه بأن سائر الناس أذعنت لطاعته وجميع الجبابرة خضعت لهيبته وقد عمهم بالفضل والامتنان وأشاع بينهم العدل والامان لانه كان عظيم الشان وحملت اليه الهدايا من كل مكان وجبى اليه خراج الارض في طولها والعرض وكان له ولد وقد سماه شركان لانه نشأ آفة من آفات الزمان وقهر الشجعان وأباد الاقران فاحبه والده

جدا شديدا ما عليه من مزيد وأوصى له بالملك من بعده ثم ان شركان هذا حين بلغ مبلغ الرجال وصار له من العمر عشرون سنة أطاع الله له جميع العباد لما به من شدة البأس والعناد وكان والده عمر النعمان له أربع نساء بالكتاب والسنة لكنه لم يرزق منهن بغير شركان وهو من احداهن والباقيات عواقر لم يرزق من واحدة منهن بولد ومع ذلك كان له ثلثمائة وستون سرية على عدد أيام السنة القبطية وتلك السرارى من سائر الاجناس وكان قد بنى لكل واحدة منهن مقصورة وكانت المقاصير من داخل القصر فانه بنى اثنى عشر قصرا على عدد شهور السنة وجعل فى كل قصر ثلاثين مقصورة فكانت جملة المقاصير ثلثمائة وستين مقصورة وأسكن تلك الجوارى فى هذه المقاصير وفرض لكل سرية منهن ليلة يبيتها عندها وما يأتيها الا بعد سنة كاملة فاقام على ذلك مدة من الزمان ثم ان ولده شركان اشتهر فى سائر الآفاق ففرح به والده وازداد قوة فطغى وتجبر وفتح الحصون والبلاد واتفق بالامر المقدر أن جارية من جوارى عمر النعمان قد حملت واشتهر حملها وعلم الملك بذلك ففرح فرحا شديدا وقال لعل ذريتى ونسلى تكون كلها ذكورا فأرخ يوم حملها وصار يحسن اليها فعلم شركان بذلك فاغتم وعظم عليه الامر * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الخامسة والاربعون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان شركان لما علم أن جارية أبيه قد حملت اغتم وعظم عليه ذلك وقال قد جاءنى من ينازعنى فى المملكة فاضمر فى نفسه أن هذه الجارية ان ولدت ولدا ذكرا قتلته وكتم ذلك فى نفسه هذا ما كان من أمر شركان ﴿وأما﴾ ما كان من أمر الجارية فانها كانت رومية وكان قد بعثها اليه هدية ملك الروم صاحب قيسارية وأرسل معها تحفا كثيرة وكان اسمها صفية وكانت أحسن الجوارى وأجملهن وجها وأصونهن عرضا وكانت ذات عقل وافر وجمال باهر وكانت تخدم الملك ليلة مبيته عندها وتقول له أيها الملك كنت أشتهى من اله السماء ان يرزقك منى ولدا ذكرا حتى أحسن تربيته لك وأبالغ فى أدبه وصيانته فيفرح الملك ويعجبه ذلك الكلام فلازالت كذلك حتى كملت أشهرها فجلست على كرسى الطلق وكانت على صلاح تحسن العبادة فتصلى وتدعو الله أن يرزقها بولد صالح ويسهل عليها ولادته فتقبل الله منها دعاءها وكان الملك قد وكل بها خادما يخبره بما تضعه هل هو ذكر أو أنثى وكذلك ولده شركان أرسل من يعرفه بذلك فلما وضعت صفية ذلك المولود تأملته القوابل فوجدنه بنتا بوجه أبهى من القمر فاعلمن الحاضرين بذلك فرجع رسول الملك وأخبره بذلك وكذلك رسول شركان أخبره بذلك ففرح فرحا شديدا فلما انصرف الخدام قالت صفية للقوابل أمهلوا على ساعة فانى أحس بأن أحشائى فيها شئ آخر ثم تأوهت وجاءها الطلق ثانيا وسهل الله عليها فوضعت مولودا ثانيا فنظرت اليه القوابل فوجدنه ولدا ذكرا يشبه البدر بجبين أزهر وخد أحمر مورد ففرحت به الجارية والخدام والحشم وكل من حضر ورمت صفية الخلاص وقد أطلقوا الزغاريت فى القصر فسمع بقية الجوارى بذلك فحسدنها وبلغ عمر النعمان الخبر ففرح واستبشر وقام ودخل عليها وقبل رأسها ونظر الى المولود ثم انحنى عليه وقبله وضربت الجوارى بالدفوف ولعبت بالآلات وأمر الملك ان يسموا المولود ضوء المكان وأخته نزهة الزمان فامتثلوا أمره وأجابوا بالسمع والطاعة وأفرد لهم الملك من يخدمهم من المراضع والخدم والحشم والدايات ورتب لهم الرواتب من السكر والاشربة والادهان وغير ذلك مما يكل عن وصفه اللسان وسمعت أهل دمشق بما رزق الله الملك من الاولاد فزينت المدينة وأظهرت الفرح والسرور وأقبلت الامراء والوزراء وأرباب الدولة وهنوا الملك عمر النعمان بولده ضوء المكان وبنته نزهة الزمان فشكرهم الملك على ذلك وخلع عليهم وزاد فى اكرامهم من الانعام وأحسن الى الحاضرين من الخاص والعام ومازال على تلك الحالة الى أن مضى أربعة أعوام وهو بعد كل قليل من الايام يسأل عن صفية وأولادها وبعد الاربعة أعوام أمر أن ينقل اليها من المصاغ والحلى والحلل والاموال شئ كثير وأوصاها بتربيتهما وحسن أدبهما كل هذا وابن الملك شركان لا يعلم أن والده عمر النعمان رزق ولدا ذكرا ولم يعلم أنه رزق سوى نزهة الزمان وأخفوا عليه خبر ضوء المكان الى أن مضت أيام وأعوام وهو مشغول بمقارعة الشجعان ومبارزة الفرسان فبينما عمر النعمان جالس يوما من الايام اذ دخل

عليه الحجاب وقبلوا الارض بين يديه وقالوا أيها الملك قد وصلت الينا رسل من ملك الروم صاحب القسطنطينية العظمى وانهم يريدون الدخول عليك والتمثل بين يديك فان أذن لهم الملك بذلك ندخلهم والا فلا مرد لامره فعند ذلك أمر لهم بالدخول فلما دخلوا عليه مال اليهم وأقبل عليهم وسألهم عن حالهم وما سبب اقبالهم فقبلوا الارض بين يديه وقالوا أيها الملك الجليل صاحب الباع الطويل اعلم أن الذى أرسلنا اليك الملك أفريدون صاحب البلاد اليونانية والعساكر النصرانية المقيم بمملكة القسطنطينية يعلمك أنه اليوم فى حرب شديد مع جبار عنيد وهو صاحب قيسارية والسبب فى ذلك أن بعض ملوك العرب اتفق أنه وجد فى بعض الفتوحات كنزا من قديم الزمان من عهد اسكندر فنقل منه أموالا لا تحصى ومن جملة ما وجد فيه ثلاث خرزات مدورات على قدر بيض النعام وتلك الخرزات من أعلى الجوهر الابيض الخالص الذى لا يوجد له نظير وكل خرزة منقوش عليها بالقلم اليونانى أمور من الاسرار ولهن منافع وخواص كثيرة ومن خواصهن ان كل مولود علقت عليه خرزة منهن لم يصبه ألم مادامت الخرزة معلقة عليه ولا يحم ولا يسخن فلما وضع يده عليها ووقع بها وعرف ما فيها من الاسرار أرسل الى الملك أفريدون هدايا من التحف والمال ومن جملتها الثلاث خرزات وجهز مركبين واحدة فيها مال والاخرى فيها رجال تحفظ تلك الهدايا ممن يتعرض لها فى البحر وكان يعرف من نفسه أنه لا أحد يقدر أن يتعدى على مراكبه لكونه ملك العرب لاسيما وطريق المراكب التى فيها الهدايا فى البحر الذى فى مملكة القسطنطينية وهى متوجهة اليه وليس فى سواحل ذلك البحر الا رعاياه فلما جهز المركبين سافرا الى أن قربا من بلادنا فخرج عليهما بعض قطاع الطريق من تلك الارض وفيهم عساكر من عند صاحب قيسارية فاخذوا جميع ما فى المركبين من التحف والاموال والذخائر والثلاث خرزات وقتلوا الرجال فبلغ ذلك ملكنا فارسل اليهم عسكرا فهزموه فارسل اليهم عسكرا أقوى من الاول فهزموه أيضا فعند ذلك اغتاظ الملك وأقسم أنه لا يخرج اليهم الا بنفسه فى جميع عسكره وانه لا يرجع عنهم حتى يخرب قيسارية ويترك أرضها وجميع البلاد التى يحكم عليها ملكها خرابا والمراد من صاحب القوة والسلطان الملك عمر النعمان أن يمدنا بعسكر من عنده حتى يصير له الفخر وقد أرسل اليك ملكنا معنا شيأ من أنواع الهدايا ويرجو من انعامك قبولها والتفضل عليه بالاسعاف ثم ان الرسل قبلوا الارض بين يدى الملك عمر النعمان * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿ فلما كانت الليلة السادسة والاربعون ﴾

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن رسل ملك القسطنطينية قبلوا الارض بين يدى الملك عمر النعمان بعد أن حكوا له ثم أعلموه بالهدية وكانت الهدية خمسين جارية من خواص بلاد الروم وخمسين مملوكا عليهم أقبية من الديباج بمناطق من الذهب والفضة وكل مملوك فى أذنه حلقة من الذهب فيها لؤلؤة تساوى ألف مثقال من الذهب والجوارى كذلك وعليهم من القماش ما يساوى مالا جزيلا فلما رآهم الملك قبلهم وفرح بهم وأمر باكرام الرسل وأقبل على وزرائه يشاورهم فيما يفعل فنهض من بينهم وزير وكان شيخا كبيرا يقال له دندان فقبل الارض بين يدى الملك عمر النعمان وقال أيها الملك ما فى الامر أحسن من أنك تجهز عسكرا جرارا وتجعل قائدهم ولدك شركان ونحن بين يديه غلمان وهذا الرأى أحسن لوجهين الاول ان ملك الروم قد استجار بك وأرسل اليك هدية فقبلتها والوجه الثانى ان العدو لا يجسر على بلادنا فاذا منع عسكرك عن ملك الروم وهزم عدوه ينسب هذا الامر اليك ويشيع ذلك فى سائر الاقطار والبلاد ولاسيما اذا وصل الخبر الى جزائر البحر وسمع بذلك أهل المغرب فانهم يحملون اليك الهدايا والتحف والاموال فلما سمع الملك هذا الكلام من وزيره دندان أعجبه واستصوبه وخلع عليه وقال له مثلك من تستشيره الملوك وينبغى أن تكون أنت فى مقدم العسكر وولدى شركان فى ساقة العسكر ثم ان الملك أمر باحضار ولده فلما حضر قص عليه القصة وأخبره بما قاله الرسل وبما قاله الوزير دندان وأوصاه بأخذ الاهبة والتجهيز للسفر وأنه لا يخالف الوزير دندان فيما يشور به عليه وأمره أن ينتخب من عسكره عشرة آلاف فارس كاملين العدة صابرين على الشدة فامتثل شركان ما قاله والده عمر النعمان وقام فى الوقت واختار من عسكره عشرة آلاف فارس ثم دخل قصره وأخرج مالا عظيما وأنفق عليهم المال وقال لهم قد

أمهلتكم ثلاثة أيام فقبلوا الارض بين يديه مطيعين لامره ثم خرجوا من عنده وأخذوا في الاهبة واصلاح الشأن ثم ان شركان دخل خزائن السلاح وأخذ ما يحتاج اليه من العدد والسلاح ثم دخل الاصطبل واختار منه الخيل المسومة وأخذ غير ذلك وبعد ذلك أقاموا ثلاثة أيام ثم خرجت العساكر الى ظاهر المدينة وخرج عمر النعمان لوداع ولده شركان فقبل الارض بين يديه وأهدى له سبع خزائن من المال وأقبل على الوزير دندان وأوصاه بعسكر ولده شركان فقبل الارض بين يديه وأجابه بالسمع والطاعة وأقبل الملك على ولده شركان وأوصاه بمشاورة الوزير دندان في سائر الامور فقبل ذلك ورجع والده الى أن دخل المدينة ثم ان شركان أمر كبار العسكر بعرضهم عليه وكانت عدتهم عشرة آلاف فارس غير ما يتبعهم ثم ان القوم حملوا ودقت الطبول وصاح النفير وانتشرت الاعلام والرايات وركب ابن الملك شركان والى جانبه وزيره دندان والاعلام تخفق على رؤسهم ولم يزالوا سائرين والرسل تقدمهم الى أن ولى النهار وأقبل الليل فنزلوا واستراحوا وباتوا تلك الليلة فلما أصبح الصباح ركبوا وساروا ولم يزالوا سائرين والرسل يدلونهم على الطريق مدة عشرين يوما ثم أشرفوا في اليوم الحادي والعشرين على واد واسع الجهات كثير الاشجار والنبات وكان وصولهم الى ذلك الوادي ليلا فامرهم شركان بالنزول والاقامة فيه ثلاثة أيام فنزل العساكر وضربوا الخيام وافترق العسكر يمينا وشمالا ونزل الوزير دندان وصحبته رسل أفريدون صاحب القسطنطينية في وسط ذلك الوادي وأما الملك شركان فانه كان في وقت وصول العسكر وقف بعدهم ساعة حتى نزلوا جميعهم وتفرقوا في جوانب الوادي ثم انه أرخى عنان جواده وأراد أن يكشف ذلك الوادي ويتولى الحرس بنفسه لاجل وصية والده اياه فانهم في أول بلاد الروم وأرض العدو فسار وحده بعد أن أمر مماليكه وخواصه بالنزول عند الوزير دندان ثم انه لم يزل سائرا على ظهر جواده في جوانب الوادي الى أن مضى من الليل ربعه فتعب وغلب عليه النوم فصار لا يقدر أن يركض الجواد وكان له عادة أنه ينام على ظهر جواده فلما هجم عليه النوم نام ولم يزل الجواد سائرا به الى نصف الليل فدخل به في بعض الغابات وكانت تلك الغابة كثيرة الاشجار فلم ينتبه شركان حتى دق الجواد بحافره في الارض فاستيقظ فوجد نفسه بين الاشجار وقد طلع عليه القمر وأضاء في الخافقين فاندهش شركان لما رأى نفسه في ذلك المكان وقال كلمة لا يخجل قائلها وهي لا حول ولا قوة الا بالله فبينما هو كذلك خائف من الوحوش متحير لا يدري أين يتوجه فلما رأى القمر أشرف على مرج كانه من مروج الجنة فسمع كلاما مليحا وصوتا عاليا وضحكا يسبي عقول الرجال فنزل الملك شركان عن جواده في الاشجار ومشى حتى أشرف على نهر فرأى فيه الماء يجري وسمع كلام امرأة تتكلم بالعربية وهي تقول وحق المسيح ان هذا منكن غير مليح ولكن كل من تكلمت بكلمة صرعتها وكتفتها بزنارها كل هذا وشركان يمشي الى جهة الصوت حتى انتهى الى طرف المكان ثم نظر فاذا بنهر يسبح وطيور تمرح وغزلان تسنح ووحوش ترتع والطيور بلغاتها لمعاني الحظ تشرح وذلك المكان مزركش بانواع النبات كما قيل في أوصاف مثله هذان البيتان

ما تحسن الارض الا عند زهرتها * والماء من فوقها يجري بارسال
صنع الاله العظيم الشأن مقتدرا * معطي العطايا ومعطي كل مفضال

فنظر شركان الى ذلك المكان فرأى فيه ديرا ومن داخل الدير قلعة شاهقة في الهواء في ضوء القمر وفي وسطها نهر يجري الماء منه الى تلك الرياض وهناك امرأة بين يديها عشرة جوار كانهن الاقمار وعليهن من أنواع الحلي والحلل ما يدهش الابصار وكلهن أبكار بديعات كما قيل فيهن هذه الابيات

يشرق المرج بما فيه من البيض العوالي زاد حسنا وجمالا * من بديعات الخلال
كل هيفاء قواما * ذات غنج ودلال راخيات لشعور * كعناقيد الدوالي
فاتنات بعيون * راميات بالنبال مائسات قاتلات * لصناديد الرجال

فنظر شركان الى هؤلاء العشر جوار فوجد بينهن جارية كأنها البدر عند تمامه بحاجب مزجج وجبين أبلج وطرف أهدب وصدغ معقرب كاملة في الذات والصفات كما قال الشاعر في مثلها هذه الابيات

تزهو علي بالحاظ بديعات * وقدها مخجل للسمهريات * تبدو الينا وخداها موردة

فيها من الظرف أنواع الملاحات * كأن طرتها في نور طلعتها * ليل يلوح على صبح المسرات
فسمعها شركان وهي تقول للجواري تقدموا حتى أصارعكم قبل أن يغيب القمر و يأتي الصباح فصارت كل واحدة منهن تتقدم اليها فتصرعها في الحال وتكتفها بزنارها فلم تزل تصارعهن وتصرعهن حتى صرعت الجميع ثم التفتت الى الجارية عجوز كانت بين يديها وقالت لها وهي كالمغضبة عليها يا فاجرة أتفرحين بصرعك للجواري فها أنا عجوز وقد صرعتهن أربعين مرة فكيف تعجبين بنفسك ولكن ان كان لك قوة على مصارعتي فصارعيني فان أردت ذلك وقمت لمصارعتي أقوم لك واجعل رأسك بين رجليك فتبسمت الجارية ظاهرا وقد امتلأت غيظا منها باطنا وقامت اليها وقالت لها يا سيدتي ذات الدواهي بحق المسيح اتصارعينني حقيقة أو تمزحين معي قالت لها بل أصارعك حقيقة * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السابعة والاربعون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما قالت لها أصارعك حقيقة قالت لها قومي للصراع ان كان لك قوة فلما سمعت العجوز منها اغتاظت غيظا شديدا وقام شعر بدنها كأنه شعر قنفذ وقامت لها الجارية فقالت لها العجوز وحق المسيح لم أصارعك الا وأنا عريانة يا فاجرة ثم ان العجوز أخذت منديل حرير بعد أن فكت لباسها وأدخلت يديها تحت ثيابها ونزعتها من فوق جسدها ولمت المنديل وشدته في وسطها فصارت كأنها عفريتة معطاء أو حية رقطاء ثم انحنت على الجارية وقالت لها افعلي كفعلي كل هذا وشركان ينظر اليهما ثم ان شركان صار يتأمل في تشويه صورة العجوز ويضحك ثم ان العجوز لما فعلت ذلك قامت الجارية على مهل وأخذت فوطة يمانية وثنتها مرتين وشمرت سراويلها فبان لها ساقان من المرمر وفوقهما كثيب من البلور ناعم مربرب وبطن يفوح المسك من أعكانه كأنه مصفح بشقائق النعمان وصدر فيه نهدان كفحلي رمان ثم انحنت عليها العجوز وتماسكا ببعضهما فرفع شركان رأسه الى السماء ودعا الله أن الجارية تغلب العجوز فدخلت الجارية تحت العجوز ووضعت يدها الشمال في شقتها ويدها اليمين في رقبتها مع حلقها ورفعتها على يديها فانفلتت العجوز من يديها وأرادت الخلاص فوقعت على ظهرها فارتفعت رجلاها الى فوق فبانت شعرتها في القمر ثم ضرطت ضرطتين عفرت احداهما في الارض ودخنت الاخرى في السماء فضحك شركان منهما حتى وقع على الارض ثم قام وسل حسامه والتفت يمينا وشمالا فلم ير أحدا غير العجوز مرمية على ظهرها فقال في نفسه ما كذب من سماك ذات الدواهي ثم تقرب منهما ليسمع ما يجري بينهما فاقبلت الجارية ورمت على العجوز ملاءة من حرير رفيعة وألبستها ثيابها واعتذرت اليها وقالت لها يا سيدتي ذات الدواهي ما أردت الا صرعك لا جميع ما حصل لك ولكن أنت انفلتت من بين يدي فالحمد لله على السلامة فلم ترد عليها جوابا وقامت تمشي من خجلها ولم تزل ماشية الى أن غابت عن البصر وصارت الجواري مكتفات مرميات والجارية واقفة وحدها فقال شركان في نفسه لكل رزق سبب ما غلب على النوم وسار بي الجواد الى هذا المكان الا لبختي فلعل هذه الجارية وما معها يكون غنيمة لي ثم ركب جواده ولكزه ففر به كالسهم اذا فر من القوس وبيده حسامه مجرد من غلافه ثم صاح الله أكبر فلما رأته الجارية نهضت قائمة وحطت قدميها على جانب النهر وكان عرضه ستة أذرع ووثبت فصارت على جانبه الآخر ثم قامت على رجليها ونادت برفيع صوتها من أنت يا هذا الآنك قطعت سرورنا وحين جردت حسامك صرت كأنك قد حملت في عساكر من أين أنت والى أين تذهب فاصدق في مقالك فان الصدق أنفع لك ولا تكذب فان الكذب من أخلاق اللئام ولا شك انك تهت في هذه الليلة عن الطريق حتى جئت الى هذا المكان الذي خلاصك فيه أكبر الغنيمات واعلم أنك في مرج لو صرخنا فيه صرخة واحدة لجاء الينا أربعة آلاف بطريق فقل لنا ما الذي تريد فان أردت أن نرشدك الى الطريق أرشدناك وان أردت الرفد أرفدناك فلما سمع شركان كلامها قال لها أنا رجل غريب من المسلمين وقد سرت في هذه الليلة منفردا بنفسي أطلب غنيمة أغتنمها فلم أجد غنيمة أحسن من هؤلاء الجواري العشرة في هذه الليلة المقمرة فآخذهم وأرجع بهم الى أصحابي فقالت له الجارية اعلم أن الغنيمة ما وصلت اليها والجواري والله ما هن غنيمتك أما قلت لك ان الكذب شين فقال لها ان السعيد الذي يكتفي

بالله عن غيره فقالت له وحق المسيح لولا اني أخاف أن يكون هلاكك على يدي لكنت فضحتك فضيحة تملأت عليك الأرض خيلا ورجالا ولكن أنا أشفق على الغريب وان أردت الغنيمة فانا أطلب منك أن تنزل عن جوادك وتحلف لي بدينك أنك لا تقرب الي بشيء من السلاح وأتصارع أنا وأنت فان صرعتني فضعني على جوادك وخذنا كلنا غنيمة وان صرعتك أتحكم فيك فاحلف لي فاني أخاف من غدرك وقد ورد في الاخبار اذا كان الغدر طباعا فالثقة بكل أحد عجز فان حلفت لي عديت اليك وأتيتك وجئت عندك فطمع شركان في أخذها وقال في نفسه انها لم تعرف اني بطل من الابطال ثم ناداها وقال لها حلفيني بما تثقين به أني لا أقربك بشيء حتى تأخذي أهبتك وتقولي ادن مني لاصارعك فحينئذ أتقرب منك فان صرعتني فان لي من المال ما أشتري به نفسي وان صرعتك أنا فهي الغنيمة الكبرى فقالت الجارية أنا رضيت بذلك فتحير شركان في ذلك قال وحق النبي صلى الله عليه وسلم رضيت أنا الآخر فقالت احلف الآن بمن ركب الارواح في الاجساد وشرع لنا الشرائع خلاف لها بما وثقت به من الايمان فرضيت بذلك ثم انها وثبت فصارت في الجانب الآخر من جانبي النهر وقالت لشركان وهي تضحك يعز علي فراقك يا مولاي اذهب الى أصحابك قبل الصباح لئلا تأتيك البطارقة فيأخذوك على أسنة الرماح وأنت ما فيك قوة لدفع النسوان فكيف تدفع الرجال الفرسان فتحير شركان في نفسه وقال لها وقد ولت عنه معرضة تقصد الدير يا سيدتي أتذهبين وتتركين المتيم الغريب المسكين الكسير القلب فالتفتت اليه وهي تضحك ثم قالت له ما حاجتك فاني أجيب دعوتك فقال كيف أطأ أرضك وأتحلى بحلاوة لطفك وأرجع بلا أكل من طعامك وقد صرت من بعض خدمك فقالت لا يأبى الكرامة الا لئيم تفضل بسم الله على الرأس والعين واركب جوادك وسر على جانب النهر مقابلي فانت في ضيافتي ففرح شركان وبادر الى جواده وركب وما زال ماشيا مقابلها وهي سائرة قبالته الى أن وصل الى جسر معمول باخشاب من الجوز وفيه بكر بسلاسل من البولاد وعليها أقفال في كلاليب فنظر شركان الى ذلك الجسر واذا بالجواري اللاتي كن معها في المصارعة قائمات ينظرن اليها فلما أقبلت عليهن كلمت جارية منهن بلسان الرومية وقالت لها قومي اليه وامسكي عنان جواده ثم سيري به الى الدير فسار شركان وهي قدامه الى أن عدى الجسر وقد اندهش عقله مما رأى وقال في نفسه يا ليت الوزير دندان كان معي في هذا المكان وتنظر عيناه الى تلك الجواري الحسان ثم التفت الى تلك الجارية وقال لها يا بديعة الجمال قد صار لي عليك الآن حرمتان حرمة الصحبة وحرمة مسيري الى منزلك وقبول ضيافتك وقد صرت تحت حكمك وفي عهدك فلو أنك تنعمين علي بالمسير الى بلاد الاسلام وتتفرجين على كل أسد ضرغام وتعرفين من أنا فلما سمعت كلامه اغتاظت منه وقالت له وحق المسيح لقد كنت عندي ذا عقل ورأي ولكني اطلعت الآن على ما في قلبك من الفساد وكيف يجوز لك أن تتكلم بكلمة تنسب فيها الى الخداع كيف أصنع هذا وأنا أعلم متى حصلت عند ملككم عمر النعمان لا أخلص منه لانه ما في قصوره مثلي ولو كان صاحب بغداد وخراسان وبنى له اثني عشر قصرا في كل قصر ثلثمائة وستون جارية على عدد أيام السنة والقصور عدد أشهر السنة وحصلت عنده ما تركني لان اعتقادكم انه يحل لكم التمتع بمثلي كما في كتبكم حيث قيل فيها أو ما ملكت أيمانكم فكيف تكلمني بهذا الكلام وأما قولك وتتفرجين على شجعان المسلمين فوحق المسيح انك قلت قولا غير صحيح فاني رأيت عسكركم لما استقبلتم أرضنا وبلادنا في هذين اليومين فلما أقبلتم لم أر تربيتكم تربية ملوك وانما رأيتكم طوائف مجتمعة وأما قولك تعرفين من أنا فانا لا أصنع معك جميلا لاجل اجلالك وانما أفعل ذلك لاجل الفخر ومثلك ما يقول لمثلي ذلك ولو كنت شركان ابن الملك عمر النعمان الذي ظهر في هذا المكان فقال شركان في نفسه لعلها عرفت قدوم العساكر وعرفت عدتهم وانهم عشرة آلاف فارس وعرفت أن والدي أرسلهم معي لنصرة ملك القسطنطينية ثم قال شركان يا سيدتي أقسمت عليك بمن تعتقدين من دينك أن تحدثيني بسبب ذلك حتى يظهر لي الصدق من الكذب ومن يكون عليه وبال ذلك فقالت له وحق ديني لولا اني خفت أن يشيع خبري من اني من بنات الروم لكنت خاطرت بنفسي وبارزت العشرة آلاف فارس وقتلت مقدمهم الوزير دندان وظفرت بفارسهم شركان وما كان علي من ذلك عار ولكنني قرأت الكتب وتعلمت الادب من

كلام العرب ولست أصف لك نفسي بالشجاعة مع انك رأيت مني العلامة والصناعة والقوة في الصراع والبراعة ولو حضر شركان مكانك في هذه الليلة وقيل له نط هذا النهر لاذعن واعترف بالعجز واني أسأل المسيح أن يرميه بين يدي في هذا الدير حتى أخرج له في صفة الرجال وآسره وأجعله في الاغلال * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿ فلما كانت الليلة الثامنة والاربعون ﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الصبية النصرانية لما قالت هذا الكلام لشركان وهو يسمعه أخذته النجوة والحمية وغيرة الابطال وأراد أن يظهر لها نفسه ويبطش بها ولكن رده عنها فرط جمالها وبديع حسنها فانشد هذا البيت

واذا المليح أتى بذنب واحد * جاءت محاسنه بألف شفيع

ثم صعدت وهو في أثرها فنظر شركان الى ظهر الجارية فرأى أردافها تتلاطم كالامواج في البحر الزجراج فانشد هذه الابيات

في وجهها شافع يمحو اساءتها * من القلوب وجيه حيثما شفعا
اذا تأملتها ناديت من عجب * البدر في ليلة الاكمال قد طلعا
لو أن عفريت بلقيس يصارعها * مع فرط قوته في ساعة صرعا

ولم يزالا سائرين حتى وصلا الى باب مقنطر وكانت قنطرته من رخام ففتحت الجارية الباب ودخلت ومعها شركان وسارا الى دهليز طويل مقبي على عشر قناطر معقودة وعلى كل قنطرة قنديل من البلور يشتعل كاشتعال الشمس فلقيتها الجواري في آخر الدهليز بالشموع المطيبة وعلى رؤسهن العصائب المزركشة بالفصوص من أصناف الجواهر وسارت وهن أمامها وشركان وراءها الى أن وصلوا الى الدير فوجد بدائر ذلك الدير أسرة متقابلة لبعضها وعليها ستور مكللة بالذهب وأرض الدير مفروشة بانواع الرخام المجزع وفي وسطه بركة ماء عليها أربع وعشرون قارورة من الذهب والماء يخرج منها كاللجين ورأى في الصدر سريرا مفروشا بالحرير الملوكي فقالت له الجارية اصعد يا مولاي على هذا السرير فصعد شركان فوق السرير وذهبت الجارية وغابت عنه فسأل عنها بعض الخدام فقالوا له انها ذهبت الى مرقدها ونحن نخدمك كما أمرت ثم انها قدمت اليه من غرائب الالوان فأكل حتى اكتفى ثم بعد ذلك قدمت اليه طشتا وابريقا من الذهب فغسل يديه وخاطره مشغول بعسكره لكونه لا يعلم ما جرى لهم بعده ويتذكر أيضا كيف نسي وصية أبيه فصار متحيرا في أمره نادما على ما فعل الى أن طلع الفجر وبان النهار وهو يتحسر على ما فعل وصار مستغرقا في الفكر وأنشد هذه الابيات

لم أعدم الحزم ولكنني * دهيت في الامر فما حيلتي * لو كان من يكشف عني الهوى
برئت من حولي ومن قوتي * وان قلبي في ضلال الهوى * صب وأرجو الله في شدتي

فلما فرغ من شعره رأى بهجة عظيمة قد أقبلت فنظر فاذا هو بأكثر من عشرين جارية كالاقمار حول تلك الجارية وهي بينهن كالبدر بين الكواكب وعليها ديباج ملوكي وفي وسطها زنار مرصع بانواع الجواهر وقد ضم خصرها وأبرز ردفها فصارا كأنهما كثيب بلور تحت قضيب من فضة ونهداها كفحلي رمان فلما نظر شركان ذلك كاد عقله أن يطير من الفرح ونسي عسكره ووزيره وتأمل رأسها فرأى عليها شبكة من اللؤلؤ مفصلة بانواع الجواهر والجواري عن يمينها ويسارها يرفعن أذيالها وهي تتمايل عجبا فعند ذلك وثب شركان قائما على قدميه من هيبة حسنها وجمالها فصاح واحيرتاه من هذا الزنار وأنشد هذه الابيات

ثقيلة الارداف مائلة * خرعوبة ناعمة النهد * تكتمت ما عندها من جوى
ولست أكتم الذي عندي * خدامها يمشين من خلفها * كالقيل في حل وفي عقد

ثم ان الجارية جعلت تنظر اليه زمانا طويلا وتكرر فيه النظر الى أن حققته وعرفته فقالت له بعد أن أقبلت عليه قد أشرق بك المكان يا شركان كيف كانت ليلتك يا همام بعد ما مضينا وتركناك ثم قالت له ان الكذب عند الملوك منقصة وعار ولا سيما عند أكابر الملوك وأنت شركان بن عمر النعمان فلا تنكر نفسك وحسبك ولا تكتم أمرك عني ولا تسمعني بعد ذلك غير الصدق فان الكذب يورث البغض والعداوة فقد نفذ فيك سهم القضا

فعليك بالتسليم والرضا فلما سمع كلامها لم يمكنه الانكار فاخبرها بالصدق وقال لها أنا شركان بن عمر النعمان الذي عذبني الزمان وأوقعني في هذا المكان فمهما شئت فافعليه الآن فاطرقت برأسها الى الارض زمانا طويلا ثم التفتت اليه وقالت له طب نفسا وقر عينا فانك ضيفي وصار بيننا وبينك خبز وملح وحديث ومؤانسة فانت في ذمتي وفي عهدي فكن آمنا وحق المسيح لو أراد أهل الارض أن يؤذوك لما وصلوا اليك الا ان خرجت روحي من أجلك فانت في أمان المسيح وأماني وجلست الى جانبه فصارت تلاعبه الى أن زال ما عنده من الخوف وعلم انها لو كان لها أرب في قتله لقتلته في الليلة الماضية ثم انها كلمت جارية بلسان الرومية فغابت ساعة ثم رجعت اليها ومعها آلة مدام ومائدة طعام فتوقف شركان عن الاكل وقال في نفسه ربما وضعت شيأ في ذلك الطعام فعرفت ما في ضميره فالتفتت اليه وقالت وحق المسيح ليس الامر كذلك وهذا الطعام ليس فيه شيء من الذي تتوهمه ولو كان خاطري في قتلك لقتلتك في هذا الوقت ثم تقدمت الى المائدة وأكلت من كل لون لقمة فعند ذلك أكل شركان ففرحت الجارية وأكلت معه الى ان اكتفيا وبعد أن غسلا أيديهما قامت وأمرت جارية أن تأتي بالرياحين وآلات الشراب من أواني الذهب والفضة والبلور وأن يكون الشراب من سائر الالوان المختلفة والانواع النفيسة فأتتها بجميع ما طلبته ثم ان الجارية ملأت أولا القدح وشربته قبله كما فعلت في الطعام ثم ملأت ثانيا وأعطته اياه فشرب فقالت له يا مسلم انظر كيف أنت في ألذ عيش ومسرة ولم تزل تشرب معه الى أن غاب عن رشده * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة التاسعة والاربعون) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية ما زالت تشرب وتسقي شركان الى أن غاب عن رشده من الشراب ومن سكر محبتها ثم انها قالت الجارية يا مرجانة هاتي لنا شيأ من آلات الطرب فقالت سمعا وطاعة ثم غابت لحظة وأتت بعود جلقي وجنك عجمي وناي تتري وقانون مصري فاخذت الجارية العود وأصلحته وشدت أوتاره وغنت عليه بصوت رخيم أرق من النسيم وأعذب من ماء التسنيم وأنشدت مطربة بهذه الابيات

عفا الله عن عينيك كم سفكت دما * وكم فوقت منك اللواحظ أسهما
أجل حبيبا جائرا في حبيبه * حرام عليه أن يرق ويرحما
هنيئا لطرف فيك أمسى مسهدا * وطوبى لقلب ظل فيك متيما
تحكمت في قتلي فانك مالكي * بروحي أفدي الحاكم المتحكما

ثم قامت واحدة من الجواري ومعها آلتها وأنشدت عليها أبياتا بلسان الرومية فطرب شركان ثم غنت الجارية سيدتهن أيضا وقالت يا مسلم أما فهمت ما أقول قال لا ولكن ما طربت الا على حسن أناملك فضحكت وقالت له ان غنيت لك بالعربية ماذا تصنع فقال ما كنت أتمالك عقلي فأخذت آلة الطرب وغيرت الضرب وأنشدت هذه الابيات

طعم التفرق مر * فهل لذلك صبر
تعرضت لي ثلاث * صد وبين وهجر
أهوى ظريفا سباني * بالحسن والهجر مر

فلما فرغت من شعرها نظرت الى شركان فوجدته قد غاب عن وجوده ولم يزل مطروحا بينهن ممدودا ساعة ثم أفاق وتذكر الغناء فمال طربا ثم ان الجارية أقبلت هي وشركان على الشراب ولم يزالا في لعب ولهو الى ان ولى النهار بالرواح ونشر الليل الجناح فقامت الى مرقدها فسأل شركان عنها فقالوا له انها مضت الى مرقدها فقال في رعاية الله وحفظه فلما أصبح الصباح أقبلت عليه الجارية وقالت له ان سيدتي تدعوك اليها فقام معها وسار خلفها فلما قرب من مكانها زفته الجواري بالدفوف والمغاني الى أن وصل الى باب كبير من العاج مرصع بالدر والجوهر فلما دخلوا منه وجد دارا كبيرة أيضا وفي صدرها ايوان كبير مفروش بانواع الحرير وبدائر ذلك الايوان شبابيك مفتحة مطلة على أشجار وأنهار وفي البيت صور مجسمة يدخل فيها الهواء فتتحرك في جوفها آلات فيخيل للناظر أنها تتكلم والجارية جالسة تنظر اليهم فلما نظرته الجارية نهضت قائمة اليه وأخذت يده وأجلسته بجانبها وسألته عن مبيته فدعا لها ثم جلسا يتحدثان فقالت له أتعرف شيأ مما يتعلق بالعاشقين والمتيمين فقال نعم أعرف شيأ من الاشعار فقالت أسمعني فانشد هذه الابيات

لا لا أبوح بحب عزة انها * أخذت علي مواثقا وعهودا * رهبان مدين والذين عهدتهم

يبكون من حذر العذاب قعودا * لو يسمعون كما سمعت حديثها * خروا لعزة ركعا وسجودا

فلما سمعته قالت لقد كان كثير باهر الفصاحة بارع البلاغة لانه بالغ في وصفه لعزة حيث قال وأنشدت هذين البيتين

لو أن عزة حاكمت شمس الضحى * في الحسن عند موفق لقضى لها
وسعى الي بعيب عزة نسوة * جعل الاله خدودهن نعالها

ثم قالت وقيل ان عزة كانت في نهاية الحسن والجمال ثم قالت له يا ابن الملك ان كنت تعرف شيأ من كلام جميل فأنشدنا منه قال اني أعرف به من كل أحد ثم أنشد من شعر جميل هذا البيت

تريدين قتلي لا تريدين غيره * ولست أرى قصدا سواك أريد

فلما سمعت ذلك قالت له أحسنت يا ابن الملك ما الذي أرادته عزة بجميل حتى قال هذا الشطر أي * تريدين قتلي لا تريدين غيره * فقال لها شركان يا سيدتي لقد أرادت به ما تريدين مني ولا يرضيك فضحكت لما قال لها شركان هذا الكلام ولم يزالا يشربان الى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار فقامت الجارية وذهبت الى مرقدها ونامت ونام شركان في مرقده الى أن أصبح الصبح فلما أفاق أقبلت عليه الجواري بالدفوف وآلات الطرب على العادة وقبلن الارض بين يديه وقلن له تفضل فان سيدتنا تدعوك الى الحضور عندها فقام شركان ومشى والجواري حوله يضربن بالدفوف والآلات الى أن خرج من تلك الدار ودخل دارا غيرها أعظم من الدار الاولى وفيها من التماثيل وصور الطيور والوحوش مالا يوصف فتعجب شركان مما رأى من صنع ذلك المكان فانشد هذه الابيات

أجني رقيبي من ثمار قلائد * در النحور منضدا بالعسجد
وعيون ماء من سبائك فضة * وخدود ورد في وجوه زبرجد
فكأنما لون البنفسج قد حكى * زرق العيون وكحلت بالاثمد

فلما رأت الجارية شركان قامت له وأخذت يده وأجلسته الى جانبها وقالت له أنت ابن الملك عمر بن النعمان فهل تحسن لعب الشطرنج فقال نعم ولكن لا تكوني كما قال الشاعر

أقول والوجد يطويني وينشرني * ونهلة من رضاب الحب ترويني
حضرت شطرنج من أهوى فلاعبني * بالبيض والسود لكن ليس يرضيني
كأنما الشاه عند الرخ موضعه * وقد تفقد دستا بالفرازين
فان نظرت الى معنى لواحظها * فان ألحاظها يا قوم ترديني

ثم قدمت له الشطرنج ولعبت معه فصار شركان كلما أراد أن ينظر الى نقلها نظر الى وجهها فيضع الفرس موضع الفيل ويضع الفيل موضع الفرس فضحكت وقالت ان كان لعبك هكذا فانت لا تعرف شيأ فقال هذا أول دست لا تحسبيه فلما غلبته رجع وصف القطع ولعب معها فغلبته ثانيا وثالثا ورابعا وخامسا ثم التفتت اليه وقالت له أنت في كل شئ مغلوب فقال يا سيدتي مع مثلك يحسن أن أكون مغلوبا ثم أمرت باحضار الطعام فاكلا وغسلا أيديهما وأمرت باحضار الشراب فشربا وبعد ذلك أخذت القانون وكان لها بضرب القانون معرفة جيدة فانشدت هذه الابيات

الدهر ما بين مطوي ومبسوط * ومثله مثل مجرور ومخروط
فاشرب على حسنه ان كنت مقتدرا * أن لا تفارقني في وسعه تفريط

ثم انهما لم يزالا على ذلك الى أن دخل الليل فكان ذلك اليوم أحسن من اليوم الذي قبله فلما أقبل الليل مضت الجارية الى مرقدها وانصرف شركان الى موضعه فنام الى الصباح ثم أقبلت عليه الجواري بالدفوف وآلات الطرب وأخذنه على العادة الى أن وصلوا الى الجارية فلما رأته نهضت قائمة وأمسكته من يده وأجلسته بجانبها وسألته عن مبيته فدعا لها بطول البقاء ثم أخذت العود وأنشدت هذين البيتين

لا تركنن الى الفرا * ق فانه مر المذاق
الشمس عند غروبها * تصفر من ألم الفراق

فبينما هما على هذه الحالة واذا هما بضجة فالتفتا فرأيا رجالا وشبانا مقبلين وغالبهم بطارقة وبأيديهم السيوف مسلولة تلمع وهم يقولون بلسان الرومية وقعت عندنا يا شركان فأيقن بالهلاك فلما سمع شركان هذا الكلام قال في نفسه لعل هذه الجارية الجميلة خدعتني وأمهلتني الى أن جاءت رجالها وهم البطارقة الذين خوفتني بهم ولكن أنا الذي جنيت على نفسي وألقيتها في الهلاك ثم التفت الى الجارية ليعاتبها فوجد وجهها قد تغير

بالاصفرار ثم وثبت على قدميها وهي تقول لهم من أنتم فقال لها البطريق المقدم عليهم أيتها الملكة الكريمة والدرة اليتيمة أما تعرفين الذي عندك من هو قالت له لا أعرفه فمن هو فقال لها هذا مخرب البلدان وسيد الفرسان هذا شركان ابن الملك عمر النعمان هذا الذي فتح القلاع وملك كل حصن مناع وقد وصل خبره الى الملك حردوب والدك من العجوز ذات الدواهي وتحقق ذلك والدك ملكنا نقلا عن العجوز وها أنت قد نصرت عسكر الروم بأخذ هذا الاسد المشؤم فلما سمعت كلام البطريق نظرت اليه وقالت له ما اسمك قال لها اسمي ماسورة بن عبدك موسورة ابن كاشردة بطريق البطارقة قالت له وكيف دخلت علي بغير اذني فقال لها يا مولاتي اني لما وصلت الى الباب ما منعني حاجب ولا بواب بل قام جميع البوابين ومشوا بين أيدينا كما جرت به العادة انه اذا جاء أحد غيرنا يتركونه واقفا على الباب حتى يستأذنوا عليه بالدخول وليس هذا وقت اطالة الكلام والملك منتظر رجوعنا اليه بهذا الملك الذي هو شرارة جمرة عسكر الاسلام لاجل أن يقتله ويرحل عسكره الى الموضع الذي جاؤا منه من غير أن يحصل لنا تعب في قتالهم فلما سمعت الجارية منه هذا الكلام قالت له ان هذا الكلام غير حسن ولكن قد كذبت العجوز ذات الدواهي فانها قد تكلمت بكلام باطل لا تعلم حقيقته وحق المسيح ان الذي عندي ما هو شركان ولا أسرته ولكنه رجل أتى الينا وقدم علينا وطلب الضيافة فأضفناه فان تحققنا انه شركان بعينه وثبت عندنا انه هو من غير شك فلا يليق بمروءتي أني أمكنكم منه لانه دخل تحت عهدي وذمتي فلا تخونوني في ضيفي ولا تفضحوني بين الانام بل ارجع أنت الى الملك أبي وقبل الارض بين يديه وأخبره بأن الامر بخلاف ما قالته العجوز ذات الدواهي فقال البطريق ماسورة يا ابريزة أنا ما أقدر أن أعود الى الملك الا بغريمه فقالت له وقد اغتاظت ويلك ما يخصك بهذا الكلام ارجع أنت اليه بالجواب ولا عليك ملام فقال لها ماسورة لا أعود الا به فتغير لونها وقالت له لا تكثر الكلام والهذيان فان هذا الرجل ما دخل الينا الا وهو واثق من نفسه أنه يحمل على مائة فارس وحده ولو قلت له أنت شركان بن عمر النعمان يقول نعم ولكن لا يمكنكم أن تتعرضوا له فان تعرضتم له لا يرجع عنكم الا ان قتل جميع من كان في هذا المكان وها هو عندي وها أنا أحضره بين أيديكم وسيفه وترسه معه فقال لها البطريق ماسورة أنا اذا أمنت من غضبك لم آمن من غضب أبيك واني اذا رأيته أشير الى البطارقة فانهم يأخذونه أسيرا ويمضون به الى الملك حقيرا فلما سمعت هذا الكلام قالت لا كان هذا الامر فانه عنوان السفه لان هذا رجل واحد وأنتم مائة بطريق فاذا أردتم مصادمته فابرزوا له واحدا بعد واحد ليظهر عند الملك من هو البطل منكم * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الموفية للخمسين) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملكة ابريزة قالت للبطريق هذا رجل واحد وأنتم مائة بطريق فاذا أردتم مصادمته فابرزوا له واحدا بعد واحد ليظهر عند الملك من هو البطل منكم فقال البطريق ماسورة وحق المسيح لقد قلت الحق ولكن ما يخرج له أولا غيري فقالت له الجارية اصبر حتى أذهب اليه وأعرفه بحقيقة الامر وأنظر ما عنده من الجواب فان أجاب فالامر كذلك وان أبى فلا سبيل لكم اليه وأكون أنا ومن في الدير وجواري فداءه ثم أقبلت على شركان وأخبرته بما كان فتبسم وعلم انها لم تخبر أحدا بأمره وانما شاع خبره حتى وصل الى الملك بغير ارادتها فرجع باللوم على نفسه وقال كيف رميت روحي في بلاد الروم ثم انه لما سمع كلام الجارية قال لها ان برزهم الي واحدا بعد واحد اجحاف بهم فهلا يبرزون لي عشرة بعد عشرة وبعد ذلك وثب على قدميه وسار الى أن أقبل عليهم وكان معه سيفه وآلة حربه فلما رآه البطريق وثب اليه وحمل عليه فقابله شركان كأنه الاسد وضربه بالسيف على عاتقه فخرج السيف يلمع من أمعائه فلما نظرت الجارية ذلك عظم قدر شركان عندها وعرفت انها لم تصرعه حين صرعته بقوتها بل بحسنها وجمالها ثم ان الجارية أقبلت على البطارقة وقالت لهم خذوا بثار صاحبكم فخرج له أخو المقتول وكان جبارا عنيدا فحمل على شركان فلم يمهله شركان دون أن ضربه بالسيف على عاتقه فخرج السيف يلمع من أمعائه فعند ذلك نادت الجارية وقالت يا عباد المسيح خذوا بثار صاحبكم فلم يزالوا يبرزون اليه واحدا بعد واحد وشركان يلعب فيهم بسيفه حتى قتل منهم خمسين بطريقا والجارية

تنظر اليهم وقد قذف الله الرعب فى قلوب من بقى منهم وقد تأخروا عن البراز ولم يجسروا على البراز اليه بل حملوا عليه حملة واحدة بأجمعهم وحمل عليهم بقلب أقوى من الحجر الى أن طحنهم طحن الدروس وسلب منهم العقول والنفوس فصاحت الجارية على جواريها وقالت لهن من بقى فى الدير فقلن لها لم يبق أحد الا البوابين ثم ان الملكة لاقته وأخذته بالأحضان وطلع شركان معها الى القصر بعد فراغه من الحرب وكان بقى منهم قليل كامن له فى زوايا الدير فلما نظرت الجارية الى ذلك القليل قامت من عند شركان ثم رجعت اليه وعليها زردية ضيقة العيون وبيدها صارم مهند وقالت وحق المسيح لم أبخل بنفسى على ضيفى ولا أتخلى عنه ولم أبق بسبب ذلك معيرة فى بلاد الروم ثم انها تأملت البطارقة فوجدتهم قد قتل منهم ثمانون وانهزم منهم عشرون فلما نظرت الى ما صنع بالقوم قالت له بمثلك تفتخر الفرسان فلله درك يا شركان ثم انه قام بعد ذلك يمسح سيفه من دم القتلى وينشد هذه الابيات

وكم من فرقة فى الحرب جاءت * تركت كماتهم طعم السباع
سلوا عنى اذا شئتم نزالى * جميع الخلق فى يوم القراع
تركت ليوثهم فى الحرب صرعى * على الرمضاء فى تلك البقاع

فلما فرغ من شعره أقبلت عليه الجارية متبسمة وقبلت يده وقلعت الدرع الذى كان عليها فقال لها يا سيدتى لأى شئ لبست الدرع الزرد وشهرت حسامك قالت حرصا عليك من هؤلاء اللئام ثم ان الجارية دعت البوابين وقالت لهم كيف تركتم أصحاب الملك يدخلون منزلى بغير اذنى فقالوا لها أيتها الملكة ما جرت العادة أننا نحتاج الى استئذان منك على رسل الملك خصوصا البطريق الكبير فقالت لهم أظنكم ما أردتم الا هتكى وقتل ضيفى ثم أمرت شركان أن يضرب رقابهم فضرب رقابهم وقالت لباقى خدامها انهم يستحقون أكثر من ذلك ثم التفتت لشركان وقالت له الآن ظهر لك ما كان خافيا فها أنا أعلمك بقصتى اعلم أنى بنت ملك الروم حردوب واسمى ابريزة والعجوز التى تسمى ذات الدواهى جدتى أم أبى وهى التى أعلمت أبى بك ولا بد أنها تدبر حيلة فى هلاكى خصوصا وقد قتلت بطارقة أبى وشاع أنى قد تحزبت مع المسلمين فالرأى السديد أنى أترك الاقامة هنا ما دامت ذات الدواهى خلفى ولكن أريد منك أن تفعل معى مثل ما فعلت معك من الجميل فان العداوة قد وقعت بينى وبين أبى فلا تترك من كلامى شيأ فان هذا كله ما وقع الا من أجلك فلما سمع شركان هذا الكلام طار عقله من الفرح واتسع صدره وانشرح وقال والله لا يصل اليك أحد ما دامت روحى فى جسدى ولكن هل لك صبر على فراق والدك وأهلك قالت نعم فحلفها شركان وتعاهدا على ذلك فقالت الآن طاب قلبى ولكن بقى عليك شرط آخر فقال وما هو فقالت له انك ترجع بعسكرك الى بلادك فقال لها يا سيدتى ان أبى عمر النعمان ان أرسلنى الى قتال والدك بسبب المال الذى أخذه ومن جملته الثلاث خرزات الكثيرة البركات فقالت له طب نفسا وقر عينا فها أنا أحدثك بحديثها وأخبرك بسبب معاداتنا لملك القسطنطينية وذلك أن لنا عيدا يقال له عيد الدير كل سنة تجتمع فيه الملوك من جميع الاقطار وبنات الاكابر والتجار ويقعدون فيه سبعة أيام وأنا من جملتهم فلما وقعت بيننا العداوة منعنى أبى من حضور ذلك العيد مدة سبع سنين فاتفق فى سنة من السنين ان بنات الاكابر من سائر الجهات قد جاءت من أماكنها الى الدير فى ذلك العيد على العادة ومن جملة من جاء اليه بنت ملك القسطنطينية وكان يقال لها صفية فأقاموا فى الدير ستة أيام وفى اليوم السابع انصرفت الناس فقالت صفية أنا ما أرجع الى القسطنطينية الا فى البحر فجهزوا لها مركبا فنزلت فيها هى وخواصها فلما حلوا القلوع وساروا فبينما هم سائرون واذا بريح قد خرج عليهم فأخرج المركب عن طريقها وكان هناك بالقضاء والقدر مركب نصارى من جزيرة الكافور وفيها خمسمائة أفرنجى ومعهم العدة والسلاح وكان لهم مدة فى البحر فلما لاح لهم قلع المركب التى فيها صفية ومن معها من البنات انقضوا عليها مسرعين فما كان غير ساعة حتى وصلوا الى تلك المركب ووضعوا فيها الكلاليب وجروها وحلوا قلوعهم وقصدوا جزيرتهم فما بعدوا غير قليل حتى انعكس عليهم الريح فجذبهم الى شعب بعد ان مزق قلوع مركبهم وقربهم منا فخرجنا فرأيناهم غنيمة قد انساقت الينا فأخذناهم وقتلناهم واغتنمنا ما معهم من الاموال والتحف وكان فى مركبهم أربعون جارية ومن جملتهن صفية بنت الملك فأخذنا الجوارى وقدمناها الى أبى

ونحن لانعرف أن من جملتهن ابنة الملك أفريدون ملك القسطنطينية فاختار أبي منهن عشر جوار وفيهن ابنة الملك وفرق الباقي على حاشيته ثم عزل خمسة فيهن ابنة الملك من العشر جواري وأرسل تلك الخمسة هدية الى والدك عمر النعمان مع شيء من الجوخ ومن قماش الصوف ومن القماش الحرير الرومي فقبل الهدية أبوك واختار من الخمس الجواري صفية بنت الملك أفريدون فلما كان أول هذا العام أرسل أبوها الى والدي مكتوبا فيه كلام لاينبغي ذكره وصاح يهدده في ذلك المكتوب ويوبخه ويقول له انكم اخذتم مركبنا من منذ سنتين وكانت في يد جماعة لصوص من الافرنج ومن جملة مافيها بنتي صفية ومعها من الجواري نحو ستين جارية ولم ترسلوا الى أحدا يخبرني بذلك وأنا لا أقدر أن أظهر خبرها خوفا أن يكون في حقي عارا عند الملوك من أجل هتك ابنتي فكتمت أمري الى هذا العام والذي بين لي ذلك أنني كاتبت هؤلاء اللصوص وسألتهم عن خبر ابنتي وأكدت عليهم أن يفتشوا عليها ويخبروني عند أي ملك هي من ملوك الجزائر فقالوا والله ماخرجنا بها من بلادك ثم قال في المكتوب الذي كتبه لوالدي ان لم يكن مرادكم معاداتي ولا فضيحتي ولا هتك ابنتي فساعة وصول كتابي اليكم ترسلوا الى ابنتي من عندكم وان أهملتم كتابي وعصيتم أمري فلابد أن أكافئكم على قبيح أفعالكم وسوء أعمالكم فلما وصلت هذه المكاتبة الى أبي وقرأها وفهم مافيها شق عليه ذلك وندم حيث لم يعرف أن صفية بنت الملك في تلك الجواري ليردها الى والدها فصار متحيرا في أمره ولم يمكنه بعد هذه المدة المستطيلة أن يرسل الى الملك عمر بن النعمان ويطلبها منه ولاسيما وقد سمعنا من مدة يسيرة أنه رزق من جاريته التي يقال لها صفية بنت الملك أفريدون أولادا فلما تحققنا ذلك علمنا أن هذه الورطة هي المصيبة العظمى ولم يكن لأبي حيلة غير انه كتب جوابا للملك أفريدون يعتذر اليه فيه ويحلف له بالاقسام أنه لايعلم ان ابنته من جملة الجواري التي كانت في تلك المركب ثم أظهره على انه أرسلها الى الملك عمر النعمان وانه رزق منها أولادا فلما وصلت رسالة أبي الى أفريدون ملك القسطنطينية قام وقعد وأرغى وأزبد وقال كيف تكون ابنتي مسبية بصفة الجواري وتتداولها أيدي الملوك ويطؤنها بلا عقد ثم قال وحق المسيح والدين الصحيح انه لايمكنني أن أتقاعد عن هذا الامر دون أن آخذ الثار وأكشف العار فلابد أن أفعل فعلا يتحدث به الناس من بعدي ومازال صابرا الى أن عمل الحيلة ونصب مكايد عظيمة وأرسل رسلا الى والدك عمر النعمان وذكر له ماسمعت من الاقوال حتى جهزك والدك بالعساكر التي معك من أجلها وصيرك اليه حتى يقبض عليك أنت ومن معك من عساكرك وأما الثلاث خرزات التي أخبر والدك بها في مكتوبه فليس لذلك صحة وانما كانت مع صفية ابنته وأخذها أبي منها حين استولى عليها هي والجواري التي معها ثم وهبها لي وهي الآن عندي فاذهب أنت الى عسكرك وردهم قبل أن يتوغلوا في بلاد الافرنج والروم فانكم اذا توغلتم في بلادهم يضيقون عليكم الطرق ولم يكن لكم خلاص من أيديهم الى يوم الجزاء والقصاص وأنا أعرف أن الجيوش مقيمون في مكانهم لانك أمرتهم بالاقامة ثلاثة أيام مع أنهم فقدوك في هذه المدة ولم يعلموا ماذا يفعلون فلما سمع شركان هذا الكلام صار مشغول الفكر بالاوهام ثم انه قبل يد الملكة ابريزة وقال الحمد لله الذي من علي بك وجعلك سببا لسلامتي وسلامة من معي ولكن يعز علي فراقك ولا أعلم مايجري عليك بعدي فقالت له اذهب أنت الآن الى عسكرك وردهم وان كانت الرسل عندهم فاقبض عليهم حتى يظهر لكم الخبر وأنتم بالقرب من بلادكم وبعد ثلاثة أيام أنا ألحقكم وماتدخلون بغداد الا وأنا معكم فندخل كلنا سواء فلما أراد الانصراف قالت له لاتنس العهد الذي بيني وبينك ثم انها نهضت قائمة معه لاجل التوديع والعناق واطفاء نار الاشواق وبكت بكاء يذيب الاحجار وأرسلت الدموع كالامطار فلما رأى منها ذلك البكاء والدموع اشتد به الوجد والولوع ونزع في الوداع دمع العين وأنشد هذين البيتين

ودعتها وبدي اليمين لادمعي * وبدي اليسار لضمة وعناق

قالت أماتخشى الفضيحة قلت لا * يوم الوداع فضيحة المشاق

ثم فارقها شركان ونزل من الدير وقدموا له جواده فركب وخرج متوجها الى الجسر فلما وصل اليه مر من فوقه ودخل بين تلك الاشجار فلما تخلص من الاشجار ومشى في ذلك المرج واذا هو بثلاثة فوارس فأخذ لنفسه الحذر منهم

وشهر سيفه وانحدر فلما قربوا منه ونظر بعضهم بعضا عرفوه وعرفهم ووجدوا أحدهم الوزير دندان ومعه أميران وعندما عرفوه ترجلوا له وسلموا عليه وسأله الوزير دندان عن سبب غيابه فأخبره بجميع ما جرى له من الملكة ابريزة من أوله الى آخره فحمد الله تعالى على ذلك ثم قال شركان ارحلوا بنا من هذه البلاد لان الرسل الذين جاؤا معنا ارحلوا من عندنا اليعلموا ملكهم بقدومنا فربما أسرعوا الينا وقبضوا علينا ثم نادى شركان في عسكره بالرحيل فرحلوا كلهم ولم يزلوا سائرين مجدين في السير حتى وصلوا الى سطح الوادي وكانت الرسل قد توجهوا الى ملكهم وأخبروه بقدوم شركان فجهز اليه عسكرا ليقبضوا عليه وعلى من معه هذا ما كان من أمر الرسل وملكهم (وأما) ما كان من أمر شركان فانه سافر بعسكره مدة خمسة وعشرين يوما حتى أشرفوا على أوائل بلادهم فلما وصلوا هناك أمنوا على أنفسهم ونزلوا لاخذ الراحة فخرج اليهم أهل تلك البلاد بالضيافات وعليق البهائم ثم أقاموا يومين ورحلوا طالبين ديارهم وتأخر شركان بعدهم في مائة فارس وجعل الوزير دندان أميرا على من معه من الجيش فسار الوزير دندان بمن معه مسيرة يوم ثم بعد ذلك ركب شركان هو والمائة فارس الذين معه وساروا مقدار فرسخين حتى وصلوا الى محل مضيق بين جبلين واذا أمامهم غبرة وعجاج فمنعوا خيولهم من السير مقدار ساعة حتى انكشف الغبار وبان من تحته مائة فارس ليوث عوابس وفي الحديد والزرد غواطس فلما أن قربوا من شركان ومن معه صاحوا عليهم وقالوا وحق يوحنا ومريم انا قد بلغنا ما أملناه ونحن خلفكم مجدون السير ليلا ونهارا حتى سبقناكم الى هذا المكان فانزلوا عن خيولكم واعطونا أسلحتكم وسلموا لنا أنفسكم حتى نجود عليكم بأرواحكم فلما سمع شركان ذلك الكلام لاحت عيناه واحمرت وجنتاه وقال لهم يا كلاب النصارى كيف تجاسرتم علينا وجئتم بلادنا ومشيتم في أرضنا وما كفاكم ذلك حتى تخاطبونا بهذا الخطاب أظننتم أنكم تخلصون من أيدينا وتعودون الى بلادكم ثم صاح على المائة فارس الذين معه وقال لهم دونكم هؤلاء الكلاب فانهم في عددكم ثم سل سيفه وحمل عليهم وحملت معه المائة فارس فاستقبلهم الافرنج بقلوب أقوى من الصخر واصطدمت الرجال بالرجال ووقعت الابطال في الابطال والتحم القتال واشتد النزال وعظمت الاهوال وقد بطل القيل والقال ولم يزالوا في الحرب والكفاح والضرب بالصفاح الى ان ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار فانفصلوا عن بعضهم واجتمع شركان بأصحابه فلم يجد أحدا منهم جرح وما غير أربعة أنفس حصل لهم جراحات سليمة فقال لهم شركان أنا عمري أخوض بحر الحرب العجاج المتلاطم من السيوف بالامواج وأقاتل الرجال فوالله ما لقيت أصبر على الجلاد وملاقاة الرجال مثل هؤلاء الابطال فقالوا له اعلم أيها الملك ان فيهم فارسا افرنجيا وهو المقدم عليهم له شجاعة وطعنات نافذات غير أن كل من وقع منا بين يديه يتغافل عنه ولا يقتله فوالله لو أراد قتلنا لقتلنا بأجمعنا فتحير شركان لما سمع ذلك المقال وقال في غد نصطف ونبارزهم فها نحن مائة وهم مائة ونطلب النصر عليهم من رب السماء وباتوا تلك الليلة على ذلك الاتفاق وأما الافرنج فانهم اجتمعوا عند مقدمهم وقالوا له اننا ما بلغنا اليوم في هؤلاء أربا فقال لهم في غد نصطف ونبارزهم واحدا بعد واحد فباتوا على ذلك الاتفاق أيضا فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وطلعت الشمس على رؤس الروابي والبطاح وسلمت على محمد زين الملاح ركب الملك شركان وركب معه المائة فارس وأتوا الى الميدان كلهم فوجدوا الافرنج قد اصطفوا للقتال فقال شركان لاصحابه ان أعداءنا قد اصطفوا فدونكم والمبادرة اليهم فنادى مناد من الافرنج لا يكون قتالنا في هذا اليوم الا مناوبة بأن يبرز بطل منكم الى بطل منا فعند ذلك برز فارس من أصحاب شركان وساق بين الصفين وقال هل من مبارز هل من مناجز لا يبرز لي اليوم كسلان ولا عاجز فلم يتم كلامه حتى برز اليه فارس من الافرنج غريق في سلاحه وقماشه من ذهب وهو راكب على جواد أشهب وذلك الافرنجي لا نبات بعارضيه فساق جواده حتى وقف في وسط الميدان وصادمه بالضرب والطعان فلم يكن غير ساعة حتى طعنه الافرنجي بالرمح فنكسه عن جواده وأخذه أسيرا وقاده حقيرا ففرح به قومه ومنعوه أن يخرج الى الميدان وأخرجوا غيره وقد خرج اليه من المسلمين آخر وهو أخو الاسير ووقف معه في الميدان وحمل الاثنان على بعضهما ساعة يسيرة ثم كر الافرنجي على المسلم وغالطه وطعنه بعقب الرمح

فنكسه عن جواده وأخذه أسيرا ومازال يخرج اليهم من المسلمين واحد بعد واحد والافرنجي يأسرونهم الى أن ولى
النهار وأقبل الليل بالاعتكار وقد أسروا من المسلمين عشرين فارسا فلما عاين شركان ذلك عظم عليه الامر
فجمع أصحابه وقال لهم ماهذا الامر الذى حل بنا أنا أخرج في غد الى الميدان وأطلب براز الافرنجي المقدم عليهم
وانظر ما الذى حمله على أن يدخل بلادنا وأحذره من قتالنا فان أبى قاتلناه وان صالح صالحناه وباتوا على هذا
الحال الى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ثم ركب الطائفتان واصطفت الفريقان فلما خرج شركان
الى الميدان رأى الافرنج قد ترجل منهم أكثر من نصفهم قدام فارس منهم ومشوا قدامه الى أن صار وافى وسط
الميدان فتأمل شركان ذلك الفارس فرآه الفارس المقدم عليهم وهو لابس قباء من أطلس أزرق ووجهه فيه
كالبدر اذا أشرق ومن فوقه زردية ضيقة العيون وبيده سيف مهند وهو راكب على جواد أدهم في وجهه غرة
كالدرهم وذلك الافرنجي لا نبات بعارضيه ثم انه لكز جواده حتى صار في وسط الميدان وأشار الى المسلمين
وهو يقول بلسان عربي فصيح ياشركان يا ابن عمر النعمان الذى ملك الحصون والبلدان دونك والحرب
والطعان وابرز الى من قد ناصفك في الميدان فانت سيد قومك وأنا سيد قومي فمن غلب منا صاحبه أخذه هو
وقومه تحت طاعته فما استتم كلامه حتى برز له شركان وقلبه من الغيظ ملآن وساق جواده حتى دنا من
الافرنجي في الميدان فكر عليه الافرنجي كالاسد الغضبان وصدمه صدمة الفرسان وأخذا في الطعن والضرب
وصارا في حومة الميدان كانهما جبلان يصطدمان أو بحران يلتطمان ولم يزالا في قتال وحرب ونزال من أول
النهار الى أن أقبل الليل بالاعتكار ثم انفصل كل منهما من صاحبه وعاد الى قومه فلما اجتمع شركان باصحابه قال لهم
مارأيت مثل هذا الفارس قط الا انى رأيت منه خصلة لم أرها من أحد غيره وهو انه اذا لاح له في خصمه مضرب
قاتل يقلب الرمح ويضرب به بعقبه ولكن ما أدرى ماذا يكون مني ومنه ومرادى أن يكون في عسكرنا مثله ومثل
أصحابه وبات شركان فلما أصبح الصباح خرج له الافرنجي ونزل في وسط الميدان وأقبل عليه شركان ثم أخذا في
القتال وأوسعا في الحرب والمجال وامتدت اليهما الاعناق ولم يزالا في حرب وكفاح وطعن بالرماح الى ان ولى
النهار وأقبل الليل بالاعتكار ثم افترقا ورجعا الى قومهما وصار كل منهما يحكى لاصحابه مالاقاه من صاحبه ثم
ان الافرنجي قال لاصحابه في غد يكون الانفصال وباتوا تلك الليلة الى الصباح ثم ركب الاثنان وحملا على بعضهما
ولم يزالا في الحرب الى نصف النهار وبعد ذلك عمل الافرنجي حيلة ولكز جواده ثم جذبه باللجام فعثر به ورماه
فانكب عليه شركان وأراد أن يضربه بالسيف خوفا أن يطول به المطال فصاح به الافرنجي وقال ياشركان
ماهكذا تكون الفرسان انما هو فعل المغلوب بالنسوان فلما سمع شركان من ذلك الفارس هذا الكلام رفع
طرفه اليه وأمعن النظر فيه فوجدها الملكة ابريزة التى وقع له معها ما وقع في الدير فلما عرفها رمى السيف من
يده وقبل الارض بين يديها وقال لها ما حملك على هذه الفعال فقالت له أردت ان اختبرك في الميدان وانظر
ثباتك في الحرب والطعان وهؤلاء الذين معي كلهم جوارى وكلهن بنات أبكار وقد قهرن فرسانك في حومة
الميدان ولولا أن جوادى قد عثر بي لكنت ترى قوتى وجلادى فتبسم شركان من قولها وقال لها الحمد لله على
السلامة وعلى اجتماعي بك ياملكة الزمان ثم ان الملكة ابريزة صاحت على جواريها وأمرتهن بالرحيل بعد
أن يطلقن العشرين أسيرا الذين كن أسرنهن من قوم شركان فامتثلت الجوارى أمرها ثم قبلن الارض بين يديها
فقال لهن مثلكن من يكون عند الملوك مدخرا للشدائد ثم انه أشار الى أصحابه ان يسلموا عليها فترجلوا
جميعا وقبلوا الارض بين يدى الملكة ابريزة ثم ركب المائتا فارس وساروا في الليل والنهار مدة ستة أيام وبعد
ذلك أقبلوا على الديار فامر شركان الملكة ابريزة وجواريها ان ينزعن ما عليهن من لباس الافرنج * وادرك شهر
زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الحادية والخمسون)

قالت بلغني أيها الملك السعيد ان شركان أمر الملكة ابريزة وجواريها ان ينزعن ما عليهن من الثياب وأن
يلبسن لباس بنات الروم ففعلن ذلك ثم انه أرسل جماعة من أصحابه الى بغداد ليعلم والده عمر النعمان بقدومه
ويخبره ان الملكة ابريزة بنت ملك الروم جاءت صحبته لاجل ان يرسل موكبا لملاقاتهم ثم انهم نزلوا من وقتهم وساعتهم

في المكان الذي وصلوا اليه وباتوا به الى الصباح فلما أصبح الصباح ركب الملك شركان هو ومن معه وركبت أيضا
الملكة ابريزة هي ومن معها واستقبلوا المدينة واذا بالوزير دندان قد أقبل في ألف فارس من أجل ملاقاة
الملكة ابريزة هي وشركان وكان خروجه باشارة الملك عمر النعمان كما أرسل اليه ولده شركان فلما قربوا منهما
توجهوا اليهما وقبلوا الارض بين أيديهما ثم ركبا وركبوا معهما وصاروا في خدمتهما حتى وصلا الى المدينة
وطلعا قصر الملك ودخل شركان على والده فقام اليه واعتنقه وسأله عن الخبر فأخبره بما قالته الملكة ابريزة
وما اتفق له معها وكيف فارقت مملكتها وفارقت أباها وقال له انها اختارت الرحيل معنا والقعود عندنا
وان ملك القسطنطينية أراد أن يعمل لنا حيلة من أجل صفية بنته لان ملك الروم قد أخبره بحكايتها وبسبب
اهدائها اليك وان ملك الروم ما كان يعرف انها ابنة الملك أفريدون ملك القسطنطينية ولو كان يعرف ذلك
ما كان أهداها اليك بل كان يردها الى والدها ثم قال شركان لوالده وما خلصنا من هذه الحيل والمكايد الا
ابريزة بنت ملك القسطنطينية وما رأينا أشجع منها ثم انه شرع يحكي لأبيه ما وقع له معها من أوله الى آخره من
أمر المصارعة والمبارزة فلما سمع الملك عمر النعمان من ولده شركان ذلك الكلام عظمت ابريزة عنده وصار يتمنى
أنه يراها ثم انه طلبها لاجل أن يسألها فعند ذلك ذهب شركان اليها وقال لها ان الملك يدعوك فأجابت بالسمع
والطاعة فأخذها شركان وأتى بها الى والده وكان والده قاعدا على كرسيه وأخرج من كان عنده ولم يبق عنده
غير الخدم فلما دخلت الجارية ابريزة على الملك عمر النعمان قبلت الارض بين يديه وتكلمت بأحسن الكلام
فتعجب الملك من فصاحتها وشكرها على ما فعلت مع ولده شركان وأمرها بالجلوس فجلست وكشفت عن وجهها
فلما رآها الملك حيل بينه وبين عقله ثم انه قربها اليه وأدناها منه وأفرد لها قصرا مختصا بها وبجواريها ورتب
لها ولجواريها الرواتب ثم أخذ يسألها عن تلك الخرزات الثلاث التي تقدم ذكرها سابقا فقالت له ان تلك
الخرزات معي يا ملك الزمان ثم انها قامت ومضت الى محلها وفتحت صندوقا وأخرجت منه علبة وأخرجت من
العلبة حقا من الذهب وفتحته وأخرجت منه تلك الخرزات الثلاث ثم قبلتها وناولتها للملك وانصرفت فأخذت
قلبه معها وبعد انصرافها أرسل الى ولده شركان فحضر فأعطاه خرزة من الثلاث خرزات فسأله عن الاثنين
الأخريين فقال يا ولدي قد أعطيت منهما واحدة لأخيك ضوء المكان والثانية لأختك نزهة الزمان فلما سمع
شركان أن له أخا يسمى ضوء المكان وما كان يعرف الا أخته نزهة الزمان التفت الى والده الملك عمر النعمان وقال
له يا والدي ألك ولد غيري قال نعم وعمره الآن ست سنين ثم أعلمه أن اسمه ضوء المكان وأخته نزهة الزمان وانهما
ولدا في بطن واحد فصعب عليه ذلك ولكنه كتم سره وقال لوالده على بركة الله تعالى ثم رمى الخرزة من يده
ونفض أثوابه فقال له الملك مالي أراك قد تغيرت أحوالك لما سمعت هذا الخبر مع انك صاحب المملكة من بعدي
وقد عاهدت أمراء الدولة على ذلك وهذه خرزة لك من الثلاث خرزات فاطرق شركان برأسه الى الارض
واستحى ان يكافح والده ثم قام وهو لا يعلم كيف يصنع من شدة الغيظ ومازال ماشيا حتى دخل قصر الملكة ابريزة
فلما أقبل عليها نهضت اليه قائمة وشكرته على فعاله ودعت له ولوالده وجلست وأجلسته في جانبها فلما استقر به
الجلوس رأت في وجهه الغيظ فسألته عن حاله وما سبب غيظه فأخبرها أن والده الملك عمر النعمان رزق من
صفية ولدين ذكرا وأنثى وسمى الولد ضوء المكان والانثى نزهة الزمان وقال لها انه أعطاهما خرزتين وأعطاني
واحدة فتركتها وأنا الى الآن لم أعلم بذلك الا في هذا الوقت فخنقني الغيظ وقد أخبرتك بسبب غيظي ولم أخف
عنك شيأ وأخشى عليك أن يتزوجك فاني رأيت منه علامة الطمع في أنه يتزوج بك فما تقولين أنت في ذلك
فقالت اعلم يا شركان أن أباك ماله حكم علي ولا يقدر أن يأخذني بغير رضاي وان كان يأخذني غصبا قتلت روحي
وأما الثلاث خرزات فما كان على بالي أنه ينعم على أحد من أولاده بشئ منها وما ظننت الا انه يجعلها في خزائنه
مع ذخائره ولكن اشتهي من احسانك أن تهب لي الخرزة التي كان أعطاها لك والدك ان قبلتها منه فقال لها
سمعا وطاعة ثم قالت له لا تخف وتحدثت معه ساعة وقالت له اني أخاف ان يسمع أبي أني عندكم فيسعى في طلبي
ويتفق هو والملك أفريدون من أجل ابنته صفية فيأتيان اليكم بعساكر وتكون ضجة عظيمة فلما سمع شركان

ذلك قال لها يا مولاتي اذا كنت راضية بالاقامة عندنا لا تفكري فيهم فلو اجتمع علينا كل من في البر والبحر لغلبناهم فقالت ما يكون الا الخير وها أنتم ان أحسنتم الي قعدت عندكم وان أسأتم وني رحلت من عندكم ثم انها أمرت الجواري باحضار شيء من الاكل فقدمن المائدة فأكل شركان شيأ يسيرا ومضى الى داره مهموما مغموما هذا ما كان من أمر شركان (وأما) ما كان من أمر أبيه عمر النعمان فانه بعد انصراف ولده شركان من عنده قام ودخل على جاريته صفية ومعه تلك الخرزات فلما رأته نهضت قائمة على قدميها الى أن جلس فاقبل عليه ولداه ضوء المكان ونزهة الزمان فلما رآهما قبلهما وعلق على كل واحد منهما خرزة ففرحا بالخرزتين وقبلا يديه وأقبلا على أمهما ففرحت بهما ودعت للملك بطول الدوام فقال لها الملك يا صفية حيث انك ابنة الملك أفريدون ملك القسطنطينية لاي شيء لم تعلميني لاجل أن أزيد في اكرامك ورفع منزلتك فلما سمعت صفية ذلك قالت أيها الملك وماذا أريد أكثر من هذا زيادة على هذه المنزلة التي أنا فيها فانا مغمورة بانعامك وخيرك وقد رزقني الله منك بولدين ذكرا وأنثى فاعجب الملك عمر النعمان كلامها واستظرف عذوبة ألفاظها ودقة فهمها وظرف أدبها ومعرفتها ثم انه مضى من عندها وأفرد لها ولاولادها قصرا عجيبا ورتب لهم الخدم والحشم والفقهاء والحكماء والفلكية والاطباء والجرائحية وأوصاهم بهم وزاد في رواتبهم وأحسن اليهم غاية الاحسان ثم رجع الى قصر المملكة والمحاكمة بين الناس هذا ما كان من أمره مع صفية وأولادها (وأما) ما كان من أمره مع الملكة ابريزة فانه اشتغل بحبها وصار ليلا ونهارا مشغوفا بها وفي كل ليلة يدخل اليها ويتحدث عندها ويلوح لها بالكلام فلم ترد له جوابا بل تقول يا ملك الزمان أنا في هذا الوقت ما لي غرض في الرجال فلما رأى تمنعها منه اشتد به الغرام وزاد عليه الوجد والهيام فلما أعياه ذلك أحضر وزيره دندان وأطلعه على ما في قلبه من محبة الملكة ابريزة ابنة الملك حردوب وأخبره أنها لا تدخل في طاعته وقد قتله حبها ولم ينل منها شيأ فلما سمع الوزير دندان ذلك قال للملك اذا جن الليل فخذ معك قطعة بنج مقدار مثقال وادخل عليها واشرب معها شيأ من الخمر فاذا كان وقت الفراغ من الشراب والمنادمة فاعطها القدح الاخير واجعل فيه ذلك البنج واسقها اياه فانها ما تصل الى مرقدها الا وقد تحكم عليها البنج فتبلغ غرضك منها وهذا ما عندي من الرأي فقال له الملك نعم ما أشرت به علي ثم انه عمد الى خزائنه وأخرج منها قطعة بنج بكر لو شمه الفيل لرقد من السنة الى السنة ثم انه وضعها في جيبه وصبر الى أن مضى قليل من الليل ودخل على الملكة ابريزة في قصرها فلما رأته نهضت اليه قائمة فاذن لها بالجلوس فجلست وجلس عندها وصار يتحدث معها في أمر الشراب فقدمت سفرة الشراب وصفت له الاواني وأوقدت الشموع وأمرت باحضار النقل والفاكهة وكل ما يحتاجان اليه وصار يشرب معها وينادمها الى أن دب السكر في رأس الملكة ابريزة فلما علم الملك النعمان ذلك أخرج القطعة البنج من جيبه وجعلها بين أصابعه وملأ كاسا بيده وشربه وملأ ثانيا وأسقط القطعة البنج فيه وهي لا تشعر بذلك ثم قال لها خذي اشربي هذا فاخذته الملكة ابريزة وشربته فما كان الا دون ساعة حتى تحكم البنج عليها وسلب ادراكها فقام اليها فوجدها ملقاة على ظهرها وقد كانت قلعت السراويل من رجليها ورفع الهواء ذيل قميصها عنها فلما دخل عليها الملك ورآها على تلك الحالة ووجد عند رأسها شمعة وعند رجليها شمعة تضيء على ما بين فخذيها حيل بينه وبين عقله ووسوس له الشيطان فما تمالك نفسه حتى قلع سراويله ووقع عليها وأزال بكارتها وقام من فوقها ودخل الى جارية من جواريها يقال لها مرجانة وقال لها ادخلي على سيدتك وكلميها فدخلت الجارية على سيدتها فوجدت دمها يجري على سيقانها وهي ملقاة على ظهرها فمدت يدها الى منديل من مناديلها وأصلحت به شأن سيدتها ومسحت عنها ذلك الدم فلما أصبح الصباح تقدمت الجارية مرجانة وغسلت وجه سيدتها ويديها ورجليها ثم جاءت بماء الورد وغسلت وجهها وفمها فعند ذلك عطست الملكة ابريزة وتقايأت ذلك البنج فنزلت القطعة البنج من باطنها كالقرص ثم انها غسلت فمها ويديها وقالت لمرجانة اعلميني بما كان من أمري فاخبرتها أنها رأتها ملقاة على ظهرها ودمها سائل على فخذيها فعرفت أن الملك عمر النعمان قد وقع بها وواصلها وتمت حيلته عليها فاغتمت لذلك غما شديدا وحجبت نفسها وقالت لجواريها امنعوا كل من أراد أن يدخل علي وقولوا له انها ضعيفة حتى أنظر ماذا يفعل الله بي فعند ذلك وصل الخبر الى الملك النعمان

بأن الملكة ابريزة ضعيفة فصار يرسل اليها الاشربة والسكر والمعاجين وأقامت على ذلك شهورا وهى محجوبة ثم ان الملك قد بردت ناره وانطفأ شوقه اليها وصبر عنها وكانت قد علقت منه فلما مرت عليها أشهر وظهر الحمل وكبرت بطنها ضاقت بها الدنيا فقالت لجاريتها مرجانة اعلمي أن القوم ما ظلموني وانما أنا الجانية على نفسي حيث فارقت أبي وأمي ومملكتي وأنا قد كرهت الحياة وضعفت همتي ولم يبق عندي من الهمة ولا من القوة شئ وكنت اذا ركبت جوادي أقدر عليه وأنا الآن لا أقدر على الركوب ومتى ولدت عندهم صرت معيرة عند جواري وكل من في القصر يعلم أنه أزال بكارتي سفاحا واذا رجعت لأبي بأى وجه ألقاه وبأى وجه أرجع اليه وما أحسن قول الشاعر

بم التعلل لا أهل ولا وطن * ولا نديم ولا كاس ولا سكن

فقالت لها مرجانة الأمر أمرك وأنا في طوعك فقالت أريد اليوم أن أخرج سرا بحيث لا يعلم بي أحد غيرك وأسافر الى أبي وأمي فان اللحم اذا أنتن ماله الا أهله والله يفعل بي ما يريد فقالت لها نعم ما تفعلين أيتها الملكة ثم انها جهزت أحوالها وكتمت سرها وصبرت أياما حتى خرج الملك للصيد والقنص وخرج ولده شركان الى القلاع ليقيم بها مدة من الزمان فاقبلت ابريزة على جاريتها مرجانة وقالت لها أريد أن أسافر في هذه الليلة ولكن كيف أصنع في المقادير وقد قرب أوان الطلق والولادة وان قعدت خمسة أيام أو أربعة وضعت هنا ولم اقدر أن أروح بلادي وهذا ما كان مكتوبا على جبيني ومقدرا علي في الغيب ثم تفكرت ساعة وبعد ذلك قالت لمرجانة أنظري لنا رجلا يسافر معنا ويخدمنا في الطريق فانه ليس لي قوة على حمل السلاح فقالت مرجانة والله يا سيدتي ما أعرف غير عبد أسود اسمه الغضبان وهو من عبيد الملك عمر النعمان وهو شجاع ملازم لباب قصرنا فان الملك أمره أن يخدمنا وقد غمرناه باحساننا فها أنا أخرج اليه وأكلمه في شأن هذا الامر وأعده بشئ من المال وأقول له اذا أردت المقام عندنا أزوجك بمن شئت وكان قد ذكر لي قبل اليوم أنه كان يقطع الطريق فان هو وافقنا بلغنا مرادنا ووصلنا الى بلادنا فقالت لها هاتيه عندي حتى أحدثه فخرجت له مرجانة وقالت له يا غضبان قد أسعدك الله ان قبلت من سيدتك ما تقوله لك من الكلام ثم أخذت بيده وأقبلت به على سيدتها فلما رآها قبل يديها فحين رأته نفر قلبها منه لكنها قالت في نفسها ان الضرورة لها أحكام وأقبلت عليه تحدثه وقلبها نافر منه وقالت له يا غضبان هل فيك مساعدة لنا على غدرات الزمان واذا أظهرتك على أمري تكون كاتما له فلما نظر العبد اليها ورأى حسنها ملكت قلبه وعشقها لوقته وقال لها يا سيدتي ان أمرتيني بشئ لا أخرج عنه فقالت له أريد منك في هذه الساعة أن تأخذني وتأخذ جاريتي هذه وتشد لنا راحلتين وفرسين من خيل الملك وتضع على كل فرس خرجا من المال وشيأ من الزاد وترحل معنا الى بلادنا وان أقمت عندنا زوجناك من تختارها من جواري وان طلبت الرجوع الى بلادك أعطيناك ما تحب ثم ترجع الى بلادك بعد أن تأخذ ما يكفيك من المال فلما سمع الغضبان ذلك الكلام فرح فرحا شديدا وقال يا سيدتي اني أخدمكما بعيوني وأمضي معكما وأشد لكما الخيل ثم مضى وهو فرحان وقال في نفسه قد بلغت ما أريد منهما وان لم يطاوعاني قتلتهما وأخذت ما معهما من المال وأضمر ذلك في سره ثم مضى وعاد ومعه راحلتان وثلاث من الخيل وهو راكب احداهن وأقبل على الملكة ابريزة وقدم اليها فرسا فركبتها وهي متوجعة من الطلق ولا تملك نفسها من كثرة الوجع وركبت مرجانة فرسا ثم سافر بهما الليل والنهار حتى وصلوا بين الجبال وبقي بينها وبين بلادها يوم واحد فجاءها الطلق فما قدرت أن تمسك نفسها على الفرس فقالت للغضبان أنزلني فقد لحقني الطلق وقالت لمرجانة انزلي واقعدي تحتي وولديني فعند ذلك نزلت مرجانة من فوق فرسها ونزل الغضبان من فوق فرسه وشد لجام الفرسين ونزلت الملكة ابريزة من فوق فرسها وهي غائبة عن الدنيا من شدة الطلق وحين رآها الغضبان نزلت على الارض وقف الشيطان في وجهه فشهر حسامه في وجهها وقال يا سيدتي ارحميني بوصلك فلما سمعت مقالته التفتت اليه وقالت له ما بقي علي الا العبيد السود بعدما كنت لا أرضى بالملوك الصناديد * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثانية والخمسون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الملكة ابريزة لما قالت للعبد الذي هو

الغضبان ما بقي على الا العبيد السود ثم صارت تبكته وأظهرت له الغيظ وقالت له ويلك ما هذا الكلام الذي تقوله لي فلا تتكلم بشيء من هذا في حضرتي واعلم انني لا أرضى بشيء مما قلته ولو سقيت كاس الردى ولكن اصبر حتى أصلح الجنين وأصلح شأني وأرمي الخلاص ثم بعد ذلك ان قدرت على فافعل بي ما تريد وان لم تترك فاحش الكلام في هذا الوقت فاني أقتل نفسي بيدي وأفارق الدنيا وأرتاح من هذا كله ثم أنشدت هذه الابيات

أيا غضبان دعني قد كفاني * مكابدة الحوادث والزمان
عن الفحشاء ربي قد نهاني * وقال النار مثوى من عصاني
واني لا أميل بفعل سوء * بعين النقص دعني لا تراني
ولو لم تترك الفحشاء عني * وترعى حرمتي فيمن رعاني
لاصرخ طاقتي لرحال قومي * وأجلب كل قاص او داني
ولو قطعت بالسيف اليماني * لما خليت فحاشا يراني
من الاحرار والكبراء طرا * فكيف العبد من نسل الزواني

فلما سمع الغضبان ذلك الشعر غضب غضبا شديدا واحمرت مقلته واغبرت سحنته وانتفخت مناخره وامتدت مشافره وزادت به النفرات وأنشد هذه الابيات

أيا ابريزة لا تتركيني * قتيل هواك باللحظ اليماني
فقلبي قد تقطع من جفاكي * وجسمي ناحل والصبر فاني
ولفظك قد سبي الالباب سحرا * فعقلي نازح والشوق داني
ولو أجلبت ملء الارض جيشا * لابلغ ما أريد في ذا الزمان

فلما سمعت ابريزة كلامه بكت بكاء شديدا وقالت له ويلك يا غضبان وهل بلغ من قدرك أن تخاطبني بهذا الخطاب يا ولد الزنا وتربية الخنا أتحسب أن الناس كلهم سواء فلما سمع ذلك العبد النحس هذا الكلام غضب منها غضبا شديدا وتقدم اليها وضربها بالسيف فقتلها وساق جوادها قدامه بعد أن أخذ المال وفر بنفسه الى الجبال هذا ما كان من أمر الغضبان ﴿وأما﴾ ما كان من أمر الملكة ابريزة فانها صارت طريحة على الارض وكان الولد الذي ولدته ذكرا فحملته مرجانة في حجرها وصرخت صرخة عظيمة وشقت أثوابها وصارت تحثو التراب على رأسها وتلطم على خدها حتى طلع الدم من وجهها وقالت واخيبتاه كيف قتل سيدتي عبد اسود لا قيمة له بعد فروسيتها فبينما هي تبكي واذا هي بغبار قد ثار حتى سد الاقطار ولما انكشف ذلك الغبار بان من تحته عسكر جرار وكانت تلك العساكر عساكر ملك الروم والد الملكة ابريزة وسبب ذلك انه لما سمع ان ابنته هربت هي وجواريها الى بغداد وانها عند الملك عمر النعمان خرج بمن معه يتشمم الاخبار من بعض المسافرين ان كانوا رأوها عند الملك عمر النعمان فخرج بمن معه ليسأل المسافرين من أين أتوا لعله يعلم بخبر ابنته وكان رأى على بعد هؤلاء الثلاثة ابنته والعبد الغضبان وجاريتها مرجانة فقصدهم ليسألهم فلما قصدهم خاف العبد على نفسه بسبب قتلها فنجا بنفسه فلما أقبلوا عليها رآها أبوها مرمية على الارض وجاريتها تبكي عليها فرمى نفسه من فوق جواده ووقع في الارض مغشيا عليه فترجل كل من كان معه من الفرسان والامراء والوزراء وضربوا الخيام في الجبال ونصبوا قبة للملك حردوب ووقف أرباب الدولة خارج تلك القبة فلما رأت مرجانة سيدها عرفته وزادت في البكاء والنحيب فلما أفاق الملك من غشيته سألها عن الخبر فاخبرته بالقصة وقالت له ان الذي قتل ابنتك عبد أسود من عبيد الملك عمر النعمان وأخبرته بما فعله الملك عمر النعمان بابنته فلما سمع الملك حردوب ذلك الكلام اسودت الدنيا في وجهه وبكى بكاء شديدا ثم أمر باحضار محفة وحمل بنته فيها ومضى الى قيسارية وأدخلوها القصر ثم ان الملك حردوب دخل على أمه ذات الدواهي وقال لها أهكذا يفعل المسلمون ببنتي فان الملك عمر النعمان أزال بكارتها قهرا وبعد ذلك قتلها عبد اسود من عبيده فوحق المسيح لا بد من أخذ ثار بنتي وكشف العار عن عرضي والا قتلت نفسي بيدي ثم بكى بكاء شديدا فقالت له أمه ذات الدواهي ما قتل ابنتك الا مرجانة لانها كانت تكرهها في الباطن ثم قالت لولدها لا تحزن من أخذ ثارها فوحق المسيح لا أرجع عن الملك عمر النعمان حتى اقتله وأقتل أولاده ولاعملن معه عملا تعجز عنه الدهاة والابطال ويتحدث به المتحدثون في جميع الاقطار ولكن

ينبغي لك أن تمتثل أمري في كل ما أقوله وأنت تبلغ ما تريد فقال لها وحق المسيح لا أخالفك أبدا فيما تقولينه قالت له ائتني بجوار نهد أبكار وائتني بحكماء الزمان وأجزل لهم العطايا وأمرهم أن يعلموا الجواري الحكمة والادب وخطاب الملوك ومنادمتهم والاشعار وان يتكلموا بالحكمة والمواعظ ويكون الحكماء مسلمين لاجل أن يعلموهن أخبار العرب وتواريخ الخلفاء وأخبار من سلف من ملوك الاسلام ولو أقمنا على ذلك عشرة أعوام وطول روحك واصبر فان بعض الاعراب يقول ان أخذ الثار بعد أربعين عاما مدته قليلة ونحن اذا علمنا تلك الجواري بلغنا من عدونا ما نختار لانه مفتون بحب الجواري وعنده ثلثمائة جارية وست وستون جارية وازددن مائة جارية من خواص جواريك التي كن مع المرحومة فاذا تعلم الجواري ما أخبرتك به من العلوم فاني آخذهم بعد ذلك وأسافر بهم فلما سمع الملك حردوب كلام أمه ذات الدواهي فرح فرحا شديدا وقبل رأسها ثم أرسل من وقته وساعته المسافرين والقصاد الى أطراف البلاد ليأتوا اليه بالحكماء من المسلمين فامتثلوا أمره وسافروا الى بلاد بعيدة وأتوه بما طلبه من الحكماء والعلماء فلما حضروا بين يديه أكرمهم غاية الاكرام وخلع عليهم الخلع ورتب لهم الرواتب والجرايات ووعدهم بالمال الجزيل اذا فعلوا ما أمرهم به ثم أحضر لهم الجواري *وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الثالثة والخمسون) * قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العلماء والحكماء لما حضروا عند الملك حردوب أكرمهم اكراما زائدا وأحضر الجواري بين أيديهم وأوصاهم أن يعلموهن الحكمة والادب فامتثلوا أمره هذا ما كان من أمر الملك حردوب * (وأما) * ما كان من أمر الملك عمر النعمان فانه لما عاد من الصيد والقنص وطلع القصر طلب الملكة ابريزة فلم يجدها ولم يخبره أحد عنها فعظم عليه ذلك وقال كيف تخرج هذه الجارية من القصر ولم تعلم بها أحد فان كانت مملكتي على هذا الامر فانها ضائعة المصلحة ولا ضابط لها فما بقيت أخرج الى الصيد والقنص حتى أرسل الى الابواب من يتوكل بها واشتد حزنه وضاق صدره لفراق الملكة ابريزة فبينما هو كذلك واذا بولده شركان قد أتى من سفره فاعلمه والده بذلك وأخبره أنها هربت وهو في الصيد والقنص فاغتم شركان لذلك غما شديدا ثم ان الملك صار يتفقد أولاده كل يوم ويكرمهم وكان قد أحضر العلماء والحكماء ليعلموهم العلم ورتب لهم الرواتب فلما رأى شركان ذلك الامر غضب غضبا شديدا وحسد اخوته على ذلك الى أن ظهر أثر الغيظ في وجهه ولم يزل متمرضا بسبب هذا الامر فقال له والده يوما من الايام مالي أراك تزداد ضعفا في جسمك واصفرارا في لونك فقال له شركان يا والدي كلما رأيتك تقرب اخوتي وتحسن اليهم يحصل عندي حسد وأخاف أن يزيد بي الحسد فاقتلهم وتقتلني أنت بسببهم اذا أنا قتلتهم فمرض جسمي وتغير لوني بسبب ذلك ولكن أنا أشتهي من احسانك أن تعطيني قلعة من القلاع حتى أتيم بها بقية عمري فان صاحب المثل يقول بعدي عن حبيبي أجمل لي وأحسن عين لا تنظر وقلب لا يحزن ثم أطرق برأسه الى الارض فلما سمع الملك عمر النعمان كلامه عرف سبب ما هو فيه من التغير فأخذ بخاطره وقال له يا ولدي اني أجيبك الى ما تريد وليس في ملكي أكبر من قلعة دمشق فقد ملكتك اياها من هذا الوقت ثم أحضر الموقعين في الوقت والساعة وأمرهم بكتابة تقليد ولده شركان ولاية دمشق الشام فكتبوا له ذلك وجهزوه وأخذ الوزير دندان معه وأوصاه بالمملكة والسياسة وقلده أموره ثم ودعه والده وودعته الامراء وأكابر الدولة وسار بالعسكر حتى وصل الى دمشق فلما وصل اليها دق له أهلها الكاسات وصاحوا بالبوقات وزينوا المدينة وقابلوه بموكب عظيم سار فيه أهل الميمنة ميمنة وأهل الميسرة ميسرة هذا ما كان من أمر شركان * (وأما) * ما كان من أمر والده عمر النعمان فانه بعد سفر ولده شركان أقبل عليه الحكماء وقالوا له يا مولانا ان أولادك تعلموا العلم والحكمة والادب فعند ذلك فرح الملك عمر النعمان فرحا شديدا وأنعم على جميع الحكماء حيث رأى ضوء المكان كبر وترعرع وركب الخيل وصار له من العمر أربع عشرة سنة وطلع مشتغلا بالدين والعبادة محبا للفقراء وأهل العلم والقرآن وصار أهل بغداد يحبونه نساء ورجالا الى أن طاف ببغداد محمل العراق من أجل الحج وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأى ضوء المكان موكب المحمل اشتاق الى الحج فدخل على والده وقال له اني أتيت اليك لاستأذنك في أن أحج فمنعه من ذلك وقال له اصبر

الى العام القابل وأنا أتوجه الى الحج وآخذك معي فلما رأى الامر يطول عليه دخل على أخته نزهة الزمان فوجدها قائمة تصلي فلما قضت الصلاة قال لها اني قد قتلني الشوق الى حج بيت الله الحرام وزيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام واستأذنت والدي فمنعني من ذلك فالمقصود ان آخذ شيأ من المال وأخرج الى الحج سرا ولا أعلم أبي بذلك فقالت له أخته بالله عليك أن تأخذني معك ولا تحرمني من زيارة النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها اذا جن الظلام فأخرجي من هذا المكان ولا تعلمي أحدا بذلك فلما كان نصف الليل قامت نزهة الزمان وأخذت شيأ من المال ولبست لباس الرجال وكانت قد بلغت من العمر مثل عمر ضوء المكان ومشت متوجهة الى باب القصر فوجدت أخاها ضوء المكان قد جهز الجمال فركب وأركبها وسارا ليلا واختلطا بالحجيج ومشيا الى أن صارا في وسط الحجاج العراقيين ومازالا سائرين وكتب الله لهما السلامة حتى دخلا مكة المشرفة ووقفا بعرفات وقضيا مناسك الحج ثم توجها الى زيارة النبي صلى الله عليه وسلم فزاراه وبعد ذلك أرادا الرجوع مع الحجاج الى بلادهما فقال ضوء المكان لاخته يا أختي أريد أن أزور بيت المقدس والخليل ابراهيم عليه الصلاة والسلام فقالت له وأنا كذلك واتفقا على ذلك ثم خرج واكترى له ولها مع المقادسة وجهزا حالهما وتوجها مع الركب فحصل لاخته في تلك الليلة حمى باردة فتشوشت ثم شفيت وتشوش الآخر فصارت تلاطفه في ضعفه ولم يزالا سائرين الى أن دخلا بيت المقدس واشتد المرض على ضوء المكان ثم انهما نزلا في خان هناك واكتريا لهما فيه حجرة واستقرا فيها ولم يزل المرض يتزايد على ضوء المكان حتى أنحله وغاب عن الدنيا فاغتمت لذلك أخته نزهة الزمان وقالت لا حول ولا قوة الا بالله هذا حكم الله ثم انها قعدت هي وأخوها في ذلك المكان وقد زاد به الضعف وهي تخدمه وتنفق عليه وعلى نفسها حتى فرغ ما معها من المال وافتقرت ولم يبق معها دينار ولا درهم فأرسلت صبي الخان الى السوق بشئ من قماشها فباعه وانفقته على أخيها ثم باعت شيأ آخر ولم تزل تبيع من أمتعتها شيأ فشيأ حتى لم يبق لها غير حصير مقطعة فبكت وقالت لله الامر من قبل ومن بعد ثم قال لها أخوها يا أختي اني قد أحسست بالعافية وفي خاطري شئ من اللحم المشوي فقالت له أخته والله يا أخي ما لي وجه للسؤال ولكن غدا أدخل بيت أحد من الاكابر وأخدم وأعمل بشئ نقتات به أنا وأنت ثم تفكرت ساعة وقالت اني لا يهون علي فراقك وأنت في هذه الحالة ولكن لابد من طلب المعاش قهرا عني فقال لها أخوها أبعد العز تصبحين ذليلة فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم بكى وبكت وقالت له يا أخي نحن غرباء وقد أقمنا هنا سنة كاملة ما دق علينا الباب أحد فهل نموت من الجوع فليس عندي من الرأي الا اني أخرج وأخدم وآتيك بشئ نقتات به الى أن تبرأ من مرضك ثم نسافر الى بلادنا ومكثت تبكي ساعة ثم بعد ذلك قامت نزهة الزمان وغطت رأسها بقطعة عباءة من ثياب الجمالين كان صاحبها نسيها عندها وقبلت رأس أخيها وغطته وخرجت من عنده وهي تبكي ولم تعلم أين تمضي ومازال أخوها ينتظرها الى أن قرب وقت العشاء ولم تأت فمكث بعد ذلك وهو ينتظرها الى أن طلع النهار فلم تعد اليه ولم يزل على هذه الحالة يومين فعظم ذلك عنده وارتجف قلبه عليها واشتد به الجوع فخرج من الحجرة وصاح على صبي الخان وقال له أريد أن تحملني الى السوق فحمله وألقاه في السوق فاجتمع عليه أهل القدس وبكوا عليه لما رأوه على تلك الحالة وأشار اليهم بطلب شئ يأكله فجاؤا له من التجار الذين في السوق ببعض دراهم واشتروا له شيأ وأطعموه اياه ثم حملوه ووضعوه على دكان وفرشوا له قطعة برش ووضعوا عند رأسه ابريقا فلما أقبل الليل انصرف عنه كل الناس وهم حاملون همه فلما كان نصف الليل تذكر أخته فازداد به الضعف وامتنع من الاكل والشرب وغاب عن الوجود فقام أهل السوق وأخذوا له من التجار ثلاثين درهما واكتروا له جملا وقالوا للجمال احمل هذا وأوصله الى دمشق وأدخله المارستان لعله أن يبرأ فقال لهم على الرأس ثم قال في نفسه كيف أمضي بهذا المريض وهو مشرف على الموت ثم خرج به الى مكان واختفى به الى الليل ثم ألقاه على مزبلة مستوقد حمام ثم مضى الى حال سبيله فلما أصبح الصباح طلع وقاد الحمام الى شغله فوجده ملقى على ظهره فقال في نفسه لاي شئ ما يرمون هذا الميت الا هنا ورفسه برجله فتحرك فقال له الوقاد الواحد منكم يأكل قطعة حشيش ويرمي نفسه في أي موضع كان ثم نظر وجهه فرآه لا نبات

بعارضية وهو ذو بهاء وجمال فأخذته الرأفة عليه وعرف أنه مريض وغريب فقال لا حول ولا قوة الا بالله انى دخلت فى خطيئة هذا الصبى وقد أوصانى النبى صلى الله عليه وسلم باكرام الغريب لا سيما اذا كان الغريب مريضا ثم حمله وأتى به الى منزله ودخل به على زوجته وأمرها أن تخدمه وتفرش له بساطا ففرشت له وجعلت تحت رأسه وسادة وسخنت له ماء وغسلت له يديه ورجليه ووجهه وخرج الوقاد الى السوق وأتى له بشئ من ماء الورد والسكر ورش ماء الورد على وجهه وسقاه السكر وأخرج له قميصا نظيفا وألبسه اياه فشم نسيم الصحة وتوجهت اليه العافية واتكأ على المخدة ففرح الوقاد بذلك وقال الحمد لله على عافية هذا الصبى اللهم انى أسألك بسرك المكنون أن تجعل سلامة هذا الشاب على يدى * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الرابعة والخمسون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الوقاد قال اللهم انى أسألك بسرك المكنون أن تجعل سلامة هذا الصبى على يدى ومازال الوقاد يتعهده ثلاثة أيام وهو يسقيه السكر وماء الخلاف وماء الورد ويتعطف عليه ويتلطف به حتى سرت الصحة فى جسمه وفتح عينيه فاتفق أن الوقاد دخل عليه فرآه جالسا وعليه آثار العافية فقال له ما حالك يا ولدى فى هذا الوقت فقال ضوء المكان بخير وعافية فحمد الوقاد ربه وشكره ثم نهض الى السوق واشترى له عشر دجاجات وأتى زوجته وقال لها اذبحى له فى كل يوم اثنتين واحدة فى أول النهار وواحدة فى آخر النهار فقامت وذبحت له دجاجة وسلقتها وأتت بها اليه وأطعمته اياها وسقته مرقتها فلما فرغ من الأكل قدمت له ماء سخنا فغسل يديه واتكأ على الوسادة وغطته بملاءة فنام الى العصر ثم قامت وسلقت دجاجة أخرى وأتته بها وفسختها وقالت له كل يا ولدى فبينما هو يأكل واذا بزوجها قد دخل فوجدها تطعمه فجلس عند رأسه وقال له ما حالك يا ولدى فى هذا الوقت فقال الحمد لله على العافية جزاك الله عنى خيرا ففرح الوقاد بذلك ثم انه خرج وأتى بشراب البنفسج وماء الورد وسقاه وكان ذلك الوقاد يعمل فى الحمام كل يوم بخمسة دراهم فيشترى كل يوم بدرهم سكرا وماء ورد وشراب بنفسج ويشترى له بدرهم فراريج ومازال يلاطفه الى أن مضى عليه شهر من الزمان حتى زالت عنه آثار المرض وتوجهت اليه العافية ففرح الوقاد هو وزوجته بعافية ضوء المكان وقال يا ولدى هل لك أن تدخل معى الحمام قال نعم فمضى الى السوق وأتى له بمكارى وأركبه حمارا وجعل يسنده الى أن وصل الى الحمام ثم دخل معه الحمام وأجلسه فى داخله ومضى الى السوق واشترى له سدرا ودقاقا وقال لضوء المكان يا سيدى بسم الله أغسل لك جسدك وأخذ الوقاد يحك لضوء المكان رجليه وشرع يغسل له جسده بالسدر والدقاق واذا ببلان قد أرسله معلم الحمام الى ضوء المكان فوجد الوقاد يحك رجليه فتقدم اليه البلان وقال له هذا نقص فى حق المعلم فقال الوقاد والله ان المعلم غمرنا باحسانه فشرع البلان يحلق رأس ضوء المكان ثم اغتسل هو والوقاد وبعد ذلك رجع به الوقاد الى منزله وألبسه قميصا رفيعا وثوبا من ثيابه وعمامة لطيفة وأعطاه حزاما وكانت زوجة الوقاد قد ذبحت دجاجتين وطبختهما فلما طلع ضوء المكان وجلس على الفراش قام الوقاد وأذاب له السكر فى ماء الورد وسقاه ثم قدم له السفرة وصار الوقاد يفسخ له من ذلك الدجاج ويطعمه ويسقيه من المسلوقة الى أن اكتفى وغسل يديه وحمد الله تعالى على العافية ثم قال للوقاد أنت الذى من الله على بك وجعل سلامتى على يديك فقال الوقاد دع عنك هذا الكلام وقل لنا ما سبب مجيئك الى هذه المدينة ومن أين أنت فانى أرى على وجهك آثار النعمة فقال له ضوء المكان قل لى أنت كيف وقعت بى حتى أخبرك بحديثى فقال الوقاد أما أنا فانى وجدتك مرميا على القمامة فى المستوقد حين لاح الفجر لما توجهت الى أشغالى ولم أعرف من رماك فأخذتك عندى وهذه حكايتى فقال ضوء المكان سبحان من يحيى العظام وهى رميم انك يا أخى ما فعلت الجميل الا مع أهله وسوف تجنى ثمرة ذلك ثم قال للوقاد وأنا الآن فى أى البلاد فقال له الوقاد أنت فى مدينة القدس فعند ذلك تذكر ضوء المكان غربته وفراق أخته وبكى حيث باح بسره الى الوقاد وحكى له حكايته ثم أنشد هذه الابيات

لقد حملونى فى الهوى غير طاقتى * ومن أجلهم قامت على قيامتى
ألا فارفقوا يا هاجرين بمهجتى * فقد رق لى من بعدكم كل شامت
ولا تمنعوا أن تسمحوا لى بنظرة * تخفف أحوالى وفرط صبابتى

سألت فؤادي الصبر عنكم فقال لي * اليك فان الصبر من غير عادتي

ثم زادفي بكائه فقال له الوقاد لاتبك واحمد الله على السلامة والعافية فقال ضوء المكان كم بيننا وبين دمشق فقال ستة أيام فقال ضوء المكان هل لك أن ترسلني اليها فقال له الوقاد ياسيدي كيف أدعك تروح وحدك وأنت شاب صغير فان شئت السفر الى دمشق فانا الذي أروح معك وان أطاعتني زوجتي وسافرت معي أقمت هناك فانه لايهون على فراقك ثم قال الوقاد لزوجته هل لك أن تسافري معي الى دمشق الشام أو تكوني مقيمة هنا حتى أوصل سيدي هذا الى دمشق الشام وأعود اليك فانه يطلب السفر اليها فاني والله لايهون على فراقه وأخاف عليه من قطاع الطريق فقالت له زوجته أسافر معكما فقال الوقاد الحمد لله على الموافقة ثم ان الوقاد قام وباع أمتعته وأمتعة زوجته * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الخامسة والخمسون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الوقاد اتفق هو وزوجته على السفر مع ضوء المكان وعلى أنهما يمضيان معه الى دمشق ثم ان الوقاد باع أمتعته وأمتعة زوجته ثم اكترى حمارا وأركب ضوء المكان اياه وسافروا ولم يزالوا مسافرين ستة أيام الى ان دخلوا دمشق فنزلوا هناك في آخر النهار وذهب الوقاد واشترى شيأ من الاكل والشرب على العادة وما زالوا على ذلك الحال خمسة أيام وبعد ذلك مرضت زوجة الوقاد أياما قلائل وانتقلت الى رحمة الله تعالى فعظم ذلك على ضوء المكان لانه كان قد اعتاد عليها وكانت تخدمه وحزن عليها الوقاد حزنا شديدا فالتفت ضوء المكان الى الوقاد فوجده حزينا فقال له لاتحزن فاننا كلنا داخلون في هذا الباب فالتفت الوقاد الى ضوء المكان وقال له جزاك الله خيرا ياولدي فالله تعالى يعوض علينا بفضله ويزيل عنا الحزن فهل لك ياولدي ان تخرج بنا وتتفرج في دمشق لينشرح خاطرك فقال له ضوء المكان الرأي رأيك فقام الوقاد ووضع يده في يد ضوء المكان وسارا الى ان أتيا تحت اصطبل والي دمشق فوجدا جمالا محملة صناديق وفرشا وقماشا من الديباج وغيره وجنائب مسرجة وبخاتي وعبيدا ومماليك والناس في هراج ومرج فقال ضوء المكان ياترى لمن تكون هؤلاء المماليك والجمال والاقمشة وسأل بعض الخدم عن ذلك فقال له المسئول هذه هدية من أمير دمشق يريد ارسالها الى الملك عمر النعمان مع خراج الشام فلما سمع ضوء المكان هذا الكلام تغرغرت عيناه بالدموع وأنشد يقول

ان شكونا البعاد ماذا تقول * أو تلفنا شوقا فكيف السبيل * أو رأينا رسلا تترجم عنا
ما يؤدي شكوى المحب رسول * أو صبرنا فما من الصبر عندي * بعد فقد الاحباب الا قليل

وقال أيضا

رحلوا غائبين عن جفن عيني * وهم في الفؤاد مني حلول
غاب عني جمالهم فحياتي * ليس تحلو ولا اشتياقي يحول
ان قضى الله باجتماعي عليكم * أذكر الوجد في حديث يطول

فلما فرغ من شعره بكى فقال له الوقاد ياولدي نحن ما صدقنا أنك جاءتك العافية فطب نفسا ولاتبك فاني أخاف عليك من النكسة وما زال يلاطفه ويمازحه وضوء المكان يتنهد ويتحسر على غربته وعلى فراقه لأخته ومملكته ويرسل العبرات ثم أنشد هذه الابيات

تزود من الدنيا فانك راحل * وأيقن بان الموت لاشك نازل * نعيمك في الدنيا غرور وحسرة
وعيشك في الدنيا محال وباطل * ألا انما الدنيا كمنزل راكب * أناخ عشيا وهو في الصبح راحل

ثم ان ضوء المكان جعل يبكي وينتحب على غربته وكذلك الوقاد صار يبكي على فراق زوجته ولكنه ما زال يتلطف بضوء المكان الى أن أصبح الصباح فلما طلعت الشمس قال له الوقاد كأنك تذكرت بلادك فقال له ضوء المكان نعم ولا أستطيع ان أقيم هنا وأستودعك الله فاني مسافر مع هؤلاء القوم وامشي معهم قليلا قليلا حتى أصل الى بلادي فقال له الوقاد وأنا معك فاني لا أقدر ان أفارقك فاني عملت معك حسنة وأريد ان أتممها بخدمتي لك فقال له ضوء المكان جزاك الله عني خيرا وفرح ضوء المكان بسفر الوقاد معه ثم ان الوقاد خرج من ساعته واشترى حمارا وهيأ زادا وقال لضوء المكان اركب هذا الحمار في السفر فاذا تعبت من الركوب فانزل وامش فقال له ضوء المكان بارك

الله فيك وأعانني على مكافأتك فانك فعلت معي من الخير ما لا يفعله أحد مع أخيه ثم صبر الى ان جن الظلام فحملا زادهما وأمتعتهما على ذلك الحمار وسافرا هذا ما كان من أمر ضوء المكان والوقاد ﴿وأما﴾ ما كان من أمر أخته نزهة الزمان فانها لما فارقت أخاها ضوء المكان خرجت من الخان الذي كانا فيه في القدس بعد ان التفت بالعباءة لأجل ان تخدم أحدا وتشتري لأخيها ما اشتهاه من اللحم المشوي وصارت تبكي في الطريق وهي لا تعرف أين تتوجه وصار خاطرها مشغولا بأخيها وقلبها متفكرا في الاهل والاوطان فصارت تتضرع الى الله تعالى في دفع هذه البليات وأنشدت هذه الابيات

جن الظلام وهاج الوجد بالسقم * والشوق حرك ما عندي من الالم * ولوعة البين في الاحشاء قد سكنت
والوجد صيرني في حالة العدم * والحزن أقلقني والشوق أحرقني * والدمع باح بحب أي مكتتم
وليس لي حيلة في الوصل أعرفها * حتى تزحزح ما عندي من الغمم * فنار قلبي بالاشواق موقدة
ومن لظاها يظل الصب في نقم * يا من يلوم على ما حل بي وجرى * اني صبرت على ما خط بالقلم
أقسمت بالحب مالي سلوة أبدا * يمين أهل الهوى مبرورة القسم
يا ليل بلغ رواة الحب عن خبري * واشهد بعلمك أني فيك لم أنم

ثم ان نزهة الزمان أخت ضوء المكان صارت تمشي وتلتفت يمينا ويسارا واذا بشيخ مسافر من البدو ومعه خمسة نفر من العرب قد التفت الى نزهة الزمان فرآها جميلة وعلى رأسها عباءة مقطعة فتعجب من حسنها وقال في نفسه ان هذه جميلة ولكنها ذات قشف فان كانت من أهل هذه المدينة أو كانت غريبة فلا بد لي منها ثم انه تبعها قليلا قليلا حتى تعرض لها في الطريق في مكان ضيق وناداها ليسألها عن حالها وقال لها يا بنية هل أنت حرة أو مملوكة فلما سمعت كلامه نظرت اليه وقالت له بحياتك لا تجدد علي الاحزان فقال لها اني رزقت ست بنات مات لي منهن خمسة وبقيت واحدة وهي أصغرهن وأتيت اليك لاسألك هل أنت من أهل هذه المدينة أو غريبة لاجل أن آخذك وأجعلك عندها لتؤانسيها فتشتغل بك عن الحزن على اخواتها فان لم يكن لك أحد جعلتك مثل واحدة منهن وتصيرين مثل أولادي فلما سمعت نزهة الزمان كلامه قالت في سرها عسى ان آمن على نفسي عند هذا الشيخ ثم أطرقت برأسها من الحياء وقالت يا عم أنا بنت غريبة ولي أخ ضعيف فأنا امضي معك الى بيتك بشرط ان أكون عندها بالنهار وبالليل أمضي الى أخي فان قبلت هذا الشرط مضيت معك لاني غريبة وكنت عزيزة فأصبحت ذليلة حقيرة وجئت أنا وأخي من بلاد الحجاز وأخاف ان أخي لا يعرف لي مكانا فلما سمع البدوي كلامها قال في نفسه والله اني فزت بمطلوبي ثم قال لها ما أريد الا لتؤنسي بنتي نهارا وتمضي الى أخيك ليلا وان شئت فانقليه الى مكاننا ولم يزل البدوي يطيب قلبها ويلين لها الكلام الى ان وافقته على الخدمة ومشى قدامها وتبعته ولم يزل سائرا الى جماعته وكانوا قد هيؤا الجمال ووضعوا عليها الاحمال ووضعوا فوقها الماء والزاد وكان البدوي قاطع الطريق وخائن الرفيق وصاحب مكر وحيل ولم يكن عنده بنت ولا ولد وانما قال ذلك الكلام حيلة على هذه البنت المسكينة لامر قدره الله ثم ان البدوي صار يحدثها في الطريق الى أن خرج من مدينة القدس واجتمع برفقته فوجدهم قد رحلوا الجمال فركب البدوي جملا وأردفها خلفه وسار وا معظم الليل فعرفت نزهة الزمان أن كلام البدوي كان حيلة عليها وانه مكر بها فصارت تبكي وتصرخ وهم في الطريق قاصدين الجبال خوفا أن يراهم أحد فلما صار وا قريب الفجر نزلوا عن الجمال وتقدم البدوي الى نزهة الزمان وقال لها يا مدنية ما هذا البكاء والله ان لم تتركي البكاء ضربتك الى أن تهلكي يا قطعة حضرية فلما سمعت نزهة الزمان كلامه كرهت الحياة وتمنت الموت فالتفتت اليه وقالت له يا شيخ السوء يا شيبة جهنم كيف استأمنتك وأنت تخونني وتمكر بي فلما سمع البدوي كلامها قال لها يا قطعة حضرية ألك لسان تجاوبيني به وقام اليها ومعه سوط فضربها وقال ان لم تسكتي قتلتك فسكتت ساعة ثم تفكرت أخاها وما هو فيه من الامراض فبكت سرا وفي ثاني يوم التفتت الى البدوي وقالت له كيف تعمل على هذه الحيلة حتى أتيت بي الى هذه الجبال القفرة وما قصدك مني فلما سمع كلامها قسا قلبه وقال لها يا قطعة حضرية ألك لسان تجاوبيني به وأخذ السوط ونزل به على ظهرها

الى أن غشي عليها فانكبت على رجليه وقبلتهما فكف عنها الضرب وصار يشتمها ويقول لها وحق طرطوري ان سمعتك تبكين قطعت لسانك ودسسته في كسك يا قطعة حضرية فعند ذلك سكتت ولم ترد جوابا وآلمها الضرب فقعدت على قرافيصها وجعلت رأسها في طوقها وصارت تتفكر في حالها وفي حال أخيها وفي ذلها بعد العز وفي مرض أخيها ووحدته واغترابهما وأرسلت دموعها على الوجنات وأنشدت هذه الابيات

من عادة الدهر ادبار واقبال * فما يدوم له بين الورى حال
وكل شيء من الدنيا له أجل * وتنقضي لجميع الناس آجال
كم أحمل الضيم والاهوال يا أسفي * من عيشة كلها ضيم وأهوال
لا أسعد الله أياما عززت بها * دهرا وفي طي ذاك العز اذلال
قد خاب قصدي وآمالي بها انصرمت * وقد تقطع بالتغريب أوصال
يا من يمر على دار بها سكني * بلغه عني أن الدمع هطال

فلما سمع البدوي شعرها عطف عليها ورثى لها ورحمها وقام اليها ومسح دموعها وأعطاها قرصا من شعير وقال لها أنا لا أحب من يجاوبني في وقت الغيظ وأنت بعد ذلك لا تجاوبيني بشيء من هذا الكلام الفاحش وأنا أبيعك لرجل جيد مثلي يفعل معك الخير مثل ما فعلت معك قالت نعم ما تفعل ثم انها لما طال عليها الليل واحرقها الجوع أكلت من ذلك القرص الشعير شيأ يسيرا فلما انتصف الليل أمر البدوي جماعته أن يسافروا * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة السادسة والخمسون)

قالت بلغني أيها الملك السعيد ان البدوي لما أعطى نزهة الزمان القرص الشعير ووعدها أن يبيعها لرجل جيد مثله قالت له نعم ما تفعل فلما انتصف الليل وأحرقها الجوع أكلت من القرص الشعير شيأ يسيرا ثم ان البدوي أمر جماعته أن يسافروا واحملوا الجمال وركب البدوي جملا وأردف نزهة الزمان خلفه وساروا وما زالوا سائرين مدة ثلاثة أيام ثم دخلوا مدينة دمشق ونزلوا في خان السلطان بجانب باب الملك وقد تغير لون نزهة الزمان من الحزن وتعب السفر فصارت تبكي من أجل ذلك فأقبل عليها البدوي وقال لها يا حضرية وحق طرطوري ان لم تتركي هذا البكاء لا أبيعك الا ليهودي ثم انه قام وأخذ بيدها وأدخلها في مكان ومشى الى السوق ومر على التجار الذين يتجرون في الجواري وصار يكلمهم ثم قال لهم عندي جارية أتيت بها معي وأخوها ضعيف فارسلته الى أهلي في مدينة القدس لاجل أن يداووه حتى يبرأ وقصدي أن أبيعها ومن يوم ضعف أخوها وهي تبكي وصعب عليها فراقه وأريد أن الذي يشتريها مني يلين لها الكلام ويقول لها ان أخاك عندي في القدس ضعيف وأنا أرخص له ثمنها فنهض له رجل من التجار وقال له كم عمرها فقال هي بكر بالغة ذات عقل وأدب وفطنة وحسن وجمال ومن حين أرسلت أخاها الى القدس اشتغل قلبها وتغيرت محاسنها وانهزل سمنها فلما سمع التاجر ذلك تمشى مع البدوي وقال له اعلم يا شيخ العرب أني أروح معك وأشتري منك الجارية التي تمدحها وتشكر عقلها وأدبها وحسنها وجمالها وأعطيك ثمنها وأشرط عليك شروطا ان قبلتها نقدت لك ثمنها وان لم تقبلها رددتها عليك فقال له البدوي ان شئت فاطلع بها الى السلطان واشرط علي ما شئت من الشروط فانك اذا أوصلتها الى الملك شركان بن الملك عمر النعمان صاحب بغداد وخراسان ربما تليق بعقله فيعطيك ثمنها ويكثر لك الربح فيها فقال له التاجر وأنا لي عند السلطان حاجة وهو أن يكتب الى والده عمر النعمان بالوصية علي فان قبل الجارية مني وزنت لك ثمنها في الحال فقال له البدوي قبلت منك هذا الشرط ثم مشى الاثنان الى أن أقبلا على المكان الذي فيه نزهة الزمان ووقف البدوي على باب الحجرة وناداها يا ناجية وكان سماها بهذا الاسم فلما سمعته بكت ولم تجبه فالتفت البدوي الى التاجر وقال ها هي قاعدة دونك فاقبل عليها وانظرها ولاطفها مثل ما أوصيتك فتقدم التاجر اليها فرآها بديعة في الحسن والجمال لاسيما وكانت تعرف بلسان العرب فقال التاجر ان كانت كما وصفت لي فاني أبلغ بها عند السلطان ما أريد ثم ان التاجر قال لها السلام عليك يا بنية كيف حالك فالتفتت اليه وقالت كان ذلك في الكتاب مسطورا ونظرت اليه فاذا هو رجل ذو وقار ووجه حسن فقالت في نفسها أظن أن هذا جاء يشتريني ثم قالت ان امتنعت منه صرت عند هذا الظالم فيهلكني من الضرب فعلى كل حال فهذا رجل وجهه حسن وهو أرجى للخير من هذا البدوي الجلف ولعله ما جاء الا ليسمع منطقي فأنا أجاوبه جوابا

هضيا كل ذلك وعينها في الارض ثم رفعت بصرها اليه وقالت له بكلام عذب وعليك السلام ورحمة الله وبركاته
ياسيدي بهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم وأما سؤالك عن حالي فان شئت أن تعرفه فلا تتمنه الا لاعدائك ثم سكتت
فلما سمع التاجر كلامها طار عقله فرحا بها والتفت الى البدوي وقال له كم ثمنها فانها جليلة فاغتاظ البدوي وقال له
أفسدت على الجارية بهذا الكلام لاي شئ تقول انها جليلة مع انها من رعاع الناس فأنا لا أبيعها لك فلما سمع التاجر
كلامه عرف أنه قليل العقل فقال له طب نفسا وقر عينا فانا أشتريها على هذا العيب الذي ذكرته فقال البدوي
وكم تدفع لي فيها فقال له التاجر ما يسمي الولد الا أبوه فاطلب فيها مقصودك فقال له البدوي ما يتكلم الا أنت فقال
التاجر في نفسه ان هذا البدوي جاف يابس الرأس وأنا لا أعرف لها قيمة الا انها ملكت قلبي بفصاحتها وحسن
منظرها وان كانت تكتب وتقرأ فهذا من تمام النعمة عليها وعلى من يشتريها لكن هذا البدوي لا يعرف لها
قيمة ثم التفت الى البدوي وقال له ياشيخ العرب أدفع لك فيها مائتي دينار سالمة ليدك غير الضمان وقانون
السلطان فلما سمع ذلك البدوي اغتاظ غيظا شديدا وصرخ في ذلك التاجر وقال له قم الى حال سبيلك لو أعطيتني
مائة دينار في هذه القطعة العباءة التي عليها ما بعتها لك فأنا لا أبيعها بل أخليها عندي ترعى الجمال وتطحن
الطحين ثم صاح عليها وقال تعالى يامنتنة أنا لا أبيعك ثم التفت الى التاجر وقال له كنت أحسبك أهل معرفة
وحق طرطوري ان لم تذهب عني لاسمعتك ما لا يرضيك فقال التاجر في نفسه ان هذا البدوي مجنون ولا يعرف
قيمتها ولا أقول له شيأ في ثمنها في هذا الوقت فانه لو كان صاحب عقل ما قال وحق طرطوري والله انها تساوي
خزنة من الجواهر وأنا ما معي ثمنها ولكن ان طلب مني ما يريد أعطيته اياه ولو أخذ جميع مالي ثم التفت الى
البدوي وقال له ياشيخ العرب طول بالك وقل لي مالها من القماش عندك فقال البدوي وما تعمل قطاعة
الجواري هذه بالقماش والله ان هذه العباءة التي هي ملفوفة فيها كثيرة عليها فقال له التاجر عن اذنك أكشف
عن وجهها وأقلبها كما يقلب الناس الجواري لاجل الاشتراء فقال له البدوي دونك وما تريد الله يحفظ شبابك
فقلبها ظاهرا وباطنا فان شئت فعرها الثياب ثم انظرها وهي عريانة فقال التاجر معاذ الله أنا ما أنظر الا وجهها
ثم ان التاجر تقدم اليها وهو خجلان من حسنها وجمالها * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السابعة والخمسون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن التاجر تقدم الى
نزهة الزمان وهو خجلان من حسنها وجلس الى جانبها وقال لها ياسيدتي ما اسمك فقالت له تسألني عن اسمي في
هذا الزمان أو عن اسمي القديم فقال لها هل لك اسم جديد واسم قديم قالت نعم اسمي القديم نزهة الزمان واسمي
الجديد غصة الزمان فلما سمع التاجر منها هذا الكلام تغرغرت عيناه بالدموع وقال لها هل لك أخ ضعيف
فقالت أي والله ياسيدي ولكن فرق الزمان بيني وبينه وهو مريض في بيت المقدس فتحير عقل التاجر من
عذوبة منطقها وقال في نفسه لقد صدق البدوي في مقالته ثم ان نزهة الزمان تذكرت أخاها ومرضه وغربته
وفراقها عنه وهو ضعيف ولا تعلم ما وقع له وتذكرت ما جرى لها من هذا الامر مع البدوي ومن بعدها عن أمها
وأبيها ومملكتها فجرت دموعها على خدها وأرسلت العبرات وأنشدت هذه الابيات

حيثما كنت قد وقاك الهي * أيها الراحل المقيم بقلبي * ولك الله حيث أمسيت جار
حافظ من صروف دهر وخطب * غبت فاستوحشت لقربك عيني * واستهلت مدامعي أي سكب
ليت شعري بأي ربع وأرض * أنت مستوطن بدار وشعب * ان يكن شارب الماء حياة
حضر الورد فالمدامع شربي * أو شهدت الرقاد يوما فسهر * من سهادي بين الفراش وجنبي
كل شئ الا فراقك سهل * عند قلبي وغيره غير صعب

فلما سمع التاجر ما قالته من الشعر بكى ومد يده ليمسح دموعها عن خدها فغطت وجهها وقالت له حاشاك
ياسيدي ثم ان البدوي قعد ينظر اليها وهي تغطي وجهها من التاجر حيث أراد أن يمسح دمعها عن خدها فاعتقد
أنها تمنعه من التقليب فقام اليها يجري وكان معه مقود جمل فرفعه في يده وضربها به على أكتافها فجاءت الضربة
بقوة فانكبت بوجهها على الارض فجاءت حصاة من الارض في حاجبها فشقته فسال دمها على وجهها فصرخت

مزجة عظيمة وغشي عليها وبكت وبكى التاجر منها فقال التاجر لابد أن أشتري هذه الجارية ولو بثقلها ذهبا وأريحها من هذا الظالم وصار التاجر يشتم البدوي وهي في غشيتها فلما أفاقت مسحت الدموع والدم عن وجهها وعصبت رأسها ورفعت طرفها الى السماء وطلبت من مولاها بقلب حزين وأنشدت هذين البيتين

وارحمتاه لعزيزة * بالضيم قد صارت ذليله * تبكي بدمع هاطل * وتقول ما في الوعد حيله

فلما فرغت من شعرها التفتت الى التاجر وقالت له بصوت خفي بالله لا تدعني عند هذا الظالم الذي لا يعرف الله تعالى فان بت هذه الليلة عنده قتلت نفسي بيدي فخلصني منه يخلصك الله مما تخاف في الدنيا والآخرة فقام التاجر وقال للبدوي يا شيخ العرب هذه ليست غرضك بعني اياها بما تريد فقال البدوي خذها وادفع ثمنها والا اروح بها الى النجع واتركها هناك تلم البعر وترعى الجمال فقال التاجر أعطيك خمسين ألف دينار فقال البدوي يفتح الله فقال التاجر سبعين ألف دينار فقال البدوي يفتح الله هذا ما هو رأس مالها لانها أكلت عندي أقراصا من الشعير بتسعين ألف دينار فقال له التاجر أنت وأهلك وقبيلتك في طول عمركم ما أكلتم بألف دينار شعيرا ولكن أقول لك كلمة واحدة فان لم ترض بها أغريت عليك والي دمشق فيأخذها منك قهرا فقال البدوي تكلم فقال بمائة ألف دينار فقال البدوي بعتك اياها بهذا الثمن وأقدر أني اشتريت بها ملحا فلما سمعه التاجر ضحك ومضى الى منزله وأتى له بالمال وأقبضه اياه فأخذه البدوي وقال في نفسه لابد أن أذهب الى القدس لعلي أجد أخاها فأجيء به وأبيعه ثم ركب وسافر حتى وصل الى بيت المقدس فذهب الى الخان وسأل عن أخيها فلم يجده هذا ما كان من أمره

﴿وأما﴾ ما كان من أمر التاجر ونزهة الزمان فانه لما أخذها ألقى عليها شيأ من ثيابه ومضى بها الى منزله * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثامنة والخمسون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان التاجر لما تسلم الجارية من البدوي وضع عليها شيأ من ثيابه ومضى بها الى منزله وألبسها أفخر الملبوس ثم أخذها ونزل بها الى السوق وأخذ لها مصاغا ووضعه في بقجة من الاطلس ووضعها بين يديها وقال لها هذا كله من أجلك ولا أريد منك الا اذا طلعت بك الى السلطان والي دمشق ان تعلميه بالثمن الذي اشتريتك به وان كان قليلا في ظفرك واذا اشتراك مني فاذكري له ما فعلت معك واطلبي لي منه مرقوما سلطانيا بالوصية على لاذهب به الى والده صاحب بغداد الملك عمر النعمان لاجل ان يمنع من يأخذ مني مكسا على القماش أو غيره من جميع ما أتجر فيه فلما سمعت كلامه بكت وانتحبت فقال لها التاجر يا سيدتي اني أراك كلما ذكرت لك بغداد تدمع عيناك ألك فيها أحد تحبينه فان كان تاجرا أو غيره فاخبريني فاني أعرف جميع ما فيها من التجار وغيرهم وان أردت رسالة أنا أوصلها اليه فقالت والله ما لي معرفة بتاجر ولا غيره وانما لي معرفة بالملك عمر النعمان صاحب بغداد فلما سمع التاجر كلامها ضحك وفرح فرحا شديدا وقال في نفسه والله اني وصلت الى ما أريد ثم قال لها هل عرضت عليه سابقا فقالت لا بل تربيت أنا وبنته فكنت عزيزة عنده ولي عنده حرمة كبيرة فان كان غرضك أن الملك عمر النعمان يبلغك ما تريد فأتني بدواة وقرطاس فاني أكتب لك كتابا فاذا دخلت مدينة بغداد فسلم الكتاب من يدك الى يد الملك عمر النعمان وقل له ان جاريتك نزهة الزمان قد طرقتها صروف الليالي والايام حتى بيعت من مكان الى مكان وهي تقرئك السلام واذا سألك عني فاخبره اني عند نائب دمشق فتعجب التاجر من فصاحتها وازدادت عنده محبتها وقال ما أظن الا ان الرجال لعبوا بعقلك وباعوك بالمال فهل تحفظين القرآن قالت نعم وأعرف الحكمة والطب ومقدمة المعرفة وشرح فصول أبقراط لجالينوس الحكيم وشرحته أيضا وقرأت التذكرة وشرحت البرهان وطالعت مفردات ابن البيطار وتكلمت على القانون لابن سينا وحللت الرموز ووضعت الاشكال وتحدثت في الهندسة واتقنت حكمة الابدان وقرأت كتب الشافعية وقرأت الحديث والنحو وناظرت العلماء وتكلمت في سائر العلوم وألفت في علم المنطق والبيان والحساب والجدل وأعرف الروحاني والميقات وفهمت هذه العلوم كلها ثم قالت ائتني بدواة وقرطاس حتى أكتب لك كتابا يسليك في الاسفار ويغنيك عن مجادلات الاسفار فلما سمع التاجر منها هذا الكلام صاح بخ بخ فيا سعد من

تكونين فى قصره ثم أتاها بدواة وقرطاس وقلم من نحاس فلما أحضر التاجر ذلك بين يديها قبل الارض تعظيما لها فأخذت نزهة الزمان الدرج وتناولت القلم وكتبت فى الدرج هذه الابيات

ما بال نومى من عينى قد نفرا * أأنت علمت طرفى بعدك السهرا * وما لذكرك يذكى النار فى كبدى
أهكذا كل صب للهوى ذكرا * سقيا الايام ما كان أطيبها * مضت ولم أقض من لذاتها وطرا
أستعطف الريح ان الريح حاملة * الى المتيم من أكنافكم خبرا
يشكو اليك محب قل ناصره * وللفراق خطوب تصدع الحجرا

ثم انها لما فرغت من كتابة هذا الشعر كتبت بعده هذا الكلام وهى تقول ممن استولت عليها الفكر وأنحلها السهر فظلمتها لا تجد لها من أنوار ولا تعلم الليل من النهار وتتقلب على مراقد البين وتكتحل بمراود الارق ولم تزل للنجوم رقيبة وللظلام نقيبة قد أذابها الفكر والنحول وشرح حالها يطول لا مساعد لها غير العبرات وأنشدت هذه الابيات

ما غردت سحرا ورقاء فى فنن * الا تحرك عندى قاتل الشجن
ولا تأوه مشتاق به طرب * الى الاحبة الا ازددت فى حزنى
أشكو الغرام الى من ليس يرحمنى * كم فرق الوجد بين الروح والبدن

ثم أفاضت دموع العين وكتبت أيضا هذين البيتين

أبلى الهوى أسفا يوم النوى بدنى * وفرق الهجر بين الجفن والوسن
كفى بجسمى نحولا أننى دنف * لولا مخاطبتى اياك لم ترنى

وبعد ذلك كتبت فى أسفل الدرج هذا من عند البعيدة عن الاهل والاوطان الحزينة القلب والجنان نزهة الزمان ثم طوت الدرج وناولته للتاجر فأخذه وقبله وعرف ما فيه ففرح وقال سبحان من صورك * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة التاسعة والخمسون﴾

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن نزهة الزمان كتبت الكتاب وناولته للتاجر فأخذه وقرأه وعلم ما فيه فقال سبحان من صورك وزاد فى اكرامها وصار يلاطفها نهاره كله فلما أقبل الليل خرج الى السوق وأتى بشئ فأطعمها اياه ثم أدخلها الحمام وأتى لها ببلانة وقال لها اذا فرغت من غسل رأسها فألبسيها ثيابها ثم ارسلى اعلمينى بذلك فقالت سمعا وطاعة ثم احضر لها طعاما وفاكهة وشمعا وجعل ذلك على مصطبة الحمام فلما فرغت البلانة من تنظيفها ألبستها ثيابها ولما خرجت من الحمام وجلست على مصطبة وجدت المائدة حاضرة فأكلت هى والبلانة من الطعام والفاكهة وتركت الباقى لحارسة الحمام ثم باتت الى الصباح وبات التاجر منعزلا عنها فى مكان آخر فلما استيقظ من نومه أيقظ نزهة الزمان وأحضر لها قميصا رفيعا وكوفية بألف دينار وبدلة تركية مزركشة بالذهب وخفا مزركشا بالذهب الاحمر مرصعا بالدر والجواهر وجعل فى أذنيها حلقا من اللؤلؤ بألف دينار ووضع فى رقبتها طوقا من الذهب وقلادة من العنبر تضرب تحت نهديها وفوق سرتها وتلك القلادة فيها عشر أكر وتسعة أهلة كل هلال فى وسطه فص من الياقوت وكل أكرة فيها فص من البلخش وثمن تلك القلادة ثلاثة آلاف دينار فصارت الكسوة التى كساها اياها بجملة بليغة من المال ثم أمرها التاجر أن تتزين بأحسن الزينة ومشت ومشى التاجر قدامها فلما عاينها الناس بهتوا فى حسنها وقالوا تبارك الله أحسن الخالقين هنيأ لمن كانت هذه عنده ومازال التاجر يمشى وهى تمشى خلفه حتى دخل على الملك شركان فلما دخل على الملك قبل الارض بين يديه وقال أيها الملك السعيد أتيت لك بهدية غريبة الاوصاف عديمة النظير فى هذا الزمان قد جمعت بين الحسن والاحسان فقال له الملك قصدى أن أراها عيانا فخرج التاجر وأتى بها حتى أوقفها قدامه فلما رآها الملك شركان حن الدم الى الدم وكانت قد فارقته وهى صغيرة ولم ينظرها لانه بعد مدة من ولادتها سمع ان له أختا تسمى نزهة الزمان وأخا يسمى ضوء المكان فاغتاظ من أبيه غيظا شديدا غيرة على المملكة كما تقدم ولما قدمها اليه التاجر قال له يا ملك الزمان انها مع كونها بديعة الحسن والجمال بحيث لا نظير لها فى عصرها

تعرف جميع العلوم الدينية والدنيوية والسياسية والرياضية فقال له الملك خذ ثمنها مثل ما اشتريتها ودعها وتوجه الى حال سبيلك فقال له التاجر سمعا وطاعة ولكن اكتب لى مرقوما انى لا أدفع عشرا أبدا على تجارتى فقال الملك انى أفعل لك ذلك ولكن أخبرنى كم وزنت ثمنها فقال وزنت ثمنها مائة ألف دينار وكسوتها مائة ألف دينار فلما سمع ذلك الملك قال أنا أعطيك فى ثمنها أكثر من ذلك ثم دعا بخازندار وقال له اعط هذا التاجر ثلثمائة ألف دينار وعشرين ألف دينار ثم ان شركان أحضر القضاة الاربعة وقال لهم أشهدكم انى أعتقت جاريتى هذه وأريد أن أتزوجها فكتب القضاة حجة باعتاقها ثم كتبوا كتابى عليها ونثر الملك على رؤس الحاضرين ذهبا كثيرا وصار الغلمان والخدم يلتقطون ما نثره عليهم الملك من الذهب ثم ان الملك أمر بكتابة منشور الى التاجر على طبق مراده من انه لا يدفع على تجارته عشرا ولا يتعرض له أحد بسوء فى سائر مملكته وبعد ذلك أمر له بخلعة سنية

* وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الموفية للستين﴾

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الملك أمر بكتابة منشور للتاجر على طبق مراده من انه لا يدفع على تجارته عشرا أبدا ولا يتعرض له أحد بسوء فى تجارته وبعد ذلك أمر له بخلعة سنية ثم صرف جميع من عنده ولم يبق عنده غير القضاة والتاجر وقال للقضاة أريد أن تسمعوا من ألفاظ هذه الجارية ما يدل على علمها وأدبها من كل ما ادعاه التاجر لنحقق صدق كلامه فقالوا لا بأس بذلك فأمر بارخاء ستارة بينه هو ومن معه وبين الجارية ومن معها وصار جميع النساء اللاتى مع الجارية خلف الستارة يقبلن يديها ورجليها لما علموا أنها صارت زوجة الملك ثم درن حولها وقمن يخدمنها وخففن ما عليها من الثياب وصرن ينظرن حسنها وجمالها وسمعت نساء الامراء والوزراء أن الملك شركان اشترى جارية لا مثل لها فى الجمال والعلم والادب وانها حوت جميع العلوم وقد وزن ثمنها ثلثمائة ألف دينار وعشرين ألف دينار وأعتقها وكتب كتابه عليها وأحضر القضاة الاربعة لاجل امتحانها حتى ينظر كيف تجاوبهم عن أسئلتهم فطلب النساء الاذن من أزواجهن ومضين الى القصر الذى فيه نزهة الزمان فلما دخلن عليها وجدن الخدم وقوفا بين يديها وحين رأت نساء الامراء والوزراء داخلة عليها قامت اليهن وقابلتهن وقامت الجوارى خلفها وتلقت النساء بالترحيب وصارت تتبسم فى وجوههن فأخذت قلوبهن وأنزلتهن فى مراتبهن كأنها تربت معهن فتعجبن من حسنها وجمالها وعقلها وأدبها وقلن لبعضهن ما هذه جارية بل هى ملكة بنت ملك وصرن يعظمن قدرها وقلن لها يا سيدتنا أضاءت بك بلدتنا وشرفت بلادنا ومملكتنا فالمملكة مملكتك والقصر قصرك وكلنا جواريك فبالله لا تخلينا من احسانك والنظر الى حسنك فشكرتهن على ذلك هذا كله والستارة مرخاة بين نزهة الزمان ومن عندها من النساء وبين الملك شركان هو والقضاة الاربعة والتاجر ثم بعد ذلك ناداها الملك شركان وقال لها أيتها الجارية العزيزة فى زمانها ان هذا التاجر قد وصفك بالعلم والادب وادعى انك تعرفين فى جميع العلوم حتى علم النحو فأسمعينا من كل باب طرفا يسيرا فلما سمعت كلامه قالت سمعا وطاعة أيها الملك * الباب الاول فى السياسات والآداب الملكية وما ينبغى لولاة الامور الشرعية وما يلزمهم من قبل الاخلاق المرضية * اعلم أيها الملك ان مقاصد الخلق منتهية الى الدين والدنيا لانه لا يتوصل أحد الى الدين الا بالدنيا فان الدنيا نعم الطريق الى الآخرة وليس ينتظم أمر الدنيا الا بأعمال أهلها وأعمال الناس تنقسم الى أربعة أقسام الامارة والتجارة والزراعة والصناعة فالامارة ينبغى لها السياسة التامة والفراسة الصادقة لان الامارة مدار عمارة الدنيا التى هى طريق الى الآخرة لان الله تعالى جعل الدنيا للعباد كزاد المسافر الى تحصيل المراد فينبغى لكل انسان أن يتناول منها بقدر ما يوصله الى الله ولا يتبع فى ذلك نفسه وهواه ولو تناولها الناس بالعدل لانقطعت الخصومات ولكنهم يتناولونها بالجور ومتابعة الهوى فتسبب عن انهماكهم عليها الخصومات فاحتاجوا الى سلطان لاجل أن ينصف بينهم ويضبط أمورهم ولولا ردع الملك الناس عن بعضهم لغلب قويهم على ضعيفهم وقد قال أزدشير ان الدين والملك توأمان فالدين كنز والملك حارس وقد دلت الشرائع والعقول على انه يجب على الناس أن يتخذوا سلطانا يدفع الظالم عن المظلوم وينصف الضعيف من القوى ويكف بأس العاتى والباغى واعلم أيها الملك انه على قدر حسن أخلاق السلطان يكون الزمان فانه قد قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم شيئا من في الناس ان صلحا صلح الناس وان فسدا فسد الناس العلماء والامراء وقد قال بعض الحكماء الملوك ثلاثة ملك دين وملك محافظة على الحرمات وملك هوى فاما ملك الدين فانه يلزم رعيته باتباع دينهم وينبغي أن يكون أدينهم لانه هو الذي يقتدى به في أمور الدين ويلزم الناس طاعته فيما أمر به موافقا للاحكام الشرعية ولكنه ينزل الساخط منزلة الراضي بسبب التسليم الى الاقدار وأما ملك المحافظة على الحرمات فانه يقوم بامور الدين والدنيا ويلزم الناس باتباع الشرع والمحافظة على المروءة ويكون جامعا بين العلم والسيف فمن زاغ عما سطر القلم زلت به القدم فيقوم أعوجاجه بحد الحسام وينشر العدل في جميع الانام وأما ملك الهوى فلا دين له الا اتباع هواه ولم يخش سطوة مولاه الذي ولاه فما ل ملكه الى الدمار ونهاية عتوه الى دار البوار وقالت الحكماء الملك يحتاج الى كثير من الناس وهم محتاجون الى واحد ولاجل ذلك وجب أن يكون عارفا باخلاقهم ليرد اختلافهم الى أوفاقهم ويعمهم بعدله ويغمرهم بفضله واعلم أيها الملك ان أزدشير وهو الثالث من ملوك الفرس قد ملك الاقاليم جميعا وقسمها على اربعة أقسام وجعل له من أجل ذلك أربع خواتم لكل قسم خاتم الاول خاتم البحر والشرطة والمحاماة وكتب عليه النيابات الثاني خاتم الخراج وجباية الاموال وكتب عليه العمارة الثالث خاتم القوت وكتب عليه الرخاء الرابع خاتم المظالم وكتب عليه العدل واستمرت هذه الرسوم في الفرس الى أن ظهر الاسلام وكتب كسرى لابنه وهو في جيشه لاتوسعن على جيشك فيستغنوا عنك * وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الحادية والستون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أنها قالت ان كسرى كتب لابنه وهو في جيشه لاتوسعن على جيشك فيستغنوا عنك ولا تضيق عليهم فيضجروا منك وأعطهم عطاء مقتصدا وامنحهم منحا جميلا ووسع عليهم في الرخاء ولا تضيق عليهم في الشدة وروى ان اعرابيا جاء الى المنصور وقال له أجع كلبك يتبعك فغضب المنصور من الاعرابي لما سمع منه هذا الكلام فقال له أبو العباس الطوسي أخشى أن يلوح له غيرك برغيف فيتبعه ويتركك فسكن غيظ المنصور وعلم أنها كلمة لاتخطئ وأمر للاعرابي بعطية واعلم أيها الملك أنه كتب عبد الملك بن مروان لاخيه عبد العزيز بن مروان حين وجهه الى مصر تفقد كتابك وحجابك فان الثابت يخبرك عنه كتابك والترسيم تعرفك به حجابك والخارج من عندك يعرفك بجيشك وكان عمر بن الخطاب اذا استخدم خادما شرط عليه أربعة شروط أن لايركب البراذين وأن لايلبس الثياب النفيسة وأن لايأكل من الفيء وأن لايؤخر الصلاة عن وقتها وقيل لامال أجود من العقل ولا عقل كالتدبير والحزم ولا حزم كالتقوى ولا قربة كحسن الخلق ولا ميزان كالادب ولا فائدة كالتوفيق ولا تجارة كالعمل الصالح ولا ربح كثواب الله ولا ورع كالوقوف عند حدود السنة ولا علم كالتفكر ولا عبادة كالفرائض ولا ايمان كالحياء ولا حسب كالتواضع ولا شرف كالعلم فاحفظ الرأس وما حوى والبطن وما وعى واذكر الموت والبلى وقال علي رضي الله عنه اتقوا شرار النساء وكونوا منهن على حذر ولا تشاوروهن في أمر ولا تضيقوا عليهن في معروف حتى لايطمعن في المنكر وقال من ترك الاقتصاد حار عقله وقال عمر رضي الله عنه النساء ثلاثة امرأة مسلمة نقية ودود تعين بعلها على الدهر ولا تعين الدهر على بعلها وأخرى تراد للولد لا تزيد على ذلك وأخرى يجعلها الله غلا في عنق من يشاء والرجال أيضا ثلاثة رجل عاقل اذا أقبل على رأيه وآخر أعقل منه وهو من اذا نزل به أمر لايعرف عاقبته فيأتي ذوي الرأي فينزل عند آرائهم وآخر حائر لايعلم رشدا ولا يطيع مرشدا والعدل لابد منه في كل الاشياء حتى ان الجواري يحتجن الى العدل وضربوا لذلك مثلا في قطاع الطريق المقيمين على ظلم الناس فانهم لولم يتناصفوا فيما بينهم ويستعملوا الواجب فيما يقسمونه لاختل نظامهم وبالجملة فسيد مكارم الاخلاق الكرم وحسن الخلق وما أحسن قول الشاعر

بذل وحلم ساد في قومه الفتى * وكونك اياه عليك يسير

وقال آخر

في الحلم اتقان وفي العفو هيبة * وفي الصدق منجاة لمن كان صادقا

ومن يلتمس حسن الثناء بماله * يكن بالندى في حلبة المجد سابقا

ثم ان نزهة الزمان تكلمت في سياسة الملوك حتى قال الحاضرون ما رأينا أحدا تكلم في باب السياسة مثل هذه

الجارية قائلة اسمعنا شيأ من غير هذا الباب فسمعت نزهة الزمان ما قالوه وفهمته فقالت وأما باب الادب فانه واسع المجال لانه مجمع الكمال فقد اتفق أن بنى تميم وفدوا على معاوية ومعهم الاحنف بن قيس فدخل حاجب معاوية عليه ليستأذنه لهم فى الدخول فقال يا أمير المؤمنين ان أهل العراق يريدون الدخول عليك ليحدثوا معك فاسمع حديثهم فقال معاوية أنظر وامن بالباب فقال بنو تميم قال ليدخلوا فدخلوا ومعهم الاحنف بن قيس فقال له معاوية أقرب منى يا أبا بحر بحيث اسمع كلامك ثم قال يا أبا بحر كيف رأيك لى قال يا أمير المؤمنين أفرق الشعر وقص الشارب وقلم الاظافر وانتف الابط واحلق العانة وأدم السواك فان فيه اثنتين وسبعين فضيلة وغسل الجمعة كفارة لما بين الجمعتين * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثانية والستون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد انها قالت ان الاحنف بن قيس قال لمعاوية لما سأله وأدم السواك فان فيه اثنتين وسبعين فضيلة وغسل الجمعة كفارة لما بين الجمعتين قال له معاوية كيف رأيك لنفسك قال أوطئ قدمى على الارض وأنقلها على تمهل وأراعيها بعينى قال كيف رأيك اذا دخلت على نفر من قومك دون الامراء قال أطرق حياء وأبدأ بالسلام وأدع مالا يعنينى وأقل الكلام قال كيف رأيك اذا دخلت على نظرائك قال أستمع لهم اذا قالوا ولا أجول عليهم اذا جالوا قال كيف رأيك اذا دخلت على أمرائك قال أسلم من غير اشارة وانتظر الاجابة فان قربونى قربت وان أبعدونى بعدت قال كيف رأيك مع زوجتك قال أعفنى من هذا يا أمير المؤمنين قال أقسمت عليك ان تخبرنى قال أحسن الخلق وأظهر العشرة وأوسع النفقة فان المرأة خلقت من ضلع أعوج قال فما رأيك اذا أردت أن تجامعها قال أكلمها حتى تطيب نفسها وألثمها حتى تطرب فان كان الذى تعلم طرحتها على ظهرها وان استقرت النطفة فى قرارها قلت اللهم اجعلها مباركة ولا تجعلها شقية وصورها أحسن تصوير ثم أقوم عنها الى الوضوء فافيض الماء على يدى ثم أصبه على جسدى ثم أحمد الله على ما أعطانى من النعم فقال معاوية أحسنت فى الجواب فقل حاجتك فقال حاجتى أن تتقى الله فى الرعية وتعدل بينهم بالسوية ثم نهض قائما من مجلس معاوية فلما ولى قال معاوية لو لم يكن بالعراق الا هذا لكفى ثم ان نزهة الزمان قالت وهذه النبذة من جملة باب الادب واعلم أيها الملك انه كان معيقب عاملا على بيت المال فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثالثة والستون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان نزهة الزمان قالت واعلم أيها الملك انه كان معيقب عاملا على بيت المال فى خلافة عمر بن الخطاب فاتفق انه رأى ابن عمر يوما فاعطاه درهما من بيت المال قال معيقب وبعد ان أعطيته الدرهم انصرفت الى بيتى فبينما أنا جالس واذا برسول عمر جاءنى فرهبت معه وتوجهت اليه فاذا الدرهم فى يده وقال لى ويحك يا معيقب انى قد وجدت فى نفسك شيأ قلت وما ذاك يا أمير المؤمنين قال انك تخاصم أمة محمد صلى الله عليه وسلم فى هذا الدرهم يوم القيامة وكتب عمر الى أبى موسى الاشعرى كتابا مضمونه اذا جاءك كتابى هذا فاعط الناس الذى لهم واحمل الى ما بقى ففعل فلما ولى عثمان الخلافة كتب الى أبى موسى مثل ذلك ففعل وجاء زياد معه فلما وضع الخراج بين يدى عثمان جاء ولده فاخذ منه درهما فبكى زياد فقال عثمان ما يبكيك قال أتيت عمر بن الخطاب بمثل ذلك فاخذ ابنه درهما فامر بنزعه من يده وابنك أخذ فلم أر احدا ينزعه منه أو يقول له شيأ فقال عثمان وأين تلقى مثل عمر وروى زيد بن أسلم عن أبيه أنه قال خرجت مع عمر ذات ليلة حتى أشرفنا على نار تضطرم فقال يا اسلم انى أحسب هؤلاء ركبا أضر بهم البرد فانطلق بنا اليهم فخرجنا حتى أتينا اليهم فاذا امرأة توقد نارا تحت قدر ومعها صبيان يتضاغون فقال عمر السلام عليكم أصحاب الضوء وكره أن يقول أصحاب النار ما بالكم قالت أضر بنا البرد والليل قال فما بال هؤلاء يتضاغون قالت من الجوع قال فما هذا القدر قالت ماء أسكتهم به وان عمر بن الخطاب ليسأله الله عنهم يوم القيامة قال وما يدرى عمر بحالهم قالت كيف يتولى أمور الناس ويغفل عنهم قال أسلم فاقبل عمر على وقال انطلق بنا فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الصرف فاخرج عدلا فيه دقيق واناء فيه شحم ثم قال حملنى هذا فقلت أنا أحمله عنك يا أمير المؤمنين فقال أتحمل عنى وزرى يوم القيامة فحملته اياه وخرجنا نهرول حتى ألقينا ذلك العدل عندها ثم أخرج من الدقيق شيأ وجعل يقول للمرأة

تردى الى وكان ينفخ تحت القدر وكان ذا لحية عظيمة فرأيت الدخان يخرج من خلال لحيته حتى طبخ وأخذ
مقدارا من الشحم فرماه فيه ثم قال أطعمهم وأنا ابرد لهم ولم يزالوا كذلك حتى أكلوا وشبعوا وترك الباقي عندها ثم
أقبل علي وقال يا أسلم اني رأيت الجوع أبكاهم فأحببت أن لا أنصرف حتى يتبين لي سبب الضوء الذي رأيته
*وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الرابعة والستون) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان نزهة الزمان قالت قيل ان عمر مر براع
مملوك فابتاعه شاة فقال له انها ليست لي فقال أنت القصد فاشتراه ثم أعتقه وقال اللهم كما رزقتني العتق الأصغر
فارزقني العتق الاكبر وقيل ان عمر بن الخطاب يطعم الحليب للخدم ويأكل الغليظ ويكسوهم اللين ويلبس
الخشن ويعطي الناس حقوقهم ويزيد في عطائهم وأعطى رجلا أربعة آلاف درهم وزاده ألفا فقيل له أما تزيد
ابنك كما زدت هذا قال هذا ثبت والده يوم أحد وقال الحسن أتى عمر بمال كثير فأتته حفصة وقالت له يا أمير المؤمنين
حق قرابتك فقال يا حفصة انما أوصى الله بحق قرابتي من مالي وأما مال المسلمين فلا يا حفصة قد أرضيت قومك
وأغضبت أباك فقامت تجر ذيلها وقال ابن عمر تضرعت الى ربي سنة من السنين أن يريني أبي حتى رأيته يمسح
العرق عن جبينه فقلت له ما حالك يا والدي فقال لولا رحمة ربي لهلك أبوك ثم قالت نزهة الزمان اسمع أيها الملك
السعيد الفصل الثاني من الباب الثاني وهو باب الادب والفضائل وما ذكر فيه من أخبار التابعين والصالحين قال
الحسن البصري لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا الا وهو يتأسف على ثلاثة أشياء عدم تمتعه بما جمع وعدم ادراكه
لما أمل وعدم استعداده بكثرة الزاد لما هو قادم عليه وقيل لسفيان هل يكون الرجل زاهدا وله مال قال نعم اذا
كان متى ابتلي صبر ومتى أعطي شكر وقيل لما حضرت عبد الله بن شداد الوفاة أحضر ولده محمدا فأوصاه وقال له
يا بني اني لأرى داعي الموت قد دعاني فاتق ربك في السر والعلانية واشكر الله على ما أنعم واصدق في الحديث فالشكر
يؤذن بازدياد النعم والتقوى خير زاد في المعاد كما قال بعضهم

ولست أرى السعادة جمع مال * ولكن التقي هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد حقا * وعند الله للأتقى مزيد

ثم قالت نزهة الزمان ليسمع الملك هذه النكت من الفصل الثاني من الباب الاول قيل لها وما هي قالت لما ولي عمر
ابن عبد العزيز الخلافة جاء لاهل بيته فأخذ ما بأيديهم ووضعه في بيت المال ففزعت بنو أمية الى عمته فاطمة بنت
مروان فأرسلت اليه قائلة انه لابد من لقائك ثم أتته ليلا فأنزلها عن دابتها فلما أخذت مجلسها قال لها يا عمة أنت
أولى بالكلام لان الحاجة لك فأخبريني عن مرادك فقالت يا أمير المؤمنين أنت أولى بالكلام ورأيك يستكشف
ما يخفى عن الافهام فقال عمر بن عبد العزيز ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين وعذابا للقوم
آخرين ثم اختار له ما عنده فقبضه اليه *وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الخامسة والستون) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نزهة الزمان قالت فقال عمر بن عبد
العزيز ان الله قد بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين وعذابا للقوم آخرين ثم اختار له ما عنده فقبضه اليه
وترك للناس نهرا يروى عطاشهم ثم قام أبو بكر خليفة بعده فأجرى النهر مجراه وعمل ما يرضي الله ثم قام عمر بعد
أبي بكر فعمل خير أعمال الابرار واجتهد اجتهادا لا يقدر أحد على مثله فلما قام عثمان اشتق من النهر نهرا ثم ولي
معاوية فاشتق منه يزيد وبنو مروان كعبد الملك والوليد وسليمان حتى آل الامر الي فأحببت أن أرد النهر الى
ما كان عليه فقالت قد أردت كلامك ومذاكرتك فقط فان كانت هذه مقالتك فلست بذاكرة لك شيأ ورجعت
الى بني أمية فقالت لهم ذوقوا عاقبة أمركم بتزويجكم الى عمر بن الخطاب وقيل لما حضرت عمر بن عبد العزيز
الوفاة جمع أولاده حوله فقال له مسلمة بن عبد الملك يا أمير المؤمنين كيف تترك أولادك فقراء وأنت راعيهم
فما يمنعك أحد في حياتك من أن تعطيهم من بيت المال ما يغنيهم وهذا أولى من أن ترجعه الى الوالي بعدك
فنظر الى مسلمة نظر مغضب متعجب ثم قال يا مسلمة منعتهم أيام حياتي فكيف أشقى بهم مماتي ان أولادي ما بين
رجلين اما مطيع لله تعالى فالله يصلح شأنه واما عاص فما كنت لاعينه على معصيته يا مسلمة اني حضرت وإياك

حين دفن بعض بني مروان فحملتني عيني فرأيته في المنام أفضى الى أمر من أمور الله عز وجل فهالني وراعني
بل عاهدت الله أن لا أعمل عمله ان وليت وقد اجتهدت في ذلك مدة حياتي وأرجو أن أفضي الى عفو ربي قال مسلمة
بن رجل حضرت دفنه فلما فرغت من دفنه حملتني عيني فرأيته فيما يرى النائم في روضة فيها أنهار جارية
وعليه ثياب بيض فاقبل علي وقال يا مسلمة لمثل هذا فليعمل العاملون ونحو هذا كثير وقال بعض الثقات كنت
احلب الغنم في خلافة عمر بن عبد العزيز فمررت براع فرأيت مع غنمه ذئبا أو ذئابا فظننت انها كلاب ولم أكن
رأيت الذئاب قبل ذلك فقلت ما تصنع بهذه الكلاب فقال انها ليست كلابا بل هي ذئاب فقلت هل ذئاب في غنم
لم تضرها فقال اذا صلح الرأس صلح الجسد وخطب عمر بن عبد العزيز على منبر من طين فحمد الله وأثنى عليه
ثم تكلم بثلاث كلمات فقال أيها الناس أصلحوا أسراركم لتصلح علانيتكم لاخوانكم وتكفوا أمر دنياكم واعلموا
أن الرجل ليس بينه وبين آدم رجل حي في الموتى مات عبد الملك ومن قبله ويموت عمر ومن بعده فقال له مسلمة
يا أمير المؤمنين لو علمنا لك متكأ لتعتمد عليه قليلا فقال أخاف أن يكون في عنقي منه اثم يوم القيامة ثم شهق شهقة
فخر مغشيا عليه فقالت فاطمة يا مريم يا مزاحم يا فلان انظروا هذا الرجل فجاءت فاطمة تصب عليه الماء وتبكي
حتى أفاق من غشيته فرآها تبكي فقال ما يبكيك يا فاطمة قالت يا أمير المؤمنين رأيت مصرعك بين أيدينا فتذكرت
مصرعك بين يدي الله عز وجل للموت وتخليك عن الدنيا وفراقك لنا فذاك الذي أبكانا فقال حسبك يا فاطمة
فلقد أبلغت ثم أراد القيام فنهض فسقط فضمته فاطمة اليها وقالت بأبي أنت وأمي يا أمير المؤمنين ما نستطيع
أن نكلمك كلنا ثم ان نزهة الزمان قالت لاخيها شركان وللقضاة الاربعة تتمة الفصل الثاني من الباب الاول *
وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السادسة والستون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان نزهة الزمان قالت لاخيها شركان وهي
لم تعرفه بحضور القضاة الاربعة والتاجر تتمة الفصل الثاني من الباب الاول اتفق أنه كتب عمر بن عبد العزيز
الى أهل الموسم أما بعد فاني أشهد الله في الشهر الحرام والبلد الحرام ويوم الحج الاكبر أني بريء من ظلمكم وعدوان
من اعتدى عليكم أن أكون أمرت بذلك أو تعمدته أو يكون أمر من أموره بلغني أو أحاط به علمي وأرجو أن
يكون لذلك موضع من الغفران الا أنه لا اذن مني بظلم أحد فاني مسؤل عن كل مظلوم الا وأي عامل من عمالي
زاغ عن الحق وعمل بلا كتاب ولا سنة فلا طاعة له عليكم حتى يرجع الى الحق وقال رضي الله تعالى عنه ما أحب
أن يخفف عني الموت لانه آخر ما يؤجر عليه المؤمن وقال بعض الثقات قدمت على أمير المؤمنين عمر بن عبد
العزيز وهو خليفة فرأيت بين يديه اثني عشر درهما فامر بوضعها في بيت المال قلت يا أمير المؤمنين انك أفقرت
أولادك وجعلتهم عيالا لا شيء لهم فلو أوصيت اليهم بشيء والى من هو فقير من أهل بيتك فقال ادن مني فدنوت
منه فقال أما قولك أفقرت أولادك فأوص اليهم أو الى من هو فقير من أهل بيتك فغير سديد لان الله خليفتي على
أولادي وعلى من هو فقير من أهل بيتي وهو وكيل عليهم وهم ما بين رجلين اما رجل يتقي الله فسيجعل الله له
مخرجا واما رجل معتكف على المعاصي فاني لم أكن لاقويه على معصية الله ثم بعث اليهم وأحضرهم بين يديه
وكانوا اثني عشر ذكرا فلما نظر اليهم ذرفت عيناه بالدموع ثم قال ان أباكم ما بين أمرين اما أن تستغنوا فيدخل
أبوكم النار واما أن تفتقروا فيدخل أبوكم الجنة ودخول أبيكم الجنة أحب اليه من أن تستغنوا قوموا قد وكلت
أمركم الى الله وقال خالد بن صفوان صحبني يوسف بن عمر الى هشام بن عبد الملك فلما قدمت عليه وقد خرج بقرابته
وخدمه فنزل في أرض وضرب له خيام فلما أخذت الناس مجالسهم خرجت من ناحية البساط فنظرت اليه
فلما صارت عيني في عينه قلت له تمم الله نعمته عليك يا أمير المؤمنين وجعل ما قلدك من هذه الامور رشدا ولا
خالطه ما يكدره يا أمير المؤمنين اني أحدثك نصيحة أبلغ من حديث من سلف قبلك من الملوك فاستوى
جالسا وكان متكئا وقال هات ما عندك يا ابن صفوان فقلت يا أمير المؤمنين ان ملكا من الملوك خرج قبلك في
عام قبل عامك هذا الى هذه الارض فقال لجلسائه هل رأيتم مثل ما أنا فيه وهل أعطي أحد مثل ما أعطيته وكان
عنده رجل من بقايا حملة الحجة والمعينين على الحق السالكين في منهاجه فقال أيها الملك انك سألت عن

أمر عظيم أتأذن لي في الجواب عنه قال نعم قال أرأيت الذي أنت فيه شيأ لم يزل زائلا فقال هو شيء زائل قال فمالي أراك قد أعجبت بشيء تكون فيه قليلا وتسئل عنه طويلا وتكون عند حسابه مرتهنا قال فأين المهرب وأين المطلب قال أن تقيم في ملكك فتعمل بطاعة الله تعالى أو تلبس أطمارك وتعبد ربك حتى يأتيك أجلك فاذا كان السحر فاني قادم عليك قال خالد بن صفوان ثم ان الرجل قرع عليه بابه عند السحر فرآه قد وضع تاجه وتهيأ للسياحة من عظم موعظته فبكى هشام بن عبد الملك بكاء كثيرا حتى بل لحيته وأمر بنزع ما عليه ولزم قصره فأتت الموالي والخدم الى خالد بن صفوان وقالوا أهكذا فعلت بامير المؤمنين أفسدت لذته ونغصت حياته ثم ان نزهة الزمان قالت لشركان وكم في هذا الباب من النصائح واني لاأعجز عن الاتيان بجميع ما في هذا الباب في مجلس واحد * وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السابعة والستون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نزهة الزمان قالت لشركان وكم في هذا الباب من النصائح واني لاأعجز عن الاتيان لك بجميع ما في هذا الباب في مجلس واحد ولكن على طول الايام ياملك الزمان يكون خيرا فقالت القضاة أيها الملك ان هذه الجارية أعجوبة الزمان ويتيمة العصر والاوان فاننا ما رأينا ولاسمعنا بمثلها في زمن من الازمان ثم انهم دعوا للملك وانصرفوا فعند ذلك التفت شركان الى خدامه وقال لهم اشرعوا في عمل العرس وهيؤا الطعام من جميع الالوان فامتثلوا أمره في الحال وهيؤا جميع الاطعمة وأمر نساء الامراء والوزراء وأرباب الدولة ان لاينصرفوا حتى يحضر والجلاء العروس فاجاء وقت العصر حتى مدوا السفرة مما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وأكل جميع الناس حتى اكتفوا وأمر الملك أن تحضر كل مغنية في دمشق فحضرن وكذلك جواري الملك اللاتي يعرفن الغناء وطلع جميعهن الى القصر فلما أتى المساء وأظلم الظلام أوقدوا الشموع من باب القلعة الى باب القصر يمينا وشمالا ومشي الامراء والوزراء والكبراء بين يدي الملك شركان وأخذت المواشط الصبية ليزينها وتلبسها فرأينها لاتحتاج الى زينة وكان الملك شركان قد دخل الحمام فلما خرج جلس على المنصة وجليت عليه العروس ثم خففوا عنها ثيابها وأوصوها بما توصي به البنات ليلة الزفاف ودخل عليها شركان وأخذ وجهها وعلقت منه في تلك الليلة وأعلمته بذلك ففرح فرحا شديدا وأمر الحكماء أن يكتبوا تاريخ الحمل فلما أصبح جلس على الكرسي وطلع له أرباب دولته وهنؤه وأحضر كاتب سره وأمره ان يكتب كتابا لوالده عمر النعمان بانه اشترى جارية ذات علم وأدب قد حوت فنون الحكمة وانه لابد من ارسالها الى بغداد لتزور أخاها ضوء المكان وأخته نزهة الزمان وأنه أعتقها وكتب كتابه عليها ودخل بها وحملت منه ثم ختم الكتاب وأرسله الى أبيه صحبة بريد فغاب ذلك البريد شهرا كاملا ثم رجع اليه بالجواب وناوله فاخذه وقرأه فاذا فيه بعد البسملة هذا من عند الحائر الولهان الذي فقد الولدان وهجر الاوطان الملك عمر النعمان الى ولده شركان اعلم أنه بعد مسيرك من عندي ضاق علي المكان حتى لاأستطيع صبرا ولاأقدر أن أكتم سرا وسبب ذلك أنني ذهبت الى الصيد والقنص وكان ضوء المكان قد طلب مني الذهاب الى الحجاز فخفت عليه نوائب الزمان ومنعته من السفر الى العام الثاني أو الثالث فلما ذهبت الى الصيد والقنص غبت شهرا * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثامنة والستون﴾

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك عمر النعمان قال في مكتوبه فلما ذهبت الى الصيد والقنص غبت شهرا فلما أتيت وجدت أخاك وأختك أخذا شيأ من المال وسافرا مع الحجاج خفية فلما علمت بذلك ضاق بي الفضاء وقد انتظرت مجيء الحجاج لعلهما يجيئان معهم فلما جاء الحجاج سألت عنهما فلم يخبرني أحد بخبرهما فلبست لاجلهما ثياب الحزن وأنا مرهون الفؤاد عديم الرقاد غريق دمع العين ثم أنشد هذين البيتين

خيالهما عندي ليس بغائب * جعلت له في القلب أشرف موضع

ولولا رجاء العود ماعشت ساعة * ولولا خيال الطيف لم أتهجع

ثم كتب من جملة المكتوب وبعد السلام عليك وعلى من عندك أعرفك أنك لاتتهاون في كشف الاخبار فان هذا علينا عار فلما قرأ الكتاب حزن على حزن أبيه وفرح لفقد أخته وأخيه وأخذ الكتاب ودخل به على زوجته نزهة

الزمان ولم يعلم انها اخته وهي لا تعلم أنه أخوها مع انه يتردد عليها الليل والنهار الى ان كملت اشهرها وجلست على كرسي الطلق فسهل الله عليها الولادة فولدت بنتا فارسلت تطلب شركان فلما رآته قالت له هذه بنتك فسمها ما تريد فان عادة الناس ان يسموا أولادهم في سابع يوم ولادتهم ثم انحنى شركان على ابنته وقبلها فوجد في عنقها خرزة معلقة من الثلاث خرزات التي جاءت بها الملكة ابريزة من بلاد الروم فلما عاين الخرزة معلقة في عنق ابنته غاب عقله واشتد به الغيظ وحملق عينيه في الخرزة حتى عرفها حق المعرفة ثم نظر الى نزهة الزمان وقال لها من أين جاءتك هذه الخرزة يا جارية فلما سمعت من شركان ذلك الكلام قالت له انا سيدتك وسيدة كل من في قصرك أما تستحي وأنت تقول يا جارية وأنا ملكة بنت ملك والآن زال الكتمان واشتهر الامر وبان أنا نزهة الزمان بنت الملك عمر النعمان فلما سمع منها هذا الكلام لحقه الارتعاش وأطرق برأسه الى الارض * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة التاسعة والستون﴾

قالت بلغني أيها الملك السعيد ان شركان لما سمع هذا الكلام ارتجف قلبه واصفر لونه ولحقه الارتعاش وأطرق برأسه الى الارض وعرف أنها أخته من أبيه فغاب عن الدنيا فلما أفاق صار يتعجب ولكنه لم يعرفها بنفسه وقال لها يا سيدتي هل أنت بنت الملك عمر النعمان قالت نعم فقال لها وما سبب فراقك لابيك وبيعك فحكت له جميع ما وقع لها من الاول الى الآخر وأخبرته أنها تركت أخاها مريضا في بيت المقدس وأخبرته باختطاف البدوي لها وبيعه اياها التاجر فلما سمع شركان ذلك الكلام تحقق انها أخته من أبيه وقال في نفسه كيف أتزوج بأختي لكن أنا أزوجها الواحد من حجابي واذا ظهر أمر أدعي انني طلقتها قبل الدخول وزوجتها بالحاجب الكبير ثم رفع رأسه وتأسف وقال يا نزهة الزمان أنت أختي حقيقة واستغفر الله من هذا الذنب الذي وقعنا فيه فانني أنا شركان ابن الملك عمر النعمان فنظرت اليه وتأملته فعرفته فلما عرفته غابت عن صوابها وبكت ولطمت وجهها وقالت قد وقعنا في ذنب عظيم ماذا يكون العمل وما أقول لابي وأمي اذا قالا لي من أين جاءتك هذه البنت فقال شركان الرأي عندي أن أزوجك بالحاجب وأدعك تربي بنتي في بيته بحيث لا يعلم أحد بانك أختي وهذا الذي قدره الله علينا لامر أراده فلم يسترنا الا زواجك بهذا الحاجب قبل أن يدري أحد ثم صار يأخذ بخاطرها ويقبل رأسها فقالت له وما تسمي البنت قال أسميها قضى فكان ثم زوجها للحاجب الكبير ونقلها الى بيته هي وبنتها فربوها على أكتاف الجواري وواظبوا عليها بالاشربة وأنواع السفوف هذا كله وأخوها ضوء المكان مع الوقاد بدمشق فاتفق أنه أقبل بريد يوما من الايام من عند الملك عمر النعمان الى الملك شركان ومعه كتاب فأخذه وقرأه فرأى فيه بعد البسملة اعلم أيها الملك العزيز انني حزين حزنا شديدا على فراق الاولاد وعدمت الرقاد ولازمني السهاد وقد أرسلت هذا الكتاب اليك حال حصوله بين يديك ترسل الينا الخراج وترسل صحبته الجارية التي اشتريتها وتزوجت بها فانني أحببت أن أراها وأسمع كلامها لانه جاءنا من بلاد الروم عجوز من الصالحات وصحبتها خمس جوار نهد أبكار وقد حازوا من العلم والادب وفنون الحكمة ما يجب على الانسان معرفته ويعجز عن وصف هذه العجوز ومن معها اللسان فانهن حزن أنواع العلم والفضيلة والحكمة فلما رأيتهن أحببتهن وقد اشتهيت أن يكن في قصري وفي ملك يدي لانه لا يوجد لهن نظير عند سائر الملوك فسألت المرأة العجوز عن ثمنهن فقالت لا أبيعهن الا بخراج دمشق وأنا والله أرى خراج دمشق قليلا في ثمنهن فان الواحدة منهن تساوي أكثر من هذا المبلغ فأجبتها الى ذلك ودخلت بهن قصري وبقين في حوزتي فعجل لنا بالخراج لاجل أن تسافر المرأة بلادها وأرسل الينا الجارية لاجل أن تناظرهن * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الموفية للسبعين﴾

قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الملك عمر النعمان قال في مكتوبه وأرسل الينا الجارية لاجل ان تناظرهن بين العلماء فاذا غلبتهن أرسلتها اليك وصحبتها خراج بغداد فلما علم ذلك شركان أقبل على صهره وقال له هات الجارية التي زوجتك اياها فلما حضرت أوقفها على الكتاب وقال لها يا أختي ما عندك من الرأي في رد الجواب قالت له

الرأى رأيك ثم قالت له وقد اشتاقت الى أهلها ووطنها أرسلنى فحيث تزوجنى الحاجب لأجل أن أحكى لابى حكايتى وأخبره بما وقع لى مع البدوى الذى باعنى للتاجر وأخبره بأن التاجر باعنى لك وزوجتنى للحاجب بعد عتقى فقال لها شركان وهو كذلك ثم أخذ ابنته قضى فكان وسلمها للمراضع والخدم وشرع فى تجهيز الخراج وأمر الحاجب أن يأخذ الخراج والجارية صحبته ويتوجه الى بغداد فأجابه الحاجب بالسمع والطاعة فأمر له بمحفة يجلس فيها وللجارية بمحفة أيضا ثم كتب كتابا وسلمه للحاجب وودع نزهة الزمان وكان قد أخذ منها الخرزة وجعلها فى عنق ابنته فى سلسلة من خالص الذهب ثم سافر الحاجب فى تلك الليلة فاتفق انه خرج ضوء المكان هو والوقاد فى تلك الليلة يتفرجان فرأيا جمالا وبغالا ومشاعل وفوانيس مضيئة فسأل ضوء المكان عن هذه الاحمال وعن صاحبها فقيل له هذا خراج دمشق مسافر الى الملك عمر النعمان صاحب مدينة بغداد فقال ومن رئيس هذه المحامل قيل هو الحاجب الكبير الذى تزوج الجارية التى تعلمت العلم والحكمة فعند ذلك بكى بكاء شديدا وتذكر أمه وأباه وأخته ووطنه وقال للوقاد ما بقى لى قعود هنا بل أسافر مع هذه القافلة وأمشى قليلا قليلا حتى أصل الى بلادى فقال له الوقاد أنا ما أمنت عليك من القدس الى دمشق فكيف آمن عليك الى بغداد فأنا أكون معك حتى تصل الى مقصدك فقال ضوء المكان حبا وكرامة فشرع الوقاد فى تجهيز حاله ثم شد الحمار وجعل خرجه عليه ووضع فيه شيأ من الزاد وشد وسطه ومازال على أهبة حتى جازت عليه الاحمال والحاجب راكب على هجين والمشاة حوله وركب ضوء المكان حمار الوقاد وقال للوقاد اركب معى فقال لا أركب ولكن أكون فى خدمتك فقال ضوء المكان لابد أن تركب ساعة فقال له اذا تعبت اركب ساعة ثم ان ضوء المكان قال للوقاد يا أخى سوف تنظر ما أفعل بك اذا وصلت الى أهلى ومازالوا مسافرين الى أن طلعت الشمس فلما اشتد عليهم الحر أمرهم الحاجب بالنزول فنزلوا واستراحوا وسقوا جمالهم ثم أمرهم بالمسير وبعد خمسة أيام وصلوا الى مدينة حماة ونزلوا وأقاموا بها ثلاثة أيام * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الحادية والسبعون) قالت بلغنى أيها الملك السعيد انهم أقاموا فى مدينة حماة ثلاثة أيام ثم سافروا ومازالوا مسافرين حتى وصلوا مدينة أخرى فأقاموا بها ثلاثة أيام ثم سافروا حتى وصلوا الى ديار بكر وهب عليهم نسيم بغداد فتذكر ضوء المكان أخته نزهة الزمان وأباه وأمه ووطنه وكيف يرجع الى أبيه بغير أخته فبكى وأن واشتكى واشتدت به الحسرات فأنشد هذه الابيات

خليلى كم هذا التأنى وأصبر * ولم يأتنى منكم رسول يخبر
ألا ان أيام الوصال قصيرة * فياليت أيام التفرق تقصر
خذوا بيدى ثم ارحموا الصبابتى * تلاشى بها جسمى وان كنت أصبر
فان تطلبوا منى سلوا أقل لكم * فوالله ما أسلو الى حين أحشر

فقال له الوقاد اترك هذا البكاء والانين فاننا قريب من خيمة الحاجب فقال ضوء المكان لابد من انشادى شيأ من الشعر لعل نار قلبى تنطفى فقال له الوقاد بالله عليك ان تترك الحزن حتى تصل الى بلادك وافعل بعد ذلك ما شئت وأنا معك حيثما كنت فقال ضوء المكان والله لا أفتر عن ذلك ثم التفت بوجهه الى ناحية بغداد وكان القمر مضيأ وكانت نزهة الزمان لم تنم تلك الليلة لانها تذكرت أخاها ضوء المكان فقلقت وصارت تبكى فبينما هى تبكى اذ سمعت أخاها ضوء المكان يبكى وينشد هذه الابيات

لمع البرق اليمانى * فشجانى ما شجانى * من حبيب كان عندى * ساقيا كاس التهانى
وميض البرق هل تر * جع أيام التدانى * ياعذولى لا تلمنى * ان ربى قد بلانى
بحبيب غاب عنى * وزمان قد دهانى * قد نأت نزهة قلبى * عندما ولى زمانى * وحوى لى الهم صرفا
وبكاس قد سقانى * وأرانى يا خليلى * مت من قبل التدانى * يازمانا للتصابى * عد قريبا بالامانى
* فى سرور ومع امان * من زمان قد رمانى * من لمسكين غريب * بات مرعوب الجنان
صار فى الحزن فريدا * بعد نزهات الزمان * حكمت فينا برغم * كف أولاد الزوانى

فلما فرغ من شعره صاح وخر مغشيا عليه هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر نزهة الزمان فانها كانت ساهرة فى تلك الليلة لانها تذكرت أخاها فى ذلك المكان فلما سمعت ذلك الصوت بالليل ارتاح فؤادها وقامت

ونهضت ودعت الخادم فقال لها ما حاجتك فقالت له قم وائتني بالذي ينشد الاشعار * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الثانية والسبعون) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نزهة الزمان لما سمعت من أخيها الشعر دعت الخادم الكبير وقالت له اذهب وائتني بمن ينشد هذه الاشعار فقال لها اني لم أسمعه ولم أعرفه والناس كلهم نائمون فقالت له كل من رأيته مستيقظا فهو الذي ينشد الاشعار ففتش فلم ير مستيقظا سوى الرجل الوقاد وأما ضوء المكان فانه كان في غشيته فلما رأى الوقاد الخادم واقفا على رأسه خاف منه فقال له الخادم هل أنت الذي كنت تنشد الشعر وقد سمعتك سيدتنا فاعتقد الوقاد أن السيدة اغتاظت من الانشاد فخاف وقال والله ما هو أنا فقال له الخادم ومن الذي كان ينشد الشعر فدلني عليه فانك تعرفه لأنك يقظان فخاف الوقاد على ضوء المكان وقال في نفسه ربما يضره الخادم بشئ فقال له لم أعرفه فقال له الخادم والله انك تكذب فانه ما هنا قاعد الا أنت فانت تعرفه فقال الوقاد أنا أقول لك الحق ان الذي كان ينشد الاشعار رجل عابر طريق وهو الذي أزعجني وأقلقني فالله يجازيه فقال له الخادم فاذا كنت تعرفه فدلني عليه وأنا أمسكه وآخذه الى باب المحفة التي فيها سيدتنا وأمسكه أنت بيدك فقال له اذهب أنت حتى آتيك به فتركه الخادم وانصرف ودخل وأعلم سيدته بذلك وقال ما أحد يعرفه لانه عابر سبيل فسكتت ثم ان ضوء المكان لما أفاق من غشيته رأى القمر وصل الى وسط السماء وهب عليه نسيم الاسحار فهيج في قلبه البلابل والاشجان فحسن صوته وأراد أن ينشد فقال له الوقاد ماذا تريد أن تصنع فقال أريد أن أنشد شيأ من الشعر لاطفئ به لهيب قلبي قال له أنت ما علمت بما جرى لي وما سلمت من القتل الا بأخذ خاطر الخادم فقال له ضوء المكان وماذا جرى فاخبرني بما وقع فقال يا سيدي قد أتاني الخادم وأنت مغشي عليك ومعه عصا طويلة من اللوز وجعل يتطلع في وجوه الناس وهم نائمون ويسأل على من كان ينشد الاشعار فلم يجد من هو مستيقظ غيري فسألني فقلت له انه عابر سبيل فانصرف وسلمني الله منه والا كان قتلني فقال لي اذا سمعته ثانيا فائت به عندنا فلما سمع ضوء المكان ذلك بكى وقال من يمنعني من الانشاد فانا أنشد ويجري علي ما يجري فاني قريب من بلادي ولا أبالي بأحد فقال له الوقاد أنت ما مرادك الا هلاك نفسك فقال له ضوء المكان لا بد من انشادي فقال له الوقاد قد وقع الفراق بيني وبينك من هنا وكان مرادي أن لا أفارقك حتى تدخل مدينتك وتجتمع بابيك وأمك وقد مضى لك عندي سنة ونصف وما حصل لك مني ما يضرك فما سبب انشادك الشعر ونحن في غاية التعب من المشي والسهر والناس قد هجعوا يستريحون من التعب ومحتاجون الى النوم فقال ضوء المكان لا أرجع عما أنا فيه ثم هزته الاشجان فباح بالكتمان وجعل ينشد هذه الابيات

قف بالديار وحي الاربع الدرسا * ونادها فعساها أن تجيب عسى
فان أجنك ليل من توحشها * أوقد من الشوق في ظلمائها قبسا
ان صل صل عذاريه فلا عجب * ان يجن لسعا واني أجتني لعسا
يا جنة فارقتها النفس مكرهة * لولا التأسي بدار الخلد مت أسى

وأنشد أيضا هذين البيتين

كنا وكانت لنا الايام خادمة * والشمل مجتمع في أبهج الوطن
من لي بدار أحبابي وكان بها * ضوء المكان وفيها نزهة الزمن

فلما فرغ من شعره صاح ثلاث صيحات ثم وقع مغشيا عليه فقام الوقاد وغطاه فلما سمعت نزهة الزمان ما أنشده من الاشعار المتضمنة لذكر اسمها واسم أخيها ومعاهدهما بكت وصاحت على الخادم وقالت له ويلك ان الذي أنشد أولا انشد ثانيا وسمعته قريبا مني والله ان لم تأتني به لانبهن عليك الحاجب فيضربك ويطردك ولكن خذ هذه المائة دينار واعطها اياه وائتني به برفق فان أبى فادفع له هذا الكيس الذي فيه ألف دينار فان أبى فاتركه واعرف مكانه وصنعته ومن أي البلاد هو وارجع الي بسرعة ولا تغب * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الثالثة والسبعون) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان نزهة الزمان أرسلت الخادم يفتش عليه وقالت له اذا وجدته فلاطفه وائتني به برفق ولا تتعب فخرج الخادم يتأمل في الناس ويدوس بينهم وهم نائمون فلم يجد أحدا مستيقظا فجاء الى الوقاد فوجده قاعدا مكشوف الرأس فدنا منه وقبض على يده وقال له

أنت الذى كنت تنشد الشعر نخاف على نفسه وقال لا والله يا مقدم القوم ما هو أنا فقال له الخادم لا أتركك حتى تدلنى على من كان ينشد الشعر لانى لا أقدر على الرجوع الى سيدتى من غيره فلما سمع الوقاد كلام الخادم خاف على ضوء المكان وبكى بكاء شديدا وقال للخادم والله ما هو أنا ولا أعرفه وانما سمعت انسانا عابر سبيل ينشد فلا تدخل فى خطيئتى فانى غريب وجئت من بلاد القدس والخليل معكم فقال الخادم للوقاد قم أنت معى الى سيدتى وأخبرها بفمك فانى ما رأيت أحدا مستيقظا غيرك فقال له الوقاد أما جئت ورأيتنى فى الموضع الذى أنا قاعد فيه وعرفت مكانى وما أحد يقدر أن ينقل من موضعه الا أمسكته الحرس فامض أنت الى مكانك فان بقيت تسمع أحدا فى هذه الساعة ينشد شيأ من الشعر سواء كان بعيدا أو قريبا لا تعرفه الا منى ثم باس رأس الخادم وأخذ بخاطره فتركه الخادم ودار دورة وخاف أن يرجع الى سيدته بلا فائدة فاستتر فى مكان قريب من الوقاد فقام الوقاد الى ضوء المكان ونبهه وقال له قم اقعد حتى أحكى لك ما جرى وحكى له ما وقع فقال له دعنى فانى لا أبالى بأحد فان بلادى قريبة فقال الوقاد لضوء المكان لاى شئ أنت مطاوع نفسك وهواك ولا تخاف من أحد وأنا خائف على روحى وروحك فبالله عليك انك لا تتكلم بشئ من الشعر حتى تدخل بلدك وأنا ما كنت أظنك على هذه الحالة أما علمت ان زوجة الحاجب تريد زجرك لانك أقلقتها وكأنها ضعيفة أو تعبانة من السفر وكم مرة وهى ترسل الخادم يفتش عليك فلم يلتفت ضوء المكان الى كلام الوقاد بل صاح ثالثا وأنشد هذه الابيات

تركت كل لائم * ملامه أقلقنى * يعذلنى ومادرى * بانه حرضنى * قال الوشاة قد سلا
قلت لحب الوطن * قالوا فما أحسنه * قلت فما أعشقنى * قالوا فما أعزه * قلت فما أذلنى
هيهات ان أتركه * لو ذقت كاس الشجن * وما أطعت لائما * لى فى الهوى يعذلنى

وكان الخادم يسمعه وهو مختف فما فرغ من شعره الا والخادم على رأسه فلما رآه الوقاد فر ووقف بعيدا ينظر ما يقع بينهما فقال الخادم السلام عليكم يا سيدى فقال ضوء المكان عليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقال الخادم يا سيدى * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الرابعة والسبعون) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الخادم قال لضوء المكان يا سيدى انى أتيت اليك فى هذه الليلة ثلاث مرات لان سيدتى تطلبك عندها قال ومن أين هذه الكلبة حتى تطلبنى مقتها الله ومقت زوجها معها ونزل فى الخادم شتما فما قدر الخادم ان يرد عليه جوابا لان سيدته أوصته أنه لا يأتى به الا بمراده هو فان لم يأت معه تعطيه المائة دينار فجعل الخادم يلين له الكلام ويقول له يا ولدى نحن ما أخطأنا معك ولا جرنا عليك فالقصد أن تصل بخطواتك الكريمة الى سيدتنا وترجع فى خير وسلامة ولك عندنا بشارة فلما سمع ذلك الكلام قام ومشى بين الناس والوقاد ماش خلفه وناظر اليه ويقول فى نفسه يا خسارة شبابه فى غد يشنقونه وما زال الوقاد ماشيا حتى قرب من مكانهم وقال ما أخسه ان كان يقول على هو الذى قال لى أنشدت الاشعار هذا ما كان من أمر الوقاد (وأما) ما كان من أمر ضوء المكان فانه ما زال ماشيا مع الخادم حتى وصل الى المكان ودخل الخادم على نزهة الزمان وقال لها قد جئت بما تطلبينه وهو شاب حسن الصورة وعليه أثر النعمة فلما سمعت ذلك خفق قلبها وقالت له مره أن ينشد شيأ من الشعر حتى أسمعه من قرب وبعد ذلك فاسأله عن اسمه ومن أى البلاد هو فخرج الخادم اليه وقال له أنشد شيأ من الشعر حتى تسمعه سيدتى فانها حاضرة بالقرب منك وأخبرنى عن اسمك وبلدك وحالك فقال حبا وكرامة ولكن حيث سألتنى عن اسمى فانه محى ورسمى فنى وجسمى بلى ولى حكاية تكتب بالابر على آماق البصر وها أنا فى منزلة السكران الذى أكثر من الشراب وحلت به الاوصاب فتاه عن نفسه واحتار فى أمره وغرق فى بحر الافكار فلما سمعت نزهة الزمان هذا الكلام بكت وزادت فى البكاء والانين وقالت للخادم قل له هل فارقت أحدا ممن تحب مثل أمك وأبيك فسأله الخادم كما أمرته نزهة الزمان فقال ضوء المكان نعم فارقت الجميع وأعزهم عندى أختى التى فرق الدهر بينى وبينها فلما سمعت نزهة الزمان منه هذا الكلام قالت الله يجمع شمله بمن يحب * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الخامسة والسبعون) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان نزهة الزمان لما سمعت كلامه قالت

الله يجمع شملنا بمن نحب ثم قالت للخادم قل له أسمعنا شيأ من الاشعار المتضمنة لشكوى الفراق فقال له الخادم كما أمرته سيدته فصعد الزفرات وأنشد هذه الابيات

ليت شعري لو دروا * أى قلب ملكوا * وفؤادي لو درى * أى شعب سلكوا
أتراهم سلموا * أم تراهم هلكوا * حار أرباب الهوى * فى الهوى وارتبكوا

وأنشد أيضا هذه الابيات

أضحى التنائى بديلا من تدانينا * وناب عن طيب دنيانا تجافينا
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولاجفت مآقينا
غيظ العدى من تساقينا الهوى فدعوا * بان نغص فقال الدهر آمينا
ان الزمان الذى مازال يضحكنا * أنسا بقربكم قد عاد يبكينا
يا جنة الخلد بدلنا بسلسلها * والكوثر العذب زقوما وغسلينا

ثم سكب العبرات وأنشد هذه الابيات

لله نذرات أزر مكانى * وفيه أختى نزهة الزمان
لاقضين بالصفا زمانى * ما بين غيدى خرد حسان
وصوت عود مطرب الالحان * مع ارتضاع كاس بنت الحان
ورشف اللمى فاتر الاجفان * بشط نهر سال فى بستان

فلما فرغ من شعره وسمعته نزهة الزمان كشفت ذيل الستارة عن المحفة ونظرت اليه فلما وقع بصرها على وجهه عرفته غاية المعرفة فصاحت قائلة يا أخى يا ضوء المكان فرفع بصره اليها فعرفها وصاح قائلا يا أختى يا نزهة الزمان فالقت نفسها عليه فتلقاها فى حضنه ووقع الاثنان مغشيا عليهما فلما رآهما الخادم على تلك الحالة تعجب فى أمرهما وألقى عليهما شيأ استرهما به وصبر عليهما حتى أفاقا فلما أفاقا من غشيتهما فرحت نزهة الزمان غاية الفرح وزال عنها الهم والترح وتوالت عليها المسرات وأنشدت هذه الابيات

الدهر أقسم لا يزال مكدرى * حنثت يمينك يا زمان فكفر
السعد وافى والحبيب مساعدى * فانهض الى داعى السرور وشمر
ما كنت أعتقد السوالف جنة * حتى ظفرت من اللمى بالكوثر

فلما سمع ذلك ضوء المكان ضم أخته الى صدره وفاضت لفرط سروره من أجفانه العبرات وأنشد هذه الابيات

ولقد ندمت على تفرق شملنا * ندما أفاض الدمع من أجفانى
ونذرت ان عاد الزمان يلمنا * لاعدت أذكر فرقة بلسانى
هجم السرور على حتى انه * من فرط ما قد سرنى أبكانى
يا عين صار الدمع عندك عادة * تبكين من فرح ومن أحزان

وجلسا على باب المحفة ساعة ثم قالت قم ادخل المحفة واحك لى ما وقع لك وأنا أحكى لك ما وقع لى فقال ضوء المكان احكى لى أنت أولا فحكت له جميع ما وقع لها منذ فارقته من الخان وما وقع لها من البدوى والتاجر وكيف اشتراها منه وكيف أخذها التاجر الى أخيها شركان وباعها له وان شركان أعتقها من حين اشتراها وكتب كتابه عليها ودخل بها وان الملك أباها سمع بخبرها فارسل الى شركان يطلبها منه ثم قالت له الحمد لله الذى من على بك ومثل ما خرجنا من عند والدنا سواء نرجع اليه سواء ثم قالت له ان أخى شركان زوجنى بهذا الحاجب لاجل أن يوصلنى الى والدى وهذا ما وقع لى من الاول الى الآخر فاحك لى أنت ما وقع لك بعد ذهابى من عندك فحكى لها جميع ما وقع له من الاول الى الآخر وكيف من الله عليه بالوقاد وكيف سافر معه وأنفق عليه ماله وانه كان يخدمه فى الليل والنهار فشكرته على ذلك ثم قال لها يا أختى ان هذا الوقاد فعل معى من الاحسان فعلا لا يفعله أحد فى أحد من أحبابه ولا الوالد مع ولده حتى كان يجوع ويطعمنى ويمشى ويركبنى وكانت حياتى على يديه فقالت نزهة الزمان ان شاء الله تعالى نكافئه بما نقدر عليه ثم ان نزهة الزمان صاحت على الخادم فحضر وقبل يد ضوء المكان فقالت له نزهة الزمان خذ بشارتك يا وجه الخير لانه كان جمع شملى باخى على يديك فالكيس الذى معك وما فيه لك فاذهب وائتنى بسيدك عاجلا ففرح الخادم وتوجه الى الحاجب ودخل عليه ودعاه الى سيدته فأتى به ودخل على زوجته نزهة الزمان فوجد عندها أخاها فسأل عنه فحكت له ما وقع لهما من أوله الى آخره ثم قالت اعلم أيها الحاجب انك ما أخذت جارية وانما أخذت بنت الملك عمر النعمان فأنا نزهة الزمان وهذا أخى ضوء المكان فلما سمع الحاجب القصة منها تحقق ما قالته وبان له الحق الصريح وتيقن انه صار صهر الملك عمر

النعمان فقال في نفسه مضيري أن آخذ ثيابه على قطر من الاقطار ثم اقبل على ضوء المكان وهنأه بسلامته وجمع شمله بأخته ثم أمر خدمه في الحال أن يهيئوا لضوء المكان خيمة ومركوبا من أحسن الخيول فقالت له أخته انا قد قربنا من بلادنا فاتركنا أختلي بأخي ونستريح مع بعضنا ونشبع من بعضنا قبل أن نصل الى بلادنا فان لنا زمنا طويلا ونحن متفرقون فقال الحاجب الامر كما تريدان ثم أرسل اليهما الشموع وانواع الحلاوة وخرج من عندهما وأرسل الى ضوء المكان ثلاث بدلات من أفخر الثياب وتمشى الى أن جاء الى المحفة وعرف مقدار نفسه فقالت له نزهة الزمان ارسل الى الخادم وأمره أن يأتي بالوقاد ويهيئ له حصانا يركبه ويرتب له سفرة طعام في الغداة والعشي ويأمره أنه لا يفارقنا فعند ذلك أرسل الحاجب الى الخادم وأمره أن يفعل ذلك فقال سمعا وطاعة ثم ان الخادم أخذ غلمانه وذهب يفتش على الوقاد الى أن وجده في آخر الركب وهو يشد حماره ويريد أن يهرب ودموعه تجري على خده من الخوف على نفسه ومن حزنه على فراق ضوء المكان وصار يقول نصحته في سبيل الله فلم يسمع مني يا ترى كيف حاله فلم يتم كلامه الا والخادم واقف على رأسه ودارت حوله الغلمان فالتفت الوقاد فرأى الخادم واقفا فوق رأسه ورأى الغلمان حوله فاصفر لونه وخاف * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة السادسة والسبعون) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الوقاد لما أراد أن يشد حماره ويهرب وصار يكلم نفسه ويقول يا ترى كيف حاله فما تم كلامه الا والخادم واقف على رأسه والغلمان حوله فالتفت الوقاد فرأى الخادم واقفا على رأسه فارتعدت فرائصه وخاف وقال وقد رفع صوته بالكلام انه ما عرف مقدار ما عملته معه من المعروف فأظن أنه غمز الخادم وهؤلاء الغلمان علي وانه أشركني معه في الذنب واذا بالخادم صاح عليه وقال له من الذي كان ينشد الاشعار يا كذاب كيف تقول لي انا ما أنشد الاشعار ولا أعرف من أنشدها وهو رفيقك فأنا لا أفارقك من هنا الى بغداد والذي يجري على رفيقك يجري عليك فلما سمع الوقاد كلامه قال في نفسه ما خفت منه وقعت فيه ثم أنشد هذا البيت

كان الذي خفت أن يكونا * انا الى الله راجعونا

ثم ان الخادم صاح على الغلمان وقال لهم أنزلوه عن الحمار فأنزلوا الوقاد عن حماره وأتوا له بحصان فركبه ومشى صحبة الركب والغلمان حوله محدقون به وقال لهم الخادم ان عدم منه شعرة كانت بواحد منكم ولكن أكرموه ولا تهينوه فلما رأى الوقاد الغلمان حوله يئس من الحياة والتفت الى الخادم وقال له يا مقدم انا ما لي اخوة ولا أقارب وهذا الشاب لا يقرب لي ولا انا أقرب له وانما أنا رجل وقاد في حمام ووجدته ملقى على المزبلة مريضا وصار الوقاد يبكي ويحسب في نفسه ألف حساب والخادم ماش بجانبه ولم يعرفه بشيء بل يقول له قد أقلقت سيدتنا بانشادك الشعر أنت وهذا الصبي ولا تخف على نفسك وصار الخادم يضحك عليه سرا واذا نزلوا أتاهم الطعام فيأكل هو والوقاد في آنية واحدة فاذا أكلوا أمر الخادم الغلمان أن يأتوا بقلة سكر فيشرب منها ويعطيها للوقاد فيشرب لكنه لم تنشف له دمعة من الخوف على نفسه والحزن على فراق ضوء المكان وعلى ما وقع لهما في غربتهما وهما سائران والحاجب تارة يكون على باب المحفة لاجل خدمة ضوء المكان ابن الملك عمر النعمان ونزهة الزمان وتارة يلاحظ الوقاد وصارت نزهة الزمان وأخوها ضوء المكان في حديث وشكوى ولم يزالا على تلك الحالة وهم سائرون حتى قربوا من البلاد ولم يبق بينهم وبين البلاد الا ثلاثة أيام فنزلوا وقت المساء واستراحوا ولم يزالوا نازلين الى أن لاح الفجر فاستيقظوا وأرادوا أن يحملوا واذا بغبار عظيم قد لاح لهم وأظلم الجو منه حتى صار كالليل الداجي فصار الحاجب قائلا امهلوا ولا تحملوا وركب هو ومماليكه وسار نحو ذلك الغبار فلما قربوا منه بان من تحته عسكر جرار كالبحر الزخار وفيه رايات وأعلام وطبول وفرسان وأبطال فتعجب الحاجب من أمرهم فلما رآهم العسكر افترقت منه فرقة قدر خمسمائة فارس وأتوا الى الحاجب هو ومن معه وأحاطوا بهم وأحاطت كل خمسة من العسكر بمملوك من مماليك الحاجب فقال لهم الحاجب أي شيء الخبر ومن أين هذه العساكر حتى تفعل معنا هذه الافعال فقالوا له من أنت ومن أين أتيت والى أين تتوجه فقال لهم أنا حاجب أمير دمشق الملك شركان ابن الملك عمر النعمان صاحب بغداد وأرض خراسان أتيت من عنده بالخراج والهدية

متوجه الى والده ببغداد فلما سمعوا كلامه أخذوا أمناديلهم على وجوههم وبكوا وقالوا له ان عمر النعمان قد مات وما مات الا مسموما فتوجه وما عليك باس حتى تجتمع بوزيره الاكبر الوزير دندان فلما سمع الحاجب ذلك الكلام بكى بكاء شديدا وقال واخيبتاه في هذه السفرة وصار يبكي هو ومن معه الى أن اختلطوا بالعسكر فاستأذنوا له الوزير دندان فأذن له وأمر الوزير بضرب خيامه وجلس على سرير في وسط الخيمة وأمر الحاجب بالجلوس فلما جلس سأله عن خبره فأعلمه انه حاجب أمير دمشق وقد جاء بالهدايا وخراج دمشق فلما سمع الوزير دندان ذلك بكى عند ذكر الملك عمر النعمان ثم قال له الوزير دندان ان الملك عمر النعمان قد مات مسموما وبسبب موته اختلف الناس فيمن يولونه بعده حتى أوقعوا القتل في بعضهم ولكن منعهم عن بعضهم الاكابر والاشراف والقضاة الاربعة واتفق جميع الناس على أن ما أشار به القضاة الاربعة لا يخالفهم فيه أحد فوقع الاتفاق على اننا نسير الى دمشق ونقصد ولده الملك شركان ونأتي به ونسلطنه على مملكة أبيه وفيهم جماعة يريدون ولده الثاني وقالوا انه يسمى ضوء المكان وله أخت تسمى نزهة الزمان وكانا قد توجها الى أرض الحجاز ومضى لهما خمس سنين ولم يقع لهما أحد على خبر فلما سمع الحاجب ذلك علم أن القضية التي وقعت لزوجته صحيحة فاغتم لموت السلطان غما عظيما ولكنه فرح فرحا شديدا وخصوصا بمجيء ضوء المكان لانه يصير سلطانا ببغداد في مكان أبيه * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(* فلما كانت الليلة السابعة والسبعون *)

قالت بلغني أيها الملك السعيد ان حاجب شركان لما سمع من الوزير دندان ما ذكره من خبر الملك عمر النعمان تأسف ولكنه فرح فرحا شديدا بمجيء ضوء المكان لانه يصير سلطانا ببغداد مكان أبيه ثم التفت الحاجب الى الوزير دندان وقال ان قصتكم من أعجب العجائب اعلم أيها الوزير الكبير انكم حيث صادفتموني الآن أراحكم الله من التعب وقد جاء الامر كما تشتهون على أهون سبب لان الله رد اليكم ضوء المكان هو وأخته نزهة الزمان وانصلح الامر وهان فلما سمع الوزير هذا الكلام فرح فرحا شديدا ثم قال له أيها الحاجب اخبرني بقصتهما وما جرى لهما وبسبب غيابهما فحدثه بحديث نزهة الزمان وانها صارت زوجته وأخبره بحديث ضوء المكان من أوله الى آخره فلما فرغ الحاجب من حديثه أرسل الوزير دندان الى الامراء والوزراء وأكابر الدولة وأطلعهم على القصة ففرحوا بذلك فرحا شديدا وتعجبوا من هذا الاتفاق ثم اجتمعوا كلهم وجاؤا عند الحاجب ووقفوا في خدمته وقبلوا الارض بين يديه وأقبل الوزير من ذلك الوقت على الحاجب ووقف بين يديه ثم ان الحاجب عمل في ذلك اليوم ديوانا عظيما وجلس هو والوزير دندان على التخت وبين أيديهما جميع الامراء والكبراء وأرباب المناصب على حسب مراتبهم ثم بلوا السكر في ماء الورد وشربوا ثم قعد الامراء للمشورة وأعطوا بقية الجيش اذنا في أن يركبوا مع بعضهم ويتقدموا قليلا قليلا حتى يتموا المشورة ويلحقوهم فقبلوا الارض بين يدي الحاجب وركبوا وقدامهم رايات الحرب فلما فرغ الكبراء من مشورتهم ركبوا ولحقوا العساكر ثم أرسل الحاجب الى الوزير دندان وقال له الرأي عندي أن أتقدم وأسبقكم لاجل أن أهيء للسلطان مكانا يناسبه وأعلمه بقدومكم وانكم اخترتموه على أخيه شركان سلطانا عليكم فقال الوزير نعم الرأي الذي رأيته ثم نهض ونهض الوزير دندان تعظيما له وقدم له التقادم وأقسم عليه أن يقبلها وكذلك الأمراء الكبار وأرباب المناصب قدموا له التقادم ودعوا له وقالوا له لعلك تحدث السلطان ضوء المكان في أمرنا ليبقينا مستمرين في مناصبنا فأجابهم لما سألوه ثم أمر غلمانه بالسير فأرسل الوزير دندان الخيام مع الحاجب وأمر الفراشين أن ينصبوها خارج المدينة بمسافة يوم فامتثلوا أمره وركب الحاجب وهو في غاية الفرح وقال في نفسه ما أبرك هذه السفرة وعظمت زوجته في عينه وكذلك ضوء المكان ثم جد في السفر الى أن وصل الى مكان بينه وبين المدينة مسافة يوم ثم أمر بالنزول فيه لاجل الراحة وتهيئة مكان لجلوس السلطان ضوء المكان ابن الملك عمر النعمان ثم نزل من بعيد هو ومماليكه وأمر الخدام أن يستأذنوا السيدة نزهة الزمان في أن يدخل عليها فاستأذنوها في شأن ذلك فأذنت له فدخل عليها واجتمع بها وبأخيها وأخبرهما بموت أبيهما وان ضوء المكان جعله الرؤساء ملكا عليهم عوضا عن أبيه عمر النعمان وهنأهما بالملك فبكيا على فقد أبيهما وسألا عن سبب قتله فقال لهما ان الخبر مع الوزير دندان وفي غد يكون هو والجيش كله في هذا

المكان ومابقى فى الامر أيها الملك الا أن تفعل ما أشار وابه لانهم كلهم اختار ولك سلطانا وان لم تفعل سلطنوا غيرك وأنت لا تأمن على نفسك من الذى يتسلطن غيرك فربما يقتلك أو يقع الفشل بينكما ويخرج الملك من أيديكما فاطرق برأسه ساعة من الزمان ثم قال قبلت هذا الامر لانه لا يمكن التخلى عنه وتحقق أن الحاجب تكلم بما فيه الرشاد ثم قال للحاجب ياعم وكيف أعمل مع أخى شركان فقال ياولدى أخوك يكون سلطان دمشق وأنت سلطان بغداد فشد عزمك وجهز أمرك فقبل منه ضوء المكان ذلك ثم ان الحاجب قدم اليه البدلة التى كانت مع الوزير دندان من ملابس الملوك وناوله النمشة وخرج من عنده وأمر الفراشين أن يختار وا موضعا عاليا وينصبوا فيه خيمة واسعة عظيمة للسلطان ليجلس فيها اذا قدم عليه الامراء ثم أمر الطباخين أن يطبخوا طعاما فاخرا ويحضروه وأمر السقايين أن ينصبوا حياض الماء وبعد ساعة طار الغبار حتى سد الاقطار ثم انكشف ذلك الغبار وبان من تحته عسكر جرار مثل البحر الزخار * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثامنة والسبعون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الحاجب لما أمر الفراشين أن ينصبوا خيمة واسعة لاجتماع الناس عند الملك نصبوا خيمة عظيمة على عادة الملوك فلما فرغوا من أشغالهم واذا بغبار قد طار ثم محق الهواء ذلك الغبار وبان من تحته عسكر جرار وتبين أن ذلك العسكر عسكر بغداد وخراسان ومقدمه الوزير دندان وكلهم فرحوا بسلطنة ضوء المكان وكان ضوء المكان لابسا خلعة الملك متقلدا بسيف الموكب فقدم له الحاجب الفرس فركب وسار هو ومماليكه وجميع من فى الخيام مشى فى خدمته حتى دخل القبة الكبيرة وجلس ووضع النمشة على فخذيه ووقف الحاجب فى خدمته بين يديه ووقفت مماليكه فى دهليز الخيمة وشهروا فى أيديهم السيوف ثم أقبلت العساكر والجيوش وطلبوا الاذن فدخل الحاجب واستأذن لهم السلطان ضوء المكان فأمر ان يدخلوا عليه عشرة عشرة فاعلموا الحاجب بذلك فأجابوا بالسمع والطاعة ووقف الجميع على باب الدهليز فدخلت عشرة منهم فشق بهم الحاجب فى الدهليز ودخل بهم على السلطان ضوء المكان فلما رأوه هابوه فتلقاهم أحسن ملتقى ووعدهم بكل خير فهنؤه بالسلامة ودعوا له وحلفوا له الايمان الصادقة انهم لا يخالفون له أمرا ثم قبلوا الارض بين يديه وانصرفوا ودخلت عشرة أخرى ففعل بهم مثل مافعل بغيرهم ولم يزالوا يدخلون عشرة بعد عشرة حتى لم يبق غير الوزير دندان فدخل عليه وقبل الارض بين يديه فقام اليه ضوء المكان وأقبل عليه وقال له مرحبا بالوزير والوالد الكبير ان فعلك فعل المشير العزيز والتدبير بيد اللطيف الخبير ثم ان الحاجب خرج فى تلك الساعة وأمر بمد السماط وأمر باحضار العسكر جميعا فحضروا وأكلوا وشربوا ثم ان الملك ضوء المكان قال للوزير دندان مر العسكر بالاقامة عشرة أيام حتى أختلى بك وتخبرنى بسبب قتل أبى فامتثل الوزير قول السلطان وقال لابد من ذلك ثم خرج الى وسط الخيام وأمر العسكر بالاقامة عشرة أيام فامتثلوا أمره ثم ان الوزير أعطاهم اذنا أنهم يتفرجون ولا يدخل أحد من أرباب الخدمة عند الملك مدة ثلاثة أيام فتضرع جميع الناس ودعوا لضوء المكان بدوام العز ثم أقبل عليه الوزير وأعلمه بالذى كان فصبر الى الليل ودخل على أخته نزهة الزمان وقال لها أعلمت بسبب قتل أبى ولم تعلمى بسببه كيف كان فقالت له لم أعلم سبب قتله ثم انها ضربت لها ستارة من حرير وجلس ضوء المكان خارج الستارة وأمر باحضار الوزير دندان فحضر بين يديه فقال له أريد أن تخبرنى تفصيلا بسبب قتل أبى الملك عمر النعمان فقال الوزير دندان اعلم أيها الملك ان الملك عمر النعمان لما أتى من سفره الى الصيد والقنص وجاء الى المدينة سأل عنكما فلم يجدكما فعلم انكما قد قصدتما الحج فاغتم لذلك فازداد به الغيظ وضاق صدره وأقام نصف سنة وهو يستخبر عنكما كل شارد ووارد فلم يخبره أحد عنكما فبينما نحن بين يديه يوما من الايام بعدما مضى لكما سنة كاملة من تاريخ فقدكما واذا بعجوز عليها آثار العبادة قد وردت علينا ومعها خمس جوار نهد أبكار كأنهن الاقمار وحوين من الحسن والجمال ما يعجز عن وصفه اللسان ومع كمال حسنهن يقرأن القرآن ويعرفن الحكمة وأخبار المتقدمين فاستأذنت تلك العجوز فى الدخول على الملك فأذن لها فدخلت عليه وقبلت الارض بين يديه وكنت أنا جالسا بجانب الملك فلما دخلت عليه قربها اليه لما رأى عليها آثار الزهد والعبادة فلما استقرت العجوز عنده أقبلت عليه وقالت له اعلم أيها الملك أن

في خمسة جوار ما ملك أحد من الملوك مثلهن لانهن ذوات عقل وجمال وحسن وكمال يقرأن القرآن بالروايات ويعرفن العلوم وأخبار الامم السالفة ومن بين يديك واقفات في خدمتك يا ملك الزمان وعند الامتحان يكرم المرء أو يهان فنظر المرحوم والدك الى الجواري فسرته رؤيتهن وقال لهن كل واحدة منكن تسمعني شيأ مما تعرفه من أخبار الناس الماضين والامم السابقين * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة التاسعة والسبعون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال للملك ضوء المكان فنظر المرحوم والدك الى الجواري فسرته رؤيتهن وقال لهن كل واحدة منكن تسمعني شيأ مما تعرفه من أخبار الناس الماضين والامم السابقين فتقدمت واحدة منهن وقبلت الارض بين يديه وقالت اعلم أيها الملك أنه ينبغي لذي الادب أن يجتنب الفضول ويتحلى بالفضائل وان يؤدي الفرائض ويجتنب الكبائر ويلازم ذلك ملازمة من لو أفرد عنه لهلك وأساس الادب مكارم الاخلاق واعلم ان معظم أسباب المعيشة طلب الحياة والقصد من الحياة عبادة الله فينبغي أن تحسن خلقك مع الناس وأن لا تعدل عن تلك السنة فان أعظم الناس خطرا أحوجهم الى التدبير والملوك أحوج اليه من السوقة لان السوقة قد تفيض في الامور من غير نظر في العاقبة وان تبذل في سبيل الله نفسك ومالك واعلم أن العدو خصم تخصمه بالحجة وتحترز منه وأما الصديق فليس بينك وبينه قاض يحكم غير حسن الخلق فاختر صديقك لنفسك بعد اختباره فان كان من اخوان الآخرة فليكن محافظا على اتباع الظاهر من الشرع عارفا بباطنه على حسب الامكان وان كان من اخوان الدنيا فليكن حرا صادقا ليس بجاهل ولا شرير فان الجاهل أهل لان يهرب منه أبواه والكاذب لا يكون صديقا لان الصديق مأخوذ من الصدق الذي يكون ناشئا عن صميم القلب فكيف به اذا أظهر الكذب على اللسان واعلم ان اتباع الشرع ينفع صاحبه فاحبب أخاك اذا كان بهذه الصفة ولا تقطعه وان ظهر لك منه ما تكره فانه ليس كالمرأة يمكن طلاقها ومراجعتها بل قلبه كالزجاج اذا تصدع لا ينجبر ولله در القائل

احرص على صون القلوب من الاذى * فرجوعها بعد التنافر يعسر
ان القلوب اذا تنافر ودها * مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

وقالت الجارية في آخر كلامها وهي تشير الينا ان أصحاب العقول قالوا خير الاخوان أشدهم في النصيحة وخير الاعمال أجلها عاقبة وخير الثناء ما كان على أفواه الرجال وقد قيل لا ينبغي للعبد أن يغفل عن شكر الله خصوصا على نعمتين العافية والعقل وقيل من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهوته ومن عظم صغائر المصائب ابتلاه الله بكبارها ومن أطاع الهوى ضيع الحقوق ومن أطاع الواشي ضيع الصديق ومن ظن بك خيرا فصدق ظنه بك ومن بالغ في الخصومة أثم ومن لم يحذر الحيف لم يأمن السيف وها أنا أذكر لك شيأ من آداب القضاة اعلم أيها الملك انه لا ينفع حكم بحق الا بعد التثبت وينبغي للقاضي أن يجعل الناس في منزلة واحدة حتى لا يطمع شريف في الجور ولا ييأس ضعيف من العدل وينبغي أيضا أن يجعل البينة على من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا وما شككت فيه اليوم فراجع فيه عقلك وتبين به رشدك لترجع فيه الى الحق فالحق فرع والرجوع الى الحق خير من التمادي على الباطل ثم اعرف الامثال وافقه المقال وسو بين الاخصام في الوقوف وليكن نظرك على الحق موقوفا وفوض أمرك الى الله عز وجل واجعل البينة على من ادعى فان حضرت بينته أخذت له بحقه والا فخلف المدعى عليه وهذا حكم الله واقبل شهادة عدول المسلمين بعضهم على بعض فان الله تعالى أمر الحكام أن تحكم بالظاهر وهو يتولى السرائر ويجب على القاضي أن يجتنب القضاء عند شدة الالم والجوع وان يقصد بقضائه بين الناس وجه الله تعالى فان من خلصت نيته وأصلح ما بينه وبين نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس وقال الزهري ثلاث اذا كن في قاض كان منعزلا اذا أكرم اللئام وأحب المحامد وكره العزل وقد عزل عمر بن عبد العزيز قاضيا فقال له لم عزلتني فقال عمر قد بلغني عنك أن مقالك أكبر من مقامك وحكى ان الاسكندر قال لقاضيه اني وليتك منزلة واستودعتك فيها

زوجى وعرضى وقرة عينى فاحفظ هذه المنزلة لنفسك وعقلك وقال لطباخه انك مسلط على جسمى فارفق بنفسك فيه وقال لكاتبه انك متصرف فى عقلى فاحفظنى فيما تكتبه عنى ثم تأخرت الجارية الاولى وتقدمت الثانية * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الموفية للثمانين﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان ثم تأخرت الجارية الاولى وتقدمت الثانية وقبلت الارض بين يدى الملك والدك سبع مرات ثم قالت قال لقمان لابنه ثلاثة لاتعرف الا فى ثلاثة مواطن لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا أخوك الا عند حاجتك اليه وقيل ان الظالم نادم وان مدحه الناس والمظلوم سليم وان ذمه الناس وقال الله تعالى لاتحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم وقال عليه الصلاة والسلام انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى واعلم أيها الملك أن أعجب ما فى الانسان قلبه لان به زمام أمره فان هاج به الطمع أهلكه الحرص وان ملكه الاسى قتله الاسف وان عظم عنده الغضب اشتد به العطب وان سعد بالرضا أمن من السخط وان ناله الخوف شغله الحزن وان أصابته مصيبة ضمنه الجزع وان استفاد مالا ربما اشتغل به عن ذكر ربه وان أغصته فاقة أشغله الهم وان أجهده الجزع أقعده الضعف فعلى كل حالة لا صلاح له الا بذكر الله واشتغاله بما فيه تحصيل معاشه وصلاح معاده وقيل لبعض العلماء من أشر الناس حالا قال من غلبت شهوته مروءته وبعدت فى المعالى همته فاتسعت معرفته وضاقت معذرته وما أحسن ما قاله قيس

وانى لاغنى الناس عن متكلف * يرى الناس ضلالا وما هو مهتدى
وما المال والاخلاق الا معارة * فكل بما يخفيه فى الصدر مرتدى
اذا ما أتيت الامر من غير بابه * ضللت وان تدخل من الباب تهتدى

ثم ان الجارية قالت وأما أخبار الزهد فقد قال هشام بن بشر قلت لعمر بن عبيد ما حقيقة الزهد فقال لى قد بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله الزاهد من لم ينس القبر والبلى وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من أيامه وعد نفسه فى الموتى وقيل ان أباذر كان يقول الفقر أحب الى من الغنى والسقم أحب الى من الصحة فقال بعض السامعين رحم الله أباذر أما أنا فأقول من اتكل على حسن الاختيار من الله تعالى رضى بالحالة التى اختارها الله له وقال بعض الثقات صلى بنا ابن أبى أوفى صلاة الصبح فقرأ يا أيها المدثر حتى بلغ قوله تعالى فاذا نقر فى الناقور نخر ميتا ويروى ان ثابتا البنانى بكى حتى كادت ان تذهب عيناه فجاؤا برجل يعالجه قال أعالجه بشرط ان يطاوعنى قال ثابت فى أى شئ قال الطبيب فى أن لا تبكى قال ثابت فما فضل عينى ان لم تبكيا وقال رجل لمحمد بن عبد الله أوصنى * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الحادية والثمانون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان وقالت الجارية الثانية لوالدك المرحوم عمر النعمان وقال رجل لمحمد بن عبد الله أوصنى فقال أوصيك أن تكون فى الدنيا مالكا زاهدا وفى الآخرة مملوكا طامعا قال وكيف ذلك قال الزاهد فى الدنيا يملك الدنيا والآخرة وقال غوث بن عبد الله كان اخوان فى بنى اسرائيل قال أحدهما للآخر ما أخوف عمل عملته قال له انى مررت ببيت فراخ فأخذت منهم واحدة ورميتها فى ذلك البيت ولكن بيت الفراخ التى لم آخذها منها فهذا أخوف عمل عملته فما أخوف ما عملته أنت قال أما أنا فأخوف عمل أعمله انى اذا قمت الى الصلاة أخاف أن أكون لا أعمل ذلك الا للجزاء وكان أبوهما يسمع كلامهما فقال اللهم ان كانا صادقين فاقبضهما اليك فقال بعض العقلاء ان هذين من أفضل الاولاد وقال سعيد بن جبير صحبت فضالة بن عبيد فقلت له أوصنى فقال احفظ عنى هاتين الخصلتين أن لا تشرك بالله شيأ وان لا تؤذى من خلق الله أحدا وأنشد هذين البيتين

كن كيف شئت فان الله ذو كرم * وانف الهموم فما فى الامر من باس
الا اثنتين فلا تقربهما أبدا * الشرك بالله والاضرار بالناس

وما أحسن قول الشاعر

اذا أنت لم يصحبك زاد من التقى * ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله * وانك لم ترصد كما كان أرصدا

ثم تقدمت الجارية الثالثة بعد ان تأخرت الثانية وقالت ان باب الزهد واسع جدا ولكن أذكر بعض ما يحضرني فيه عن السلف الصالح قال بعض العارفين أنا استبشر بالموت ولا أتيقن فيه راحة غير اني علمت ان الموت يحول بين المرء وبين الاعمال فارجو مضاعفة العمل الصالح وانقطاع العمل السيئ وكان عطاء السلمي اذا فرغ من وصيته انتفض وارتعد وبكى بكاء شديدا فقيل له لم ذلك فقال اني أريد ان أقبل على أمر عظيم وهو الانتصاب بين يدي الله تعالى للعمل بمقتضى الوصية ولذلك كان علي زين العابدين بن الحسين يرتعد اذا قام للصلاة فسئل عن ذلك فقال أتدرون لمن أقوم ولمن أخاطب وقيل كان بجانب سفيان الثوري رجل ضرير فاذا كان شهر رمضان يخرج ويصلي بالناس فيسكت ويبطئ وقال سفيان اذا كان يوم القيامة أتي بأهل القرآن فيميزون بعلامة مزيد الكرامة عمن سواهم وقال سفيان لو ان النفس استقرت في القلب كما ينبغي لطارت فرحا وشوقا الى الجنة وحزنا وخوفا من النار وعن سفيان الثوري انه قال النظر الى وجه الظالم خطيئة ثم تأخرت الجارية الثالثة وتقدمت الجارية الرابعة وقالت وها أنا أتكلم ببعض ما يحضرني من أخبار الصالحين روي ان بشرا الحافي قال سمعت خالدا يقول اياكم وسرائر الشرك فقلت له وما سرائر الشرك قال ان يصلي أحدكم فيطيل ركوعه وسجوده حتى يلحقه الحدث وقال بعض العارفين فعل الحسنات يكفر السيئات وقال بعض العارفين التمست من بشر الحافي شيئا من سرائر الحقائق فقال يا بني هذا العلم لا ينبغي ان نعلمه كل أحد فمن كل مائة خمسة مثل زكاة الدرهم قال ابراهيم بن أدهم فاستحليت كلامه واستحسنته فبينما أنا أصلي واذا ببشر يصلي فقمت وراءه أركع الى أن يؤذن المؤذن فقام رجل رث الحالة وقال يا قوم احذروا الصدق الضار ولا بأس بالكذب النافع وليس مع الاضطرار اختيار ولا ينفع الكلام عند العدم كما لا يضر السكوت عند وجود الجود وقال ابراهيم رأيت بشرا سقط منه دانق فقمت اليه وأعطيته درهما فقال لا آخذه فقلت انه من خالص الحلال فقال لي أنا لست أستبدل نعم الدنيا بنعم الآخرة ويروى ان أخت بشر الحافي قصدت أحمد بن حنبل * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿ فلما كانت الليلة الثانية والثمانون ﴾

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال لضوء المكان ان الجارية قالت لوالدك ان أخت بشر الحافي قصدت أحمد بن حنبل فقالت له يا امام الدين انا قوم نغزل بالليل ونشتغل بمعاشنا في النهار وربما تمر بنا مشاعل ولاة بغداد ونحن على السطح نغزل في ضوئها فهل يحرم علينا ذلك قال لها من انت قالت أخت بشر الحافي فقال يا أهل بشر لا أزال أستنشق الورع من قلوبكم وقال بعض العارفين اذا أراد الله بعبد خيرا فتح عليه باب العمل وكان مالك ابن دينار اذا مر في السوق ورأى ما يشتهيه يقول يا نفس اصبري فلا أوافقك على ما تريدين وقال رضي الله تعالى عنه سلامة النفس في مخالفتها وبلاؤها في متابعتها وقال منصور بن عمار حججت حجة فقصدت مكة من طريق الكوفة وكانت ليلة مظلمة واذا بصارخ يصرخ في جوف الليل ويقول الهي وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتك مخالفتك وما أنا جاهل بك ولكن خطيئة قضيتها علي في قديم أزلك فاغفر لي ما فرط مني فاني قد عصيتك بجهلي فلما فرغ من دعائه تلا هذه الآية يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة وسمعت سقطة لم أعرف لها حقيقة فمضيت فلما كان الغد مشينا الى مدرجنا واذا بجنازة خرجت ووراءها عجوز ذهبت قوتها فسألتها عن الميت فقالت هذه جنازة رجل كان مر بنا البارحة وولدي قائم يصلي فتلا آية من كتاب الله تعالى فانفطرت مرارة ذلك الرجل فوقع ميتا ثم تأخرت الجارية الرابعة وتقدمت الجارية الخامسة وقالت وها أنا أذكر بعض ما يحضرني من أخبار السلف الصالح كان مسلمة بن دينار يقول عند تصحيح الضمائر تغفر الصغائر والكبائر واذا عزم العبد على ترك الآثام أتاه الفتوح وقال كل نعمة لا تقرب الى الله فهي بلية وقليل الدنيا يشغل عن كثير الآخرة وكثيرها ينسيك قليلها * وسئل أبو حازم من أيسر الناس فقال رجل أذهب عمره في طاعة الله قال فمن أحمق الناس قال رجل باع آخرته بدنيا غيره وروي أن موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين قال رب اني لما أنزلت الي من خير فقير فسأل موسى ربه ولم يسأل الناس وجاءت الجاريتان فسقى لهما ولم تصدر الرعاة فلما

رجعتا أخبرتا اباهما شعيبا فقال لهما لعله جائع ثم قال لاحداهما ارجعي اليه واذهبي به فلما أتته غطت وجهها وقالت ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فكره موسى ذلك وأراد ان لا يتبعها وكانت امرأة ذات عجز فكانت الريح تضرب ثوبها فيظهر لموسى عجزها فيغض بصره ثم قال لها كوني خلفي فمشت خلفه حتى دخل على شعيب والعشاء مهيأ

* وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الثالثة والثمانون) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان وقالت الجارية الخامسة لوالدك فدخل موسى على شعيب عليهما السلام والعشاء مهيأ فقال شعيب لموسى يا موسى اني أريد أن أعطيك أجر ما سقيت لهما فقال موسى انا من أهل بيت لا نبيع شيأ من عمل الآخرة بما على الأرض من ذهب وفضة فقال شعيب يا شاب ولكن أنت ضيفي واكرام الضيف عادتي وعادة آبائي باطعام الطعام فجلس موسى فأكل ثم ان شعيبا استأجر موسى ثماني حجج أي سنين وجعل أجرته على ذلك تزويجه احدى ابنتيه وكان عمل موسى لشعيب صداقا لها كما قال تعالى حكاية عنه اني أريد أن أنكحك احدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فان أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك وقال رجل لبعض أصحابه وكان له مدة لم يره انك أوحشتني لانني ما رأيتك منذ زمان قال اشتغلت عنك بابن شهاب أتعرفه قال نعم هو جاري منذ ثلاثين سنة الا انني لم أكلمه قال له انك نسيت الله فنسيت جارك ولو أحببت الله لاحببت جارك أما علمت ان للجار على الجار حقا كحق القرابة وقال حذيفة دخلنا مكة مع ابراهيم بن أدهم وكان شقيق البلخي قد حج في تلك السنة فاجتمعنا في الطواف فقال ابراهيم لشقيق ما شأنكم في بلادكم فقال شقيق اننا اذا رزقنا أكلنا واذا جعنا صبرنا فقال كذا تفعل كلاب بلخ ولكننا اذا رزقنا آثرنا واذا جعنا شكرنا فجلس شقيق بين يدي ابراهيم وقال له أنت أستاذي وقال محمد بن عمران سأل رجل حاتما الاصم فقال له ما أمرك في التوكل على الله تعالى قال على خصلتين علمت أن رزقي لا يأكله غيري فاطمأنت نفسي به وعلمت أني لم أخلق من غير علم الله فاستحييت منه ثم تأخرت الجارية الخامسة وتقدمت العجوز وقبلت الارض بين يدي والدك تسع مرات وقالت قد سمعت أيها الملك ما تكلم به الجميع في باب الزهد وانا تابعة لهن فاذكر بعض ما بلغني عن أكابر المتقدمين قيل كان الامام الشافعي رضي الله عنه يقسم الليل ثلاثة أقسام الثلث الاول للعلم والثاني للنوم والثالث للتهجد وكان الامام أبو حنيفة يحيي نصف الليل فاشار اليه انسان وهو يمشي وقال لآخر ان هذا يحيي الليل كله فلما سمع ذلك قال اني أستحي من الله أن أوصف بما ليس في فصار بعد ذلك يحيي الليل كله وقال الربيع كان الشافعي يختم القرآن في شهر رمضان سبعين مرة كل ذلك في الصلاة وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه ما شبعت من خبز الشعير عشر سنين لان الشبع يقسي القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن القيام وروي عن عبد الله ابن محمد السكري انه قال كنت أنا وعمر نتحدث فقال لي ما رأيت أورع ولا أفصح من محمد بن ادريس الشافعي واتفق أنني خرجت أنا والحرث بن لبيب الصفار وكان الحرث تلميذ المزني وكان صوته حسنا فقرأ قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فرأيت الامام الشافعي تغير لونه واقشعر جلده واضطرب اضطرابا شديدا وخر مغشيا عليه فلما أفاق قال أعوذ بالله من مقام الكذابين واعراض الغافلين اللهم لك خشعت قلوب العارفين اللهم هب لي غفران ذنوبي من جودك وجللني بسترك واعف عن تقصيري بكرم وجهك ثم قمت وانصرفت وقال بعض الثقات لما دخلت بغداد كان الشافعي بها فجلست على الشاطئ لاتوضأ للصلاة اذ مر بي انسان فقال لي يا غلام احسن وضوءك يحسن الله اليك في الدنيا والآخرة فالتفت واذا برجل يتبعه جماعة فأسرعت في وضوئي وجعلت أقفو أثره فالتفت الي وقال هل لك من حاجة فقلت نعم تعلمني مما علمك الله تعالى فقال اعلم ان من صدق الله نجا ومن أشفق على دينه سلم من الردى ومن زهد في الدنيا قرت عيناه غدا أفلا أزيدك قلت بلى قال كن في الدنيا زاهدا وفي الآخرة راغبا واصدق في جميع أمورك تنج مع الناجين ثم مضى فسألت عنه فقيل لي هذا الامام الشافعي وكان الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه يقول وددت ان الناس ينتفعون بهذا العلم على أن لا ينسب الي منه شيء * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الرابعة والثمانون) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان

الوزير دندان قال ضوء المكان قالت العجوز لولدك كان الامام الشافعي يقول وددت أن الناس ينتفعون بهذا العلم على أن لا ينسب الى منه شئ وقال ماناظرت أحدا الا أحببت ان يوفقه الله تعالى للحق ويعينه على اظهاره وماناظرت أحدا قط الا لاجل اظهار الحق وما أبالى ان يبين الله الحق على لسانى أو على لسانه وقال رضى الله تعالى عنه اذا خفت على علمك العجب فاذكر رضا من تطلب وفى أى نعيم ترغب ومن أى عقاب ترهب وقيل لابى حنيفة ان أمير المؤمنين أبا جعفر المنصور قد جعلك قاضيا ورسم لك بعشرة آلاف درهم فما رضى فلما كان اليوم الذى توقع أن يؤتى اليه فيه بالمال صلى الصبح ثم تغشى بثوبه فلم يتكلم ثم جاء رسول أمير المؤمنين بالمال فلما دخل عليه وخاطبه ولم يكلمه فقال له رسول الخليفة ان هذا المال حلال فقال اعلم انه حلال لى ولكنى أكره أن يقع فى قلبى مودة الجبابرة فقال له لو دخلت اليهم وتحفظت من ودهم قال هل آمن أن ألج البحر ولا تبتل ثيابى ومن كلام الشافعى رضى الله تعالى عنه

الا يا نفس ان ترضى بقوتى * فانت عزيزة أبدا غنيه * دعى عنك المطامع والامانى * فكم أمنية جلبت منيه

ومن كلام سفيان الثورى فيما أوصى به على بن الحسن السلمى عليك بالصدق واياك والكذب والخيانة والرياء والعجب فان العمل الصالح يحبطه الله بخصلة من هذه الخصال ولا تأخذ دينك الا عمن هو مشفق على دينه وليكن جليسك من يزهدك فى الدنيا وأكثر ذكر الموت وأكثر الاستغفار واسأل الله السلامة فيما بقى من عمرك وانصح كل مؤمن اذا سألك عن أمر دينه واياك أن تخون مؤمنا فان من خان مؤمنا فقد خان الله ورسوله واياك والجدال والخصام ودع ما يريبك الى ما لا يريبك تكن سليما وأمر بالمعروف وانه عن المنكر تكن حبيب الله وأحسن سريرتك يحسن الله علانيتك واقبل المعذرة ممن اعتذر اليك ولا تبغض أحدا من المسلمين وصل من قطعك واعف عمن ظلمك تكن رفيق الانبياء وليكن أمرك مفوضا الى الله فى السر والعلانية واخش الله خشية من قد علم انه ميت ومبعوث وصائر الى الحشر والوقوف بين يدى الجبار واذكر مصيرك الى احدى الدارين اما الى جنة عالية واما الى نار حامية ثم ان العجوز جلست الى جانب الجوارى فلما سمع والدك المرحوم كلامهن علم انهن أفضل أهل زمانهن ورأى حسنهن وجمالهن وزيادة أدبهن فآواهن اليه وأقبل على العجوز فأكرمها وأخلى لها هى وجواريها القصر الذى كانت فيه الملكة ابريزة بنت ملك الروم ونقل اليهن ما يحتجن اليه من الخيرات فأقامت عنده عشرة أيام وكلما دخل عليها يجدها معتكفة على صلاتها وقيامها فى ليلها وصيامها فى نهارها فوقع فى قلبه محبتها وقال لى يا وزير ان هذه العجوز من الصالحات وقد عظمت فى قلبى مهابتها فلما كان اليوم الحادى عشر اجتمع بها من جهة دفع ثمن الجوارى اليها فقالت له أيها الملك اعلم ان ثمن هذه الجوارى فوق ما يتعامل الناس به فانى ما أطلب فيهن ذهبا ولا فضة ولا جواهر قليلا كان ذلك أو كثيرا فلما سمع والدك كلامها تعجب وقال أيتها السيدة وما ثمنهن قالت ما أبيعهن لك الا بصيام شهر كامل تصوم نهاره وتقوم ليله لوجه الله تعالى فان فعلت ذلك فهن ملك لك فى قصرك تصنع بهن ما شئت فتعجب الملك من كمال صلاحها وزهدها وورعها وعظمت فى عينه وقال نفعنا الله بهذه المرأة الصالحة ثم اتفق معها على أن يصوم الشهر كما اشترطته عليه فقالت له وأنا أعينك بدعوات أدعو بهن لك فائتنى بكوز ماء فأخذته وقرأت عليه وهمهمت وقعدت ساعة تتكلم بكلام لا نفهمه ولا نعرف منه شيئا ثم غطته بخرقة وختمته وناولته لوالدك وقالت له اذا صمت العشرة الاولى فافطر فى الليلة الحادية عشرة على ما فى هذا الكوز فانه ينزع حب الدنيا من قلبك ويملؤه نورا وايمانا وفى غد أخرج الى اخوانى وهم رجال الغيب فانى اشتقت اليهم ثم أجىء اليك اذا مضت العشرة الاولى فأخذ والدك الكوز ثم نهض وأفرد له خلوة فى القصر ووضع الكوز فيها وأخذ مفتاح الخلوة فى جيبه فلما كان النهار صام السلطان وخرجت العجوز الى حال سبيلها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الخامسة والثمانون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان فلما كان النهار صام السلطان وخرجت العجوز الى حال سبيلها وأتم الملك صوم العشرة أيام وفى اليوم الحادى عشر فتح الكوز وشربه فوجد له فى فؤاده فعلا جميلا وفى العشرة أيام الثانية من الشهر جاءت العجوز ومعها

حلاوة فى ورق أخضر لايشبه ورق الشجر فدخلت على والدك وسلمت عليه فلما رآها قام لها وقال لها مرحبا يا السيدة الصالحة فقالت له أيها الملك ان رجال الغيب تسلمون عليك لانى أخبرتهم عنك ففرحوا بك وأرسلوا معى هذه الحلاوة وهى من حلاوة الآخرة فافطر عليها فى آخر النهار ففرح والدك فرحا زائدا وقال الحمد لله الذى جعل لى اخوانا من رجال الغيب ثم شكر العجوز وقبل يديها وأكرمها وأكرم الجوارى غاية الاكرام ثم مضت مدة عشرين يوما وأبوك صائم وعند رأس العشرين يوما أقبلت عليه العجوز وقالت له أيها الملك اعلم انى أخبرت رجال الغيب عما بينى وبينك من المحبة وأعلمتهم بانى تركت الجوارى عندك ففرحوا حيث كانت الجوارى عند ملك مثلك لانهم كانوا اذا رأوهن يبالغون لهن فى الدعاء المستجاب فاريد أن أذهب بهن الى رجال الغيب لتحصل نفحاتهم لهن وربما انهن لا يرجعن اليك الا ومعهن كنز من كنوز الارض حتى انك بعد تمام صومك تشتغل بكسوتهن وتستعين بالمال الذى يأتينك به على أغراضك فلما سمع والدك كلامها شكرها على ذلك وقال لها لولا أنى أخشى مخالفتى لك مارضيت بالكنز ولا غيره ولكن متى تخرجين بهن فقالت له فى الليلة السابعة والعشرين فارجع بهن اليك فى رأس الشهر وتكون أنت قد أوفيت الصوم وحصل استبراؤهن وصرن لك وتحت أمرك والله ان كل جارية منهن ثمنها أعظم من ملكك مرات فقال لها وأنا أعرف ذلك أيتها السيدة الصالحة فقالت له بعد ذلك ولابد أن ترسل معهن من يعز عليك من قصرك حتى يجد الانس ويلتمس البركة من رجال الغيب فقال لها عندى جارية رومية اسمها صفية ورزقت منها بولدين أنثى وذكر ولكنهما فقدا من مدة سنين فخذيها معهن لاجل أن تحصل لها البركة * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿ فلما كانت الليلة السادسة والثمانون ﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان ان أباك قال للعجوز لما طلبت منه الجوارى ان عندى جارية رومية اسمها صفية ورزقت منها بولدين أنثى وذكر ولكنهما فقدا من مدة سنين فخذيها معك لاجل أن تحصل لها البركة ولعل رجال الغيب يدعون الله لها بان يرد عليها ولديها ويجمع شملها بهما فقالت العجوز نعم ماقلت وكان ذلك أعظم غرضها ثم ان والدك أخذ فى تمام صيامه فقالت له ياولدى انى متوجهة الى رجال الغيب فاحضر لى صفية فدعا بها فحضرت فى ساعتها فسلمها الى العجوز فخلطتها بالجوارى ثم دخلت العجوز مخدعها وخرجت للسلطان بكاس مختوم وناولته له وقالت اذا كان يوم الثلاثين فادخل الحمام ثم اخرج منه وادخل خلوة من الخلاوى التى فى قصرك واشرب هذا الكاس ونم فقد نلت ماتطلب والسلام منى عليك ففرح الملك وشكرها وقبل يدها فقالت له استودعتك الله فقال لها ومتى أراك أيتها السيدة الصالحة فانى أود أن لا أفارقك فدعت له وتوجهت ومعها الجوارى والملكة صفية وقعد الملك بعدها ثلاثة أيام ثم هل الشهر فقام الملك ودخل الحمام وخرج من الحمام ودخل الخلوة التى فى القصر وأمر أن لا يدخل عليه أحد ورد الباب عليه ثم شرب الكاس ونام ونحن قاعدون فى انتظاره الى آخر النهار فلم يخرج من الخلوة فقلنا لعله تعبان من الحمام ومن سهر الليل وصيام النهار فبسبب ذلك نام فانتظرناه ثانى يوم فلم يخرج فوقفنا بباب الخلوة وأعلنا برفع الصوت لعله ينتبه ويسأل عن الخبر فلم يحصل منه شئ فخلعنا الباب ودخلنا عليه فوجدناه قد تمزق لحمه وتفتت عظمه فلما رأيناه على هذه الحالة عظم علينا ذلك وأخذنا الكاس فوجدنا فى غطائه قطعة ورق مكتوبا فيها من أساء لا يستوحش منه وهذا جزاء من يتحيل على بنات الملوك ويفسدهن والذى نعلم به كل من وقف على هذه الورقة أن شركان لما جاء بلادنا أفسد علينا الملكة ابريزة وما كفاه ذلك حتى أخذها من عندنا وجاء بها اليكم ثم أرسلها مع عبد أسود فقتلها ووجدناها مقتولة فى الخلاء مطروحة على الارض فهذا ما هو فعل الملوك وما جزاء من يفعل هذا الفعل الاما حل به وأنتم لا تتهموا أحدا بقتله فما قتله الا العاهرة الشاطرة التى اسمها ذات الدواهى وها أنا أخذت زوجة الملك صفية ومضيت بها الى والدها أفريدون ملك القسطنطينية ولابد أننا نغزوكم ونقتلكم ونأخذ منكم الديار فتهلكون عن آخركم ولا يبقى منكم ديار ولا من ينفخ النار الا من يعبد الصليب والزنار فلما قرأنا هذه الورقة علمنا أن العجوز خدعتنا وتمت حيلتها علينا فعند ذلك صرخنا ولطمنا على وجوهنا وبكينا فلم يفدنا البكاء شيأ واختلفت العساكر فيمن يجعلونه

سلطانا عليهم فمنهم من يريدك ومنهم من يريد أخاك شركان ولم نزل في هذا الاختلاف مدة شهر ثم جمعنا بعضنا وأردنا ان نمضي الى أخيك شركان فسافرنا الى أن وجدناك وهذا سبب موت السلطان عمر النعمان فلما فرغ الوزير من كلامه بكى ضوء المكان هو وأخته نزهة الزمان وبكى الحاجب أيضا ثم قال الحاجب لضوء المكان أيها الملك ان البكاء لا يفيدك شيأ ولا يفيدك الا انك تشد قلبك وتقوى عزمك وتؤيد مملكتك ومن خلف مثلك ما مات فعند ذلك سكت عن بكائه وأمر بنصب السرير خارج الدهليز ثم أمر أن يعرضوا عليه العساكر ووقف الحاجب بجانبه والسلحدارية من ورائه ووقف الوزير دندان قدامه ووقف كل واحد من الامراء وأرباب الدولة في مرتبته ثم ان الملك ضوء المكان قال للوزير دندان أخبرني بخزائن أبي فقال سمعا وطاعة وأخبره بخزائن الاموال وبما فيها من الذخائر والجواهر وعرض عليه ما في خزانته من الاموال فانفق على العساكر وخلع على الوزير دندان خلعة سنية وقال له أنت في مكانك فقبل الارض بين يديه ودعا له بالبقاء ثم خلع على الامراء ثم انه قال للحاجب أعرض على الذي معك من خراج دمشق فعرض عليه صناديق المال والتحف والجواهر فأخذها وفرقها على العساكر

* وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة السابعة والثمانون) * قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ضوء المكان أمر الحاجب أن يعرض عليه ما أتى به من خراج دمشق فعرض عليه صناديق المال والتحف والجواهر فأخذها وفرقها على العساكر ولم يبق منها شيأ أبدا فقبل الامراء الارض بين يديه ودعوا له بطول البقاء وقالوا ما رأينا ملكا يعطي مثل هذه العطايا ثم انهم مضوا الى خيامهم فلما أصبحوا أمرهم بالسفر فسافروا ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع أشرفوا على بغداد فدخلوا المدينة فوجدوها قد تزينت وطلع السلطان ضوء المكان قصر أبيه وجلس على السرير ووقف أمراء العسكر والوزير دندان وحاجب دمشق بين يديه فعند ذلك أمر كاتب السر ان يكتب كتابا الى أخيه شركان ويذكر فيه ما جرى من الاول الى الآخر ويذكر في آخره وساعة وقوفك على هذا المكتوب تجهز أمرك وتحضر بعسكرك حتى نتوجه الى غزو الكفار ونأخذ منهم الثار ونكشف العار ثم طوى الكتاب وختمه وقال للوزير دندان ما يتوجه بهذا الكتاب الا أنت ولكن ينبغي ان تتلطف به في الكلام وتقول له ان أردت ملك أبيك فهو لك وأخوك يكون نائبا عنك في دمشق كما أخبرنا بذلك فنزل الوزير دندان من عنده وتجهز للسفر ثم ان ضوء المكان أمر ان يجعلوا للوقاد مكانا فاخرا ويفرشوه بأحسن الفرش وذلك الوقاد له حديث طويل ثم ان ضوء المكان خرج يوما الى الصيد والقنص وعاد الى بغداد فقدم له بعض الامراء من الخيول الجياد ومن الجواري الحسان ما يعجز عن وصفه اللسان فأعجبته جارية منهن فاستخلى بها ودخل عليها في تلك الليلة فعلقت منه من ساعتها وبعد مدة رجع الوزير دندان من سفره وأخبره بخبر أخيه شركان وانه قادم عليه وقال له ينبغي ان تخرج وتلاقيه فقال له ضوء المكان سمعا وطاعة فخرج اليه مع خواص دولته من بغداد مسيرة يوم ثم نصب خيامه هناك لانتظار أخيه وعند الصباح أقبل الملك شركان في عساكر الشام ما بين فارس مقدام وأسد ضرغام وبطل مصدام فلما أشرفت الكتائب وقدمت النجائب وأقبلت العصائب وخفقت اعلام المواكب توجه ضوء المكان هو ومن معه لملاقاتهم فلما عاين ضوء المكان أراد أن يترجل اليه فأقسم عليه شركان أن لا يفعل ذلك وترجل شركان ومشى خطوات فلما صار بين يدي ضوء المكان رمى ضوء المكان نفسه عليه فاحتضنه شركان الى صدره وبكيا بكاء شديدا وعزى بعضهما بعضا ثم ركب الاثنان وسارا وسار العسكر معهما الى ان أشرفوا على بغداد ونزلوا ثم طلع ضوء المكان هو وأخوه شركان الى قصر الملك وباتا تلك الليلة وعند الصباح خرج ضوء المكان وامر أن يجمعوا العساكر من كل جانب وينادوا بالغزو والجهاد ثم أقاموا ينتظرون مجيء الجيوش من سائر البلدان وكل من حضر يكرمونه ويعدونه بالجميل الى أن مضى على ذلك الحال مدة شهر كامل والقوم يأتون أفواجا متتابعة ثم قال شركان لاخيه يا أخي أعلمني بقضيتك فأعلمه بجميع ما وقع له من الاول الى الآخر وبما صنعه معه الوقاد من المعروف فقال له شركان أما كافأته على معروفه فقال له يا أخي ما كافأته الى الآن ولكن أكافئه ان شاء الله تعالى لما أرجع من الغزوة * وأدرك شهرزاد

الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿ فلما كانت الليلة الثامنة والثمانون ﴾

قالت بلغني أيها الملك السعيد ان شركان قال لأخيه ضوء المكان أما كافأت الولد على معروفه فقال له يا أخي ما كافأته الى الآن ولكن أكافئه ان شاء الله تعالى لما أرجع من الغزوة وأتفرغ له فعند ذلك عرف شركان ان أخته الملكة نزهة الزمان صادقة في جميع ما أخبرته به ثم كتم أمره وأمرها وأرسل اليها السلام مع الحاجب زوجها فبعثت له أيضا معه السلام ودعت له وسألت عن ابنتها قضى فكان فأخبرها انها في عافية وانها في غاية ما يكون من الصحة والسلامة فحمدت الله تعالى وشكرته ورجع شركان الى أخيه يشاوره في أمر الرحيل فقال له يا أخي لما تتكامل العساكر وتأتي العربان من كل مكان ثم أمر بتجهيز الميرة واحضار الذخيرة ودخل ضوء المكان الى زوجته وكان مضى لها خمسة أشهر وجعل أرباب الاقلام وأهل الحساب تحت طاعتها ورتب لها الجرايات والجوامك وسافر في ثالث شهر من حين نزول عسكر الشام بعد ان قدمت العربان وجميع العساكر من كل مكان وسارت الجيوش والعساكر وتتابعت الجحافل وكان اسم رئيس عسكر الديلم رستم واسم رئيس عسكر الترك بهرمان وسار ضوء المكان في وسط الجيوش وعن يمينه أخوه شركان وعن يساره الحاجب صهره ولم يزالوا سائرين مدة شهر وكل جمعة ينزلون في مكان يستريحون فيه ثلاثة أيام لان الخلق كثير ولم يزالوا سائرين على هذه الحالة حتى وصلوا الى بلاد الروم فنفرت أهل القرى والضياع والصعاليك وفروا الى القسطنطينية فلما سمع أفريدون ملكهم بخبرهم قام وتوجه الى ذات الدواهي فانها هي التي دبرت الحيل وسافرت الى بغداد حتى قتلت الملك عمر النعمان ثم أخذت جواريها والملكة صفية ورجعت بالجميع الى بلادها فلما رجعت الى ولدها ملك الروم وأمنت على نفسها قالت لابنها قر عينا فقد أخذت لك بثار ابنتك ابريزة وقتلت الملك عمر النعمان وجئت بصفية فقم الآن وارحل الى ملك القسطنطينية ورد عليه صفية وأعلمه بما جرى حتى يكون جميعنا على حذر وتجهز بأهبة وأسافر أنا معك الى الملك أفريدون ملك القسطنطينية وأظن ان المسلمين لا يثبتون على قتالنا فقال لها أمهلي الى أن يقربوا من بلادنا حتى نجهز أحوالنا فأخذوا في جمع رجالهم وتجهيز أحوالهم فلما جاءهم الخبر كانوا قد جهزوا حالهم وجمعوا الجيوش وسارت في أوائلهم ذات الدواهي فلما وصلوا الى القسطنطينية سمع الملك الاكبر ملكها أفريدون بقدوم حردوب ملك الروم فخرج لملاقاته فلما اجتمع أفريدون بملك الروم سأله عن حاله وعن سبب قدومه فأخبره بما عملته أمه ذات الدواهي من الحيل وانها قتلت ملك المسلمين وأخذت من عنده الملكة صفية وقالوا ان المسلمين جمعوا عساكرهم وجاؤا ونريد ان نكون جميعنا يدا واحدة ونلقاهم ففرح الملك افريدون بقدوم ابنته وقتل عمر النعمان وأرسل الى سائر الاقاليم يطلب منهم النجدة ويذكر لهم سبب قتل الملك عمر النعمان فهرعت اليه جيوش النصارى فما مر ثلاثة شهور حتى تكاملت جيوش الروم ثم أقبلت الافرنج من سائر أطرافها كالفرنسيس والنمساودوبره وجورنه وبندق وجنوبر وسائر عساكر بني الاصفر فلما تكاملت العساكر وضاقت بهم الارض من كثرتهم أمرهم الملك الاكبر أفريدون أن يرحلوا عن القسطنطينية فرحلوا واستمر تتابع عساكرهم في الرحيل عشرة أيام وساروا حتى نزلوا بواد واسع الاطراف وكان ذلك الوادي قريبا من البحر المالح فاقاموا ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع أرادوا أن يرحلوا فاتتهم الاخبار بقدوم عساكر الاسلام وحماة ملة خير الانام عليه أفضل الصلاة والسلام فاقاموا فيه ثلاثة أيام أخرى وفي اليوم الرابع رأوا غبارا طار حتى سد الاقطار فلم تمض ساعة من النهار حتى انجلى ذلك الغبار وتمزق الى الجو وطار ومحت ظلمته كواكب الاسنة والرماح وبريق بيض الصفاح وبان من تحته رايات اسلامية وأعلام محمدية وأقبلت الفرسان كاندفاع البحار في دروع تحسبها سحابا مزررة على أقمار فعند ذلك تقابل الجيشان والتطم البحران ووقعت العين في العين فاول من برز للقتال الوزير دندان هو وعساكر الشام وكانوا ثلاثين ألف عنان وكان مع الوزير مقدم الترك ومقدم الديلم رستم وبهرام في عشرين ألف فارس وطلع من ورائهم رجال من صوب البحر المالح وهم لابسون زرد الحديد وقد صاروا فيه كالبدور السافرة في الليالي العاكرة وصارت عساكر النصارى ينادون عيسى ومريم والصليب المسخم ثم انطبقوا على الوزير دندان ومن معه من عساكر الشام وكان

هذا كله تدبير العجوز ذات الدواهي لان الملك أقبل عليها قبل خروجه وقال لها كيف العمل والتدبير وأنت السبب في هذا الامر العسير فقالت اعلم أيها الملك الكبير والكاهن الخطير اني أشير عليك بامر يعجز عن تدبيره ابليس ولو استعان عليه بحزبه المتاعيس * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿ولما كانت الليلة التاسعة والثمانون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن هذا كله كان بتدبير العجوز لان الملك كان أقبل عليها قبل خروجها وقال لها كيف العمل والتدبير وأنت السبب في هذا الامر العسير فقالت اعلم أيها الملك الكبير والكاهن الخطير اني أشير عليك بامر يعجز عن تدبيره ابليس ولو استعان عليه بحزبه المتاعيس وهو أن ترسل خمسين ألفا من الرجال ينزلون في المراكب ويتوجهون في البحر الى أن يصلوا الى جبل الدخان فيقيمون هناك ولا يرحلون من ذلك المكان حتى تأتيكم أعلام الاسلام فدونكم واياهم ثم تخرج اليهم العساكر من البحر ويكونون خلفهم ونحن نقابلهم من البر فلا ينجو منهم أحد وقد زال عنا العناء ودام لنا الهناء فاستصوب الملك افريدون كلام العجوز وقال نعم الرأي رأيك ياسيدة العجائز الماكر ومرجع الكهان في الفتن الثائرة وحين هجم عليهم عسكر الاسلام في ذلك الوادي لم يشعروا الا والنار تلتهب في الخيام والسيوف تعمل في الاجسام ثم أقبلت جيوش بغداد وخراسان وهم في مائة وعشرين ألف فارس وفي أوائلهم ضوء المكان فلما رآهم عسكر الكفار الذين كانوا في البحر طلعوا اليهم من البحر وتبعوا أثرهم فلما رآهم ضوء المكان قال ارجعوا الى الكفار يا حزب النبي المختار وقاتلوا أهل الكفر والعدوان في طاعة الرحيم الرحمن وأقبل شركان بطائفة أخرى من عساكر المسلمين نحو مائة ألف وعشرين ألفا وكانت عساكر الكفار نحو ألف ألف وستمائة ألف فلما اختلط المسلمون بعضهم ببعض قويت قلوبهم ونادوا قائلين ان الله وعدنا بالنصر وأوعد الكفار بالخذلان ثم تصادموا بالسيف والسنان واخترق شركان الصفوف وهاج في الالوف وقاتل قتالا تشيب منه الاطفال ولم يزل يجول في الكفار ويعمل فيهم الصارم البتار وينادي الله أكبر حتى رد القوم الى ساحل البحر وكلت منهم الاجسام ونصر الله دين الاسلام والناس يقاتلون وهم سكارى بغير مدام وقد قتل من القوم في ذلك الوقت خمسة وأربعون ألفا وقتل من المسلمين ثلاثة آلاف وخمسمائة ثم ان أسد الدين الملك شركان لم ينم في تلك الليلة لا هو ولا أخوه ضوء المكان بل كانا يباشران الناس ويتفقدان الجرحى ويهنئانهم بالنصر والسلامة والثواب في القيامة هذا ما كان من أمر المسلمين ﴿وأما﴾ ما كان من أمر الملك أفريدون ملك القسطنطينية وملك الروم وأمه العجوز ذات الدواهي فانهم جمعوا أمراء العسكر وقالوا لبعضهم انا كنا بلغنا المراد وشفينا الفؤاد ولكن اعجابنا بكثرتنا هو الذي خذلنا فقالت لهم العجوز ذات الدواهي انه لا ينفعكم الا أنكم تتقربون للمسيح وتتمسكون بالاعتقاد الصحيح فوحق المسيح ما قوى عسكر المسلمين الا هذا الشيطان الملك شركان فقال الملك أفريدون اني قد عولت في غد على أن أصف لهم الصفوف وأخرج لهم الفارس المعروف لوقا بن شملوط فانه اذا برز الى الملك شركان قتله وقتل غيره من الابطال حتى لم يبق منهم أحد وقد عولت في هذه الليلة على تقديسكم بالبخور الاكبر فلما سمعوا كلامه قبلوا الارض وكان البخور الذي أراده خرء البطريق الكبير ذي الانكار والنكير فانهم كانوا يتنافسون فيه ويستحسنون مساويه حتى كانت أكابر بطارقة الروم يبعثونه الى سائر أقاليم بلادهم في خرق من الحرير ويمزجونه بالمسك والعنبر فاذا وصل خرؤه الى الملوك يأخذون منه كل درهم بألف دينار حتى كان الملوك يرسلون في طلبه من أجل بخور العرائس وكانت البطارقة يخلطونه بخرئهم فان خرء البطريق الكبير لا يكفي عشرة أقاليم وكان خواص ملوكهم يجعلون قليلا منه في كحل العيون ويداوون به المريض والمبطون فلما أصبح الصباح وأشرق بنوره ولاح وتبادرت الفرسان الى حمل الرماح * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الموفية للتسعين﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد انه لما أصبح الصباح وأشرق بنوره ولاح وتبادرت الفرسان الى الرماح عاد الملك أفريدون بخواص بطارقته وأرباب دولته وخلع عليهم ونقش الصليب

فى وجوههم وبخرهم بالبخور المتقدم ذكره الذى هو خرء البطريق الاكبر والكاهن الامكر فلما بخرهم دعا بحضور لوقا بن شملوط الذى يسمونه سيف المسيح وبخره بالرجيع وحنكه به بعد التبخير ونشقه ولطخ به عوارضه ومسح بالفضلة شواربه وكان ذلك الملعون لوقا ما فى بلاد الروم أعظم منه ولا أرمى بالنبال ولا أضرب بالسيف ولا أطعن بالرمح والنزال وكان بشع المنظر كان وجهه وجه حمار وصورته صورة قرد وطلعته طلعة الرقيب وقربه أصعب من فراق الحبيب له من الليل ظلمته ومن الابخر نكهته ومن القوس قامته ومن الكفر سمته وبعد ذلك أقبل على الملك أفريدون وقبل قدميه ثم وقف بين يديه فقال الملك أفريدون انى أريد أن تبرز الى شركان ملك دمشق ابن عمر النعمان وقد انجلى عنا هذا الشر والهوان فقال سمعا وطاعة ثم ان الملك نقش فى وجهه الصليب وزعم أن النصر يحصل له عن قريب ثم انصرف لوقا من عند الملك أفريدون وركب الملعون لوقا جوادا أشقر وعليه ثوب أحمر وزردية من الذهب المرصع بالجوهر وحمل رمحا له ثلاث حراب كأنه ابليس اللعين يوم الاحزاب وتوجه هو وحزبه الكفر كأنهم يساقون الى النار وبينهم مناد ينادى بالعربى ويقول يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم لا يخرج منكم الا فارسكم سيف الاسلام شركان صاحب دمشق الشام فما استتم كلامه الا وضجة فى الفلا سمع صوتها جميع الملا وركضات فرقت الصفين وأذكرت يوم حنين ففزع اللئام منها والتفتوا الاعناق نحوها واذا هو الملك شركان ابن الملك عمر النعمان وكان أخوه ضوء المكان لما رأى ذلك الملعون فى الميدان وسمع المنادى التفت لاخيه شركان وقال له انهم يريدونك فقال ان كان الامر كذلك فهو أحب الى فلما تحققوا الامر وسمعوا هذا المنادى وهو يقول فى الميدان لا يبرز لى الا شركان علموا ان هذا الملعون فارس بلاد الروم وكان قد حلف أن يخلى الارض من المسلمين والا فهو من أخسر الخاسرين لانه هو الذى حرق الاكباد وفزعت من شره الاجناد من الترك والديلم والاكراد فعند ذلك برز اليه شركان كأنه أسد غضبان وكان راكبا على ظهر جواد يشبه شارد الغزلان فساقه نحو لوقا حتى صار عنده وهز الرمح فى يده كأنه أفعى من الحيات وأنشد هذه الابيات

لى أشقر سمح العنان مغاير * يعطيك ما يرضيك من مجهوده
ومثقف لدن السنان كأنما * أم المنايا ركبت فى عوده
ومهند عضب اذا جردته * خلت البروق تموج فى تجريده

فلم يفهم لوقا معنى هذا الكلام ولا حماسة هذا النظام بل لطم وجهه بيده تعظيما للصليب المنقوش عليه ثم قبلها وأشرع الرمح نحو شركان وكر عليه ثم طوح الحربة باحدى يديه حتى خفيت عن أعين الناظرين وتلقاها باليد الاخرى كفعل الساحرين ثم رمى بها شركان فخرجت من يديه كأنها شهاب ثاقب فضجت الناس وخافوا على شركان فلما قربت الحربة من شركان اختطفها من الهواء فتحيرت عقول الورى ثم ان شركان هزها بيده التى أخذها بها من النصرانى حتى كاد أن يقصفها ورماها فى الجو حتى خفيت عن النظر وتلقاها بيده الثانية فى أقرب من لمح البصر وصاح صيحة من صميم قلبه وقال وحق من خلق السبع الطباق لاجعلن هذا اللعين شهرة فى الآفاق ثم رماه بالحربة فاراد لوقا أن يفعل بالحربة كما فعل شركان ومد يده الى الحربة ليختطفها من الهواء فعاجله شركان بحربة ثانية فضربه بها فوقعت فى وسط الصليب الذى فى وجهه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فلما رأى الكفار لوقا بن شملوط وقع مقتولا لطموا على وجوههم ونادوا بالويل والثبور واستغاثوا ببطارقة الديور * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الحادية والتسعون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الكفار لما رأوا لوقا بن شملوط وقع مقتولا لطموا على وجوههم ونادوا بالويل والثبور واستغاثوا ببطارقة الديور وقالوا أين الصلبان وتزهد الرهبان ثم اجتمعوا جميعا عليه وأعملوا الصوارم والرماح وهجموا للحرب والكفاح والتقت العساكر بالعساكر وصارت الصدور تحت وقع الحوافر وتحكمت الرماح والصوارم وضعفت السواعد والمعاصم وكأن الخيل خلقت بلا قوائم ولا زال منادى الحرب ينادى الى أن كلت الايادى وذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار وافترق الجيشان وصار كل شجاع كالسكران من شدة الضرب والطعان وقد امتلأت الارض بالقتلى وعظمت الجراحات وصار لا يعرف الجريح ممن مات ثم ان شركان اجتمع بأخيه ضوء المكان والحاجب والوزير دندان

ثم قال شركان لأخيه ضوء المكان والحاجب ان الله قد فتح بابا لهلاك الكافرين والحمد لله رب العالمين فقال ضوء المكان لأخيه لم نزل نحمد الله لكشف الحرب عن العرب والعجم وسوف تحدث الناس جيلا بعد جيل بما صنعت بالملعون لوقا محرف الانجيل وأخذك الحربة من الهواء وضربك لعدو الله بين الورى ويبقى حديثك الى آخر الزمان ثم قال شركان أيها الحاجب الكبير والمقدام الخطير فاجابه بالتلبية فقال له خذ معك الوزير دندان وعشرين ألف فارس وسر بهم الى ناحية البحر مقدار سبعة فراسخ وأسرعوا في السير حتى تكونوا قريبا من الساحل بحيث يبقى بينكم وبين القوم قدر فرسخين واختفوا في وهدات الارض حتى تسمعوا ضجة الكفار اذا طلعوا من المراكب وتسمعوا الصياح من كل جانب وقد عملت بيننا وبينهم القواضب فاذا رأيتم عسكرنا تقهقروا الى وراء كأنهم منهزمون وجاءت الكفار زاحفة خلفهم من جميع الجهات حتى من جانب الساحل والخيام فكونوا لهم بالمرصاد واذا رأيت أنت علما عليه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فارفع العلم الاخضر وصح قائلا الله أكبر واحمل عليهم من ورائهم واجتهد في ان لا يحول الكفار بين المنهزمين وبين البحر فقال السمع والطاعة واتفقوا على ذلك الامر في تلك الساعة ثم تجهز وسار وقد أخذ الحاجب معه الوزير دندان وعشرين ألفا كما أمر الملك شركان فلما أصبح الصباح ركب القوم وهم مجردون الصفاح ومتقلدون الرماح وحاملون السلاح وانتشرت الخلائق في الربا والبطاح وصاحت القسوس وكشفت الرؤس ورفعت الصلبان على قلوع المراكب وقصدوا الساحل من كل جانب وانزلوا الخيل في البر وعزموا على الكر والفر ولمعت السيوف وتوجهت الجموع وبرقت شهب الرماح على الدروع ودارت طاحون المنايا على الرجال والفرسان وطارت الرؤس عن الابدان وخرست الالسن وتغشت الاعين وانفطرت المرائر وعملت البواتر وطارت الجماجم وقطعت المعاصم وخاضت الخيل في الدماء وتقابضوا باللحى وصاحت عساكر الاسلام بالصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الانام وبالثناء على الرحمن بما أولى من الاحسان وصاحت عساكر الكفر بالثناء على الصليب والزنار والعصير والعصار والقسوس والرهبان والشعانين والمطران وتأخر ضوء المكان هو وشركان الى ورائهما وتقهقرت الجيوش وأظهروا الانهزام للاعداء وزحفت عليهم عساكر الكفر لوهم الهزيمة وتهيؤا للطعن والضرب فاستهل أهل الاسلام قراءة أول سورة البقرة وصارت القتلى تحت أرجل الخيل منتثرة وصار منادي الروم يقول يا عبدة المسيح وذوي الدين الصحيح يا خدام الجاثليق قد لاح لكم التوفيق ان عساكر الاسلام قد جنحوا الى الفرار فلا تولوا عنهم الادبار فمكنوا السيوف من أقفائهم ولا ترجعوا من ورائهم والا برئتم من المسيح بن مريم الذي في المهد تكلم وظن افريدون ملك القسطنطينية ان عساكر الكفار منصورة ولم يعلم أن ذلك من حسن تدبير المسلمين صورة فأرسل الى ملك الروم يبشره بالظفر ويقول له ما نفعنا الا غائط البطريق الاكبر لما فاحت رائحته من اللحى والشوارب بين عباد الصليب حاضر وغائب وأقسم بالمعجزات النصرانية المرعية والمياه المعمودية اني لا أترك على الارض مجاهدا بالكلية واني مصر على سوء هذه النية وتوجه الرسول بهذا الخطاب ثم صاح الكفار على بعضهم قائلين خذوا بثار لوقا ✱ وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثانية والتسعون﴾ ✱ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الكفار صاحوا على بعضهم قائلين خذوا بثار لوقا وصار ملك الروم ينادي يا لأخذ ثار ابريزة فعند ذلك صاح الملك ضوء المكان وقال يا عباد الملك الديان اضربوا أهل الكفر والطغيان ببيض الصفاح وسمر الرماح فرجع المسلمون على الكفار وأعملوا فيهم الصارم البتار وصار ينادي منادي المسلمين ويقول عليكم بأعداء الدين يا محب النبي المختار هذا وقت ارضاء الكريم الغفار يا راجي النجاة في اليوم المخوف ان الجنة تحت ظلال السيوف واذا بشركان قد حمل هو ومن معه على الكفار وقطعوا عليهم طريق الفرار وجال بين الصفوف وطاف واذا بفارس مليح الانعطاف قد فتح في عسكر الكفر ميدانا وجال في الكفرة حربا وطعانا وملأ الارض رؤسا وأبدانا وقد خافت الكفار من حربه ومالت أعناقهم لطعنه وضربه قد تقلد بسيفين لحظ وحسام واعتقل رمحين قناة وقوام بوفرة تغني عن وافر عدد العساكر كما قال فيه الشاعر

لا تحسن الوفرة الاوفى * منشورة الفرعين يوم النزال على فتى معتقل صعدة * يعلها من كل وافى السبال

وكما قال الآخر

أقول له لما تقلد سيفه * كفتك سيوف اللحظ عن ذلك العضب

فقال الحافظى سيفه الذوى الهوى * وسيفى لمن لم يدر ما لذة الحب

فلما رآه شركان قال أعيذك بالقرآن وآيات الرحمن من أنت أيها الفارس من الفرسان فلقد أرضيت بفعلك الملك الديان الذى لا يشغله شأن عن شان حيث هزمت أهل الكفر والطغيان فناداه الفارس قائلا أنت الذى بالامس عاهدتنى فما أسرع ما نسيتنى ثم كشف اللثام عن وجهه حتى ظهر ما خفى من حسنه فاذا هو ضوء المكان ففرح به شركان الا أنه خاف عليه من ازدحام الاقران وانطباق الشجعان وذلك لأمرين أحدهما صغر سنه وصيانته عن العين والثانى أن بقاءه للمملكة أعظم الجناحين فقال له يا ملك انك لقد خاطرت بنفسك فالصق جوادك بجوادى فانى لا آمن عليك من الاعادى والمصلحة فى أن لا تخرج من تلك العصائب لأجل أن ترمى الاعداء بسهمك الصائب فقال ضوء المكان انى أردت أن أساويك فى النزال ولا أبخل بنفسى بين يديك فى القتال ثم انطبقت عساكر الاسلام على الكفار وأحاطوا بهم من جميع الاقطار وجاهدوهم حق الجهاد وكسروا شوكة الكفر والعناد والفساد فتأسف الملك أفريدون لما رأى ما حل بالروم من الأمر المذموم وقد ولوا الادبار وركنوا الى الفرار يقصدون المراكب واذا بالعساكر قد خرجت عليهم من ساحل البحر وفى أوائلهم الوزير دندان مجندل الشجعان وضرب فيهم بالسيف والسنان وكذا الامير بهرام صاحب دوائر الشام وهو فى عشرين ألف ضرغام وأحاطت بهم عساكر الاسلام من خلف ومن أمام ومالت فرقة من المسلمين على من كان فى المراكب وأوقعوا فيهم المعاطب فرموا أنفسهم فى البحر وقتلوا منهم جمعا عظيما يزيد على مائة ألف خنزير ولم ينج من أبطالهم صغير ولا كبير وأخذوا مراكبهم بما فيها من الاموال والذخائر والاثقال الا عشرين مركبا وغنم المسلمون فى ذلك اليوم غنيمة ما غنم أحد مثلها فى سالف الزمان ولا سمعت أذن بمثل هذا الحرب والطعان ومن جملة ما غنموه خمسون ألفا من الخيل غير الذخائر والاسلاب مما لا يحيط به حصر ولا حساب وفرحوا فرحا ما عليه مزيد بما من الله عليهم من النصر والتأييد هذا ما كان من أمرهم ﴿وأما﴾ ما كان من أمر المنهزمين فانهم وصلوا الى القسطنطينية وكان الخبر قد وصل الى أهلها أولا بان الملك أفريدون هو الظافر بالمسلمين فقالت العجوز ذات الدواهى أنا أعلم ان ولدى ملك الروم لا يكون من المنهزمين ولا يخاف من الجيوش الاسلامية ويرد أهل الارض الى ملة النصرانية ثم ان العجوز كانت أمرت الملك الاكبر أفريدون أن يزين البلد فاظهروا السرور وشربوا الخمور وما علموا بالمقدور فبينماهم فى وسط الافراح اذ نعق عليهم غراب الحزن والاتراح وأقبلت عليهم العشرون مركبا الهاربة وفيها ملك الروم فقابلهم أفريدون ملك القسطنطينية على الساحل وأخبروه بما جرى لهم من المسلمين فزاد بكاؤهم وعلا نحيبهم وانقلبت بشارات الخير بالغم والضير وأخبروه أن لوقا بن شملوط حلت به النوائب وتمكن منه سهم المنية الصائب فقامت على الملك أفريدون القيامة وعلم أن اعوجاجهم ليس له استقامة وقامت بينهم المآتم وانحلت منهم العزائم وندبت النوادب وعلا النحيب والبكاء من كل جانب ولما دخل ملك الروم على الملك أفريدون وأخبره بحقيقة الحال وان هزيمة المسلمين كانت على وجه الخداع والمحال قال له لا تنتظر أن يصل من العسكر الا من وصل اليك فلما سمع الملك أفريدون ذلك الكلام وقع مغشيا عليه وصار أنفه تحت قدميه * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثالثة والتسعون﴾

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك أفريدون لما سمع ذلك الكلام وقع مغشيا عليه وصار أنفه تحت قدميه فلما أفاق من غشيته نفض الخوف جراب معدته فشكا الى العجوز ذات الدواهى وكانت تلك اللعينة كاهنة من الكهان ومتقنة للسحر والبهتان عاهرة مكارة فاجرة غدارة ولها فم أبخر وجفن أحمر وخد أصفر بوجه أغبش وطرف أعمش وجسم أجرب وشعر أشهب وظهر أحدب ولون حائل ومخاط سائل لكنها قرأت كتب الاسلام وسافرت الى بيت الله الحرام كل ذلك لتطلع على الاديان وتعرف آيات القرآن ومكثت فى

بيت المقدس سنتين لعجوز مكر الثقلين فهي آفة من الآفات وبلية من البليات فاسدة الاعتقاد ليست لدين تنقاد وكان أكثر اقامتها عند ولدها حردوب ملك الروم لاجل الجوارى الابكار لانها كانت تحب السحاق وان تأخر عنها تكون فى انحراق وكل جارية أعجبتها تعلمها الحكمة وتسحق عليها الزعفران فيغشى عليها من فرط اللذة مدة من الزمان فمن طاوعتها أسعفت اليها ورغبت ولدها فيها ومن لا تطاوعها تحيل على هلاكها وبسبب ذلك علمت مرجانة وريحانة وأترجة جوارى ابريزة وكانت الملكة ابريزة تكره العجوز وتكره أن ترقد معها لان صنانها يخرج من تحت ابطيها ورائحة فسائها أنتن من الجيفة وجسدها أخشن من الليفة وكانت ترغب من يساحقها بالجواهر والتعليم وكانت ابريزة تبرأ منها الى الحكيم العليم ولله در القائل

يامن تسفل للغنى مذلة * وعلى الفقير لقد علا تياها

ويزين شنعته بجمع دراهم * عطر القبيحة لا يفى بفساها

ولنرجع الى حديث مكرها ودواهى أمرها ثم انها سارت وسار معها عظماء النصارى وعساكرهم وتوجهوا الى عسكر الاسلام وبعدها دخل الملك أفريدون على ملك الروم وقال له أيها الملك ما لنا حاجة بامر البطريق الكبير ولا بدعائه بل نعمل برأى أمى ذات الدواهى وننظر ما تعمل بخداعها غير المتناهى مع عسكر المسلمين فانهم بقوتهم واصلون الينا وعن قريب يكونون لدينا ويحيطون بنا فلما سمع الملك أفريدون ذلك الكلام عظم فى قلبه الرعب فكتب من وقته وساعته الى سائر اقاليم النصارى يقولون لهم ينبغى أن لا يتخلف أحد من أهل الملة النصرانية والعصابة الصليبية خصوصا أهل الحصون والقلاع بل يأتون الينا جميعا رجالا وركبانا ونساء وصبيانا فان عسكر المسلمين قد وطئوا أرضنا فالعجل العجل قبل حلول الوجل هذا ما كان من أمر هؤلاء (واما) ما كان من أمر العجوز ذات الدواهى فانها طلعت خارج البلد مع أصحابها وألبستهم زى تجار المسلمين وكانت قد أخذت معها مائة بغل محملة من القماش الانطاكى ما بين أطلس معدنى وديباج ملكى وغير ذلك وأخذت من الملك أفريدون كتابا مضمونه ان هؤلاء التجار من أرض الشام وكانوا فى ديارنا فلا ينبغى أن يتعرض لهم أحد بسوء عشرا أو غيره حتى يصلوا الى بلادهم ومحل أمنهم لان التجار بهم عمار البلاد وليسوا من أهل الحرب والفساد ثم ان الملعونة ذات الدواهى قالت لمن معها انى أريد أن أدبر حيلة على هلاك المسلمين فقالوا لها أيتها الملكة مرينا بما شئت نحن تحت طاعتك فلا أحبط المسيح عملك فلبست ثيابا من الصوف الابيض الناعم وحكت جبينها حتى صار له وسم ودهنته بدهان دبرته حتى صار له ضوء عظيم وكانت الملعونة نحيلة الجسم غائرة العينين فقيدت رجليها من فوق قدميها وسارت حتى وصلت الى عسكر المسلمين ثم حلت القيد من رجليها وقد أثر القيد فى ساقيها ثم دهنتهما بالدم الاخوين وأمرت من معها أن يضربوها ضربا عنيفا وأن يضعوها فى صندوق فقالوا لها كيف نضربك وأنت سيدتنا ذات الدواهى أم الملك الباهى فقالت لا لوم ولا تعنيف على من يأتى الكنيف ولاجل الضرورات تباح المحظورات وبعد أن تضعونى فى الصندوق خذوه فى جملة الاموال واحملوه على البغال ومروا بذلك بين عسكر الاسلام ولا تخشوا شيأ من الملام وان تعرض لكم أحد من المسلمين فسلموا له البغال وما عليها من الاموال وانصرفوا الى ملككم ضوء المكان واستغيثوا به وقولوا نحن كنا فى بلاد الكفرة ولم يأخذوا منا شيأ بل كتبوا لنا توقيعا انه لا يتعرض لنا أحد فكيف تأخذون أنتم أموالنا وهذا كتاب ملك الروم الذى مضمونه أن لا يتعرض لنا أحد بمكروه فاذا قال وما الذى ربحتموه من بلاد الروم فى تجارتكم فقولوا له ربحنا خلاص رجل زاهد وقد كان فى سرداب تحت الارض له فيه نحو خمسة عشر عاما وهو يستغيث فلا يغاث بل يعذبه الكفار ليلا ونهارا ولم يكن عندنا علم بذلك مع أننا أقمنا فى القسطنطينية مدة من الزمان وبعنا بضائعنا واشترينا خلافها وجهزنا حالنا وعزمنا على الرحيل الى بلادنا وبتنا تلك الليلة نتحدث فى أمر السفر فلما أصبحنا رأينا صورة مصورة فى الحائط فلما قربنا منها تأملناها فاذا هى تحركت وقالت يا مسلمين هل فيكم من يعامل رب العالمين فقلنا وكيف ذلك فقالت تلك الصورة ان الله أنطقنى لكم ليقوى يقينكم ويلهمكم دينكم وتخرجوا من بلاد الكافرين وتقصدوا عسكر المسلمين فان فيهم سيف الرحمن وبطل الزمان الملك شركان وهو الذى يفتح القسطنطينية ويهلك أهل

الملة النصرانية فاذا قطعتم سفر ثلاثة أيام تجدوا دير اذه رفيق بدير مطر وحذاوفيه صومعة فاقصدوها بصدق نيتكم وتحيلوا على الوصول اليها بقوة عزيمتكم لان فيها رجلا عابدا من بيت المقدس اسمه عبدالله وهو من أدين الناس وله كرامات تزيح الشك والالباس قد خدعه بعض الرهبان وسجنه في سرداب له فيه مدة مديدة من الزمان وفي انقاذه رضا رب العباد لان فكاكه من أفضل الجهاد ثم ان العجوز لما اتفقت مع من معها على هذا الكلام قالت فاذا أتى اليكم سمه الملك شركان فقولوا له فلما سمعنا هذا الكلام من تلك الصورة علمنا ان ذلك العابد *

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الرابعة والتسعون)

قالت بلغني أيها الملك السعيد ان العجوز ذات الدواهي لما اتفقت مع من معها على هذا الكلام قالت فاذا أتى اليكم سمه الملك شركان فقولوا له فلما سمعنا هذا الكلام من تلك الصورة علمنا أن ذلك العابد من أكابر الصالحين وعباد الله المخلصين فسافرنا مدة ثلاثة أيام ثم رأينا ذلك الدير فعرجنا عليه وملنا اليه وأقمنا هنالك يوما في البيع والشراء على عادة التجار فلما ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار قصدنا تلك الصومعة التي فيها السرداب فسمعناه بعد تلاوة الآيات ينشد هذه الابيات

كبدا كابده وصدري ضيق * وجرى بقلبي بحر هم مغرق
ان لم يكن فرج فموت عاجل * ان الحمام من الرزايا أرفق
يا برق ان جئت الديار وأهلها * وعلاعليك من البشائر رونق
كيف السبيل الى اللقاء وبيننا * تلك الحروب وباب رهن مغلق
بلغ أحبتنا السلام وقل لهم * اني بدير الروم قاص موثق

ثم قالت اذا وصلتم بي الى عسكر المسلمين وصرت عندهم أعرف كيف أدبر حيلة في خديعتهم وقتلهم عن آخرهم فلما سمع النصارى كلام العجوز قبلوا يديها ووضعوها في الصندوق بعد أن ضربوها أشد الضربات الموجعات تعظيما لها لانهم يرون طاعتها من الواجبات ثم قصدوا بها عسكر المسلمين كما ذكرنا هذا ما كان من أمر هذه اللعينة ذات الدواهي ومن معها *(وأما)* ما كان من أمر عسكر المسلمين فانهم لما نصرهم الله على أعدائهم وغنموا ما كان في المراكب من الاموال والذخائر قعدوا يتحدثون مع بعضهم فقال ضوء المكان لاخيه ان الله قد نصرنا بسبب عدلنا وانقيادنا لبعضنا فكن ياشركان ممتثلا أمري في طاعة الله عز وجل فقال شركان حبا وكرامة ومد يده الى أخيه وقال ان جاءك ولد أعطيته ابنتي قضى فكان ففرح بذلك وصار يهني بعضهم بعضا بالنصر على الاعداء وهنأ الوزير دندان شركان وأخاه وقال لهما اعلما أيها الملكان أن الله نصرنا حيث وهبنا أنفسنا لله عز وجل وهجرنا الاهل والاوطان والرأي عندي أن نرحل وراءهم ونحاصرهم ونقاتلهم لعل الله أن يبلغنا مرادنا ونستأصل أعداءنا وان شئتم فانزلوا في هذه المراكب وسيروا في البحر ونحن نسير في البر ونصبر على القتال والطعن والنزال ثم ان الوزير دندان مازال يحرضهم على القتال وأنشد قول من قال

أطيب الطيبات قتل الاعادي * واحتمالي على ظهور الجياد
ورسول يأتي بوعد حبيب * وحبيب يأتي بلا ميعاد

وقول الآخر

وان عمرت جعلت الحرب والدة * والمشرفي أخا والسمهري أبا
بكل أشعث يلقى الموت مبتسما * حتى كأن له في قتله أربا

فلما فرغ الوزير دندان من شعره قال سبحان من أيدنا بنصره العزيز وأظفرنا بغنيمة الفضة والابريز ثم أمر ضوء المكان العسكر بالرحيل فسافروا طالبين القسطنطينية وجدوا في سيرهم حتى أشرفوا على مرج فسيح وفيه كل شئ مليح ما بين وحوش تمرح وغزلان تسنح وكانوا قد قطعوا مفاوز كثيرة وانقطع عنهم الماء ستة أيام فلما أشرفوا على ذلك المرج نظروا الى تلك العيون النابعة والاثمار اليانعة وتلك الارض كأنها جنة أخذت زخرفها وازينت وسكرت أغصانها من رحيق الطل فتمايلت وجمعت بين عذوبة التسنيم واعتلال النسيم فتدهش العقل والناظر كما قال الشاعر

انظر الى الروض النضير كأنما * نشرت عليه ملاءة خضراء
ان ماسحت بلحظ عينك لاترى * الا غديرا جال فيه الماء

وترى بنفسك عزة فى دوحه * اذ فرق رأسك حيث سرت لواء

وكما قال الآخر

النهر خد بالشعاع مورد * قد دب فيه عذار ظل البان

والماء فى سوق الغصون خلاخل * من فضة والزهر كالتيجان

فلما نظر ضوء المكان الى ذلك المرج الذى التفت أشجاره وزهت أزهاره وترنمت أطياره نادى أخاه شركان وقال له يا أخى ان دمشق ما فيها مثل هذا المكان فلا نرحل منه الا بعد ثلاثة أيام حتى نأخذ لنا راحة لاجل أن تنشط عساكر الاسلام وتقوى نفوسهم على لقاء الكفرة اللئام فاقاموا فيه فبينما هم كذلك اذ سمعوا أصواتا من بعيد فسأل عنهم ضوء المكان فقيل له انها قافلة تجار من بلاد الشام كانوا نازلين فى هذا المكان للراحة ولعل العساكر صادفوهم وربما أخذوا شيأ من بضائعهم التى معهم حيث كانوا فى بلاد الكفار وبعد ساعة جاء التجار وهم صارخون يستغيثون بالملك فلما رأى ضوء المكان ذلك أمر باحضارهم فحضروا بين يديه وقالوا أيها الملك انا كنا فى بلاد الكفار ولم ينهبوا منا شيأ فكيف تنهب أموالنا اخواننا المسلمون ونحن فى بلادهم فاننا لما رأينا عساكركم أقبلنا عليهم فاخذوا ما كان معنا وقد أخبرناك بما حصل لنا ثم أخرجوا له كتاب ملك القسطنطينية فاخذه شركان وقرأه ثم قال لهم سوف نرد عليكم ما أخذ منكم ولكن كان الواجب أن لا تحملوا تجارة الى بلاد الكفار فقالوا يا مولانا ان الله سيرنا الى بلادهم لنظفر بما لم يظفر به أحد من الغزاة ولا أنتم فى غزوتكم فقال لهم شركان وما الذى ظفرتم به فقالوا ما نذكر لك ذلك الا فى خلوة لان هذا الامر اذا شاع بين الناس ربما اطلع عليه أحد فيكون ذلك سببا لهلاكنا وهلاك كل من يتوجه الى بلاد الروم من المسلمين وكانوا قد خبؤا الصندوق الذى فيه اللعينة ذات الدواهى فأخذهم ضوء المكان وأخوه واختليا بهم فشرحوا لهما حديث الزاهد وصاروا يبكون حتى أبكوهما * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الخامسة والتسعون) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن النصارى الذين فى هيئة التجار لما اختلى بهم ضوء المكان وأخوه شركان شرحوا لهما حديث الزاهد وبكوا حتى أبكوهما وأخبروهما كما أعلمتهم الكاهنة ذات الدواهى فرق قلب شركان للزاهد وأخذته الرأفة عليه وقامت به الحمية لله تعالى وقال لهم هل خلصتم هذا الزاهد أم هو فى الدير الى الآن فقالوا بل خلصناه وقتلنا صاحب الدير من خوفنا على أنفسنا ثم أسرعنا فى الهرب خوفا من العطب وقد أخبرنا بعض الثقات أن فى هذا الدير قناطير من الذهب والفضة والجواهر ثم بعد ذلك أتوا بالصندوق وأخرجوا منه تلك الملعونة كأنها قرن خيار شنبر من شدة السواد والنحول وهى مكبلة بتلك السلاسل والقيود فلما نظرها ضوء المكان هو والحاضرون ظنوا أنه رجل من خيار العباد ومن أفضل الزهاد خصوصا وجبينها يضىء من الدهان الذى دهنت به وجهها فبكى ضوء المكان وأخوه بكاء شديدا ثم قاما اليها وقبلا يديها ورجليها وصارا ينتحبان فأشارت اليهما وقالت كفا عن هذا البكاء واسمعا كلامى فتركا البكاء امتثالا لامرها فقالت اعلما أنى قد رضيت بما صنعه بى مولاى لانى أرى أن البلاء الذى نزل بى امتحان منه عز وجل ومن لم يصبر على البلاء والمحن فليس له وصول الى جنات النعيم وكنت أتمنى انى أعود الى بلادى لا جزعا من البلاء الذى حل بى بل لاجل أن أموت تحت حوافر خيل المجاهدين الذين هم بعد القتل أحياء غير أموات * ثم أنشدت هذه الابيات

الحصن طور ونار الحرب موقدة * وأنت موسى وهذا الوقت ميقات

ألق العصا تتلقف كل ما صنعوا * ولا تخف ما حبال القوم حيات

فاقرأ سطور العدا يوم الوغى سورا * فان سيفك فى الاعناق آيات

فلما فرغت العجوز من شعرها تناثرت من عينيها المدامع وجبينها بالدهان كالضوء اللامع فقام اليها شركان وقبل يدها وأحضر لها الطعام فامتنعت وقالت انى لم أفطر من مدة خمسة عشر عاما فكيف أفطر فى هذه الساعة وقد جاد على المولى بالخلاص من أسر الكفار ودفع عنى ما هو أشق من عذاب النار فانا أصبر الى الغروب فلما جاء وقت العشاء أقبل شركان هو وضوء المكان وقدما اليها الاكل وقالا لها كل أيها الزاهد فقالت ما هذا وقت الاكل وانما هذا وقت عبادة الملك الديان ثم انتصبت فى المحراب تصلى الى أن ذهب الليل ولم تزل على هذه الحالة ثلاثة

أيام ولياليها وهي لم تفقد الاوقت التحية فلما رآها ضوء المكان على تلك الحالة تملك قلبه حسن الاعتقاد فيها وقال
لشركان اضرب خيمة من الاديم لذلك العابد ووكل فراشا بخدمته وفي اليوم الرابع دعت بالطعام فقدموا لها من
الالوان ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين فلم تأكل من ذلك كله الارغيفا واحدا بملح ثم نوت الصوم ولما جاء الليل قامت
الى الصلاة فقال شركان لضوء المكان أما هذا الرجل فقد زهد الدنيا غاية الزهد ولولا هذا الجهاد لكنت لازمته
وأعبد الله بخدمته حتى ألقاه وقد اشتهيت أن أدخل معه الخيمة وأتحدث معه ساعة فقال له ضوء المكان وأنا
كذلك ولكن نحن في غد ذاهبون الى غزو القسطنطينية ولم نجد لنا ساعة مثل هذه الساعة فقال الوزير دندان
وأنا الآخر أشتهي أن أرى هذا الزاهد لعله يدعو لي بقضاء نحبي في الجهاد ولقاء ربي فاني زهدت الدنيا فلما جن
عليهم الليل دخلوا على تلك الكاهنة ذات الدواهي في خيمتها فرأوها قائمة تصلي فدنوا منها وصاروا يبكون رحمة
لها وهي لا تلتفت اليهم الى أن انتصف الليل فسلمت من صلاتها ثم أقبلت عليهم وحيتهم وقالت لهم لماذا جئتم
فقالوا لها أيها العابد أما سمعت بكاءنا حولك فقالت ان الذي يقف بين يدي الله لا يكون له وجود في الكون حتى
يسمع صوت أحد أو يراه ثم انهم قالوا اننا نشتهي أن تحدثنا بسبب أسرك وتدعو لنا في هذه الليلة فانها خير لنا من
ملك القسطنطينية فلما سمعت كلامهم قالت والله لولا أنكم أمراء المسلمين ما أحدثكم بشئ من ذلك أبدا فاني
لا أشكو الا الى الله وها أنا أخبركم بسبب أسري اعلموا أنني كنت في القدس مع بعض الابدال وأرباب الاحوال
وكنت لا أتكبر عليهم لان الله سبحانه وتعالى أنعم علي بالتواضع والزهد فاتفق أنني توجهت الى البحر ليلة ومشيت
على الماء فداخلني العجب من حيث لا أدري وقلت في نفسي من مثلي يمشي على الماء فقسا قلبي من ذلك الوقت
وابتلاني الله تعالى بحب السفر فسافرت الى بلاد الروم وجلت في أقطارها سنة كاملة حتى لم أترك موضعا
الا عبدت الله فيه فلما وصلت الى هذا المكان صعدت الى هذا الجبل وفيه دير راهب يقال له
مطروحنا فلما رآني خرج الي وقبل يدي ورجلي وقال اني رأيتك منذ دخلت بلاد الروم وقد شوقتني الى بلاد
الاسلام ثم انه أخذ بيدي وأدخلني في ذلك الدير ثم دخل بي الى بيت مظلم فلما دخلت فيه غافلني وأغلق علي الباب
وتركني فيه أربعين يوما من غير طعام ولا شراب وكان قصده بذلك قتلي صبرا فاتفق في بعض الايام أنه دخل ذلك
الدير بطريق يقال له دقيانوس ومعه عشرة من الغلمان ومعه ابنة يقال لها تماثيل ولكنها في الحسن
ليس لها مثيل فلما دخلوا الدير أخبرهم الراهب مطروحنا بخبري فقال البطريق أخرجوه لانه لم يبق من لحمه
ما يأكله الطير ففتحوا باب ذلك البيت المظلم فوجدوني منتصبا في المحراب أصلي وأقرأ وأسبح وأتضرع الى الله
تعالى فلما رأوني على تلك الحالة قال مطروحنا ان هذا ساحر من السحرة فلما سمعوا كلامه قاموا جميعا ودخلوا على
وأقبل علي دقيانوس هو وجماعته وضربوني ضربا عنيفا فعند ذلك تمنيت الموت ولمت نفسي وقلت هذا جزاء من
يتكبر ويعجب بما أنعم عليه ربه مما ليس في طاقته وأنت يا نفسي قد داخلك العجب والكبر أما علمت أن الكبر
يغضب الرب ويقسي القلب ويدخل الانسان في النار ثم بعد ذلك قيدوني وردوني الى مكاني وكان سردابا في ذلك
البيت تحت الارض وكل ثلاثة أيام يرمون الي قرصة من الشعير وشربة من ماء وكل شهر أو شهرين يأتي البطريق
ويدخل ذلك الدير وقد كبرت ابنته تماثيل لانها كانت بنت تسع سنين حين رأيتها ومضى لي في الاسر خمس
عشرة سنة فجملة عمرها أربعة وعشرون عاما وليس في بلادنا ولا في بلاد الروم أحسن منها وكان أبوها يخاف عليها
من الملك أن يأخذها منه لانها وهبت نفسها للمسيح غير أنها تركب مع أبيها في زي الرجال الفرسان وليس لها
مثيل في الحسن ولم يعلم من رآها أنها جارية وقد خزن أبوها أمواله في هذا الدير لان كل من كان عنده شئ من
نفائس الذخائر يضعه في ذلك الدير وقد رأيت فيه من أنواع الذهب والفضة والجواهر وسائر الالوان والتحف
ما لا يحصي عدده الا الله فأنتم أولى به من هؤلاء الكفرة فخذوا ما في هذا الدير وأنفقوه على المسلمين وخصوصا
المجاهدين ولما وصل هؤلاء التجار الى القسطنطينية وباعوا بضاعتهم كلمتهم تلك الصورة التي في الحائط كرامة
أكرمني الله بها فجاؤا الى ذلك الدير وقتلوا البطريق مطروحنا بعد أن عاقبوه أشد العقاب وجروه من
لحيته فدلهم على موضعي فأخذوني ولم يكن لهم سبيل الا الهرب خوفا من العطب وفي ليلة غد تأتي

تماثيل الى ذلك الدير على عادتها وتلحقها أبوها مع غلمانه لانه لا يخاف عليها فان شئتم أن تشاهدوا هذا الامر فخذوني بين أيديكم وأنا أسلم اليكم الاموال وخزانة البطريق دقيانوس التي في ذلك الجبل وقد رأيتهم يخرجون أواني الذهب والفضة يشربون فيها ورأيت عندهم جارية تغني لهم بالعربي فواحسرتاه لو كان ذلك الصوت الحسن في قراءة القرآن وان شئتم فادخلوا ذلك الدير واكمنوا فيه الى أن يصل دقيانوس ومعه ابنته فخذوها فانها لا تصلح الا لملك الزمان شركان أو للملك ضوء المكان ففرحوا بذلك حين سمعوا كلامها الا الوزير دندان فانه ما دخل كلامها في عقله وانما كان يتحدث معها لاجل خاطر الملك وصار باهتا من كلامها ويلوح على وجهه علامة الانكار عليها فقالت العجوز ذات الدواهي اني أخاف أن يقبل البطريق وينظر هذه العساكر في المرج فما يجسر أن يدخل الدير فأمر السلطان العسكر أن يرحلوا صوب القسطنطينية وقال ضوء المكان ان قصدي أن نأخذ معنا مائة فارس وبغالا كثيرة ونتوجه الى ذلك الجبل ونحملها المال الذي في الدير ثم أرسل من وقته وساعته الى الحاجب الكبير فأحضره بين يديه وأحضر المقدمين والاتراك والديلم وقال اذا كان وقت الصباح فارحلوا الى القسطنطينية وأنت أيها الحاجب تكون عوضا عني في الرأي والتدبير وأنت يا رستم تكون نائبا عن أخي في القتال ولا تعلموا أحدا أننا لسنا معكم وبعد ثلاثة أيام نلحقكم ثم انتخب مائة فارس من الابطال وانحاز هو وأخوه شركان والوزير دندان والمائة فارس وأخذوا معهم البغال والصناديق لاجل حمل المال * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السادسة والتسعون﴾

قالت بلغني أيها الملك السعيد ان شركان وأخاه ضوء المكان والوزير دندان سافروا هم والمائة خيال الى الدير الذي وصفته لهم اللعينة ذات الدواهي وأخذوا معهم البغال والصناديق لاجل حمل المال فلما أصبح الصباح نادى الحاجب بين العسكر بالرحيل فرحلوا وهم يظنون أن شركان وضوء المكان والوزير دندان معهم ولم يعلموا أنهم ذهبوا الى الدير هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان من أمر شركان وأخيه ضوء المكان والوزير دندان فانهم أقاموا الى آخر النهار وكانت الكفار أصحاب ذات الدواهي رحلوا خفية بعد أن دخلوا عليها وقبلوا يديها ورجليها واستأذنوها في الرحيل فأذنت لهم وأمرتهم بما شاءت من المكر فلما جن الظلام قالت العجوز لضوء المكان هو وأصحابه قوموا معي الى الجبل وخذوا معكم قليلا من العسكر فأطاعوها وتركوا في سفح الجبل خمسة فوارس بين يدي ذات الدواهي وصار عندها قوة من شدة فرحها وصار ضوء المكان يقول سبحان من قوى هذا الزاهد الذي ما رأينا مثله وكانت الكاهنة قد أرسلت كتابا على أجنحة الطير الى ملك القسطنطينية تخبره فيه بما جرى وقالت في آخر الكتاب أريد أن تنفذ لي عشرة آلاف فارس من شجعان الروم يكون سيرهم في سفح الجبل خفية لئلا يراهم عسكر الاسلام ويأتون الى الدير ويكمنون فيه حتى أحضر اليهم ومعي ملك المسلمين وأخوه فاني خدعتهما وجئت بهما ومعهما الوزير ومائة فارس لا غير وسوف أسلم اليهم الصلبان التي في الدير وقد عزمت على قتل الراهب مطروحنا لان الحيلة لا تتم الا بقتله فاذا تمت الحيلة فلا يصل من المسلمين الى بلادهم لا ديار ولا من ينفخ النار ويكون مطروحنا فداء لاهل الملة النصرانية والعصابة الصليبية والشكر للمسيح أولا وآخرا فلما وصل الكتاب الى القسطنطينية جاء براج الحمام الى الملك أفريدون بالورقة فلما قرأها أنفذ الجيش من وقته وجهز كل واحد بفرس وهجين وبغل وزاد وأمرهم أن يصلوا الى ذلك الدير هذا ما كان من أمر هؤلاء (وأما) ما كان من أمر الملك ضوء المكان وأخيه شركان والوزير دندان والعسكر فانهم لما وصلوا الى الدير دخلوه فرأوا الراهب مطروحنا قد أقبل لينظر حالهم فقال الزاهد اقتلوا هذا اللعين فضربوه بالسيوف وأسقوه كأس الحتوف ثم مضت بهم الملعونة الى موضع النذور فأخرجوا منه التحف والذخائر أكثر مما وصفته لهم وبعد أن جمعوا ذلك وضعوه في الصناديق وحملوه على البغال وأما تماثيل فانها لم تحضر لا هي ولا أبوها خوفا من المسلمين فأقام ضوء المكان في انتظارها ذلك النهار وثاني يوم وثالث يوم فقال شركان والله ان قلبي مشغول بعسكر الاسلام ولا أدري ما حالهم فقال أخوه انا قد أخذنا هذا المال العظيم وما أظن أن تماثيل ولا غيرها يأتي الى هذا الدير بعد

أن تجرى لعسكر الروم ما جرى فينبغى أن نقنع بما يسره الله لنا ونتوجه لعل الله يعيننا على فتح القسطنطينية ثم نزلوا من الجبل فما أمكن ذات الدواهى أن تتعرض لهم خوفا من التفطن لخداعها ثم انهم ساروا الى أن وصلوا الى باب الشعب واذا بالعجوز قد أكمنت لهم عشرة آلاف فارس فلما رأوهم احتاطوا بهم من كل جانب وأسرعوا نحوا الرماح وجردوا عليهم بيض الصفاح ونادى الكفار بكلمة كفرهم وفرقوا سهام شرهم فنظر ضوء المكان وأخوه شركان والوزير دندان الى هذا الجيش فرأوه جيشا عظيما وقالوا من أعلم هذه العساكر بنا فقال شركان يا أخى ما هذا وقت كلام بل هذا وقت الضرب بالسيف والرمى بالسهام فشدوا عزمكم وقووا نفوسكم فان هذا الشعب مثل الدرب له بابان وحق سيد العرب والعجم لولا أن هذا المكان ضيق لكنت أفنيتهم ولو كانوا مائة ألف فارس فقال ضوء المكان لو علمنا ذلك لأخذنا معنا خمسة آلاف فارس فقال الوزير دندان لو كان معنا عشرة آلاف فارس فى هذا المكان الضيق لا تفيد شيأ ولكن الله يعيننا عليهم وأنا أعرف هذا الشعب وضيقه وأعرف أن فيه مفاوز كثيرة لانى قد غزوت فيه مع الملك عمر النعمان حيث حاصرنا القسطنطينية وكنا نقيم فيه وفيه ماء أبرد من الثلج فانهضوا بنا لنخرج من هذا الشعب قبل أن يكثر علينا عساكر الكفار ويسبقونا الى رأس الجبل فيرموا علينا الحجارة ولم نملك فيهم أربا فأخذوا فى الاسراع بالخروج من ذلك الشعب فنظر اليهم الزاهد وقال لهم ما هذا الخوف وأنتم قد بعتم أنفسكم لله تعالى فى سبيله والله انى مكثت مسجونا تحت الارض خمسة عشر عاما ولم أعترض على الله فيما فعل بى فقاتلوا فى سبيل الله فمن قتل منكم فالجنة مأواه ومن قتل فالى الشرف مسعاه فلما سمعوا من الزاهد هذا الكلام زال عنهم الهم والغم وثبتوا حتى هجمت عليهم الكفار من كل مكان ولعبت فى أعناقهم السيوف ودارت بينهم كاس الحتوف وقاتل المسلمون فى طاعة الله أشد القتال وأعملوا فى أعدائه الاسنة والنصال وصار ضوء المكان يضرب الرجال ويجندل الابطال ويرمى رؤسهم خمسة خمسة وعشرة عشرة حتى أفنى منهم عددا لا يحصى وجملا لا تستقصى فبينما هو كذلك اذ نظر الملعونة وهى تشير بالسيف اليهم وتقويهم وكل من خاف يهرب اليها وصارت تومئ اليهم بقتل شركان فيميلون الى قتله فرقة بعد فرقة وكل فرقة حملت عليه يحمل عليها ويهزمها وتأتى بعدها فرقة أخرى حاملة عليه فيردها بالسيف على أعقابها فظن ان نصره عليهم ببركة العابد وقال فى نفسه ان هذا العابد قد نظر الله اليه بعين عنايته وقوى عزمى على الكفار بخالص نيته فاراهم يخافونى ولا يستطيعون الاقدام على بل كلما حملوا على يولون الادبار ويركنون الى الفرار ثم قاتلوا بقية يومهم الى آخر النهار ولما أقبل الليل نزلوا فى مغارة من ذلك الشعب من كثرة ما حصل لهم من الوبال ورمى الحجارة وقتل منهم فى ذلك اليوم خمسة وأربعون رجلا ولما اجتمعوا مع بعضهم فتشوا على ذلك الزاهد فلم يروا له أثرا فعظم عليهم ذلك وقالوا لعله استشهد فقال شركان أنا رأيته يقوى الفرسان بالاشارة الربانية ويعيذهم بالآيات الرحمانية فبينما هم فى الكلام واذا بالملعونة ذات الدواهى وقد أقبلت وفى يدها رأس البطريق الكبير الرئيس على العشرين ألفا وكان جبارا عنيدا وشيطانا مريدا وقد قتله رجل من الاتراك بسهم فعجل الله بروحه الى النار فلما رأى الكفار ما فعل ذلك المسلم بصاحبهم مالوا بكليتهم عليه وأوصلوا الاذية اليه وقطعوه بالسيوف فعجل الله به الى الجنة ثم ان الملعونة قطعت رأس ذلك البطريق وأتت بها وألقتها بين يدى شركان والملك ضوء المكان والوزير دندان فلما رآها شركان وثب قائما على قدميه وقال الحمد لله على رؤيتك أيها العابد المجاهد الزاهد فقال يا ولدى انى قد طلبت الشهادة فى هذا اليوم فصرت أرمى روحى بين عسكر الكفار وهم يهابونى فلما انفصلتم أخذتنى الغيرة عليكم وهجمت على البطريق الكبير رئيسهم وكان يعد بألف فارس فضربته حتى أطحت رأسه عن بدنه ولم يقدر أحد من الكفار أن يدنو منى وأتيت برأسه اليكم

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السابعة والتسعون﴾

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الملعونة ذات الدواهى لما أخذت رأس البطريق رئيس العشرين ألف كافر أتت بها وألقتها بين يدى الملك ضوء المكان وأخيه شركان والوزير دندان وقالت لهم لما رأيت حالكم أخذتنى الغيرة عليكم وهجمت على البطريق الكبير وضربته بالسيف فأطحت رأسه ولم يقدر أحد من الكفار أن يدنو

منى وأتيت برأسه اليكم لتقوى نفوسكم على الجهاد وترضوا بسيوفكم رب العباد وأريد أن أشغلكم فى الجهاد واذهب الى عسكركم ولو كانوا على باب القسطنطينية وآتيكم من عندهم بعشرين ألف فارس يهلكون هؤلاء الكفرة فقال شركان وكيف تمضى اليهم أيها الزاهد والوادى مسدود بالكفار من كل جانب فقالت الملعونة الله يسترنى عن أعينهم فلا يرونى ومن رآنى لا يجسر أن يقبل على فانى فى ذلك الوقت أكون فانيا فى الله وهو يقاتل عنى أعداءه فقال شركان صدقت أيها الزاهد لانى شاهدت ذلك واذا كنت تقدر أن تمضى أول الليل يكون ذلك أجود لنا فقال أنا أمضى فى هذه الساعة وان كنت تريد أن تجىء معى ولا يراك أحد فقم وان كان أخوك يذهب معنا أخذناه دون غيره فان ظل الولى لا يستر غير اثنين فقال شركان أما أنا فلا أترك أصحابى ولكن اذا كان أخى يرضى بذلك فلا بأس حيث ذهب معك وخلاص من هذا الضيق فانه هو حصن المسلمين وسيف رب العالمين وان شاء فليأخذ معه الوزير دندان أو من يختار ثم يرسل الينا عشرة آلاف فارس اعانة على هؤلاء اللئام واتفقوا على هذا الحال ثم ان العجوز قالت أمهلونى حتى أذهب قبلكم وأنظر حال الكفرة هل هم نيام أو يقظانون فقالوا ما نخرج الا معك ونسلم أمرنا لله فقالت اذا طاوعتكم لا تلومونى ولوموا أنفسكم فالرأى عندى أن تمهلونى حتى أكشف خبرهم فقال شركان امض اليهم ولا تبطئ علينا لاننا ننتظرك فعند ذلك خرجت ذات الدواهى وكان شركان حدث أخاه بعد خروجها وقال لولا ان هذا الزاهد صاحب كرامات ما كان قتل هذا البطريق الجبار وفى هذا القدر كفاية فى كرامة هذا الزاهد وقد انكسرت شوكة الكفار بقتل هذا البطريق لانه كان جبارا عنيدا وشيطانا مريدا فبينما هم يتحدثون فى كرامات الزاهد واذا باللعينة ذات الدواهى قد دخلت عليهم ووعدتهم بالنصر على الكفرة فشكروا الزاهد على ذلك ولم يعلموا أن هذا حيلة وخداع ثم قالت اللعينة أين ملك الزمان ضوء المكان فاجابها بالتلبية فقالت له خذ معك وزيرك وسر خلفى حتى نذهب الى القسطنطينية وكانت ذات الدواهى قد أعلمت الكفار بالحيلة التى عملتها ففرحوا بذلك غاية الفرح وقالوا ما يجبر خاطرنا الا قتل ملكهم فى نظير قتل البطريق لانه لم يكن عندنا أفرس منه وقالوا لعجوز النحس ذات الدواهى حين أخبرتهم بانها تذهب اليهم بملك المسلمين اذا أتيت به نأخذه الى الملك أفريدون ثم ان العجوز ذات الدواهى توجهت وتوجه معها ضوء المكان والوزير دندان وهى سابقة عليهما وتقول لهما سيرا على بركة الله تعالى فاجابها الى قولها ونفذ فيهما سهم القضاء والقدر ولم تزل سائرة بهما حتى توسطت بهما بين عسكر الروم ووصلوا الى الشعب المذكور الضيق وعساكر الكفار ينظرون اليهم ولا يتعرضوا لهم بسوء لان الملعونة أوصتهم بذلك فلما نظر ضوء المكان والوزير دندان الى عساكر الكفار وعرفوا أن الكفار عاينوهم ولم يتعرضوا لهم قال الوزير دندان والله ان هذه كرامة من الزاهد ولا شك انه من الخواص فقال ضوء المكان والله ما أظن الكفار الا عميانا لاننا نراهم وهم لا يروننا فبينما هما فى الثناء على الزاهد وتعداد كراماته وزهده وعبادته واذا بالكفار قد هجموا عليهما واحتاطوا بهما وقبضوا عليهما وقالوا هل معكما أحد غيركما فنقبض عليه فقال الوزير دندان أما ترون هذا الرجل الآخر الذى بين أيدينا فقال لهم الكفار وحق المسيح والرهبان والجاثليق والمطران اننا لم نر أحدا غيركما فقال ضوء المكان والله ان الذى حل بنا عقوبة لنا من الله تعالى ❊ وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثامنة والتسعون﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الكفار لما قبضوا على الملك ضوء المكان والوزير دندان قالوا لهما هل معكما غيركم فنقبض عليه فقال الوزير دندان أما ترون هذا الرجل الآخر الذى معنا قالوا وحق المسيح والرهبان والجاثليق والمطران اننا ما نرى أحدا غيركما ثم ان الكفار قد وضعوا القيود فى أرجلهما ووكلوا بهما من يحرسهما فى المبيت فصارا يتأسفان ويقولان لبعضهما ان الاعتراض على الصالحين يؤدى الى أكثر من ذلك وجزاؤنا ما حل بنا من الضيق الذى نحن فيه هذا ما كان من أمر ضوء المكان والوزير دندان

﴿وأما﴾ ما كان من أمر الملك شركان فانه بات تلك الليلة فلما أصبح الصباح قام وصلى صلاة الصبح ثم نهض هو ومن معه من العساكر وتأهبوا الى قتال الكفار وقوى قلوبهم شركان ووعدهم بكل خير ثم ساروا الى أن وصلوا

الى الكفار فلما رآهم الكفار من بعيد قالوا لهم يا مسلمين انا أسرنا سلطانكم و وزيره الذي به انتظام أمركم وان لم ترجعوا عن قتالنا قتلناكم عن آخركم واذا سلمتم لنا أنفسكم فاننا نروح بكم الى ملكنا فيصالحكم على أن لا تخرجوا من بلادنا ولا تذهبوا الى بلادكم ولا تضرونا بشئ ولا نضركم بشئ فان طاب خاطركم كان الحظ لكم وان أبيتم فما يكون الا قتلكم وقد عرفناكم وهذا آخر كلامنا فلما سمع شركان كلامهم وتحقق أسر أخيه والوزير دندان عظم عليه وبكى وضعفت قوته وأيقن بالهلاك فقال في نفسه يا ترى ما سبب أسرهما هل حصل منهما اساءة أدب في حق الزاهد أو اعتراض عليه وما شأنهما ثم نهضوا الى قتال الكفار فقتلوا منهم خلقا كثيرا وتبين في ذلك اليوم الشجاع من الجبان واختضب السيف والسنان وتهافتت عليهم الكفار تهافت الذباب على الشراب من كل مكان ومازال شركان ومن معه يقاتلون قتال من لا يخاف الموت ولا يعتريه في طلب الفرصة فوت حتى سال الوادي بالدماء وامتلأت الارض بالقتلى فلما أقبل الليل تفرقت الجيوش وكل من الفريقين ذهب الى مكانه وعاد المسلمون الى تلك المغارة ولم يبق منهم الى القليل ولم يكن منهم الا على الله والسيف تعويل وقد قتل منهم في هذا النهار خمسة وثلاثون فارسا من الامراء الاعيان وان قتل بسيفهم من الكفار آلاف من الرجال والركبان فلما عاين شركان ذلك ضاق عليه الامر وقال لاصحابه كيف العمل فقال له أصحابه لا يكون الا ما يريده الله تعالى فلما كان ثاني يوم قال شركان لبقية العسكر ان خرجتم للقتال ما بقي منكم أحد لانه لم يبق عندنا الا قليل من الماء والزاد والرأي الذي عندي فيه الرشاد أن تجردوا سيوفكم وتخرجوا وتقفوا على باب تلك المغارة لاجل أن تدفعوا عن أنفسكم كل من يدخل عليكم فلعل الزاهد أن يكون وصل الى عسكر المسلمين و يأتينا بعشرة آلاف فارس فيعينونا على قتال الكفرة لعل الكفار لم ينظروه هو ومن معه فقال له أصحابه ان هذا الرأي هو الصواب وما في سداده ارتياب ثم ان العسكر خرجوا وملكوا باب المغارة ووقفوا في طرفيه وكل من أراد أن يدخل عليهم من الكفار يقتلوه وصاروا يدفعون الكفار عن الباب وصبروا على قتال الكفار الى أن ذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة التاسعة والتسعون﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان عسكر المسلمين ملكوا باب المغارة ووقفوا في طرفيه وصاروا يدفعون الكفار عن الباب وكل من أراد أن يهجم عليهم قتلوه وصبروا على قتال الكفار الى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار ولم يبق عند الملك شركان الا خمسة وعشرون رجلا لا غير فقال الكفار لبعضهم متى تنقضي هذه الايام فاننا قد تعبنا من قتال المسلمين فقال بعضهم قوموا نهجم عليهم فانه لم يبق منهم الا خمسة وعشرون رجلا فان لم نقدر عليهم نضرم عليهم النار فان انقادوا وسلموا أنفسهم الينا أخذناهم أسارى وان أبوا تركناهم حطب النار حتى تصير واعبرة لاولي الابصار فلا رحم المسيح أباهم ولا جعل مستقر النصارى مثواهم ثم انهم حملوا الحطب الى باب المغارة وأضرموا فيه النار فايقن شركان ومن معه بالبوار فبينما هم كذلك واذا بالبطريق الرئيس عليهم التفت الى المشير بقتلهم وقال له لا يكون قتلهم الا عند الملك أفريدون لاجل أن يشفي غليله فينبغي أن نبقيهم عندنا أسارى وفي غد نسافر بهم الى القسطنطينية ونسلمهم الى الملك أفريدون فيفعل بهم ما يريد فقالوا هذا هو الرأي الصواب ثم أمروا بتكتيفهم وجعلوا عليهم حرسا فلما جن الظلام اشتغل الكفار باللهو والطعام ودعوا بالشراب فشربوا حتى انقلب كل منهم على قفاه وكان شركان وأخوه ضوء المكان مقيدين وكذلك من معهم من الابطال فعند ذلك نظر شركان الى أخيه وقال له يا أخي كيف الخلاص فقال ضوء المكان والله لا أدري وقد صرنا كالطير في الاقفاص فاغتاظ شركان وتنهد من شدة غيظه فانقطع الكتاف فلما خلص من الوثاق قام الى رئيس الحراس وأخذ مفاتيح القيود من جيبه وفك ضوء المكان وفك الوزير دندان وفك بقية العسكر ثم التفت الى أخيه ضوء المكان والوزير دندان وقال اني أريد أن أقتل من الحراس ثلاثة ونأخذ ثيابهم ونلبسها نحن الثلاثة حتى نصير في زي الروم ونسير بينهم حتى لا يعرفوا أحدا منا ثم نتوجه الى عسكرنا فقال ضوء المكان ان هذا الرأي غير صواب لاننا اذا قتلناهم نخاف أن يسمع أحد شخيرهم فتنتبه الينا الكفار فيقتلونا والرأي السديد أن نسير الى خارج الشعب فأجابوه الى ذلك

فلما صاروا بعيدا عن الشعب بقليل رأوا خيلا مربوطة وأصحابها نائمون فقال شركان لأخيه ينبغي أن يأخذ كل واحد منا جوادا من هذه الخيول وكانوا خمسة وعشرين رجلا فأخذوا خمسة وعشرين جوادا وقد ألقى الله النوم على الكفار لحكمة يعلمها ثم ان شركان جعل يختلس من الكفار السلاح من السيوف والرماح حتى اكتفى ثم ركبوا الخيل التي أخذوها وساروا وكان في ظن الكفار أنه لا يقدر أحد على فكاك ضوء المكان وأخيه ومن معهما من العساكر وانهم لا يقدرون على الهروب فلما تخلصوا جميعا من الاسر وصاروا في أمن من الكفار التفت اليهم شركان وقال لهم لا تخافوا حيث سترنا الله ولكن عندي رأي ولعله صواب فقالوا وما هو قال أريد أن تطلعوا فوق الجبل وتكبروا كلكم تكبيرة واحدة وتقولوا لقد جاءتكم العساكر الاسلامية ونصيح كلنا صيحة واحدة نقول الله أكبر فيفترق الجمع من ذلك ولا يجدون لهم في هذا الوقت حيلة فانهم سكارى ويظنون أن عسكر المسلمين أحاطوا من كل جانب واختلطوا بهم فيقعون ضربا بالسيف في بعضهم من دهشة السكر والنوم فنقطعهم بسيوفهم ويدور السيف فيهم الى الصباح فقال ضوء المكان ان هذا الرأي غير صواب والصواب ان نسير الى عسكرنا ولا ننطق بكلمة لأننا ان كبرنا تنبهوا لنا ولحقونا فلم يسلم منا أحد فقال شركان والله لو انتبهوا لنا ما علينا باس واشتهي أن توافقوني على هذا الرأي وهو لا يكون الا خيرا فأجابوه الى ذلك وطلعوا فوق الجبل وصاحوا بالتكبير فكبرت معهم الجبال والاشجار والاحجار من خشية الله تعالى فسمع الكفار ذلك التكبير فصاح الكفار

* وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الموفية للمائة) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن شركان قال اشتهي أن توافقوني على هذا الرأي وهو لا يكون الا خيرا فاجابوه الى ذلك وطلعوا فوق الجبل وصاحوا بالتكبير فكبرت معهم الجبال والاشجار والاحجار من خشية الله تعالى فسمعه الكفار فصاح الكفار على بعضهم ولبسوا السلاح وقالوا قد هجمت علينا الاعداء وحق المسيح ثم قتلوا من بعضهم ما لا يعلم عدده الا الله تعالى فلما كان الصباح فتشوا على الاسارى فلم يجدوا لهم أثرا فقال رؤساؤهم ان الذي فعل بكم هذه الفعال هم الاسارى الذين كانوا عندنا فدونكم والسعي خلفهم حتى تلحقوهم فتسقوهم كاس الوبال ولا يحصل لكم خوف ولا انذهال ثم انهم ركبوا خيولهم وسعوا خلفهم فما كان الا لحظة حتى لحقوهم وأحاطوا بهم فلما رأى ضوء المكان ذلك ازداد به الفزع وقال لأخيه ان الذي خفت من حصوله قد حصل وما بقي لنا حيلة الا الجهاد فلزم شركان السكوت عن المقال ثم انحدر ضوء المكان من أعلى الجبل وكبر وكبرت معه الرجال وعولوا على الجهاد وبيع أنفسهم في طاعة رب العباد فبينما هم كذلك واذا باصوات يصيحون بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير فالتفتوا الى جهة الصوت فرأوا جيوش المسلمين وعساكر الموحدين مقبلين فلما رأوهم قويت قلوبهم وحمل شركان على الكافرين وهلل وكبر هو ومن معه من الموحدين فارتجت الارض كالزلازل وتفرقت عساكر الكفار في عرض الجبال فتبعتهم المسلمون بالضرب والطعان وأراحوا منهم الرؤس عن الابدان ولم يزل ضوء المكان هو ومن معه من المسلمين يضربون في أعناق الكافرين الى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار ثم انحاز المسلمون الى بعضهم وباتوا مستبشرين طول ليلهم فلما أصبح الصباح وأشرق بنوره ولاح رأوا بهرام مقدم الديلم ورستم مقدم الاتراك ومعهما عشرين ألف فارس مقبلين عليهم كالليوث العوابس فلما رأوا ضوء المكان ترجل الفرسان وسلموا عليه وقبلوا الارض بين يديه فقال لهم ضوء المكان أبشروا بنصر المسلمين وهلاك الكافرين ثم هنوا بعضهم بالسلامة وعظيم الاجر في القيامة وكان السبب في مجيئهم الى هذا المكان ان الامير بهرام والامير رستم والحاجب الكبير لما ساروا بجيوش المسلمين والرايات على رؤسهم منشورة حتى وصلوا الى القسطنطينية رأوا الكفار قد طلعوا على الاسوار وملكوا الابراج والقلاع واستعدوا في كل حصن مناع حين علموا بقدوم العساكر الاسلامية والاعلام المحمدية وقد سمعوا قعقعة السلاح وضجة الصياح ونظروا فرأوا المسلمين وسمعوا حوافر خيولهم من تحت الغبار فاذا هم كالجراد المنتشر والسحاب المنهمر وسمعوا أصوات المسلمين بتلاوة القرآن وتسبيح الرحمن وكان السبب في اعلام الكفار بذلك ما دبرته العجوز ذات الدواهي من زورها وعهرها وبهتانها ومكرها حتى قربت العساكر كالبحر الزاخر من كثرة

الرجال والفرسان والنساء والصبيان فقال أمير الترك لامير الديلم يا أميرانا بقينا على خطر الاعداء الذين فوق الاسوار فانظر الى تلك الابراج والى هذا العالم الذى كالبحر العجاج المتلاطم بالامواج ان هؤلاء الكفار قدرنا مائة مرة ولا نأمن من جاسوس شر فيخبرهم أننا على خطر من الاعداء الذين لا يحصى عددهم ولا ينقطع مددهم خصوصا مع غيبة الملك ضوء المكان وأخيه والوزير الاجل دندان فعند ذلك يطمعون فينا لغيبتهم عنا فيمحقوننا بالسيف عن آخرنا ولا ينجو منا ناج ومن الرأى أن تأخذ عشرة آلاف فارس من المواصلة والاتراك وتذهب بهم الى دير مطروحنا ومرج ملوخنا فى طلب اخواننا وأصحابنا فان أطعتمونى كنتم سببا فى الفرج عنهم ان كان الكفار قد ضيقوا عليهم وان لم تطيعونى فلا لوم على واذا توجهتم ينبغى أن ترجعوا الينا مسرعين فان من الحزم سوء الظن فعندها قبل الامير المذكور كلامه وانتخب عشرين ألف فارس وساروا يقطعون الطرقات طالبين المرج المذكور والدير المشهور هذا ما كان من أمر سبب مجيئهم (وأما) ما كان من أمر العجوز ذات الدواهى فانها لما أوقعت السلطان ضوء المكان وأخاه شركان والوزير دندان فى أيدى الكفار أخذت تلك العاهرة جوادا وركبته وقالت للكفار انى أريد أن الحق عسكر المسلمين وأتحيل على هلاكهم لانهم فى القسطنطينية فاعلمهم ان أصحابهم هلكوا فاذا سمعوا ذلك منى تشتت شملهم وانصرم حبلهم وتفرق جمعهم ثم أدخل أنا الى الملك أفريدون ملك القسطنطينية وولدى الملك حردوب ملك الروم وأخبرهما بهذا الخبر فيخرجان بعساكرهما الى المسلمين ويهلكونهم ولا يتركون أحدا منهم ثم انها سارت تقطع الارض على ذلك الجواد طول الليل فلما أصبح الصباح لاح لها عسكر بهرام ورستم فدخلت بعض الغابات وأخفت جوادها هنالك ثم خرجت ومشت قليلا وهى تقول فى نفسها لعل عساكر المسلمين قد رجعوا منهزمين من حرب القسطنطينية فلما قربت منهم نظرت اليهم وتحققت أعلامهم فرأتها غير منكسة فعلمت انهم أتوا غير منهزمين ولا خائفين على ملكهم وأصحابهم فلما عاينت ذلك أسرعت نحوهم بالجرى الشديد مثل الشيطان المريد الى ان وصلت اليهم وقالت لهم العجل العجل يا جند الرحمن الى جهاد حزب الشيطان فلما رآها بهرام أقبل عليها وترجل وقبل الارض بين يديها وقال لها يا ولى الله ما وراءك فقالت لا تسأل عن سوء الحال وشديد الاهوال فان أصحابنا لما أخذوا المال من دير مطروحنا أرادوا أن يتوجهوا الى القسطنطينية فعند ذلك خرج عليهم عسكر جرار ذو باس من الكفار ثم ان الملعونة أعادت عليهم الحديث ارجافا ووجلا وقالت ان أكثرهم هلك ولم يبق منهم الا خمسة وعشرون رجلا فقال بهرام أيها الزاهد متى فارقتهم فقال فى ليلتى هذه فقال بهرام سبحان الذى طوى لك الارض البعيدة وأنت ماشى على قدميك متكئا على جريدة لكنك من الاولياء الطيارة الملهمين وحى الاشارة ثم ركب على ظهر جواده وهو مدهوش وحيران مما سمعه من ذات الافك والبهتان وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم لقد ضاع تعبنا وضاقت صدورنا وأسر سلطاننا ومن معه ثم جعلوا يقطعون الارض طولا وعرضا ليلا ونهارا فلما كان وقت السحر أقبلوا على رأس الشعب فرأوا ضوء المكان وأخاه شركان يناديان بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير فحمل هو وأصحابه وأحاطوا بالكفار احاطة السيل بالقفار وصاحوا عليهم صياحا ضجت منه الابطال وتصدعت به الجبال فلما أصبح الصباح وأشرق بنوره ولاح فاح لهم من ضوء المكان طيبه ونشره وتعارفوا ببعضهم كما تقدم ذكره فقبلوا الارض بين يدى ضوء المكان وأخيه شركان وأخبرهم بما جرى لهم فى المغارة فتعجبوا من ذلك ثم قالوا لبعضهم أسرعوا بنا الى القسطنطينية لاننا تركنا أصحابنا هنالك وقلوبنا عندهم فعند ذلك أسرعوا فى المسير وتوكلوا على اللطيف الخبير وكان ضوء المكان يقوى المسلمين على الثبات وينشد هذه الابيات

لك الحمد يا مستوجب الحمد والشكر * فما زلت لى بالعون يارب فى أمرى * ربيت غريبا فى البلاد وكنت لى كفيلا وقد قدرت يا ربنا نصرى * وأعطيتنى مالا وملكا ونعمة * وقلدتنى سيف الشجاعة والنصر وخولتنى ظل المليك معمرا * وقد جدت لى من فيض جودك بالغمر * وسلمتنى من كل خطب حذرته بمشورة الصدر الوزير فتى الدهر * بفضلك قد صلنا على الروم صولة * وقد رجعوا بالضرب فى حال

وأظهرت انى قد هزمت هزيمة * وعدت عليهم عودة الضيغم الغمر * تركتهم فى القاع صرعى كأنهم
نشاوى بكاس الموت لا قهوة الخمر * وصارت بأيدينا المراكب كلها * وصار لنا السلطان فى البر والبحر
وجاء الينا الزاهد العابد الذى * كرامته شاعت لذى البدو والحضر * أتينا لاخذ الثار من كل كافر
وقد شاع عند الناس ما كان من أمرى * وقد قتلوا منا رجالا فأصبحوا * لهم غرف فى الخلد تعلو على نهر
فلما فرغ ضوء المكان من شعره هنأه أخوه شركان بالسلامة وشكره على أفعاله ثم انهم توجهوا مجدين المسير
* وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح *(فلما كانت الليلة الحادية بعد المائة)*

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان شركان هنأ أخاه ضوء المكان بالسلامه وشكره على أفعاله ثم انهم توجهوا مجدين المسير طالبين عساكرهم * هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان من أمر العجوز ذات الدواهى فانها لما لاقت عسكر بهرام ورستم عادت الى الغابة وأخذت جوادها وركبته وأسرعت فى سيرها حتى أشرفت على عسكر المسلمين والمحاصرين للقسطنطينية ثم انها نزلت وأخذت جوادها وأتت به الى السرادق الذى فيه الحاجب فلما رآها نهض لها قائما وأشار اليها بالايماء وقال مرحبا بالعابد الزاهد ثم سألها عما جرى فأخبرته بخبرها المرجف وبهتانها المتلف وقالت انى أخاف على الامير رستم والامير بهرام لانى قد لاقيتهما مع عسكرهما فى الطريق وأرسلتهما الى الملك ومن معه وكانا فى عشرين ألف فارس والكفار أكثر منهم وانى أردت فى هذه الساعة أن ترسل جملة من عسكرك حتى يلحقوهم بسرعة لئلا يهلكوا عن آخرهم وقالت لهم العجل العجل فلما سمع الحاجب والمسلمون منها ذلك الكلام انحلت عزائمهم وبكوا فقالت لهم ذات الدواهى استعينوا بالله واصبروا على هذه الرزية فلكم أسوة بمن سلف من الامة المحمدية فالجنة ذات القصور أعدها الله لمن يموت شهيدا ولابد من الموت لكل أحد ولكنه فى الجهاد أحمد فلما سمع الحاجب كلام اللعينة ذات الدواهى دعا بأخى الامير بهرام وكان فارسا يقال له تركاش وانتخب له عشرة آلاف فارس أبطال عوابس وأمره بالسير فسار فى ذلك اليوم وطول الليل حتى قرب من المسلمين فلما أصبح الصباح رأى شركان ذلك الغبار فخاف على المسلمين وقال ان هذه عساكر مقبلة علينا فاما أن يكونوا من عسكر المسلمين فهذا هو النصر المبين واما أن يكونوا من عسكر الكفار فلا اعتراض على الاقدار ثم انه أتى الى أخيه ضوء المكان وقال له لا تخف أبدا فانى أفديك بروحى من الردى فان كان هؤلاء من عسكر الاسلام فهذا مزيد الانعام وان كان هؤلاء أعداءنا فلا بد من قتالهم لكن أشتهى أن أقابل العابد قبل موتى لاسأله أن يدعو لى أن لا أموت الا شهيدا فبينما هم كذلك واذا بالرايات قد لاحت مكتوبا عليها لا اله الا الله محمد رسول الله فصاح شركان كيف حال المسلمين قالوا بعافية وسلامة وما أتينا الا خوفا عليكم ثم ترجل رئيس العسكر عن جواده وقبل الارض بين يديه وقال يا مولانا كيف السلطان والوزير دندان ورستم وأخى بهرام أماهم الجميع سالمون فقال بخير ثم قال له ومن الذى أخبركم بخبرنا قال الزاهد وقد ذكر انه لقى أخى بهرام ورستم وأرسلهما اليكم وقال لنا ان الكفار قد أحاطوا بهم وهم كثيرون وما أرى الامر الا بخلاف ذلك وأنتم منصورون فقال لهم وكيف وصول الزاهد اليكم فقالوا له كان سائرا على قدميه وقطع فى يوم وليلة مسيرة عشرة أيام للفارس المجد فقال شركان لا شك أنه ولى الله وأين هو قالوا له تركناه عند عسكرنا أهل الايمان يحرضهم على قتال أهل الكفر والطغيان ففرح شركان بذلك وحمدوا الله على سلامتهم وسلامة الزاهد وترحموا على من قتل منهم وقالوا كان ذلك فى الكتاب مسطورا ثم ساروا مجدين فى سيرهم فبينما هم كذلك واذا بغبار قد ثار حتى سد الاقطار وأظلم منه النهار فنظر اليه شركان وقال انى أخاف أن يكون الكفار قد كسروا عسكر الاسلام لان هذا الغبار سد المشرقين وملأ الخافقين ثم لاح من تحت ذلك الغبار عمود من الظلام أشد سوادا من حالك الايام ومازالت تقرب منهم تلك الدعامه وهى أشد من هول يوم القيامة فتسارعت اليها الخيل والرجال لينظروا ما سبب سوء هذا الحال فرأوه الزاهد المشار اليه فازدحموا على تقبيل يديه وهو ينادى يا أمة خير الانام ومصباح الظلام ان الكفار غدروا بالمسلمين فأدركوا عساكر الموحدين وانقذوهم من أيدى الكفرة اللئام فانهم هجموا عليهم فى الخيام ونزل بهم العذاب المهين وكانوا فى مكانهم آمنين فلما سمع شركان ذلك الكلام طار قلبه

من شدة الخفقان وترجل عن جواده وهو حيران ثم قبل يد الزاهد ورجليه وكذلك أخوه ضوء المكان وبقية العسكر من الرجال والركبان الا الوزير دندان فانه لم يترجل عن جواده وقال والله ان قلبي نافر من هذا الزاهد لاني ماعرفت للمتنطعين في الدين غير المفاسد فاتركوه وأدركوا أصحابكم المسلمين فان هذا من المطرودين عن باب رحمة رب العالمين فكم غزوت مع الملك عمر النعمان ودست أراضي هذا المكان فقال له شركان دع هذا الظن الفاسد أما نظرت الى هذا العابد وهو يحرض المؤمنين على القتال ولا يبالي بالسيوف والنبال فلا تغتبه لان الغيبة مذمومة ولحوم الصالحين مسمومة وانظر الى تحريضه لنا على قتال أعدائنا ولولا ان الله تعالى يحبه ما طوى له البعيد بعد أن أوقعه سابقا في العذاب الشديد ثم ان شركان أمر أن يقدموا بغلة نوبية الى الزاهد ليركبها وقال له اركب أيها الزاهد الناسك العابد فلم يقبل ذلك وامتنع من الركوب وأظهر الزهد لينال المطلوب وما درو ان هذا الزاهد العاهر هو الذي قال في مثله الشاعر

صلى وصام لامر كان يطلبه * لما قضى الامر لا صلى ولا صاما

ثم ان ذلك الزاهد ما زال ماشيا بين الخيل والرجال كأنه الثعلب المحتال للاغتيال وسار رافعا صوته بتلاوة القرآن وتسبيح الرحمن وما زالوا سائرين حتى أشرفوا على عسكر الاسلام فوجدهم شركان في حالة الانكسار والحاجب قد أشرف على الهزيمة والفرار والسيف يعمل بين الابرار والفجار * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح ﴿فلما كانت الليلة الثانية بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن شركان لما أدرك المسلمين وهم في حالة الانكسار والحاجب قد أشرف على الهزيمة والفرار والسيف يعمل بين الابرار والفجار وكان السبب في خذل المسلمين أن اللعينة ذات الدواهي عدوة الدين لما رأت بهرام ورستم قد سارا بعسكرهما نحو شركان وأخيه ضوء المكان سارت هي نحو عسكر المسلمين وأنفذت الامير تركاش كما تقدم ذكره وقصدها بذلك أن تفرق بين عسكر المسلمين لاجل أن يضعفوا ثم تركتهم وقصدت القسطنطينية ونادت بطارقة الروم بأعلى صوتها وقالت أدلوا حبلا لاربط فيه هذا الكتاب وأوصلوه الى ملككم أفريدون ليقرأه هو وولده ملك الروم ويعملان بما فيه من أوامره ونواهيه فأدلوا الحبل لها فربطت فيه الكتاب وكان مضمونه من عند الداهية العظمى والطامة الكبرى ذات الدواهي الى الملك أفريدون أما بعد فاني دبرت لكم حيلة على هلاك المسلمين فكونوا مطمئنين وقد أسرتهم وأسرت سلطانهم ووزيرهم ثم توجهت الى عسكرهم وأخبرتهم بذلك فانكسرت شوكتهم وضعفت قوتهم وقد خدعت العسكر المحاصرين للقسطنطينية حتى أرسلت منهم اثني عشر ألف فارس مع الامير تركاش خلاف المأسورين وما بقي منهم الا القليل فالمراد منكم انكم تخرجون اليهم بجميع عسكركم في بقية هذا النهار وتهجمون عليهم في خيامهم ولكنكم لا تخرجون الا سواء واقتلوهم عن آخرهم فان المسيح قد نظر اليكم والعذراء تعطفت عليكم وأرجو من المسيح أن لا ينسى فعلي الذي قد فعلته فلما وصل كتابها الى الملك أفريدون فرح فرحا شديدا وأرسل في الحال الى ملك الروم ابن ذات الدواهي وأحضره وقرأ الكتاب عليه ففرح وقال أنظر مكر أمي فانه يغني عن السيوف وطلعتها تنوب عن هول اليوم المخوف فقال الملك أفريدون لا أعدم المسيح طلعة أمك ولا أخلاك من مكرك ولؤمك ثم انه أمر البطارقة أن ينادوا بالرحيل الى خارج المدينة وشاع الخبر في القسطنطينية وخرجت عساكر النصرانية والعصابة الصليبية وجردوا السيوف الحداد وأعلنوا بكلمة الكفر والالحاد وكفروا برب العباد فلما نظر الحاجب الى ذلك قال ان الروم قد وصلوا الينا وقد علموا أن سلطاننا غائب فربما هجموا علينا وأكثر عسكرنا قد توجه الى الملك ضوء المكان واغتاظ الحاجب ونادى يا عسكر المسلمين وحماة الدين المتين ان هربتم هلكتم وان صبرتم نصرتم فاعلموا ان الشجاعة صبر ساعة وما ضاق أمر الا أوجد الله اتساعه بارك الله فيكم ونظر اليكم بعين الرحمة فعند ذلك كبر المسلمون وصاحت الموحدون ودارت رحى الحرب بالطعن والضرب واعملت الصوارم كالرماح وملأ الدم الاودية والبطاح وقسست القسوس والرهبان وشدوا الزنانير ورفعوا الصلبان وأعلن المسلمون بالتكبير للملك الديان وصاحوا بتلاوة القرآن واصطدم حزب الرحمن بحزب الشيطان وطارت الرؤس عن الابدان

وطافت الاشكة الاخيار على أمة النبي المختار ولم يزل السيف يعمل الى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وقد أحاطت الكفار بالمسلمين وحسبوا أن ينجوا من العذاب المهين وطمع المشركون فى أهل الايمان الى أن طلع الفجر وبان فركب الحاجب هو وعسكره ورجا أن الله ينصره واختلطت الامم بالامم وقامت الحرب على قدم وطارت القمم وثبت الشجاع وتقدم وولى الجبان وانهزم وقضى قاضى الموت وحكم حتى تطاوحت الابطال عن السروج وامتلأت بالاموات المروج وتأخرت المسلمون عن أماكنها وملكت الروم بعض خيامها ومساكنها وعزم المسلمون على الانكسار والهزيمة والفرار فبينماهم كذلك واذا بقدوم شركان بعساكر المسلمين ورايات الموحدين فلما أقبل عليهم شركان حمل على الكفار وتبعه ضوء المكان وحمل بعدهما الوزير دندان وكذلك أمير الديلم بهرام ورستم وأخوه تركاش فانهم لما رأوا ذلك طارت عقولهم وغاب معقولهم وثار الغبار حتى ملأ الاقطار واجتمعت المسلمون الاخيار بأصحابهم الابرار واجتمع شركان بالحاجب فشكره على صبره وهنأه بتأييده ونصره وفرحت المسلمون وقويت قلوبهم وحملوا على أعدائهم وأخلصوا لله فى جهادهم فلما نظر الكفار الى الرايات المحمدية وعليها كلمة الاخلاص الاسلامية صاحوا بالويل والثبور واستغاثوا ببطارقة الديور ونادوا يحنا ومريم والصليب المعظم وانقبضت أيديهم عن القتال وقد أقبل الملك أفريدون على ملك الروم وصار أحدهما فى الميمنة والآخر فى الميسرة وعندهم فارس مشهور يسمى لاويا فوقف وسطا واصطفوا للنزال وان كانوا فى فزع وزلزال ثم صفت المسلمون عساكرهم فعند ذلك أقبل شركان على أخيه ضوء المكان وقال له يا ملك الزمان لا شك أنهم يريدون البراز وهذا غاية مرادنا ولكن أحب أن أقدم من العسكر من له عزم ثابت فان التدبير نصف المعيشة فقال السلطان ماذا تريد ياصاحب الرأى السديد فقال شركان أريد أن أكون فى قلب عسكر الكفار وأن يكون الوزير دندان فى الميسرة وأنت فى الميمنة والامير بهرام فى الجناح الايمن والامير رستم فى الجناح الايسر وأنت أيها الملك العظيم تكون تحت الاعلام والرايات لانك عمادنا وعليك بعد الله اعتمادنا ونحن كلنا نفديك من كل أمر يؤذيك فشكره ضوء المكان على ذلك وارتفع الصياح وجردت الصفاح فبينماهم كذلك واذا بفارس قد ظهر من عسكر الروم فلما قرب رأوه راكبا على بغلة قطوف تفر بصاحبها من وقع السيوف وبرذعتها من أبيض الحرير وعليها سجادة من شغل كشمير وعلى ظهرها شيخ مليح الشيبة ظاهر الهيبة عليه مدرعة من الصوف الابيض ولم يزل يسرع بها وينهض حتى قرب من عسكر المسلمين وقال انى رسول اليكم أجمعين وما على الرسول الا البلاغ فاعطونى الامان والاقالة حتى أبلغكم الرسالة فقال له شركان لك الامان فلا تخش حرب سيف ولا طعن سنان فعند ذلك ترجل الشيخ وقلع الصليب من عنقه بين يدى السلطان وخضع له خضوع راجى الاحسان فقال له المسلمون ما معك من الاخبار فقال انى رسول من عند الملك أفريدون فانى نصحته ليمتنع عن تلف هذه الصور الانسانية والهياكل الرحمانية وبينت له ان الصواب حقن الدماء والاقتصار على فارسين فى الهيجاء فاجابنى الى ذلك وهو يقول لكم انى فديت عسكرى بروحى فليفعل ملك المسلمين مثلى ويفدى عسكره بروحه فان قتلنى فلا يبقى لعسكر الكفار ثبات وان قتلته فلا يبقى لعسكر الاسلام ثبات فلما سمع شركان هذا الكلام قال يا راهب انا أجبناه الى ذلك فان هذا هو الانصاف فلا يكون منه خلاف وها أنا أبرز اليه وأحمل عليه فانى فارس المسلمين وهو فارس الكافرين فان قتلنى فاز بالظفر ولا يبقى لعسكر المسلمين غير المفر فارجع اليه أيها الراهب وقل له ان البراز يكون فى غد لاننا أتينا من سفرنا على تعب فى هذا اليوم وبعد الراحة لا عتب ولا لوم فرجع الراهب وهو مسرور حتى وصل الى الملك أفريدون وملك الروم وأخبرهما بذلك ففرح الملك أفريدون غاية الفرح وزال عنه الهم والترح وقال فى نفسه لا شك ان شركان هذا هو أضربهم بالسيف وأطعنهم بالسنان فاذا قتلته انكسرت همتهم وضعفت قوتهم وقد كانت ذات الدواهى كاتبت الملك أفريدون بذلك وقالت له ان شركان هو فارس الشجعان وشجاع الفرسان وحذرت أفريدون من شركان وكان أفريدون فارسا عظيما لانه كان يقاتل بأنواع القتال ويرمى بالحجارة والنبال ويضرب بالعمود

الحديد ولا يخشى من البأس الشديد فلما سمع قول الراهب من أن شركان أجاب الى البراز كاد أن يطير من شدة
الفرح لانه واثق بنفسه ويعلم أنه لا طاقة لأحد به ثم بات الكفار تلك الليلة في فرح وسرور وشرب خمور فلما كان
الصباح أقبلت الفوارس بسمر الرماح وبيض الصفاح واذا هم بفارس قد برز في الميدان وهو راكب على جواد
من الخيل الجياد معد للحرب والجلاد وله قوائم شداد وعلى ذلك الفارس درع من الحديد معد للبأس الشديد
وفي صدره مرآة من الجوهر وفي يده صارم أبتر وقنطارية خلنج من غريب عمل الافرنج ثم ان الفارس
كشف عن وجهه وقال من عرفني فقد اكتفاني ومن لم يعرفني فسوف يراني أنا أفريدون المغمور ببركة شواهي
ذات الدواهي فما تم كلامه حتى خرج في وجهه فارس المسلمين شركان وهو راكب على جواد أشقر يساوي ألفا
من الذهب الاحمر وعليه عدة مزركشة بالدر والجوهر وهو متقلد بسيف مهندي بجوهر يقد الرقاب ويهون الامور
الصعاب ثم ساق جواده بين الصفين والفرسان تنظره بالعين ثم نادى أفريدون وقال له ويلك يا ملعون أتظنني
كمن لاقيت من الفرسان ولا يثبت معك في حومة الميدان ثم حمل كل منهما على صاحبه فصار الاثنان كأنهما جبلان
يصطدمان أو بحران يلتطمان ثم تقاربا وتباعدا والتصقا وافترقا ولم يزالا في كر وفر وهزل وجد وضرب وطعن
والجيشان ينظران اليهما وبعضهم يقول ان شركان غالب والبعض يقول ان أفريدون غالب ولم يزل الفارسان على
هذا الحال حتى بطل القيل والقال وعلا الغبار وولى النهار ومالت الشمس الى الاصفرار وصاح الملك أفريدون
على شركان وقال وحق دين المسيح والاعتقاد الصحيح ما أنت الا فارس كرار وبطل مغوار غير انك غدار وطبعك
ما هو طبع الاخيار لاني أرى فعالك غير حميدة وقتالك قتال الصناديد وقومك ينسبونك الى العبيد وها هم أخرجوا
لك غير جوادك وتعود الى القتال واني وحق ديني قد أعياني قتالك وأتعبني ضربك وطعانك فان كنت تريد قتالي
في هذه الليلة فلا تغير شيأ من عدتك ولا جوادك حتى يظهر للفرسان كرمك وقتالك فلما سمع شركان هذا الكلام
اغتاظ من قول أصحابه في حقه حيث ينسبونه الى العبيد فالتفت اليهم شركان وأراد أن يشير اليهم ويأمرهم أن
لا يغيروا له جوادا ولا عدة واذا بأفريدون هز حربته وأرسلها الى شركان فالتفت وراءه فلم يجد أحدا فعلم أنها حيلة
من الملعون فرد وجهه بسرعة واذا بالحربة قد أدركته فمال عنها حتى ساوى برأسه قربوس سرجه فنفذت الحربة
على صدره وكان شركان عالي الصدر فكشطت الحربة جلدة صدره فصاح صيحة واحدة وغاب عن الدنيا ففرح
الملعون أفريدون بذلك وعرف أنه قد قتل فصاح على الكفار ونادى بالفرح فهاجت أهل الطغيان وبكت أهل
الايمان فلما رأى ضوء المكان أخاه مائلا على الجواد حتى كاد أن يقع أرسل نحوه الفرسان فتسابقت اليه الابطال
وأتوا به اليه وحملت الكفار على المسلمين والتقى الجيشان واختلط الصفان وعمل اليماني وكان أسبق الناس الى
شركان الوزير دندان * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الثالثة بعد المائة) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك ضوء المكان لما رأى اللعين
قد ضرب أخاه شركان بالحربة ظن أنه مات فأرسل اليه الفرسان وكان أسبق الناس اليه الوزير دندان وأمير
الترك بهرام وأمير الديلم فلحقوه وقد مال عن جواده فأسندوه ورجعوا به الى أخيه ضوء المكان ثم أوصوا به
الغلمان وعادوا الى الحرب والطعان واشتد النزال وتقصفت النصال وبطل القيل والقال فلا يرى الا دم سائل
وعنق مائل ولم يزل السيف يعمل في الاعناق واشتد الشقاق الى أن ذهب أكثر الليل وكلت الطائفتان عن
القتال فنادوا بالانفصال ورجعت كل طائفة الى خيامها وتوجه جميع الكفار الى ملكهم أفريدون وقبلوا
الارض بين يديه وهنأه القسوس والرهبان بظفره بشركان ثم ان الملك أفريدون دخل القسطنطينية وجلس
على كرسي مملكته وأقبل عليه ملك الروم وقال له قوى المسيح ساعدك ولا زال مساعدك واستجاب من الام
الصالحة ذات الدواهي ما تدعو به لك واعلم أن المسلمين ما بقي لهم اقامة بعد شركان فقال أفريدون في غد يكون
الانفصال اذا خرجت الى النزال وطلبت ضوء المكان وقتلته فان عسكرهم يولون الادبار ويركنون الى الفرار
هذا ما كان من أمر الكفار (وأما) ما كان من أمر عساكر الاسلام فان ضوء المكان لما رجع الى الخيام لم

يكن له شغل الا باخيه فلما دخل عليه وجده في أسوأ الاحوال وأشد الاهوال فدعا بالوزير دندان ورستم وبهرام للمشورة فلما دخلوا عليه اقتضى رأيهم احضار الحكماء لعلاج شركان ثم بكوا وقالوا لم يسمح بمثله الزمان وسهروا عنده تلك الليلة وفي آخر الليل أقبل عليهم الزاهد وهو يبكي فلما رآه ضوء المكان قام اليه فلمس بيده على أخيه وتلا شيأ من القرآن وعوذه بآيات الرحمن ومازال سهران عنده الى الصباح فعند ذلك استفاق شركان وفتح عينيه وأدار لسانه في فمه وتكلم ففرح السلطان ضوء المكان وقال قد حصلت له بركة الزاهد فقال شركان الحمد لله على العافية فانني بخير في هذه الساعة وقد عمل علي هذا الملعون حيلة ولولا أني زغت أسرع من البرق لكانت الحربة نفذت من صدري فالحمد لله الذي نجاني وكيف حال المسلمين فقال له ضوء المكان هم في بكاء من أجلك فقال اني بخير وعافية وأين الزاهد وهو عند رأسه قاعد فقال له عند رأسك فالتفت اليه وقبل يديه فقال الزاهد يا ولدي عليك بجميل الصبر يعظم الله لك الاجر فان الاجر على قدر المشقة فقال شركان ادع لي فدعا له فلما أصبح الصباح وبان الفجر ولاح برزت المسلمون الى ميدان الحرب وتهيأ الكفار للطعن والضرب وتقدمت عساكر المسلمين فطلبوا الحرب والكفاح وجردوا السلاح وأراد الملك ضوء المكان وأفريدون أن يحملا على بعضهما واذا بضوء المكان خرج الى الميدان وخرج معه الوزير دندان والحاجب وبهرام وقال لضوء المكان نحن فداك فقال لهم وحق البيت الحرام وزمزم والمقام لا أقعد عن الخروج الى هؤلاء العلوج فلما صار في الميدان لعب بالسيف والسنان حتى أذهل الفرسان وتعجب الفريقان وحمل في الميمنة فقتل منها بطريقين وفي الميسرة فقتل منها بطريقين ونادى في وسط الميدان أين أفريدون حتى أذيقه عذاب الهون فاراد الملعون أن يولي وهو مغبون فأقسم عليه ضوء المكان أن لا يبرح من الميدان وقال له يا ملك بالامس كان قتال أخي واليوم قتالي وأنا بشجاعتك لا أبالي ثم خرج وفي يده صارم وتحته حصان كأنه عنتر في حومة الميدان وذلك الحصان أدهم مغاير كما قال فيه الشاعر

قد سابق الطرف بطرف سابق * كأنه يريد ادراك القدر

دهمته تبدي سوادا حالكا * كأنها الليل اذا الليل عكر

صهيله يزعج من يسمعه * كأنه الرعد اذا الرعد زجر

لو سابق الريح جرى من قبلها * والبرق لا يسبقه اذا ظهر

ثم حمل كل منهما على صاحبه واحترز من مضاربه وأظهر ما في بطنه من عجائبه وأخذ في الكر والفر حتى ضاقت الصدور وقل الصبر للمقدور وصاح ضوء المكان وهجم على ملك القسطنطينية أفريدون وضربه ضربة أطاح بها رأسه وقطع أنفاسه فلما نظرت الكفار الى ذلك حملوا جميعا عليه وتوجهوا بكليتهم اليه فقابلهم في حومة الميدان واستمر الضرب والطعان حتى سال الدم بالجريان وضج المسلمون بالتكبير والتهليل والصلاة على البشير النذير وقاتلوا قتالا شديدا وأنزل الله النصر على المؤمنين والخزي على الكافرين وصاح الوزير دندان خذوا بثار الملك عمر النعمان وثار ولده شركان وكشف رأسه وصاح بالاتراك وكان بجانبه أكثر من عشرين ألف فارس فحملوا معه حملة واحدة فلم يجد الكفار لانفسهم غير الفرار وتولي الادبار وعمل فيهم الصارم البتار فقتل منهم نحو خمسين ألف فارس وأسروا ما يزيد على ذلك وقتل عند دخول الباب خلق كثير من شدة الزحام ثم أغلقوا الباب وطلعوا فوق الاسوار خوفا من العذاب وعادت طوائف المسلمين مؤيدين منصورين وأتوا خيامهم ودخل ضوء المكان على أخيه فوجده في أسر الاحوال فسجد شكرا للكريم المتعال ثم أقبل عليه وهنأه بالسلامة فقال له شركان اننا كلنا في بركة هذا الزاهد الاواب وما انتصرتم الا بدعائه المستجاب فانه لم يزل اليوم قاعدا يدعو للمسلمين بالنصر * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الرابعة بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك ضوء المكان لما دخل على أخيه شركان وجده جالسا والعابد عنده ففرح وأقبل عليه وهنأه بالسلامة فقال شركان اننا كلنا في بركة هذا الزاهد وما انتصرتم الا بدعائه لكم فانه ما برح اليوم يدعو للمسلمين وكنت وجدت في نفسي قوة حين سمعت تكبيركم فعلمت أنكم منصورون على أعدائكم فاحك لي يا أخي ما وقع لك فحكى له جميع ما وقع له مع الملعون أفريدون وأخبره أنه قتله وراح الى لعنة الله فأثنى عليه وشكر مسعاه فلما سمعت ذات الدواهي وهي في صفة الزاهد بقتل

ولدها افريدون انقلب لونها بالاصفرار وتشرعرت عيناها بالدموع الغزار ولكنها أخفت ذلك وأظهرت للمسلمين أنها فرحت وانها تبكى من شدة الفرح ثم انها قالت فى نفسها وحق المسيح ما بقى فى حياتى فائدة ان لم أحرق قلبه على أخيه شركان كما أحرق قلبى على عماد الملة النصرانية والعصابة الصليبية الملك أفريدون ولكنها كتمت ما بها ثم ان الوزير دندان والملك شركان والحاجب استمروا جالسين عند شركان حتى عملوا له اللزق والادهان وأعطوه الدواء فتوجهت اليه العافية وفرحوا بذلك فرحا شديدا وأعلموا به العساكر فتباشر المسلمون وقالوا فى غد يركب معنا ويباشر الحصار ثم ان شركان قال لهم انكم قاتلتم اليوم وتعبتم من القتال فينبغى أن تتوجهوا الى أماكنكم وتناموا ولا تسهروا فأجابوه الى ذلك وتوجه كل منهم الى سرادقه وما بقى عند شركان سوى قليل من الغلمان والعجوز ذات الدواهى فتحدث معها قليلا من الليل ثم اضطجع لينام وكذلك الغلمان ثم غلب عليهم النوم فصاروا كأمثال الاموات هذا ما كان من أمر شركان وغلمانه ﴿وأما﴾ ما كان من أمر العجوز ذات الدواهى فانها بعد نومهم صارت يقظانة وحدها فى الخيمة ونظرت الى شركان فوجدته مستغرقا فى النوم فوثبت على قدميها كأنها دبة معطاء أو آفة رقطاء وأخرجت من وسطها خنجرا مسموما لو وضع على صخرة لاذابها ثم جردته من غمده وأتت عند رأس شركان وجردته على رقبته فذبحته وأزالت رأسه عن جسده ثم وثبت على قدميها وأتت الى الغلمان النيام وقطعت رؤسهم لئلا ينتبهوا ثم خرجت من الخيمة وأتت الى خيام السلطان فوجدت الحراس غير نائمين فمالت الى خيمة الوزير دندان فوجدته يقرأ القرآن فوقعت عينه عليها فقال مرحبا بالزاهد العابد فلما سمعت ذلك من الوزير ارتجف قلبها وقالت له ان سبب مجيئى الى هنا فى هذا الوقت أنى سمعت صوت ولى من أولياء الله وأنا ذاهب اليه ثم ولت فقال الوزير دندان فى نفسه والله لأتبع هذا الزاهد فى هذه الليلة فقام ومشى خلفها فلما أحست الملعونة بمشيه عرفت انه وراءها فخشيت أن تفتضح وقالت فى نفسها ان لم أخدعه بحيلة فانى أفتضح فأقبلت اليه وقالت أيها الوزير انى سائر خلف هذا الولى لاعرفه وبعد ان أعرفه استأذنه فى مجيئك اليه وأقبل عليك وأخبرك لانى أخاف أن تذهب معى بغير استئذان الولى فيحصل له نفرة منى اذا رآك معى فلما سمع الوزير كلامها استحى أن يرد عليها جوابا فتركها ورجع الى خيمته وأراد أن ينام فما طاب له منام وكادت الدنيا أن تنطبق عليه فقام وخرج من خيمته وقال فى نفسه أنا أمضى الى شركان وأتحدث معه الى الصباح فسار الى أن دخل خيمة شركان فوجد الدم سائلا كالقناة ونظر الغلمان مذبوحين فصاح صيحة أزعجت كل من كان نائما فتسارعت الخلائق اليه فرأوا الدم سائلا فضجوا بالبكاء والنحيب فعند ذلك استيقظ السلطان من ضوء المكان وسأل عن الخبر فقيل له ان شركان أخاك والغلمان مقتولون فقام مسرعا الى أن دخل الخيمة فوجد الوزير دندان يصيح ووجد جثة أخيه بلا رأس فغاب عن الدنيا وصاحت كل العساكر وبكوا وداروا حول ضوء المكان ساعة حتى استفاق ثم نظر الى شركان وبكى بكاء شديدا وفعل مثله الوزير رستم وبهرام وأما الحاجب فانه صاح وأكثر النواح ثم طلب الارتحال لما به من الاوجال فقال الملك أما علمتم بالذى فعل بأخى هذه الفعال ومالى لا أرى الزاهد الذى عن متاع الدنيا متباعد فقال الوزير ومن جلب هذه الاحزان الا هذا الزاهد الشيطان فوالله ان قلبى نفر منه فى الاول والآخر لانى أعرف ان كل متنطع فى الدين خبيث ماكر ثم ان الناس ضجوا بالبكاء والنحيب وتضرعوا الى القريب المجيب أن يوقع فى أيديهم ذلك الزاهد الذى هو لآيات الله جاحد ثم جهزوا شركان ودفنوه فى الجبل المذكور وحزنوا على فضله المشهور ❊ وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الخامسة بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أنهم جهزوا شركان ودفنوه فى الجبل المذكور وحزنوا على فضله المشهور ثم ان الملعونة لما فرغت من الداهية التى عملتها والمخازى التى لنفسها أبدتها أخذت دواة وقرطاسا وكتبت فيه من عند شواهى ذات الدواهى الى حضرة المسلمين اعلموا انى دخلت بلادكم وغششت بلؤمى كرامكم وقتلت سابقا ملككم عمر النعمان فى وسط قصره وقتلت أيضا فى واقعة الشعب والمغارة رجالا كثيرة وآخر من قتلته بمكرى ودهائى وغدرى شركان وغلمانه ولو ساعدنى الزمان وطاوعنى الشيطان كنت قتلت السلطان والوزير دندان وأنا الذى أتيت اليكم فى زى الزاهد وانطلت عليكم منى الحيل

والمكايد فان شئتم سلامتكم بعد ذلك فارحلوا وان شئتم هلاك أنفسكم فمن الاقامة لاتعدلوا فلو أقمتم سنين وأعواما فما تبلغون منا مراما وبعد أن كتبت الكتاب أقامت في حزنها على الملك أفريدون ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع دعت بطريقا وأمرته أن يأخذ الورقة ويضعها في سهم ويرميها الى المسلمين ثم دخلت الكنيسة وصارت تندب وتبكي على فقد أفريدون وقالت لمن تسلطن بعده لابد أن أقتل ضوء المكان وجميع أمراء الاسلام هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر المسلمين فانهم أقاموا ثلاثة أيام في هم واغتمام وفي اليوم الرابع نظروا الى ناحية السور واذا ببطريق معه سهم نشاب وفي طرفه كتاب فصبروا عليه حتى رماه اليهم فأمر السلطان الوزير دندان أن يقرأه فلما قرأه وسمع ما فيه وعرف معناه هملت بالدموع عيناه وصاح وتضجر من مكرها وقال الوزير والله لقد كان قلبي نافرا منها فقال السلطان وهذه العاهرة كيف عملت علينا الحيلة مرتين ولكن والله لا أحول من هنا حتى أملأ فرجها بسبيج الرصاص وأسجنها سجن الطير في الاقفاص وبعد ذلك أعلقها من شعرها على باب القسطنطينية ثم تذكر أخاه فبكى بكاء شديدا ثم ان الكفار لما توجهت لهم ذات الدواهي وأخبرتهم بما حصل فرحوا بقتل شركان وسلامة ذات الدواهي ثم ان المسلمين رجعوا على باب القسطنطينية ووعدهم السلطان أنه ان فتح المدينة فرق أموالها عليهم بالسوية هذا والسلطان لم تجف دموعه حزنا على أخيه واعترى جسمه الهزال حتى صار كالخلال فدخل عليه الوزير دندان وقال له طب نفسا وقر عينا فان أخاك مامات الا بأجله وليس في هذا الحزن فائدة وما أحسن قول الشاعر

ما لا يكون فلا يكون بحيلة * أبدا وما هو كائن سيكون
سيكون ما هو كائن في وقته * وأخو الجهالة دائما مغبون

فدع البكاء والنوح وقو قلبك لحمل السلاح فقال ياوزير ان قلبي مهموم من أجل موت أبي وأخي ومن أجل غيابنا عن بلادنا فان خاطري مشغول برعيتي فبكى الوزير هو والحاضرون ومازالوا مقيمين على حصار القسطنطينية مدة من الزمان فبينما هم كذلك واذا بالاخبار وردت عليهم من بغداد صحبة أمير من أمرائه مضمونها ان زوجة الملك ضوء المكان رزقت ولدا وسمته نزهة الزمان أخت الملك كان ما كان ولكن هذا الغلام سيكون له شأن بسبب ما رأوه من العجائب والغرائب وقد أمرت العلماء والخطباء أن يدعوا لكم على المنابر ودبر كل صلاة وانناطيبون بخير والامطار كثيرة وان صاحبك الوقاد في غاية النعمة الجزيلة وعنده الخدم والغلمان ولكنه الى الآن لم يعلم بما جرى لك والسلام فقال له ضوء المكان الآن اشتد ظهري حيث رزقت ولدا اسمه كان ما كان *وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة السادسة بعد المائة) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الملك ضوء المكان لما أتاه الخبر بان زوجته ولدت ولدا ذكرا فرح فرحا شديدا وقال الآن اشتد ظهري حيث رزقت ولدا اسمه كان ما كان ثم قال للوزير دندان اني أريد أن أترك هذا الحزن وأعمل لاخي ختمات وأمورا من الخيرات فقال الوزير نعم ما أردت ثم أمر بنصب الخيام على قبر أخيه فنصبوها وجمعوا من العسكر من يقرأ القرآن فصار بعضهم يقرأ وبعضهم يذكر الله الى الصباح ثم تقدم السلطان ضوء المكان الى قبر أخيه شركان وسكب العبرات وأنشد يقول هذه الابيات

خرجوا به ولكل باك خلفه * صعقات موسى يوم دك الطور
حتى أتوا جدثا كأن ضريحه * في قلب كل موحد محفور
ما كنت آمل قبل نعشك ان أرى * رضوى على أيدي الرجال يسير
كلا ولا من قبل دفنك في الثرى * أن الكواكب في التراب تغور
أبحاور الدعاس رهن قراره * فيها الضياء بوجهه والنور
كفل الثناء له بردحياته * لما انطوى فكأنه منشور

فلما فرغ ضوء المكان من شعره بكى وبكى معه جميع الناس ثم أتى الوزير دندان الى القبر ورمى نفسه عليه وهو حائر وأنشد قول الشاعر

زكت الذي يبقى ونلت الذي تبقى * ومثلك أقوام فقد سبقوا سبقا * وفارقت هذي الدار من غير ريبة

فمن هذه الدنيا تسر بما تلق * وكنت من الاعداء تبدي وقاية * اذا ما سهم الحرب حاولت الرشق

أرى هذه الدنيا غرورا وباطلا * وجل مراد الخلق ان يطلبوا الحقا * حباك اله العرش فوزا بجنة

وأسكنك الهادي بها مقعد اصدقا * واني قد أمسيت فيك بحسرة * أرى الغرب محزونا بفقدك والشرق

فلما فرغ الوزير دندان من شعره بكى بكاء شديدا ونثرت عيونه بالدموع درا نضيدا ثم تقدم رجل كان من ندماء شركان وبكى حتى حكت دموعه الخلجان وذكر ما لشركان من المكرمات وأنشد هذه الابيات

أين العطاء وكف جودك في الثرى * والجسم بعدك بالسقام قد انبرى

ياحادي الاظعان سرك ما ترى * كتبت دموعي فوق خدي أسطرا * تعني بها وتلذ منها منظرا

والله ما حدثت عنك ضمائري * كلا ولا خطرت علاك بخاطري

الاوقد جرح الدموع محاجري * واذا صرفت الى سواك نواظري * جذب الغرام عنان طرفي فالكرى

فلما فرغ ذلك الرجل من شعره بكى ضوء المكان هو والوزير دندان وضج جميع العسكر بالبكاء ثم انهم انصرفوا الى الخيام وأقبل السلطان على الوزير دندان وأخذا يتشاوران في أمر القتال واستمرا على ذلك أياما وليالي وضوء المكان يتضجر من الهم والاحزان ثم قال اني أشتهي سماع أخبار الناس وأحاديث الملوك وحكايات المتيمين لعل الله يفرج ما بقلبي من الهم الشديد ويذهب عني البكاء والعديد فقال الوزير ان كان ما يفرج همك الاسماع قصص الملوك من نوادر الاخبار وحكايات المتقدمين من المتيمين وغيرهم فان هذا أمر سهل لانني لم يكن لي شغل في حياة المرحوم والدك الا بالحكايات والاشعار وفي هذه الليلة أحدثك بخبر العاشق والمعشوق لاجل أن ينشرح صدرك فلما سمع ضوء المكان كلام الوزير دندان تعلق قلبه بما وعده به ولم يبق له اشتغال الا بانتظار مجيء الليل لاجل أن يسمع ما يحكيه الوزير دندان من أخبار المتقدمين من الملوك والمتيمين فما صدق ان الليل أقبل حتى أمر بايقاد الشموع والقناديل واحضار ما يحتاجون اليه من الاكل والشرب وآلات البخور فاحضروا له جميع ذلك ثم أرسل الى الوزير دندان فحضر وأرسل الى بهرام ورستم وتركاش والحاجب الكبير فحضروا فلما حضروا جميعهم بين يديه التفت الى الوزير دندان وقال له اعلم أيها الوزير ان الليل قد أقبل وسدل جلابيبه علينا وأرسل ونريد أن تحكي لنا ما وعدتنا من الحكايات فقال الوزير حبا وكرامة *وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السابعة بعد المائة﴾

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك ضوء المكان لما حضر الوزير والحاجب ورستم وبهرام التفت الى الوزير دندان وقال اعلم أيها الوزير ان الليل قد أقبل وسدل جلابيبه علينا وأسبل ونريد ان تحكي لنا ما وعدتنا به من الحكايات فقال الوزير حبا وكرامة

﴿حكاية العاشق والمعشوق﴾

اعلم أيها الملك السعيد انه بلغني من حكاية العاشق والمعشوق والتكلم بينهما وما جرى لهم من العجائب والغرائب ما يزيل الهم عن القلوب ويسلي مثل حزن يعقوب وهو انه كان في سالف الزمان مدينة وراء جبال أصبهان يقال لها المدينة الخضراء وكان بها ملك يقال له الملك سليمان وكان صاحب جود واحسان وعدل وأمان وفضل وامتنان وسارت اليه الركبان من كل مكان وشاع ذكره في سائر الاقطار والبلدان وأقام في المملكة مدة مديدة من الزمان وهو في عز وأمان الا أنه كان خاليا من الاولاد والزوجات وكان له وزير يقاربه في الصفات من الجود والهبات فاتفق انه أرسل الى وزيره يوما من الايام واحضره بين يديه وقال له يا وزيري انه قد ضاق صدري وعيل صبري وضعف مني الجلد لكوني بلا زوجة ولا ولد وما هذا سبيل الملوك الحكام على كل أمير وصعلوك فانهم يفرحون بخلفة الاولاد وتتضاعف لهم بهم العدد والاعداد وقال النبي صلى الله عليه وسلم تناكحوا تناسلوا فاني مباه بكم الامم يوم القيامة فما عندك من الرأي يا وزير فاشر علي بما فيه النصح من التدبير فلما سمع الوزير ذلك الكلام فاضت الدموع من عينيه بالانسجام وقال هيهات يا ملك الزمان ان أتكلم فيما هو من خصائص الرحمن أتريد ان أدخل النار بسخط الملك الجبار فقال له الملك اعلم أيها الوزير أن الملك اذا اشترى جارية لا يعلم حسبها ولا يعرف نسبها فهو لا يدري

نجاسة أصابها حتى يجتنبها ولا شرف عنصرها حتى يتشرى بها فاذا أفضى الجماع بحامل منه فتجي الولد منافقا ظالما سفاكا للدماء ويكون مثلها مثل الارض السبخة اذا زرع فيها زرع فانه يخبث نباته ولا يحسن ثباته وقد يكون ذلك الولد متعرضا لسخط مولاه ولا يفعل ما أمره به ولا يجتنب ما عنه نهاه فانا لا أتسبب في هذا بشراء جارية أبدا وانما مرادي أن تخطب لي بنتا من بنات الملوك تكون نسبها معروفا وجمالها موصوفا فان دللتني على ذات النسب والدين من بنات ملوك المسلمين فاني أخطبها وأتزوج بها على رؤس الاشهاد ليحصل لي بذلك رضا رب العباد فقال له الوزير ان الله قضى حاجتك وبلغك أمنيتك فقال له وكيف ذلك فقال له اعلم أيها الملك انه بلغني ان الملك زهرشاه صاحب الارض البيضاء له بنت بارعة في الجمال يعجز عن وصفها القيل والقال ولم يوجد لها في هذا الزمان مثيل لانها في غاية الكمال قويمة الاعتدال ذات طرف كحيل وشعر طويل وخصر نحيل وردف ثقيل ان أقبلت فتنت وان أدبرت قتلت تأخذ القلب والناظر كما قال فيها الشاعر

هيفاء تخجل غصن البان قامتها * لم يحك طلعتها شمس ولا قمر * كأنما ريقها شهد وقد مزجت

به المدامة لكن ثغرها درر * ممشوقة القد من حور الجنان لها * وجه جميل وفي ألحاظها حور

وكم لها من قتيل مات من كمد * وفي طريق هواها الخوف والخطر

ان عشت فهي المنى ما شئت أذكرها * أو مت من دونها لم يجدني العمر

فلما فرغ الوزير من وصف تلك الجارية قال للملك سليمان شاه الرأي عندي أيها الملك أن ترسل الى أبيها رسولا فطنا خبيرا بالامور مجربا لتصاريف الدهور ليتلاطف في خطبتها لك من أبيها فانها لا نظير لها في قاصي الارض ودانيها وتحظى منها بالوجه الجميل ويرضى عليك الرب الجليل فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا رهبانية في الاسلام فعند ذلك توجه الى الملك كمال الفرح واتسع صدره وانشرح وزال عنه الهم والغم ثم أقبل على الوزير وقال له اعلم أيها الوزير أنه لا يتوجه الى هذا الامر الا أنت لكمال عقلك وأدبك فقم الى منزلك واقض أشغالك وتجهز في غد واخطب لي هذه البنت التي شغلت بها خاطري ولا تعد الا بها فقال سمعا وطاعة ثم ان الوزير توجه الى منزله واستدعى بالهدايا التي تصلح للملوك من ثمين الجواهر ونفيس الذخائر وغير ذلك مما هو خفيف في الحمل وثقيل في الثمن ومن الخيل العربية والدروع الداودية وصناديق المال التي يعجز عن وصفها المقال ثم حملوها على البغال والجمال وتوجه الوزير ومعه مائة مملوك ومائة عبد ومائة جارية وانتشرت على رأسه الرايات والاعلام وأوصاه الملك أن يأتي اليه في مدة قليلة من الايام وبعد توجهه صار الملك سليمان شاه على مقالي النار مشغولا بحبها في الليل والنهار وسار الوزير ليلا ونهارا يطوي برارا وقفارا حتى بقي بينه وبين المدينة التي هو متوجه اليها يوم واحد ثم نزل على شاطئ نهر واحضر بعض خواصه وأمره أن يتوجه الى الملك زهرشاه بسرعة ويخبره بقدومه عليه فقال سمعا وطاعة ثم توجه بسرعة الى تلك المدينة فلما قدم عليها وافق قدومه أن الملك زهرشاه كان جالسا في بعض المتنزهات قدام باب المدينة فرآه وهو داخل وعرف أنه غريب فامر باحضاره بين يديه فلما حضر الرسول أخبره بقدوم وزير الملك الاعظم سليمان شاه صاحب الارض الخضراء وجبال أصفهان ففرح الملك زهرشاه ورحب بالرسول وأخذه وتوجه الى قصره وقال أين فارقت الوزير فقال فارقته أول النهار على شاطئ النهر الفلاني وفي غد يكون واصلا اليك وقادما عليك أدام الله نعمته عليك ورحم والديك فامر زهرشاه بعض وزرائه أن يأخذ معظم خواصه وحجابه ونوابه وأرباب دولته ويخرج بهم الى مقابلته تعظيما للملك سليمان شاه لان حكمه نافذ في الارض هذا ما كان من أمر الملك زهرشاه (وأما) ما كان من أمر الوزير فانه استقر في مكانه الى نصف الليل ثم رحل متوجها الى المدينة فلما لاح الصباح وأشرقت الشمس على رؤس الروابي والبطاح لم يشعر الا ووزير الملك زهرشاه وحجابه وأرباب دولته وخواص مملكته قدموا عليه واجتمعوا به على فراسخ من المدينة فايقن الوزير بقضاء حاجته وسلم على الذين قابلوه ولم يزالوا سائرين قدامه حتى وصلوا الى قصر الملك ودخلوا بين يديه في باب القصر الى سابع دهليز وهو المكان الذي لا يدخله الراكب لانه قريب من الملك فترجل الوزير وسعى على قدميه حتى وصل الى ايوان

عال وفى صدر ذلك الايوان سرير من المرمر مرصع بالدر والجوهر وله أربعة قوائم من أنياب الفيل وعلى ذلك السرير مرتبة من الاطلس الاخضر مطرزة بالذهب الاحمر ومن فوقها سرادق مرصع بالدر والجوهر والملك زهرشاه جالس على ذلك السرير وأرباب دولته واقفون فى خدمته فلما دخل الوزير عليه وصار بين يديه ثبت جنانه وأطلق لسانه وأبدى فصاحة الوزراء وتكلم بكلام البلغاء * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثامنة بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان وزير الملك سليمان شاه لما دخل على الملك زهرشاه ثبت جنانه وأطلق لسانه وأبدى فصاحة الوزراء وتكلم بكلام البلغاء وأشار الى الملك بلطف التفات وأنشد هذه الابيات

وافى وأقبل فى الغلائل ينثنى * يولى الندى لمجتنى والمجتنى
ورقى فما تغنى التمائم والرقى * والسحر من لحظات تلك الاعين
قل للعواذل لاتلوموا اننى * طول المدى عن حبه لاأنثنى
حتى فؤادى خاننى ووفى له * وكذا الرقاد ضبا اليه وملنى
ياقلب ماأمسيت وحدك رأفة * فامكث لديه وان تكن أوحشتنى
لاشئ يطرب مسمعى بسماعه * الا الثناء لزهرشاه أجتنى
ملك اذا أنفقت عمرك كله * فى نظرة من وجهه أنت الغنى
واذا انتخبت له دعاء صالحا * لم تلق غير مشارك ومؤمن
ياأهل ذا الملك الذى من فاته * وزجا سواه فلم يكن بمؤمن

فلما فرغ الوزير من هذا النظام قربه الملك زهرشاه وأكرمه غاية الاكرام وأجلسه بجانبه وتبسم فى وجهه وشرفه بلطيف الكلام ولم يزالا على ذلك الى وقت الصباح ثم قدموا السماط فى ذلك الايوان فاكلوا جميعا حتى اكتفوا ثم رفعوا السماط وخرج كل من فى المجلس ولم يبق الا الخواص فلما رأى الوزير خلو المكان نهض قائما على قدميه وأثنى على الملك وقبل الارض بين يديه ثم قال أيها الملك الكبير والسيد الخطير انى سعيت اليك وقدمت عليك فى أمر لك فيه الصلاح والخير والفلاح وهو انى قد أتيتك رسولا خاطبا وفى بنتك الحسيبة النسيبة راغبا من عند الملك سليمان شاه صاحب العدل والامان والفضل والاحسان ملك الارض الخضراء وجبال أصفهان وقد أرسل اليك الهدايا الكثيرة والتحف الغزيرة وهو فى مصاهرتك راغب فهل أنت له كذلك طالب ثم انه سكت ينتظر الجواب فلما سمع الملك زهرشاه ذلك الكلام نهض قائما على الاقدام ولثم الارض باحتشام فتعجب الحاضرون من خضوع الملك للرسول واندهشت منهم العقول ثم ان الملك أثنى على ذى الجلال والاكرام وقال وهو فى حالة القيام أيها الوزير المعظم والسيد المكرم اسمع ما أقول اننا للملك سليمان شاه من جملة رعاياه ونتشرف بنسبه ونتنافس فيه وابنتى جارية من جملة جواريه وهذا أجل مرادى ليكون ذخرى واعتمادى ثم انه أحضر القضاة والشهود وشهدوا أن الملك سليمان شاه وكل وزيره فى الزواج وتولى الملك زهرشاه عقد ابنته بابتهاج ثم ان القضاة أحكموا عقد النكاح ودعوا لهما بالفوز والنجاح فعند ذلك قام الوزير وأحضر ما جاء به من الهدايا ونفائس التحف والعطايا وقدم الجميع للملك زهرشاه ثم ان الملك أخذ فى تجهيز ابنته واكرام الوزير وعم بولائمه العظيم والحقير واستمر فى اقامة الفرح مدة شهرين ولم يترك فيه شيأ بل فعل فعلا يسر القلب والعين ولما تم ما تحتاج اليه العروس أمر الملك باخراج الخيام فضربت بظاهر المدينة وعبوا القماش فى الصناديق وهيؤا الجوارى الروميات والوصائف التركيات وأصحب العروسة بنفيس الذخائر وثمين الجواهر ثم صنع محفة من الذهب الاحمر مرصعة بالدر والجوهر وأفرد لها عشر بغال للسير وصارت تلك المحفة كأنها مقصورة من المقاصير وصاحبتها كأنها حوراء من الحور الحسان وخدرها كقصر من قصور الجنان ثم رزموا الذخائر والاموال وحملوها على البغال والجمال وتوجه الملك زهرشاه معهم قدر ثلاثة فراسخ ثم ودع ابنته وودع الوزير ومن معه ورجع الى الاوطان فى فرح وأمان وتوجه الوزير بابنة الملك وسار ولم يزل يطوى المراحل والقفار * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة التاسعة بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير توجه بابنة الملك وسار ولم يزل يطوى المراحل والقفار ويجد السير فى الليل والنهار حتى بقى بينه وبين بلاده ثلاثة أيام ثم أرسل الى الملك سليمان شاه من يخبره بقدوم العروسة فأسرع الرسول بالسير حتى وصل الى الملك وأخبره بقدوم العروسة ففرح الملك

سليمان شاه وخلع على الرسول وأمر عساكره أن يخرجوا في موكب عظيم الى ملاقاة العروسة ومن معها بالتكريم وأن يكونوا في أحسن الهيئات وأن ينشروا على رؤسهم الرايات فامتثلوا أمره ونادى المنادي أنه لا تبقى بنت مخدرة ولا حرة موقرة ولا عجوز منكسرة الا وتخرج الى لقاء العروسة فخرجوا جميعا الى لقائها وسعت كبراؤهم في خدمتها واتفقوا على أن يتوجهوا بها في الليل الى قصر الملك واتفق أرباب الدولة على أن يزينوا الطريق وأن يقفوا حتى تمر بهم العروسة والخدام قدامها والجواري بين يديها وعليها الخلعة التي أعطاها لها أبوها فلما أقبلت أحاط بها العسكر ذات اليمين وذات الشمال ولم تزل المحفة سائرة بها الى أن قربت من القصر ولم يبق أحد الا وقد خرج ليتفرج عليها وصارت الطبول ضاربة والرماح لاعبة والبوقات صائحة وروائح الطيب فائحة والرايات خافقة والخيل متسابقة حتى وصلوا الى باب القصر وتقدمت الغلمان بالمحفة الى باب السر فأضاء المكان ببهجتها وأشرقت جهاته بحلى زينتها فلما أقبل الليل فتح الخدام أبواب السرادق ووقفوا وهم محيطون بالباب ثم جاءت العروسة وهي بين الجواري كالقمر بين النجوم أو الدرة الفريدة بين اللؤلؤ المنظوم ثم دخلت المقصورة وقد نصبوا لها سريرا من المرمر مرصعا بالدر والجوهر فجلست عليه ودخل عليها الملك وأوقع الله محبتها في قلبه فأزال بكارتها وزال ما كان عنده من القلق والسهر وأقام عندها نحو شهر فعلقت منه في أول ليلة وبعد تمام الشهر خرج وجلس على سرير مملكته وعدل في رعيته الى أن وفت أشهرها وفي آخر ليلة من الشهر التاسع جاءها المخاض عند السحر فجلست على كرسي الطلق وهون الله عليها الولادة فوضعت غلاما ذكرا تلوح عليه علامات السعادة فلما سمع الملك بالولد فرح فرحا جليلا وأعطى المبشر مالا جزيلا ومن فرحته توجه الى الغلام وقبله بين عينيه وتعجب من جماله الباهر وتحقق فيه قول الشاعر

الله خول منه آجام العلا * أسدا وآفاق الرياسة كوكبا * هشت لطلعته الاسنة والاسر
ة والمحافل والجحافل والظبا * لا تركبوه على النهود فانه * ليرى ظهور الخيل أوطأ مركبا
والتفطموه عن الرضاع فانه * ليرى دم الاعداء أحلى مشربا

ثم ان الدايات أخذن ذلك المولود وقطعن سرته وكحلن مقلته ثم سموه تاج الملوك خاران وارتضع ثدي الدلال وتربى في حجر الاقبال ولا زالت الايام تجري والاعوام تمضي حتى صار له من العمر سبع سنين فعند ذلك أحضر الملك سليمان شاه العلماء والحكماء وأمرهم أن يعلموا ولده الخط والحكمة والادب فمكثوا على ذلك مدة سنين حتى تعلم ما يحتاج اليه الامر فلما عرف جميع ما طلبه منه الملك أحضره من عند الفقهاء والمعلمين وأحضر له أستاذا يعلمه الفروسية فلم يزل يعلمه حتى صار له من العمر أربع عشرة سنة وكان اذا خرج لبعض أشغاله يفتتن به كل من رآه * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة العاشرة بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان تاج الملوك خاران ابن الملك سليمان شاه لما مهر في الفروسية وفاق أهل زمانه صار من فرط جماله اذا خرج الى بعض أشغاله يفتتن به كل من رآه حتى نظموا فيه الاشعار وتهتكت في محبته الاحرار لما حوى من الجمال الباهر كما قال فيه الشاعر

عانقته فسكرت من طيب الشذا * غصنا رطيبا بالنسيم قد اغتذى * سكران ما شرب المدام وانما
أمسى بخمر رضابه متنبذا * أضحى الجمال بأسره في أسره * فلاجل ذلك على القلوب استحوذا
والله ما خطر السلو بخاطري * ما دمت في قيد الحياة ولا اذا
ان عشت عشت على هواه وان أمت * وجدا به وصبابة يا حبذا

فلما بلغ من العمر ثمانية عشر عاما دب عذاره الاخضر على شامة خده الاحمر وزانه خال كنقطة عنبر وصار يسبي العقول والنواظر كما قال فيه الشاعر أضحى ليوسف في الجمال خليفة * تخشاه كل العاشقين اذا بدا
عرج معي وانظر اليه لكي ترى * في خده علم الخلافة أسودا
وكما قال الآخر ما أبصرت عيناك أحسن منظرا * فيما يرى من سائر الاشياء

كالشامة الخضراء فوق الوجنة الحمراء تحت المقلة السوداء

وكما قال الآخر

عجبت لخال يعبد النار دائما * بخدك لم يحرق بها وهو كافر
وأعجب من ذا أن لحظك مرسل * يصدق في آياته وهو ساحر
وما اخضر ذاك الخد نبتا وإنما * لكثرة ما شقت عليه المرائر

وكما قال الآخر

اني لأعجب من سؤال الناس عن * ماء الحياة بأي أرض ينهمر
ولقد أراه بثغر ظبي أغيد * حلو اللمى وعليه شارب أخضر
ومن العجائب أن موسى يلتقي * معه هناك سائلا لم يصطبر

فلما صار بتلك الحالة وبلغ مبلغ الرجال زاد به الجمال ثم صار لتاج الملوك خلان وأصحاب وأحباب وكل من تقرب اليه يرجو انه يصير سلطانا بعد موت أبيه وأنه يكون عنده أميرا ثم انه تعلق بالصيد والقنص وصار لم يفتر عنه ساعة واحدة وكان والده الملك سليمان شاه ينهاه عن ذلك مخافة عليه من آفات البر والوحوش فلم يقبل منه ذلك فاتفق أنه قال لخدامه خذوا معكم عليق عشرة أيام فامتثلوا ما أمرهم به فلما خرج بأتباعه للصيد والقنص ساروا في البر ولم يزالوا سائرين أربعة أيام حتى أشرفوا على أرض خضراء فرأوا فيها وحوشا راتعة وأشجارا يانعة وعيونا نابعة فقال تاج الملوك لأتباعه انصبوا الحبائل هنا وأوسعوا دائرة حلقتها ويكون اجتماعنا عند رأس الحلقة في المكان الفلاني فامتثلوا أمره ونصبوا الحبائل وأوسعوا دائرة حلقتها فاجتمع فيها شيء كثير من أصناف الوحوش والغزلان الى أن ضجت منهم الوحوش وتنافرت في وجوه الخيل فأغرى عليها الكلاب والفهود والصقور ثم ضربوا الوحوش بالنشاب فأصابوا مقاتل الوحوش وما وصلوا الى آخر الحلقة الا وقد أخذوا من الوحوش شيئا كثيرا وهرب الباقي وبعد ذلك نزل تاج الملوك على الماء وأحضر الصيد وقسمه وأفرد لأبيه سليمان شاه خاص الوحوش وأرسله اليه وفرق البعض على أرباب دولته وبات تلك الليلة في ذلك المكان فلما أصبح الصباح أقبلت عليهم قافلة كبيرة مشتملة على عبيد وغلمان وتجار فنزلت تلك القافلة على الماء والخضرة فلما رآه تاج الملوك قال لبعض أصحابه ائتني بخبر هؤلاء واسألهم لأي شيء نزلوا في هذا المكان فلما توجه اليهم الرسول قال لهم أخبرونا من أنتم وأسرعوا في رد الجواب فقالوا له نحن تجار ونزلنا هنا لأجل الراحة لأن المنزل بعيد علينا وقد نزلنا في هذا المكان لأننا مطمئنون بالملك سليمان شاه وولده ونعلم أن كل من نزل عنده صار في أمان واطمئنان ومعنا قماش نفيس جئنا به من أجل ولده تاج الملوك فرجع الرسول الى ابن الملك وأعلمه بحقيقة الحال وأخبره بما سمعه من التجار فقال ابن الملك اذا كان معهم شيء جاؤا به من أجلي فما أدخل المدينة ولا أرحل من هذا المكان حتى أستعرضه ثم ركب جواده وسار وسارت مماليكه خلفه الى أن أشرف على القافلة فقام له التجار ودعوا له بالنصر والاقبال ودوام العز والافضال وقد ضربت له خيمة من الاطلس الاحمر مزركشة من الدر والجوهر وفرشوا له مقعدا سلطانيا فوق بساط من الحرير وصدره مزركش بالزمرد فجلس تاج الملوك ووقفت المماليك في خدمته وأرسل الى التجار وأمرهم أن يحضروا بجميع ما معهم فأقبلت عليه التجار ببضائعهم فاستعرض جميع بضائعهم وأخذ منها ما يصلح له ووفى لهم الثمن ثم ركب وأراد أن يسير فلاحت منه التفاتة الى القافلة فرأى شابا جميل الشباب نظيف الثياب ظريف المعاني بجبين أزهر ووجه أقمر الا أن ذلك الشاب قد تغيرت محاسنه وعلاه الاصفرار من فرقة الاحباب * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الحادية عشرة بعد المائة) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن تاج الملوك لاحت منه التفاتة الى القافلة فرأى شابا جميل الشباب نظيف الثياب ظريف المعاني الا أن ذلك الشاب قد تغيرت محاسنه وعلاه الاصفرار من فرقة الاحباب وزاد به الانتحاب وسالت من جفنيه العبرات وهو ينشد هذه الابيات

طال الفراق ودام الهم والوجل * والدمع من مقلتي يا صاح منهمل
والقلب ودعته يوم الفراق وقد * بقيت فردا فلا قلب ولا أمل
يا صاحبي قف معي حتى أودع من * من نطقها تشتفي الامراض والعلل

ثم ان الشاب بعد ما فرغ من الشعر بكى ساعة وغشى عليه وتاج الملوك ناظر اليه وهو يتعجب من أمره فلما أفاق رنى بفاتك اللحظات وأنشد هذه الابيات

خذوا حذركم من طرفها فهو ساحر * وليس بناج من رمته المحاجر * فان العيون السود وهي نواعس
تقد السيوف البيض وهي بواتر * ولا تخدعوا من رقة في كلامها * فان الحميا للعقول تخامر
منعمة الاطراف لو مس جسمها * حرير لادماه وها أنت ناظر
بعيدة ما بين المخلخل والطلا * وأين الشذا من طيبها وهو عاطر

ثم شهق شهقة فغشى عليه فلما رآه تاج الملوك على هذه الحالة تحير في أمره وتمشى اليه فلما أفاق من غشيته نظر ابن الملك واقفا على رأسه فنهض قائما على قدميه وقبل الارض بين يديه فقال له تاج الملوك لاى شيء لم تعرض بضاعتك علينا فقال يا مولاى ان بضاعتي ليس فيها شيء يصلح لسعادتك فقال لابد أن تعرض على ما معك وتخبرني بحالك فاني أراك باكى العين حزين القلب فان كنت مظلوما أزلنا ظلامتك وان كنت مديونا قضينا دينك فان قلبي قد احترق من أجلك حين رأيتك ثم ان تاج الملوك أمر بنصب كرسي فنصبوا له كرسيا من العاج والآبنوس مشبكا بالذهب والحرير وبسطوا له بساطا من الحرير فجلس تاج الملوك على الكرسي وأمر الشاب أن يجلس على البساط وقال له أعرض على بضاعتك فقال له الشاب يا مولاى لا تذكر لى ذلك فان بضاعتي ليست بمناسبة لك فقال له تاج الملوك لابد من ذلك ثم أمر بعض غلمانه باحضارها فاحضروها قهرا عنه فلما رآها الشاب جرت دموعه وبكى وأن واشتكى وصعد الزفرات وأنشد هذه الابيات

بما بجفنيك من غنج ومن كحل * وما بقدك من لين ومن ميل * وما بثغرك من خمر ومن شهد
وما بعطفك من لطف ومن ملل * عندي زيارة طيف منك يا أملي * أحلى من الامن عند الخائف الوجل

ثم ان الشاب فتح بضاعته وعرضها على تاج الملوك قطعة قطعة وتفصيلة تفصيلة وأخرج من جملتها ثوبا من الاطلس منسوجا بالذهب يساوى ألفى دينار فلما فتح الثوب وقع من وسطه خرقة فأخذها الشاب بسرعة ووضعها تحت ركبته وقد ذهل عن المعقول وأنشد يقول

متى يشتفي منك الفؤاد المعذب * ونجم الثريا من وصالك أقرب * بعاد وهجر واشتياق ولوعة
ومطل وتسويف به العمر يذهب * فلا الوصل يحييني ولا الهجر قاتلي * ولا البعد يدنيني ولا أنت تقرب
وما منك انصاف ولا لك رحمة * ولا منك اسعاف ولا عنك مهرب
وفي حبكم ضاقت جميع مذاهبي * على فلا أدرى الى أين أذهب

فتعجب تاج الملوك من انشاده غاية العجب ولم يعلم لذلك من سبب ولما أخذ الخرقة ووضعها تحت ركبته قال له تاج الملوك ما هذه الخرقة فقال يا مولاى ليس لك بهذه الخرقة حاجة فقال له ابن الملك أرني اياها قال له يا مولاى أنا ما امتنعت من عرض بضاعتي عليك الا لاجلها فاني لا أقدر على أنك تنظر اليها * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الثانية عشرة بعد المائة) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك أنا ما امتنعت من عرض بضاعتي عليك الا لاجلها فاني لا أقدر على أنك تنظر اليها فقال له تاج الملوك لابد من كوني أنظر اليها وألح عليه واغتاظ فأخرجها من تحت ركبته وبكى وأن واشتكى وأكثر من الانات وأنشد هذه الابيات

لا تعذليه فان العذل يولعه * قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه * أستودع الله في البطحاء لى قمرا
بالحي من فلك الازرار مطلعه * ودعته وبودى لو يودعني * صفو الحياة واني لا أودعه
وكم تشفع لى يوم الفراق ضحى * وأدمعي مستهلات وأدمعه * لا أكذب الله ثوب العذر مخرق
عنى بفرقته لكن أرقعه * لا يستقر لجنبي مضجع وكذا * لا يستقر له مذ بنت مضجعه
وقد سعى الدهر فيما بيننا بيد * عسراء تمنعني حظى وتمنعه
وصيت الدهر صرفا عند ما ملأت * كأسا تجرع منها ما أجرعه

فلما فرغ من شعره قال له تاج الملوك أرى أحوالك غير مستقيمة فأخبرني ما سبب بكائك عند نظرك الى هذه الخرقة فلما سمع الشاب ذكر الخرقة تنهد وقال يا مولاي ان حديثي عجيب وأمري غريب مع هذه الخرقة وصاحبتها وصاحبة هذه الصور والتماثيل ثم نشر الخرقة واذا فيها صورة غزال مرقومة بالحرير مزركشة بالذهب الاحمر وقبالها صورة غزال آخر وهي مرقومة بالفضة وفي رقبته طوق من الذهب الاحمر وثلاث قصبات من الزبرجد فلما نظر تاج الملوك اليه والى حسن صنعته قال سبحان الله الذي علم الانسان مالم يعلم وتعلق قلب تاج الملوك بحديث هذا الشاب فقال له احك لي قصتك مع صاحبة هذا الغزال فقال الشاب اعلم يا مولاي ان أبي كان من التجار الكبار ولم يرزق ولدا غيري وكان لي بنت عم تربيت أنا وإياها في بيت أبي لان أباها مات وكان قبل موته تعاهد هو وأبي على أن يزوجاني بها فلما بلغت مبلغ الرجال وبلغت هي مبلغ النساء لم يحجبوها عني ولم يحجبوني عنها ثم تحدث والدي مع أمي وقال لها في هذه السنة نكتب كتاب عزيز على عزيزة واتفق مع أمي على هذا الامر ثم شرع أبي في تجهيز مؤن الولائم هذا كله وأنا وبنت عمي ننام مع بعضنا في فراش واحد ولم ندر كيف الحال وكانت هي أشعر مني وأعرف وأدرى فلما جهز أبي أدوات الفرح ولم يبق غير كتب الكتاب والدخول على بنت عمي أراد أبي أن يكتب الكتاب بعد صلاة الجمعة ثم توجه الى أصحابه من التجار وغيرهم وأعلمهم بذلك ومضت أمي عزمت صواحباتها من النساء ودعت أقاربها فلما جاء يوم الجمعة غسلوا القاعة المعدة للجلوس وغسلوا رخامها وفرشوا في دارنا البسط ووضعوا فيها ما يحتاج اليه الامر بعد ان زوقوا حيطانها بالقماش المقصب واتفق الناس على ان يجيئوا بيتنا بعد صلاة الجمعة ثم مضى أبي وعمل الحلويات وأطباق السكر وما بقي غير كتب الكتاب وقد أرسلتني أمي الى الحمام وأرسلت خلفي بدلة جديدة من أفخر الثياب فلما خرجت من الحمام لبست تلك البدلة الفاخرة وكانت مطيبة فلما لبستها فاحت منها رائحة ذكية عبقت في الطريق ثم أردت أن أذهب الى الجامع فتذكرت صاحبا لي فرجعت أفتش عليه ليحضر كتب الكتاب وقلت في نفسي أشتغل بهذا الامر الى أن يقرب وقت الصلاة ثم اني دخلت زقاقا ما دخلته قط وكنت عرقان في اثر الحمام والقماش الجديد الذي على جسدي فساح عرقي وفاحت روائحي فقعدت في رأس الزقاق لارتاح على مسطبة وفرشت تحتي منديلا مطرزا كان معي فاشتد علي الحر فعرق جبيني وصار العرق ينحدر على وجهي ولم يمكني مسح العرق عن وجهي بالمنديل لانه مفروش تحتي فأردت أن آخذ ذيل فرجيتي وأمسح وجنتي فما أدري الا ومنديل أبيض وقع علي من فوق وكان ذلك المنديل أرق من النسيم ورؤيته ألطف من شفاء السقيم فمسكته بيدي ورفعت رأسي الى فوق لانظر من أين سقط هذا المنديل فوقعت عيني في عين صاحبة هذا الغزال * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثالثة عشرة بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك فرفعت رأسي الى فوق لأنظر من أين سقط هذا المنديل فوقعت عيني في عين صاحبة هذا الغزال واذا بها مطلة من طاقة من شباك من نحاس لم تر عيني أجمل منها وبالجملة يعجز عن وصفها لساني فلما رأتني نظرت اليها وضعت أصبعها في فمها ثم أخذت أصبعها الوسطاني وألصقته بأصبعها الشاهد ووضعتهما على صدرها بين نهديها ثم أدخلت رأسها من الطاقة وسدت باب الطاقة وانصرفت فانطلقت في قلبي النار وزاد به الاستعار وأعقبتني النظرة ألف حسرة وتحيرت فلم أسمع ما قالت ولم أفهم ما به أشارت فنظرت الى الطاقة ثانيا فوجدتها مطبوقة فصبرت الى مغيب الشمس فلم أسمع حسا ولم أر شخصا فلما يئست من رؤيتها قمت من مكاني وأخذت المنديل معي ثم فتحته ففاحت منه رائحة المسك فحصل لي من تلك الرائحة طرب عظيم حتى صرت كأني في الجنة ثم نشرته بين يدي فسقطت منه ورقة لطيفة ففتحت الورقة فرأيتها مضمخة بالروائح الذكيات ومكتوب فيها هذه الابيات

بعثت له أشكو من ألم الجوى * بخط رقيق والخطوط فنون * فقال خليلي ما لخطك هكذا
رقيقا دقيقا لا يكاد يبين * فقلت لاني في نحول ودقة * كذا خطوط العاشقين تكون

ثم بعد أن قرأت الابيات أطلقت في بهجة المنديل نظر العين فرأيت في احدى حاشيتيه تسطير هذين البيتين

كتب العذار و ياله من كاتب * سطرين فى خده بالريحان
واحيرة القمرين منه اذا بدا * واذا انثنى واخجلة الاغصان

وسطر فى الحاشية الاخرى هذان البيتان

كتب العذار بعنبر فى لؤلؤ * سطرين من سبج على تفاح
القتل فى الحدق المراض اذا رنت * والسكر فى الوجنات لا فى الراح

فلما رأيت ما على المنديل من الاشعار انطلق فى فؤادى لهيب النار و زادت بى الاشواق والافكار وأخذت المنديل والورقة وأتيت بهما الى البيت وأنا لا أدرى لى حيلة فى الوصال ولا أستطيع فى العشق تفصيل الاجمال فما وصلت الى البيت الا بعد مدة من الليل فرأيت بنت عمى جالسة تبكى فلما رأتنى مسحت دموعها وأقبلت على وقلعتنى الثياب وسألتنى عن سبب غيابى وأخبرتنى ان جميع الناس من أمراء وكبراء وتجار وغيرهم قد اجتمعوا فى بيتنا وحضر القاضى والشهود وأكلوا الطعام واستمروا مدة جالسين ينتظرون حضورى من أجل كتب الكتاب فلما يئسوا من حضورى تفرقوا وذهبوا الى حال سبيلهم وقالت لى ان أباك اغتاظ بسبب ذلك غيظا شديدا وحلف أنه لا يكتب كتابنا الا فى السنة القابلة لانه غرم فى هذا الفرح مالا كثيرا ثم قالت لى ما الذى جرى لك فى هذا اليوم حتى تأخرت الى هذا الوقت وحصل ما حصل بسبب غيابك فقلت لها جرى لى كذا وكذا وذكرت لها المنديل وأخبرتها بالخبر من أوله الى آخره فأخذت الورقة والمنديل وقرأت ما فيهما وجرت دموعها على خدودها وأنشدت هذه الابيات

من قال أول الهوى اختيار * فقل كذبت كله اضطرار
وليس بعد الاضطرار عار * دلت على صحته اخبار * ما زيفت على صحيح النقد
فان تشأ فقل عذاب عذب * أو ضربان فى الحشى أو ضرب
نعمة أو نقمة أو ارب * تأنس النفس به أو تعطب * قد حرت بين عكسه والطرد
ومع ذا أيامه مواسم * وثغرها على الدوام باسم
ونفحات طيبها نواسم * وهو لكل ما يشين حاسم * ما حل قط قلب نذل وغد

ثم انها قالت لى فما قالت لك وما أشارت به اليك فقلت لها ما نطقت بشئ غير أنها وضعت أصبعها فى فمها ثم قرنتها بالاصبع الوسطى وجعلت الاصبعين على صدرها وأشارت الى الارض ثم أدخلت رأسها وأغلقت الطاقة ولم أرها بعد ذلك فأخذت قلبى معها فقعدت الى غياب الشمس أنتظر أنها تطل من الطاقة ثانيا فلم تفعل فلما يئست منها قمت من ذلك المكان وهذه قصتى وأشتهى منك أن تعينينى على ما بليت فرفعت رأسها الى وقالت ابن عمى لو طلبت عينى لاخرجتها لك من جفونى ولا بد أن أساعدك على حاجتك وأساعدها على حاجتها فانها مغرمة بك كما أنك مغرم بها فقلت لها وما تفسير ما أشارت به قالت أما وضع أصبعها فى فمها فانه اشارة الى انك عندها بمنزلة روحها من جسدها وانها تعض على وصالك بالنواجذ وأما المنديل فانه اشارة الى سلام المحبين على المحبوبين وأما الورقة فانها اشارة الى ان روحها متعلقة بك وأما وضع أصبعيها على صدرها بين نهديها فتفسيره انها تقول لك بعد يومين تعال هنا ليزول عنى بطلعتك العنا واعلم يا ابن عمى انها لك عاشقة وبك واثقة وهذا ما عندى من التفسير لاشاراتها ولو كنت أدخل وأخرج لجمعت بينك وبينها فى أسرع وقت وأسترك بذيلى قال الغلام فلما سمعت ذلك منها شكرتها على قولها وقلت فى نفسى أنا أصبر يومين ثم قعدت فى البيت يومين لا أدخل ولا أخرج ولا آكل ولا أشرب ووضعت رأسى فى حجر ابنة عمى وهى تسلينى وتقول قو عزمك وهمتك وطيب قلبك وخاطرك * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الرابعة عشرة بعد المائة) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك فلما انقضى اليومان قالت لى ابنة عمى طب نفسا وقر عينا وقو عزمك والبس ثيابك وتوجه اليها على الميعاد ثم انها قامت وغيرت أثوابى وبخرتنى ثم شددت حيلى وقويت قلبى وخرجت وتمشيت الى ان دخلت الزقاق وجلست على المصطبة ساعة واذا بالطاقة قد انفتحت فنظرت بعينى اليها فلما رأيتها وقعت مغشيا على ثم أفقت فشددت

عزمي وقويت قلبي ونظرت اليها ثانيا فغبت عن الوجود ثم استفقت فرأيت معها مرآة ومنديلا أحمر وحين رأتني
شمرت عن ساعديها وفتحت أصابعها الخمس ودقت بها على صدرها بالكف والخمس أصابع ثم رفعت يديها وابرزت
المرآة من الطاقة وأخذت المنديل الاحمر ودخلت به وعادت وأدلته من الطاقة الى صوب الزقاق ثلاث مرات
وهي تدليه وترفعه ثم عصرته ولفته بيدها وطأطأت رأسها ثم جذبتهما من الطاقة وأغلقت الطاقة وانصرفت ولم
تكلمني كلمة واحدة بل تركتني حيران لا أعلم ما أشارت به واستمريت جالسا الى وقت العشاء ثم جئت الى البيت
قرب نصف الليل فوجدت ابنة عمي واضعة يدها على خدها وأجفانها تسكب العبرات وهي تنشد هذه الابيات

مالي وللاحي عليك يعنف * كيف السلو وأنت غصن أهيف * يا طلعة سلبت فؤادي وانثنت
ما للهوى العذري عنها مصرف * تركية الالحاظ تفعل بالحشا * ما ليس يفعله الصقيل المرهف
حملتني ثقل الغرام وليس لي * جلد على حمل القميص وأضعف * ولقد بكيت دما لقول عواذلي
من جفن من تهوى يروعك مرهف * ياليت قلبي مثل قلبك انما * جسمي كخصرك بالنحافة متلف
لك يا أميري في الملاحة ناظر * صعب علي وحاجب لا ينصف * كذب الذي قال الملاحة كلها
في يوسف كم في جمالك يوسف * أتكلف الاعراض عنك مخافة * من أعين الرقباء كم أتكلف

فلما سمعت شعرها زاد ما بي من الهموم وتكاثرت على الغموم ووقعت في زوايا البيت فنهضت الي وحملتني وقلعتني
أثوابي ومسحت وجهي بكمها ثم سألتني عما جرى لي فحكيت لها جميع ما حصل منها فقالت يا ابن عمي أما اشارتها
بالكف والخمسة أصابع فان تفسيره تعال بعد خمسة أيام وأما اشارتها بالمرآة وابراز رأسها من الطاقة فان تفسيره
أقعد على دكان الصباغ حتى يأتيك رسولي فلما سمعت كلامها اشتعلت النار في قلبي وقلت بالله يا بنت عمي انك
تصدقيني في هذا التفسير لأني رأيت في الزقاق صباغا يهوديا ثم بكيت فقالت ابنة عمي قو عزمك وثبت قلبك
فان غيرك يشتغل بالعشق مدة سنين ويتجلد على حر الغرام وانت لك جمعة فكيف يحصل لك هذا الجزع ثم
أخذت تسليني بالكلام وأتت لي بالطعام فأخذت لقمة وأردت أن آكلها فما قدرت فامتنعت من الشراب
والطعام وهجرت لذيذ المنام واصفر لوني وتغيرت محاسني لأني ما عشقت قبل ذلك ولا ذقت حرارة العشق الا في
هذه المرة فضعفت وضعفت بنت عمي من أجلي وصارت تذكر لي أحوال العشاق والمحبين على سبيل التسلي في كل
ليلة الى أن أنام وكنت أستيقظ فأجدها سهرانة من أجلي ودمعها يجري على خدها ولم أزل كذلك الى ان مضت
الخمسة أيام فقامت ابنة عمي وسخنت لي ماء وحمتني وألبستني ثيابي وقالت لي توجه اليها قضى الله حاجتك وبلغك
مقصودك من محبوبتك فمضيت ولم أزل ماشيا الى أن أتيت الى رأس الزقاق وكان ذلك في يوم السبت فرأيت دكان
الصباغ مقفولة فجلست عليها حتى أذن العصر واصفرت الشمس وأذن المغرب ودخل الليل وأنا لا أرى لها أثرا ولم
أسمع حسا ولا خبرا فخشيت على نفسي وأنا جالس وحدي فقمت وتمشيت وأنا كالسكران الى أن دخلت البيت فلما
دخلت رأيت ابنة عمي عزيزة واحدى يديها قابضة على وتد مدقوق في الحائط ويدها الاخرى على صدرها وهي
تصعد الزفرات وتنشد هذه الابيات

وما وجد اعرابية بان أهلها * فحنت الى بان الحجاز ورنده * اذا آنست ركبا تكفل شوقها
بنار قراه والدموع بورده * بأعظم من وجدي بحبي وانما * يرى أنني أذنبت ذنبا أوده

فلما فرغت من شعرها التفتت الي فرأتني فمسحت دموعها ودموعي بكمها وتبسمت في وجهي وقالت لي يا ابن
عمي هنأك الله بما أعطاك فلأي شيء لم تبت الليلة عند محبوبتك ولم تقض منها أربك فلما سمعت كلامها رفستها
برجلي في صدرها فانقلبت على الايوان فجاءت جبهتها على طرف الايوان وكان هناك وتد فجاء في جبهتها فتأملتها
فرأيت جبينها قد انفتح وسال دمها * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الخامسة عشرة بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك فلما
رفست ابنة عمي في صدرها انقلبت على طرف الايوان فجاء الوتد في جبينها فانفتح جبينها وسال دمها فسكتت ولم
تنطق بحرف واحد ثم انها قامت في الحال وأحرقت خرقا وحشت به ذلك الجرح وتعصبت بعصابة ومسحت الدم

الذى سال على البساط وكان ذلك شئ ما كان ثم انها أتتنى وتبسمت فى وجهى وقالت لى بلين الكلام والله يا ابن عمى ماقلت هذا الكلام استهزاء بك ولابها وقد كنت مشغولة بوجع رأسى ومسح الدم وفى هذه الساعة قد خفت رأسى وخفت جبهتى فاخبرنى بما كان من أمرك فى هذا اليوم فحكيت لها جميع ماوقع لى منها فى ذلك اليوم وبعد كلامى بكيت فقالت يا ابن عمى أبشر بنجاح قصدك وبلوغ أملك ان هذه علامة القبول وذلك أنها غابت عنك لانها اريد أن تختبرك وتعرف هل أنت صابر أولا وهل أنت صادق فى محبتها أولا وفى غد توجه اليها فى مكانك الاول وانظر ماذا تشير به اليك فقد قربت أفراحك وزالت أتراحك وصارت تسلينى على مابى وأنا لم أزل متزايد الهموم والغموم ثم قدمت لى الطعام فرفسته فانكبت كل زبديه فى ناحية وقلت كل من كان عاشقا فهو مجنون لايميل الى طعام ولا يلتذ بنام فقالت لى ابنة عمى عزيزة والله يا ابن عمى ان هذه علامات المحبة وسالت دموعها ولمت شقافة الزبادى ومسحت الطعام وجلست تسايرنى وأنا أدعو الله أن يصبح الصباح فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح توجهت اليها ودخلت ذلك الزقاق بسرعة وجلست على تلك المسطبة واذا بالطاقة قد انفتحت وابرزت رأسها منها وهى تضحك ثم غابت ورجعت ومعها مرآة وكيس وقصرية ممتلئة زرعا أخضر وفى يدها قنديل فأول مافعلت أخذت المرآة فى يدها وأدخلتها فى الكيس ثم ربطته ورمته فى البيت ثم أرخت شعرها على وجهها ثم وضعت القنديل على رأس الزرع لحظة ثم أخذت جميع ذلك وانصرفت به وأغلقت الطاقة فانفطر قلبى من هذا الحال ومن اشاراتها الخفية ورموزها المخفية وهى لم تكلمنى بكلمة قط فاشتد لذلك غرامى وزاد وجدى وهيامى ثم انى رجعت على عقبى وأنا باكى العين حزين القلب حتى دخلت البيت فرأيت بنت عمى قاعدة ووجهها الى الحائط وقد احترق قلبها من الهم والغم والغيرة ولكن محبتها منعتها أن تخبرنى بشئ مما عندها من الغرام لما رأت ما أنا فيه من كثرة الوجد والهيام ثم نظرت اليها فرأيت على رأسها عصابتين احداهما من الوقعة على جبهتها والأخرى على عينها بسبب وجع أصابها من شدة بكائها وهى فى أسوأ الحالات تبكى وتنشد هذه الابيات

أينما كنت لم تزل بأمان * أيها الراحل المقيم بقلبى
ولك الله حيث أمسيت جار * منقذ من صروف دهر وخطب
غبت فاستوحشت لبعدك عينى * واستهلت مدامعى أى سكب
ليت شعرى باى أرض ومغنى * أنت مستوطن بدار وشعب
ان يكن شربك القراح زلالا * فدموعى من المحاجر شربى
كل شئ سوى فراقك عذب * كالتجافى بين الرقاد وجنبى

فلما فرغت من شعرها نظرت الى فرأتنى وهى تبكى فمسحت دموعها ونهضت الى ولم تقدر أن تتكلم مما هى فيه من الوجد ولم تزل ساكتة برهة من الزمان ثم بعد ذلك قالت يا ابن عمى أخبرنى بما حصل لك منها فى هذه المرة فأخبرتها بجميع ماحصل لى فقالت لى اصبر فقد آن أوان وصالك وظفرت ببلوغ آمالك أما اشارتها لك بالمرآة وكونها أدخلتها فى الكيس فانها تقول لك اصبر الى أن تغطس الشمس وأما ارخاؤها شعرها على وجهها فانها تقول لك اذا أقبل الليل وانسدل سواد الظلام على نور النهار فتعال وأما اشارتها لك بالقصرية التى فيها زرع فانها تقول لك اذا جئت فادخل البستان الذى وراء الزقاق وأما اشارتها لك بالقنديل فانها تقول لك اذا دخلت البستان فامش فيه وأى موضع وجدت فيه القنديل مضيأ فتوجه اليه واجلس تحته وانتظرنى فان هواك قاتلى فلما سمعت كلام ابنة عمى صحت من فرط الغرام وقلت كم تعدينى وأتوجه اليها ولا أحصل مقصودى ولا أجد لتفسيرك معنى صحيحا فعند ذلك ضحكت بنت عمى وقالت لى بقى عليك من الصبر أن تصبر بقية هذا اليوم الى أن يولى النهار ويقبل الليل بالاعتكار فتحظى بالوصال وبلوغ الآمال وهذا الكلام صدق بغير مين ثم أنشدت هذين البيتين

درج الايام تندرج * وبيوت الهم لاتلج
رب أمر عز مطلبه * قربته ساعة الفرج

ثم انها أقبلت على وصارت تسلينى بلين الكلام ولم تجسر أن تأتينى بشئ من الطعام مخافة من غضبى عليها ورجاء ميلى اليها ولم يكن لها قصد الا أنها أتت الى وقلعتنى ثيابى ثم قالت يا ابن عمى اقعد معى حتى أحدثك بما يسليك

الى آخر النهار وان شاء الله تعالى ما يأتى الليل الا وأنت عند محبوبتك فلم ألتفت اليها وصرت أنتظر مجيء الليل وأقول يارب عجل بمجيء الليل فلما أتى الليل بكت ابنة عمى بكاء شديدا وأعطتنى حبة مسك خالص وقالت لى يا ابن عمى اجعل هذه الحبة فى فمك فاذا اجتمعت بمحبوبتك وقضيت منها حاجتك وسمعت لك بما تمنيت فأنشدها هذا البيت

الا أيها العشاق بالله خبروا * اذا اشتد عشق بالفتى كيف يصنع

ثم انها قبلتنى وحلفتنى انى لا أنشدها ذلك البيت الشعر الا بعد خروجى من عندها فقلت لها سمعا وطاعة ثم خرجت وقت العشاء ومشيت ولم أزل ماشيا حتى وصلت الى البستان فوجدت بابه مفتوحا فدخلته فرأيت نورا على بعد فقصدته فلما وصلت اليه وجدت مقعدا عظيما معقودا عليه قبة من العاج والآبنوس والقنديل معلق فى وسط تلك القبة وذلك المقعد مفروش بالبسط الحرير المزركشة بالذهب والفضة وهناك شمعة كبيرة موقودة فى شمعدان من الذهب تحت القناديل وفى وسط المقعد فسقية فيها أنواع التصاوير وبجانب تلك الفسقية سفرة مغطاة بفوطة من الحرير والى جانبها باطية كبيرة من الصينى مملوءة خمرا وفيها قدح من بلور مزركش بالذهب والى جانب الجميع طبق كبير من فضة مغطى فكشفته فرأيت فيه من سائر الفواكه ما بين تين ورمان وعنب ونارنج وأترج وكباد وبينها أنواع الرياحين من ورد وياسمين وآس ونسرين ونرجس ومن سائر المشمومات فهمت بذلك المكان وفرحت غاية الفرح وزال عنى الهم والترح لكنى ما وجدت فى هذه الدار أحدا من خلق الله تعالى * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السادسة عشرة بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك فهمت بذلك المكان وفرحت غاية الفرح لكنى ما وجدت فيه أحدا من خلق الله تعالى ولم أر عبدا ولا جارية ولا من يعانى هذه الامور فجلست فى ذلك المقعد أنتظر مجيء محبوبة قلبى الى أن مضى أوّل ساعة من الليل وثانى ساعة وثالث ساعة فلم تأت واشتد بى ألم الجوع لان لى مدة من الزمان ما أكلت طعاما لشدة وجدى فلما رأيت ذلك المكان وظهر لى صدق بنت عمى فى فهم اشارة معشوقتى استرحت ووجدت ألم الجوع وقد شوقتنى روائح الطعام الذى فى السفرة لما وصلت الى ذلك المكان واطمأنت نفسى بالوصال فاشتهت نفسى الاكل فتقدمت الى السفرة وكشفت الغطاء فوجدت فى وسطها طبقا من الصينى وفيه أربع دجاجات محمرة ومتبلة بالبهارات وحول ذلك الطبق أربع زبادى واحدة حلوى والاخرى حب الرمان والثالثة بقلاوة والرابعة قطائف وتلك الزبادى ما بين حلو وحامض فأكلت من القطائف وأكلت قطعة لحم وعمدت الى البقلاوة وأكلت منها ما تيسر ثم قصدت الحلوى وأكلت ملعقة أو اثنتين أو ثلاثا أو أربعا وأكلت بعض دجاجة وأكلت لقمة فعند ذلك امتلأت بطنى وارتخت مفاصلى وقد كسلت عن السهر فوضعت رأسى على وسادة بعد أن غسلت يدى فغلبنى النوم ولم أعلم بما جرى لى بعد ذلك فما استيقظت حتى أحرقنى حر الشمس لان لى أياما ما ذقت مناما فلما استيقظت وجدت على بطنى ملحا وفحما فانتصبت قائما ونفضت ثيابى وقد تلفت يمينا وشمالا فلم أجد أحدا ووجدتنى كنت نائما على الرخام من غير فرش فتحيرت فى عقلى وحزنت حزنا عظيما وجرت دموعى على خدى وتأسفت على نفسى فقمت وقصدت البيت فلما وصلت اليه وجدت ابنة عمى تدق بيدها على صدرها وتبكى بدمع يبارى السحب الماطرات وتنشد هذه الابيات

هب ريح من الحمى ونسيم * فأثار الهوى بنشر هبوبه
يا نسيم الصبا هلم الينا * كل صب بحظه ونصيبه
لو قدرنا من الغرام اعتنقنا * كاعتناق المحب صدر حبيبه
حرم الله بعد وجه ابن عمى * كل عيش من الزمان وطيبه
ليت شعرى هل قلبه مثل قلبى * ذائب من حر الهوى ولهيبه

فلما رأتنى قامت مسرعة ومسحت دموعها وأقبلت على بلين كلامها وقالت يا ابن عمى أنت فى عشقك قد لطف الله بك حيث أحبك من تحب وأنا في بكائى وحزنى على فراقك من يلومنى ولكن لا آخذك الله من جهتى ثم انها تبسمت فى وجهى تبسم الغيظ ولاطفتنى وقلعتنى أثوابى ونشرتها وشمتها وقالت والله ما هذه روائح من حظى بمحبوبه فأخبرنى بما جرى لك يا ابن عمى فأخبرتها بجميع ما جرى لى فتبسمت تبسم الغيظ ثانيا وقالت ان

قلبي قتيلا ان موجع فلا عاش من يوجع قلبك فهذه المرأة تشمز عليك تشمزا قويا والله يا ابن عمي اني خائفة
عليك منها واعلم يا ابن عمي ان تفسير الملح هو انك مستغرق في النوم فكانك داخل الطعم بحيث تعافك النفوس
فينبغي لك أن تتملح حتى لا تمجك الطباع لانك تدعي انك من العشاق الكرام والنوم على العشاق حرام فدعواك
المحبة كاذبة وكذلك هي محبتها لك كاذبة لانها لما رأتك نائما لم تنبهك ولو كانت محبتها لك صادقة لنبهتك واما الفحم
فان تفسير اشارته سود الله وجهك حيث ادعيت المحبة كذبا وانما انت صغير ولم يكن لك همة الا الاكل والشرب
والنوم فهذا تفسير اشارتها فالله تعالى يخلصك منها فلما سمعت كلامها ضربت بيدي على صدري وقلت والله ان
هذا هو الصحيح لاني نمت والعشاق لا ينامون فأنا الظالم لنفسي وما كان أضر علي من الاكل والنوم فكيف يكون
الامر ثم اني زدت في البكاء وقلت لابنة عمي دليني على شيء أفعله وارحميني يرحمك الله والا مت وكانت بنت عمي تحبني
محبة عظيمة * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة السابعة عشرة بعد المائة) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك فقلت
لابنة عمي دليني على شيء أفعله وارحميني يرحمك الله وكانت تحبني محبة عظيمة فقالت على رأسي وعيني ولكن
يا ابن عمي قد قلت لك مرارا لو كنت أدخل وأخرج لكنت أجمع بينك وبينها في أقرب زمن وأغطيكما بذيلي
ولا أفعل معك هذا الا لقصد رضاك وان شاء الله تعالى أبذل غاية الجهد في الجمع بينكما ولكن اسمع قولي وأطع
أمري واذهب الى نفس ذلك المكان واقعد هناك فاذا كان وقت العشاء فاجلس في الموضع الذي كنت فيه واحذر
أن تأكل شيأ لان الاكل يجلب النوم واياك أن تنام فانها لا تأتي لك حتى يمضي من الليل ربعه كفاك الله شرها فلما
سمعت كلامها فرحت وصرت أدعو الله أن يأتي الليل فلما أردت الانصراف قالت لي ابنة عمي اذا اجتمعت بها
فاذكر لها البيت المتقدم وقت انصرافك فقلت لها على الرأس والعين فلما خرجت وذهبت الى البستان وجدت
المكان مهيأ على الحالة التي رأيتها أولا وفيه ما يحتاج اليه من الطعام والشراب والنقل والمشموم وغير ذلك
فطلعت المقعد وشممت رائحة الطعام فاشتاقت نفسي اليه فمنعتها مرارا فلم أقدر على منعها فقمت وأتيت الى
السفرة وكشفت غطاءها فوجدت صحن دجاج وحوله أربع زبادي من الطعام فيها أربعة ألوان فأكلت من
كل لون لقمة وأكلت ما تيسر من الحلوى وأكلت قطعة لحم وشربت من الزردة وأعجبتني فاكثرت الشرب منها
بالملعقة حتى شبعت وامتلأت بطني وبعد ذلك انطبقت أجفاني فأخذت وسادة ووضعتها تحت رأسي وقلت
لعلي أتكئ عليها ولا أنام فأغمضت عيني ونمت وما انتبهت حتى طلعت الشمس فوجدت على بطني كعب عظم
وفردة طاب ونواة بلح وبزرة خروب وليس في المكان شيء من فرش ولا غيره وكأنه لم يكن فيه شيء بالامس فقمت
ونفضت الجميع عني وخرجت وأنا مغتاظ الى أن وصلت الى البيت فوجدت ابنة عمي تصعد الزفرات وتنشد
هذه الابيات

جسم ناحل وقلب جريح * ودموع على الخدود تسيح * وحبيب صعب التجني ولكن
كل ما يفعل المليح مليح * يا ابن عمي ملأت بالوجد قلبي * ان طرفي من الدموع قريح

فنهرت ابنة عمي وشتمتها فبكت ثم مسحت دموعها وأقبلت علي وقبلتني وأخذت تضمني الى صدرها وأنا أتباعد
عنها وأعاتب نفسي فقالت لي يا ابن عمي كأنك نمت في هذه الليلة فقلت لها نعم ولكنني لما انتبهت وجدت كعب
عظم على بطني وفردة طاب ونواة بلح وبزرة خروب وما أدري لأي شيء فعلت هكذا ثم بكيت وأقبلت عليها وقلت
لها فسري لي اشارتها بهذا وقولي لي ماذا أفعل وساعديني على الذي أنا فيه فقالت لي على الرأس والعين أما فردة
الطاب التي وضعتها على بطنك فانها تشير لك بها الى أنك حضرت وقلبك غائب وكأنها تقول لك ليس العشق
هكذا فلا تعد نفسك من العاشقين وأما نواة البلح فانها تشير لك بها الى أنك لو كنت عاشقا لكان قلبك محترقا بالغرام
ولم تذق لذيذ المنام فان لذة الحب كتمرة ألهبت في الفؤاد جمرة وأما بزرة الخروب فانها تشير لك بها الى أن قلب
المحب مسلوب وتقول لك اصبر على فراقنا صبر أيوب فلما سمعت هذا التفسير انطلقت في فؤادي النيران وزادت
بقلبي الاحزان فصحت وقلت قدر الله علي النوم لقلة بختي ثم قلت لها يا ابنة عمي بحياتي عندك أن تدبري لي حيلة

أتوصل بها اليه فبكت وقالت يا عزيز يا ابن عمي ان قلبي ملآن بالفكر ولا أقدر أن أتكلم ولكن رح الليلة الى ذلك المكان واحذر أن تنام فانك تبلغ المرام هذا هو الرأي والسلام فقلت لها ان شاء الله لا أنام واغعل ما تأمريني به فقامت بنت عمي وأتت بالطعام وقالت لي كل الآن ما يكفيك حتى لا يبقى في خاطرك شيء فأكلت كفايتي ولما أتى الليل قامت بنت عمي وأتتني ببدلة عظيمة وألبستني اياها وحلفتني ان أذكر لها البيت المذكور وحذرتني من النوم ثم خرجت من عند بنت عمي وتوجهت الى البستان وطلعت ذلك المقعد ونظرت الى البستان وجعلت أفتح عيني بأصابعي وأهز رأسي حين جن الليل * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثامنة عشرة بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك فدخلت البستان وطلعت ذلك المقعد ونظرت الى البستان وجعلت أفتح عيني بأصابعي وأهز رأسي حين جن الليل فجعت من السهر وهبت علي روائح الطعام فازداد جوعي وتوجهت الى السفرة وكشفت غطاءها وأكلت من كل لون لقمة وأكلت قطعة لحم وأتيت الى باطية الخمر وقلت في نفسي أشرب قدحا فشربته ثم شربت الثاني والثالث الى تمام عشرة وقد ضربني الهواء فوقعت على الارض كالقتيل ومازلت كذلك حتى طلع النهار فانتبهت فرأيت نفسي خارج البستان وعلى بطني شفرة ماضية ودرهم حديد فارتجفت وأخذتهما وأتيت بهما الى البيت فوجدت ابنة عمي تقول اني في هذا البيت مسكينة حزينة ليس لي معين الا البكاء فلما دخلت وقعت من طولي ورميت السكين والدرهم من يدي وغشي علي فلما أفقت من غشيتي عرفتها بما حصل لي وقلت لها اني لم أنل أربي فاشتد حزنها على لما رأت بكائي ووجدي وقالت لي اني عجزت وأنا أنصحك عن النوم فلم تسمع نصحي فكلامي لا يفيدك شيأ فقلت لها أسألك بالله أن تفسري لي اشارة السكين والدرهم الحديد فقالت أما الدرهم الحديد فانها تشير به الى عينها اليمين وانها تقسم بها وتقول وحق رب العالمين وعيني اليمين ان رجعت ثاني مرة ونمت لأذبحنك بهذه السكين وأنا خائفة عليك يا ابن عمي من مكرها وقلبي ملآن بالحزن عليك فما أقدر أن أتكلم فان كنت تعرف من نفسك أنك ان رجعت اليها لا تنام فارجع اليها واحذر النوم فانك تفوز بحاجتك وان عرفت أنك ان رجعت اليها تنام على عادتك ثم رجعت اليها ونمت ذبحتك فقلت لها وكيف يكون العمل يا بنت عمي أسألك بالله أن تساعديني على هذه البلية فقالت على عيني ورأسي ولكن ان سمعت كلامي وأطعت أمري قضيت حاجتك فقلت لها اني أسمع كلامك وأطيع أمرك فقالت اذا كان وقت الرواح أقول لك ثم ضمتني الى حضنها ووضعتني على الفراش ولازالت تكبسني حتى غلبني النعاس واستغرقت في النوم فأخذت مروحة وجلست عند رأسي تروح على وجهي الى آخر النهار ثم نبهتني فلما انتبهت وجدتها عند رأسي وفي يدها المروحة وهي تبكي ودموعها قد بلت ثيابها فلما رأتني استيقظت مسحت دموعها وجاءت بشيء من الاكل فامتنعت منه فقالت لي أما قلت لك اسمع مني وكل فأكلت ولم أخالفها وصارت تضع الاكل في فمي وأنا أمضغ حتى امتلأت ثم أسقتني نقيع عناب بالسكر ثم غسلت يدي ونشفتها بمحرمة ورشت علي ماء الورد وجلست معها وأنا في عافية فلما أظلم الليل وألبستني ثيابي قالت يا ابن عمي اسهر جميع الليل ولا تنم فانها ما تأتيك في هذه الليلة الا في آخر الليل وان شاء الله تجتمع بها في هذه الليلة ولكن لا تنس وصيتي ثم بكت فأوجعني قلبي عليها من كثرة بكائها وقلت لها ما الوصية التي وعدتيني بها فقالت لي اذا انصرفت من عندها فأنشدها البيت المتقدم ذكره ثم خرجت من عندها وأنا فرحان ومضيت الى البستان وطلعت المقعد وأنا شبعان فجلست وسهرت الى ربع الليل ثم طال الليل علي حتى كأنه سنة فكنت ساهرا حتى مضى ثلاثة أرباع الليل وصاحت الديوك فاشتد عندي الجوع من السهر فقمت الى السفرة وأكلت حتى اكتفيت فثقلت رأسي وأردت أن أنام واذا بضجة على بعد فنهضت وغسلت يدي وفمي ونبهت نفسي فما كان الا قليل واذا بها أتت ومعها عشر جوار وهي بينهن كالبدر بين الكواكب وعليها حلة من الاطلس الاخضر مزركشة بالذهب الاحمر وهي كما قال الشاعر

تتيه على العشاق في حلل خضر * مفككة الازرار محلولة الشعر
فقلت لها ما الاسم قالت أنا التي * كويت قلوب العاشقين على الجمر
شكوت لها ما أقاسي من الهوى * فقالت الى صخر شكوت ولم تدر

فقالت لها ان كان قلبك صخرة * فقد أنبع الله الزلال من الصخر

فلما رأتني ضحكت وقالت كيف انتبهت ولم يغلب عليك النوم وحيث سهرت الليل علمت انك عاشق لان من شيم العشاق سهر الليل في مكابدة الاشواق ثم أقبلت على الجواري وغمزتهن فانصرفن عنها وأقبلت على وضمتني الى صدرها وقبلتني وقبلتها ومصصت شفتها التحتانية ومصت شفتي الفوقانية ثم مددت يدي الى خصرها وغمزته وما نزلنا في الارض الا سواء وحلت سراويلها فنزلت في خلال رجليها وأخذنا في الهراش والتعنيق والغنج والكلام الرقيق والعض وحمل السيقان والطواف بالبيت والاركان الى أن ارتخت مفاصلها وغشي عليها ودخلت في الغيبوبة وكانت تلك الليلة مسرة القلب وقرة الناظر كما قال فيها الشاعر

أهنى ليالي الدهر عندي ليلة * لم أخل فيها الكاس من أعمال

فرقت فيها بين جفني والكرى * وجمعت بين القرط والخلخال

فلما أصبح الصباح أردت الانصراف واذا بها أمسكتني وقالت لي قف حتى أخبرك بشئ * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة التاسعة عشرة بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك فلما أصبح الصباح أردت الانصراف واذا بها أمسكتني وقالت قف حتى أخبرك بشئ وأوصيك وصية فوقفت فحلت منديلا وأخرجت هذه الخرقة ونشرتها قدامي فوجدت فيها صورة غزال على هذا المثال فتعجبت منها غاية العجب فأخذته وتواعدت أنا واياها أن أسعى اليها كل ليلة في ذلك البستان ثم انصرفت من عندها وأنا فرحان ومن فرحي نسيت الشعر الذي أوصتني به بنت عمي وحين أعطتني الخرقة التي فيها صورة الغزال قالت لي هذا عمل أختي فقلت لها وما اسم أختك قالت اسمها نور الهدى فاحتفظ بهذه الخرقة ثم ودعتها وانصرفت وأنا فرحان ومشيت الى أن دخلت على ابنة عمي فوجدتها راقدة فلما رأتني قامت ودموعها تتساقط ثم أقبلت علي وقبلت صدري وقالت هل فعلت ما أوصيتك به من انشاد بيت الشعر فقلت لها اني نسيته وما شغلني عنه الا صورة هذا الغزال ورميت الخرقة قدامها فقامت وقعدت ولم تطق الصبر وأفاضت دمع العين وأنشدت هذين البيتين

يا طالبا للفراق مهلا * ولا يغرنك العناق * مهلا فطبع الزمان غدر * وآخر الصحبة الفراق

فلما فرغت من شعرها قالت يا ابن عمي هب لي هذه الخرقة فوهبتها لها فأخذتها ونشرتها ورأت ما فيها فلما جاء وقت ذهابي قالت ابنة عمي اذهب مصحوبا بالسلامة ولكن اذا انصرفت من عندها فانشدها بيت الشعر الذي أخبرتك به أولا ونسيته فقلت لها أعيديه لي فاعادته ثم مضيت الى البستان ودخلت المقعد فوجدت الصبية في انتظاري فلما رأتني قامت وقبلتني وأجلستني في حجرها ثم أكلنا وشربنا وقضينا أغراضنا كما تقدم ولا حاجة الى الاعادة فلما أصبح الصباح أنشدتها بيت الشعر وهو

ألا أيها العشاق بالله خبروا * اذا اشتد عشق بالفتى كيف يصنع

فلما سمعته هملت عيناها بالدموع وأنشدت تقول

يداري هواه ثم يكتم سره * ويصبر في كل الامور ويخضع

فحفظته وفرحت بقضاء حاجة ابنة عمي ثم خرجت وأتيت الى ابنة عمي فوجدتها راقدة وأمي عند رأسها تبكي على حالها فلما دخلت عليها قالت لي أمي تبا لك من ابن عم كيف تترك بنت عمك على غير استواء ولا تسأل عن مرضها فلما رأتني ابنة عمي رفعت رأسها وقعدت وقالت لي يا عزيز هل أنشدتها البيت الذي أخبرتك به قلت لها نعم فلما سمعته بكت وأنشدتني بيتا آخر وحفظته فقالت بنت عمي أسمعني اياه فلما أسمعتها اياه بكت بكاء شديدا وأنشدت هذا البيت

لقد حاول الصبر الجميل ولم يجد * له غير قلب في الصبابة يجزع

ثم قالت لي ابنة عمي اذا ذهبت اليها على عادتك فأنشدها هذا البيت الذي سمعته فقلت لها سمعا وطاعة ثم ذهبت اليها في البستان على العادة وكان بيننا ما كان مما يقصر عن وصفه اللسان فلما أردت الانصراف أنشدتها ذلك البيت وهو لقد الى آخره فلما سمعته سالت مدامعها في المحاجر وأنشدت قول الشاعر

فان لم يجد صبرا لكتمان سره * فليس له عندي سوى الموت أنفع

فحفظته وتوجهت الى البيت فلما دخلت على ابنة عمي وجدتها ملقاة مغشيا عليها وأمي جالسة عند رأسها فلما سمعت كلامي فتحت عينيها وقالت يا عزيز هل أنشدتها بيت الشعر قلت لها نعم ولما سمعته بكت وأنشدتني هذا البيت فان لم يجد الى آخره فلما سمعته بنت عمي غشي عليها ثانيا فلما أفاقت أنشدت هذا البيت وهو

سمعنا أطعنا ثم متنا فبلغوا * سلامي على من كان للوصل يمنع

ثم لما أقبل الليل مضيت الى البستان على جري عادتي فوجدت الصبية في انتظاري فجلسنا وأكلنا وشربنا وعملنا حظنا ثم نمنا الى الصباح فلما أردت الانصراف أنشدتها ما قالته ابنة عمي فلما سمعت ذلك صرخت صرخة عظيمة وتضجرت وقالت والله ان قائلة هذا الشعر قد ماتت ثم بكت وقالت ويلك ما تقرب لك قائلة هذا الشعر قلت لها انها ابنة عمي قالت كذبت والله لو كانت ابنة عمك لكان عندك لها من المحبة مثل ما عندها لك فأنت الذي قتلتها قتلك الله كما قتلتها والله لو أخبرتني ان لك ابنة عم ما قربتك مني فقلت لها ابنة عمي وكانت تفسر لي الاشارات التي كنت تشيرين بها الي وهي التي علمتني ما أفعل معك وما وصلت اليك الا بحسن تدبيرها فقالت وهل عرفت بنا قلت نعم قالت حسرك الله على شبابك كما حسرتها على شبابها ثم قالت لي رح انظرها فذهبت وخاطري متشوش وما زلت ماشيا حتى وصلت الى زقاقنا فسمعت عياطا فسألت عنه فقيل ان عزيزة وجدناها خلف الباب ميتة ثم دخلت الدار فلما رأتني أمي قالت ان خطيئتها في عنقك فلا سامحك الله من دمها * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الموفية للعشرين بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك ثم دخلت الدار فلما رأتني أمي قالت ان خطيئتها في عنقك فلا سامحك الله من دمها ثم الك من ابن عم ثم ان أبي جاء وجهزناها وشيعنا جنازتها ودفناها وعملنا على قبرها الختمات ومكثنا على القبر ثلاثة أيام ثم رجعت الى البيت وأنا حزين عليها فأقبلت على أمي وقالت لي ان قصدي ان أعرف ما كنت تفعله معها حتى فقعت مرارتها واني يا ولدي كنت أسألها في كل الاوقات عن سبب مرضها فلم تخبرني به ولم تطلعني عليه فبالله عليك أن تخبرني بالذي كنت تصنعه معها حتى ماتت فقلت ما عملت شيأ فقالت الله يقتص لها منك فانها ما ذكرت لي شيأ بل كتمت أمرها حتى ماتت وهي راضية ولما ماتت كنت عندها ففتحت عينيها وقالت لي يا امرأة عمي جعل الله ولدك في حل من دمي ولا آخذه بما فعل معي وانما نقلني الله من الدنيا الفانية الى الآخرة الباقية فقلت لها يا بنتي سلامتك وسلامة شبابك وصرت أسألها عن سبب مرضها فما تكلمت ثم تبسمت وقالت يا امرأة عمي اذا أراد ابنك ان يذهب الى الموضع الذي عادته الذهاب اليه فقولي له يقول هاتين الكلمتين عند انصرافه منه الوفاء مليح والغدر قبيح وهذه شفقة مني عليه لأكون شفيقة عليه في حياتي وبعد مماتي ثم أعطتني لك حاجة وحلفتني اني لا أعطيها لك حتى أراك تبكي عليها وتنوح والحاجة عندي فاذا رأيتك على الصفة التي ذكرتها أعطيتك اياها فقلت لها أريني اياها فما رضيت ثم اني اشتغلت بلذاتي ولم أتذكر في موت ابنة عمي لأني كنت طائش العقل وكنت أود في نفسي ان أكون طول ليلي ونهاري عند محبوبتي وما صدقت أن الليل أقبل حتى مضيت الى البستان فوجدت الصبية جالسة على مقالي النار من كثرة الانتظار فما صدقت انها رأتني فبادرت الي وتعلقت برقبتي وسألتني عن بنت عمي فقلت لها انها ماتت وعملنا لها الذكر والختمات ومضى لها أربع ليال وهذه الخامسة فلما سمعت ذلك صاحت وبكت وقالت أما قلت لك انك قتلتها ولو أعلمتني بها قبل موتها لكنت كافأتها على ما فعلت معي من المعروف فانها خدمتني وأوصلتك الي ولولاها ما اجتمعت بك وأنا خائفة عليك أن تقع في مصيبة بسبب رزيتها فقلت لها انها قد جعلتني في حل قبل موتها ثم ذكرت لها ما أخبرتني به أمي فقالت بالله عليك اذا ذهبت الى أمك فاعرف الحاجة التي عندها فقلت لها ان أمي قالت لي ان ابنة عمك قبل أن تموت أوصتني وقالت لي اذا أراد ابنك أن يذهب الى الموضع الذي عادته الذهاب اليه فقولي له هاتين الكلمتين الوفاء مليح والغدر قبيح فلما سمعت الصبية ذلك قالت رحمة الله تعالى عليها فانها خلصتك مني وقد كنت أضمرت على ضررك فانا لا أضرك ولا أشوش عليك فتعجبت من ذلك وقلت لها

وما كنت تريدين قبل ذلك أن تفعليه بي وقد صار بيني و بينك مودة فقالت أنت مولع بي ولكنك صغير السن وقلبك خال عن الخداع فأنت لا تعرف مكرنا ولا خداعنا ولو كانت في قيد الحياة لكانت معينة لك فانها سبب سلامتك حتى أنجتك من الهلكة والآن أوصيك أن لا تتكلم مع واحدة ولا تخاطب واحدة من أمثالنا لا صغيرة ولا كبيرة فاياك ثم اياك ذلك لأنك غير عارف بخداع النساء ولا مكرهن والتي تفسر لك الاشارات قد ماتت واني أخاف عليك أن تقع في رزية فلا تجد من يخلصك منها بعد موت بنت عمك * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الحادية والعشرون بعد المائة﴾

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك ثم ان الصبية قالت اني أخاف عليك أن تقع في رزية فلا تجد من يخلصك منها بعد موت بنت عمك فواحسرتاه على بنت عمك وليتني علمت بها قبل موتها حتى أكافئها على مافعلت معي من المعروف رحمة الله تعالى عليها فانها كتمت سرها ولم تبح بما عندها ولولاها ما كنت تصل الى أبدا واني أشتهي عليك أمرا فقلت ماهو قالت أن توصلني الى قبرها حتى أزورها في القبر الذي هي فيه وأكتب عليه أبياتا فقلت لها في غد ان شاء الله تعالى ثم اني نمت معها تلك الليلة وهي بعد كل ساعة تقول لي ليتك أخبرتني بابنة عمك قبل موتها فقلت لها مامعنى هذين الكلمتين اللتين قالتهما وهما الوفاء مليح والغدر قبيح فلم تجبني فلما أصبح الصباح قامت وأخذت كيسا فيه دنانير وقالت لي قم وأرني قبرها حتى أزوره وأكتب عليه أبياتا وأعمل عليها قبة وأترحم عليها وأصرف هذه الدنانير صدقة على روحها فقلت لها سمعا وطاعة ثم مشيت قدامها ومشت خلفي وصارت تتصدق وهي ماشية في الطريق وكلما تصدقت صدقة تقول هذه الصدقة عن روح عزيزة التي كتمت سرها حتى شربت كاس مناياها ولم تبح بسر هواها ولم تزل تتصدق من الكيس وتقول على روح عزيزة حتى وصلنا القبر ونفد ما في الكيس فلما عاينت القبر رمت روحها عليه وبكت بكاء شديدا ثم انها أخرجت بيكارا من الفولاذ ومطرقة لطيفة وخطت بالبيكار على الحجر الذي على رأس القبر خطا لطيفا ورسمت هذه الابيات

مررت بقبر دارس وسط روضة * عليه من النعمان سبع شقائق
فقلت لمن ذا القبر جاوبني الثرى * تأدب فهذا القبر برزخ عاشق
فقلت رعاك الله ياميت الهوى * وأسكنك الفردوس أعلى الشواهق
مساكين أهل العشق حتى قبورهم * عليها تراب الذل بين الخلائق
فان أستطع زرعا زرعتك روضة * وأسقيتها من دمعي المتدافق

ثم بكت بكاء شديدا وقامت وقمت معها وتوجهنا الى البستان فقالت لي سألتك بالله أنك لا تنقطع عني أبدا فقلت سمعا وطاعة ثم اني صرت أتردد عليها وكلما بت عندها تحسن الي وتكرمني وتسألني عن الكلمتين اللتين قالتهما ابنة عمي عزيزة لامي فأعيدهما لها ومازلت على هذا الحال من أكل وشرب وضم وعناق وتغيير ثياب من الملابس الرقاق حتى غلظت وسمنت ولم يكن بي هم ولا غم ولا حزن ونسيت ابنة عمي ومكثت مستغرقا في تلك اللذات سنة كاملة وعند رأس السنة دخلت الحمام وأصلحت شاني ولبست بدلة فاخرة ولما خرجت من الحمام شربت قدحا من الشراب وشممت روائح قماشي المضمخ بانواع الطيب وأنا خالي القلب من غدرات الزمان وطوارق الحدثان فلما جاء وقت العشاء اشتاقت نفسي الى الذهاب اليها وأنا سكران لا أدري أين أتوجه فذهبت اليها فمال بي السكر الى زقاق يقال له زقاق النقيب فبينما أنا ماش في ذلك الزقاق واذا بعجوز ماشية وفي احدى يديها شمعة مضيئة وفي يدها الاخرى كتاب ملفوف * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثانية والعشرون بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب الذي اسمه عزيز قال لتاج الملوك فلما دخلت الزقاق الذي يقال له زقاق النقيب مشيت فيه فبينما أنا ماش في ذلك الزقاق واذا بعجوز ماشية وفي احدى يديها شمعة مضيئة وفي يدها الاخرى كتاب ملفوف فتقدمت اليها وهي باكية العين وتنشد هذين البيتين

لله در مبشري لقدومكم * فلقد أتى بلطائف المسموع
لو كان يقنع بالخليع وهبته * قلبا تمزق ساعة التوديع

فلما رأتني قالت لي يا ولدي هل تعرف أن تقرأ فقلت لها نعم يا خالتي العجوز فقالت لي خذ هذا الكتاب واقرأه لي وناولتني الكتاب فأخذته منها وفتحته وقرأته عليها مضمونه انه كتاب من عند الغياب بالسلام على الاحباب فلما سمعته فرحت واستبشرت ودعت لي وقالت لي فرج الله همك كما فرجت همي ثم أخذت الكتاب ومشت خطوتين وغلبني حصر البول فقعدت في مكان لأريق الماء ثم اني قمت وتجمرت وأرخيت أثوابي وأردت أن أمشي واذا بالعجوز قد أقبلت علي وقبلت يدي وقالت يا مولاي الله تعالى يهنيك بشبابك ولا يفضحك أترجاك أن تمشي معي خطوات الى ذلك الباب فاني أخبرتهم بما أسمعتني اياه من قراءة الكتاب فلم يصدقوني فامش معي خطوتين واقرأ لهم الكتاب من خلف الباب واقبل دعائي لك فقلت لها وما قصة هذا الكتاب فقالت لي يا ولدي هذا الكتاب جاء من عند ولدي وهو غائب عني مدة عشر سنين فانه سافر بمتجر ومكث في الغربة تلك المدة فقطعنا الرجاء منه وظننا انه مات ثم وصل الينا منه هذا الكتاب وله أخت تبكي عليه في مدة غيابه آناء الليل وأطراف النهار فقلت لها انه طيب بخير فلم تصدقني وقالت لي لابد أن تأتيني بمن يقرأ هذا الكتاب ويخبرني حتى يطمئن قلبي ويطيب خاطري وأنت تعلم يا ولدي ان المحب مولع بسوء الظن فانعم علي بقراءة هذا الكتاب وأنت واقف خلف الستارة وأخته تسمع من داخل الباب لاجل أن يحصل لك ثواب من قضى لمسلم حاجة ونفس عنه كربة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفس عن مكروب كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب الآخرة وفي حديث آخر من نفس عن أخيه كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه اثنتين وسبعين كربة من كرب يوم القيامة وأنا قصدتك فلا تخيبني فقلت لها سمعا وطاعة تقدمي قدامي فمشت قدامي ومشيت خلفها قليلا حتى وصلت الى باب دار عظيمة وذلك الباب مصفح بالنحاس الاحمر فوقفت خلف الباب وصاحت العجوز بالعجمية فما أشعر الا والصبية قد أقبلت بخفة ونشاط وهي مشمرة اللباس الى ركبتيها فرأيت لها ساقين يحيران الفكر والناظر وهي كما قال في وصفها الشاعر

يا من يشمر عن ساق ليعرضه * على المحبين حتى يفهم الباقي

وطاف يسعى بكاس نحو عاشقه * ما أفتن الناس غير الكاس والساق

وزان ساقيها اللتين كأنهما عمودان من مرمر خلاخل الذهب المرصعة بالجوهر وكانت تلك الصبية مشمرة ثيابها الى تحت ابطها ومشمرة عن ذراعيها فنظرت معاصمها البيض وفي يديها زوجان من الاساور وفي أذنيها قرطان من اللؤلؤ وفي عنقها عقد من ثمين الجوهر وعلى رأسها كوفية دق المطرقة مكللة بالفصوص المثمنة وقد رشقت أطراف قميصها من داخل تكة اللباس وهي كأنها كانت تعمل شغلا فلما رأتني قالت بلسان فصيح عذب ما سمعت أحلى منه يا أمي أهذا الذي جاء يقرأ الكتاب فقالت لها نعم فمدت يدها الي بالكتاب وكان بينها وبين الباب نحو نصف قصبة فمددت يدي لاتناول منها الكتاب وأدخلت رأسي وأكتافي من الباب لاقرب فما أدري الا والعجوز قد وضعت رأسها في ظهري ودفعتني ويدي ماسكة الباب فالتفت فرأيت نفسي في وسط الدار من داخل الدهليز ودخلت العجوز أسرع من البرق الخاطف ولم يكن لها شغل الا قفل الباب * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثالثة والعشرون بعد المائة﴾

قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك فالتفت فرأيت نفسي في وسط الدار من داخل الدهليز ودخلت العجوز أسرع من البرق الخاطف ولم يكن لها شغل الا قفل الباب ثم ان الصبية لما رأتني من داخل الباب بالدهليز أقبلت علي وضمتني الى صدرها ورمتني على الارض وركبت فوق صدري وعصرت بطني بيدها فغبت عن الوجود ثم أخذتني بيدها ولم أقدر أن أتخلص منها من شدة ما ضمتني ثم دخلت بي ودخلت العجوز قدامها والشمعة مضيئة معها حتى قطعت سبع دهاليز وبعد ذلك دخلت بي قاعة كبيرة بأربعة لواوين يلعب فيها الخيال بالأكر ثم أجلستني وقالت لي افتح عينيك ففتحت عيني وأنا دايخ من شدة ما ضمتني وعصرتني فرأيت جميع بناء القاعة من أبهج المرمر وجميع فرشها من الديباج وكذلك المخدات والمراتب وهناك دكتان من النحاس الاصفر وسرير من الذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر لا يصلح الا للملك مثلك ثم قالت لي يا عزيز أي

الحالتين أحب اليك الموت أم الحياة فقلت لها الحياة فقالت اذا كانت الحياة أحب اليك فتزوج بي فقلت أنا أكره أن أتزوج بمثلك فقالت لي ان تزوجت بي تسلم من بنت الدليلة المحتالة فقلت لها ومن الدليلة المحتالة فضحكت وقالت كيف لا تعرفها وأنت لك في صحبتها اليوم سنة وأربعة شهور أهلكها الله تعالى والله ما يوجد أمكر منها وكم قتلت شخصا قبلك وكم عملت عملة وكيف سلمت منها ولم تقتلك أو تشوش عليك ولك في صحبتها هذه المدة فلما سمعت كلامها تعجبت غاية العجب فقلت لها يا سيدتي ومن عرفك بها فقالت أنا أعرفها مثل ما يعرف الزمان مصائبه لكن قصدي أن تحكي لي جميع ما وقع لك منها حتى أعرف ما سبب سلامتك منها فحكيت لها جميع ما جرى لي معها ومع ابنة عمي عزيزة فترحمت عليها ودمعت عيناها ودقت يدا على يد لما سمعت بموت ابنة عمي عزيزة وقالت عوضك الله فيها خيرا يا عزيز فانها هي سبب سلامتك من بنت الدليلة المحتالة ولولا هي لكنت هلكت وأنا خائفة عليك من مكرها وشرها ولكن ما أقدر أن أتكلم فقلت لها والله ان ذلك كله قد حصل فهزت رأسها وقالت لا يوجد اليوم مثل عزيزة فقلت وعند موتها أوصتني أن أقول هاتين الكلمتين لا غير وهما الوفاء مليح والغدر قبيح فلما سمعت ذلك مني قالت لي يا عزيز والله ان هاتين الكلمتين هما اللتان خلصتاك منها وبسببهما ما قتلتك فقد خلصتك بنت عمك حية وميتة والله اني كنت أتمنى الاجتماع بك ولو يوما واحدا فلم أقدر على ذلك الا في هذا الوقت حتى تحيلت عليك بهذه الحيلة وقد تمت وأنت الآن صغير لا تعرف مكر النساء ولا دواهي العجائز فقلت لا والله فقالت لي طب نفسا وقر عينا فان الميت مرحوم والحي ملطوف وأنت شاب مليح وأنا ما أريدك الا بسنة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ومهما أردت من مال وقماش يحضر لك سريعا ولا أكلفك بشيء أبدا وأيضا عندي دائما الخبز مخبوز والماء في الكوز وما أريد منك الا أن تعمل معي كما يعمل الديك فقلت لها وما الذي يعمله الديك فضحكت وصفقت بيدها ووقعت على قفاها من شدة الضحك ثم انها قعدت وقالت لي أما تعرف صنعة الديك فقلت لها والله ما أعرف صنعة الديك قالت صنعة الديك أن تأكل وتشرب وتنيك فخجلت أنا من كلامها ثم اني قلت أهذه صنعة الديك قالت نعم وما أريدك الآن الا أن تشد وسطك وتقوي عزمك وتنيك جهدك ثم انها صفقت بيدها وقالت يا أمي أحضري من عندك واذا بالعجوز قد أقبلت بأربعة شهود عدول ثم انها أوقدت أربع شمعات فلما دخل الشهود سلموا علي وجلسوا فقامت الصبية وأرخت عليها الازار ووكلت بعضهم في ولاية عقدها وقد كتبوا الكتاب وأشهدت على نفسها انها قبضت جميع المهر مقدما ومؤخرا وان في ذمتها الى عشرة آلاف درهم * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الرابعة والعشرون بعد المائة) * قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك وأشهدت على نفسها انها قبضت جميع المهر مقدما ومؤخرا وان في ذمتها الى عشرة آلاف درهم ثم انها أعطت الشهود أجرتهم وانصرفوا من حيث أتوا فعند ذلك قامت الصبية وقلعت أثوابها وأتت في قميص رفيع مطرز بطراز من الذهب وقلعت لباسها وأخذت بيدي وطلعت بي فوق السرير وقالت لي ما في الحلال من عيب ووقعت على السرير وانسطحت على ظهرها ورمتني على ظهرها ثم شهقت شهقة واتبعت الشهقة بغنجة ثم كشفت الثوب حتى جعلته فوق نهودها فلما رأيتها على تلك الحالة لم أتمالك نفسي دون أن أولجته فيها بعد ان مصصت شفتها وهي تتأوه وتظهر الخشوع والخضوع والبكاء بالدموع وأذكرتني في هذا الحال قول من قال

ولما كشفت الثوب عن سطح كسها * وجدت به ضيقا كخلقي وأرزاقي

فأولجت فيه النصف فتنهدت * فقلت لماذا فقالت على الباقي

ثم قالت يا حبيبي اعمل خلاصك فأنا جاريتك خذه هاته كله بحياتي عندك هاته حتى أدخله بيدي وأريح به فؤادي ولم تزل تسمعني الغنج والشهيق في خلال البوس والتعنيق حتى صار صياحنا في الطريق وحظينا بالسعادة والتوفيق ثم نمنا الى الصباح وأردت أن أخرج واذا هي أقبلت علي ضاحكة وقالت هل تحسب أن دخول الحمام مثل خروجه وما أظن الا انك تحسبني مثل بنت الدليلة المحتالة اياك وهذا الظن فما أنت الا زوجي بالكتاب والسنة وان كنت سكران فأفق لعقلك ان هذه الدار التي أنت فيها ما تفتح الا في كل سنة يوما فقم الى الباب الكبير

وانظره فقمت الى الباب الكبير فوجدته مغلقا فسمرته فدخلت وأعلمتها أنه مغلق مسمر فقالت لي يا عزيز ان عندنا من الدقيق والحبوب والفواكه والرمان والسكر واللحم والغنم والدجاج وغير ذلك ما يكفينا أعواما عديدة ولا تفتح باب من هذه الليلة الا بعد سنة وأنا أعلم انك ما بقيت ترى روحك خارجا عن هذه الدار الا بعد سنة فقلت لا حول ولا قوة الا بالله فقالت وأي شيء يضرك وأنت تعرف صنعة الدبك التي أخبرتك بها ثم ضحكت فضحكت أنا وطاوعتها فيما قالت ومكثت عندها وأنا أعمل صنعة الديك آكل وأشرب وأنيك حتى مر علينا عام اثنا عشر شهرا فلما كملت السنة حملت مني ورزقت منها ولدا وعند رأس السنة سمعت فتح الباب واذا بالرجال دخلوا بكعك ودقيق وسكر فأردت ان أخرج فقالت اصبر الى وقت العشاء ومثل ما دخلت فاخرج فصبرت الى وقت العشاء وأردت أن أخرج وأنا خائف مرجوف واذا هي قالت والله ما أدعك تخرج حتى أحلفك انك تعود في هذه الليلة قبل ان يغلق الباب فاجبتها الى ذلك وحلفتني بالايمان الوثيقة على السيف والمصحف والطلاق اني أعود اليها ثم خرجت من عندها ومضيت الى البستان فوجدته مفتوحا كعادته فاغتظت وقلت في نفسي اني غائب عن هذا المكان سنة كاملة وجئت على غفلة فوجدته يا ترى هل الصبية باقية على حالها أولا فلا بد أن أدخل وأنظر قبل أن أروح الى أمي وأنا في وقت العشاء ثم دخلت البستان* وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الخامسة والعشرون بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن عزيزا قال لتاج الملوك ثم دخلت البستان ومشيت حتى أتيت الى المقعد فوجدت بنت الدليلة المحتالة جالسة ورأسها على ركبتيها ويدها على خدها وقد تغير لونها وغارت عيناها فلما رأتني قالت الحمد لله على السلامة وهمت أن تقوم فوقعت من فرحتها فاستحييت منها وطأطأت رأسي ثم تقدمت اليها وقبلتها وقلت لها كيف عرفت اني أجيء اليك في هذه الساعة قالت لا علم لي بذلك والله ان لي سنة لم أذق فيها نوما بل أسهر كل ليلة في انتظارك وأنا على هذه الحالة من يوم خرجت من عندي وأعطيتك البدلة القماش الجديدة ووعدتني انك تجيء الي وقد انتظرتك فما أتيت لا أول ليلة ولا ثاني ليلة ولا ثالث ليلة فاستمريت منتظرة لمجيئك والعاشق هكذا يكون وأريد أن تحكي لي ما سبب غيابك عني هذه السنة فحكيت لها فلما علمت اني تزوجت اصفر لونها ثم قلت لها اني أتيتك هذه الليلة وأروح قبل الصباح فقالت أما كفاها أنها تزوجت بك وعملت عليك الحيلة وحبستك عندها سنة كاملة حتى حلفتك بالطلاق أن تعود اليها قبل الصباح ولم تسمح لك بان تتفسح عند أمك ولا عندي ولم يهن عليها أن تبيت عند أحد نا ليلة واحدة فكيف حال من غبت عنها سنة كاملة وقد عرفتك قبلها ولكن رحم الله عزيزة فانها جرى لها ما لم يجر لاحد وصبرت على شيء لم يصبر عليه مثلها وماتت مقهورة منك وهي التي حمتك مني وكنت أظنك تحبني فأطلقت سبيلك مع اني كنت أقدر على حبسك وعلى هلاكك ثم بكت واغتاظت ونظرت الي بعين الغضب فلما رأيتها على تلك الحالة ارتعدت فرائصي وخفت منها وصرت مثل الفولة على النار ثم قالت لي ما بقي فيك فائدة بعد ما تزوجت وصار لك ولد فأنت لا تصلح لعشرتي لانه لا ينفعني الا الاعزب وأما الرجل المتزوج فانه لا ينفعني وقد بعتني بتلك العاهرة والله لأحسرنها عليك وتصير لا لي ولا لها ثم صاحت فما أدري الا وعشرة جوار أتين ورمينني على الارض فلما وقعت تحت أيديهن قامت هي وأخذت سكينا وقالت لأذبحنك ذبح التيوس ويكون هذا أقل جزائك على ما فعلت مع ابنة عمك فلما نظرت الى روحي وأنا تحت جواريها وتعفر خدي بالتراب ورأيت السكين في يدها تحققت الموت* وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السادسة والعشرون بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان ثم ان الشاب عزيزا قال لتاج الملوك فلما رأيت روحي تحت جواريها وتعفر خدي في التراب ورأيت السكين في يدها تحققت الموت فاستغثت بها فلم تزدد الا قسوة وأمرتهن أن يكتفنني فكتفنني ورمينني على ظهري وجلسن على بطني وأمسكن رأسي وقامت جاريتان فأمسكتا أصابع رجلي وجاريتان جالستان على أقصاب رجلي وبعد ذلك قامت هي ومعها جاريتان فأمرتهما أن يضربا بي فضرباني حتى أغمي علي وخفي

عونى فلما استفقت قلت فى نفسى ان موتى مذبوحا أهون على من هذا الضرب وتذكرت كلام ابنة عمى حيث قالت كفاك الله شرها فصرخت وبكيت حتى انقطع صوتى ثم سنت السكين وقالت للجوارى اكشفن عنه فألهمنى الله ان أقول الكلمتين اللتين أوصتنى بهما ابنة عمى وهما الوفاء مليح والغدر قبيح فلما سمعت ذلك صاحت وقالت يرحمك الله يا عزيزة سلامة شبابك نفعت ابن عمك فى حياتك وبعد موتك ثم قالت لى والله انك خلصت من يدى بواسطة هاتين الكلمتين لكن لابد أن أعمل فيك أثرا لاجل نكاية تلك العاهرة التى حجبتك عنى ثم صاحت على الجوارى وقالت لهن اركبن عليه وأمرتهن أن يربطن رجلى بالحبال ففعلن ذلك ثم قامت من عندى وركبت طاجنا من نحاس على النار وصبت فيه شيرجا وقلت فيه جبنا وأنا غائب عن الدنيا ثم جاءت عندى وحلت لباسى وربطت محاشمى بحبل وناولته الجاريتين وقالت لهما جرا الحبل فجرتاه فصرت من شدة الالم فى دنيا غير هذه الدنيا ثم رفعت يدها وقطعت ذكرى بموسى وبقيت مثل المرأة ثم كوت موضع القطع وكبسته بذرور وأنا مغمى على فلما أفقت كان الدم قد انقطع فاسقتنى قدحا من الشراب ثم قالت لى روح الآن لمن تزوجت بها وبخلت على بليلة واحدة رحم الله ابنة عمك التى هى سبب نجاتك ولولا أنك أسمعتنى كلمتيها لكنت ذبحتك فاذهب فى هذه الساعة لمن تشتهى وأنا ما كان لى عندك سوى ما قطعته والآن ما بقى لى فيك رغبة ولا حاجة لى بك فقم والمس على رأسك وترحم على ابنة عمك ثم رفستنى برجلها فقمت وما قدرت أن أمشى فتمشيت قليلا قليلا حتى وصلت الى الباب فوجدته مفتوحا فرميت نفسى فيه وأنا غائب عن الوجود واذا بزوجتى خرجت وحملتنى وأدخلتنى القاعة فوجدتنى مثل المرأة فنمت واستغرقت فى النوم فلما صحوت وجدت نفسى مرميا على باب البستان * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة السابعة والعشرون بعد المائة) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال للملك ضوء المكان ثم ان الشاب عزيزا قال لتاج الملوك فلما صحوت وجدت نفسى مرميا على باب البستان فقمت وأنا أتضجر وتمشيت حتى أتيت الى منزلى فدخلت فيه فوجدت أمى تبكى على وتقول يا هل ترى يا ولدى أنت فى أى أرض فدنوت منها ورميت نفسى عليها فلما نظرت الى ورأتنى وجدتنى على غير استواء وصار على وجهى الاصفرار والسواد ثم تذكرت ابنة عمى وما فعلت معى من المعروف وتحققت أنها كانت تحبنى فبكيت عليها وبكت أمى ثم قالت لى يا ولدى ان والدك قد مات فازددت غيظا وبكيت حتى أغمى على فلما أفقت نظرت الى موضع ابنة عمى التى كانت تقعد فيه فبكيت ثانيا حتى أغمى على من شدة البكاء وما زلت فى بكاء ونحيب الى نصف الليل فقالت لى أمى ان لوالدك عشرة أيام وهو ميت فقلت لها أنا لا أفكر فى أحد أبدا غير ابنة عمى لانى أستحق ما حصل لى حيث هملتها وهى تحبنى فقالت وما حصل لك فحكيت لها ما حصل لى فبكت ساعة ثم قامت وأحضرت لى شيأ من المأكول فأكلت قليلا وشربت وأعدت لها قصتى وأخبرتها بجميع ما وقع لى فقالت الحمد لله حيث جرى لك هذا وما ذبحتك ثم انها عالجتنى وداوتنى حتى برئت وتكاملت عافيتى فقالت لى يا ولدى الآن أخرج لك الوديعة التى أودعتها ابنة عمك عندى فانها لك وقد حلفتنى أنى لا أخرجها لك حتى أراك تتذكرها وتحزن عليها وتقطع علائقك من غيرها والآن رجوت فيك هذه الخصال ثم قامت وفتحت صندوقا وأخرجت منه هذه الخرقة التى فيها صورة هذا الغزال وهى التى وهبتها لها أولا فلما أخذتها وجدت مكتوبا فيها هذه الابيات

أقمتم عيونى فى الهوى وقعدتم * وأسهرتم جفنى القريح ونمتم * وقد حلتم بين الفؤاد وناظرى
فلا القلب يسلوكم ولو ذاب منكم * وعاهدتمونى أنكم كاتموا الهوى * فأغرا كم الواشى وقال وقلتم
فبالله اخوانى اذا مت فاكتبوا * على لوح قبرى ان هذا متيم

فلما قرأت هذه الابيات بكيت بكاء شديدا ولطمت وجهى وفتحت الرقعة فوقعت منها ورقة أخرى ففتحتها فاذا مكتوب فيها اعلم يا ابن عمى انى جعلتك فى حل من دمى وأرجو الله أن يوفق بينك وبين من تحب لكن اذا أصابك

شئ من الدليلة المحتالة فلا ترجع اليها ولا تعاشرها وبعد ذلك فاصبر على بليتك ولولا أجلك المحتم لهلكت من الزمان الماضي ولكن الحمد لله الذي جعل يومي قبل يومك وسلامي عليك واحتفظ على هذه الخرقة التي فيها صورة الغزال ولا تفرط فيها فان تلك الصورة كانت تؤانسني اذا غبت عني * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثامنة والعشرون بعد المائة﴾

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال للملك ضوء المكان ثم ان الشاب عزيزا قال لتاج الملوك ان ابنة عمي قالت لي واحتفظ على هذه الخرقة التي فيها صورة الغزال ولا تفرط فيها أبدا فان تلك الصورة كانت تؤانسني اذا غبت عني وبالله عليك ان قدرت على من صورت هذه الصورة ينبغي انك تتباعد عنها ولا تخلها تقرب منك ولا تتزوج بها وان لم تقدر عليها ولا تجد لك اليها سبيلا فلا تقرب واحدة من النساء بعدها واعلم أن التي صورت هذه الصورة تصور في كل سنة صورة مثلها وترسلها الى أقصى البلاد لاجل أن يشيع خبرها وحسن صنعتها التي يعجز عنها أهل الارض وأما محبوبتك الدليلة المحتالة فانها لما وصلت اليها هذه الخرقة التي فيها صورة الغزال صارت تريها للناس وتقول لهم ان لي أختا تصنع هذا مع أنها كاذبة في قولها هتك الله سترها وما أوصيتك بهذه الوصية الا انني أعلم ان الدنيا قد تضيق عليك بعد موتي وربما تتغرب بسبب ذلك وتطوف في البلاد وتسمع بصاحبة هذه الصورة فتتشوق نفسك الى معرفتها واعلم أن الصبية التي صورت هذه الصورة بنت ملك جزائر الكافور فلما قرأت تلك الورقة وفهمت ما فيها بكيت وبكت أمي لبكائي ولا زلت أنظر اليها وأبكي الى أن أقبل الليل ولم أزل على تلك الحالة مدة سنة وبعد السنة تجهز تجار من مدينتي الى السفر وهم هؤلاء الذين أنا معهم في القافلة فأشارت على أمي أن أتجهز وأسافر معهم وقالت لي لعل السفر يذهب ما بك من هذا الحزن وتغيب سنة أو سنتين أو ثلاثا حتى تعود القافلة فلعل صدرك ينشرح ولا زالت تلاطفني بالكلام حتى جهزت متجرا وسافرت معهم وأنا لم تنشف لي دمعة مدة سفري وفي كل منزلة ننزل بها أنشر هذه الخرقة قدامي وانظر الى هذه الصورة فأتذكر ابنة عمي وأبكي عليها كما تراني فانها كانت تحبني محبة زائدة وقد ماتت مقهورة مني وما فعلت معها الا الضرر مع انها لم تفعل معي الا الخير ومتى رجعت التجار من سفرهم أرجع معهم وتكمل مدة غيابي سنة وأنا في حزن زائد وما زاد همي وحزني الا انني جزت على جزائر الكافور وقلعة البلور وهي سبع جزائر والحاكم عليهم ملك يقال له شهرمان وله بنت يقال لها دنيا فقيل لي انها هي التي تصور صورة الغزلان وهذه الصورة التي معك من جملة تصويرها فلما علمت ذلك زادت بي الاشواق وغرقت في بحر الفكر والاحتراق فبكيت على روحي لاني بقيت مثل المرأة ولم تبق لي آلة مثل الرجال ولا حيلة لي ومن يوم فراقي لجزائر الكافور وأنا باكي العين حزين القلب ولي مدة على هذا الحال وما أدري هل يمكنني ان أرجع الى بلدي وأموت عند والدتي أولا وقد شبعت من الدنيا ثم بكى وأن واشتكى ونظر الى صورة الغزال وجرى دمعه على خده وسال وأنشد هذين البيتين

وقائل قال لي لابد من فرج * فقلت للغيظ كم لابد من فرج

فقال لي بعد حين قلت يا عجبي * من يضمن العمر لي يا بارد الحجج

وهذه حكايتي أيها الملك فلما سمع تاج الملوك قصة الشاب تعجب غاية العجب وانطلقت في فؤاده النيران حين سمع بجمال السيدة دنيا * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال لضوء المكان فلما سمع تاج الملوك قصة الشاب تعجب غاية العجب وانطلقت في فؤاده النيران لما سمع بجمال السيدة دنيا وعرف انها هي التي صورت صورة الغزال وزاد به الوجد والبلبال فقال للشاب والله لقد جرى لك شئ ما جرى لاحد غيرك مثله ولكن هذا تقدير ربك وقصدي أن أسألك عن شئ فقال عزيز وما هو فقال تصف لي كيف رأيت تلك الصبية التي صورت صورة الغزال فقال يا مولاي اني توصلت اليها بحيلة وهو اني لما دخلت مع القافلة الى بلادها كنت أخرج وأدور في البساتين وهي كثيرة الاشجار وحارس البساتين شيخ طاعن في السن فقلت له يا شيخ لمن هذا البستان فقال لي لابنة الملك السيدة دنيا ونحن تحت قصرها فاذا أردت أن

تتفرج فافتح باب السر وتفرج فى البستان فتشم رائحة الازهار فقلت له أنعم على بأن أقعد فى هذا البستان حتى تمر امامى ان أحظى منها بنظرة فقال الشيخ لا بأس بذلك فلما قال ذلك أعطيته بعض دراهم وقلت له اشتر لنا شيأ نأكله ففرح بأخذ الدراهم وفتح الباب وأدخلنى معه وسرنا ومازلنا سائرين الى أن وصلنا الى مكان لطيف وأحضر لى شيأ من الفواكه اللطيفة وقال لى اجلس هنا حتى أذهب وأعود اليك وتركنى ومضى فغاب ساعة ثم رجع ومعه خروف مشوى فأكلنا حتى اكتفينا وقلبى مشتاق الى رؤية الصبية فبينما نحن جالسون واذا بالباب قد انفتح فقال لى قم اختف فقمت واختفيت واذا بطواشى أسود أخرج رأسه من الباب وقال يا شيخ هل عندك أحد فقال لا فقال له أغلق الباب فأغلق الشيخ باب البستان واذا بالسيدة دنيا طلعت من الباب فلما رأيتها ظننت أن القمر نزل فى الارض فاندهش عقلى وصرت مشتاقا اليها كاشتياق الظمآن الى الماء وبعد ساعة أغلقت الباب ومضت فعند ذلك خرجت أنا من البستان وقصدت منزلى وعرفت انى لا أصل اليها ولا أنا من رجالها خصوصا وقد صرت مثل المرأة فقلت فى نفسى انّ هذه ابنة ملك وأنا رجل تاجر فمن أين لى أن أصل اليها فلما تجهز أصحابى للرحيل تجهزت أنا وسافرت معهم وهم قاصدون هذه المدينة فلما وصلنا الى هذا الطريق اجتمعنا بك وهذه حكايتى وماجرى لى والسلام فلما سمع تاج الملوك ذلك الكلام اشتغل قلبه بحب السيدة دنيا ثم ركب جواده وأخذ معه عزيزا وتوجه به الى مدينة أبيه وأفرد له دارا ووضع له فيها كل مايحتاج اليه ثم تركه ومضى الى قصره ودموعه جارية على خدوده لان السماع يحل محل النظر والاجتماع ومازال تاج الملوك على تلك الحالة حتى دخل عليه أبوه فوجده متغير اللون فعلم أنه مهموم ومغموم فقال له ياولدى أخبرنى عن حالك وماجرى لك حتى تغير لونك فأخبره بجميع ماجرى له من قصة دنيا من أولها الى آخرها وكيف عشقها على السماع ولم ينظرها بالعين فقال ياولدى ان أباها ملك وبلاده بعيدة عنا فدع عنك هذا وادخل قصر أمك *وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الموفية للثلاثين بعد المائة)

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال لضوء المكان ان والد تاج الملوك قال له ياولدى ان أباها ملك وبلاده بعيدة عنا فدع عنك هذا وادخل قصر أمك فان فيه خمسمائة جارية كالاقمار فمن أعجبتك منهن فخذها وان لم تعجبك جارية منهن نخطب بنتا من بنات الملوك تكون أحسن من السيدة دنيا فقال له ياوالدى لا أريد غيرها وهى التى صورت صورة الغزال التى رأيتها فلا بدّ منها والا أهيج فى البرارى وأقتل روحى بسببها فقال له أبوه ياولدى امهل على حتى أرسل الى أبيها وأخطبها منه وأبلغك المرام مثل مافعلت لنفسى مع أمك وان لم يرض زلزلت عليه مملكته وجردت عليه جيشا يكون آخره عندى وأوله عنده ثم دعا بالشاب عزيز وقال له ياولدى هل أنت تعرف الطريق قال نعم قال له اشتهى منك أن تسافر مع وزيرى فقال له عزيز سمعا وطاعة ياملك الزمان ثم احضر وزيره وقال له دبر لى أمر ولدى كما تعرف واذهب الى جزائر الكافور واخطب بنت ملكها فاجابه الوزير بالسمع والطاعة ثم عاد تاج الملوك الى منزله وقد زادت به الامراض والحسرات وحين جن عليه الليل أنشد هذه الابيات

جن الظلام ودمعى زائد المدد * والوجد من شدة النيران فى كبدى

سلوا الليالى عنى وهى تخبركم * ان كان برقى لقلبى فى الهوى كمدى

أبيت أرعى نجوم الليل فى سهر * والدمع منهمل فى الخد كالبرد

وقد بقيت وحيدا ليس لى أحد * كمثل صب بلا أهل ولا ولد

فلما فرغ من شعره وقع مغشيا عليه ولم يفق الا وقت الصباح فلما أصبح الصباح جاء اليه أبوه فرآه قد تغير لونه وزاد اصفراره فصبره ووعده بجمع شمله ثم جهز عزيزا مع وزيره وأعطاهم الهدايا فسافروا أياما وليالى الى أن أشرفوا على جزائر الكافور فاقاموا على شاطئ نهر وأنفذ الوزير رسولا من عنده الى الملك ليخبره بقدومهم وبعد ذهاب الرسول بنصف يوم لم يشعروا الا وحجاب الملك وأمراؤه قد أقبلوا عليهم ولاقوهم من مسيرة فرسخ فتلقوهم وساروا فى خدمتهم الى أن دخلوا بهم على الملك فقدموا له الهدايا وأقاموا عنده أربعة أيام وفى اليوم الخامس قام الوزير ودخل على الملك ووقف بين يديه وحدثه بحديثه وأخبره بسبب مجيئه فصار الملك متحيرا فى رد الجواب لان ابنته لاتحب الزواج وأطرق برأسه الى الارض ساعة ثم رفع رأسه الى بعض الخدام وقال له

اذهب الى السيدة تلك دنيا واخبرها بما سمعت وبما جاء به هذا الوزير فقام الخادم وغاب ساعة ثم عاد الى الملك وقال له يا ملك الزمان انى لما دخلت على السيدة دنيا أخبرتها بما سمعت فغضبت غضبا شديدا ونهضت على بمسوقة وأرادت كسر رأسى ففررت منها هاربا وقالت لى ان كان أبى يغصبنى على الزواج فالذى أتزوج به أقتله فقال أبوها للوزير وعزيز سلما على الملك وأخبراه بذلك وان ابنتى لاتحب الزواج * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الحادية والثلاثون بعد المائة﴾

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الملك شهرمان قال للوزير وعزيز سلما على الملك وأخبراه بما سمعتماه من أن ابنتى لاتحب الزواج فرجع الوزير ومن معه من غير فائدة ومازالوا مسافرين الى أن دخلوا على الملك وأخبروه فعند ذلك أمر النقباء أن ينبهوا العسكر الى السفر من أجل الحرب والجهاد فقال له الوزير لاتفعل ذلك فان الملك لاذنب له وانما الامتناع من ابنته فانها حين علمت بذلك أرسلت تقول ان غصبنى أبى على الزواج أقتل من أتزوج به وأقتل نفسى بعده فلما سمع الملك كلام الوزير خاف على ولده تاج الملوك وقال ان حاربت أباها وظفرت بابنته قتلت نفسها ثم ان الملك أعلم ابنه تاج الملوك بحقيقة الامر فلما علم بذلك قال لابيه يا والدى أنا لا أطيق الصبر عنها فانا أروح اليها وأتسبب فى اتصالى بها ولو أموت ولا أفعل غير هذا فقال له أبوه وكيف تروح اليها فقال أروح فى صفة تاجر فقال الملك ان كان ولابد فخذ معك الوزير وعزيزا ثم انه أخرج شيأ من خزائنه وهيأ له متجرا بمائة ألف دينار واتفقا معه على ذلك فلما جاء الليل ذهب تاج الملوك وعزيز الى منزل الوزير وباتا هناك تلك الليلة وصار تاج الملوك مسلوب الفؤاد ولم يطب له أكل ولا رقاد بل هجمت عليه الافكار وغرق منها فى بحار وهزه الشوق الى محبوبته فأفاض دمع العين وأنشد هذين البيتين

ترى هل لنا بعد البعاد وصول * فأشكو اليكم صبوتى وأقول
تذكرتكم والليل ناء صباحه * وأسهرتمونى والانام غفول

فلما فرغ من شعره بكى بكاء شديدا وبكى معه عزيز وتذكر ابنة عمه ولازالا يبكيان الى أن أصبح الصباح ثم قام تاج الملوك ودخل على والدته وهو لابس أهبة السفر فسألته عن حاله فأخبرها بحقيقة الامر فأعطته خمسين ألف دينار ثم ودعته وخرج من عندها ودعت له بالسلامة والاجتماع بالاحباب ثم دخل على والده واستأذنه أن يرحل فأذن له وأعطاه خمسين ألف دينار وأمر أن تضرب له خيمة عظيمة وأقاموا فيها يومين ثم سافروا واستأنس تاج الملوك بعزيز وقال له يا أخى أنا ما بقيت أطيق أن أفارقك فقال عزيز وأنا الآخر كذلك وأحب أن أموت تحت رجليك ولكن يا أخى قلبى اشتغل بوالدتى فقال له تاج الملوك لما نبلغ المرام لا يكون الا الخير وكان الوزير قد وصى تاج الملوك بالاصطبار وصار عزيز ينشد له الاشعار ويحدثه بالتواريخ والاخبار ولم يزالوا سائرين بالليل والنهار مدة شهرين فطالت الطريق على تاج الملوك واشتد عليه الغرام وزاد به الوجد والهيام فلما قربوا من المدينة فرح تاج الملوك غاية الفرح وزال عنه الهم والترح ثم دخلوها وهم فى هيئة التجار وابن الملك فى زى تاجر ثم أتوا الى مكان يعرف بمنزل التجار وهو خان عظيم فقال تاج الملوك لعزيز أهذا منزل التجار قال عزيز نعم ولكنه غير الخان الذى كنت نزلت فيه أنا والقافلة التى كنت معها الا أنه أحسن منه فأناخوا فيه مطاياهم وحطوا رحالهم وخزنوا أمتعتهم فى المخازن وأقاموا للراحة أربعة أيام ثم ان الوزير أشار عليهم أن يكتروا لهم دارا كبيرة فأجابوه واكتروا له دارا متسعة معدة للافراح فنزلوا فيها وأقام الوزير وعزيز يدبران فى حيلة من أجل تاج الملوك وصار تاج الملوك متحير الايدى ماذا يفعل ولم يجد له حيلة غير انه يفتح له دكانا للتجارة فى سوق البز ثم ان الوزير أقبل على تاج الملوك وعزيز وقال لهما اعلما انه ان كان مقامنا على هذه الحالة فاننا لانبلغ مرادنا ولانحصل مطلوبنا وخطر ببالى شئ ولعل فيه الصلاح ان شاء الله فقال له تاج الملوك وعزيز افعل مابدالك فان المشايخ فيهم البركة لاسيما وأنت قد مارست الامور فأشر علينا بما خطر ببالك فقال لتاج الملوك الرأى انك تكترى لك دكانا فى سوق البز وتقعد فيها للبيع والشراء لان كل واحد من الخاص والعام يحتاج الى البز واذا قعدت فى تلك الدكان ينصلح أمرك ان شاء الله تعالى

خصوصا وصورتك جميلة ولكن اجعل عزيزا أمينا عندك واجعله فى داخل الدكان ليناولك الاقمشة فلما سمع تاج الملوك ذلك الكلام قال ان هذا رأى سديد فعند ذلك أخرج تاج الملوك بدلة تجارية ولبسها وقام يمشى وغلمانه خلفه وأعطى لاحدهم ألف دينار معه ليقضى بها مصالح الدكان وما زالوا سائرين الى ان وصلوا الى سوق البز فلما رأت التجار تاج الملوك وشاهدوا حسنه وجماله تحيرت عقولهم وصاروا يقولون هل رضوان فتح أبواب الجنان وسها عنها فخرج هذا الشاب البديع الحسن وبعضهم يقولون لعل هذا من الملائكة فلما دخلوا عند التجار سألوا عن دكان شيخ السوق فدلوهم عليه فتوجهوا اليه فلما قربوا منه قام اليهم هو ومن عنده من التجار وعظموهم خصوصا الوزير الاجل فانهم رأوه رجلا كبيرا مهابا ومعه تاج الملوك وعزيز فقال التجار لبعضهم لا شك أن هذا الشيخ والد هذين الغلامين فقال الوزير من شيخ السوق فيكم فقالوا ها هو فنظر اليه الوزير وتأمله فرآه رجلا كبيرا صاحب هيبة ووقار وخدم وغلمان ثم ان شيخ السوق حياهم تحية الاحباب وبالغ فى اكرامهم وأجلسهم جنبه وقال لهم هل لكم حاجة نفوز بقضائها فقال الوزير نعم انى رجل كبير طاعن فى السن ومعى هذان الغلامان وسافرت بهما سائر الاقاليم والبلاد وما دخلت بلدة الا أقمت بها سنة كاملة حتى يتفرجا عليها ويعرفا أهلها وانى قد أتيت بلدكم هذه واخترت المقام فيها واشتهى منك دكانا تكون من أحسن المواضع حتى أجلسهما فيها ليتاجرا ويتفرجا على هذه المدينة ويتخلقا باخلاق أهلها ويتعلما البيع والشراء والاخذ والعطاء فقال شيخ السوق لا بأس بذلك ثم نظر الى الولدين وفرح بهما وأحبهما حبا زائدا وكان شيخ السوق مغرما بفاتك اللحظات ويغلب حب البنين على البنات ويميل الى الحموضة فقال فى نفسه سبحان خالقهما ومصورهما من ماء مهين ثم قام واقفا فى خدمتهما كالغلام بين ايديهما وبعد ذلك سعى وهيأ لهما الدكان وكانت فى وسط السوق ولم يكن أكبر منها ولا أوجه منها عندهم لانها كانت متسعة مزخرفة فيها رفوف من عاج وآبنوس ثم سلم المفاتيح للوزير وهو فى صفة تاجر وقال جعلها الله مباركة على ولديك فلما أخذ الوزير مفاتيح الدكان توجه اليها هو والغلمان ووضعوا فيها أمتعتهم وأمروا غلمانهم أن ينقلوا اليها جميع ما عندهم من البضائع والقماش * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿ فلما كانت الليلة الثانية والثلاثون بعد المائة ﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير لما أخذ مفاتيح الدكان توجه اليها هو والغلمان ووضعوا فيها أمتعتهم وأمروا غلمانهم أن ينقلوا اليها جميع ما عندهم من البضائع والقماش والتحف وكان ذلك شيأ يساوى خزائن مال فنقلوا جميع ذلك الى الدكان وباتوا تلك الليلة فلما أصبح الصباح أخذهما الوزير ودخل بهما الحمام فلما دخلوا الحمام تنظفوا وأخذوا غاية حظهم وكان كل من الغلامين ذا جمال باهر فصارا فى الحمام على حد قول الشاعر

بشرى لقيمه اذ لامست يده * جسما تولد بين الماء والنور
ما زال يظهر لطفا من صناعته * حتى جنى المسك من تمثال كافور

ثم خرجا من الحمام وكان شيخ السوق لما سمع بدخولهما الحمام قعد فى انتظارهما واذا بهما قد أقبلا وهما كالغزالين وقد احمرت خدودهما واسودت عيونهما ولمعت أبدانهما حتى كأنهما غصنان مثمران أو قمران زاهيان فقال لهما يا أولادى حمامكم نعيم دائم فقال تاج الملوك يا عذب كلام ليتك كنت معنا ثم ان الاثنين قبلا يديه ومشيا قدامه حتى وصلا الى الدكان تعظيما له لانه كبير السوق وقد أحسن اليهما باعطائهما الدكان فلما رأى أردافهما فى ارتجاج زاد به الوجد وهاج وشخر ونخر ولم يبق له مصطبر فأحدق بهما العينين وأنشد هذين البيتين

يطالع القلب باب الاختصاص به * وليس يقرأ فيه مبحث الشركه
لا غرو فى كونه يرتج من ثقل * فكم لذا الفلك الدوار من حركه

فلما سمع هذا الشعر أقسما عليه أن يدخل معهما الحمام ثانيا وكانا قد تركا الوزير داخل الحمام فلما دخل معهما شيخ السوق الحمام ثانى مرة سمع الوزير بدخوله فخرج اليه من الخلوة واجتمع به فى وسط الحمام وعزم عليه فامتنع فأمسك باحدى يديه تاج الملوك وبيده الاخرى عزيز ودخلا به خلوة أخرى فانقاد لهما ذلك الشيخ الخبيث

فحلف تاج الملوك أن لا يحميه غيره وحلف عزيز أن لا يصب عليه الماء غيره فقال له الوزير انهما أولادك فقال شيخ السوق أبقاهما الله لك لقد حلت في مدينتنا البركة والسعود بقدومكم وقدوم أتباعكم ثم أنشد هذين البيتين

أقبلت فاخضرت لدينا الربا * وقد زهت بالزهر للمجتلى
ونادت الارض ومن فوقها * أهلا وسهلا بك من مقبل

فشكروه على ذلك ومازال تاج الملوك يحميه وعزيز يصب عليه الماء وهو يظن أن روحه في الجنة حتى أتما خدمته فدعا لهما وجلس جنب الوزير على أنه يتحدث معه ولكن معظم قصده النظر الى تاج الملوك وعزيز ثم بعد ذلك جاءت لهم الغلمان بالمناشف فتنشفوا ولبسوا حوائجهم ثم خرجوا من الحمام فاقبل الوزير على شيخ السوق وقال له يا سيدي ان الحمام نعيم الدنيا فقال شيخ السوق جعله الله لك ولاولادك عافية وكفاهما الله شر العين فهل تحفظون شيأ مما قاله البلغاء في الحمام فقال تاج الملوك أنا أنشدك بيتين وهما

ان عيش الحمام أطيب عيش * غير أن المقام فيه قليل
جنة تكره الاقامة فيها * وجحيم يطيب فيها الدخول

فلما فرغ تاج الملوك من شعره قال عزيز وأنا أحفظ في الحمام شيأ فقال شيخ السوق اسمعني اياه فانشد هذين البيتين

وبيت له من جلمد الصخر أزهار * أنيق اذا ما أضرمت حوله النار
تراه جحيما وهو في الحق جنة * وأكثر ما فيها شموس وأقمار

فلما فرغ عزيز من شعره تعجب شيخ السوق من صباحتهما وفصاحتهما وقال لهما والله لقد حزتما الفصاحة والملاحة فاسمعا أنتما مني ثم أطرب بالنغمات وأنشد هذه الابيات

يا حسن نار والنعيم عذابها * تحيا بها الارواح والابدان * فاعجب لبيت لا يزال نعيمه
غضا وتوقد تحته النيران * عيش السرور لمن ألم به وقد * سفحت عليه دموعها الغدران

ثم سرح في رياض حسنهما ناظر العين وأنشد هذين البيتين

وافيت منزله فلم أر حاجبا * الا ويلقاني بوجه ضاحك
ودخلت جنته وزرت جحيمه * فشكرت رضوانا ورأفة مالك

فلما سمعوا ذلك تعجبوا من هذه الابيات ثم ان شيخ السوق عزم عليهم فامتنعوا ومضوا الى منزلهم ليستريحوا من تعب الحمام ثم أكلوا وشربوا وباتوا تلك الليلة في منزلهم في أتم ما يكون من الحظ والسرور فلما أصبح الصباح قاموا من نومهم وتوضؤا وصلوا فرضهم وأصبحوا ولما طلع النهار وفتحت الدكاكين والاسواق خرجوا من المنزل وتوجهوا الى السوق وفتحوا الدكان وكان الغلمان قد هيؤها أحسن هيئة وفرشوها بالبسط الحرير ووضعوا فيها مرتبتين كل واحدة منهما تساوي مائة دينار وجعلوا فوق كل مرتبة نطعا ملوكيا دائره من الذهب فجلس تاج الملوك على مرتبة وجلس عزيز على الاخرى وجلس الوزير في وسط الدكان ووقف الغلمان بين أيديهم وتسامعت بهم الناس فازدحموا عليهم وباعوا بعض أقمشتهم وشاع ذكر تاج الملوك في المدينة واشتهر فيها خبر حسنه وجماله ثم أقاموا على ذلك أياما وفي كل يوم تهرع الناس اليهم فأقبل الوزير على تاج الملوك وأوصاه بكتمان أمره وأوصى عليه عزيزا ومضى الى الدار ليدبر أمرا يعود نفعه عليهم وصار تاج الملوك وعزيز يتحدثان وصار تاج الملوك يقول عسى أن يجيء أحد من عند السيدة دنيا ومازال تاج الملوك على ذلك أياما ولياليا وهو لا ينام وقد تمكن منه الغرام وزاده النحول والاسقام حتى حرم لذيذ المنام وامتنع من الشراب والطعام وكان كالبدر في تمامه فبينما تاج الملوك جالس واذا بعجوز أقبلت عليه * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثالثة والثلاثون بعد المائة﴾

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال لضوء المكان فبينما تاج الملوك جالس واذا بعجوز أقبلت عليه وتقدمت اليه وخلفها جاريتان ومازالت ماشية حتى وقفت على دكان تاج الملوك فرأت قده واعتداله وحسنه وجماله فتعجبت من ملاحته ورشحت في سراويلها ثم قالت سبحان من خلقك من ماء مهين سبحان من جعلك فتنة للعالمين ولم تزل تتأمل فيه وتقول ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم ثم دنت منه وسلمت عليه

فردعليها السلام وقام لها واقفا على الاقدام وتبسم في وجهها هذا كله باشارة عزيز ثم اجلسها الى جانبه وصار يروح عليها الى أن استراحت ثم ان العجوز قالت لتاج الملوك ياولدي يا كامل الاوصاف والمعاني هل أنت من هذه الديار فقال تاج الملوك بكلام فصيح عذب مليح والله ياسيدتي عمري ما دخلت هذه الديار الا هذه المرة ولا أقمت فيها الا على سبيل الفرجة فقالت لك الاكرام من قادم على الرحب والسعة ما الذي جئت به معك من القماش فارني شيأ مليحا فان المليح لا يحمل الا المليح فلما سمع تاج الملوك كلامها خفق فؤاده ولم يفهم معنى كلامها فغمزه عزيز بالاشارة فقال لها تاج الملوك عندي كل ما تشتهين من الشئ الذي لا يصلح الا للملوك وبنات الملوك فلمن تريدين حتى أقلب عليك ما يصلح لاربابه وأراد بذلك الكلام أن يفهم معنى كلامها فقالت له أريد قماشا يصلح للسيدة دنيا بنت الملك شهرمان فلما سمع تاج الملوك ذكر محبوبته فرح فرحا شديدا وقال لعزيز ائتني بأفخر ما عندك من البضاعة فأتاه عزيز ببقجة وحلها بين يديه فقال لها تاج الملوك اختاري ما يصلح لها فان هذا شئ لا يوجد عند غيري فاختارت العجوز شيأ يساوي ألف دينار وقالت بكم هذا وصارت تحدثه وتحك بين أفخاذها بكاوة يدها فقال لها وهل أساوم مثلك في هذا الشئ الحقير الحمد لله الذي عرفني بك فقالت له العجوز أعوذ وجهك المليح برب الفلق ان وجهك مليح وفعلك مليح هنيأ لمن تنام في حضنك وتضم قوامك الرجيح وتحظى بوجهك الصبيح وخصوصا اذا كانت صاحبة حسن مثلك فضحك تاج الملوك حتى استلقى على قفاه ثم قال يا قاضي الحاجات على أيدي العجائز الفاجرات فقالت له ياولدي ما الاسم قال اسمي تاج الملوك فقالت ان هذا الاسم من أسماء الملوك ولكنك في زي التجار فقال لها عزيز من محبته عند أهله ومعزته عليهم سموه بهذا الاسم فقالت العجوز صدقت كفاكم الله شر الحساد ولو فتتت بمحاسنكم الاكباد ثم أخذت القماش ومضت وهي باهتة في حسنه وجماله وقده واعتداله ولم تزل ماشية حتى دخلت على السيدة دنيا وقالت لها ياسيدتي جئت لك بقماش مليح فقالت لها أريني اياه فقالت ياسيدتي ها هو فقلبيه وانظري به فلما رأته السيدة دنيا قالت لها يادادتي ان هذا قماش مليح ما رأيته في مدينتنا فقالت العجوز ياسيدتي ان بائعه أحسن منه كأن رضوان فتح أبواب الجنان وسها فخرج منها التاجر الذي يبيع هذا القماش وأنا أشتهي في هذه الليلة أن يكون عندك وينام بين نهودك فانه فتنة لمن يراه وقد جاء مدينتنا بهذه الاقمشة لاجل الفرجة فضحكت السيدة دنيا من كلام العجوز وقالت أخزاك الله ياعجوز النحس انك خرفت ولم يبق لك عقل ثم قالت هات القماش حتى أبصره جيدا فناولتها اياه فنظرته ثانيا فرأته شيأ قليلا وثمنه كثير وتعجبت من حسن ذلك القماش لانها ما رأت في عمرها مثله فقالت لها العجوز ياسيدتي لو رأيت صاحبه لعرفت أنه أحسن من يكون على وجه الارض فقالت لها السيدة دنيا هل سألتيه ان كان له حاجة يعلمنا بها فنقضيها له فقالت العجوز وقد هزت رأسها حفظ الله فراستك والله ان له حاجة وهل أحد يخلو من حاجة فقالت لها السيدة دنيا اذهبي اليه وسلمي عليه وقولي له شرفت بقدومك مدينتنا ومهما كان لك من الحوائج قضيناه لك على الرأس والعين فرجعت العجوز الى تاج الملوك في الوقت فلما رآها طار قلبه من الفرح ونهض لها قائما على قدميه وأخذ يدها وأجلسها الى جانبه فلما جلست واستراحت أخبرته بما قالته السيدة دنيا فلما سمع ذلك فرح غاية الفرح واتسع صدره وانشرح وقال في نفسه قد قضيت حاجتي ثم قال للعجوز لعلك توصلين اليها كتابا من عندي وتأتيني بالجواب فقالت سمعا وطاعة فلما سمع ذلك منها قال لعزيز ائتني بدواة وقرطاس وقلم من نحاس فلما أتاه بتلك الادوات كتب هذه الابيات

كتبت اليك يا سؤلي كتابا * بما ألقاه من ألم الفراق
فاول ما أسطر نار قلبي * وثانيه غرامي واشتياقي
وثالثه مضى عمري وصبري * ورابعه جميع الوجد باقي
وخامسه متى عيني تراكم * وسادسه متى يوم التلاقي

ثم كتب في امضائه ان هذا الكتاب من أسير الاشواق المسجون في سجن الاشتياق الذي ليس له اطلاق الا بالوصال ولو بطيف الخيال لانه يقاسي أليم العذاب من فرقة الاحباب ثم أفاض دمع العين وكتب هذين

البيتين

كتبت اليك والعبرات تجري * ودمع العين ليس لها انقطاع
ولست بيائس من فضل ربي * عسى يوم يكون به اجتماع

ثم طوى الكتاب وختمه وأعطاه للعجوز وقال أوصليه الى السيدة دنيا فقالت سمعا وطاعة ثم أعطاها ألف دينار وقال اقبلي هذه مني هدية فأخذتها وانصرفت داعية له ولم تزل ماشية حتى دخلت على السيدة دنيا فلما رأتها قالت لها يا دادتي أي شئ طلب من الحوائج حتى نقضيها له فقالت لها يا سيدتي قد أرسل معي كتابا ولا أعلم بما فيه ثم ناولتها الكتاب فأخذته وقرأته وفهمت معناه ثم قالت من أين الى أين حتى يراسلني هذا التاجر ويكاتبني ثم لطمت وجهها وقالت لولا خوفي من الله تعالى لصلبته على دكانه فقالت العجوز وأي شئ في هذا الكتاب حتى أزعج قلبك هل فيه شكاية مظلمة أو فيه طلب ثمن القماش فقالت لها ويلك ما فيه ذلك وما فيه الا عشق ومحبة وهذا كله منك والا فمن أين يتوصل هذا الشيطان الى هذا الكلام فقالت لها العجوز يا سيدتي أنت قاعدة في قصرك العالي وما يصل اليك أحد ولا الطير الطائر سلامتك من اللوم والعتاب وما عليك من نباح الكلاب فلا تؤاخذيني حيث أتيتك بهذا الكتاب ولا أعلم ما فيه ولكن الرأي أن تردي اليه جوابا وتهدديه فيه بالقتل وتنهيه عن هذا الهذيان فانه ينتهي ولا يعود فقالت السيدة دنيا أخاف أن أكاتبه فيطمع فقالت العجوز انه اذا سمع التهديد والوعيد رجع عما هو فيه فقالت علي بدواة وقرطاس وقلم من نحاس فلما أحضروا لها تلك الادوات كتبت هذه الابيات

يا مدعي الحب والبلوى مع السهر * وما يلاقيه من وجد ومن فكر
أتطلب الوصل يا مغرور من قمر * وهل ينال المنى شخص من القمر
اني نصحتك عما أنت طالبه * فاقصر فانك في هذا على خطر
وان رجعت الى هذا الكلام فقد * أتاك مني عذاب زائد الضرر
وحق من خلق الانسان من علق * ومن أنار ضياء الشمس والقمر
لئن عدت لما أنت ذاكره * لاصلبنك في جذع من الشجر

ثم طوت الكتاب وأعطته للعجوز وقالت لها اعطيه له وقولي له كف عن هذا الكلام فقالت لها سمعا وطاعة ثم أخذت الكتاب وهي فرحانة ومضت الى منزلها وباتت في بيتها فلما أصبح الصباح توجهت الى دكان تاج الملوك فوجدته في انتظارها فلما رآها كاد أن يطير من الفرح فلما قربت منه نهض اليها قائما وأقعدها بجنبه فأخرجت له الورقة وناولته اياها وقالت له اقرأ ما فيها ثم قالت له ان السيدة دنيا لما قرأت كتابك اغتاظت ولكنني لاطفتها ومازحتها حتى أضحكتها ورقت لك وردت لك الجواب فشكرها تاج الملوك على ذلك وأمر عزيزا أن يعطيها ألف دينار ثم انه قرأ الكتاب وفهمه وبكى بكاء شديدا فرق له قلب العجوز وعظم عليها بكاؤه وشكواه ثم قالت له يا ولدي وأي شئ في هذه الورقة حتى أبكاك فقال لها انها تهددني بالقتل والصلب وتنهاني عن مراسلتها وان لم أراسلها يكون موتي خيرا من حياتي فخذي جواب كتابها ودعيها تفعل ما تريد فقالت له العجوز وحياة شبابك لابد أني أخاطر معك بروحي وأبلغك مرادك وأوصلك الى ما في خاطرك فقال لها تاج الملوك كل ما تفعلينه أجازيك عليه ويكون في ميزانك فانك خبيرة بالسياسة وعارفة بأبواب الدناسة وكل عسير عليك يسير والله على كل شئ قدير ثم أخذ ورقة وكتب فيها هذه الابيات

أمست تهددني بالقتل واحزني * والقتل لي راحة والموت مقدور
والموت أغنى لصب أن تطول به * حياته وهو ممنوع ومقهور
بالله زوروا محبا قل ناصره * فانني عبدكم والعبد مأسور
يا سادتي فارحموني في محبتكم * فكل من يعشق الاحرار معذور

ثم انه تنفس الصعداء وبكى حتى بكت العجوز وبعد ذلك أخذت الورقة منه وقالت له طب نفسا وقر عينا فلابد أن أبلغك مقصودك * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الرابعة والثلاثون بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن تاج الملوك لما بكى قالت له العجوز طب نفسا وقر عينا فلابد أن أبلغك مقصودك ثم قامت وتركته على النار وتوجهت الى السيدة دنيا فرأتها متغيرة اللون من غيظها بمكتوب تاج الملوك فناولتها الكتاب فازدادت غيظا وقالت للعجوز أما قلت لك انه

يطمع فينا فقالت لها وأى شئ هذا الكتاب حتى يطمع فيك فقالت لها السيدة دنيا اذهبى اليه وقولى له ان راسلتها بعد ذلك ضربت عنقك فقالت لها العجوز اكتبى له هذا الكلام فى مكتوب وأنا آخذ المكتوب معى لاجل أن يزداد خوفه فأخذت ورقة وكتبت فيها هذه الابيات

أيا غافلا عن حادثات الطوارق * وليس الى نيل الوصال بسابق
أتزعم يامغرور أن تدرك السها * وما أنت للبدر المنير بلاحق
فكيف ترجينا وتأمل وصلنا * لتحظى بضم القدود الرواشق
فدع عنك هذا القصد خيفة سطوتى * بيوم عبوس فيه شيب المفارق

ثم طوت الكتاب وناولته للعجوز فأخذته وانطلقت به الى تاج الملوك فلما رآه اقام على قدميه وقال لا أعدمنى الله بركة قدومك فقالت له العجوز خذ جواب مكتوبك فأخذ الورقة وقرأها وبكى بكاء شديدا وقال انى أشتهى من يقتلنى الآن فان القتل أهون على من هذا الامر الذى أنا فيه ثم أخذ دواة وقلما وقرطاسا وكتب مكتوبا ورقم هذين البيتين

فيامنيتى لاتبتغى الهجر والجفا * فانى محب فى المحبة غارق
ولا تحسبينى فى الحياة مع الجفا * فروحى من بعد الاحبة طالق

ثم طوى الكتاب وأعطاه للعجوز وقال لها قد أتعبتك بدون فائدة وأمر عزيزا أن يدفع لها ألف دينار وقال لها ياامى ان هذه الورقة لابد أن يعقبها كمال الاتصال أو كمال الانفصال فقالت له يا ولدى والله ما أشتهى لك الا الخير ومرادى أن تكون عندك فانك أنت القمر صاحب الانوار الساطعة وهى الشمس الطالعة وان لم أجمع بينكما فليس فى حياتى فائدة وأنا قد قطعت عمرى فى المكر والخداع حتى بلغت التسعين من الاعوام فكيف أعجز عن الجمع بين اثنين فى الحرام ثم ودعته وطيبت قلبه وانصرفت ولم تزل تمشى حتى دخلت على السيدة دنيا وقد أخفت الورقة فى شعرها فلما جلست عندها حكت رأسها وقالت ياسيدتى عساك أن تفلى شوشتى فان لى زمانا مادخلت الحمام فكشفت السيدة دنيا عن مرفقيها وحلت شعر العجوز وصارت تفلى شوشتها فسقطت الورقة من رأسها فرأتها السيدة دنيا فقالت ماهذه الورقة فقالت كانى قعدت على دكان التاجر فتعلقت معى هذه الورقة هاتيها حتى أوديها اليه ففتحتها السيدة دنيا وقرأتها وفهمت مافيها وقالت للعجوز هذه حيلة منك ولولا أنك ربيتينى لبطشت بك فى هذا الوقت وقد بلانى الله بهذا التاجر وكل ماجرى لى منه من تحت رأسك وماأدرى من أى أرض جاءنا هذا ولم يقدر أحد من الناس أن يتجاسر على غيره وأنا أخاف أن ينكشف أمرى وخصوصا فى رجل ماهو من جنسى ولا من أقرانى فأقبلت العجوز عليها وقالت لا يقدر أحد أن يتكلم بهذا الكلام خوفا من سطوتك وهيبة أبيك ولا بأس أن تردى له الجواب فقالت ياداداتى ان هذا شيطان كيف تجاسر على هذا الكلام ولم يخف من سطوة السلطان وقد تحيرت فى أمره فان أمرت بقتله فليس بصواب وان تركته ازداد فى تجاسره فقالت لها العجوز اكتبى له كتابا لعله ينزجر فطلبت ورقة ودواة وقلما وكتبت له هذه الابيات

طال العتاب وفرط الجهل أغراكا * فكم بخط يدى فى الشعر أنهاكا
وأنت تزداد عند النهى فى طمع * ولست الا بكتم السر أرضاكا
أكتم هواك ولا تجهر به أبدا * وان نطقت فانى لست أرعاكا
وان رجعت الى ماأنت تذكره * فقد أتاك غراب البين ينعاكا
وعن قليل يكون الموت منعدفما * عليك والدفن تحت الارض مثواكا
وتترك الاهل يامغرور فى ندم * ومن سيوف الهوى قد شط مغناكا

ثم طوت الورقة ودفعتها للعجوز فأخذتها وتوجهت الى تاج الملوك فأعطتها له فلما قرأها علم انها قاسية القلب وانه لايصل اليها فشكى أمره الى الوزير وطلب منه حسن التدبير فقال الوزير اعلم انه مابقى شئ يفيد فيها غير انك تكتب لها كتابا وتدعو عليها فيه فقال يا أخى ياعزيز اكتب لها عن لسانى مثل ماتعرف فأخذ عزيز ورقة وكتب هذه الابيات

يارب بالخمسة الاشياخ تنقذنى * ومن بليت به فاجعله فى شجنى
فأنت تعلم انى فى جوى لهب * وقد جفانى حبيب ليس يرحمنى
فكم أرق لها فيما بليت به * وكم تجور على ضعفى وتظلمنى

أهيم في غمرات لاانقضاء لها * ولا أرى مسعفا يارب تشفقني * وكم أروم سلوا في محبتها
وكيف أسلو وصبري في الغرام فني * يامانعي في الهوى طيب الوصال فهل * أمنت من نائبات الدهر والمحن
ألست في عيشة مسرورة وأنا * مغرب فيك عن أهلي وعن وطني

ثم ان عزيزا طوى الكتاب وناوله لتاج الملوك فلما قرأه أعجبه فختمه ثم ناوله للعجوز فأخذته العجوز وتوجهت به الى أن دخلت على السيدة دنيا فناولتها اياه فلما قرأته وفهمت مضمونه اغتاظت غيظا شديدا وقالت كل الذي جرى لي من تحت رأس هذه العجوز النحس فصاحت على الجواري والخدم وقالت امسكوا هذه العجوز الماكرة واضربوها بنعالكم فنزلوا عليها ضربا بالنعال حتى غشي عليها فلما أفاقت قالت لها والله يا عجوز السوء لولا خوفي من الله تعالى لقتلتك ثم قالت لهم أعيدوا عليها الضرب فضربوها حتى غشي عليها ثم أمرتهم أن يجروها ويرموها خارج الباب فسحبوها على وجهها ورموها قدام الباب فلما أفاقت قامت تمشي وتقعد حتى وصلت الى منزلها وصبرت الى الصباح ثم قامت وتمشت حتى أتت الى تاج الملوك وأخبرته بجميع ما جرى لها فصعب عليه ذلك وقال لها يعز علينا يا أمي ما جرى لك ولكن كل شئ بقضاء وقدر فقالت له طب نفسا وقر عينا فاني لا أزال أسعى حتى أجمع بينك وبينها وأوصلك الى هذه العاهرة التي أحرقتني بالضرب فقال لها تاج الملوك أخبريني ما سبب بغضها للرجال فقالت لانها رأت مناما أوجب ذلك فقال لها وما ذلك المنام فقالت انها كانت نائمة ذات ليلة فرأت صيادا انصب شركا في الارض وبذر حوله قمحا ثم جلس قريبا منه فلم يبق شئ من الطيور الا وقد أتى الى ذلك الشرك ورأت في الطيور حمامتين ذكرا وأنثى فبينما هي تنظر الى الشرك واذا برجل الذكر تعلقت في الشرك وصار يختبط فنفرت عنه جميع الطيور ونفرت فرجعت اليه امرأته وحامت عليه ثم تقدمت الى الشرك والصياد غافل فصارت تنقر العين التي فيها رجل الذكر وصارت تجذبه بمنقارها حتى خلصت رجله من الشرك وطارت الطيور وإياه فجاء بعد ذلك الصياد وأصلح الشرك وقعد بعيدا عنه فلم يمض غير ساعة حتى نزلت الطيور وعلق الشرك في الانثى فنفرت عنها جميع الطيور ومن جملتها الطير الذكر ولم يعد لانثاه فجاء الصياد وأخذ الطير الانثى وذبحها فانتبهت مرعوبة من منامها وقالت كل ذكر مثل هذا ما فيه خير والرجال جميعهم ما عندهم خير للنساء فلما فرغت من حديثها لتاج الملوك قال لها يا أمي أريد أن أنظر اليها نظرة واحدة ولو كان في ذلك مماتي فتحيلي لي بحيلة حتى أنظر اليها فقالت اعلم أن لها بستانا تحت قصرها وهو برسم فرجتها وانها تخرج اليه في كل شهر مرة من باب السر وتقعد فيه عشرة أيام وقد جاء أوان خروجها الى الفرجة فاذا أردت الخروج أجيء اليك وأعلمك حتى تخرج وتصادفها واحرص على انك لا تفارق البستان فلعلها اذا رأت حسنك وجمالك يتعلق قلبها بمحبتك فان المحبة أعظم أسباب الاجتماع فقال سمعا وطاعة ثم قام من الدكان هو وعزيز وأخذا معهما العجوز ومضيا الى منزلهما وعرفاها له ثم ان تاج الملوك قال لعزيز يا أخي ليس لي حاجة بالدكان وقد قضيت حاجتي منها ووهبتها لك بجميع ما فيها لانك تغربت معي وفارقت بلادك فقبل عزيز منه ذلك ثم جلسا يتحدثان وصار تاج الملوك يسأله عن غريب أحواله وما جرى له وصار هو يخبره بما حصل له وبعد ذلك أقبلا على الوزير وأعلماه بما عزم عليه تاج الملوك وقالا له كيف العمل فقال قوموا بنا الى البستان فلبس كل واحد منهم أفخر ما عنده وخرجوا وخلفهم ثلاثة مماليك وتوجهوا الى البستان فرأوه كثير الاشجار غزير الانهار ورأوا الخولي جالسا على الباب فسلموا عليه فرد عليهم السلام فناوله الوزير مائة دينار وقال أشتهي أن تأخذ هذه النفقة وتشتري لنا شيأ نأكله فاننا غرباء ومعي هؤلاء الاولاد وأردت أن أفرجهم فأخذ البستاني الدنانير وقال لهم ادخلوا وتفرجوا وجميعه ملككم واجلسوا حتى أحضر لكم ما تأكلون ثم توجه الى السوق ودخل الوزير وتاج الملوك وعزيز داخل البستان بعد ان ذهب البستاني الى السوق ثم بعد ساعة أتى ومعه خروف مشوي ووضعه بين أيديهم فأكلوا وغسلوا أيديهم وجلسوا يتحدثون فقال الوزير أخبرني عن هذا البستان هل هو لك أم أنت مستأجره فقال الشيخ ما هو لي وانما هو لبنت الملك السيدة دنيا فقال الوزير كم لك في كل شهر من الاجرة فقال دينار واحد لاغير فتأمل الوزير في البستان فرأى هنالك

ثمراعاليا الا انه عتيق فقال الوزير يا شيخ اريد ان اعمل هنا خيرا تذكرني به فقال وما تريدان تفعل من الخير فقال خذ هذه الثلثمائة دينار فلما سمع الشيخ بذكر الذهب قال ياسيدي مهماشئت فافعل ثم اخذ الدنانير فقال له ان شاء الله تعالى نفعل في هذا المحل خيرا ثم خرجوا من عنده وتوجهوا الى منزلهم وباتوا تلك الليلة فلما كان الغد أحضر الوزير مبيضا ونقاشا وصانعا جيدا واحضر لهم جميع ما يحتاجون اليه من الآلات ودخل بهم البستان وأمرهم ببياض ذلك القصر وزخرفته بأنواع النقش ثم أمر باحضار الذهب واللازورد وقال للنقاش اعمل في صدر هذا الايوان صورة آدمي صياد كانه نصب شركه وقد وقعت فيه حمامة واشتبكت بمنقارها في الشرك فلما نقش النقاش جانبا وفرغ من نقشه قال له الوزير افعل في الجانب الآخر مثل الاول وصور صورة الحمامة في الشرك وان الصياد أخذها ووضع السكين على رقبتها واعمل في الجانب الآخر صورة جارح كبير قد قنص ذكر الحمام وأنشب فيه مخالبه ففعل ذلك ولما فرغ من هذه الاشياء التي ذكرها الوزير ودعوا البستاني ثم توجهوا الى منزلهم وجلسوا يتحدثون فقال تاج الملوك لعزيز يا أخي انشدني بعض الاشعار لعل صدري ينشرح وتزول عني هذه الافكار أو يبرد ما بقلبي من لهيب النار * فعند ذلك اطرب عزيز بالنغمات وانشد هذه الابيات

جميع ماقاست العشاق من كمد * حويته مفردا حتى وهي جلدي
وان ترد موردا من أدمعي اتسعت * للواردين بحار الدمع في مدد
وان ترد تنظر العشاق ماصنعت * أيدي الغرام بهم فانظر الى جسدي

ثم أفاض العبرات وأنشد هذه الابيات

من كان لا يعشق الاجياد والحدقا * ثم ادعى لذة الدنيا فما صدقا * فان في العشق معنى ليس يدركه
من البرية الا كل من عشقا * لاخفف الله عن قلبي صبابته * بمن هويت ولاعن جفني الارقا

ثم أطرب بالنغمات وأنشد هذه الابيات

زعم ابن سينا في أصول كلامه * أن المحب دواؤه الالحان * ووصال مثل حبيبه من جنسه
والنقل والمشروب والبستان * فصحبت غيرك للتداوي مرة * وأعانني المقدور والامكان
فعلمت ان الحب داء قاتل * فيه ابن سينا طبه هذيان

فلما فرغ عزيز من شعره تعجب تاج الملوك من فصاحته وحسن روايته وقال له قد أزلت عني بعض مابي ثم قال له ان كان يحضرك شيء من جنس هذا فاسمعني ماحضرك من هذا الشعر الرقيق وطول الحديث فأطرب بالنغمات وأنشد هذه الابيات

قد كنت أحسب أن وصالك يشترى * بكرائم الاموال والاشباح * وظننت جهلا ان حبك هين
تفنى عليه نفائس الارواح * حتى رأيتك تجتبي وتخص من * أحببته بلطائف الامنـاح
فعلمت انك لا تنال بحيلة * ولويت رأسي تحت طي جناحي
وجعلت في عش الغرام اقامتي * فيه غدوي دائما ورواحي

هذا ماكان من أمر هؤلاء (وأما) ماكان من أمر العجوز فانها انقطعت في بيتها واشتاقت بنت الملك الى الفرجة في البستان وهي لاتخرج الا بالعجوز فارسلت اليها وصالحتها وطيبت خاطرها وقالت اني اريد أن أخرج الى البستان لا تفرج على أشجاره وأثماره وينشرح صدري بأزهاره فقالت لها العجوز سمعا وطاعة ولكن اريد أن أذهب الى بيتي والبس أثوابي وأحضر عندك فقالت لها اذهبي الى بيتك ولا تتأخري عني فخرجت العجوز من عندها وتوجهت الى تاج الملوك وقالت له تجهز والبس أفخر أثوابك واذهب الى البستان وادخل على البستاني وسلم عليه ثم اختف في البستان فقال سمعا وطاعة وجعلت بينها وبينه اشارة ثم توجهت الى السيدة دنيا وبعد ذهابها قام الوزير وعزيز وألبسا تاج الملوك بدلة من أفخر ملابس الملوك تساوي خمسة آلاف دينار وشدا في وسطه حياصة من الذهب مرصعة بالجواهر والمعادن ثم توجهوا الى البستان فلما وصلوا الى باب البستان وجدوا الشيخ جالسا هناك فلما رآه البستاني نهض له على الاقدام وقابله بالتعظيم والاكرام وفتح له الباب وقال له ادخل

وتفرج في البستان ولم يعلم البستاني أن بنت الملك تدخل هذا البستان هذا اليوم فلما دخل تاج الملوك لم يلبث الا مقدار ساعة وسمع ضجة فلم يشعر الا والخدم والجواري خرجوا من باب السر فلما رآهم الدولي ذهب الى تاج الملوك وأعلمه بمجيئها وقال له يا مولاي كيف يكون العمل وقد أتت ابنة الملك السيدة دنيا فقال لا بأس عليك فاني أختفي في بعض مواضع البستان فأوصاه البستاني بغاية الاختفاء ثم تركه وراح فلما دخلت بنت الملك هي وجواريها والعجوز في البستان قالت العجوز في نفسها متى كان الخدم معنا فانا لا ننال مقصودنا ثم قالت لابنة الملك يا سيدتي اني أقول لك على شئ فيه راحة لقلبك فقالت السيدة دنيا قولي ما عندك فقالت العجوز يا سيدتي ان هؤلاء الخدم لا حاجة لك بهم في هذا الوقت ولا ينشرح صدرك ماداموا معنا فاصرفيهم عنا فقالت السيدة دنيا صدقت ثم صرفتهم وبعد قليل تمشت فصار تاج الملوك ينظر اليها والى حسنها وجمالها وهي لا تشعر بذلك وكلما نظر اليها يغشى عليه مما رأى من بارع حسنها وصارت العجوز تسارقها في الحديث الى أن أوصلتها الى القصر الذي أمر الوزير بنقشه ثم دخلت ذلك القصر وتفرجت على نقشه وأبصرت الطيور والصياد والحمام فقالت سبحان الله ان هذه صفة ما رأيته في المنام وصارت تنظر الى صور الطيور والصياد والشرك وتتعجب ثم قالت يا دادتي اني كنت ألوم الرجال وأبغضهم ولكن انظري الصياد كيف ذبح الطير الانثى وتخلص الذكر وأراد ان يجيء الى الانثى ويخلصها فقابله الجارح وافترسه وصارت العجوز تتجاهل عليها وتشاغلها بالحديث الى أن قربا من المكان المختفي فيه تاج الملوك فأشارت اليه العجوز ان يتمشى تحت شبابيك القصر فبينما السيدة دنيا كذلك اذ لاحت منها التفاتة فرأته وتأملت جماله وقده واعتداله ثم قالت يا دادتي من أين هذا الشاب المليح فقالت لا أعلم به غير اني أظن انه ولد ملك عظيم فانه بلغ من الحسن النهاية ومن الجمال الغاية فهامت به السيدة دنيا وانحلت عرى عزائمها وانبهر عقلها من حسنه وجماله وقده واعتداله وتحركت عليها الشهوة فقالت للعجوز يا دادتي ان هذا الشاب مليح فقالت لها العجوز صدقت يا سيدتي ثم ان العجوز أشارت الى ابن الملك ان يذهب الى بيته وقد التهبت به نار الغرام وزاد به الوجد والهيام فسار وودع الدولي وانصرف الى منزله ولم يخالف العجوز وأخبر الوزير وعزيزا بأن العجوز أشارت اليه بالانصراف فصارا يصبرانه ويقولان له لولا أن العجوز تعلم أن في رجوعك مصلحة ما أشارت عليك بهذا ما كان من أمر تاج الملوك والوزير وعزيز ﴿وأما﴾ ما كان من أمر بنت الملك السيدة دنيا فانها غلب عليها الغرام وزاد بها الوجد والهيام وقالت للعجوز أنا ما أعرف اجتماعي بهذا الشاب الا منك فقالت لها العجوز أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أنت لا تريدين الرجال وكيف حلت بك من عشقه الاوجال ولكن والله ما يصلح لشبابك الا هو فقالت السيدة دنيا يا دادتي اسعفيني باجتماعي عليه ولك عندي ألف دينار وخلعة بألف دينار وان لم تسعفيني بوصاله فاني ميتة لا محالة فقالت العجوز امض أنت الى قصرك وأنا أتسبب في اجتماعكما وأبذل روحي في مرضاتكما ثم ان السيدة دنيا توجهت الى قصرها وتوجهت العجوز الى تاج الملوك فلما رآها نهض لها على الاقدام وقابلها باعزاز واكرام وأجلسها الى جانبه فقالت له ان الحيلة قد تمت وحكت له ما جرى لها مع السيدة دنيا فقال لها متى يكون الاجتماع قالت في غد فأعطاها ألف دينار وحلة بألف دينار فأخذتها وانصرفت ومازالت سائرة حتى دخلت على السيدة دنيا فقالت لها يا دادتي ما عندك من خبر الحبيب فقالت لها قد عرفت مكانه وفي غد أكون به عندك ففرحت السيدة دنيا بذلك وأعطتها ألف دينار وحلة بألف دينار فأخذتهما وانصرفت الى منزلها وباتت فيه الى الصباح ثم خرجت وتوجهت الى تاج الملوك وألبسته لبس النساء وقالت له امش خلفي وتمايل في خطواتك ولا تستعجل في مشيك ولا تلتفت الى من يكلمك وبعد ان أوصت تاج الملوك بهذه الوصية خرجت وخرج خلفها وهو في زي النسوان وصارت تعلمه في الطريق حتى لا يفزع ولم تزل ماشية وهو خلفها حتى وصلا الى باب القصر فدخلت وهو وراءها وصارت تخترق الابواب والدهاليز الى أن جاوزت به سبعة أبواب ولما وصلت الى الباب السابع قالت لتاج الملوك قو قلبك واذا زعقت عليك وقلت لك يا جارية اعبري فلا تتوان في مشيك وهرول فاذا دخلت الدهليز فانظر الى شمالك ترى ايوانا فيه أبواب فعد خمسة أبواب وادخل الباب السادس فان مرادك

فيه فقال تاج الملوك وأين تروحين أنت فقالت له ما أروح موضعا غير انى ربما أتأخر عنك وأتحدث مع الخادم الكبير ثم مشت وهو خلفها حتى وصلت الى الباب الذى فيه الخادم الكبير فرأى معها تاج الملوك فى صورة جارية فقال لها ما شأن هذه الجارية التى معك فقالت له هذه جارية قد سمعت السيدة دنيا بانها تعرف الاشغال وتريد أن تشتريها فقال لها الخادم أنا لا أعرف جارية ولا غيرها ولا يدخل أحد حتى أفتشه كما أمرنى الملك * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الخامسة والثلاثون بعد المائة﴾

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الحاجب قال للعجوز أنا لا أعرف جارية ولا غيرها ولا يدخل أحد حتى أفتشه كما أمرنى الملك فقالت له العجوز وقد أظهرت الغضب أنا أعرف أنك عاقل ومؤدب فان كان حالك قد تغير فانى أعلمها بذلك وأخبرها أنك تعرضت لجاريتها ثم زعقت على تاج الملوك وقالت له اعبرى يا جارية فعند ذلك عبر الى داخل الدهليز كما أمرته وسكت الخادم ولم يتكلم ثم ان تاج الملوك عد خمسة أبواب ودخل الباب السادس فوجد السيدة دنيا واقفة فى انتظاره فلما رأته عرفته فضمته الى صدرها وضمها الى صدره ثم دخلت العجوز عليهما وتحيلت على صرف الجوارى ثم قالت السيدة دنيا للعجوز كونى أنت بوابة ثم اختلت هى وتاج الملوك ولم يزالا فى ضم وعناق والتفاف ساق على ساق الى وقت السحر ولما أصبح الصباح أغلقت عليهما الباب ودخلت مقصورة أخرى وجلست على جرى عادتها وأتت اليها الجوارى فقضت حوائجهن وصارت تحدثهن ثم قالت للجوارى اخرجن الآن من عندى فانى أريد أن أنشرح وحدى فخرج الجوارى من عندها ثم انها أتت اليهما ومعها شئ من الاكل فأكلوا وأخذوا فى الهراش الى وقت السحر فاغلقت عليهما مثل اليوم الاول ولم يزالوا على ذلك مدة شهر كامل هذا ما كان من أمر تاج الملوك والسيدة دنيا (وأما) ما كان من أمر الوزير وعزيز فانهما لما توجه تاج الملوك الى قصر بنت الملك ومكث تلك المدة علما أنه لا يخرج منه أبدا وانه هالك لا محالة فقال عزيز للوزير يا والدى ماذا نصنع فقال الوزير يا ولدى ان هذا الامر مشكل وان لم نرجع الى أبيه ونعلمه فانه يلومنا على ذلك ثم تجهزا فى الوقت والساعة وتوجها الى الارض الخضراء والعمودين وتخت الملك سليمان شاه وسارا يقطعان الاودية فى الليل والنهار الى أن دخلا على الملك سليمان شاه وأخبراه بما جرى لولده وانه من حين دخل قصر بنت الملك لم يعلموا له خبرا فعند ذلك قامت عليه القيامة واشتدت الندامة وأمر أن ينادى فى مملكته بالجهاد ثم أبرز العساكر الى خارج مدينته ونصب لهم الخيام وجلس فى سرادقه حتى اجتمعت الجيوش من سائر الاقطار وكانت رعيته تحبه لكثرة عدله واحسانه ثم سار فى عسكر سد الافق متوجها فى طلب ولده تاج الملوك هذا ما كان من أمر هؤلاء ﴿وأما﴾ ما كان من أمر تاج الملوك والسيدة دنيا فانهما أقاما على حالهما نصف سنة وهما كل يوم يزدادان محبة فى بعضهما وزاد على تاج الملوك العشق والهيام والوجد والغرام حتى أفصح لها عن الضمير وقال لها اعلمى يا حبيبة القلب والفؤاد أنى كلما أقمت عندك ازددت هياما ووجدا وغراما لانى ما بلغت المرام بالكلية فقالت له وما تريد يا نور عينى وثمرة فؤادى ان شئت غير الضم والعناق والتفاف الساق على الساق فافعل الذى يرضيك * وليس لله فينا شريك * فقال ليس مرادى هكذا وانما مرادى أنى أخبرك بحقيقتى فاعلمى انى لست بتاجر بل أنا ملك ابن ملك واسم أبى الملك الاعظم سليمان شاه الذى أنفذ الوزير رسولا الى أبيك ليخطبك لى فلما بلغك الخبر ما رضيت ثم انه قص عليها قصته من الاول الى الآخر وليس فى الاعادة افادة وأريد الآن أن أتوجه الى أبى ليرسل رسولا الى أبيك ويخطبك منه ونستريح فلما سمعت ذلك الكلام فرحت فرحا شديدا لانه وافق غرضها ثم باتا على هذا الاتفاق واتفق بالامر المقدور ان النوم غلب عليهما فى تلك الليلة من دون الليالى واستمر الى أن طلعت الشمس وفى ذلك الوقت كان الملك شهرمان جالسا فى دست مملكته وبين يديه أمراء دولته اذ دخل عليه عريف الصياغ وبيده حق كبير فتقدم وفتحه بين يدى الملك وأخرج منه علبة لطيفة تساوى مائة ألف دينار لما فيها من الجواهر واليواقيت والزمرد مما لا يقدر عليه أحد من ملوك الاقطار فلما رآها الملك تعجب من حسنها والتفت الى الخادم الكبير الذى جرى له مع العجوز ما جرى وقال له يا كافور خذ هذه العلبة وامض بها الى السيدة دنيا فأخذها الخادم ومضى حتى وصل الى مقصورة بنت الملك فوجد بابها مغلقا والعجوز نائمة على عتبته فقال

الخادم الى هذه الساعة وأنتم نائمون فلما سمعت العجوز كلام الخادم انتبهت من منامها وخافت منه وقالت اصبر حتى آتيك بالمفتاح ثم خرجت على وجهها هاربة هذا ما كان من أمرها ﴿وأما﴾ ما كان من أمر الخادم فانه عرف انها مرتابة فخلع الباب ودخل المقصورة فوجد السيدة دنيا معانقة لتاج الملوك وهما نائمان فلما رأى ذلك تحير في أمره وهم أن يعود الى الملك فانتبهت السيدة دنيا فوجدته فتغيرت واصفر لونها وقالت له يا كافور استر ماستر الله فقال أنا لا أقدر أن أخفي شيأ عن الملك ثم قفل الباب عليهما ورجع الى الملك فقال له هل أعطيت العلبة لسيدتك فقال الخادم خذ العلبة هاهي وأنا لا أقدر أن أخفي عنك شيأ اعلم اني رأيت عند السيدة دنيا شابا جميلا نائما معها في فراش واحد وهما متعانقان فأمر الملك باحضارهما فلما حضرا بين يديه قال لهما ماهذه الفعال واشتد به الغيظ فأخذ فشة وهم ان يضرب تاج الملوك فرمت السيدة دنيا وجهها عليه وقالت لابيها اقتلني قبله فنهرها الملك وأمرهم ان يمضوا بها الى حجرتها ثم التفت الى تاج الملوك وقال له ويلك ومن أين أنت ومن أبوك وما جسرك على ابنتي فقال تاج الملوك اعلم أيها الملك انك ان قتلتني هلكت وندمت أنت ومن في مملكتك فقال له الملك ولم ذلك فقال اعلم اني ابن الملك سليمان شاه وما تدري الا وقد أقبل عليك بخيله ورجله فلما سمع الملك شهرمان ذلك الكلام أراد أن يؤخر قتله ويضعه في السجن حتى ينظر صحة قوله فقال له وزيره ياملك الزمان الرأي عندي أن تعجل قتل هذا العلق فانه تجاسر على بنات الملوك فقال للسياف اضرب عنقه فانه خائن فأخذه السياف وشد وثاقه ورفع يده وشاور الامراء أولا وثانيا وقصد بذلك أن يكون في الامر توان فزعق عليه الملك وقال متى تشاور ان شاورت مرة أخرى ضربت عنقك فرفع السياف يده حتى بان شعر ابطه وأراد أن يضرب عنقه ❊ وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السادسة والثلاثون بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان السياف رفع يده حتى بان شعر ابطه وأراد أن يضرب عنقه واذا بزعقات عالية والناس اغلقوا الدكاكين فقال الملك للسياف لا تعجل ثم أرسل من يكشف له الخبر فمضى الرسول ثم عاد اليه وقال له رأيت عسكرا كالبحر العجاج المتلاطم بالامواج وخيلهم في ركض وقد ارتجت لهم الارض وما أدري خبرهم فاندهش الملك وخاف على ملكه أن ينزع منه ثم التفت الى وزيره وقال له أما خرج أحد من عسكرنا الى هذا العسكر فما تم كلامه الا وحجابه قد دخلوا عليه ومعهم رسل الملك القادم ومن جملتهم الوزير فابتدأه بالسلام فنهض لهم قائما وقربهم وسألهم عن شأن قدومهم فنهض الوزير من بينهم وتقدم اليه وقال له اعلم أن الذي نزل بأرضك ملك ليس كالملوك المتقدمين ولا مثل السلاطين السالفين فقال له الملك ومن هو قال الوزير هو صاحب العدل والامان الذي سارت بعلو همته الركبان السلطان سليمان شاه صاحب الارض الخضراء والعمودين وجبال أصفهان وهو يحب العدل والانصاف ويكره الجور والاعتساف ويقول لك ان ابنه عندك وفي مدينتك وهو حشاشة قلبه وثمرة فؤاده فان وجده سالما فهو المقصود وانت المشكور المحمود وان كان فقد من بلادك أو أصابه شيء فابشر بالدمار وخراب الديار لانه يصير بلدك قفرا ينعق فيها الغراب وها أنا قد بلغتك الرسالة والسلام فلما سمع الملك شهرمان ذلك الكلام من الرسول انزعج فؤاده وخاف على مملكته وزعق على أرباب دولته ووزرائه وحجابه ونوابه فلما حضروا قال لهم ويلكم انزلوا وفتشوا على ذلك الغلام وكان تحت يد السياف وقد تغير من كثرة ما حصل له من الفزع ثم ان الرسول لاحت منه التفاتة فوجد ابن ملكه على نطع الدم فعرفه وقام ورمى روحه عليه وكذلك بقية الرسل ثم تقدموا وحلوا وثاقه وقبلوا يديه ورجليه ففتح تاج الملوك عينه فعرف وزير والده وعرف صاحبه عزيزا فوقع مغشيا عليه من شدة فرحته بهما ثم ان الملك شهرمان صار متحيرا في أمره وخاف خوفا شديدا لما تحقق مجيء هذا العسكر بسبب هذا الغلام فقام وتمشى الى تاج الملوك وقبل رأسه ودمعت عيناه وقال له يا ولدي لا تؤاخذني ولا تؤاخذ المسيء بفعله فارحم شيبتي ولا تخرب مملكتي فدنا منه تاج الملوك وقبل يده وقال له لا بأس عليك وأنت عندي بمنزلة والدي ولكن الحذر أن يصيب محبوبتي السيدة دنيا شيء فقال ياسيدي لا تخف عليها فما يحصل لها الا السرور وصار الملك يعتذر اليه ويطيب خاطر وزير الملك سليمان شاه ووعده بالمال الجزيل على ان

يخفى من الملك ماراه ثم بعد ذلك أمر كبراء دولته أن يأخذوا تاج الملوك ويذهبوا به الى الحمام ويلبسوه بدلة من خيار ملابس الملوك ويأتوا به بسرعة ففعلوا ذلك وأدخلوه الحمام وألبسوه البدلة التى أفردها له الملك شهرمان ثم أتوا به الى المجلس فلما دخل على الملك شهرمان وقف له هو وجميع أرباب دولته وقام الجميع فى خدمته ثم ان تاج الملوك جلس يحدث وزير والده وعزيزا بما وقع له فقال له الوزير وعزيز ونحن فى تلك المدة مضينا الى والدك فأخبرناه بأنك دخلت سراية بنت الملك ولم تخرج والتبس علينا أمرك فحين سمع بذلك جهز العساكر ثم قدمنا هذه الديار وكان فى قدومنا الفرج والسرور فقال لهما لازال الخير يجرى على أيديكما أولا وآخرا وكان الملك فى ذلك الوقت قد دخل على ابنته السيدة دنيا فوجدها تبكى على تاج الملوك وأخذت سيفا وركزت قبضته الى الارض وجعلت ذبابته على رأس قلبها بين نهديها وانحنت على السيف وصارت تقول لابد أن أقتل نفسى ولا أعيش بعد حبيبى فلما دخل عليها أبوها ورآها فى هذه الحالة صاح عليها وقال لها ياسيدة بنات الملوك لاتفعلى وارحمى أباك وأهل بلدك ثم تقدم اليها وقال لها أحاشيك أن يصيب والدك بسببك سوء ثم أعلمها بالقصة وان محبوبها ابن الملك سليمان شاه يريد زواجها وقال لها ان أمر الخطبة والزواج مفوض الى رأيك فتبسمت وقالت له أما قلت لك انه ابن سلطان فأنا أخليه يصلبك على خشبة تساوى درهمين فقال لها بالله عليك أن ترحمى أباك فقالت له رح اليه وائتنى به فقال لها على الرأس والعين ثم رجع من عندها مسرعا ودخل على تاج الملوك وسارره بهذا الكلام ثم قام معه وتوجها اليها فلما رأت تاج الملوك عانقته قدام أبيها وتعلقت به وقالت له أوحشتنى ثم التفتت الى أبيها وقالت هل أحد يفرط فى مثل هذا الشاب المليح وهو ملك ابن ملك فعند ذلك خرج الملك شهرمان ورد الباب عليهما ومضى الى وزير أبى تاج الملوك ورسله وأمرهم أن يعلموا السلطان سليمان شاه بأن ولده بخير وعافية وهو فى ألذ عيش ثم ان السلطان شهرمان أمر باخراج الضيافات والعلوفات الى عساكر السلطان سليمان شاه والد تاج الملوك فلما أخرجوا جميع ما أمر به أخرج مائة جواد من الخيل ومائة هجين ومائة مملوك ومائة سرية ومائة عبد ومائة جارية وأرسل الجميع اليه هدية ثم بعد ذلك توجه اليه هو وأرباب دولته وخواصه حتى صاروا فى ظاهر المدينة فلما علم بذلك السلطان سليمان شاه تمشى خطوات الى لقائه وكان الوزير وعزيز أعلماه بالخبر ففرح وقال الحمد لله الذى بلغ ولدى مناه ثم ان الملك سليمان شاه أخذ الملك شهرمان بالحضن وأجلسه بجانبه على السرير وصار يتحدث هو واياه ثم قدموا لهم الطعام فأكلوا حتى اكتفوا ثم قدموا لهم الحلويات ولم يمض الا قليل حتى جاء تاج الملوك وقدم عليه بلباسه وزينته فلما رآه والده قام له وقبله وقام له جميع من حضر وجلس بين أيديهم ساعة يتحدثون فقال الملك سليمان شاه انى أريد أن أكتب كتاب ولدى على ابنتك على رؤس الاشهاد فقال له سمعا وطاعة ثم أرسل الملك شهرمان الى القاضى والشهود فحضروا وكتبوا الكتاب وفرح العساكر بذلك وشرع الملك شهرمان فى تجهيز ابنته ثم قال تاج الملوك لوالده ان عزيزا رجل من الكرام وقد خدمنى خدمة عظيمة وتعب وسافر معى وأوصلنى الى بغيتى ولم يزل يصبرنى حتى قضيت حاجتى ومضى معنا سنتان وهو مشتت من بلاده فالمقصود أننا نهيئ له تجارة لان بلاده قريبة فقال له والده نعم ما رأيت ثم هيؤا له مائة حمل من أغلى القماش وأقبل عليه تاج الملوك وودعه وقال له يا أخى اقبل هذه على سبيل الهدية فقبلها منه وقبل الارض قدامه وقدام والده الملك سليمان شاه ثم ركب تاج الملوك وسافر مع عزيز قدر ثلاثة أميال وبعدها أقسم عليه عزيز أن يرجع وقال لولا والدتى ما صبرت على فراقك فبالله عليك لا تقطع أخبارك عنى ثم ودعه ومضى الى مدينته فوجد والدته بنت له فى وسط الدار قبرا وصارت تزوره ولما دخل الدار وجدها قد حلت شعرها ونشرته على القبر وهى تفيض دمع العين وتنشد هذين البيتين

باللّه ياقبر هل زالت محاسنه * أوقد تغير ذاك المنظر النضر
ياقبر ما أنت بستان ولا فلك * فكيف يجمع فيك البدر والزهر

ثم صعدت الزفرات وأنشدت هذه الابيات

مالى مررت على القبور مسلما * قبر الحبيب فلم يرد جوابى * قال الحبيب وكيف رد جوابكم

وأنا رهين جنادل وتراب * أكل التراب محاسني فنسيتكم * وحجبت عن أهلي وعن أحبابي

فما أتمت شعرها الا وعزيز داخل عليها فلما رأته قامت اليه واحتضنته وسألته عن سبب غيابه فحدثها بما وقع له من أوله الى آخره وان تاج الملوك أعطاه من المال والاقمشة مائة حمل ففرحت بذلك وأقام عزيز عند والدته متحيرا فيما وقع له من الدليلة المحتالة التي خصته هذا ما كان من أمر عزيز ﴿وأما﴾ ما كان من أمر تاج الملوك فانه دخل بمحبوبته السيدة دنيا وأزال بكارتها ثم ان الملك شهرمان شرع في تجهيز ابنته للسفر مع زوجها وأبيها فاحضر لهم الزاد والهدايا والتحف ثم حملوا وساروا وسار معهم الملك شهرمان ثلاثة أيام لاجل الوداع فاقسم عليه الملك سليمان شاه بالرجوع فرجع ومازال تاج الملوك ووالده وزوجته سائرين في الليل والنهار حتى أشرفوا على بلادهم وزينت لهم المدينة * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السابعة والثلاثون بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك سليمان شاه سار هو وولده وزوجته ولده حتى أشرفوا على بلادهم وزينت لهم المدينة ثم دخلوا المدينة وجلس الملك سليمان شاه على سرير مملكته وولده تاج الملوك في جانبه ثم أعطى ووهب وأطلق من كان في الحبوس ثم عمل لولده عرسا ثانيا واستمرت به المغاني والملاهي شهرا كاملا وازدحمت المواشط على السيدة دنيا وهي لا تمل من الجلاء ولا يملن من النظر اليها ثم دخل تاج الملوك على زوجته بعد أن اجتمع على أبيه وامه ومازالوا في ألذ عيش وأهناه * فعند ذلك قال ضوء المكان للوزير دندان مثلك من ينادم الملوك ويسلك في تدبيرهم أحسن السلوك هذا كله وهم محاصرون للقسطنطينية حتى مضى عليهم أربع سنين ثم اشتاقوا الى أوطانهم وضجرت العساكر من الحصار وادامة الحرب في الليل والنهار فأمر الملك ضوء المكان باحضار بهرام ورستم وتركاش فلما حضروا قال لهم اعلموا أننا أقمنا هذه السنين وما بلغنا مراما فازددنا غما وهما وقد أتينا لنخلص ثار الملك عمر النعمان فقتل أخي شركان فصارت الحسرة حسرتين والمصيبة مصيبتين وسبب هذا كله العجوز ذات الدواهي فانها قتلت السلطان في مملكته وأخذت زوجته الملكة صفية وما كفاها ذلك حتى عملت الحيلة علينا وذبحت أخي وقد حلفت الايمان العظيمة أنه لابد من أخذ الثار فما تقولون أنتم فافهموا هذا الخطاب وردوا على الجواب فاطرقوا رؤسهم وأحالوا الامر على الوزير دندان فعند ذلك تقدم الوزير دندان الى الملك ضوء المكان وقال له اعلم يا ملك الزمان انه ما بقي في اقامتنا فائدة والرأي اننا نرحل الى الاوطان ونقيم هناك برهة من الزمان ثم نعود ونغزو عبدة الاصنام فقال الملك نعم هذا الرأي لان الناس اشتاقوا الى رؤية عيالهم وأنا أيضا أقلقني الشوق الى ولدي كان ما كان والى ابنة أخي قضى فكان لانها في دمشق ولا أعلم ما كان من أمرها فلما سمعت العساكر ذلك فرحوا ودعوا للوزير دندان ثم ان الملك ضوء المكان أمر المنادي أن ينادي بالرحيل بعد ثلاثة أيام فابتدؤا في تجهيز أحوالهم وفي اليوم الرابع دقت الكاسات ونشرت الرايات وتقدم الوزير دندان في مقدم العسكر وسار الملك في وسط العساكر وبجانبه الحاجب الكبير وسارت الجيوش ومازالوا مجدين السير بالليل والنهار حتى وصلوا الى مدينة بغداد ففرحت بقدومهم الناس وزال عنهم الهم والباس ثم ذهب كل أمير الى داره وطلع الملك الى قصره ودخل على ولده كان ما كان وقد بلغ من العمر سبع سنين وصار ينزل ويركب ولما استراح الملك من السفر دخل الحمام هو وولده كان ما كان ثم رجع وجلس على كرسي مملكته ووقف الوزير دندان بين يديه وطلعت الامراء وخواص الدولة ووقفوا في خدمته فعند ذلك أمر الملك ضوء المكان باحضار صاحبه الوقاد الذي أحسن اليه في غربته فحضر بين يديه فلما رآه الملك ضوء المكان قادما عليه نهض له قائما وأجلسه الى جانبه وكان الملك ضوء المكان قد أخبر الوزير بما فعل معه صاحبه الوقاد من المعروف فعظم في عينه وفي أعين الامراء وكان الوقاد قد غلظ وسمن من الاكل والراحة وصار عنقه كعنق الفيل وبطنه كبطن الدرفيل وصار طائش العقل لانه كان لا يخرج من المكان الذي هو فيه فلم يعرف الملك بسيماه فاقبل عليه الملك وبش في وجهه وحياه أعظم التحيات وقال له ما أسرع ما نسيتني فامعن فيه النظر فلما تحققه وعرفه قام له على الاقدام وقال له يا حبيبي من عملك سلطانا فضحك عليه فاقبل عليه الوزير بالكلام وشرح له القصة وقال انه كان أخاك وصاحبك

والآن صار ملك الارض ولابد أن يحصل اليك منه خير كثير وها أنا أوصيك اذا قال لك تمن على فلا تتمن الا شيأ عظيما لانك عنده عزيز فقال الوقاد أخاف أن أتمنى عليه شيأ فلا يسمح لى به أولا يقدر عليه فقال له الوزير كل ما تمنيته يعطيك اياه فقال له والله لابد أن أتمنى عليه الشئ الذى هو فى خاطرى وكل يوم أرجو منه أن يسمح لى به فقال له الوزير طيب قلبك والله لو طلبت ولاية دمشق موضع أخيه لولاك عليها فعند ذلك قام الوقاد على قدميه فأشار له ضوء المكان أن اجلس فأبى وقال معاذ الله قد انقضت أيام قعودى فى حضرتك فقال له السلطان لا بل هى باقية الى الآن فانك كنت سببا لحياتى والله لو طلبت منى مهما أردت لأعطيتك اياه فتمن على الله فقال له ياسيدى انى أخاف أن أتمنى شيأ فلا تسمح لى به أولا تقدر عليه فضحك السلطان وقال له لو تمنيت نصف مملكتى لشاركتك فيها فتمن ما تريد قال الوقاد أخاف أن أتمنى شيأ لا تقدر عليه فغضب السلطان وقال له تمن ما أردت فقال له تمنيت عليك أن تكتب لى مرسوما بعرافة جميع الوقادين الذين فى مدينة القدس فضحك السلطان وجميع من حضر وقال له تمن غير هذا فقال الوقاد أنا ما قلت لك انى أخاف أن أتمنى شيأ لا تسمح لى به أو ما تقدر عليه فغمزه الوزير ثانيا وثالثا وفى كل مرة يقول أتمنى عليك أن تجعلنى رئيس الزبالين فى مدينة القدس أو فى مدينة دمشق فانقلب الحاضرون على ظهورهم من الضحك عليه وضربه الوزير فالتفت الوقاد الى الوزير وقال له ما تكون حتى تضربنى ومالى ذنب فانك أنت الذى قلت لى تمن شيأ عظيما ثم قال دعونى أسير الى بلادى فعرف السلطان أنه يلعب فصبر قليلا ثم أقبل عليه وقال له يا أخى تمن على أمرا عظيما لائقا بمقامى فقال له أتمنى سلطنة دمشق موضع أخيك فكتب له التوقيع بذلك وقال للوزير دندان ما يروح معه غيرك واذا أردت العود فاحضر معك بنت أخى قضى فكان فقال الوزير سمعا وطاعة ثم أخذ الوقاد ونزل به وتجهز للسفر وأمر السلطان ضوء المكان أن يخرجوا للوقاد تختا جديدا وطقم سلطنة وقال للامراء من كان يحبنى فليقدم اليه هدية عظيمة ثم سماه السلطان الزبلكان ولقبه بالمجاهد وبعد شهر كملت حوائجه وطلع الزبلكان وفى خدمته الوزير دندان ثم دخل على ضوء المكان ليودعه فقام له وعانقه وأوصاه بالعدل بين الرعية وأمره أن يأخذ الاهبة للجهاد بعد سنتين ثم ودعه وانصرف وسار الملك المجاهد المسمى بالزبلكان بعد أن أوصاه الملك ضوء المكان بالرعية خيرا وقدمت له الامراء المماليك فبلغوا خمسة آلاف مملوك وركبوا خلفه وركب الحاجب الكبير وأمير الديلم بهرام وأمير الترك رستم وأمير العرب تركاش وساروا فى توديعه وما زالوا سائرين معه ثلاثة أيام ثم عادوا الى بغداد وسار السلطان الزبلكان هو والوزير دندان وما زالوا سائرين حتى وصلوا الى دمشق وكانت الاخبار قد وصلت اليهم على أجنحة الطيور بأن الملك ضوء المكان سلطن على دمشق ملكا يقال له الزبلكان ولقبه المجاهد فلما وصل اليهم الخبر زينوا له المدينة وخرج الى ملاقاته كل من فى دمشق ثم دخل دمشق وطلع القلعة وجلس على سرير المملكة ووقف الوزير دندان فى خدمته يعرفه منازل الامراء ومراتبهم وهم يدخلون عليه ويقبلون يديه ويدعون له فأقبل عليهم الملك الزبلكان وخلع وأعطى ووهب ثم فتح خزائن الاموال وأنفقها على جميع العساكر كبيرا وصغيرا وحكم وعدل وشرع الزبلكان فى تجهيز بنت السلطان شركان السيدة قضى فكان وجعل لها محفة من الابريسم وجهز الوزير وقدم له شيأ من المال فأبى الوزير دندان وقال له أنت قريب عهد بالملك وربما تحتاج الى الاموال أو نرسل اليك نطلب منك مالا للجهاد أو غير ذلك ولما تهيأ الوزير دندان للسفر ركب السلطان المجاهد الى وداعه وأحضر قضى فكان وأركبها فى المحفة وأرسل معها عشر جوار برسم الخدمة وبعد أن سافر الوزير دندان رجع الملك المجاهد الى مملكته ليدبرها واهتم بآلة السلاح وصار ينتظر الوقت الذى يرسل اليه فيه الملك ضوء المكان هذا ما كان من أمر السلطان الزبلكان ﴿وأما﴾ ما كان من أمر الوزير دندان فانه لم يزل يقطع المراحل بقضى فكان حتى وصل الى الرحبة بعد شهر ثم سار حتى أشرف على بغداد وأرسل يعلم ضوء المكان بقدومه فركب وخرج الى لقائه فأراد الوزير دندان أن يترجل فأقسم عليه الملك ضوء المكان أن لا يفعل فسار راكبا حتى جاء الى جانبه وسأله عن المجاهد فأعلمه

أنه بخير وأعلمه بقدوم قضى فكان بنت أخيه شركان ففرح وقال له دونك والراحة من تعب السفر ثلاثة أيام ثم بعد ذلك تعال عندي فقال حبا وكرامة ثم دخل بيته وطلع الملك الى قصره ودخل على ابنة أخيه قضى فكان وهى ابنة ثمان سنين فلما رآها فرح بها وحزن على أبيها وأعطاها حليا ومصاغا عظيما وأمر أن يجعلوها مع ابن عمها كان ما كان في مكان واحد وكانت أحسن أهل زمانها وأشجعهم لانها كانت صاحبة تدبير وعقل ومعرفة بعواقب الامور وأما كان ما كان فانه كان مولعا بمكارم الاخلاق ولكنه لا يفكر في عاقبة شئ ثم بلغ عمر كل واحد من الاثنين عشر سنين وصارت قضى فكان تركب الخيل وتطلع مع ابن عمها في البر ويتعلمان الضرب بالسيف والطعن بالرمح حتى بلغ عمر كل منهما اثنتى عشرة سنة ثم ان الملك انتهت أشغاله للجهاد وأكمل الاهبة والاستعداد فأحضر الوزير دندان وقال له اعلم اني عزمت على شئ وأريد اطلاعك عليه فاسرع في رد الجواب فقال الوزير دندان ما هو يا ملك الزمان قال عزمت على ان أسلطن ولدي كان ما كان وافرح به في حياتي وأقاتل قدامه الى أن يدركني الممات فما عندك من الرأى فقبل الوزير دندان الارض بين يدي الملك ضوء المكان وقال له اعلم أيها الملك السعيد صاحب الرأى السديد أن ما خطر ببالك مليح غير انه لا يناسب في هذا الوقت لخصلتين الاولى أن ولدك كان ما كان صغير السن والثانية ما جرت به العادة من ان من سلطن ولده في حياته لا يعيش الا قليلا وهذا ما عندي من الجواب فقال اعلم أيها الوزير اننا نوصى عليه الحاجب الكبير فانه صار منا والينا وقد تزوج أختي فهو في منزلة أخي فقال الوزير افعل ما بدا لك فنحن ممتثلون أمرك فأرسل الملك الى الحاجب الكبير فأحضره وكذلك أكابر مملكته وقال لهم ان هذا ولدي كان ما كان قد علمتم أنه فارس الزمان وليس له نظير في الحرب والطعان وقد جعلته سلطانا عليكم والحاجب الكبير وصى عليه فقال الحاجب يا ملك الزمان انما أنا غريس نعمتك فقال ضوء المكان أيها الحاجب ان ولدي كان ما كان وابنة أخي قضى فكان ولدا عم وقد زوجتها به وأشهد الحاضرين على ذلك ثم نقل لولده من المال ما يعجز عن وصفه اللسان وبعد ذلك دخل على أخته نزهة الزمان وأعلمها بذلك ففرحت وقالت ان الاثنين ولداى والله تعالى يبقيك لهما مدى الزمان فقال يا أختي اني قضيت من الدنيا غرضي وأمنت على ولدي ولكن ينبغي أن تلاحظيه بعينك وتلاحظي أمه ثم صار يوصى الحاجب ونزهة الزمان على ولده وعلى زوجته ليالي وأياما وقد أيقن بكاس الحمام ولزم الوساد وصار الحاجب يتعاطى أحكام العباد وبعد سنة أحضر ولده كان ما كان والوزير دندان وقال يا ولدي ان هذا الوزير والدك من بعدي واعلم أني راحل من الدار الفانية الى الدار الباقية وقد قضيت غرضي من الدنيا ولكن بقى في قلبي حسرة يزيلها الله على يديك فقال ولده وما تلك الحسرة يا والدي فقال يا ولدي ان أموت ولم تأخذ بثار جدك الملك عمر النعمان وعمك الملك شركان من عجوز يقال لها ذات الدواهي فان أعطاك الله النصر لا تغفل عن أخذ الثار وكشف العار واياك من مكر العجوز واقبل ما يقول لك الوزير دندان لانه عماد ملكنا من قديم الزمان فقال له ولده سمعا وطاعة ثم هملت عيناه بالدموع وبعد ذلك ازداد المرض بضوء المكان وصار أمر المملكة للحاجب فصار يحكم ويأمر وينهى واستمر على ذلك سنة كاملة وضوء المكان مشغول بمرضه وما زالت به الامراض مدة أربع سنين والحاجب الكبير قائم بأمر الملك وارتضى به أهل المملكة ودعت له جميع البلاد هذا ما كان من أمر ضوء المكان والحاجب

(وأما) ما كان من أمر كان ما كان فانه لم يكن له شغل الا ركوب الخيل واللعب بالرمح والضرب بالنشاب وكذلك ابنة عمه قضى فكان وكانت تخرج هى واياه من أول النهار الى الليل فتدخل الى أمها ويدخل هو الى أمه فيجدها جالسة عند رأس أبيه تبكي فيخدمه بالليل واذا أصبح الصباح يخرج هو وبنت عمه على عادتهما وطالت بضوء المكان التوجعات فبكى وأنشد هذه الابيات

تفانت قوتي ومضى زماني * وها أنا قد بقيت كما تراني
فيوم العز كنت أعز قومي * وأسبقهم الى نيل الاماني
وقد فارقت ملكي بعد عزي * الى ذل تخلل بالهوان
ترى قبل الممات أرى غلامي * يكون على الورى ملكا مكاني
ويفتك بالعداة لاخذ ثار * بضرب السيف أو طعن السنان
أنا المغبون في هزل وجد * اذا مولاي لا يشفي جناني

فلما فرغ من شعره وضع رأسه على الوسادة ونام فرأى فى منامه قائلا يقول له ابشر فان ولدك يملك البلاد وتطيعه العباد فانتبه من منامه مسرورا ثم بعد أيام قلائل طرقه الممات فأصاب أهل بغداد لذلك مصاب عظيم و بكى عليه الوضيع والعظيم ومضى عليه الزمان كأنه ما كان وتغير حال كان ما كان وعزله أهل بغداد وجعلوه هو وعياله فى بيت على حدتهم فلما رأت أم كان ما كان ذلك صارت فى أذل الاحوال ثم قالت لابد لى من قصد الحاجب الكبير وأرجو الرأفة من اللطيف الخبير فقامت من منزلها الى أن أتت الى بيت الحاجب الذى صار سلطانا فوجدته جالسا على فراشه فدخلت عند زوجته نزهة الزمان وبكت وقالت ان الميت ماله صاحب فلا أحوجكم الله مدى الدهور والاعوام ولا زلتم تحكمون بالعدل بين الخاص والعام قد سمعت أذناك ورأت عيناك ما كنا فيه من الملك والعز والجاه والمال وحسن المعيشة والحال والآن انقلب علينا الزمان وقصدنا الدهر بالعدوان وأتيت اليك قاصدة احسانك بعد اسدائى للاحسان لان الرجل اذا مات ذلت بعده النساء والبنات ثم أنشدت هذه الابيات

كفاك بان الموت بادى العجائب * وما غائب الاعمار عنا بغائب
وما هذه الايام الا مراحل * موارد ها ممزوجة بالمصائب
وما ضر قلبى مثل فقد أكارم * أحاطت بهم مستعظمات النوائب

فلما سمعت نزهة الزمان هذا الكلام تذكرت أخاها ضوء المكان وابنه كان ما كان فقربتها وأقبلت عليها وقالت أنا الآن غنية وأنت فقيرة فوالله ما تركنا افتقادك الا خوفا من انكسار قلبك لئلا يخطر ببالك أن ما نهديه اليك صدقة مع أن جميع ما نحن فيه من الخير منك ومن زوجك فبيتنا بيتك ولك مالنا وعليك ما علينا ثم خلعت عليها ثيابا فاخرة وأفردت لها مكانا فى القصر ملاصقا لمقصورتها وأقامت عندهم فى عيشة طيبة هى وولدها كان ما كان وخلعت عليه ثياب الملوك وأفردت لهما جوارى برسم خدمتهما ثم ان نزهة الزمان بعد مدة قليلة ذكرت لزوجها حديث زوجة أخيها ضوء المكان فدمعت عيناه وقال ان شئت أن تنظرى الدنيا بعدك فانظرى بها بعد غيرك فأكرمى مثواها * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثامنة والثلاثون بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان زوج نزهة الزمان قال لها ان شئت ان تنظرى للدنيا بعدك فانظرى بها بعد غيرك فأكرمى مثواها واغنى فقرها هذا ما كان من أمر نزهة الزمان وزوجها وأم ضوء المكان ﴿واما﴾ ما كان من أمر كان ما كان وابنة عمه قضى فكان فانهما كبرا وترعرعا حتى صارا كأنهما غصنان مثمران أو قمران أزهران و بلغا من العمر خمسة عشر عاما وكانت قضى فكان من أحسن البنات المخدرات بوجه جميل وخصر نحيل وردف ثقيل وريق كالسلسبيل وقد رشيق وثغر الذمن الرحيق كما قال فيها بعض واصفيها هذين البيتين

كأن سلاف الخمر من ريقها بدت * وعنقودها من ثغرها الدر يقطف
وأعنابها مالت اذا ما ثنيتها * فسبحان خلاق لها لا يكيف

وقد جمع الله كل المحاسن فيها فقدها يخجل الاغصان والورد يطلب من خدها الامان وأما الريق فانه يهزأ بالرحيق تسر القلب والناظر كما قال فيها الشاعر

مليحة الوصف قد تمت محاسنها * أجفانها تفضح التكحيل بالكحل
كأن ألحاظها فى قلب عاشقها * سيف بكف أمير المؤمنين على

وأما كان ما كان فانه كان بديع الجمال فائق الكمال عز فى الحسن عن مثال الشجاعة تلوح بين عينيه تشهد له لا عليه وتميل كل القلوب اليه وحين اخضر منه العذار كثرت فيه الاشعار كقول بعضهم

ما بان عذرى فيه حتى عذرا * ومشى الدجى فى خده متحيرا
رشأ اذا رنت العيون لحسنه * سلت لواحظه عليها خنجرا

وقول الآخر

نسجت نفوس العاشقين بخده * ثم لا ونم بها النجيع الاحمر
فاعجب لهم شهدوا ومسكنهم لظى * ولباسهم فيها الحرير الاخضر

واتفق فى بعض الاعياد ان قضى فكان خرجت ثم نيته على بعض أقاربها من الدولة والجوارى حوالها والحسن قد عمها ووردالخد يحسد خالها والاقحوان يتبسم عن بارق ثغرها فجعل كان ما كان يدور حولها ويطلق النظر اليها وهى كالقمر الزاهر فقوى جنانه وأطلق بالشعر لسانه وأنشد هذين البيتين

متى يشتفى قلب الدنو من البعد * ويضحك ثغر الوصل من زائد الصد
فياليت شعرى هل أبيتن ليلة * بوصل حبيب عنده بعض ماعندى

فلما سمعت قضى فكان هذا الشعر أظهرت له الملامة والعتاب وتوعدته بأليم العقاب فاغتاظ كان ما كان وعاد الى بغداد وهو غضبان ثم طلعت قضى فكان الى قصرها وشكت ابن عمها الى أمها فقالت لها يابنتى لعله ما أرادك بسوء وهل هو الا يتيم ومع هذا لم يذكر شيأ يعيبك فاياك أن تعلمى بذلك أحدا فانه ربما بلغ الخبر الى السلطان فيقصر عمره ويخمد ذكره ويجعل اثره كأمس الدابر والميت الغابر وشاع فى بغداد حب كان ما كان لقضى فكان وتحدثت به النسوان ثم ان كان ما كان ضاق صدره وقل صبره واشتغل باله ولم يخف على الناس حاله واشتهى أن يبوح بما فى قلبه من لوعة البين فخاف من غضبها وأنشد هذين البيتين

اذا خفت يوم عتاب التى * تغير أخلاقها الصافيه
صبرت عليها كصبر الفتى * على الكى فى طلب العافيه

*وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة التاسعة والثلاثون بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الحاجب الكبير لما صار سلطانا سموه الملك ساسان ثم انه بلغه حب كان ما كان لقضى فكان فندم على جعلهما معا فى محل واحد ثم دخل على زوجته نزهة الزمان وقال ان الجمع بين الحلفة والنار لمن أعظم الاخطار وليست الرجال على النساء بمؤتمنين مادامت العيون فى دعج والمعاطف فى لين وان ابن أخيك كان ما كان قد بلغ مبلغ الرجال فيجب منعه عن الدخول على ربات الحجال ومنع بنتك عن الرجال أوجب لان مثلها ينبغى أن يحجب فقالت صدقت أيها الملك العاقل والهمام الكامل فلما أصبح الصباح جاء كان ما كان ودخل على عمته نزهة الزمان على جرى عادته وسلم عليها فردت عليه السلام وقالت له عندى لك كلام ما كنت أحب ان اقوله ولكن أخبرك به رغما عنى فقال لها وماذاك الكلام قالت ان الملك سمع بحبك لقضى فكان فأمر بحجبها عنك واذا كان لك حاجة فأنا أرسلها اليك من خلف الباب ولا تنظر قضى فكان فلما سمع كلامها رجع ولم ينطق بحرف واحد وأعلم والدته بما قالته عمته فقالت له انما نشأ هذا من كثرة كلامك وقد علمت ان حديث حبك لقضى فكان شاع وانتشر فى كل مكان وكيف تأكل زادهم وبعد ذلك تعشق بنتهم فقال انى أريد الزواج لانها بنت عمى وأنا أحق بها فقالت له أمه أسكت لئلا يصل الخبر الى الملك ساسان فيكون ذلك سببا لغرقك فى بحر الاحزان ولم يبعثوا لنا فى هذه الليلة عشاء ولو كنا فى بلد غير هذه لمتنا من ألم الجوع أو ذل السؤال فلما سمع كان ما كان كلام أمه زادت بقلبه الحسرات وأنشد هذه الابيات

أقلى من اللوم الذى لا يفارق * فقلبى الى من تيمتنى مفارق
ولا تطلبى عندى من الصبر ذرة * فصبرى وبيت الله منى طالق
اذا سامنى اللوام نهيا عصيتهم * وها أنا فى دعوى المحبة صادق
وقد منعونى عنوة أن أزورها * وانى والرحمن ما أنا فاسق
وان عظامى حين تسمع ذكرها * تشابه طيرا خلفهن بواشق
ألا قل لمن قد لام فى الحب اننى * وحق الهوى لابنة عمى لعاشق

ولما فرغ من شعره قال لامه ما بقى لى عند عمتى ولا عند هؤلاء القوم مقام بل أخرج من القصر وأسكن فى أطراف المدينة بجوار قوم صعاليك ثم خرج وفعل كما قال وصارت أمه تتردد الى بيت الملك ساسان وتأخذ منه ما تقتات به هى واياه ثم ان قضى فكان اختلت بأم كان ما كان وقالت لها يا امرأة عمى كيف حال ولدك فقالت انه باكى العين حزين القلب ليس له من أسر الغرام فكاك ومقتنص من هواك فى أشراك فبكت قضى فكان وقالت والله ما هجرته بغضا له ولكن خوفا عليه من الاعداء وعندى من الشوق أضعاف ما عنده ولولا عثرات لسانه وخفقان جنانه ما قطع أبى عنه احسانه وأولاه منعه وحرمانه ولكن أيام الورى دول والصبر فى كل الامور

أجل ولعل من حكم بالفراق أن يمن علينا بالتلاق ثم أفاضت دمع العين وأنشدت هذين البيتين

فمنـدي يا ابن عمي من غرامي * كامثال الذى قد حل عندك
ولـكن كتمت الناس وجدى * فهلا كنت أنت كتمت وجدك

فشكرته أم كان ما كان وخرجت من عنـدها وأعلمت ولدها كان ما كان بذلك فزاد شوقه اليها وقال ما أبدلها من الحور بالفين وأنشد هذين البيتين

فوالله لا أصغى الى قول لائم * ولا بحت بالسر الذى كنت كاتما
وقد غاب عنى من أرجى وصاله * وقد سهرت عينى وقد بات نائما

ثم مضت الايام والليالى وهو يتقلب على جمر المقالى حتى مضى له من العمر سبعة عشر عاما وقد كمل حسنه ففى بعض الليالى أخـذه السهر وقال فى نفسـه مالى أرى جسمى يذوب والى متى لا أقدر على نيل المطلوب ومالى عيب سوى عدم الجاه والمـال ولـكن عند الله بلوغ الآمال فينبغى أن أشرد نفسى عن بلادها حتى تموت أو تحظى بمرادها ثم أضمر على هذه العزمات وأنشد هذه الابيات

دع مهجتى تزداد فى خفقانها * ليس التذلل فى الورى من شانها * واعـذر فان حشاشتى كصحيفـة
لاشك أن الدمع من عنوانها * هابنت عمى قـد بدت حورية * نزلت الينا عـن رضا رضوانها
من رام ألحاظ العيون معارضا * فتكاتها لم ينج من عـدوانها * سأسير فى الارض الوسيعة منقذا
نفسى وأمحها سوى حرمانها * وأعـود مسرور الفـؤاد بطلبى * وأقاتـل الابطال فى ميدانها
ولسوف أستاق الغنائم عائدا * وأصول مقتدرا على أقرانها

ثم ان كان ما كان خرج من القصر ماشـيا حافيا فى قميص قصـير الاكمام وعلى رأسه لبدة لها سبعة أعوام وصحبته رغيف له ثلاثة أيام ثم سار فى حندس الظلام حتى وصل الى باب بغداد فوقف هناك ولـما فتحوا باب المدينة كان هو أول خارج منه ثم صار يقطع الاودية والقفار فى ذلك النهار ولـما أتى الليل طلبته أمه فلم تجده فضاقت عليها الدنيا باتساعها ولم تلتـذ بشئ من متاعها ومكثت تنتظر أول يوم وثانى يوم وثالث يوم الى أن مضى عشرة أيام فلم تر له خبرا فضاق صـدرها وبكت ونادت قائلة يا مؤنسى قد هيجت أحزانى حيث فارقتنى وتركت أوطانى ياولدى من أى الجهات أناديك ويا هل ترى أى بلد يؤويك ثم صعدت الزفرات وأنشدت هذه الابيات

علمنا بأنا بعـد غيبتكم نبـلى * ومدت قسى للفراق لنا نبـلا * وقد خلفونى بعد شد رحالهم
أعالج كرب الموت اذ قطعوا الرملا * لقد هتفت بى جنح ليل حمامة * مطوقة ناحت فقلت لها مهلا
لعمرك لو كانت كمثلى حزينة * لـما لبست طوقا ولا خضبت رجلا
وفارقنى الفى فالقيت بعـده * دواعى هـم لا تفارقنى أصـلا

ثم انها امتنعت من الطعام والشراب وزادت فى البكاء والانتحاب وصار بكاؤها على رؤس الاشهاد واشتهر حزنها بين العباد والبـلاد وصار الناس يقولون أين عينك يا ضوء المكان وترى ما جرى على كان ما كان حتى بعد عن وطنه وخرج من المكان وكان أبوه يشبع الجيعان ويأمر بالعدل والاحسان ووصـل خبر كان ما كان الى الملك ساسان * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الموفية للاربعين بعد المائة) قالت بلغنى أيها الملك السـعيد أن الملك ساسان وصل اليه خبر كان ما كان من الامراء الكبار وقالوا له انه ولد ملكنا ومن ذرية الملك عمر النعمان وقد بلغنا انه تغرب عن الاوطان فلما سمع الملك ساسان هذا الـكلام اغتاظ غيظا شديدا وتذكر احسان أبيه اليه وانه أوصاه عليه فحزن على كان ما كان وقال لابد من التفتيش عليـه فى سائر البلاد ثم بعث فى طلبه الامير تركاش فى مائة فارس فغاب عشرة أيام ثم رجع وقال ما اطلعت له على خبر ولا وقفت له على أثر فحزن عليه الملك ساسان حزنا شديدا وأما أمه فانها صارت لا يقر لها قرار ولا يطاوعها اصـطبار وقد مضى له عشرون يوما هذا ما كان من أمر هؤلاء (وأما) ما كان من أمر كان ما كان فانه لما خرج من بغـداد صار متحيرا فى أمره ولم يدر الى أين يتوجـه ثم انه سافر فى البر

ثلاثة أيام وحده ولم ير راجلا ولا فارسا فطار رقاده وزاد سهاده وتفكر أهله وبلاده وصار يتقوت من نبات الأرض ويشرب من أنهارها ويقيل وقت الحر تحت أشجارها ثم خرج من تلك الطريق الى طريق أخرى وسار فيها ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع أشرف على أرض معشبة الفلوات مليحة النبات وهذه الارض قد شربت من كؤس الغمام على أصوات القمري والحمام فاخضرت رباها وطاب ثراها فتذكر كان ما كان بلاد أبيه فأنشد من فرط ما هو فيه

خرجت وفي أملي عودة * ولكنني لست أدري متى
وشردني أنني لم أجد * سبيلا الى دفع ما قد أتى

فلما فرغ من شعره أكل من ذلك النبات وتوضأ وصلى ما كان عليه من الفريضة وجلس يستريح ومكث طول ذلك اليوم في ذلك المكان فلما جاء الليل نام واستمر نائما الى نصف الليل ثم انتبه فسمع صوت انسان ينشد هذه الابيات

ما العيش الا أن ترى لك بارق * من ثغر من تهوى ووجه رائق
والموت أسهل من صدود حبيبة * لم يغشني منها خيال طارق
يا فرحة الندماء حيث تجمعوا * وأقام معشوق هناك وعاشق
لاسيما وقت الربيع وزهره * طاب الزمان بما اليه تسابق
يا شارب الصهباء دونك ما ترى * أرض مزخرفة وماء دافق

فلما سمع كان ما كان هذه الابيات هاجت به الاشجان وجرت دموعه على خده كالغدران وانطلقت في قلبه النيران فقام ينظر قائل هذا الكلام فلم ير أحدا في جنح الظلام فاخذه القلق ونزل من مكانه الى أسفل الوادي ومشى على شاطئ النهر فسمع صاحب الصوت يصعد الزفرات وينشد هذه الابيات

ان كنت تضمر ما في الحب اشفاقا * فاطلق الدمع يوم البين اطلاقا
بيني وبين أحبائي عهود هوى * لذا اليوم أظل الدهر مشتاقا
يرتاح قلبي الى تيم ويطربني * نسيم تيم اذا ما هب أشواقا
يا سعد هل ربة الخلخال تذكرني * بعد البعاد لنا عهدا وميثاقا
وهل تعود ايالي الوصل تجمعنا * يوما ويشرح كل بعض ما لاقى
قالت فتنت بنا وجدا فقلت لها * كم قد فتنت رعاك الله عشاقا
لامتع الله طرفي في محاسنها * ان كان من بعدها طيب الكرى ذاقا
يا اسعة في فؤادي ما رأيت لها * سوى الوصل ورشف الثغر ترياقا

فلما سمع كان ما كان هذه الاشعار من صاحب ذلك الصوت ثاني مرة ولم ير شخصه عرف أن القائل مثله عاشق منع عن الوصول الى من يحبه فقال في نفسه لعلي أجتمع بهذا فيشكو كل واحد لصاحبه وأجعله أنيسي في غربتي ثم تنحنح ونادى قائلا أيها السائر في الليل العاكر تقرب مني وقص قصتك علي لعلك تجدني معينا لك على بليتك فلما سمع صاحب الصوت هذا الكلام أجابه قائلا أيها المنادي السامع لانشادي من تكون من الفرسان وهل أنت من الانس أو من الجان فجعل علي بكلامك قبل دنو حمامك فان لي عشرين يوما وأنا سائر في هذه البرية فلم أر شخصا ولم أسمع صوتا غير صوتك فلما سمع كان ما كان هذا الكلام قال في نفسه ان هذه القصة كقصتي فان لي أيضا عشرين يوما وأنا سائر ولم أسمع صوتا فقال له صاحب الصوت ان كنت من الجان فاذهب بأمان وان كنت انسيا فالبث مليا حتى يطلع النهار ويذهب الليل بالاعتكار فلما أصبح الصباح نظر اليه كان ما كان فوجده رجلا من عرب البادية فتقدم اليه وسلم عليه فرد البدوي عليه السلام وقابله بالتحية والاكرام الا انه احتقره لما رأى صغر سنه وحالته حالة فقير وقال له يا فتى من أي القوم أنت والى من تنسب من العربان وما قصتك وأنت سائر بالليل فان هذا فعل الابطال وقد كلمتني كلاما لا يتكلم به الا كل فارس همام وبطل مصدام وقد صرت الآن في قبضتي الا أني أرحمك لصغر سنك فاجعلك رفيقي وتكون عندي برسم خدمتي فلما سمع كان ما كان فظاعة كلامه بعدما أبداه من حسن نظامه عرف انه استحقره وطمع فيه فقال له بلين الكلام يا وجه العرب دعنا من صغر سني وكوني أخدمك وأخبرني عن سبب سيرك بالليل في القفار وانشادك الاشعار فما حملك على هذا فقال له اسمع يا غلام انني صباح بن رماح بن همام وقومي من عرب الشام ولي بنت عم اسمها نجمة كل من رآها أتته النعمة ومات والدي وتربيت عند عمي أبي نجمة فلما كبرت وكبرت نجمة حجبوها عني لما رآني فقير الحال قليل المال فسعت عليها العرب الكبار سادات القبائل فاستحي منهم وأجابني الى زواجها الا انه اشترط علي خمسين

رأسا من الخيل وخمسين ناقة وعشرة عبيد وعشر جوار وخمسين حملا قمحا ومثلها شعيرا وحملني ما لا أطيق وأكثر علي الصداق وها أنا مسافر من الشام الى العراق ولي عشرون يوما ما نظرت أحدا سواك وقصدي أن أدخل أرض بغداد وأنظر من يخرج منها من التجار فأخرج في أثرهم وأسلب أموالهم وأقتل رجالهم وأسوق جمالهم وأحمالهم فمن تكون أنت من الناس قال كان ما كان ان قصتي كقصتك غير أن مرضي أخطر من مرضك لأن ابنة عمي ابنة ملك وأهلها لا يكفيهم ما ذكرت ولا يرضيهم شيء مثل هذا فقال صباح لعلك مهبول أو من كثرة العشق مخبول كيف تكون بنت عمك بنت ملك وأنت ما عليك سمة الملوك وما أنت الا صعلوك فقال يا واحد العرب لا تستغرب هذا الحال على تصرفات الزمان وان شئت مني البيان فأنا كان ما كان ابن السلطان ضوء المكان ابن الملك عمر النعمان صاحب بغداد وأرض خراسان وقد جار علي الزمان وتسلطن الملك ساسان وخرجت من بغداد خيفة لئلا يراني انسان وسافرت في هذه الارض عشرين يوما ما رأيت أحدا غيرك فقصتك كقصتي وطلبتك نظير طلبتي فلما سمع صباح ذلك الكلام صاح وافرحتي قد بلغت منيتي وليس لي اليوم كسب غيرك لأنك من ذرية الملوك وان كنت في زي صعلوك فلا بد أن أهلك لا يتركونك واذا علموا مكانك بأموالهم يفدونك فأدر كتافك يا غلام وامش قدامي فقال كان ما كان لا تفعل يا أخا العرب لأن أهلي لا يشترونني بفضة ولا ذهب وأنا رجل فقير وما معي قليل ولا كثير فدع عنك هذه الأخلاق واتخذني من الرفاق واخرج بنا من أرض العراق نجول في الآفاق لعلنا نفوز بالمهر والصداق ونحظى من بنت عمنا بالبوس والعناق فلما سمع صباح ذلك غضب وزاد به الالتهاب وقال له ويلك أتراددني في الجواب يا أخس الكلاب أدر كتافك والا أنزلت عليك العذاب فتبسم كان ما كان وقال كيف أدير أكتافي أما عندك انصاف أما تخشى معايرة العربان حيث تأسر غلاما بالذل والهوان وما اختبرته في حومة الميدان وما علمت أهو فارس أو جبان فضحك صباح وقال يا لله العجب انك في سن الغلام ولكنك كبير الكلام لأن هذا القول لا يصدر الا عن البطل المصدام فقال كان ما كان الانصاف انك اذا شئت أخذي أسيرا خادما لك أن ترمي سلاحك وتخفف لباسك وتصارعني وكل من صرع صاحبه بلغ منه مرامه وجعله غلامه فضحك صباح وقال ما أظن كثرة كلامك الا لدنو حمامك ثم رمى سلاحه وشمر أذياله ودنا من كان ما كان وتجاذبا فوجده البدوي يرجح عليه كما يرجح القنطار على الدينار ونظر الى ثبات رجليه في الارض فوجدهما كالمأذنتين المؤسستين أو الجبلين الراسخين فعرف من نفسه قصر باعه وندم على الدنو من صراعه وقال في نفسه ليتني قاتلته بسلاحي ثم ان كان ما كان قبض عليه وتمكن منه وهزه فأحس أن امعاءه تقطعت في بطنه فصاح أمسك يدك يا غلام فلم يلتفت الى ما أبداه من الكلام بل حمله من الارض وقصد به النهر فناداه صباح قائلا أيها البطل ما تريد أن تفعل بي قال أريد أن أرميك في هذا النهر فانه يوصلك الى الدجلة والدجلة توصلك الى نهر عيسى ونهر عيسى يوصلك الى الفرات والفرات يلقيك الى بلادك فيراك قومك فيعرفونك ويعرفون مروءتك وصدق محبتك فصاح صباح ونادى يا فارس البطاح لا تفعل فعل القباح أطلقني بحياة بنت عمك سيدة الملاح فحطه كان ما كان في الارض فلما رأى نفسه خالصا ذهب الى ترسه وسيفه وأخذهما وصار يشاور نفسه على الهجوم عليه فعرف كان ما كان ما يشاور نفسه عليه فقال له قد عرفت ما في قلبك حيث أخذت سيفك وترسك فانه قد خطر ببالك أنه ليس لك يد في الصراع تطول ولو كنت على فرس تجول لكنت بسيفك علي تصول وها أنا أبلغك ما تختار حتى لا يبقى في قلبك انكار فأعطني الترس واهجم علي بسيفك فاما ان تقتلني واما أن أقتلك فرمى الترس وجرد سيفه وهجم به على كان ما كان فتناول الترس بيمينه وصار يلاقي به عن نفسه وصار صباح يضربه ويقول ما بقي الا هذه الضربة الفاصلة فيتلقاها كان ما كان وتروح ضائعة ولم يكن مع كان ما كان شيء يضرب به ولم يزل صباح يضرب بالسيف حتى كلت يده وعرف كان ما كان ضعف قوته وانحلال عزيمته فهجم عليه وهزه وألقاه في الارض وكتفه بحمائل سيفه وجره من رجليه الى جهة النهر فقال صباح وما تريد أن تصنع بي يا فارس الزمان وبطل الميدان قال ألم أقل لك انني أرسلك الى قومك في النهر حتى لا يشتغل خاطرهم عليك وتتعوق عن عرس بنت عمك فتضجر صباح

وبكى وصاح وقال لا تفعل يا فارس الزمان واجعلني لك من بعض الغلمان ثم أفاض دمع العين وأنشد هذين البيتين

تغربت عن أهلي فياطول غربتي * وياليت شعري هل أموت غريبا
أموت وأهلي ليس تعرف مقتلي * وأودى غريبا لا أزور حبيبا

فرحمه كان ما كان وأطلقه بعد أن أخذ عليه العهود والمواثيق انه يصحبه في الطريق ويكون له نعم الرفيق ثم ان صباحا أراد أن يقبل يد كان ما كان فمنعه من تقبيلها ثم قام البدوي الى جرابه وفتحه وأخذ منه ثلاث قرصات شعير وحطها قدام كان ما كان وجلس معه على شاطئ النهر وأكلا مع بعضهما ثم توضآ وصليا وجلسا يتحدثان فيما لقياه من صروف هذا الزمان فقال كان ما كان للبدوي أين تقصد فقال صباح أقصد بغداد بلدك وأقيم بها حتى يرزقني الله بالصداق فقال له دونك والطريق ثم ودعه البدوي وتوجه في طريق بغداد وأقام كان ما كان وقال في نفسه يا نفسي أي وجه للرجوع مع الفقر والفاقة فوالله لا أرجع خائبا ولا بد لي من الفرج ان شاء الله تعالى ثم تقدم الى النهر وتوضأ وصلى فلما سجد وضع جبهته على التراب ونادى ربه قائلا اللهم منزل القطر ورازق الدود في الصخر أسألك أن ترزقني بقدرتك ولطيف رحمتك ثم سلم من صلاته وضاق به كل مسلك فبينما هو جالس يلتفت يمينا وشمالا واذا بفارس أقبل على جواد وقد انحنى ظهره وأرخى عنانه فاستوى كان ما كان جالسا وبعد ساعة وصل اليه الفارس وهو في آخر نفس لانه كان به جرح بالغ فلما وصل اليه جرى دمعه على خده مثل أفواه القرب وقال لكان ما كان يا وجه العرب اتخذني ما عشت لك صديقا فانك لا تجد مثلي واسقني قليلا من الماء وان كان شرب الماء لا يصلح للجروح سيما وقت خروج الروح وان عشت أعطيتك ما يدفع فقرك وان مت فأنت المسعود بحسن نيتك وكان تحت الفارس حصان يحير في حسنه الانسان ويكل عن وصفه اللسان وله قوائم مثل أعمدة الرخام معد ليوم الحرب والزحام فلما نظر كان ما كان الى ذلك الحصان أخذه الهيام وقال في نفسه ان هذا الحصان لا يكون في هذا الزمان ثم انه أنزل الفارس ورفق به وجرعه يسيرا من الماء ثم صبر عليه حتى أخذ الراحة وأقبل عليه وقال له من الذي فعل بك هذه الفعال فقال الفارس أنا أخبرك بحقيقة الحال اني رجل سلال غيار طول دهري أسل الخيل وأختلسها في الليل والنهار واسمي غسان آفة كل فرس وحصان وقد سمعت بهذا الحصان في بلاد الروم عند الملك افريدون وقد سماه بالقاتول ولقبه بالمجنون وقد سافرت الى القسطنطينية من أجله وصرت أراقبه فبينما أنا كذلك اذ خرجت عجوز معظمة عند الروم وأمرها عندهم في الخداع متناهي تسمى شواهي ذات الدواهي ومعها هذا الجواد وصحبتها عشرة عبيد لا غير برسم خدمة ذلك الحصان وهي تقصد بغداد وتريد الدخول على الملك ساسان لتطلب منه الصلح والامان فخرجت في أثرهم طمعا في الحصان ومازلت أتابعهم ولا أتمكن من الوصول اليه لان العبيد شداد الحرص عليه الى أن وصلوا الى تلك البلاد وخفت ان يدخلوا مدينة بغداد فبينما أنا أشاور نفسي في سرقة الحصان اذ طلع عليهم غبار حتى سد الاقطار ثم انكشف ذلك الغبار عن خمسين فارسا مجتمعين لقطع الطريق على التجار ورئيسهم يقال له كهرداش ولكنه في الحرب كالاسد يجعل الابطال كالفراش
* وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الحادية والاربعون بعد المائة) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الفارس المجروح قال لكان ما كان فخرج على العجوز ومن معها كهرداش ثم أحاط بهم وهاش وناش فلم تمض ساعة حتى ربط العشرة عبيد والعجوز وتسلم الحصان وسار بهم وهو فرحان فقلت في نفسي قد ضاع تعبي وما بلغت أربي ثم صبرت حتى أنظر ما يؤل اليه الامر فلما رأت العجوز روحها في الاسر بكت وقالت لكهرداش أيها الفارس الهمام والبطل الضرغام ماذا تصنع بالعجوز والعبيد وقد بلغت من الحصان ما تريد وخادعته بلين الكلام وحلفت أنها ما تسوق له الخيل والانعام فاطلقها هي والعبيد ثم سار هو وأصحابه وتبعتهم حتى وصلت الى هذه الديار وأنا ألاحظه فلما وجدت اليه سبيلا سرقته وركبته وأخرجت من مخلاتي سوطا فضربته فلما أحسوا بي لحقوني وأحاطوا بي من كل مكان ورموني بالسهام والسنان وأنا ثابت عليه وهو يقاتل عني بيديه ورجليه الى أن

تخرج بي من بينهم مثل النجم الطارق والشهم الراشق ولكن لما اشتد الكفاح أصابني بعض الجراح وقد مضى لي على ظهره ثلاثة أيام لم استطعم بطعام وقد ضعفت مني القوى وهانت على الدنيا وأنت أحسنت الي وشفقت علي وأراك عاري الجسد ظاهر الكمد وتلوح عليك أثر النعمة فما يقال لك فقال أنا يقال لي كان ما كان ابن الملك ضوء المكان ابن الملك عمر النعمان قد مات والدي وتربيت يتيما وتولى بعده رجل اثيم وصار ملكا على الحقير والعظيم ثم حدثه بحديثه من أوله الى آخره فقال الرجل السلال وقد رق له انك ذو حسب عظيم وشرف جسيم وليكونن لك شان وتصير أفرس هذا الزمان فان قدرت أن تحملني وتركب ورائي وتوديني الى بلادي يكن لك الشرف في الدنيا والاجر في يوم التناد فانه لم يبق لي قوة أمسك بها نفسي وان مت في الطريق فزت بهذا الحصان وأنت أولى به من كل انسان فقال له كان ما كان والله لو قدرت أن أحملك على أكتافي لفعلت ولو كان عمري بيدي لأعطيتك نصفه من غير هذا الجواد لاني من أهل المعروف واغاثة الملهوف وفعل الخير لوجه الله تعالى يسد سبعين بابا من البلاء وعزم على ان يحمله على الحصان ويسير متوكلا على اللطيف الخبير فقال له اصبر على قليلا ثم غمض عينيه وفتح يديه وقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتهيأ للممات وأنشد هذه الابيات

ظلمت العباد وطفت البلاد * وأمضيت عمري بشرب الخمور * وخضت السيول لسل الخيول
وهدم الطلول بفعل النكور * وأمري عظيم وجرمي جسيم * وكاول مني تمام الامور
وأملت أني أنال المنى * بذاك الحصان فأعيا مسيري * وطول الحياة أسل الخيول
فكانت وفاتي عند الغدير * وآخر أمري أني تعبت * لرزق الغريب اليتيم الفقير

فلما فرغ من شعره غمض عينيه وفتح فاه وشهق شهقة ففارق الدنيا فحفر له كان ما كان حفرة وواراه في التراب ثم مسح وجه الحصان ورآه لا يوجد في حوزة الملك ساسان ثم أتته الاخبار من التجار بجميع ما جرى في غيبته بين الملك ساسان والوزير دندان وأن الوزير دندان خرج عن طاعة الملك ساسان هو ونصف العسكر وحلفوا أنهم ما لهم سلطان الا كان ما كان واستوثق منهم بالأيمان ودخل بهم الى جزائر الهند والبربر وبلاد السودان واجتمع معهم عساكر مثل البحر الزاخر لا يعرف لهم أول من آخر وعزم على أن يرجع بجميع الجيوش الى البلاد ويقتل من خالفه من العباد وأقسم على انه لا يرد سيف الحرب الى غمده حتى يملك كان ما كان فلما بلغته هذه الاخبار غرق في بحر الافكار ثم ان الملك ساسان علم أن الدولة انحرفت عليه الكبار والصغار فغرق في بحر الهموم والاكدار وفتح الخزائن وفرق على أرباب الدولة الاموال والنعم وتمنى أن يقدم عليه كان ما كان ويجذب قلبه اليه بالملاطفة والاحسان ويجعله أميرا على العساكر الذين لم يزالوا تحت طاعته لتقوى به شرارة جمرته ثم ان كان ما كان لما بلغه ذلك الخبر من التجار رجع مسرعا الى بغداد على ظهر ذلك الجواد فبينما الملك ساسان في ربكته حيران اذ سمع بقدوم كان ما كان فأخرج جميع العساكر ووجهاء بغداد لملاقاته فخرج كل من في بغداد ولاقوه ومشوا قدامه الى القصر ودخلت الطواشية بالاخبار الى أمه فجاءت اليه وقبلته بين عينيه فقال يا أماه دعيني أمضي الى عمي السلطان ساسان الذي غمرني بالنعمة والاحسان ثم ان أرباب الدولة تحيروا في وصف ذلك الحصان وفي وصف صاحبه سيد الفرسان وقالوا للملك ساسان أيها الملك اننا ما رأينا مثل هذا الانسان ثم ذهب الملك ساسان وسلم عليه فلما رآه كان ما كان مقبلا عليه قام اليه وقبل يديه ورجليه وقدم اليه الحصان هدية فرحب به وقال أهلا وسهلا بولدي كان ما كان والله لقد ضاقت بي الارض لأجل غيبتك والحمد لله على سلامتك ثم نظر السلطان الى هذا الحصان المسمى بالقاتول فعرف أنه الحصان الذي كان رآه سنة كذا وكذا في حصار عبدة الصلبان مع أبيه ضوء المكان حين قتل عمه شركان وقال له لو قدر عليه أبوك لاشتراه بألف جواد ولكن الآن عاد العز الى أهله وقد قبلناه ووهبناه لك وأنت أحق به من كل انسان لانك سيد الفرسان ثم أمر أن يحضر لكان ما كان خلعة سنية وجملة من الخيل وأفرد له في القصر أكبر الدور وأقبل عليه العز والسرور وأعطاه مالا جزيلا وأكرمه غاية الاكرام

لانه كان يخشى عاقبة أمر الوزير دندان ففرح بذلك كان ما كان وذهب عنه الذل والهوان ودخل بيته وأقبل على أمه وقال يا أمي ما حال ابنة عمي فقالت والله يا ولدي انه كان عندي من غيبتك ما شغلني عن محبوبتك فقال يا أمي اذهبي اليها وأقبلي على عليها لعلها تجود على بنظرة فقالت له ان المطامع تذل أعناق الرجال فدع عنك هذا المقال لئلا يفضي بك الى الوبال فأنا أذهب اليها ولا أدخل بهذا الكلام عليها فلما سمع من أمه ذلك أخبرها بما قاله السلال من أن العجوز ذات الدواهي طرقت البلاد وعزمت على أن تدخل بغداد وقالت هي التي قتلت عمي وجدي ولا بد أن أكشف العار وآخذ الثار ثم ترك أمه وأقبل على عجوز عاهرة محتالة ماكرة اسمها سعدانة وشكا اليها حاله وما يجده من حب قضى فكان وسألها أن تتوجه اليها وتستعطفها عليه فقالت له العجوز سمعا وطاعة ثم فارقته ومضت الى قصر قضى فكان واستعطفت قلبها عليه ثم رجعت اليه وأعلمته بان قضى فكان تسلم عليه ووعدتها أنها في نصف الليل تجيء اليه * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الثانية والاربعون بعد المائة) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان العجوز رجعت الى كان ما كان وأعلمته بان قضى فكان تسلم عليه ووعدتها أنها في نصف الليل تجيء اليه فلما بلغه ذلك الخبر فرح لوعد ابنة عمه قضى فكان فلما جاء نصف الليل أتته بملاءة سوداء من الحرير ودخلت عليه ونبهته من نومه وقالت له كيف تدعي أنك تحبني وأنت خلي البال نائم على أحسن الحال فانتبه وقال والله يا منية القلب اني ما نمت الا طمعا في أن يزورني منك طيف الخيال فعند ذلك عاتبته بعتاب لطيف الكلمات وأنشدت هذه الابيات

لو كنت تصدق في المحبة * ما جنحت الى المنام
يا مدعي طرق المحبة * في المودة والغرام
والله يا ابن العم ما * رقدت عيون المستهام

فاستحيا منها كان ما كان وتعانقا وتشاكيا ألم الفراق وعظيم الوجد والاشتياق ولم يزالا كذلك الى أن بدت غرة الصباح وطلع الفجر ولاح فبكى كان ما كان بكاء شديدا وصعد الزفرات وأنشد هذه الابيات

فيا زائري من بعد فرط صدوده * وفي الثغر منه الدر في نظم عقده * فقبلته ألفا وعانقت قده
وبت وخدي لاصق تحت خده * الى أن بدا نور الصباح فراعنا * كحد حسام لاح من جوف غمده

فلما فرغ من شعره ودعته قضى فكان ورجعت الى خدرها وأظهرت بعض الجواري على سرها فذهبت جارية منهن الى الملك ساسان وأعلمته بالخبر فتوجه الى قضى فكان وجرد عليها الحسام وأراد أن يضرب عنقها فدخلت عليه أمها نزهة الزمان وقالت له بالله لا تفعل بها ضررا فانك ان فعلت بها ضررا يشيع الخبر بين الناس وتبقى معيرة عند ملوك الزمان وان كان ما كان صاحب عرض ومروءة ولا يفعل أمرا يعاب عليه فاصبر ولا تعجل فان أهل القصر وجميع أهل بغداد قد شاع عندهم أن الوزير دندان قاد العساكر من جميع البلدان وجاء بهم ليملكوا كان ما كان فقال لها لا بد أن أرميه في بلية بحيث لا أرض تقله ولا سماء تظله واني ما طيبت خاطره ولا أنعمت عليه الا لاجل أهل مملكتي لئلا يميلوا اليه وسوف ترين ما يكون ثم تركها وخرج يدبر أمر مملكته هذا ما كان من أمر الملك ساسان

(وأما) ما كان من أمر كان ما كان فانه أقبل على أمه في ثاني يوم وقال لها يا أمي اني عزمت على شن الغارات وقطع الطرقات وسوق الخيل والنعم والعبيد والمماليك واذا كثر مالي وحسن حالي خطبت قضى فكان من عمي ساسان فقالت يا ولدي ان أموال الناس غير سائبة لان دونها ضرب الصفاح وطعن الرماح ورجالا تقتنص الاسود وتصيد الفهود فقال لها كان ما كان هيهات أن أرجع عن عزيمتي الا اذا بلغت منيتي ثم أرسل العجوز الى قضى فكان ليعلمها أنه يريد السفر حتى يحصل لها مهرا يصلح لها وقال للعجوز لا بد أن تأتيني منها بجواب فقالت له سمعا وطاعة ثم ذهبت اليها ورجعت له بالجواب وقالت له انها في نصف الليل تكون عندك فاقام سهران الى نصف الليل من قلقه فلم يشعر الا وهي داخلة عليه وتقول له روحي فداك من السهر فنهض لها قائما وقال يا منية القلب روحي فداك من جميع الاسواء ثم أعلمها بما عزم عليه فبكت فقال لها لا تبكي يا بنت العم فأنا أسأل الذي حكم علينا بالفراق أن يمن علينا بالتلاق والوفاق ثم ان كان ما كان أخذ في السفر ودخل على أمه وودعها ونزل من القصر

وتقلد بسيفه وتعمم وتلثم وركب جواده القاتول ومشى فى شوارع المدينة وهو كالبدر حتى وصل الى باب بغداد واذا برفيقه صباح بن رباح خارج من المدينة فلما رآه جرى فى ركابه وحياه فرد عليه السلام فقال صباح يا أخى كيف صار لك هذا الجواد وهذا المال وأنا الآن لا أملك غير سيفى فقال له كان ما كان ما يرجع الصياد بصيد الا على قدر نيته وبعد فراقك بساعة حصلت لى السعادة وهل لك أن تأتى معى وتخلص النية فى صحبتى ونسافر فى تلك البرية فقال ورب الكعبة ما بقيت أدعوك الا مولاى ثم جرى قدام الجواد وسيفه على عاتقه وجرابه بين كتفيه ولم يزالا سائرين فى البرار بعة أيام وهما يأكلان من صيد الغزلان ويشربان من ماء العيون وفى اليوم الخامس أشرفا على تل عال تحته مراتع فيها ابل وغنم وبقر وخيل قد ملأت الروابى والبطاح وأولادها الصغار تلعب حول المراح فلما رأى ذلك كان ما كان زادت به الافراح وامتلأ صدره بالانشراح وعول على القتال وأخذ النياق والجمال فقال لصباح انزل بنا على هذا المال الذى عن أهله وحيد ونقاتل دونه القريب والبعيد حتى يكون لنا فى أخذه نصيب فقال صباح يا مولاى ان أصحابه خلق كثير وجم غفير وفيهم أبطال من فرسان ورجال وان رمينا أرواحنا فى هذا الخطب الجسيم فاننا نكون من هوله على خطر عظيم فضحك كان ما كان وعلم أنه جبان فتركه وانحدر من الرابية عازما على شن الغارات وترنم بانشاد هذه الابيات

وآل نعمان هم ذو والهمم * والسادة الضاربون فى القمم
قوم اذا ما الهياج قام لهم * قاموا بأسواقه على قدم
تنام عينا الفقير بينهم * ولا يرى قبح صورة العدم
وانـنى أرتجى معاونة * من مالك الملك بارئ النسم

ثم حمل على ذلك المال مثل الجمل الهائج وساق جميع الابل والبقر والغنم والخيل قدامه فتبادرت اليه العبيد بالسيوف الثقال والرماح الطوال وفى أولهم فارس تركى الا أنه شديد الحرب والكفاح عارف بأعمال سمر القنا وبيض الصفاح فحمل على كان ما كان وقال له ويلك لو علمت لمن هذا المال ما فعلت هذه الفعال اعلم أن هذه الاموال للعصابة الرومية والفرقة الجركسية الذين ما فيهم الا كل بطل عابس وهم مائة فارس قد خرجوا عن طاعة كل سلطان وقد سرق منهم حصان وحلفوا أن لا يرجعوا من هنا الا به فلما سمع كان ما كان هذا الكلام صاح قائلا هذا هو الحصان الذى تعنون وأنتم له طالبون وفى قتالى بسببه راغبون فبارزونى كلكم أجمعون وشأنكم وما تريدون ثم صرخ بين أذنى القاتول فخرج عليهم مثل الغول وعطف على الفارس وطعنه فأخرج كلاه ومال على ثان وثالث ورابع فأعدمهم الحياة فعند ذلك هابته العبيد فقال لهم يا بنى الزوانى سوقوا المال والخيول والا خضبت من دمائكم سنانى فساقوا المال وأخذوا فى الانطلاق وانحدر اليه صباح وأعلن بالصياح وزادت به الافراح واذا بغبار علا وطار حتى سد الاقطار وبان من تحته مائة فارس مثل الليوث العوابس فلما رآهم صباح فر الى الرابية وترك البطاح وصار يتفرج على الكفاح وقال ما أنا فارس الا فى اللعب والمزاح ثم ان المائة فارس داروا حول كان ما كان وأحاطوا به من كل مكان فتقدم اليه فارس منهم وقال له أين تذهب بهذا المال فقال له كان ما كان دونك والقتال واعلم أن من دونه أسدا أروع وبطلا سميدع وسيفا أينما مال قطع فلما سمع الفارس ذلك الكلام التفت اليه فرآه فارسا كالاسد الضرغام الا أن وجهه كبدر التمام وكان ذلك الفارس رئيس المائة فارس واسمه كهرداش فلما رأى كان ما كان مع كمال فروسيته بديع المحاسن يشبه حسنه حسن معشوقة له يقال لها فاتن وكانت من أحسن النساء وجها قد أعطاها الله من الحسن والجمال وكرم الخصال ما يعجز عن وصفه اللسان ويشغل قلب كل انسان وكانت فرسان القوم تخشى سطوتها وأبطال ذلك القطر تخاف هيبتها وحلفت أنها لا تتزوج الا من يقهرها وكان كهرداش من جملة خطابها فقالت لابيها ما يقربنى الا من يقهرنى فى الميدان وموقف الحرب والطعان فلما بلغ كهرداش هذا القول اختشى أن يقاتل جاريته وخاف من العار فقال بعض خواصه أنت كامل الخصال فى الحسن والجمال فلو قاتلتها وكانت أقوى منك فانك تغلبها لانها اذا رأت حسنك وجمالك تنهزم قبالك حتى تملكها لان النساء لهن غرض فى الرجال ولا يخفى عنك هذا الحال فأبى كهرداش وامتنع من

قتالها واستمر على امتناعه من القتال الى أن جرت له مع كان ما كان هذه الافعال فظن أنه محبوبته فاشتد وقد عشقته لما سمعت بحسنه وشجاعته فتقدم الى كان ما كان وقال ويلك يافاتن قد أتيت اترينى شجاعتك فانزل عن جوادك حتى أتحدث معك فانى قد سقت هذه الاموال وقطعت الطريق على الفرسان والابطال كل هذا لحسنك وجمالك الذى ماله مثيل وتزوجينى حتى تخدمك بنات الملوك وتصيرى ملكة هذه الاقطار فلما سمع كان ما كان هذا الكلام صارت نار غيظه فى اضطرام وقال ويلك يا كلب الاعجام دع فاتنا وما به ترتاب وتقدم الى الطعن والضراب فمن قليل تبقى على التراب ثم صال وجال وطلب الحرب والنزال فلما نظر كهرداش اليه علم انه فارس همام وبطل مصدام وتبين له خطأ ظنه حيث لاح له عذار أخضر فوق خده كآس نبت خلال ورد أحمر وقال للذين معه ويلكم ليحمل واحد منكم عليه ويظهر له السيف البتار والرمح الخطار واعلموا أن قتال الجماعة للواحد عار ولو كان فى سنان رمحه شعلة فعند ذلك حمل عليه فارس تحته جواد أدهم بتحجيل وغرة كالدرهم يحير العقل والناظر كما قال فيه الشاعر

قدجاءك المهر الذى نزل الوغى * جذلان يخلط أرضه بسمائه
وكأنما لطم الصباح جبينه * واقتص منه فخاض فى أحشائه

ثم ان ذلك الفارس عليه كان ما كان وتجاولا فى الحرب برهة من الزمان وتضاربا ضربا يحير الافكار ويغشى الابصار فسبقه كان ما كان بضربة بطل شجاع قطعت منه العمامة والمغفر فمال عن الجواد كأنه البعير اذا انحدر وحمل عليه الثانى والثالث والرابع والخامس ففعل بهم كالاول ثم حمل عليه الباقون وقد اشتد بهم القلق وزادت الحرق فما كان الا ساعة حتى التقطهم بسنان رمحه فنظر كهرداش الى هذا الحال فخاف من الارتحال وعرف من نفسه أن عنده ثبات الجنان واعتقد أنه أوحد الابطال والفرسان فقال لكان ما كان قد وهبت لك دمك ودم أصحابى فخذ من المال ماشئت واذهب الى حال سبيلك فقد رحمتك لحسن شبابك والحياة أولى بك فقال له كان ما كان لاعدمت مروأة الكرام ولكن اترك عنك هذا الكلام وفز بنفسك ولا تخش الملام ولا تطمع نفسك فى رد الغنيمة واسلك النجاة لنفسك طريقة مستقيمة فعند ذلك اشتد بكهرداش الغضب وحصل عنده ما يوجب العطب فقال لكان ما كان ويلك لو عرفت من انا ما نطقت بهذا الكلام فى حومة الزحام فاسأل عنى فانا الاسد البطاش المعروف بكهرداش الذى نهب الملوك الكبار وقطع الطريق عن جميع السفار وأخذ أموال التجار وهذا الحصان الذى تحتك طلبتى وأريد ان تعرفنى كيف وصلت اليه حتى استوليت عليه فقال اعلم ان هذا الجواد كان سائرا الى عمى الملك ساسان تحت عجوز كبيرة ولها عندها ثار من جهة جدى الملك عمر النعمان وعمى الملك شركان فقال كهرداش ويلك ومن أبوك لا أم لك فقال اعلم انى كان ما كان ابن الملك ضوء المكان بن عمر النعمان فلما سمع كهرداش هذا الخطاب قال لا يستنكر عليك الكمال والجمع بين الفروسية والجمال ثم قال له توجه بأمان فان أباك كان صاحب فضل واحسان فقال له كان ما كان أنا والله ما أوقرك يامهان فاغتاظ البدوى ثم حمل كل منهما على صاحبه فسدت لهما الخيل آذانها ورفعت أذنابها ولم يزالا يصطدمان حتى ظن كل منهما أن السماء قد انشقت ثم بعد ذلك تقاتلا ككباش النطاح واختلفت بينهما طعنات الرماح فحاوله كهرداش بطعنة فزاغ عنها كان ما كان ثم كر عليه وطعنه فى صدره فاطلع السنان يلمع من ظهره وجمع الخيل والاسلاب وصاح فى العبيد دونكم والسوق الشديد فنزل عند ذلك صباح وجاء الى كان ما كان وقال له أحسنت يافارس الزمان انى دعوت لك وقد استجاب ربى دعائى ثم ان صباح قطع رأس كهرداش فضحك كان ما كان وقال له ويلك ياصباح انى كنت أظن أنك فارس الحرب والكفاح فقال له لا تنس عبدك من هذه الغنيمة لعلى أصل بسببها الى زواج بنت عمى نجمة فقال له لا بد لك فيها من نصيب ولكن كن محافظا على الغنيمة والعبيد ثم ان كان ما كان سار متوجها الى الديار ولم يزل سائرا بالليل والنهار حتى أشرف على مدينة بغداد وعلمت به جميع الاجناد ورأوا ما معه من الغنيمة والاموال ورأس كهرداش على رمح صباح وعرف التجار رأس كهرداش ففرحوا وقالوا لقد أراح الله الخلق منه لانه كان قاطع الطريق وتعجبوا

من قتله ودعوا القاتله وأتت أهل بغداد الى كان ماكان بما جرى من الاخبار فهابه جميع الرجال وخافته الفرسان والابطال وساق ما معه الى أن أوصله تحت القصر وركز الرمح الذى عليه رأس كهرداش الى باب القصر ووهب الناس وأعطاهم الخيل والجمال فاحبه أهل بغداد ومالت اليه القلوب ثم أقبل على صباح وأنزله فى بعض الاماكن الفساح ثم دخل على أمه وأخبرها بما جرى له فى سفره وقد وصل الى الملك خبره فقام من مجلسه واختلى بخواصه وقال لهم اعلموا انى أريد أن أبوح لكم بسرى وأبدى لكم مكنون أمرى اعلموا أن كان ما كان هو الذى يكون سببا لانقلاعنا من هذه الاوطان لانه قتل كهرداش مع أن له قبائل من الاكراد والاتراك وأمرنا معه آيل الى الهلاك وأكثر خوفنا من أقاربه وقد علمتم ما فعل الوزير دندان فانه جحد معروفى بعد الاحسان وخاننى فى الايمان وبلغنى أنه جمع عساكر البلدان وقصد أن يسلطن كان ماكان لان السلطنة كانت لابيه وجده ولاشك انه قاتلى بلا محالة فلما سمع خواص مملكته منه هذا الكلام قالوا له أيها الملك انه أقل من ذلك ولولا أننا علمنا بانه تربيتك لم يقبل عليه منا أحد واعلم أننا بين يديك ان شئت قتله قتلناه وان شئت بعده أبعدناه فلما سمع كلامهم قال ان قتله هو الصواب ولكن لابد من أخذ الميثاق فتحالفوا على أنهم لابد أن يقتلوا كان ما كان فاذا أتى الوزير دندان وسمع بقتله تضعف قوته عما هو عازم عليه فلما أعطوه العهد والميثاق على ذلك أكرمهم غاية الاكرام ثم دخل بيته وقد تفرق عنه الرؤساء وامتنعت العساكر من الركوب والنزول حتى يبصروا ما يكون لانهم رأوا غالب العسكر مع الوزير دندان ثم ان ذات الخبر وصل الى قضى فكان فحصل عندها غم زائد وأرسلت الى العجوز التى عادتها أن تأتيها من عند ابن عمها بالاخبار فلما حضرت عندها أمرتها أن تذهب اليه وتخبره بالخبر فلما وصلت اليه العجوز سلمت عليه ففرح بها وأخبرته بالخبر فلما سمع ذلك قال بلغى بنت عمى سلامى وقولى لها ان الارض لله عز وجل يورثها من يشاء من عباده وما أحسن قول القائل

الملك لله من يظفر بنيل منى * يرده قهرا ويضمن عنده الدركا
لو كان لى أولغيرى قدر أنملة * من التراب لكان الامر مشتركا

فرجعت العجوز الى بنت عمه وأخبرتها بما قاله وأعلمتها بان كان ماكان أقام فى المدينة ثم ان الملك ساسان صار ينتظر خروجه من بغداد ليرسل وراءه من يقتله فاتفق أنه خرج الى الصيد والقنص وخرج صباح معه لانه كان لا يفارقه ليلا ولا نهارا فاصطاد عشر غزالات وفيهن غزالة كحلاء العيون صارت تتلفت يمينا وشمالا فاطلقها فقال له صباح لاى شئ أطلقت هذه الغزالة فضحك كان ماكان وأطلق الباقى وقال ان من المروأة اطلاق الغزالات التى لها أولاد وما تتلفت تلك الغزالة الالان لها أولادا فاطلقتها وأطلقت الباقى فى كرامتها فقال له صباح أطلقنى حتى أروح الى أهلى فضحك وضربه بعقب الرمح على قلبه فوقع على الارض يلتوى كالثعبان فبينماهما كذلك واذا بغبرة ثائرة وخيل تركض وبان من تحتها فرسان وشجعان وسبب ذلك ان الملك ساسان أخبره جماعة ان كان ما كان خرج الى الصيد والقنص فارسل أميرا من الديلم يقال له جامع ومعه عشرون فارسا ودفع لهم المال ثم أمرهم أن يقتلوا كان ما كان فلما قربوا منه حملوا عليه وحمل عليهم فقتلهم عن آخرهم واذا بالملك ساسان ركب وسار ولحق بالعسكر فوجدهم مقتولين فتعجب ورجع واذا باهل البلد قبضوا عليه وشدوا وثاقه ثم ان كان ماكان توجه بعد ذلك من المكان وتوجه معه صباح البدوى فبينما هو سائر اذ رأى فى طريقه شابا على باب داره فالقى كان ماكان عليه السلام فرد الشاب عليه السلام ثم دخل الدار وخرج ومعه قصعتان احداهما فيها لبن والثانية ثريد والسمن فى جوانبها عوج ووضع القصعتين قدام كان ماكان وقال له تفضل علينا بالاكل من زادنا فامتنع كان ما كان من الاكل فقال له الشاب مالك أيها الانسان لاتأكل فقال له كان ماكان انى على نذر فقال له الشاب وما سبب نذرك فقال له كان ما كان اعلم ان الملك ساسان غصبنى ملكى ظلما وعدوانا ثم ان ذلك الملك كان لابى وجدى من قبلى فاستولى عليه قهرا بعد موت أبى ولم يعتبرنى لصغر سنى فنذرت أنى لا آكل لاحد زادا حتى أشفى فؤادى من غريمى فقال له الشاب ابشر فقد وفى الله نذرك واعلم أنه مسجون فى مكان وأظنه أن يموت قريبا فقال له كان ما كان فى أى بيت هو معتقل فقال له فى تلك القبة العالية فنظر كان ماكان الى قبة

عالية ورأى الناس فى تلك القبة يدخلون وعلى ساسان يطوفون وهو يتجرع غصص المنون فقام كان ما كان ومشى حتى وصل الى تلك القبة وعاين ما فيها ثم عاد الى موضعه وقعد على الاكل وأكل ما تيسر ووضع ما بقى من اللحم فى مزوده ثم جلس مكانه ولم يزل جالسا الى أن أظلم الليل ونام الشاب الذى ضيفه ثم ذهب كان ما كان الى القبة التى فيها ساسان وكان حولها كلاب يحرسونها فوثب له كلب من الكلاب فرمى له قطعة لحم من الذى فى مزوده ومازال يرمى الكلاب لحما حتى وصل الى القبة وتوصل الى أن صار عند الملك ساسان ووضع يده على رأسه فقال له بصوت عال من أنت فقال أنا كان ما كان الذى سعيت فى قتله فأوقعك الله فى سوء تدبيرك أما يكفيك أخذ ملكى وملك أبى وجدى حتى تسعى فى قتلى فحلف ساسان الايمان الباطلة انه لم يسع فى قتله وأن هذا الكلام غير صحيح فصفح عنه كان ما كان وقال له اتبعنى فقال لا أقدر أن أخطو خطوة واحدة لضعف قوتى فقال كان ما كان اذا كان الامر كذلك نأخذ لنا فرسين ونركب أنا وأنت ونطلب البر ثم فعل كما قال وركب هو وساسان وسارا الى الصباح ثم صلوا الصبح وساروا ولم يزالوا كذلك حتى وصلوا الى بستان فجلسوا يتحدثون فيه ثم قام كان ما كان الى ساسان وقال له هل بقى فى قلبك منى أمر تكرهه قال ساسان لا والله ثم اتفقوا على أنهم يرجعون الى بغداد فقال صباح البدوى أنا أسبقكما لابشر الناس فسبق يبشر النساء والرجال فخرجت اليه الناس بالدفوف والمزامير وبرزت قضى فكان وهى مثل البدر يهيى الانوار فى دياجى الاعتكار فقابلها كان ما كان وحنت الارواح للارواح واشتاقت الاشباح للاشباح ولم يبق لاهل العصر حديث الا فى كان ما كان وشهد له الفرسان انه أشجع أهل الزمان وقالوا لا يصلح ان يكون سلطانا علينا الا كان ما كان ويعود الى ملك جده كما كان وأما ساسان فانه دخل على نزهة الزمان فقالت له انى أرى الناس ليس لهم حديث الا فى كان ما كان ويصفونه باوصاف يعجز عنها اللسان فقال لها ليس الخبر كالعيان فانى رأيته ولم أر فيه صفة من صفات الكمال وما كل ما يسمع يقال ولكن الناس يقلد بعضهم بعضا فى مدحه ومحبته وأجرى الله على ألسنة الناس مدحه حتى مالت اليه قلوب أهل بغداد والوزير دندان الغادر الخوان وقد جمع له عساكر من سائر البلدان ومن الذى يكون صاحب الاقطار ويرضى ان يكون تحت يد حاكم يتيم ماله مقدار فقالت له نزهة الزمان وعلى ماذا عولت فقال عولت على قتله ويرجع الوزير دندان خائبا فى قصده ويدخل تحت أمرى وطاعتى ولا يبقى له الا خدمتى فقالت له نزهة الزمان الغدر قبيح بالاجانب فكيف بالاقارب والصواب أن تزوجه بابنتك قضى فكان وتسمع ما قيل فيما مضى من الزمان

اذا رفع الزمان عليك شخصا * وكنت أحق منه ولو تصاعد * أنله حق رتبته تجده
ينيلك ان دنوت وان تباعد * ولا تقل الذى تدريه فيه * تكن ممن عن الحسنى تقاعد
فكم فى الخدر أبهى من عروس * ولكن للعروس الدهر ساعد

فلما سمع ساسان منها هذا الكلام وفهم الشعر والنظام قام مغضبا من عندها وقال لولا أنى أعرف انك تمزحين لعلوت بالسيف رأسك وأخمدت أنفاسك فقالت حيث غضبت منى فانا أمزح معك ثم وثبت اليه وقبلت رأسه ويديه وقالت له الصواب ما تراه وسوف أتدبر أنا وأنت فى حيلة نقتله بها فلما سمع منها هذا الكلام فرح وقال لها عجلى بالحيلة وفرجى كربتى فلقد ضاق على باب الحيل فقالت له سوف أتحيل لك على اتلاف مهجته فقال لها بأى شئ فقالت له بجاريتنا التى اسمها باكون فانها فى المكر ذات فنون وكانت هذه الجارية من أنحس العجائز وعدم الخبث فى مذهبها غير جائز وكانت قد ربت كان ما كان وقضى فكان غير أن كان ما كان يميل اليها كثيرا ومن فرط ميله اليها كان ينام تحت رجليها فلما سمع الملك ساسان من زوجته هذا الكلام قال ان هذا الرأى هو الصواب ثم أحضر الجارية باكون وحدثها بما جرى وأمرها أن تسعى فى قتله ووعدها بكل جميل فقالت له أمرك مطاع ولكن أريد يا مولاى أن تعطينى خنجرا قد سقى بماء الهلاك لاعجل لك باتلافه فقال لها ساسان مرحبا بك ثم أحضر لها خنجرا يكاد أن يسبق القضاء وكانت هذه الجارية قد سمعت الحكايات والاشعار وتحفظ النوادر والاخبار فاخذت الخنجر وخرجت من الدار مفكرة فيما يكون به الدمار وأتت الى

كان ما كان وهو قاعد ينتظر وعد السيدة قضى فكان وكان في تلك الليلة قد تذكر بنت عمه قضى فكان فالتهبت من حبها في قلبه النيران فبينما هو كذلك واذا بالجارية باكون داخلة عليه وهي تقول آن أوان الوصال ومضت أيام الانفصال فلما سمع ذلك قال لها كيف حال قضى فكان فقالت له باكون اعلم أنها مشتغلة بحبك فعند ذلك قام كان ما كان اليها وخلع أثوابه عليها ووعدها بكل جميل فقالت له اعلم أنني أنام عندك الليلة وأحدثك بما سمعت من الكلام وأسليك بحديث كل متيم أمرضه الغرام فقال لها كان ما كان حدثيني بحديث يفرح به قلبي ويزول به كربي فقالت له باكون حبا وكرامة ثم جلست الى جانبه وذلك الخنجر من داخل أثوابها فقالت له اعلم ان أعذب ما سمعت أذني ان رجلا كان يعشق الملاح ويصرف عليهن ماله حتى افتقر وصار لا يملك شيأ فضاقت عليه الدنيا فصار يمشي في الاسواق ويفتش على شئ يقتات به فبينما هو ماش واذا بقطعة مسمار شكته في أصبعه فسال دمه فقعد ومسح الدم وعصب أصبعه ثم قام وهو يصرخ حتى جاز على الحمام ودخله ثم قلع ثيابه فلما صار داخل الحمام وجده نظيفة فجلس على الفسقية ومازال ينزح الماء على رأسه الى أن تعب

* وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثالثة والاربعون بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية قالت لكان ما كان انه جلس على الفسقية ومازال ينزح الماء على رأسه الى أن تعب فخرج الى الحوض البارد فلم يجد أحدا فاختلى بنفسه وأطلع قطعة حشيش وبلعها فساحت في مخه فانقلب على الرخام وخيل له الحشيش أن معلما كبيرا يكبسه وعبدين واقفان على رأسه واحد معه الطاسة والآخر معه آلة الحمام وما يحتاج اليه البلان فلما رأى ذلك قال في نفسه كأن هؤلاء غلطوا في أو من طائفتنا الحشاشين ثم انه مد رجليه فتخيل له أن البلان قال له يا سيدي قد أزف الوقت على طلوعك واليوم نوبتك فضحك وقال في نفسه ما شاء الله يا حشيش ثم قعد وهو ساكت فقام البلان وأخذ بيده وأدار على وسطه مئزرا من الحرير الاسود ومشى وراءه العبدان بالطاسات والحوائج ولم يزالا به حتى أدخلاه الخلوة وأطلقا فيها البخور فوجدها ملآنة من سائر الفواكه والمشموم وشقاله بطيخة وأجلساه على كرسي من الآبنوس ووقف البلان يغسله والعبدان يصبان الماء ثم دلكوه دلكا جيدا وقالوا له يا مولانا الصاحب نعيم دائم ثم خرجوا وردوا عليه الباب فلما تخيل ذلك قام ورفع المئزر من وسطه وصار يضحك الى أن غشي عليه واستمر ساعة يضحك ثم قال في نفسه ما بالهم يخاطبونني خطاب الوزير ويقولون يا مولانا الصاحب فلعل الامر التبس عليهم في هذه الساعة وبعد ذلك يعرفونني ويقولون هذا زليط ويشبعون صكا في رقبتي ثم انه استحمى وفتح الباب فتخيل أن مملوكا صغيرا وطواشيا قد دخلا عليه فالمملوك معه بقجة ففتحها وأخرج منها ثلاث فوط من الحرير فرمى الاولى على رأسه والاخرى على أكتافه وحزمه بالثالثة وقدم له الطواشي قبقابا فلبسه وأقبلت عليه مماليك وطواشية وصاروا يسندونه وكل ذلك حصل وهو يضحك الى أن خرج وطلع الليوان فوجد فرشا عظيما لا يصلح الا للملوك وتبادرت اليه الغلمان وأجلسوه على المرتبة وصاروا يكبسونه حتى غلب عليه النوم فلما نام رأى في حضنه صبية فباسها ووضعها بين فخذيه وجلس منها مجلس الرجل من المرأة وقبض ذكره بيده وسحبها عنده وعصرها تحته واذا بواحد يقول له انتبه يا زليط قد جاء الظهر وأنت نائم ففتح عينيه فوجد نفسه على الحوض البارد وحوله جماعة يضحكون عليه وايره قائم والفوطة انحلت من وسطه وتبين له أن كل هذا أضغاث أحلام أو تخيلات حشيش فاغتم ونظر الى الذي نبهه وقال كنت اصبر حتى أحطه فقال له الناس أما تستحي يا حشاش وأنت نائم وذكرك قائم وصكوه حتى احمر قفاه وهو جيعان وقد ذاق طعم السعادة وهو في المنام فلما سمع كان ما كان من الجارية هذا الكلام ضحك حتى استلقى على قفاه وقال لباكون يا دادتي ان هذا حديث عجيب فاني ما سمعت مثل هذه الحكاية فهل عندك غيرها فقالت له نعم ثم ان الجارية باكون لم تزل تحدث كان ما كان بمخارف حكايات ونوادر مضحكات حتى غلب عليه النوم ولم تزل تلك الجارية جالسة عند رأسه حتى مضى غالب الليل فقالت في نفسها هذا وقت انتهاز الفرصة ثم نهضت وسلت الخنجر ووثبت على كان ما كان وأرادت ذبحه واذا بأم كان ما كان دخلت عليهما

فلما رأتها باكون قامت لها واستقبلتها ثم لحقها الخوف فصارت تنتفض كأنها أخذتها الحمى فلما رأتها أم كان ما كان تعجبت ونبهت ولدها من النوم فلما استيقظ وجد أمه جالسة فوق رأسه وكان السبب في حياته مجيئها وسبب مجيء أمه اليها ان قضى فكان سمعت الحديث والاتفاق على قتله فقالت لامه ياز وجة عمي الحق ولدك قبل أن تقتله العاهرة باكون وأخبرتها بما جرى من أوله الى آخره فخرجت وهي لا تعقل شيأ حتى دخلت في الساعة التي نام فيها وهمت باكون عليه تريد ذبحه فلما استيقظ قال لامه لقد جئت يا أمي في وقت طيب ودادتي باكون حاضرة عندي في تلك الليلة ثم انه التفت الى باكون وقال لها بحياتي عليك هل تعرفين حكاية أحسن من هذه الحكاية التي حدثتني بها فقالت له الجارية وأين ما حدثتك به سابقا مما أحدثك به الآن فانه أعذب وأغرب ولكن أحكيه لك في غير هذا الوقت ثم قامت باكون وهي لا تصدق بالنجاة فقال لها مع السلامة ولحت بمكرها أن أمه عندها خبر بما حصل فذهبت الى حالها فعند ذلك قالت له والدته ياولدي هذه ليلة مباركة حيث نجاك الله تعالى من هذه الملعونة فقال لها وكيف ذلك فاخبرته بالامر من أوله الى آخره فقال لها ياوالدتي ان الحي ماله قاتل وان قتل لا يموت ولكن الاحوط اننا نرحل من عند هؤلاء الاعداء والله يفعل ما يريد فلما أصبح الصباح خرج كان ما كان من المدينة واجتمع بالوزير دندان وبعد خروجه حصلت أمور بين الملك ساسان ونزهة الزمان أوجبت خروج نزهة الزمان أيضا من المدينة فاجتمعت بهم واجتمع عليهم جميع أرباب دولة الملك ساسان الذين يميلون اليهم فجلسوا يدبرون الحيلة فاجمع رأيهم على غزو ملك الروم وأخذ الثار فلما توجهوا الى غزو الروم وقعوا في أسر الملك رومزان ملك الروم بعد أمور يطول شرحها كما يظهر من السياق فلما أصبح الصباح أمر الملك رومزان ان يحضر كان ما كان والوزير دندان وجماعتهما فحضروا بين يديه وأجلسهم بجانبه وأمر باحضار الموائد فاحضرت فأكلوا وشربوا واطمأنوا بعد أن أيقنوا بالموت لما أمر باحضارهم وقالوا لبعضهم انه ما أرسل الينا الا لانه يريد قتلنا وبعد أن اطمأنوا قال لهم الملك اني رأيت مناما وقصصته على الرهبان فقالوا ما يفسره لك الا الوزير دندان فقال له الوزير خيرا رأيت ياملك الزمان فقال له أيها الوزير رأيت أني في حفرة على صفة بئر أسود وكان أقواما يعذبونني فأردت القيام فلما نهضت وقفت على أقدامي وما قدرت على الخروج من تلك الحفرة ثم التفت فرأيت فيها منطقة من ذهب فمددت يدي لآخذها فلما رفعتها من الارض رأيتها منطقتين فشددت وسطي بهما فاذا هما قد صارتا منطقة واحدة وهذا أيها الوزير منامي والذي رأيته في لذيذ أحلامي فقال له الوزير دندان اعلم يا مولانا السلطان أن رؤياك تدل على أن لك أخا أو ابن أخ أو ابن عم أو أحدا يكون من أهلك من دمك ولحمك وعلى كل حال هو من العصب فلما سمع الملك هذا الكلام نظر الى كان ما كان ونزهة الزمان وقضى فكان والوزير دندان ومن معهم من الاسارى وقال في نفسه اذا رميت رقاب هؤلاء انقطعت قلوب عسكرهم بهلاك أصحابهم ورجعت الى بلادي عن قريب لئلا يخرج الملك من يدي ولما صمم على ذلك استدعى بالسياف وأمره أن يضرب رقبة كان ما كان من وقته وساعته واذا بداية الملك قد أقبلت في تلك الساعة فقالت له أيها الملك السعيد على ماذا عولت فقال لها عولت على قتل هؤلاء الاسارى الذين في قبضتي وبعد ذلك أرمي رؤسهم الى أصحابهم ثم أحمل أنا وأصحابي عليهم حملة واحدة فنقتل الذي نقتله وينهزم الباقي وتكون هذه وقعة الانفصال وارجع الى بلادي عن قريب قبل أن يحدث بعد الامور أمور في مملكتي فعندما سمعت منه دايته هذا الكلام أقبلت عليه وقالت له بلسان الافرنج كيف يطيب عليك ان تقتل ابن أختك وأختك وابنة أختك فلما سمع الملك من دايته هذا الكلام اغتاظ غيظا شديدا وقال لها ياملعونة ألم تعلمي ان أمي قد قتلت وان أبي قد مات مسموما وأعطيتني خرزة وقلت لي ان هذه الخرزة كانت لابيك فلم لا تصدقيني في الحديث فقالت له كل ما أخبرتك به صدق ولكن شأني وشأنك عجيب وأمري وأمرك غريب فانني أنا اسمي مرجانة واسم أمك ابريزة وكانت ذات حسن وجمال وشجاعتها تضرب بها الامثال واشتهرت بالشجاعة بين الابطال وأما أبوك فانه الملك عمر النعمان صاحب بغداد وخراسان من غير شك ولا ريب ولا رجم بالغيب وكان قد أرسل ولده شركان الى بعض غزواته صحبة هذا الوزير دندان وكان منهم الذي قد كان

وكان أخوك الملك شركان تقدم على الجيوش وانفرد وحده عن عسكره فوقع عند أمك الملكة ابريزة في قصرها ونزلنا وإياها في خلوة للصراع فصادفنا ونحن على تلك الحالة نتصارع مع أمك وغلبته امك بحسنها وشجاعتها ثم استضافته أمك مدة خمسة أيام في قصرها فبلغ أباها ذلك الخبر من العجوز شواهي الملقبة بذات الدواهي وكانت أمك قد أسلمت على يد شركان أخيك فأخذها وتوجه بها الى مدينة بغداد سرا وكنت أنا وريحانة وعشرون جارية معها وكنا قد أسلمنا كلنا على يد الملك شركان فلما دخلنا على أبيك الملك عمر النعمان ورأى أمك الملكة ابريزة وقع في قلبه محبتها فدخل عليها ليلة واختلى بها فحملت بك وكان مع أمك ثلاث خرزات فأعطتها الابيك فأعطى خرزة لابنته نزهة الزمان وأعطى الثانية لأخيك ضوء المكان وأعطى الثالثة لاخيك الملك شركان فأخذتها منه الملكة ابريزة وحفظتها لك فلما قربت ولادتها اشتاقت أمك الى أهلها وأطلعتني على سرها فاجتمعت بعبد أسود يقال له الغضبان وأخبرته بالخبر سرا ورغبته في ان يسافر معنا فأخذنا العبد وطلع بنا من المدينة وهرب بنا وكانت أمك قد قربت ولادتها فلما دخلنا على أوائل بلادنا في مكان منقطع أخذ أمك الطلق بولادتك فحدثت العبد نفسه بالخنا فأتى أمك فلما قرب منها راودها على الفاحشة فصرخت عليه صرخة عظيمة وانزعجت منه فمن عظم انزعاجها وضعتك حالا وكان في تلك الساعة قد طلع علينا في البر من ناحية بلادنا غبار قد علا وطار حتى سد الاقطار فخشي العبد على نفسه الهلاك فضرب الملكة ابريزة بسيفه فقتلها من شدة غيظه وركب جواده وتوجه الى حال سبيله وبعد ماراح العبد انكشف الغبار عن جدك الملك حردوب ملك الروم فرأى أمك ابنته وهي في ذلك المكان قتيلة وعلى الارض جديلة فصعب ذلك عليه وكبر لديه وسألني عن سبب قتلها وعن سبب خروجها خفية من بلاد أبيها فحكيت له جميع ذلك من الاول الى الآخر وهذا هو سبب العداوة بين أهل بلاد الروم وبين أهل بلاد بغداد فعند ذلك احتملنا أمك وهي قتيلة ودفناها في قصرها وقد احتملتك أنا وربيتك وعلقت لك الخرزة التي كانت مع أمك الملكة ابريزة ولما كبرت وبلغت مبلغ الرجال لم يمكني أن أخبرك بحقيقة الامر لانني لو أخبرتك بذلك لثارت بينكم الحروب وقد أمرني جدك بالكتمان ولا قدرة لي على مخالفة أمر جدك الملك حردوب ملك الروم فهذا سبب كتمان الخبر عنك وعدم اعلامك بأن أباك الملك عمر النعمان فلما استقللت بالمملكة أخبرتك وما أمكنني أن أعلمك الا في هذا الوقت يا ملك الزمان وقد كشفت السر والبرهان وهذا ما عندي من الخبر وأنت برأيك أخبر وكان الأسارى قد سمعوا من الجارية مرجانة داية الملك هذا الكلام جميعه فصاحت نزهة الزمان من وقتها وساعتها صيحة عظيمة وقالت هذا الملك رومزان أخي من أبي عمر النعمان وأمه الملكة ابريزة بنت الملك حردوب ملك الروم وأنا أعرف هذه الجارية مرجانة حق المعرفة فلما سمع الملك رومزان هذا الكلام أخذته الحدة وصار متحيرا في أمره وأحضر من وقته وساعته نزهة الزمان بين يديه فلما رآها حن الدم للدم واستخبرها عن قصته فحكت له فوافق كلامها كلام دايته مرجانة فصح عند الملك أنه من أهل العراق من غير شك ولا ارتياب وان أباه الملك عمر النعمان فقام من تلك الساعة وحل كتاف أخته نزهة الزمان فتقدمت اليه وقبلت يديه ودمعت عيناها فبكى الملك لبكائها وأخذه حنو الاخوة ومال قلبه الى ابن أخيه السلطان كان ما كان وقام ناهضا على قدميه وأخذ السيف من يد السياف فأيقن الاسارى بالهلاك لما رأوا منه ذلك فأمر باحضارهم بين يديه وفك وثاقهم وقال لدايته مرجانة اشرحي حديثك الذي شرحته الى هؤلاء الجماعة فقالت دايته مرجانة اعلم أيها الملك أن هذا الشيخ هو الوزير دندان وهو لي أكبر شاهد لانه يعرف حقيقة الامر ثم انها أقبلت عليهم من وقتها وساعتها وعلى من حضرهم من ملوك الروم وملوك الافرنج وحدثتهم بذلك الحديث والملكة نزهة الزمان والوزير دندان ومن معهما من الاسارى يصدقونها على ذلك وفي آخر الحديث لاحت من الجارية مرجانة التفاتة فرأت الخرزة الثالثة بعينها رفيقة الخرزتين اللتين كانتا مع الملكة ابريزة في رقبة السلطان كان ما كان فعرفتها فصاحت صيحة عظيمة دوى لها الفضاء وقالت للملك يا ولدي اعلم أنه قد زاد في تلك صدق يقيني لان هذه الخرزة التي في رقبة هذا الاسير نظير الخرزة التي وضعتها في عنقك وهي رفيقتها وهذا الاسير هو ابن أخيك وهو كان ما كان ثم ان الجارية مرجانة التفتت الى

كان ما كان وقالت له أرنى هذه الخرزة يا ملك الزمان فنزعتها من عنقه وناولها التالت الجارية داية الملك رومزان فاخذتها منه ثم سألت نزهة الزمان عن الخرزة الثالثة فاعطتها لها فلما صارت الخرزتان فى يد الجارية ناولتهما للملك رومزان فظهر له الحق والبرهان وتحقق انه عم السلطان كان ما كان وان أباه الملك عمر النعمان فقام من وقته وساعته الى الوزير دندان وعانقه ثم عانق الملك كان ما كان وعلا الصياح بكثرة الافراح وفى تلك الساعة انتشرت البشائر ودقت الكاسات والطبول وزمرت الزمور وزادت الافراح وسمع عساكر العراق والشام ضجيج الروم بالافراح فركبوا عن آخرهم وركب الملك الزبلكان وقال فى نفسه يا ترى ما سبب هذا الصياح والسرور الذى فى عسكر الافرنج والروم وأما عسكر العراق فانهم قد أقبلوا وعلى القتال عوّلوا وصاروا فى الميدان ومقام الحرب والطعان فالتفت الملك رومزان فرأى العساكر مقبلين وللحرب متهيئين فسأل عن سبب ذلك فأخبروه بالخبر فأمر قضى فكان ابنة أخيه شركان أن تسير من وقتها وساعتها الى عسكر الشام والعراق وتعلمهم بحصول الاتفاق وأن الملك رومزان ظهر أنه عم السلطان كان ما كان فسارت قضى فكان بنفسها ونفت عنها الشرور والاحزان حتى وصلت الى الملك الزبلكان وسلمت عليه وأعلمته بما جرى من الاتفاق وأن الملك رومزان ظهر أنه عمها وعم كان ما كان وحين أقبلت عليه وجدته باكى العين خائفا على الامراء والاعيان فشرحت له القصة من أولها الى آخرها فزادت أفراحهم وزالت أتراحهم وركب الملك الزبلكان هو وجميع الاكابر والاعيان وسارت قدامهم الملكة قضى فكان حتى أوصلتهم الى سرادق الملك رومزان فلما دخلوا عليه وجدوه جالسا مع ابن أخيه السلطان كان ما كان وقد استشاره هو والوزير دندان فى أمر الملك الزبلكان فاتفقوا على انهم يسلمون اليه مدينة دمشق الشام ويتركونه ملكا عليها كما كان مثل العادة وهم يدخلون الى العراق فجعلوا الملك الزبلكان عاملا على دمشق الشام ثم أمروه بالتوجه اليها فتوجه بعساكره اليها ومشوا معه ساعة لاجل الوداع وبعد ذلك رجعوا الى مكانهم ثم نادوا فى العسكر بالرحيل الى بلاد العراق واجتمع العسكران مع بعضهم ثم ان الملوك قالوا لبعضهم ما بقيت قلوبنا تستريح ولا يشفى غيظنا الا بأخذ الثار وكشف العار بالانتقام من العجوز شواهى الملقبة بذات الدواهى فعند ذلك سار الملك رومزان مع خواصه وأرباب دولته وفرح السلطان كان ما كان بعمه الملك رومزان ودعا للجارية مرجانة حيث عرفتهم ببعضهم ثم ساروا ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى أرضهم فسمع بهم الحاجب الكبير ساسان فطلع وقبل يد الملك رومزان فخلع عليه ثم ان الملك رومزان جلس وأجلس ابن أخيه السلطان كان ما كان الى جانبه فقال كان ما كان لعمه الملك رومزان يا عم ما يصلح هذا الملك الالك فقال له معاذ الله أن أعارضك فى ملكك فعند ذلك أشار اليهما الوزير دندان أن يكون الاثنان فى الملك سواء وكل واحد يحكم يوما فارتضيا بذلك * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿ فلما كانت الليلة الرابعة والاربعون بعد المائة ﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد انهما اتفقا على ان كل واحد يحكم يوما ثم أولموا الولائم وذبحوا الذبائح وزادت بهم الافراح وأقاموا على ذلك مدة من الزمان كل ذلك والسلطان كان ما كان يقطع ليله مع بنت عمه قضى فكان وبعد تلك المدة بينما هم قاعدون فرحون بهذا الامر وانصلاح الشأن اذ ظهر لهم غبار قد علا وطار حتى سد الاقطار وقد أتى اليهم من التجار صارخ يستغيث وهو يصيح ويقول يا ملوك الزمان كيف أسلم فى بلاد الكفر وانهب فى بلادكم وهى بلاد العدل والامان فاقبل عليه الملك رومزان وسأله عن حاله فقال له أنا تاجر من التجار ولى غائب عن الاوطان مدة مديدة من الزمان واستغرقت فى البلاد نحو عشرين سنة من الاعوام وان معى كتابا من مدينة دمشق كان قد كتبه لى المرحوم الملك شركان وسبب ذلك أننى قد أهديت اليه جارية فلما قربت من تلك البلاد وكان معى مائة حمل من تحف الهند وأتيت بها الى بغداد التى هى حرمكم ومحل أمنكم وعدلكم خرجت علينا عربان ومعهم أكراد مجتمعة من جميع البلاد فقتلوا رجالى ونهبوا أموالى وهذا شرح حالى ثم ان التاجر بكى بين يدى الملك رومزان وحوقل واشتكى فرحمه الملك ورق اليه وكذلك رحمه ابن أخيه الملك كان

ما كان وخلفوا أنهم يخرجون اليهم فخرجوا اليهم في مائة فارس كل فارس منهم يعد بين الرجال بألوف وذلك
التاجر سار أمامهم يدلهم على الطريق ولم يزالوا سائرين ذلك النهار وطول الليل الى السحر حتى أشرفوا على
واد غزير الانهار كثير الاشجار فوجدوا القوم قد تفرقوا في ذلك الوادي وقسموا بينهم أحمال ذلك التاجر وبقي
البعض فأطبق عليهم المائة فارس وأحاطوا بهم من كل مكان وصاح عليهم الملك رومزان هو وابن أخيه كان
ما كان فما كان غير ساعة حتى أسروا الجميع وكانوا ثلثمائة فارس مجتمعين من أوباش العربان فلما أسروهم
أخذوا ما معهم من مال التاجر وشدوا وثاقهم وطلعوا بهم الى مدينة بغداد فعند ذلك جلس الملك رومزان هو
وابن أخيه الملك كان ما كان على تخت واحد مع بعضهما ثم عرضوا الجميع بين أيديهما وسألاهم عن حالهم وعن
كبارهم فقالوا ما لنا كبار غير ثلاثة أشخاص وهم الذين جمعونا من سائر النواحي والاقطار فقالا لهم ميزوهم
لنا بأعيانهم فميزوهم لهما فأمرا بالقبض عليهم واطلاق بقية أصحابهم بعد أخذ جميع ما معهم من الاموال
وتسليمه للتاجر فتفقد التاجر قماشه وماله فوجده قد هلك ربعه فوعدوه انهم يعوضون له جميع ما ضاع منه
فعند ذلك أخرج التاجر كتابين أحدهما بخط شركان والآخر بخط نزهة الزمان وقد كان التاجر اشترى نزهة
الزمان من البدوي وهي بكر وقدمها لاخيها شركان وجرى بينها وبين أخيها ما جرى ثم ان الملك كان ما كان
وقف على الكتابين وعرف خط عمه شركان وسمع حكاية عمته نزهة الزمان فدخل عليها بذلك الكتاب الثاني
الذي كانت كتبته للتاجر الذي ضاع منه المال وأخبرها كان ما كان بقصة التاجر من أولها الى آخرها فعرفته
نزهة الزمان وعرفت خطها وأخرجت للتاجر الضيافات وأوصت عليه أخاها الملك رومزان وابن أخيها
الملك كان ما كان فأمر له بأموال وعبيد وغلمان من أجل خدمته وأرسلت اليه نزهة الزمان مائة ألف درهم
من المال وخمسين حملا من البضائع وقد أتحفته بهدايا وأرسلت اليه تطلبه فلما حضر طلعت وسلمت عليه
وأعلمته انها بنت الملك عمر النعمان وان أخاها الملك رومزان وابن أخيها الملك كان ما كان ففرح التاجر
بذلك فرحا شديدا وهنأها بسلامتها واجتماعها بأخيها وابن أخيها وقبل يديها وشكرها على فعلها وقال لها
والله ما ضاع الجميل معك ثم دخلت الى خدرها وأقام التاجر عندهم ثلاثة أيام ثم ودعهم ورحل الى بلاد الشام
وبعد ذلك أحضر الملوك الثلاثة أشخاص اللصوص الذين كانوا رؤساء قطاع الطريق وسألوهم عن حالهم
فتقدم واحد منهم وقال اعلموا أني رجل بدوي أقف في الطريق لاخطف الصغار والبنات الابكار وأبيعهم
للتجار ودمت على ذلك مدة من الزمان الى هذه الايام وأغراني الشيطان فاتفقت مع هذين الشقيين على جمع
الاوباش من الاعراب والبلدان لاجل نهب الاموال وقطع الطريق على التجار فقالوا له احك لنا على أعجب
ما رأيت في خطفك في الصغار والبنات فقال لهم أعجب ما جرى لي يا ملوك الزمان أنني من مدة اثنتين وعشرين
سنة خطفت بنتا من بنات بيت المقدس ذات يوم من الايام وكانت تلك البنت ذات حسن وجمال غير انها كانت
خدامة وعليها أثواب خلقة وعلى رأسها قطعة عباءة فرأيتها قد خرجت من الخان فخطفتها بحيلة في تلك
الساعة وحملتها على جمل وسقت بها وكان في أملي أنني أذهب بها الى أهلي في البرية وأجعلها عندي ترعى الجمال
وتجمع البعر من الوادي فبكت بكاء شديدا فدنوت منها وضربتها ضربا وجيعا وأخذتها الى مدينة دمشق فرآها
معي تاجر فتحير عقله لما رآها وأعجبته فصاحتها وأراد اشتراءها مني ولم يزل يزيدني في ثمنها حتى بعتها له بمائة
ألف درهم فلما أعطيتها له رأيت منها فصاحة عظيمة وبلغني أن التاجر كساها كسوة مليحة وقدمها الى
الملك صاحب دمشق فأعطاه قدر المبلغ الذي دفعه الي مرتين وهذا يا ملوك الزمان أعجب ما جرى لي ولعمري
ان ذلك الثمن قليل في تلك البنت فلما سمع الملوك هذه الحكاية تعجبوا ولما سمعت نزهة الزمان من البدوي
ما حكاه صار الضياء في وجهها ظلاما وصاحت وقالت لاخيها رومزان ان هذا البدوي الذي كان خطفني من
بيت المقدس بعينه من غير شك ثم ان نزهة الزمان حكت لهم جميع ما جرى لها معه في غربتها من الشدائد
والضرب والجوع والذل والهوان ثم قالت لهم الآن حل لي قتله ثم جذبت السيف وقامت الى البدوي لتقتله
واذا هو صاح وقال يا ملوك الزمان لا تدعوها تقتلني حتى أحكي لكم ما جرى لي من العجائب فقال لها ابن

أخبها كان ما كان يا عمي دعيه يحكي لنا حكاية وبعد ذلك فافعل ما تريدين فرجعت عنه فقال له الملوك الآن احك لنا حكاية فقال يا ملوك الزمان ان حكيت لكم حكاية عجيبة تعفوا عني قالوا نعم فابتدأ البدوي يحدثهم بأعجب ما وقع له وقال اعلموا اني من مدة يسيرة أرقت ليلة أرقا شديدا وما صدقت أن الصباح يصبح فلما أصبح الصباح قمت من وقتي وساعتي وتقلدت بسيفي وركبت جوادي واعتقلت رمحي وخرجت أريد الصيد والقنص فواجهني جماعة في الطريق فسألوني عن قصدي فأخبرتهم به فقالوا ونحن رفقاؤك فنزلنا كلنا مع بعضنا فبينما نحن سائرون واذا بنعامة ظهرت لنا فقصدناها ففرت من بين أيدينا وهي فاتحة أجنحتها ولم تزل شاردة ونحن خلفها الى الظهر حتى رمتنا في برية لا نبات فيها ولا ماء ولم يسمع فيها غير صفير الحيات وزعيق الجان وصريخ الغيلان فلما وصلنا الى ذلك المكان غابت عنا فلم ندر أفي السماء طارت أم في الارض غارت فرددنا رؤس الخيل وأردنا الرواح ثم رأيت أن الرجوع في هذا الوقت الشديد الحر لا خير فيه ولا اصلاح وقد اشتد علينا الحر وعطشنا عطشا شديدا ووقفت خيولنا فايقنا بالموت فبينما نحن كذلك اذ نظرنا من بعيد مرجا أفيح فيه غزلان تمرح وهناك خيمة مضروبة وفي جانب الخيمة حصان مربوط وسنان يلمع على رمح مركوز فانتعشت نفوسنا من بعد اليأس ورددنا رؤس خيلنا نحو تلك الخيمة نطلب ذلك المرج والماء وتوجه اليه جميع أصحابي وأنا في أولهم ولم نزل سائرين حتى وصلنا الى ذلك المرج فوقفنا على عين وشربنا وسقينا خيلنا فأخذتني حمية الجاهلية وقصدت باب ذلك الخباء فرأيت فيه شابا لا نبات بعارضيه وهو كانه هلال وعن يمينه جارية هيفاء كأنها قضيب بان فلما نظرت اليها وقعت محبتها في قلبي فسلمت على ذلك الشاب فرد علي السلام فقلت يا أخا العرب أخبرني من أنت وما تكون لك تلك الجارية التي عندك فاطرق الشاب رأسه الى الارض ساعة ثم رفع رأسه وقال أخبرني من أنت وما الخيل التي معك فقلت أنا حماد بن الفزاري الفارس الموصوف الذي أعد بين العرب بخمسمائة فارس ونحن خرجنا من محلنا نريد الصيد والقنص فادركنا العطش فقصدت أنا باب تلك الخيمة لعلي أجد عندكم شربة ماء فلما سمع مني ذلك الكلام التفت الى جارية مليحة وقال ائتي الى هذا الرجل بالماء وما حصل من الطعام فقامت الجارية تسحب أذيالها والحجال الذهب تشخشخ في رجليها وهي تتعثر في شعرها فغابت قليلا ثم أقبلت وفي يدها اليمنى اناء من فضة مملوءة ماء باردا وفي يدها اليسرى قدح ملآن تمرا ولبنا وما حضر من لحم الوحوش فما استطعت ان آخذ من الجارية طعاما ولا شرابا من شدة محبتي لها فتمثلت بهذين البيتين وقلت

كأن الخضاب على كفها * غراب على ثلجة واقف

ترى الشمس والبدر من وجهها * قريبين خاف وذا خائف

ثم قلت للشاب بعد أن أكلت وشربت يا وجه العرب اعلم اني أوقفتك على حقيقة خبري وأريد أن تخبرني بحالك وتوقفني على حقيقة خبرك فقال الشاب أما هذه الجارية فهي أختي فقلت أريد أن تزوجني بها طوعا والا أقتلك وآخذها غصبا فعند ذلك أطرق الشاب رأسه الى الارض ساعة ثم رفع بصره الي وقال لي لقد صدقت في دعواك أنك فارس معروف وبطل موصوف وانك أسد البيداء ولكن ان هجمتم علي غدرا وقتلتموني قهرا وأخذتم أختي فان هذا يكون عارا عليكم وان كنتم على ما ذكرتم من أنكم فرسان تعدون من الابطال ولا تبالون بالحرب والنزال فأمهلوني قليلا حتى ألبس آلة حربي وأتقلد بسيفي وأعتقل رمحي وأركب فرسي وأصير أنا واياكم في ميدان الحرب فان ظفرت بكم أقتلكم عن آخركم وان ظفرتم بي وقتلتموني فهذه الجارية أختي لكم فلما سمعت منه هذا الكلام قلت له ان هذا هو الانصاف وما عندنا خلاف ثم رددت رأس جوادي الى خلفي وقد زاد بي الجنون في محبة تلك الجارية ورجعت الى أصحابي ووصفت لهم حسنها وجمالها وحسن الشاب الذي عندها وشجاعته وقوة جنانه وكيف يذكر أنه يصادم ألف فارس ثم أعلمت أصحابي بجميع ما في الخباء من الاموال والتحف وقلت لهم اعلموا أن هذا الشاب ما هو منقطع في تلك الارض الا لكونه ذا شجاعة عظيمة وأنا أوصيكم أن كل من قتل هذا الغلام يأخذ أخته فقالوا رضينا بذلك ثم ان أصحابي لبسوا آلة حربهم وركبوا خيولهم وقصدوا الغلام فوجدوه قد لبس آلة حربه وركب جواده ووثبت اليه أخته وتعلقت بركابه وبلت برقعها

بدموعها وهي تنادي بالويل والثبور من خوفها على أخيها وتنشد هذه الابيات

الى الله أشكو محنة وكآبة * لعل اله العرش يرمقهم رعبا * يريدون قتلا يا أخي تعمدا
ولاشئ من قبل القتال ولاذنبا * وقد عرف الابطال انك فارس * وأشجع من حل المشارق والغربا
تحامي عن الاخت التي قل عزمها * فانت أخوها وهي تدعو لك الربا * فلا تتركن الاعداء تملك مهجتي
وتأخذني قهرا وتأسرني غصبا * ولست وحق الله أبقى بعدة * اذا لم تكن فيها وان ملئت خصبا
وأقتل نفسي في هواك محبة * وأسكن لحدا فيه أفترس الترابا

فلما سمع أخوها شعرها بكى بكاء شديدا ورد رأس جواده الى أخته وأجابها عن شعرها بقوله

قفي وانظري مني وقوع عجائب * اذا ما التقينا حين أثخنهم ضربا * وان برز الليث المقدم فيهم
وأشجعهم قلبا وأثبتهم لبا * سأسقيه مني ضربة ثعلبية * وأترك فيه الرمح يستغرق الكعبا
وان لم أقاتل عنك أختي فليتني * قتيل وليت الطير تنهبني نهبا
أقاتل عنك ما استطعت تكرما * وهذا حديث بيننا علا الكتبا

فلما فرغ من شعره قال يا أختي اسمعي ما أقول لك وما أوصيك به فقالت له سمعا وطاعة فقال لها ان هلكت فلا تمكني أحدا من نفسك فعند ذلك لطمت على وجهها وقالت معاذ الله يا أخي ان أراك صريعا وأمكن الاعداء مني فعند ذلك مد الغلام يده اليها وكشف برقعها عن وجهها فلاحت لنا صورتها كالشمس من تحت الغمام فقبلها بين عينيها وودعها وبعد ذلك التفت الينا وقال لنا يا فرسان هل أنتم ضيفان أو تريدون الضرب والطعان فان كنتم ضيفانا فابشروا بالقرى وان كنتم تريدون القمر الزاهر فليبرز لي منكم فارس بعد فارس في هذا الميدان ومقام الحرب والطعان فعند ذلك برز اليه شجاع فقال له الشاب ما اسمك وما اسم أبيك فاني حالف اني ما أقتل من اسمه موافق لاسمي واسم أبيه موافق لاسم أبي فان كنت بهذا الوصف فقد سلمت اليك الجارية فقال له الفارس اسمي بلال فاجابه الشاب بقوله

كذبت في قولك من بلال * وجئت بالزور وبالمحال * ان كنت شهما فاسمع مقالي
مجندل الابطال في المجال * وصارمي ماض كما الهلال * فاصبر لطعن مرجف الجبال

ثم حملا على بعضهما فطعنه الشاب في صدره فخرج السنان يلمع من ظهره ثم برز اليه واحد فقال الشاب

يا أيها الكلب وخيم الرجس * فاين عال سعره من بخس
وانما الليث الكريم الجنس * من لم يبال في الوغى بنفس

ثم لم يمهله الشاب دون أن تركه غريقا في دمه ثم نادى الشاب هل من مبارز فبرز اليه واحد فانطلق على الشاب وجعل يقول

اليك أقبلت وفي قلبي لهب * منه أنادي عند صحبي بالحرب
لما قتلت اليوم سادات العرب * فاليوم لا تلقى فكاكا من طلب

فلما سمع الشاب كلامه أجابه بقوله

كذبت بئس أنت من شيطان * قد جئت بالزور والبهتان
اليوم تلقى فاتك السنان * في موقف الحرب وفي الطعان

ثم طعنه في صدره فطلع السنان من ظهره ثم قال هل من مبارز فخرج اليه الرابع وسأله الشاب عن اسمه فقال له الفارس اسمي هلال فانشد يقول

اسطات اذ أردت خوض بحري * وجئت بالزور وكل الامر
أنا الذي تسمع مني شعري * اختلس النفس ولست تدري

ثم حملا على بعضهما واختلف بينهما ضربتان فكانت ضربة الشاب هي السابقة الى الفارس فقتله وصار كل من نزل اليه يقتله فلما نظرت أصحابي قد قتلوا قلت في نفسي ان نزلت اليه في الحرب لم أطقه وان هربت أبقى معرة بين العرب فلم يمهلني الشاب دون أن انقض علي ووجدني بيده فاطاحني من سرجي فوقعت مغشيا علي ورفع سيفه وأراد أن يضرب عنقي فتعلقت باذياله فحماني بكفه فصرت معه كالعصفور فلما رأت ذلك الجارية فرحت بفعل

أخيها وأقبلت عليه وقبلته بين عينيه ثم انه سلمني الى أخته وقال لها دونك واياه وأحسني مثواه لانه دخل في ذمامنا فقبضت الجارية على أطواق درعي وصارت تقودني كما تقود الكلب وفكت عن أخيها لامة الحرب وألبسته بدلة ونصبت له كرسيا من العاج فجلس عليه وقالت له بيض الله عرضك وجملك عدة للنائبات فاجابها بهذه الابيات

تقول وقد رأت في الحرب أختي * لوامع غرتي مثل الشعاع
ألا لله درك من شجاع * تذل لحربه أسد البقاع
فقلت لها سلي الابطال عني * اذا ما فر أرباب القراع
أنا المعروف في سعدي وجدي * وعزمي قد علا أي ارتفاع
أيا حماد قد نازلت ليثا * يريك الموت يسعى كالافاعي

فلما سمعت شعره حرت في أمري ونظرت الى حالتي وما صرت اليه من الاسر وتصاغرت الى نفسي ثم نظرت الى الجارية أخت الشاب والى حسنها فقلت في نفسي هذه سبب الفتنة وصرت أتعجب من جمالها وأجريت العبرات وأنشدت هذه الابيات

خليلي كف عن لومي وعذلي * فاني للملامة غير واع
كلفت بغادة لم تبد الا * أن دعتني في محبتها الدواعي
أخوها في الهوى أمسى رقيبي * وصاحب همة وطويل باع

ثم ان الجارية أحضرت لاخيها الطعام فدعاني الى الاكل معه ففرحت وأمنت على نفسي من القتل ولما فرغ أخوها من الاكل أحضرت له آنية المدام ثم ان الشاب أقبل على المدام وشرب حتى شعشع الشراب في رأسه واحمر وجهه فالتفت الي وقال ويلك يا حماد أنا عباد بن تميم بن ثعلبة ان الله وهب لك نفسك وأبقى عليك عرسك ثم حياني بقدح شربته وحياني بثان وثالث ورابع فشربت الجميع ونادمني وحلفني اني لا أخونه فحلفت له ألفا وخمسمائة يمين اني لا أخونه قط بل أكون له معينا فعند ذلك أمر أخته أن تأتيني بعشر خلع من الحرير وهذه بدلة منها على جسدي وأمرها أن تأتيني بناقة من أحسن النياق فأتتني بناقة محملة من التحف والزاد وأمرها أن تحضر لي الحصان الاشقر فأحضرته لي ثم وهب لي جميع ذلك وأقمت عندهم ثلاثة أيام في أكل وشرب والذي قد أعطاه لي موجود عندي الى الآن وبعد ثلاثة أيام قال لي يا أخي يا حماد أريد أن أنام قليلا لاريح نفسي وقد استأمنت على نفسي وان رأيت خيلا ثائرة فلا تفزع منها واعلم انهم من بني ثعلبة يطلبون حربي ثم توسد سيفه تحت رأسه ونام فلما استغرق في النوم وسوس الي ابليس بقتله فقمت بسرعة وجذبت سيفه من تحت رأسه وضربته ضربة فاطاحت رأسه عن جثته فعلمت بي أخته فوثبت من جانب الخباء ورمت نفسها على أخيها وشقت ما عليها من الثياب وأنشدت هذه الابيات

الى الاهل بلغ ان ذا أشأم الخبر * وما لامرئ مما الحكيم قضى مفر
وأنت صريع يا أخي متجندل * ووجهك يحكي حسنه دورة القمر
لقد كان يوم الشؤم يوم لقيته * ورمحك من بعد اطراد قد انكسر
وبعدك لا يرتاح للخيل راكب * ولا تلد الانثى نظيرك من ذكر
وأصبح حماد لك اليوم قاتلا * وقد خان أيمانا وبالعهد قد غدر
يريد بهذا أن ينال مراده * لقد كذب الشيطان في كل ما أمر

فلما فرغت من شعرها قالت لي يا ملعون الجدين لماذا قتلت أخي وخنته وكان مراده أن يردك الى بلادك بالزاد والهدايا وكان مراده أيضا أن يزوجني لك في أول الشهر ثم جذبت سيفا كان عندها وجعلت قائمه في الارض وطرفه في صدرها وانحنت عليه حتى طلع من ظهرها فخرت على الارض ميتة فحزنت عليها وندمت حيث لا ينفعني الندم وبكيت ثم قمت مسرعا الى الخباء وأخذت ما خف حمله وغلا ثمنه وسرت الى حال سبيلي ومن خوفي وعجلتي لم ألتفت الى أحد من أصحابي ولا دفنت الصبية ولا الشاب وهذه الحكاية أعجب من حكايتي الاولى مع البنت الخادمة التي خطفتها من بيت المقدس فلما سمعت نزهة الزمان من البدوي هذا الكلام تبدل النور في عينها بالظلام * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الخامسة والاربعون بعد المائة) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان نزهة الزمان لما سمعت من البدوي هذا الكلام تبدل الضياء في عينها بالظلام وقامت وجردت السيف وضربت به البدوي حمادا على

عاتقه فأطلعته من علائقه فقال لها الحاضرون لاى شئ استعجلت على قتله فقالت الحمد لله الذى فسح فى أجلى حتى أخذت ثارى بيدى ثم انها أمرت العبيدان يجروه من رجليه و يرموه للكلاب و بعد ذلك أقبلوا على الاثنين الباقيين من الثلاثة وكان أحدهما عبدا أسود فقالوا له ما اسمك أنت فاصدقنا فى حديثك قال أنا اسمى الغضبان وأخبرهم بما وقع له مع الملكة ابريزة بنت الملك حردوب ملك الروم وكيف قتلها وهرب فلم يتم العبد كلامه حتى رمى الملك رومزان رقبته بالحسام وقال الحمد لله الذى أحيانى وأخذت ثار أمى بيدى وأخبرهم ان دايته مرجانة حكت له على هذا العبد الذى اسمه الغضبان و بعد ذلك أقبلوا على الثالث وكان هو الجمال الذى اكتراه أهل بيت المقدس الى حمل ضوء المكان وتوصيله الى المارستان الذى فى دمشق الشام فذهب به وألقاه فى المستوقد وذهب الى حال سبيله ثم قالوا له أخبرنا أنت بخبرك واصدق فى حديثك فحكى لهم جميع ماوقع له مع السلطان ضوء المكان وكيف حمله من بيت المقدس بالدراهم وهو ضعيف على انه يوصله الى الشام و يرميه فى المارستان وكيف جاءله أهل بيت المقدس بالدراهم فأخذها وهرب بعد ان رماه فى مستوقد الحمام فلما أتم كلامه أخذ السلطان كان ما كان السيف وضرب به فرمى عنقه وقال الحمد لله الذى أحيانى حتى جازيت هذا الخائن بما فعل مع أبى فاننى قد سمعت هذه الحكاية بعينها من والدى السلطان ضوء المكان فقال الملوك لبعضهم مابقى علينا الا العجوز شواهى الملقبة بذات الدواهى فانها سبب هذه البلايا حيث أوقعتنا فى الرزايا ومن لنا بها حتى نأخذ منها الثار ونكشف العار فقال له الملك رومزان عم الملك كان ما كان لابد من حضورها ثم ان الملك رومزان كتب كتابا من وقته وساعته وأرسله الى جدته العجوز شواهى الملقبة بذات الدواهى وذكر لها فيه انه غلب على مملكة دمشق والموصل والعراق وكسر عسكر المسلمين وأسر ملوكهم وقال أريد ان تحضرى عندى من كل بد أنت والملكة صفية بنت الملك أفريدون ملك القسطنطينية ومن شئتم من أكابر النصارى من غير عسكر فان البلاد أمان لانها صارت تحت أيدينا فلما وصل الكتاب اليها وقرأته وعرفت خط الملك رومزان فرحت فرحا شديدا وتجهزت من وقتها وساعتها للسفر هى والملكة صفية أم نزهة الزمان ومن صحبتهم ولم يزالوا مسافرين حتى وصلوا الى بغداد فتقدم الرسول وأخبرهم بحضورها فقال رومزان المصلحة تقتضى أن نلبس اللبس الافرنجى ونقابل العجوز حتى نأمن من خداعها وحيلها فقالوا سمعا وطاعة ثم انهم لبسوا اللباس الافرنجى فلما رأت ذلك قضى فكان قالت وحق الرب المعبود لولا أنى أعرفكم لقلت انكم أفرنج ثم ان الملك رومزان تقدم امامهم وخرجوا يقابلون العجوز فى ألف فارس فلما وقعت العين فى العين ترجل رومزان عن جواده ومشى اليها فلما رأته وعرفته ترجلت اليه وعانقته فقرط بيده على أضلاعها حتى كاد أن يقصفها فقالت ماهذا فلم تتم كلامها حتى نزل اليها كان ما كان والوزير دندان وزعقت الفرسان على من معها من الجوار والغلمان وأخذوهم جميعهم ورجعوا الى بغداد وأمرهم رومزان أن يزينوا بغداد فزينوها ثلاثة أيام ثم أخرجوا شواهى الملقبة بذات الدواهى وعلى رأسها طرطور أحمر مكلل بروث الحمير وقدامها مناد ينادى هذا جزاء من يتجارى على الملوك وعلى أولاد الملوك ثم صلبوها على باب بغداد ولما رأى أصحابها ماجرى لها أسلموا كلهم جميعا ثم ان كان ما كان وعمه رومزان ونزهة الزمان والوزير دندان تعجبوا لهذه السيرة العجيبة وأمروا الكتاب أن يؤرخوها فى الكتب حتى تقرأ من بعدهم وأقاموا بقية الزمان فى أرغد عيش وأهناه الى أن أتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات وهذا آخر ما انتهى الينا من تصاريف الزمان بالملك عمر النعمان و ولده شركان و ولده ضوء المكان و ولده كان ما كان ونزهة الزمان وقضى فكان ثم ان الملك قال لشهرزاد أشتهى أن تحكى لى شيأ من حكاية الطيور فقالت حبا وكرامة فقالت لها أختها لم أر الملك فى طول هذه المدة انشرح صدره غير هذه الليلة وأرجو أن تكون عاقبتك معه محمودة * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿حكاية تتعلق بالطيور﴾

﴿فلما كانت الليلة السادسة والاربعون بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أنه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والاوان طاوس يأوى الى جانب البحر مع زوجته وكان ذلك الموضع كثير السباع وفيه

من سائر الوحوش غير أنه كثير الاشجار والانهار وذلك الطاوس هو وزوجته يأويان الى شجرة من تلك الاشجار ليلا من خوفهما من الوحوش ويغدوان فى طلب الرزق نهارا ولم يزالا كذلك حتى كثر خوفهما فسارا يبغيان موضعا غير موضعهما يأويان اليه فبينما هما يفتشان على موضع اذ ظهرت لهما جزيرة كثيرة الاشجار والانهار فنزلا فى تلك الجزيرة وأكلا من أثمارها وشربا من أنهارها فبينما هما كذلك واذا ببطة أقبلت عليهما وهى فى شدة الفزع ولم تزل تسعى حتى أتت الى الشجرة التى عليها الطاوس هو وزوجته فاطمأنت فلم يشك الطاوس فى ان تلك البطة لها حكاية عجيبة فسألها عن حالها وعن سبب خوفها فقالت انى مريضة من الحزن وخوفى من ابن آدم فالحذر ثم الحذر من بنى آدم فقال لها الطاوس لا تخافى حيث وصلت الينا فقالت البطة الحمد لله الذى فرج عنى همى وغمى بقربكما وقد أتيت راغبة فى مودتكما فلما فرغت من كلامها نزلت اليها زوجة الطاوس وقالت لها أهلا وسهلا ومرحبا لا بأس عليك ومن أين يصل الينا ابن آدم ونحن فى تلك الجزيرة التى فى وسط البحر فمن البر لا يقدر أن يصل الينا ومن البحر لا يمكن أن يطلع علينا فأبشرى وحدثينا بالذى نزل بك واعتراك من بنى آدم فقالت البطة اعلمى أيتها الطاوسة انى فى هذه الجزيرة طول عمرى آمنة لا أرى مكروها فنمت ليلة من الليالى فرأيت فى منامى صورة ابن آدم وهو يخاطبنى وأخاطبه وسمعت قائلا يقول أيتها البطة احذرى من ابن آدم ولا تغترى بكلامه ولا بما يدخله عليك فانه كثير الحيل والخداع فالحذر كل الحذر من مكره فانه مخادع ماكر كما قال فيه الشاعر

يعطيك من طرف اللسان حلاوة * ويروغ منك كما يروغ الثعلب

واعلمى أن ابن آدم يحتال على الحيتان فيخرجها من البحار ويرمى الطير ببندقة من طين ويوقع الفيل بمكره وابن آدم لا يسلم أحد من شره ولا ينجو منه طير ولا وحش وقد بلغتك ما سمعته عن ابن آدم فاستيقظت من منامى خائفة مرعوبة وأنا الى الآن لا ينشرح صدرى خوفا على نفسى من ابن آدم لئلا يدهمنى بحيلته ويصيدنى بحبائله ولم يأت على آخر النهار الا وقد ضعفت قوتى وبطلت همتى ثم انى اشتقت الى الاكل والشرب فخرجت أتمشى وخاطرى مكدر وقلبى مقبوض فلما وصلت الى ذلك الجبل وجدت على باب مغارة شبلا أصفر اللون فلما رآنى ذلك الشبل فرح بى فرحا شديدا وأعجبه لونى وكونى لطيفة الذات فصاح على وقال لى اقربى منى فلما قربت منه قال لى ما اسمك وما جنسك فقلت له اسمى بطة وأنا من جنس الطيور ثم قلت له ما سبب قعودك الى هذا الوقت فى هذا المكان فقال الشبل سبب ذلك أن والدى الاسد له أيام وهو يحذرنى من ابن آدم فاتفق أننى رأيت فى هذه الليلة فى منامى صورة ابن آدم ثم ان الشبل حكى لى نظير ما حكيته لك فلما سمعت كلامه قلت له يا أسد انى قد لجأت اليك فى أن تقتل ابن آدم وتحزم رأيك فى قتله فانى أخاف على نفسى منه خوفا شديدا وازددت خوفا على خوفى من خوفك من ابن آدم مع أنك سلطان الوحوش ومازلت يا أختى أحذر الشبل من ابن آدم وأوصيه بقتله حتى قام من وقته وساعته من المكان الذى كان فيه وتمشى وتمشيت وراءه فرقع بذنبه على ظهره ولم يزل يتمشى وأنا أمشى وراءه الى مفرق الطريق فوجدنا غبرة طارت وبعد ذلك انكشفت الغبرة فبان من تحتها حمار شارد عريان وهو تارة يقمص ويجرى وتارة يتمرغ فلما رآه الاسد صاح عليه فأتى اليه خاضعا فقال له أيها الحيوان الخريف العقل ما جنسك وما سبب قدومك الى هذا المكان فقال يا ابن السلطان أنا جنسى حمار وسبب قدومى الى هذا المكان هروبى من ابن آدم فقال له الشبل وهل أنت خائف من ابن آدم أن يقتلك فقال له الحمار لا يا ابن السلطان وانما خوفى أن يعمل حيلة على ويركبنى لان عنده شيأ يسميه البرذعة فيجعلها على ظهرى وشيأ يسميه الحزام فيشده على بطنى وشيأ يسميه الطفر فيجعله تحت ذنبى وشيأ يسميه اللجام فيجعله فى فى ويعمل لى منخاسا ينخسنى به ويكلفنى ما لا أطيق من الجرى واذا عثرت لعننى واذا نهقت شتمنى وبعد ذلك اذا كبرت ولم أقدر على الجرى يجعل لى رحلا من الخشب ويسلمنى الى السقائين فيحملون الماء على ظهرى من البحر فى القرب ونحوها كالجرار ولا أزال فى ذل وهوان وتعب حتى أموت فيرمونى فوق التلال للكلاب فأى شئ أكبر من هذا الهم وأى مصيبة أكبر من هذه المصائب فلما سمعت أيتها الطاوسة كلام الحمار اقشعر جسدى من ابن آدم وقلت للشبل يا سيدى ان الحمار معذور وقد زادنى كلامه رعبا على رعبى

فقال الشبل للحمار الى أين أنت سائر فقال له الحمار انى نظرت ابن آدم قبل اشراق الشمس من بعيد ففررت هربا منه وها أنا أريد أن انطلق ولم أزل أجري من شدة خوفي منه فعسى أجد لى موضعا يأويني من ابن آدم الغدار فبينما ذلك الحمار يتحدث مع الشبل ذلك الكلام وهو يريد أن يودعنا ويروح اذ ظهرت لنا غبرة فنهق الحمار وصاح ونظر بعينه الى ناحية الغبرة وضرط ضراطا عاليا وبعد ساعة انكشفت الغبرة عن فرس أدهم بغرة كالدرهم وذلك الفرس ظريف مليح التحجيل حسن القوائم والصهيل ولم يزل يجري حتى وقف بين يدى الشبل ابن الاسد فلما رآه الشبل استعظمه وقال له ما جنسك أيها الوحش الجليل وما سبب شرودك فى هذا البر العريض الطويل فقال ياسيد الوحوش أنا فرس من جنس الخيل وسبب شرودي هروبي من ابن آدم فتعجب الشبل من كلام الفرس وقال لا تقل هذا الكلام فانه عيب عليك وأنت طويل غليظ وكيف تخاف من ابن آدم مع عظم جثتك وسرعة جريك وأنا مع صغر جسمي قد عزمت على أن التقي مع ابن آدم فابطش به وآكل لحمه وأسكن روع هذه البطة المسكينة واقرها فى وطنها وها أنت لما أتيت فى هذه الساعة قطعت قلبي بكلامك وأرجعتني عما أردت أن أفعله فاذا كنت أنت مع عظمك قد قهرك ابن آدم ولم يخف من طولك وعرضك مع انك لو رفسته برجلك لقتلته ولم يقدر عليك بل تسقيه كأس الردى فضحك الفرس لما سمع كلام الشبل وقال هيهات هيهات ان أغلبه يا ابن الملك فلا يغرك طولي ولا عرضي ولا ضخامتي مع ابن آدم لانه من شدة حيله ومكره يصنع لى شيأ يقال له الشكال ويضع فى أربعة قوائمي شكالين من حبال الليف الملفوفة باللباد ويصلبني من رأسي فى وتد عال وأبقى واقفا وأنا مصلوب لا أقدر أقعد ولا أنام واذا أراد أن يركبني يعمل لى شيأ فى رجليه من الحديد اسمه الركاب ويضع على ظهري شيأ يسميه السرج ويشده بحزامين من تحت ابطي ويضع فى فمي شيأ من حديد يسميه اللجام ويضع فيه شيأ من الجلد يسميه الصرع فاذا ركب فوق ظهري على السرج يمسك الصرع بيده ويقودني به ويهمزني بالركاب فى خواصري حتى يدميها ولا تسأل يا ابن السلطان عما أقاسيه من ابن آدم فاذا كبرت وانتحل ظهري ولم أقدر على سرعة الجري يبيعني للطحان ليدورني فى الطاحون فلا أزال دائرا فيها ليلا ونهارا الى أن أهرم فيبيعني للجزار فيذبحني ويسلخ جلدي وينتف ذنبي ويبيعهما للغرابلي والمناخلي ويسلي شحمي فلما سمع الشبل كلام الفرس ازداد غيظا وغما وقال له متى فارقت ابن آدم قال فارقته نصف النهار وهو فى أثري فبينما الشبل يتحدث مع الفرس فى هذا الكلام واذا بغبرة ثارت وبعد ذلك انكشفت الغبرة وبان من تحتها جمل هائج وهو يبعبع ويخبط برجليه فى الارض ولم يزل يفعل كذلك حتى وصل الينا فلما رآه الشبل كبيرا غليظا ظن انه ابن آدم فأراد الوثوب عليه فقلت له يا ابن السلطان ان هذا ما هو ابن آدم وانما هو جمل وكانه هارب من ابن آدم فبينما أنا يا أختي مع الشبل فى هذا الكلام واذا بالجمل تقدم بين أيادي الشبل وسلم عليه فرد عليه السلام وقال له ما سبب مجيئك الى هذا المكان قال جئت هاربا من ابن آدم فقال له الشبل وأنت مع عظم خلقتك وطولك وعرضك كيف تخاف من ابن آدم ولو رفسته برجلك رفسة لقتلته فقال له الجمل يا ابن السلطان اعلم أن ابن آدم له دواه لا تطاق وما يغلبه الا الموت لانه يضع فى أنفي خيطا ويسميه خزاما ويجعل فى رأسي مقودا ويسلمني الى أصغر أولاده فيجرني الولد الصغير بالخيط مع كبري وعظمي ويحملوني أثقل الاحمال ويسافرون بي الاسفار الطوال ويستعملوني فى الاشغال الشاقة آناء الليل وأطراف النهار واذا كبرت وشخت أو انكسرت فلم يحفظ صحبتي بل يبيعني للجزار فيذبحني ويبيع جلدي للدباغين ولحمي للطباخين ولا تسأل عما أقاسي من ابن آدم فقال له الشبل أي وقت فارقت ابن آدم فقال فارقته وقت الغروب وأظنه يأتي عند انصرافي فلا يجدني فيسعى فى طلبي فدعني يا ابن السلطان حتى أهيج فى البراري والقفار فقال الشبل تمهل قليلا يا جمل حتى تنظر كيف أفترسه وأطعمك من لحمه وأهشم عظمه وأشرب من دمه فقال له الجمل يا ابن السلطان أنا خائف عليك فانه مخادع ماكر ثم أنشد قول الشاعر

اذا حل الثقيل بأرض قوم * فما للساكنين سوى الرحيل

فبينما الجمل يتحدث مع الشبل فى هذا الكلام واذا بغبرة طلعت وبعد ساعة انكشفت عن شيخ قصير رقيق البشرة على كتفه مقطف فيه عدة نجار وعلى رأسه شعبة وثمانية ألواح وبيده أطفال صغار وهو يهرول فى مشيه وما زال يمشى حتى قرب من الشبل فلما رأيته يا أختى وقعت من شدة الخوف وأما الشبل فانه قام ومشى اليه ولاقاه فلما وصل اليه ضحك النجار فى وجهه وقال بلسان فصيح أيها الملك الجليل صاحب الباع الطويل أسعد الله مساءك ومسعاك وزاد فى شجاعتك وقواك أجرنى مما دهانى وبشره رمانى لانى ما وجدت لى نصيرا غيرك ثم ان النجار وقف بين يدى الاسد وبكى وأنّ واشتكى فلما سمع الشبل بكاءه وشكواه قال له أجرتك مما تخشاه فمن الذى قد ظلمك وما تكون أيها الوحش الذى ما رأيت عمرى مثلك ولا أحسن صورة وأفصح لسانا منك فما شأنك فقال له النجار يا سيد الوحوش أما أنا فنجار وأما الذى ظلمنى فانه ابن آدم وفى صباح هذه الليلة يكون عندك فى هذا المكان فلما سمع الشبل من النجار هذا الكلام تبدل الضياء فى وجهه بالظلام وشخر ونخر ورمت عيناه بالشرر وصاح وقال والله لاسهرن فى هذه الليلة الى الصباح ولا أرجع الى والدى حتى أبلغ مقصدى ثم ان الشبل التفت الى النجار وقال له انى أرى خطواتك قصيرة ولا أقدر أن أكسر بخاطرك لانى ذو مرآة وأظن انك لا تقدر أن تماشى الوحوش فاخبرنى الى أين تذهب فقال له النجار اعلم أننى رائح الى وزير والدك الفهد لانه لما بلغه ان ابن آدم داس هذه الارض خاف على نفسه خوفا عظيما وأرسل الى رسولا من الوحوش لاصنع له بيتا يسكن فيه ويأوى اليه ويمنع عنه عدوه حتى لا يصل اليه أحد من بنى آدم فلما جاءنى الرسول أخذت هذه الالواح وتوجهت اليه فلما سمع الشبل كلام النجار أخذه الحسد للفهد فقال له بحياتى لابد أن تصنع لى هذه الالواح بيتا قبل أن تصنع للفهد بيته واذا فرغت من شغلى فامض الى الفهد واصنع له ما يريد فلما سمع النجار من الشبل هذا الكلام قال له يا سيد الوحوش ما أقدر أن أصنع لك شيأ الا اذا صنعت للفهد ما يريد ثم أجىء الى خدمتك وأصنع لك بيتا يحصنك من عدوك فقال له الشبل والله ما أخليك تروح من هذا المكان حتى تصنع لى هذه الالواح بيتا ثم ان الشبل هم على النجار ووثب عليه وأراد أن يمزح معه فلطشه بيده فرمى المقطف من على كتفه ووقع النجار مغشيا عليه فضحك الشبل عليه وقال له ويلك يا نجار انك ضعيف وما لك قوة فانت معذور اذا خفت من ابن آدم فلما وقع النجار على ظهره اغتاظ غيظا شديدا ولكنه كتم ذلك عن الشبل من خوفه منه ثم قعد النجار وضحك فى وجه الشبل وقال له ها أنا أصنع لك البيت ثم ان النجار تناول الالواح التى كانت معه وسمر البيت وجعله مثل القالب على قياس الشبل وخلى بابه مفتوحا لانه جعله على صورة صندوق وفتح له طاقة كبيرة وجعل لها غطاء وثقب فيها ثقبا كثيرة وأخرج منها مسامير مطرفة وقال للشبل ادخل فى هذا البيت من هذه الطاقة لاقيسه عليك ففرح الشبل بذلك وأتى تلك الطاقة فرآها ضيقة فقال له النجار ادخل وابرك على يديك ورجليك ففعل الشبل ذلك ودخل الصندوق وبقى ذنبه خارجا ثم اراد الشبل أن يتأخر الى ورائه ويخرج فقال له النجار أمهل حتى أنظر هل يسع ذنبك معك أم لا فامتثل الشبل أمره ثم ان النجار لف ذنب الشبل وحشاه فى الصندوق ورد اللوح على الطاقة سريعا وسمره فصاح الشبل قائلا يا نجار ما هذا البيت الضيق الذى صنعته لى دعنى أخرج منه فقال له النجار هيهات هيهات لا ينفع الندم على ما فات انك لا تخرج من هذا المكان ثم ضحك النجار وقال للشبل انك وقعت فى القفص وكنت أخبث الوحوش فقال له يا أخى ما هذا الخطاب الذى تخاطبنى به فقال له النجار اعلم يا كلب البر انك وقعت فيما كنت تخاف منه وقد رماك القدر ولم ينفعك الحذر فلما سمع الشبل كلامه يا أختى علم انه ابن آدم الذى حذره منه أبوه فى اليقظة والهاتف فى المنام وتحققت أنه هو بلا شك ولا ريب فخفت منه على نفسى خوفا عظيما وبعدت عنه قليلا وصرت أنتظر ماذا يفعل بالشبل فرأيت يا أختى ابن آدم حفر حفرة فى هذا المكان بالقرب من الصندوق الذى فيه الشبل ورماه فى تلك الحفرة وألقى عليه الحطب وأحرقه بالنار فكبر يا أختى خوفى ولى يومان هاربة من ابن آدم وخائفة منه فلما سمعت الطاوسة من البطة هذا الكلام * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿ فلما كانت الليلة السابعة والاربعون بعد المائة ﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الطاوسة لما سمعت من

البطة هذا الكلام تعجبت منه غاية العجب وقالت يا أختي انك أمنت من ابن آدم لانك في جزيرة من جزائر البحر ليس لابن آدم فيها مسلك فاختاري المقام عندنا الى أن يسهل الله أمرك وأمرنا قالت أخاف أن يطرقني طارق والقضاء لاينفك عنه آبق فقالت اقعدي عندنا وأنت مثلنا ولازالت بها حتى قعدت وقالت يا أختي انت تعلمين قلة صبري ولولا اني رأيتك هنا ما كنت قعدت فقالت الطاوسة ان كان على جبيننا شيء نستوفيه وان كان أجلنا دنا فمن يخلصنا وان تموت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها فبينما هما في هذا الكلام اذ طلعت عليهما غبرة فعند ذلك صاحت البطة ونزلت البحر وقالت الحذر الحذر وان لم يكن مفر من القدر وكانت الغبرة عظيمة فلما انكشفت الغبرة ظهر من تحتها ظبي فاطمأنت البطة والطاوسة ثم قالت البطة يا أختي ان الذي تفزعين منه ظبي وها هو قد أقبل نحونا فليس علينا منه باس لان الظبي انما يأكل الحشائش من نبات الارض وكما انت من جنس الطير هو الآخر من جنس الوحوش فاطمئني ولا تهتمي فان الهم يحل البدن فلم تتم الطاوسة كلامها حتى وصل الظبي اليهما يستظل تحت الشجرة فلما رأى الطاوسة والبطة سلم عليهما وقال لهما اني دخلت هذه الجزيرة اليوم فلم أر اكثر منها خصبا ولا أحسن منها مسكنا ثم دعاهما لمرافقته ومصافاته فلما رأت البطة والطاوسة تودده اليهما أقبلتا عليه ورغبتا في عشرته وتحالفوا على ذلك وصار مبيتهم واحدا ومأكلهم سواء ولم يزالوا آمنين آكلين شاربين حتى مرت بهم سفينة كانت تائهة في البحر فارست قريبا منهم فطلع الناس وتفرقوا في الجزيرة فرأوا الظبي والطاوسة والبطة مجتمعين فاقبلوا عليهم فشرد الظبي في البرية وطارت الطاوسة في الجو فبقيت البطة مخبلة ولم يزالوا بها حتى صادوها وصاحت قائلة لم ينفعني الحذر من القضاء والقدر وانصرفوا بها الى سفينتهم فلما رأت الطاوسة ما جرى للبطة ارتحلت من الجزيرة وقالت لا أرى الآفاق الا مراصدة لكل أحد ولولا هذه السفينة ما حصل بيني وبين هذه البطة افتراق ولقد كانت من خيار الاصدقاء ثم طارت الطاوسة واجتمعت بالظبي فسلم عليها وهنأها بالسلامة وسألها عن البطة فقالت له قد أخذها العدو وكرهت المقام في تلك الجزيرة بعدها ثم بكت على فراق البطة وأنشدت تقول

ان يوم الفراق قطع قلبي * قطع الله قلب يوم الفراق

وأنشدت أيضا

تمنيت الوصال يعود يوما * لأخبره بما صنع الفراق

فاغتم الظبي غما شديدا ثم ردعزم الطاوسة عن الرحيل فاقام معها في تلك الجزيرة آمنين آكلين شاربين غير انهما لم يزالا حزينين على فراق البطة فقال الظبي للطاوسة يا أختي قد علمت أن الذين طلعوا لنا من المركب كانوا سببا لفراقنا ولهلاك البطة فاحذري منهم واحترسي منهم ومن مكر ابن آدم وخداعه قالت قد علمت يقينا ان ما قتلها غير تركها التسبيح ولقد قلت لها اني أخاف عليك من تركك التسبيح لان كل ما خلقه الله يسبحه فان غفل عن التسبيح عوقب بهلاكه فلما سمع الظبي كلام الطاوسة قال أحسن الله صورتك وأقبل على التسبيح لا يفتر عنه ساعة وقد قيل ان الظبي يقول في تسبيحه سبحان الملك الديان ذي الجبروت والسلطان وورد أن بعض العباد كان يتعبد في بعض الجبال وكان يأوي الى ذلك الجبل زوج من الحمام وكان ذلك العابد قسم قوته نصفين * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿ فلما كانت الليلة الثامنة والاربعون بعد المائة ﴾

قالت بلغني أيها الملك السعيد ان العابد قد قسم قوته نصفين وجعل نصفه لنفسه ونصفه لذلك الزوج الحمام ودعا العابد لهما بكثرة النسل فكثر نسلهما ولم يكن الحمام يأوي الى غير الجبل الذي فيه العابد وكان السبب في اجتماع الحمام بالعابد كثرة تسبيح الحمام وقيل ان الحمام يقول في تسبيحه سبحان خالق الخلق وقاسم الرزق وباني السموات وباسط الارضين ولم يزل ذلك الزوج الحمام في أرغد عيش هو ونسله حتى مات العابد فتشتت شمل الحمام وتفرق في المدن والقرى والجبال وقيل انه كان في بعض الجبال رجل من الرعاة صاحب دين وعقل وعفة وكان له غنم يرعاها وينتفع بالبانها وأصوافها وكان ذلك الجبل الذي يأوي اليه الراعي كثير الاشجار والمرعى والسباع ولم يكن لتلك الوحوش قدرة على الراعي ولا على غنمه ولم يزل مقيما في الجبل مطمئنا لا يهمه شيء من أمر الدنيا لسعادته واقباله على عبادته فاتفق له أنه مرض مرضا شديدا فدخل كهفا في الجبل وصارت الغنم تخرج بالنهار

الى مرعاها وتأوى بالليل الى الكهف فاراد الله أن يمتحن ذلك الراعى ويختبره فى طاعته وصبره فبعث اليه ملكا فدخل عليه الملك فى صورة امرأة حسناء وجلس بين يديه فلما رأى الراعى تلك المرأة جالسة عنده اقشعر بدنه منها فقال لها أيتها المرأة ما الذى دعاك الى المجىء ههنا وليس لك حاجة معى ولا بينى وبينك ما يوجب دخولك عندى فقالت له أيها الانسان أما ترى حسنى وجمالى وطيب رائحتى أما تعلم حاجة الرجال الى النساء فما الذى يمنعك منى وقد اخترت قربك وأحببت وصالك وقد جئتك طائعة وعليك غير ممتنعة وليس عندنا أحد نخشاه واريد أن أقيم معك طول مقامك فى هذه الجبال وأكون أنيسة لك وقد عرضت نفسى عليك لانك تحتاج لخدمة النساء وأنت ان باشرتنى زال عنك مرضك وعادت اليك صحتك وندمت على ما فاتك من قرب النساء فى سالف عمرك وقد نصحتك فاقبل نصيحتى وادن منى فقال الراعى اخرجى عنى أيتها المرأة الخداعة الغدارة فلا اركن اليك ولا أدنو منك ولا حاجة لى بقربك ولا بوصالك لان من رغب فيك زهد فى الآخرة ومن رغب فى الآخرة زهد فيك لانك فتنت الاولين والآخرين والله تعالى لعباده بالمرصاد والويل لمن ابتلى بصحبتك فقالت له أيها التائه عن السداد والضال عن طريق الرشاد أقبل بوجهك الى وانظر محاسنى واغتنم قربى كما فعل من كان قبلك من الحكماء فقد كانوا أكثر منك تجربة وأصوب منك رأيا ومع ذلك لم يرفضوا ما رفضت من التمتع بالنساء بل رغبوا فيما زهدت فيه من مباشرة النساء وقربهن فما أساءهم ذلك فى دينهم ولا دنياهم فارجع عن رأيك تحمد عاقبة أمرك فقال الراعى ان الذى تقولينه كرهته وجميع ما تبدينه زهدته لانك خداعة غدارة لا عهد لك ولا وفاء فكم من قبيح تحت حسنك أخفيته وكم من صالح فتنته وكانت عاقبته الى الندامة والحزن فارجعى عنى أيتها المصلحة نفسها الفساد غيرها ثم ألقى عباءته على وجهه حتى لا يرى وجهها واشتغل بذكر ربه فلما رأى الملك حسن طاعته خرج وعرج الى السماء وكان بالقرب من الراعى قرية فيها رجل من الصالحين لم يعلم بمكانه فرأى فى منامه كان قائلا يقول له بالقرب منك فى مكان كذا وكذا رجل صالح فاذهب اليه وكن تحت طاعة أمره فلما أصبح الصباح توجه نحوه سائرا فلما اشتد عليه الحر انتهى الى شجرة عندها عين جارية فجلس فى ظل الشجرة ليستريح فبينما هو جالس واذا بوحوش وطيور أتوا الى تلك العين ليشربوا منها فلما رأوا العابد جالسا نفروا ورجعوا شاردين فقال العابد فى نفسه أنا ما استرحت هنا الا لتعب هذه الوحوش والطيور ثم قام وقال معاتبا لنفسه لقد أضر بهذه الحيوانات فى هذا اليوم جلوسى فى هذا المكان فما عذرى عند خالقى وخالق هذه الطيور والوحوش فانى كنت سببا لشرودهم عن مائهم ومرعاهم فوا خجلتى من ربى يوم تقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء ثم أفاض من جفنه العبرات وأنشد هذه الابيات

أما والله لو علم الانام * لما خلقوا لما غفلوا وناموا * فموت ثم بعث ثم حشر
وتوبيخ وأهوال عظام * ونحن اذا نهينا أو أمرنا * كأهل الكهف أكثرنا نيام

ثم بكى على جلوسه تحت الشجرة عند العين ومنعه الطيور والوحوش من شربها وولى هائما على وجهه حتى أتى الى الراعى فدخل عنده وسلم عليه فرد عليه السلام وعانقه وبكى ثم قال الراعى ما الذى أقدمك الى هذا المكان الذى لم يدخله أحد من الناس على فقال العابد انى رأيت فى منامى من يصف لى مكانك ويأمرنى بالمسير اليك والسلام عليك وقد أتيتك ممتثلا لما أمرت به فقبله الراعى وطابت نفسه بصحبته وجلس معه فى الجبل يعبدان الله تعالى فى ذلك الغار وحسنت عبادتهما ولم يزالا فى ذلك المكان يعبدان ربهما ويتقوتان من لحوم الغنم وألبانها متجردين عن المال والبنين الى أن أتاهما اليقين وهذا آخر حديثهما قال الملك لقد زهدتنى يا شهرزاد فى ملكى وندمتنى على ما فرط منى فى قتل النساء والبنات فهل عندك شىء من حديث الطيور قالت نعم زعموا أيها الملك أن طيرا طار وعلا الى الجو ثم انقض على صخرة فى وسط الماء وكان الماء جاريا فبينما الطائر واقف على الصخرة واذا برمة انسان جرها الماء حتى أسندها الى الصخرة ووقفت تلك الجيفة فى جانب الصخرة وارتفعت لانتفاخها فدنا منها طير الماء وتأملها فرآها رمة ابن آدم وظهر له فيها ضرب السيف وطعن الرماح فقال فى نفسه ان هذا المقتول كان شريرا فاجتمع عليه جماعة وقتلوه واستراحوا منه ومن

شيء ولم يزل طير الماء يكثر التعجب من تلك الرمة حتى رأى نسورا وعقبانا احاطوا بتلك الجيفة من جميع جوانبها فلما رأى ذلك طير الماء جزع جزعا شديدا وقال لاصبر لى على الاقامة فى هذا المكان ثم طار منه يفتش على موضع يأويه الى حين نفاد تلك الجيفة وزوال سباع الطير عنها ولم يزل طائرا حتى وجد نهرا فى وسطه شجرة فنزل عليها كئيبا حزينا على بعده عن وطنه وقال فى نفسه لم تزل الاحزان تتبعنى وكنت قد استرحت لما رأيت تلك الجيفة وفرحت بها فرحا شديدا وقلت هذا رزق ساقه الله الى فصار فرحى غما وسرورى حزنا وهما وافترستها سباع الطير منى وحالوا بينها وبينى فكيف أرجو أن أكون سالما فى هذه الدنيا واطمئن اليها وقد قيل فى المثل الدنيا دار من لادار له يغتر بها من لاعقل له ويطمئن اليها بماله وولده وقومه وعشيرته ولم يزل المغتر بها راكنا اليها يختال فوق الارض حتى يصير تحتها ويحثو عليه التراب أعز الناس عليه وأقربهم اليه وماللفتى خير من الصبر على مكارهها وقد فارقت مكانى ووطنى وكنت كارها الفرقة اخوانى وأصحابى فبينما هو فى فكرته واذا بذكر من السلاحف أقبل منحدرا فى الماء ودنا من طير الماء وسلم وقال ياسيدى ما الذى أبعدك عن موضعك قال حلول الاعداء فيه ولاصبر للعاقل على مجاورة عدوه وما احسن قول بعض الشعراء

اذا حل الثقيل بأرض قوم * فما للساكنين سوى الرحيل

فقال له السلحف اذا كان الامر كما وصفته والحال مثل ما ذكرته فأنا لاأزال بين يديك ولاأفارقك ولاقضى حاجتك وأوفى بخدمتك فانه يقال لاوحشة أشد من وحشة الغريب المنقطع عن أهله ووطنه وقد قيل ان فرقة الصالحين لايعدلها شئ من المصائب ومما يسلى به العاقل نفسه الاستئناس فى الغربة والصبر على الرزية والنكبة وأرجو أن تحمد صحبتى لك وأكون لك خادما ومعينا فلما سمع طير الماء مقالة السلحف قال له لقد صدقت فى قولك ولعمرى انى وجدت للفراق ألما وغما مدة بعدى عن مكانى وفراقى لاخوانى وخلانى لان فى الفراق عبرة لمن اعتبر وفكرة لمن تفكر واذا لم يجد الفتى من يسليه من الاصحاب ينقطع عنه الخير أبدا ويثبت له الشر سرمدا وليس للعاقل الا التسلى بالاخوان عن الهموم فى جميع الاحوال وملازمة الصبر والتجلد فانهما خصلتان محمودتان يعينان على نوائب الدهر ويدفعان الفزع والجزع فى كل أمر فقال له السلحف اياك والجزع فانه يفسد عليك عيشك ويذهب مروأتك وما زالا يتحدثان مع بعضهما الى أن قال طير الماء للسلحف أنا لم أزل أخشى نوائب الزمان وطوارق الحدثان فلما سمع السلحف مقالة طير الماء أقبل عليه وقبله بين عينيه وقال له لم تزل جماعة الطير تعرف فى مشورتك الخير فكيف تحمل الهم والضير ولم يزل يسكن روع طير الماء حتى اطمان ثم ان طير الماء طار الى مكان الجيفة فلما وصل اليه لم ير من سباع الطير شيأ ولا من تلك الجيفة الا عظاما فرجع يخبر السلحف بزوال العدو من مكانه فلما وصل الى السلحف أخبره بما رأى وقال له انى أحب الرجوع الى مكانى واتملى بخلانى فانه لاصبر للعاقل عن وطنه فذهب معه الى ذلك المكان فلم يجدا شيأ مما يخافان منه فصار طير الماء قرير العين وأنشد هذين البيتين

ولرب نازلة يضيق لها الفتى * ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها * فرجت وكان يظنها لاتفرج

ثم سكنا تلك الجزيرة فبينما طير الماء فى أمن وسرور وفرح وحبور اذ ساق القضاء اليه بازا جائعا فضربه بمخلبه ضربة فقتله ولم يغن عنه الحذر عند فراغ الاجل وسبب قتله غفلته عن التسبيح قيل انه كان يقول فى تسبيحه سبحان ربنا فيما قدر ودبر سبحان ربنا فيما أغنى وأفقر هذا ما كان من حديث الطير فقال الملك ياشهرزاد لقد زدتنى بحكايتك مواعظ واعتبارا فهل عندك شئ من حكايات الوحوش

﴿حكاية الثعلب مع الذئب وابن آدم﴾

فقالت اعلم أيها الملك أن ثعلبا وذئبا ألفا وكرا فكانا يأويان اليه مع بعضهما فلبثا على ذلك مدة من الزمان وكان الذئب للثعلب قاهرا فاتفق أن الثعلب أشار على الذئب بالرفق وترك الفساد وقال له ان دمت على عتوك ربما سلط الله عليك ابن آدم فانه ذو حيل ومكر وخداع يصيد الطير من الجو والحوت من البحر ويقطع الجبال وينقلها وكل ذلك من حيله فعليك بالانصاف وترك الشر والاعتساف فانه اهنا لطعامك فلم يقبل الذئب قوله وأغلظ

له الرد وقال له لا علاقة لك بالكلام في عظيم الامور وجسيمها ثم لطم الثعلب لطمة فخر منها مغشيا عليه فلما أفاق تبسم في وجه الذئب واعتذر اليه من الكلام الشين وأنشد هذين البيتين

ان كنت قد أذنبت ذنبا سالفا * في حبكم وأتيت شيأ منكرا
أنا تائب عما جنيت وعفوكم * يسع المسيء اذا أتى مستغفرا

فقبل الذئب اعتذاره وكف عنه أشراره وقال له لا تتكلم فيما لا يعنيك تسمع ما لا يرضيك * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة التاسعة والاربعون بعد المائة﴾

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الذئب قال للثعلب لا تتكلم فيما لا يعنيك تسمع ما لا يرضيك فقال له الثعلب سمعا وطاعة فانا بمعزل عما لا يرضيك فقد قال الحكيم لا تخبر عما لا تسئل عنه ولا تجب الى ما لا تدعى اليه وذر الذي لا يعنيك الى ما يعنيك ولا تبذل النصيحة للاشرار فانهم يجزونك عليها شرا فلما سمع الذئب كلام الثعلب تبسم في وجهه ولكنه أضمر له مكرا وقال لا بد أن أسعى في هلاك هذا الثعلب وأما الثعلب فانه صبر على أذى الذئب وقال في نفسه ان البطر والافتراء يجلبان الهلاك ويوقعان في الارتباك فقد قيل من بطر غرر ومن جهل ندم ومن خاف سلم والانصاف من شيم الاشراف والآداب أشرف الاكساب ومن الرأي مداراة هذا الباغي ولا بد له من مصرع ثم ان الثعلب قال للذئب ان الرب يعفو ويتوب على عبده ان اقترف الذنوب وأنا عبد ضعيف وقد ارتكبت في نصحك التعسيف ولو علمت بما حصل لي من ألم لطمتك لعلمت أن الفيل لا يقوم به ولا يقدر عليه ولكني لا أشتكي من ألم هذه اللطمة بسبب ما حصل لي بها من السرور فانها وان كانت قد بلغت مني مبلغا عظيما فان عاقبتها سرور وقد قال الحكيم ضرب المؤدب أوله صعب شديد وآخره أحلى من العسل المصفى فقال الذئب غفرت ذنبك وأقلت عثرتك فكن من قوتي على حذر واعترف لي بالعبودية فقد علمت قهري لمن عاداني فسجد له الثعلب وقال له أطال الله عمرك ولا زلت قاهرا لمن عاداك ولم يزل الثعلب خائفا من الذئب مصانعا له ثم ان الثعلب ذهب الى كرم يوما فرأى في حائطه ثلمة فانكرها وقال في نفسه ان هذه الثلمة لا بد لها من سبب وقد قيل من رأى خرقا في الارض فلم يجتنبه ويتوق عن الاقدام عليه كان بنفسه مغررا وللهلاك متعرضا وقد اشتهر أن بعض الناس يعمل صورة الثعلب في الكرم ويقدم اليه العنب في الاطباق لاجل أن يرى ذلك ثعلب آخر فيقدم اليه فيقع في الهلاك واني أرى هذه الثلمة مكيدة وقد قيل ان الحذر نصف الشطارة ومن الحذر أن أبحث على هذه الثلمة وأنظر لعلي أجد عندها أمرا يؤدي الى التلف ولا يحملني الطمع على أن ألقي نفسي في المهلكة ثم دنا منها وطاف بها وهو يحاذر فرآها فاذا هي حفيرة عظيمة قد حفرها صاحب الكرم ليصيد فيها الوحش الذي يفسد الكرم ورأى عليها غطاء رقيقا فتأخر عنها وقال الحمد لله حيث حذرتها وأرجو أن يقع فيها عدوي الذئب الذي نغص عيشي فأستقل بالكرم وحدي وأعيش فيه آمنا ثم هز رأسه وضحك ضحكا عاليا وأطرب بالنغمات وأنشد هذه الابيات

ليتني أبصرت هذا الوقت في ذي البئر ذئبا * طالما قد ساء قلبي * وسقاني المر غصبا
ليتني من بعد ذا أبقى * ويقضي الذئب نحبا * ثم يخلو الكرم منه * وأرى لي فيه نهبا

فلما فرغ من شعره انطلق مسرعا حتى وصل الى الذئب وقال ان الله سهل لك الامور الى الكرم بلا تعب وهذا من سعادتك فهنيأ لك بما فتح الله عليك وسهل لك من تلك الغنيمة والرزق الواسع بلا مشقة فقال الذئب للثعلب وما الدليل على ما وصفت قال اني انتهيت الى الكرم فوجدت صاحبه قد مات ودخلت البستان فرأيت الاثمار زاهية على الاشجار فلم يشك الذئب في قول الثعلب وأدركه الشره فقام حتى انتهى الى الثلمة وقد غره الطمع ووقف الثعلب متهافتا كالميت وتمثل بهذا البيت

أتطمع من ليلى بوصل وانما * تضرب أعناق الرجال المطامع

فلما انتهى الذئب الى الثلمة قال له الثعلب ادخل الى الكرم فقد كفيت مؤنة هدم حائط البستان وعلى الله تمام الاحسان فأقبل الذئب ماشيا يريد الدخول الى الكرم فلما توسط غطاء الثلمة وقع فيها فاضطرب الثعلب

اضطرابا شديدا من السرور والفرح وزوال الهم والترح وأطرب بالنغمات وأنشد هذه الابيات

رق الزمان لحالتى * ورثى لطول تحرقى · وأنالنى ما أشتهى * وأزال مما أتقى
فلأصفحن عما جنى * من الذنوب السبق · حتى جنايته بما * فعل المشيب بمفرقى
فالذئب ليس له خلا * ص من هلاك موبق · والكرم لى وحدى وما * لى من شريك أحمق

ثم انه تطلع فى الحفرة فرأى الذئب يبكى ندما وحزنا على نفسه فبكى الثعلب معه فرفع الذئب رأسه الى الثعلب وقال له أمن رحمتك لى بكيت يا أبا الحصين قال لا والذى قذفك فى هذه الحفرة انما بكيت لطول عمرك الماضى وأسفا على كونك لم تقع فى هذه الثلمة قبل اليوم ولو وقعت قبل اجتماعى بك لكنت أرحت واسترحت ولكن أبقيت الى أجلك المحتوم ووقتك المعلوم فقال له أيها الذئب رح أيها المسىء فى فعله لوالدتى وأخبرها بما حصل لى لعلها تحتال على خلاصى فقال له الثعلب لقد أوقعك فى الهلاك شدة طمعك وكثرة حرصك حيث سقطت فى حفرة لست منها بسالم ألم تعلم أيها الذئب الجاهل ان صاحب المثل يقول من لم يفكر فى العواقب لم يأمن المعاطب فقال الذئب للثعلب يا أبا الحصين انما كنت تظهر محبتى وترغب فى مودتى وتخاف من شدة قوتى فلا تحقد على بما فعلت معك فمن قدر وعفا كان أجره على الله وقد قال الشاعر

ازرع جميلا ولو فى غير موضعه * ما خاب قط جميل أينما زرع
ان الجميل وان طال الزمان به * فليس يحصده الا الذى زرع

فقال له الثعلب يا أجهل السباع وأحمق الوحوش فى البقاع هل نسيت تجبرك وعتوك وتكبرك وأنت لم ترع حق حق المعاشرة ولم تتنصح بقول الشاعر

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا * ان الظلوم على حد من النقم
تنام عينك والمظلوم منتبه * يدعو عليك وعين الله لم تنم

فقال له الذئب يا أبا الحصين لا تؤاخذنى بسابق الذنوب فالعفو من الكرام مطلوب وصنع المعروف من حسن الذخائر وما أحسن قول الشاعر · بادر بخير اذا ما كنت مقتدرا * فليس فى كل حين أنت مقتدر

وما زال الذئب يتذلل للثعلب ويقول له املك تقدر على شىء تخلصنى به من الهلاك فقال له الثعلب أيها الذئب الماكر المخادع الغادر لا تطمع فى الخلاص فان هذا جزاء القبيح فعلك وقصاص ثم ضحك بالشدقين وأنشد هذين البيتين · لا تكثرن خداعى * فلن تنال منالا · ما رمت منى محال * زرعت فاحصد وبالا

فقال الذئب للثعلب يا حليم السباع أنت عندى أوثق من أن تتركنى فى هذه الحفرة ثم أفاض دمع العين وأنشد هذين البيتين · يا من أياديه عندى غير واحدة * ومن مواهبه تنمو عن العدد
ما نابنى من زمانى قط نائبة * الا وجدتك فيها آخذا بيدى

فقال الثعلب أيها العدو الاحمق كيف صرت الى التضرع والخشوع والذلة والخضوع بعد الانفة والتكبر والظلم والتجبر لقد صحبتك خائفا من عدوانك وتملقت لك لا رغبة فى احسانك والآن نزلت بك الرجفة وحصلت بك النقمة وأنشد هذين البيتين

يا أيها الملتمس الخديعه * وقعت فى نيتك الشنيعه · فذق وبال المحنة الفظيعه * وكن مع الذئاب فى قطيعه

فقال له الذئب أيها الحكيم لا تكن بلسان العداوة ناطقا وبعينها محدقا وكن وافيا بعهد الائتلاف قبل ان يفوت وقت التلافى وقم وتسبب لى فى حبل تشد طرفه فى شجرة وتدلى طرفه الآخر الى حتى أتعلق به لعلى أنجو مما أنا فيه وأدفع لك جميع ما حوته يدى من الذخائر فقال الثعلب لقد أكثرت من المحاورة فيما ليس فيه خلاصك فلا ترج منى نجاة نفسك واذكر ما سلف من سوء فعلك وما تضمره لى من الغدر والمكر وأين أنت من الرجم بالحجارة واعلم بأن ذاتك للدنيا مفارقة ومنها زائلة وعنها راحلة ثم تصير الى الدمار وسوء الدار فقال له الذئب يا أبا الحصين كن قريب الرجوع الى الوداد ولا تصر على ضغائن الاحقاد واعلم أن من خلص نفسا من الهلاك فقد أحياها ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ولا تتبع الفساد فان الحكماء تكرهه ولا فساد أظهر من كونى فى تلك الحفرة أتجرع غصص الموت وأنظر الى الهلاك وأنت قادر على خلاصى من الارتباك فقال له الثعلب أيها الفظ الغليظ انى أشبهك

في حسن علانيتك وقبح نيتك بالباز مع الحجل قال الذئب وما حديث الباز والحجل قال الثعلب دخلت يوما كرما لآكل من عنبه فبينما أنا فيه اذ رأيت بازا انقض على حجل فلما اقتنصه انفلت منه الحجل ودخل وكره واختفى فيه فتبعه الباز وناداه أيها الجاهل اني رأيتك في البرية جائعا فرحمتك والتقطت لك حبا وأمسكتك لتأكل فهربت مني ولم أعرف لهروبك وجها الا الحرمان فاظهر وخذ ما أتيتك من الحب فكله هنيأ مريئا فلما سمع الحجل قول الباز صدقه وخرج اليه فانشب مخالبه فيه ومكنها منه فقال له الحجل أهذا الذي ذكرت أنك أتيتني به من البرية وقلت لي كله هنيأ مريئا فكذبت علي جعل الله ما تأكله من لحمي في جوفك سما قاتلا فلما أكله وقع ريشه وسقطت قوته ومات لوقته ثم قال له الثعلب اعلم أيها الذئب ان من حفر لاخيه قليبا وقع فيه قريبا وأنت غدرت بي أولا فقال الذئب للثعلب دعني من هذا المقال وضرب الامثال ولا تذكر لي ما سلف مني من قبيح الفعال يكفيني ما أنا فيه من سوء الحال حيث وقعت في ورطة يرثى لي منها العدو فضلا عن الصديق وانظر لي حيلة أتخلص بها وكن فيها اغياثي وان كان عليك في ذلك مشقة فقد يحتمل الصديق لصديقه أشد النصب ويقاسي فيما فيه نجاته العطب وقد قيل ان الصديق الشفيق خير من الاخ الشقيق وان تسببت في نجاتي لاجمعن لك من الآلة ما يكون لك عدة ثم لاعلمنك من الحيل الغريبة ما تفتح به الكروم الخصيبة وتجني الاشجار المثمرة فطب نفسا وقر عينا فقال له الثعلب وهو يضحك ما أحسن ما قالته العلماء في كثير الجهل مثلك قال الذئب وما قالت العلماء قال الثعلب ذكر العلماء أن غليظ الجثة غليظ الطبع يكون بعيدا من العقل قريبا من الجهل لان قولك أيها الماكر الاحمق قد يتحمل الصديق المشقة في تخليص صديقه صحيح كما ذكرت ولكن عرفتني بجهلك وقلة عقلك كيف أصادقك مع خيانتك أحسبتني لك صديقا وأنا لك عدو شامت وهذا الكلام أشد من رشق السهام ان كنت تعقل وأما قولك انك تعطيني من الآلات ما يكون عدة لي وتعلمني من الحيل ما أصل به الى الكروم الخصيبة وأجتني به الاشجار المثمرة فما لك أيها المخادع الغادر لا تعرف لك حيلة تتخلص بها من الهلاك فما أبعدك من المنفعة لنفسك وما أبعدني من القبول لنصيحتك فان كان عندك حيل فتحيل لنفسك في الخلاص من هذا الامر الذي أسأل الله أن يبعد خلاصك منه فانظر أيها الجاهل ان كان عندك حيلة فخلص نفسك بها من القتل قبل أن تبذل التعليم لغيرك ولكنك مثل انسان حصل له مرض فأتاه رجل مريض بمثل مرضه ليداويه فقال له هل لك أن أداويك من مرضك فقال له الرجل هلا بدأت بنفسك في المداواة فتركه وانصرف وأنت أيها الذئب كذلك فالزم مكانك واصبر على ما أصابك فلما سمع الذئب كلام الثعلب علم انه لا خير له عنده فبكى على نفسه وقال كنت في غفلة من أمري فان خلصني الله من هذا الكرب لاتوبن من تجبري على من هو أضعف مني ولالبسن الصوف ولاصعدن الجبل ذاكرا الله تعالى خائفا من عقابه وأعتزل سائر الوحوش ولاطعمن المجاهدين والفقراء ثم بكى وانتحب فرق له قلب الثعلب وكان لما سمع تضرعه والكلام الذي يدل على توبته من العتو والتكبر أخذته الشفقة عليه فوثب من فرحته ووقف على شفير الحفيرة ثم جلس على رجليه وأدلى ذنبه في الحفيرة فعند ذلك قام الذئب ومد يده الى ذنب الثعلب وجذبه اليه فصار في الحفيرة معه ثم قال له الذئب أيها الثعلب القليل الرحمة كيف تشمت بي وقد كنت صاحبي وتحت قهري ووقعت معي في الحفيرة وتعجلت لك العقوبة وقد قالت الحكماء لو عاير أحد أخاه برضاع كلبة لارتضعها وما أحسن قول الشاعر

اذا ما الدهر جر على أناس * كلاكله أناخ بآخرينا — فقل للشامتين بنا أفيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا

ثم قال الذئب للثعلب فلابد أن أعجل قتلك قبل أن ترى قتلي فقال الثعلب في نفسه اني وقعت مع هذا الجبار وهذا الحال يحتاج الى المكر والخدائع وقد قيل ان المرأة تصوغ حليها ليوم الزينة وفي المثل ما ادخرتك يا دمعتي الا لشدتي وان لم أتحيل في أمر هذا الوحش الظالم هلكت لا محالة وما أحسن قول الشاعر

عش بالخداع فأنت في * زمن بنوه كأسد بيشه * وأدر قناة المكر حتى

تستدير رحى المعيشه * واجن الثمار فان تفتك * فرض نفسك بالحشيشه

ثم ان الثعلب قال للذئب لا تعجل علي بالقتل فتندم أيها الوحش الصنديد صاحب القوة والبأس الشديد وان

تمهلت وأمعنت النظر فيما أحكيه لك عرفت قصدى الذى قصدته وان عجلت بقتلى فلا فائدة لك فيه وغوت جميعا ههنا فقال له الذئب أيها الخادع الماكر وما الذى ترجوه من سلامتى وسلامتك حتى تسألنى التمهل عليك فأخبرنى بقصدك الذى قصدته فقال له الثعلب أما قصدى الذى قصدته فما ينبغى ان تحسن عليه مجازاتى لانى سمعت ما وعدت من نفسك واعترافك بما سلف منك وتلهفك على ما فاتك من التوبة وفعل الخير وسمعت ما نذرته على نفسك من كف الاذى عن الاصحاب وغيرهم وتركك أكل العنب وسائر الفواكه ولزومك الخشوع وتقليم أظفارك وتكسير أنيابك وان تلبس الصوف وتقرب القربان لله تعالى ان نجاك مما أنت فيه فأخذتنى الشفقة عليك مع أنى كنت على هلاكك حريصا فلما سمعت منك توبتك وما نذرت على نفسك ان نجاك الله لزمنى خلاصك مما أنت فيه فادليت اليك ذنبى لكيما تتعلق به وتنجو فلم تترك الحالة التى أنت عليها من العنف والشدة ولم تلتمس النجاة والسلامة لنفسك بالرفق بل جذبتنى جذبة ظننت منها ان روحى قد خرجت فصرت أنا وأنت فى منزلة الهلاك والموت وما ينجينى أنا وأنت الا شئ ان قبلته منى خلصت أنا وأنت وبعد ذلك يجب عليك ان تفى بما نذرته وأكون رفيقك فقال له الذئب وما الذى أقبله منك قال له الثعلب تنهض قائما ثم اعلو أنا فوق رأسك حتى أكون قريبا من ظاهر الارض فانى حين أصير فوقها أخرج وآتيك بما تتعلق به وتخلص أنت بعد ذلك فقال له الذئب لست بقولك واثقا لان الحكماء قالوا من استعمل الثقة فى موضع الحقد كان مخطئا وقيل من وثق بغير ثقة كان مغرورا ومن جرب المجرب حلت به الندامة ومن لم يفرق بين الحالات فيعطى كل حالة حظها بل حمل الاشياء كلها على حالة واحدة قل حظه وكثرت مصائبه وما أحسن قول الشاعر

لا يكن ظنك الا سيأ * ان سوء الظن من أقوى الفطن
ما رمى الانسان فى مهلكة * مثل فعل الخير والظن الحسن

وقول الآخر

الزم يقينك سوء الظن تنج به * من عاش مستيقظا قلت مصائبه
والق العدو بوجه باسم طلق * وانصب له فى الحشى جيشا يحاربه

وقول الآخر

اعدى عدوك أدنى من وثقت به * فاحذر الناس واصحبهم على دخل
وحسن ظنك بالايام معجزة * فظن شرا وكن منها على وجل

فقال له الثعلب ان سوء الظن ليس محمودا فى كل حال وحسن الظن من شيم الكمال وعاقبته النجاة من الاهوال وينبغى لك أيها الذئب ان تحيل على النجاة مما أنت فيه ونسلم جميعا خير من موتنا فارجع عن سوء الظن والحقد لانك ان أحسنت الظن بى لا أخلو من أحد أمرين اما ان آتيك بما تتعلق به وتنجو مما أنت فيه واما ان أغدر بك فاخلص وأدعك وهذا مما لا يمكن فانى لا آمن ان ابتلى بشئ مما ابتليت به فيكون ذلك عقوبة الغدر وقد قيل فى الامثال الوفاء مليح والغدر قبيح فينبغى ان تثق بى فانى لم أكن جاهلا بحوادث الدهر فلا تؤخر حيلة خلاصنا فالامر أضيق من أن نطيل فيه الكلام فقال الذئب انى مع قلة ثقتى بوفائك قد عرفت ما فى خاطرك من انك أردت خلاصى لما عرفت توبتى فقلت فى نفسى ان كان محقا فيما زعم فانه يستدرك ما أفسد وان كان مبطلا فجزاؤه على ربه وها أنا أقبل منك ما أشرت به على فان غدرت بى كان الغدر سببا لهلاكك ثم ان الذئب انتصب قائما فى الحفرة وأخذ الثعلب على أكتافه حتى ساوى به ظاهر الارض فوثب الثعلب عن أكتاف الذئب حتى صار على وجه الارض ووقع مغشيا عليه فقال له الذئب يا خليلى لا تغفل عن أمرى ولا تؤخر خلاصى فضحك الثعلب وقهقه وقال أيها المغرور لم يوقعنى فى يدك الا المزح معك والسخرية بك وذلك أنى لما سمعت توبتك استخفنى الفرح فطربت ورقصت فتدلى ذنبى فى الحفرة فجذبتنى فوقعت عندك ثم أنقذنى الله تعالى من يدك فمالى لا أكون عونا على هلاكك وأنت من حزب الشيطان واعلم اننى رأيت البارحة فى منامى انى أرقص فى عرس فقصصت الرؤيا على معبر فقال لى انك تقع فى ورطة وتنجو منها فعلمت أن وقوعى فى يدك ونجاتى هو تأويل رؤياى وأنت تعلم أيها المغرور الجاهل انى عدوك فكيف تطمع بقلة

فقال وجه الشقى انقاذى اياك مع ماسمعته من غلاظ كلامى وكيف أسعى فى نجاتك وقد قالت العلماء ان فى موت الفاجر راحة للناس وتطهير الارض ولولا مخافة أن احتمل من الالم فى الوفاء لك ماهو أعظم من ألم الغدر لتدبرت فى خلاصك فلما سمع الذئب كلام الثعلب عض على كفه ندما * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الموفية للخمسين بعد المائة﴾

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الذئب لما سمع كلام الثعلب عض على كفه ندما ثم لين له الكلام ولم يجد بدا من ذلك وقال له بلسان خافت انكم معاشر الثعالب من أحلى القوم لسانا وألطفهم مزاحا وهذا منك مزاح ولكن ما كل وقت يحسن اللعب والمزاح فقال الثعلب أيها الجاهل ان للمزاح حدا لايجاوزه صاحبه فلا تحسب أن الله يمكنك منى بعد ان أنقذنى من يديك فقال له الذئب انك لجدير أن ترغب فى خلاصى لما بيننا من سابق المؤاخاة والصحبة وان خلصتنى لابد ان أحسن مكافأتك فقال الثعلب قد قال الحكماء لاتؤاخ الجاهل الفاجر فانه يشينك ولا يزينك ولا تؤاخ الكذاب فانه ان بدا منك خير أخفاه وان بدا منك شر أفشاه وقالت الحكماء لكل شئ حيلة الا الموت وقد يصلح كل شئ الا فساد الجوهر وقد يدفع كل شئ الا القدر وأما من جهة المكافأة التى زعمت أنى أستحقها منك فانى شبهتك بالحية الهاربة من الحاوى اذ رآها رجل وهى مرعوبة فقال لها ما شأنك أيتها الحية قالت هربت من الحاوى فانه يطلبنى ولئن أنجيتنى منه وأخفيتنى عندك لاحسنن مكافأتك وأصنع معك كل جميل فأخذها اغتناما للاجر وطمعا فى المكافأة وأدخلها فى جيبه فلما فات الحاوى ومضى الى حال سبيله وزال عنها ما كانت تخافه قال لها الرجل أين المكافأة فقد أنجيتك مما تخافين وتحذرين فقالت له الحية أخبرنى فى أى عضو أنهشك وقد علمت أننا لانتجاوز هذه المكافأة ثم نهشته نهشة مات منها وأنت أيها الاحمق شبهتك بتلك الحية مع ذلك الرجل أما سمعت قول الشاعر

لاتأمنن فتى أسكنت مهجته * غيظا وتحسب ان الغيظ قد زالا

ان الافاعى وان لانت ملامسها * تبدى انعطافا وتخفى السم قتالا

فقال له الذئب أيها الفصيح صاحب الوجه المليح لاتجهل حالى وخوف الناس منى وقد علمت انى أهجم على الحصون وأقلع الكروم فافعل ما أمرتك به وقم بى قيام العبد بسيده فقال له الثعلب أيها الاحمق الجاهل المحاول بالباطل انى تعجبت من حماقتك وصلابة وجهك فيما تأمرنى به من خدمتك والقيام بين يديك حتى كأننى عبدك ولكن سوف ترى ما يحل بك من شدخ رأسك بالحجارة وكسر أنيابك الغدارة ثم وقف الثعلب على تل يشرف على الكروم ولم يزل يصيح لأهل الكرم حتى بصروا به وأقبلوا عليه مسرعين فثبت لهم الثعلب حتى قربوا منه ومن الحفرة التى فيها الذئب ثم ولى الثعلب هاربا فنظر أصحاب الكرم فى الحفرة فلما رأوا فيها الذئب وقعوا عليه بالحجارة الثقال ولم يزالوا يضربونه بالحجارة والخشب ويطعنونه بأسنة الرماح حتى قتلوه وانصرفوا فرجع الثعلب الى تلك الحفرة ووقف على مقتل الذئب فرآه ميتا فحرك رأسه من شدة الفرحات وأنشد هذه الابيات

أودى الزمان بنفس الذئب فاختطفت * بعدا وسحقا لها من مهجة تلفت

فكم سعيت أبا سرحان فى تلفى * فاليوم حلت بك الآفات والتهبت

وقعت فى حفرة ما حلها أحد * الا وفيها رياح الموت قد عصفت

ثم ان الثعلب أقام بالكرم وحده مطمئنا لايخاف ضررا وهذا ما كان من حديث الذئب والثعلب ﴿ومما يحكى﴾ ان فأرة وبنت عرس كانا ينزلان منزلا لبعض الناس وكان ذلك الرجل فقيرا وقد مرض بعض أصدقائه فوصف له الطبيب السمسم المقشور فأعطى قدرا من السمسم لذلك الرجل الفقير ليقشره له فأعطاه ذلك الرجل لزوجته وأمرها باصلاحه فقشرته تلك المرأة له وأصلحته فلما عاينت بنت عرس السمسم أتت اليه ولم تزل تنقل من ذلك السمسم الى جحرها طول يومها حتى نقلت أكثره وجاءت المرأة فرأت نقصان السمسم واضحا فجلست ترصد من يأتى اليه حتى تعلم سبب نقصانه فنزلت بنت عرس لتنقل منه على عادتها فرأت المرأة جالسة فعلمت أنها ترصدها فقالت فى نفسها ان لهذا الفعل عواقب ذميمة وانى أخشى من تلك المرأة ان تكون لى بالمرصاد ومن لم ينظر فى العواقب ما الدهر له بصاحب ولابد لى أن أعمل عملا حسنا أظهر به براءتى من جميع ما عملته من القبيح فجعلت تنقل من ذلك السمسم الذى فى جحرها فرأتها المرأة وهى تفعل ذلك فقالت فى نفسها ما هذا سبب نقصه لانها تأتى

به من مخر الذي اختلسه وتضعه على بعضه وقد أحسنت الينا في رد السمسم وما جزاء من أحسن الا أن يحسن اليه وليست هذه آفة في السمسم ولكن لا أزال أرصده حتى يقع وأعلم من هو فعلمت بنت عرس ما خطر ببال تلك المرأة فانطلقت الى الفأرة فقالت لها يا أختي انه لا خير فيمن لا يراعي المجاورة ولا يثبت على المودة فقالت الفأرة نعم يا خليلتي وأنعم بك وبجوارك فما سبب هذا الكلام قالت بنت عرس ان رب البيت أتى بسمسم فأكل منه هو وعياله وشبعوا واستغنوا عنه وتركوه وقد أخذ منه كل ذي روح فلو أخذت أنت الأخرى كنت أحق به ممن يأخذ منه فأعجب الفأرة ذلك ورقصت وأعجبت ذنبها وغرها الطمع في السمسم فقامت من وقتها وخرجت من بيتها فرأت السمسم مقشورا يلمع من البياض والمرأة جالسة ترصده فلم تفكر الفأرة من عاقبة الامر وكانت المرأة قد استعدت بهراوة فلم تتمالك الفأرة نفسها حتى دخلت في السمسم وعاثت فيه وصارت تأكل منه فضربتها المرأة بتلك الهراوة فشجت رأسها وكان الطمع سبب هلاكها وغفلتها عن عواقب الامور فقال الملك يا شهرزاد ان هذه حكاية مليحة فهل عندك حديث في حسن الصداقة والمحافظة عليها عند الشدة والتخلص من الهلكة قالت نعم بلغني أن غرابا وسنورا كانا متواخيين فبينما هما تحت شجرة على تلك الحالة اذ رأيا نمرا مقبلا على تلك الشجرة التي كانا تحتها ولم يعلما به حتى صار قريبا من الشجرة فطار الغراب الى أعلى الشجرة وبقي السنور متحيرا فقال للغراب يا خليلي هل عندك حيلة في خلاصي كما هو الرجاء فيك فقال له الغراب انما تلتمس الاخوان عند الحاجة اليهم في الحيلة عند نزول المكروه بهم وما أحسن قول الشاعر

ان صديق الحق من كان معك * ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك * شتت فيك شمله ليجمعك

وكان قريبا من الشجرة رعاة معهم كلاب فذهب الغراب حتى ضرب بجناحه وجه الارض ونعق وصاح ثم تقدم اليهم وضرب بجناحه وجه بعض الكلاب وارتفع قليلا فتبعته الكلاب وسارت في أثره ورفع الراعي رأسه فرأى طائرا يطير قريبا من الارض ويقع فتبعه وصار الغراب لا يطير الا بقدر التخلص من الكلاب ويطمعها في أن تفترسه ثم ارتفع قليلا وتبعه الكلاب حتى انتهى الى الشجرة التي تحتها النمر فلما رأت الكلاب النمر وثبت عليه فولى هاربا وكان يظن أنه يأكل السنور فنجا منه ذلك السنور بحيلة الغراب صاحبه وقد أخبرتك بهذا أيها الملك لتعلم أن مودة اخوان الصفاء تنجي من الهلكات (وحكي) ان ثعلبا سكن في بيت في الجبل وكان كلما ولد ولدا واشتد ولده أكله من الجوع وان لم يأكل ولده أضر به الجوع وكان يأوي الى ذروة ذلك الجبل غراب فقال الثعلب في نفسه أريد أن أعقد بيني وبين هذا الغراب مودة واجعله لي مؤنسا على الوحدة معاونا على طلب الرزق لانه يقدر من ذلك على ما لا أقدر عليه فدنا الثعلب من الغراب حتى صار قريبا منه بحيث يسمع كلامه فسلم عليه ثم قال له يا جاري ان للجار المسلم على الجار المسلم حقين حق الجيرة وحق الاسلام واعلم بأنك جاري ولك علي حق يجب قضاؤه وخصوصا مع طول المجاورة على أن في صدري وديعة من محبتك دعتني الى ملاطفتك وبعثتني على التماس أخوتك فما عندك من الجواب فقال الغراب للثعلب اعلم أن خير القول أصدقه وربما تحدث بلسانك بما ليس في قلبك وأخشى أن تكون أخوتك باللسان ظاهرا وعداوتك في القلب لانك آكل وأنا مأكول فوجب لنا التباين في المحبة ولا يمكن مواصلتنا فما الذي دعاك الى طلب ما لا تدرك وارادة ما لا يكون وأنت من جنس الوحوش وأنا من جنس الطير وهذه الاخوة لا تصح فقال له الثعلب ان من علم موضع الاخلاء فأحسن الاختيار فيما يختاره منهم ربما يصل الى منافع الاخوان وقد أحببت قربك واخترت الانس بك ليكون بعضنا عونا لبعض على أغراضنا وتعقب مودتنا نجاحا وعندي حكايات في حسن الصداقة فان أردت أن أحكيها حكيتها لك فقال الغراب أذنت لك في أن تحدثها فحدثني بها حتى أعرف المراد منها فقال له الثعلب اسمع يا خليلي يحكى عن برغوث وفأرة ما يستدل به على ما ذكرته لك فقال الغراب وكيف كان ذلك فقال الثعلب زعموا أن فأرة كانت في بيت رجل من التجار كثير المال فأوى البرغوث ليلة الى فراش ذلك التاجر فرأى بدنا ناعما وكان البرغوث عطشان فشرب من دمه ووجد التاجر من البرغوث ألما فاستيقظ من النوم واستوى قاعدا

ونادى بعض أتباعه فاسرعوا اليه وشمروا عن أيديهم يطوفون على البرغوث فلما أحس البرغوث بالطلب ولى هاربا فصادف جحر الفارة فدخله فلما رأته الفارة قالت له ما الذى أدخلك على ولست من جوهرى ولا من جنسى ولست بآمن من الغلظة عليك ولا مضاررتك فقال لها البرغوث انى هربت فى منزلك وفزت بنفسى من القتل وأتيتك مستجيرا بك ولا طمع لى فى بيتك ولا يلحقك منى شر يدعوك الى الخروج من منزلك وانى أرجو أن أكافئك على احسانك الى بكل جميل وسوف تحمدين عاقبة ما أقول لك فلما سمعت الفارة كلام البرغوث *وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الحادية والخمسون بعد المائة) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الفارة لما سمعت كلام البرغوث قالت له اذا كان الكلام على ما أخبرت فاطمئن هنا وما عليك باس ولا تجد الا ما يسرك ولا يصيبك الا ما يصيبنى وقد بذلت لك مودتى ولا تندم على ما فاتك من دم التاجر ولا تأسف على قوتك منه وارض بما تيسر لك من العيش فان ذلك أسلم لك وقد سمعت أيها البرغوث بعض الوعاظ ينشد هذه الابيات

سلكت القناعة والانفراد * وقضيت دهرى بما اذا اتفق * بكسرة خبز وشربة ماء
وملح جريش وثوب خلق * فان يسر الله لى عيشتى * والا قنعت بما قد رزق

فلما سمع البرغوث كلام الفارة قال يا أختى قد سمعت وصيتك وانقدت الى طاعتك ولا قوة لى على مخالفتك الى أن ينقضى العمر بتلك النية الحسنة فقالت له الفارة كفى بصدق المودة فى صلاح النية ثم انعقد الود بينهما وكان البرغوث بعد ذلك يأوى الى فراش التاجر ولا يتجاوز بلغته ويأوى بالنهار مع الفارة فى مسكنها فاتفق أن التاجر جاء ليلة الى منزله بدنانير كثيرة فجعل يقلبها فلما سمعت الفارة صوت الدنانير أطلعت رأسها من جحرها وجعلت تنظر اليها حتى وضعها التاجر تحت وسادة ونام فقالت الفارة للبرغوث أما ترى الفرصة والحظ العظيم فهل عندك حيلة توصلنا الى بلوغ الغرض من تلك الدنانير قال البرغوث انه لا يحسن لمن طلب الغرض الا أن يكون قادرا عليه فان كان ضعيفا عنه وقع فيما يحذره ولم يدرك مراده مع الضعف وان استحكمت قوة المحتال كالعصفور الذى يلتقط الحب فيقع فى الشبكة فيقتنصه صائده وليس لك قوة على أخذ الدنانير ولا على اخراجها من البيت وأنا لا طاقة لى على ذلك بل ولا على حمل دينار واحد منها فشأنك والدنانير فقالت له الفارة انى عددت فى جحرى هذا سبعين منفذا أخرج منها متى أردت الخروج وأعددت للذخائر موضعا حريزا وان تحيلت أنت على اخراج التاجر من البيت فلست أشك فى الظفر ان ساعدنى القدر فقال لها البرغوث قد التزمت لك باخراجه من البيت ثم انطلق البرغوث الى فراش التاجر ولدغه لدغة قوية لم يكن جرى للتاجر مثلها ثم تنحى البرغوث الى موضع يأمن فيه على نفسه من التاجر وانتبه التاجر يفتش على البرغوث فلم يجد شيأ فرقد على جنبه الآخر فلدغه البرغوث لدغة أشد من الاولى فقلق التاجر وفارق مضجعه وخرج الى مصطبة على باب داره فنام هناك ولم ينتبه الى الصباح ثم ان الفارة اقبلت على نقل الدنانير حتى لم تترك منها شيأ فلما أصبح الصباح صار التاجر يتهم الناس ويظن الظنون ثم قال الثعلب للغراب واعلم انى لم أقل لك هذا الكلام أيها الغراب البصير العاقل الخبير الا ليصل اليك جزاء احسانك الى كما وصل للفارة جزاء احسانها الى البرغوث فانظر كيف جازاها احسن المجازاة وكافاها احسن المكافاة فقال الغراب ان شاء المحسن يحسن أو لا يحسن وليس الاحسان واجبا لمن التمس صلة بقطيعة وان أحسنت اليك مع كونك عدوى أكون قد تسببت فى قطيعة نفسى وأنت أيها الثعلب ذو مكر وخداع ومن شيمته المكر والخديعة لا يؤمن على عهد ومن لا يؤمن على عهد لا أمان له وقد بلغنى من قريب انك غدرت بصاحبك الذئب ومكرت به حتى أهلكته بغدرك وحيلتك وفعلت به هذه الامور مع أنه من جنسك وقد صحبته مدة مديدة فما أبقيت عليه فكيف أثق منك بنصيحة واذا كان هذا فعلك مع صاحبك الذى من جنسك فكيف يكون فعلك مع عدوك الذى من غير جنسك وما مثالك معى الا مثال الصقر مع ضوارى الطير فقال الثعلب وما حكاية الصقر مع ضوارى الطير فقال الغراب زعموا أن صقرا كان جبارا عنيدا *وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثانية والخمسون بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الغراب قال زعموا أن صقرا كان جبارا عنيدا أيام شبيبته وكانت سباع البر وسباع الطير تفزع منه ولا يسلم من شره أحد وله حكايات كثيرة في ظلمه وتجبره وكان دأب هذا الصقر الاذى لسائر الطيور فلما مر عليه السنون ضعف وجاع واشتد جهده بعد فقد قوته فأجمع رأيه على أن يأتي مجمع الطير فيأكل ما يفضل منها فمنذ ذلك صار قوته بالحيلة بعد القوة والشدة وأنت كذلك أيها الثعلب ان عدمت قوتك ما عدمت خداعك الست أشك في أن ما تطلبه من صحبتي حيلة على قوتك فلا كنت ممن يضع يده في يدك لان الله أعطاني قوة في جناحي وحذرا في نفسي وبصرا في عيني واعلم أن من تشبه بأقوى منه تعب وربما هلك وأنا أخاف عليك ان تشبهت بمن هو أقوى منك أن يجري لك ما جرى للعصفور فقال الثعلب وما جرى للعصفور فبالله عليك أن تخبرني به فقال الغراب بلغني أن عصفورا كان طائرا على مراح غنم فنظر الى المراح واذا بعقاب كبير انقض على رميس من صغار أولاد الغنم فاختطفه بمخالبه وطار فلما رآه العصفور نشر جناحيه وقال أنا أفعل مثل ما فعل هذا وأعجبته نفسه وتشبه بمن هو أكبر منه فطار لوقته وانقض على كبش سمين له صوف كثير وقد تلبد صوفه من رقاده على بوله وروثه فصار صوفه مثل البزاق فلما انقض على ظهره صفق بجناحيه فاشتبكت رجلاه في الصوف فأراد أن يطير فلم يستطع الطيران وقد حصل كل هذا والراعي ينظر ما جرى لهما فرجع اليه الصقر غضبان فقبضه ونتف أجنحته وربط في رجليه خيطا وأتى به الى أولاده ورماه لهم فقال بعض الاولاد ما هذا فقال هذا تشبه بمن هو أعلى منه فهلك وأنت كذلك أيها الثعلب احذرك أن تتشبه بمن هو أقوى منك فتهلك هذا ما عندي من الكلام واذهب عني بسلام فلما يئس الثعلب من مصادقة الغراب رجع من حزنه يئن وقرع للندامة سنا على سن فلما سمع الغراب بكاءه وأنينه ورأى كآبته وحزنه قال أيها الثعلب ما نابك حتى قرعت نابك قال له الثعلب انما قرعت سني لاني رأيتك أخدع مني ثم انه ولى هاربا ورجع الى جحره طالبا وهذا ما كان من حديثهما أيها الملك فقال الملك يا شهرزاد ما أحسن هذه الحكايات هل عندك شئ مثلها من الخرافات (قالت) ويحكى أن قنفذا اتخذ مسكنا بجانب نخلة وكان الورشان هو وزوجته قد اتخذا عشا في النخلة وعاشا فوقها عيشا رغدا فقال القنفذ في نفسه ان الورشان يأكل من ثمر النخلة وأنا لا أجد الى ذلك سبيلا ولكن لابد من استعمال الحيلة ثم حفر في أسفل النخلة بيتا واتخذه مسكنا له ولزوجته واتخذ جانبه مسجدا وانفرد فيه وأظهر النسك والعبادة وترك الدنيا وكان الورشان يراه متعبدا مصليا فرق له من شدة زهده وقال كم سنة وأنت هكذا قال مدة ثلاثين سنة قال ما طعامك قال ما يسقط من النخلة قال ما لباسك قال شوك أنتفع بخشونته فقال وكيف اخترت مكانك هذا على غيره قال اخترته على غير طريق لاجل أن أرشد الضال وأعلم الجاهل فقال له الورشان كنت أظن انك على غير هذه الحالة ولكنني الآن رغبت فيما عندك فقال القنفذ اني أخشى أن يكون قولك ضد فعلك فتكون كالزراع الذي لما جاء وقت الزرع قصر في بذره وقال اني أخشى أن يكون أوان الزرع قد فات فأكون قد أضعت المال بسرعة البذر فلما جاء وقت الحصاد ورأى الناس وهم يحصدون ندم على ما فاته من تقصيره من تخلفه ومات أسفا وحزنا فقال الورشان للقنفذ وماذا أصنع حتى أتخلص من علائق الدنيا وانقطع الى عبادة ربي قال له القنفذ خذ في الاستعداد للمعاد والقناعة بالكفاية من الزاد فقال الورشان كيف لي بذلك وأنا طائر لا أستطيع أن أتجاوز النخلة التي فيها قوتي ولو استطعت ذلك ما عرفت موضعا أستقر فيه فقال القنفذ يمكنك أن تنثر من ثمر النخلة ما يكفيك مؤنة عام أنت وزوجتك وتسكن في وكر تحت النخلة لالتماس حسن ارشادك ثم مل الى ما نثرته من الثمر فانقله جميعه وادخره قوتا للعدم واذا فرغت الثمار وطال عليك المطال مل الى كفاف من العيش فقال الورشان جزاك الله خيرا حيث ذكرتني بالمعاد وهديتني الى الرشاد ثم تعب الورشان هو وزوجته في طرح التمر حتى لم يبق في النخلة شئ فوجد القنفذ ما يأكل وفرح به وملأ مسكنه من التمر وادخره لقوته وقال في نفسه ان الورشان هو وزوجته اذا احتاجا الى مؤنتهما طلباها مني وطمعا فيما عندي وركنا الى تزهدي وورعي فاذا سمعا نصيحتي ووعظي دنيا مني فاقتنصهما وآكلهما ويخلو لي هذا المكان وكل ما تساقط من ثمر النخلة يكفيني ثم ان الورشان نزل هو وزوجته

من فوق النخلة بعد أن نثر ما عليها من الثمرة فوجد القنفذ قد نقل جميع ذلك الى جحره فقال له الورشان أيها القنفذ الصالح والواعظ الناصح انا لم نجد للتمر أثرا ولا نعرف لقوتنا غيره ثمرا فقال له لعله طارت به الرياح والاعراض عن الرزق الى الرزاق عين الفلاح فالذى شق الاشداق لا يتركهما بلا أرزاق ومازال يعظهما بتلك المواعظ ويظهر لهما الورع بزخرف الملافظ حتى ركنا اليه وأقبلا عليه ودخلا باب وكره وأمنا من مكره فوثب الى الباب وقرع الانياب فلما رأى الورشان منه الخديعة لائحة قال له أين الليلة من البارحة أما تعلم ان للمظلومين ناصرا فاياك والمكر والخديعة لئلا يصيبك ما أصاب الخداعين الذين مكروا بالتاجر فقال القنفذ وكيف ذلك قال بلغنى أن تاجرا من مدينة يقال لها سنده كان ذا مال واسع فشد أحمالا وجهز متاعا وخرج به الى بعض المدن ليبيعه فيها فتبعه رجلان من المكرة وحملا شيأ من مال ومتاع وأظهرا للتاجر انهما من التجار وسارا معه فلما نزلا أول منزل اتفقا على المكر به وأخذ ما معه ثم ان كل واحد منهما أضمر المكر لصاحبه وقال فى نفسه لو مكرت بصاحبى بعد مكرنا بالتاجر لصفا لى الوقت وأخذت جميع المال ثم أضمر البعضهما نية فاسدة وأخذ كل منهما طعاما وجعل فيه سما وقربه لصاحبه فقتلا بعضهما وكانا يجلسان مع التاجر ويحدثانه فلما أبطأ عليه فتش عليهما ليعرف خبرهما فوجدهما ميتين فعلم انهما كانا محتالين وأرادا المكر به فعاد عليهما مكرهما وسلم التاجر وأخذ ما كان معهما فقال الملك نبهتنى يا شهرزاد على شئ كنت غافلا عنه أفلا تزيدينى من هذه الامثال (قالت) بلغنى أيها الملك السعيد أن رجلا كان عنده قرد وكان ذلك الرجل سارقا لا يدخل سوقا من أسواق المدينة التى هو فيها الا ويرجع بكسب عظيم فاتفق ان رجلا حمل أثوابا مقطعة ليبيعها فذهب بها الى السوق وصار ينادى عليها فلا يسومها أحد وكان لا يعرضها على أحد الا امتنع من شرائها فاتفق ان السارق الذى معه القرد رأى الشخص الذى معه الثياب المقطعة وكان قد وضعها فى بقجة وجلس يستريح من التعب فلعب القرد قدامه حتى أشغله بالفرجة عليه واختلس منه تلك البقجة ثم أخذ القرد وذهب الى مكان خال وفتح البقجة فرأى تلك الثياب المقطعة فوضعها فى بقجة نفيسة وذهب بها الى سوق آخر وعرض البقجة للبيع بما فيها واشترط ان لا تفتح ورغب الناس فيها لقلة الثمن فرآها رجل وأعجبه نفاستها فاشتراها بهذا الشرط وذهب بها الى زوجته فلما رأت ذلك امرأته قالت ما هذا قال متاع نفيس اشتريته بدون القيمة لابيعه وآخذ فائدته فقالت أيها المغبون أيباع هذا المتاع بأقل من قيمته الا اذا كان مسروقا أما تعلم أن من اشترى شيأ ولم يعاينه كان مخطئا وكان مثله مثل الحائك فقال لها وكيف كان ذلك فقالت بلغنى أن حائكا كان فى بعض القرى وكان يعمل فلا ينال القوت الا بجهد فاتفق ان رجلا من الاغنياء كان ساكنا قريبا منه قد أولم وليمة ودعا الناس اليها فحضر الحائك فرأى الناس الذين عليهم الثياب الناعمة يقدم لهم الاطعمة الفاخرة وصاحب المنزل يعظمهم لما يرى من حسن زيهم فقال فى نفسه لو بدلت تلك الصنعة بصنعة أخف مؤنة منها وأكثر أجرة لجمعت مالا كثيرا واشتريت ثيابا فاخرة وارتفع شأنى وعظمت فى أعين الناس ثم نظر الى بعض أهل الملاعب الحاضرين فى الوليمة وقد صعد سورا شاهقا ثم رمى بنفسه الى الارض ونهض كائما فقال فى نفسه لا بد ان أعمل مثل عمل هذا ولا أعجز عنه ثم صعد الى السور ورمى نفسه فلما وصل الى الارض اندقت رقبته فمات وانما أخبرتك بذلك لئلا يتمكن منك الشره فترغب فيما ليس من شأنك فقال لها زوجها ما كل عالم يسلم بعلمه ولا كل جاهل يعطب بجهله وقد رأيت الحاوى الخبير بالافاعى العالم بها وربما نهشته الحية فقتلته وقد يظفر بها الذى لا معرفة له بها ولا علم عنده باحوالها ثم خالف زوجته واشترى المتاع وأخذ فى تلك العادة فصار يشترى من السارقين بدون القيمة الى أن وقع فى تهمة فهلك فيها وكان فى زمنه عصفور يأتى كل يوم الى ملك من ملوك الطيور ولم يزل غاديا ورائحا عنده بحيث كان أول داخل عليه وآخر خارج من عنده فاتفق أن جماعة من الطير اجتمعوا فى جبل عال من الجبال فقال بعضهم لبعض انا قد كثرنا وكثر الاختلاف بيننا ولا بد لنا من ملك ينظر فى أمورنا فتجتمع كلمتنا ويزول الاختلاف عنا فمر بهم ذلك العصفور فأشار عليهم بتمليك الطاوس وهو الملك الذى يتردد اليه فاختاروا الطاوس وجعلوه عليهم ملكا فأحسن اليهم وجعل ذلك العصفور كاتبه ووزيره فكان تارة يترك الملازمة وينظر فى الامور ثم ان العصفور غاب يوما عن الطاوس فقلق

قلقا عظيما فبينما هو كذلك اذ دخل عليه العصفور فقال له ما الذي أخرك وأنت أقرب أتباعي الي فقال العصفور رأيت أمرا واشتبه علي فخوفت منه فقال له الطاوس ما الذي رأيت قال العصفور رأيت رجلا معه شبكة قد نصبها عند وكري وثبت أوتادها وبذر في وسطها حبا وقعد بعيدا عنها فجلست أنظر ما يفعل فبينما أنا كذلك واذا بكركي هو وزوجته قد ساقهما القضاء والقدر حتى سقطا في وسط الشبكة فصارا يصرخان فقام الصياد وأخذهما فأزعجني ذلك وهذا سبب غيابي عنك يا ملك الزمان وما بقيت أسكن هذا الوكر حذرا من الشبكة فقال له الطاوس لا ترحل من مكانك لانه لا ينفع الحذر من القدر فامتثل أمره وقال سأصبر ولا أرحل طاعة للملك ولم يزل العصفور حذرا على نفسه وأخذ الطعام الى الطاوس فأكل حتى اكتفى وتناول على الطعام ماء ثم ذهب العصفور فبينما هو في بعض الايام شاخص واذا بعصفورين يقتتلان في الارض فقال في نفسه كيف أكون وزير الملك وأرى العصافير تقتتل في جواري والله لاصلحن بينهما ثم ذهب اليهما ليصلح بينهما فقلب الصياد الشبكة على الجميع فوقع ذلك العصفور في وسطها فقام اليه الصياد وأخذه ودفعه الى صاحبه وقال له استوثق به فانه سمين لم أر أحسن منه فقال العصفور في نفسه قد وقعت فيما كنت أخاف وما كان آمنا الا الطاوس ولم ينفعني الحذر من القدر فلا مفر من القضاء للحاذر وما أحسن قول الشاعر

ما لا يكون فلا يكون بحيلة * أبدا وما هو كائن سيكون
سيكون ما هو كائن في وقته * وأخو الجهالة دائما مغبون

فقال الملك يا شهرزاد زيديني من هذا الحديث فقالت الليلة القابلة ان أبقاني الملك أعزه الله * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿حكاية علي بن بكار مع شمس النهار﴾

﴿فلما كانت الليلة الثالثة والخمسون بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه كان في قديم الزمان في خلافة هرون الرشيد رجل تاجر له ولد يسمى أبا الحسن علي بن طاهر وكان كثير المال والنوال حسن الصورة محبوبا عند كل من يراه وكان يدخل دار الخلافة من غير اذن ويحبه جميع سراري الخليفة وجواريه وكان ينادمه وينشد عنده الاشعار ويحدثه بنوادر الاخبار الا أنه كان يبيع ويشتري في سوق التجار وكان يجلس على دكانه شاب من أولاد ملوك العجم يقال له علي بن بكار وكان ذلك الشاب مليح القامة ظريف الشكل كامل الصورة مورد الخدين مقرون الحاجبين عذب الكلام ضاحك السن يحب البسط والانشراح فاتفق أنهما كانا جالسين يتحدثان ويضحكان واذا بعشر جوار كأنهن الاقمار وكل منهن ذات حسن وجمال وقد واعتدال وبينهن صبية راكبة على بغلة بسرج مزركش له ركاب من الذهب وعليها ازار رفيع وفي وسطها زنار من الحرير مطرز بالذهب كما قال فيها الشاعر

لها بشر مثل الحرير ومنطق * رخيم الحواشي لا هراء ولا نزر
وعينان قال الله كونا فكانتا * فعولان بالالباب ما تفعل الخمر
فيا حبها زدني جوى كل ليلة * ويا سلوة الاحباب موعدك الحشر

فلما وصلوا الى دكان أبي الحسن نزلت عن البغلة وجلست على دكانه فسلمت عليه وسلم عليها فلما رآها علي بن بكار سلبت عقله وأراد القيام فقالت له اجلس مكانك كيف تذهب اذا حضرنا هذا ما هو انصاف فقال والله يا سيدتي اني هارب مما رأيت وما أحسن قول الشاعر

هي الشمس مسكنها في السماء * فعز الفؤاد عزاء جميلا
فلن تستطيع اليها الصعودا * ولن تستطيع اليك النزولا

فلما سمعت ذلك الكلام تبسمت وقالت لابي الحسن ما اسم هذا الفتى ومن أين هو فقال لها هذا غريب اسمه علي ابن بكار بن ملك العجم والغريب يجب اكرامه فقالت له اذا جاءتك جاريتي فائت به عندي فقال أبو الحسن على الرأس ثم قامت وتوجهت الى حال سبيلها هذا ما كان من أمرها ﴿وأما﴾ ما كان من أمر علي بن بكار فانه صار لا يعرف ما يقول وبعد ساعة جاءت الجارية الى أبي الحسن وقالت ان سيدتي تطلبك أنت ورفيقك فنهض أبو الحسن وأخذ معه علي بن بكار وتوجها الى دار هارون الرشيد فادخلتهما في مقصورة وأجلستهما واذا بالموائد وضعت

قدامهما فاكلا وغسلا أيديهما ثم احضرت لهما الشراب فشربا ثم أمرتهما بالقيام فقاما معها وأدخلتهما مقصورة أخرى مركبة على أربعة أعمدة وهي مفروشة بأنواع الفرش مزينة بأحسن الزينة كأنها من قصور الجنان فاندهشا مما عاينا من التحف فبينما هما يتفرجان على هذه الغرائب وإذا بعشر جوار أقبلن يتمايلن عجبا كأنهن الأقمار يدهشن الأبصار ويحيرن الأفكار واصطففن كأنهن من حور الجنان وجاء بعدهن عشر جوار أخر وبأيديهن العيدان وآلات اللهو والطرب فسلمن عليهما وجعلن يضربن بالعيدان وينشدن الأشعار وكل واحدة منهن فتنة للعباد وأقبل بعدهن عشر جوار مثلهن كواعب أتراب بعيون سود وخدود حمر مقرونات الحواجب ناعسات الأطراف فتنة للعابدين ونزهة للناظرين وعليهن من أنواع الحرير الملون ما يحير العقول ثم وقفن بالباب وجاء من بعدهن عشر جوار أحسن منهن وعليهن الملبوس الفاخر فوقفن بالباب أيضا ثم خرج من الباب عشرون جارية وبينهن جارية اسمها شمس النهار كأنها القمر بين النجوم وهي متوشحة بفاضل شعرها وعليها لباس أزرق وإزار من الحرير بطراز من الذهب وفي وسطها حياصة مرصعة بأنواع الجواهر ولم تزل تتبختر حتى جلست على السرير فلما رآها علي بن بكار أنشد هذه الأشعار

ان هذي هي ابتداء سقامي * وتمادي وجدي وطول غرامي
عندها قد رأيت نفسي ذابت * من ولوعي بها وبري عظامي

فلما فرغ من شعره قال لأبي الحسن لو عملت معي خيرا كنت أخبرتني بهذه الامور قبل الدخول هنا لأجل أن أوطن نفسي وأصبرها على ما أصابها ثم بكى وأن واشتكى فقال له أبو الحسن يا أخي أنا ما أردت لك الا الخير ولكن خشيت أن أعلمك بذلك فيلحقك من الوجد ما يصدك عن لقائها ويحيل بينك وبين وصالها فطب نفسا وقر عينا فهي بسعدك مقبلة ولقائك متوصلة فقال علي بن بكار ما اسم هذه الصبية فقال له أبو الحسن تسمى شمس النهار وهي من محاظي أمير المؤمنين هرون الرشيد وهذا المكان قصر الخلافة ثم ان شمس النهار جلست وتأملت محاسن علي بن بكار وتأمل هو حسنها واشتغلا بحب بعضهما وقد أمرت الجواري أن تجلس كل واحدة منهن في مكانها على سرير فجلست كل واحدة قبال طاقة وأمرتهن بالغناء فتسلمت واحدة منهن العود وأنشدت تقول

أعد الرسالة ثانيه * وخذ الجواب علانيه
واليك يا ملك الملا * ح وقفت أشكو حاليه * مولاي يا قلبي العزيز * ويا حياتي الغاليه
أنعم علي بقبلة * هبة والاعاريه * وأردها لك لا عدمت بعينها وكما هيه
واذا أردت زيادة * خذها ونفسي راضيه * يا لابسي ثوب الضنى * يهنك ثوب العافيه

فطرب علي بن بكار وقال زيديني من مثل هذا الشعر فحركت الاوتار وأنشدت هذه الاشعار

من كثرة البعد يا حبيبي * علمت طول البكا جفوني * يا حظ عيني ويا مناها
ومنتهى غايتي وديني * ارث لمن طرفه غريق * في عبرة الواله الحزين

فلما فرغت من شعرها قالت شمس النهار لجارية غيرها انشدي فطربت بالنغمات وأنشدت هذه الابيات

سكرت من لحظه لا من مدامته * ومال بالنوم عن عيني تمايله * فما السلاف سلتني بل سوالفه
وما الشمول شلتني بل شمائله * لوى بعزمي أصداغا لوين له * وغاب عقلي بما تحوي غلائله

فلما سمعت شمس النهار انشاد الجارية تنهدت وأعجبها الشعر ثم أمرت جارية أخرى أن تغني فانشدت هذه الابيات

وجه لمصباح السماء مباهي * يبدو الشباب عليه رشح مياه * رقم العذار غلالته بأحرف
معنى الهوى في طيها متناهي * نادى عليه الحسن حين لقيته * هذا المنمنم في طراز الله

فلما فرغت من شعرها قال علي بن بكار لجارية قريبة منه انشدي أنت أيتها الجارية فأخذت العود وأنشدت هذه الابيات

زمن الوصال يضيق عن * هذا التمادي والدلال * كم من صدود متلف
ما هكذا أهل الجمال * فاستغنموا وقت السرور * بطيب ساعات الوصال

فلما فرغت من شعرها تنهد علي بن بكار وأرسل دموعه الغزار فلما رأته شمس النهار قد بكى وأن واشتكى

أحرقها الوجد والغرام وأتلفها الوله والهيام فقامت من فوق السرير وجاءت الى باب القبة فقام على بن بكار وتلقاها وتعانقا ووقعا مغشيا عليهما فى باب القبة فقام الجوارى اليهما وحملنهما وأدخلنهما القبة ورششن عليهما ماء الورد فلما أفاقا لم يجدا أبا الحسن وكان قد اختفى فى جانب سرير فقالت الصبية أين أبو الحسن فظهر لها من جانب السرير فسلمت عليه وقالت أسأل الله ان يقدرنى على مكافأتك يا صاحب المعروف ثم أقبلت على على بن بكار وقالت له يا سيدى ما بلغ بك الهوى الى غاية الا وعندى أمثالها وليس لنا الا الصبر على ما أصابنا فقال على بن بكار والله يا سيدتى ليس جمع شملى بك يطيب ولا ينطفى اليك ما عندى من اللهيب ولا يذهب ما تمكن من حبك فى قلبى الا بذهاب روحى ثم بكى فنزلت دموعه على خده كأنها المطر فلما رأته شمس النهار يبكى بكت لبكائه فقال أبو الحسن والله انى عجبت من أمركما واحترت فى شأنكما فان حالكما عجيب وأمركما غريب ما هذا البكاء وأنتما مجتمعان فكيف يكون الحال بعد انفصالكما ثم قال هذا ليس وقت حزن وبكاء بل هذا وقت سرور وانشراح فأشارت شمس النهار الى جارية فقامت وعادت ومعها وصائف حاملات مائدة صحافها من الفضة وفيها أنواع الطعام ثم وضعت المائدة قدامهم وصارت شمس النهار تأكل وتلقم على بن بكار حتى اكتفوا ثم رفعت المائدة وغسلوا أيديهم وجاءتهم المباخر بأنواع العود وجاءت القماقم بماء الورد فتبخروا وتطيبوا وقدمت لهم أطباق من الذهب المنقوش فيها من أنواع الشراب والفواكه والنقل ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين ثم جاءت لهم بطشت من العقيق ملآن من المدام فاختارت شمس النهار عشر أوصاف أوقفتهن عندها وعشر جوار من المغنيات وصرفت باقى الجوارى الى أماكنهن وأمرت بعض الحاضرين من الجوارى أن يضربن بالعود ففعلن ما أمرت به وأنشدت واحدة منهن

بنفسى من رد التحية ضاحكا * فجدد بعد اليأس فى الوصل مطمعى
لقد أبرزت أيدى الغرام سرائرى * وأظهرت للعذال ما بين أضلعى
وحالت دموع العين بينى وبينه * كأن دموع العين تعشقه معى

فلما فرغت من شعرها قامت شمس النهار وملأت الكاس وشربته ثم ملأته وأعطته لعلى بن بكار * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الرابعة والخمسون بعد المائة) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان شمس النهار ملأت الكاس وأعطته لعلى بن بكار ثم أمرت جارية أن تغنى فانشدت هذين البيتين

تشابه دمعى اذ جرى ومدامتى * فمن مثل ما فى الكاس عينى تسكب
فوالله لا أدرى أبالخمر أسبلت * جفونى أم من أدمعى كنت أشرب

فلما فرغت من شعرها شرب على بن بكار كأسه ورده الى شمس النهار فملأته وناولته لأبى الحسن فشربه ثم أخذت العود وقالت لا يغنى على قدحى غيرى ثم شدت الاوتار وأنشدت هذه الاشعار

غرائب الدمع فى خديه تضطرب * وجدا ونار الهوى فى صدره تقد
يبكى مع القرب خوفا من تباعدهم * فالدمع ان قربوا جار وان بعدوا

وقول الشاعر

نفداك ساقيا قد كساك الحسن من فرقك المضىء لساقك
تشرف الشمس من يديك ومن فيـ * ـك الثريا والبدر من أطواقك
ان أقداحك التى تركتنى * غير صاح تدار من أحداقك
أوليس العجيب كونك بدرا * كاملا والمحاق فى عشاقك
أاله أنت وتحيى * بتلاقيك من تشا وفراقك
خلق الله من خليقتك الحسـ * ـن وطيب النسيم من أخلاقك
لست من هذه البرية بل أنـ * ـت مليك أرسلت من خلاقك

فلما سمع على بن بكار وأبو الحسن والحاضرون شعر شمس النهار كادوا أن يطيروا من الطرب ولعبوا وضحكوا فبينما هم على هذا الحال واذا بجارية أقبلت وهى ترتعد من الخوف وقالت يا سيدتى قد وصل أمير المؤمنين وها هو بالباب ومعه عفيف ومسرور وغيرهما فلما سمعوا كلام الجارية كادوا أن يهلكوا من الخوف فضحكت شمس النهار وقالت لا تخافوا ثم قالت للجارية ردى عليهم الجواب بقدر ما نتحول من هذا المكان ثم انها أمرت

بغلق باب القبة وارخاء الستور على أبوابها وهم فيها واغلقت باب القاعة ثم خرجت الى البستان وجلست على سريرها وأمرت جارية أن تكبس رجليها وأمرت بقية الجواري أن يمضين الى أماكنهن وأمرت الجارية أن تدع الباب مفتوحا ليدخل الخليفة فدخل مسرور ومن معه وكانوا عشرين وبأيديهم السيوف فسلموا على شمس النهار فقالت لهم لأي شيء جئتم فقالوا ان أمير المؤمنين يسلم عليك وقد استوحش لرؤيتك ويخبرك أنه كان عنده اليوم سرور وحظ زائد وأحب أن يكون ختام السرور بوجودك في هذه الساعة فهل تأتين عنده أو يأتي عندك فقامت وقبلت الأرض وقالت سمعا وطاعة لأمر أمير المؤمنين ثم أمرت باحضار القهرمانات والجواري فحضرن وأظهرت لهن أنها ممتثلة على ما أمر به الخليفة وكان المكان كاملا في جميع أموره ثم قالت للخدام امضوا الى أمير المؤمنين وأخبروه أنني في انتظاره بعد قليل الى أن أهيئ له مكانا بالفرش والامتعة فمضى الخدام مسرعين الى أمير المؤمنين ثم ان شمس النهار قامت ودخلت الى معشوقها علي بن بكار وضمته الى صدرها وودعته فبكى بكاء شديدا وقال ياسيدتي هذا الوداع ممتعيني به لعله يكون عونا على تلف نفسي وهلاك روحي في هواك ولكن أسأل الله أن يرزقني الصبر على ما بلاني به من محبتي فقالت له شمس النهار والله ما يصير في التلف الا أنا فانك قد تخرج الى السوق وتجتمع بمن يسليك فتكون مصونا وغرامك مكنونا وأما أنا فسوف أقع في البلاء خصوصا وقد وعدت الخليفة بميعاد فربما يحصل لي من ذلك عظيم الخطر بسبب شوقي اليك وحبي لك وتعشقي فيك وتأسفي على مفارقتك فبأي لسان أغني وبأي قلب أحضر عند الخليفة وبأي كلام أنادم أمير المؤمنين وبأي نظر أنظر الى مكان ما أنت فيه وكيف أكون في حضرة لم تكن بها وبأي ذوق أشرب مداما ما أنت حاضره فقال لها أبو الحسن لا تحيري واصبري ولا تغفلي عن منادمة أمير المؤمنين هذه الليلة ولا تريه تهاونا فبينما هم في الكلام واذا بجارية قد قدمت وقالت ياسيدتي جاء غلمان أمير المؤمنين فنهضت قائمة وقالت للجارية خذي أبا الحسن ورفيقه واقصدي بهما أعلى الروشن المطل على البستان ودعيهما هناك الى الظلام ثم تحيلي في خروجهما فأخذتهما الجارية وأطلعتهما في الروشن وأغلقت الباب عليهما ومضت الى حال سبيلها وصارا ينظران الى البستان واذا بالخليفة قد قدم وقدامه نحو المائة خادم بأيديهم السيوف وحواليه عشرون جارية كأنهن الاقمار عليهن أفخر ما يكون من الملبوس وعلى رأس كل واحدة تاج مكلل بالجواهر واليواقيت وفي يد كل واحدة شمعة موقودة والخليفة يمشي بينهن وهن محيطات به من كل ناحية ومسرور وعفيف ووصيف قدامه وهو يتمايل بينهم فقامت له شمس النهار وجميع من عندها من الجواري ولاقينه من باب البستان وقبلن الارض بين يديه ولم يزلن سائرات أمامه الى ان جلس على السرير واللاتي في البستان من الجواري والخدم وقفوا حوله والشموع موقودة والآلات تضرب الى ان أمرهم بالانصراف والجلوس على الأسرة فجلست شمس النهار على سرير بجانب سرير الخليفة وصارت تحدثه كل ذلك وأبو الحسن وعلي بن بكار ينظران ويسمعان والخليفة لم يرهما ثم ان الخليفة صار يلعب مع شمس النهار وأمر بفتح القبة ففتحت وشرعوا طيقانها وأوقدوا الشموع حتى صار المكان وقت الظلام كالنهار ثم ان الخدم صاروا ينقلون آلات المشروب فقال أبو الحسن ان هذه الآلات والمشروب والتحف ما رأيت مثلها وهذا شيء من أصناف الجواهر ما سمعت بمثله وقد خيل لي أنني في المنام وقد اندهش عقلي وخفق قلبي وأما علي بن بكار فانه لما فارقته شمس النهار لم يزل مطروحا على الارض من شدة العشق فلما أفاق صار ينظر الى هذه الفعال التي لا يوجد مثلها فقال لأبي الحسن يا أخي أخشى أن ينظرنا الخليفة أو يعلم حالنا وأكثر خوفي عليك وأما أنا فاني أعلم أن نفسي من الهالكين وما سبب موتي الا العشق والغرام وفرط الوجد والهيام ونرجو من الله الخلاص مما به بلينا ولم يزل علي بن بكار وأبو الحسن ينظران من الروشن الى الخليفة وما هو فيه حتى تكاملت الحضرة بين يدي الخليفة ثم ان الخليفة التفت الى جارية من الجواري وقال هات ما عندك يا غرام من السماع المطرب فأطربت بالنغمات وأنشدت هذه الابيات

وما وجد أعرابية بان أهلها * فحنت الى بان الحجاز ورنده
اذا آنست ركبا تكفل شوقها * بنار قراه والدموع بورده

باعظم من وجدي بحبي وانما * يرى انني اذنبت ذنبا نوده

فلما سمعت شمس النهار هذا الشعر وقعت مغشيا عليها من فوق الكرسي الذي كانت عليه وغابت عن الوجود فقام الجواري واحتملنها فلما نظر اليها علي بن بكار من الروشن وقع مغشيا عليه فقال أبو الحسن ان القضاء قسم الغرام بينكما بالسويه فبينما هما يتحدثان واذا بالجارية التي اطلعتهما الروشن جاءتهما وقالت يا أبا الحسن انهض أنت ورفيقك وانزلا فقد ضاقت علينا الدنيا وانا خائفة ان يظهر أمرنا فقوما في هذه الساعة والا متنا فقال أبو الحسن فكيف ينهض هذا الغلام ولا قدرة له على النهوض فصارت الجارية ترش ماء الورد على وجهه حتى أفاق فحمله أبو الحسن هو والجارية ونزلا به من الروشن ومشيا قليلا ثم فتحت الجارية بابا صغيرا من حديد وأخرجت أبا الحسن هو وعلي بن بكار على مصطبة ثم صفقت بيديها فجاء زورق فيه انسان يجذف فاطلعتهما الجارية في الزورق وقالت للذي في الزورق أطلعهما في ذلك البر فلما نزلا في الزورق وفارقا البستان نظر علي بن بكار الى القبة والبستان وودعهما بهذين البيتين

مددت الى التوديع كفا ضعيفة * وأخرى على الرمضاء تحت فؤادي

فلا كان هذا آخر العهد بيننا * ولا كان هذا الزاد آخر زادي

ثم ان الجارية قالت للملاح اسرع بهما فصار يجذف لاجل السرعة والجارية معهم * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الخامسة والخمسون بعد المائة﴾

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملاح صار يجذف لاجل السرعة والجارية معهم الى أن قطعوا ذلك الجانب وعدوا الى البر الثاني ثم انصرفت الجارية وودعتهما وطلعا في البر وقالت لهما كان قصدي أن لا أفارقكما لكنني لا أقدر أن أسير الى مكان غير هذا الموضع ثم ان الجارية عادت وصار علي بن بكار مطروحا بين يدي أبي الحسن لا يستطيع النهوض فقال له أبو الحسن ان هذا المكان غير أمين ونخشى على أنفسنا من التلف في هذا المكان بسبب اللصوص وأولاد الحرام فقام علي بن بكار يتمشى قليلا وهو لا يستطيع المشي وكان أبو الحسن له في ذلك الجانب أصدقاء فقصد من يثق به وركن اليه منهم فدق بابه فخرج اليه مسرعا فلما رآهما رحب بهما ودخل بهما الى منزله وأجلسهما وتحدث معهما وسألهما أين كانا فقال له أبو الحسن قد خرجنا في هذا الوقت وأحوجنا الى هذا الامر انسان عاملته في دراهم وبلغني أنه يريد السفر بمالي فخرجت في هذه الليلة وقصدته واستأنست برفيقي هذا علي بن بكار وجئنا لعلنا ننظره فتوارى منا ولم نره وعدنا بلا شئ وشق علينا العود في هذا الليل ولم نر لنا محلا غير محلك فجئنا اليك على عوائدك الجميلة فرحب بهما واجتهد في اكرامهما وأقاما عنده بقية ليلتهما فلما أصبح الصباح خرجا من عنده ولا زالا ماشيان حتى وصلا الى المدينة ودخلاها وجازا على بيت أبي الحسن فحلف على صاحبه علي بن بكار وأدخله بيته فاضطجعا على الفراش قليلا ثم افاقا فأمر أبو الحسن غلمانه أن يفرشوا البيت فرشا فاخرا ففعلوا ثم ان أبا الحسن قال في نفسه لابد أن أؤانس هذا الغلام وأسليه عما هو فيه فانى أدرى بأمره ثم ان علي ابن بكار لما أفاق استدعى بماء فحضر واليه بالماء فقام وتوضأ وصلى ما فاته من الفروض في يومه وليلته وصار يسلي نفسه بالكلام فلما رأى منه ذلك أبو الحسن تقدم اليه وقال يا سيدي علي الاليق بما أنت فيه أن تقيم عندي هذه الليلة لينشرح صدرك وينفرج ما بك من كرب الشوق وتتلاهى معنا فقال علي بن بكار افعل يا أخي ما بدا لك فاني على كل حال غير ناج مما أصابني فاصنع ما أنت صانع فقام أبو الحسن واستدعى غلمانه وأحضر أصحابه وأرسل الى أرباب المغاني والآلات فحضروا وأقاموا على أكل وشرب وانشراح باقي اليوم الى المساء ثم أوقدوا الشموع ودارت بينهم كؤس المنادمة وطاب لهم الوقت فأخذت المغنية العود وجعلت تقول

رميت من الزمان بسهم لحظ * فأضناني وفارقت الحبائب

وعاندني الزمان وقل صبري * واني قبل هذا كنت حاسب

فلما سمع علي بن بكار كلام المغنية خر مغشيا عليه ولم يزل في غشيته الى أن طلع الفجر ويئس منه أبو الحسن ولما طلع النهار أفاق وطلب الذهاب الى بيته فلم يمنعه أبو الحسن خوفا من عاقبة أمره فأتاه غلمانه ببغلة وأركبوه وصار

معه أبو الحسن الى أن أدخله منزله فلما اطمأن في بيته حمد الله أبو الحسن على خلاصه من هذه الورطة وصار يسليه وهو لا يتمالك نفسه من شدة الغرام ثم ان أبا الحسن ودعه * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* (فلما كانت الليلة السادسة والخمسون بعد المائة) * قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أبا الحسن ودعه فقال له علي بن بكار يا أخي لا تقطع عني الاخبار فقال سمعا وطاعة ثم ان أبا الحسن قام من عنده وأتى دكانه وفتحها وصار يترقب خبرا من الصبية فلم يأته أحد بخبر فبات تلك الليلة في داره فلما أصبح الصباح قام الى أن أتى دار علي بن بكار ودخل عليه فوجده ملقى على فراشه وأصحابه حوله والحكماء عنده وكل واحد يصف له شيأ ويجسون يده فلما دخل أبو الحسن ورآه تبسم ثم ان أبا الحسن سلم عليه وسأله عن حاله وجلس عنده حتى خرج الناس فقال له ما هذا الحال فقال علي بن بكار قد شاع خبري أني مريض وتسامع بذلك أصحابي وليس في قوة أستعين بها على القيام والمشي حتى أكذب من جعلني ضعيفا ولم أزل ملقى في مكاني كما تراني وقد أتت أصحابي الى زيارتي لكن يا أخي هل رأيت الجارية أو سمعت بخبر من عندها فقال ما جاءتني من يوم فارقتنا على شاطئ الدجلة ثم قال له أبو الحسن يا أخي احذر الفضيحة وتجنب هذا البكاء فقال علي بن بكار يا أخي لا أملك نفسي ثم صعد الزفرات وأنشد هذه الابيات

نالت على يدها ما لم تنله يدي * نقشا على معصم أوهت به جلدي
خافت على يدها من نبل مقلتها * فألبست يدها درعا من الزرد
جس الطبيب يدي جهلا فقلت له * ان التألم في قلبي فخل يدي
قالت لطيف خيال زارني ومضى * بالله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقال خلفته لو مات من ظمأ * وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
فاستمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

فلما فرغ من شعره قال قد بليت بمصيبة كنت في أمن منها وليس لي أعظم راحة من الموت فقال له أبو الحسن اصبر لعل الله يشفيك ثم نزل أبو الحسن من عنده وتوجه الى دكانه وفتحها فما جلس غير قليل حتى أقبلت عليه الجارية وسلمت فرد عليها السلام ونظر اليها فوجدها خافقة القلب يظهر عليها أثر الكآبة فقال لها أهلا وسهلا كيف حال شمس النهار فقالت سوف أخبرك بحالها كيف حال علي بن بكار فأخبرها أبو الحسن بجميع ما كان من أمره فتأسفت وتأوهت وتعجبت من ذلك الأمر ثم قالت ان حال سيدتي أعجب من ذلك فانكم لما توجهتم رجعت وقلبي يخفق عليكم وما صدقت بنجاتكم فلما رجعت وجدت سيدتي مطروحة في القبة لا تتكلم ولا ترد على أحد وأمير المؤمنين جالس عند رأسها لا يجد من يخبره بخبرها ولم يعلم ما بها ولم تزل في غشيتها الى نصف الليل ثم أفاقت فقال لها أمير المؤمنين ما الذي أصابك يا شمس النهار وما الذي اعتراك في هذه الليلة فلما سمعت شمس النهار كلام الخليفة قبلت أقدامه وقالت له يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك انه خامرني خلط فأضرم النار في جسدي فوقعت مغشيا علي من شدة ما بي ولا أعلم كيف كان حالي فقال لها الخليفة ما الذي استعملتيه في نهارك قالت أفطرت على شيء لم آكله قط ثم أظهرت القوة واستدعت بشيء من الشراب فشربته وسألت أمير المؤمنين أن يعود الى انشراحه فعاد الى الجلوس في القبة فلما جئت اليها سألتني عن أحوالكما فأخبرتها بما فعلت معكما وأخبرتها بما أنشده علي بن بكار فسكتت ثم ان أمير المؤمنين جلس وأمر الجارية بالغناء فأنشدت هذين البيتين

ولم يصف لي شيء من العيش بعدكم * فياليت شعري كيف حالكم بعدي
يحق لدمعي ان يكون من الدما * اذا كنتم تبكون دمعا على بعدي

فلما سمعت هذا الشعر وقعت مغشيا عليها * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* (فلما كانت الليلة السابعة والخمسون بعد المائة) * قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية قالت لأبي الحسن ان سيدتي لما سمعت هذا الشعر وقعت مغشيا عليها فأمسكت يدها ورششت ماء الورد على وجهها فأفاقت فقلت لها يا سيدتي لا تهتكي نفسك وما يحويه قصرك بحياة محبوبك أن تصبري فقالت هل في الأمر أكثر من الموت فأنا أطلبه لان فيه راحتي فبينما نحن في هذا القول اذ غنت جارية بقول الشاعر

وقالوا لعل الصبر يعقب راحة * فقلت وأين الصبر بعد فراقه

وقد أكد الميثاق بيني وبينه * بقطع حبال الصبر عند عناقه

فلما فرغت من الشعر وقعت مغشيا عليها فنظرها الخليفة وأتى مسرعا اليها وأمر برفع الشراب وأن تعود كل جارية الى مقصورتها وأقام عندها باقي ليلته الى أن أصبح الصباح فاستدعى الاطباء وأمرهم بمعالجتها ولم يعلم بما هي فيه من العشق والغرام وأقمت عندها حتى ظننت أنها قد انصلح حالها وهذا الذي عاقني عن المجيء اليكما وقد خلفت عندها جماعة من خواصها لما أمرتني بالمسير اليكما لآخذ خبر علي بن بكار وأعود اليها فلما سمع أبو الحسن كلامها تعجب وقال لها والله اني أخبرتك بجميع ما كان من أمره فعودي الى سيدتك وسلمي عليها وحثيها على الصبر وقولي لها اكتمي السر وأخبريها اني عرفت أمرها وهو أمر صعب يحتاج الى التدبير فشكرته الجارية ثم ودعته وانصرفت الى سيدتها هذا ما كان من أمرها ﴿وأما﴾ ما كان من أمر أبي الحسن فانه لم يزل في دكانه الى آخر النهار فلما مضى النهار قام وقفل دكانه وأتى الى دار علي بن بكار فدق الباب فخرج له بعض غلمانه وأدخله فلما دخل عليه تبسم واستبشر بقدومه وقال له يا أبا الحسن أوحشتني لتخلفك عني في هذا اليوم وروحي متعلقة بك باقي عمري فقال له أبو الحسن دع هذا الكلام فلو أمكن فداؤك كنت أفديك بروحي وفي هذا اليوم جاءت جارية شمس النهار وأخبرتني أنه ما عاقها عن المجيء الا جلوس الخليفة عند سيدتها وأخبرتني بما كان من أمر سيدتها وحكى له جميع ما سمعه من الجارية فتأسف علي بن بكار غاية التأسف وبكى ثم التفت الى أبي الحسن وقال له بالله ان تساعدني على ما بليت به وأخبرني ماذا تكون الحيلة واني أسألك من فضلك المبيت عندي في هذه الليلة لاستأنس بك فامتثل أبو الحسن أمره وأجابه الى المبيت عنده وباتا يتحدثان في تلك الليلة ثم ان علي بن بكار بكى وأرسل العبرات وأنشد هذه الابيات

خفرت بسيف اللحظ ذمة مغفري * وفرت برمح القد درع تصبري * وجلت لنا من تحت مسكة خالها
كافور فجر شق ليل العنبر * فزعت فضرست العقيق بلؤلؤ * سكنت فرائده غدير السكر
وتنهدت جزعا فأثر كفها * في صدرها فنظرت ما لم أنظر * أقلام مرجان كتبن بعنبر
بصحيفة البلور خمسة أسطر * يا حامل السيف الصقيل اذا رنت * اياك ضربة جفنها المتكسر
وتوق يا رب القناة الطعن ان * حملت عليك من القوام بأسمر

فلما فرغ علي بن بكار من شعره صرخ صرخة عظيمة ووقع مغشيا عليه فظن أبو الحسن أن روحه خرجت من جسده ولم يزل في غشيته حتى طلع النهار فأفاق وتحدث مع أبي الحسن ولم يزل أبو الحسن جالسا عند علي بن بكار الى ضحوة النهار ثم انصرف من عنده وجاء الى دكانه وفتحها واذا بالجارية جاءته ووقفت عنده فلما نظر اليها أومأت اليه بالسلام فرد عليها السلام وبلغته سلام سيدتها وقالت له كيف حال علي بن بكار فقال لها يا جارية لا تسألي عن حاله وما هو فيه من شدة الغرام فانه لا ينام الليل ولا يستريح بالنهار وقد أنحله السهر وغلب عليه الضجر وصار في حال لا يسر حبيبا فقالت له ان سيدتي تسلم عليك وعليه وقد كتبت له ورقة وهي في حال أعظم من حاله وقد سلمتني الورقة وقالت لا تأتيني الا بجوابها وافعلي ما أمرتك به وها هي الورقة معي فهل لك أن تسير معي الى علي بن بكار وتأخذ منه الجواب فقال لها أبو الحسن سمعا وطاعة ثم قفل الدكان وأخذ معه الجارية وذهب بها من مكان غير الذي جاء منه ولم يزالا سائرين حتى وصلا الى دار علي بن بكار ثم أوقف الجارية على الباب ودخل * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثامنة والخمسون بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان أبا الحسن ذهب بالجارية الى دار علي بن بكار وأوقفها على الباب ودخل البيت فلما رآه علي بن بكار فرح به فقال له أبو الحسن سبب مجيئي أن فلانا أرسل اليك جاريته برقعة تتضمن سلامه عليك وذكر فيها أن سبب تأخره عنك عذر حصل له والجارية واقفة بالباب فهل تأذن لها بالدخول فقال علي أدخلوها وأشار له أبو الحسن أنها جارية شمس النهار ففهم الاشارة فلما رآها تحرك وفرح وقال لها بالاشارة كيف حال السيد شفاه الله وعافاه فقالت بخير ثم أخرجت الورقة ودفعتها له فأخذها وقبلها وقرأها وناولها لابي الحسن فوجد مكتوبا فيها هذه الابيات

ينبيك هذا الرسول عن خبرى * فاستغن فى ذكرهم عن النظر * خافت صبابتكم دنفا
وطرفه لا يزال بالسهر * أكابد الصبر فى البلاء فما * يدفع خلق مواقع القدر
فقر عينا فلست تبعد عن * قلبى ولا يوم غبت عن بصرى
وانظر الى جسمك النحيل وما * قد حل به واستدل بالاثر

وبعد فقد كتبت لك كتابا بغير بنان ونطقت لك بغير لسان وجملة شرح حالى أن لى عينا لا يفارقها السهر وقلبا لا تبرح عنه الفكر فكأنى قط ما عرفت صحة ولا فرحة ولا رأيت منظرا بهيا ولا قطعت عيشا هنيا وكأنى خلقت من الصبابة ومن ألم الوجد والكآبة فعلى السقام مترادف والغرام متضاعف والشوق متكاثر وصرت كما قال الشاعر

القلب منقبض والفكر منبسط * والعين ساهرة والجسم متعوب
والصبر منفصل والهجر متصل * والعقل مختبل والقلب مسلوب

واعلم أن الشكوى لا تطفئ نار البلوى لكنها تعلل من أعلله الاشتياق وأتلفه الفراق وانى أتسلى بذكر لفظ الوصال وما أحسن قول من قال اذا لم يكن فى الحب سخط ولا رضا * فأين حلاوات الرسائل والكتب

قال أبو الحسن فلما قرأتها هيجت ألفاظها بلابلى وأصابت معانيها مقاتلى ثم دفعتها الى الجارية فلما أخذتها قال لها على بن بكار أبلغى سيدتك سلامى وعرفيها بوجدى وغرامى وامتزاج المحبة بلحمى وعظامى وأخبريها أنى محتاج الى من ينقذنى من بحر الهلاك وينجينى من هذا الارتباك ثم بكت الجارية لبكائه وودعته وخرجت من عنده وخرج أبو الحسن معها ثم ودعها ومضى الى دكانه * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة التاسعة والخمسون بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان أبا الحسن ودع الجارية ورجع الى دكانه فلما جلس فيه وجد قلبه انقبض وضاق فى صدره وتحير فى أمره ولم يزل فى فكر بقية يومه وليلته وفى اليوم الثانى ذهب الى على بن بكار وجلس عنده حتى ذهبت الناس وسأله عن حاله فأخذ فى شكوى الغرام ومابه من الوجد والهيام وأنشد قول الشاعر

شكا ألم الغرام الناس قبلى * وروع بالنوى حى وميت وامامثل ما ضمت ضلوعى * فانى لا سمعت ولا رأيت

وقول الشاعر

ولقيت من حبك مالم يلقه * فى حب ليلى قيسها المجنون
لكننى لم أتبع وحش الفلا * كفعال قيس والجنون فنون

فقال أبو الحسن أنا ما رأيت ولا سمعت بمثلك فى محبتك كيف يكون هذا الوجد وضعف الحركة وقد تعلقت بحبيب موافق فكيف اذا تعلقت بحبيب مخالف مخادع فكان أمرك ينكشف قال أبو الحسن فركن على بن بكار الى كلامى وشكرنى على ذلك وكان لى صاحب يطلع على أمرى وأمر على بن بكار ويعلم أننا متوافقان ولم يعلم أحد ما بيننا غيره وكان يأتينى فيسألنى عن حال على بن بكار وبعد قليل يسألنى عن الجارية فقلت له قد دعته اليها وكان بينه وبينها ما لا مزيد عليه وهذا آخر ما انتهى من أمرهما ولكنى دبرت لنفسى أمرا أريد عرضه عليك فقال له صاحبه ما هو قال أبو الحسن اعلم أنى رجل معروف بكثرة المعاملات بين الرجال والنساء وأخشى أن ينكشف أمرهما فيكون سبب هلاكى وأخذ مالى وهتك عيالى وقد اقتضى رأيى أن أجمع مالى وأجهز حالى وأتوجه الى مدينة البصرة وأقيم بها حتى أنظر ما يكون من أحوالهما بحيث لا يشعر بى أحد فان المحبة قد تمكنت منهما ودارت المراسلة بينهما والحال ان الماشى بينهما جارية وهى كاتمة لاسرارهما وأخشى أن يغلب عليها الضجر فتبوح بسرهما لأحد فيشيع خبرهما ويؤدى ذلك الى هلاكى ويكون سببا لتلفى وليس لى عذر عند الناس فقال له صاحبه قد أخبرتنى بخبر خطير يخاف من مثله العاقل الخبير كفاك الله شر ما تخافه وتخشاه ونجاك مما تخاف عقباه وهذا الرأى هو الصواب فانصرف أبو الحسن الى منزله وصار يقضى مصالحه ويتجهز للسفر الى مدينة البصرة فما مضى ثلاثة أيام حتى قضى مصالحه وسافر الى البصرة فجاء صاحبه بعد ثلاثة أيام ليزوره فلم يجده فسأل عنه جيرانه فقالوا له انه توجه من مدة ثلاثة أيام الى البصرة لأن له معاملة عند تجارها فذهب ليطالب أرباب الديون وعن قريب يأتى فاحتار الرجل فى أمره وصار لا يدرى أين يذهب وقال يا ليتنى لم أفارق

أبا الحسن ثم دبر حيلة يتوصل بها الى على بن بكار فقصد داره وقال لبعض غلمانه استأذن لى سيدك لادخل أسلم عليه فدخل الغلام وأخبر سيده به ثم عاد اليه وأذن له فى الدخول فدخل عليه فوجده ملقى على الوسادة فسلم عليه فرد عليه السلام ورحب به ثم ان الرجل اعتذر اليه فى تخلفه عنه تلك المدة ثم قال له يا سيدى ان بينى و بين أبى الحسن صداقة وانى كنت أودعه أسرارى ولا أنقطع عنه ساعة فغبت فى بعض المصالح مع جماعة من أصحابى مدة ثلاثة أيام ثم جئت اليه فوجدت دكانه مقفلة فسألت عنه الجيران فقالوا انه توجه الى البصرة ولم أعلم له صديقا أوفى منك فبالله أن تخبرنى بخبره فلما سمع على بن بكار كلامه تغير لونه واضطرب وقال لم أسمع قبل هذا اليوم خبر سفره وان كان الامر كما ذكرت فقد حصل لى التعب ثم أفاض دمع العين وأنشد هذين البيتين

قد كنت أبكى على مافات من فرح * وأهل ودى جميعا غير أشتات

واليوم فرق ما بينى و بينهم * دهرى فابكى على أهل المودات

ثم ان على بن بكار أطرق رأسه الى الارض يتفكر و بعد ساعة رفع رأسه الى خادم له وقال له امض الى دار أبى الحسن واسأل عنه هل هو مقيم أو مسافر فان قالوا سافر فاسأل الى أى ناحية توجه فمضى الغلام وغاب ساعة ثم أقبل الى سيده وقال انى لما سألت عن أبى الحسن أخبرنى أتباعه أنه سافر الى البصرة ولكن وجدت جارية واقفة على الباب فلما رأتنى عرفتنى ولم أعرفها وقالت لى هل أنت غلام على بن بكار فقلت لها نعم فقالت ان معى رسالة اليه من عند أعز الناس عليه فجاءت معى وهى واقفة على الباب فقال على بن بكار أدخلها فطلع الغلام اليها وأدخلها فنظر الرجل الذى عند ابن بكار الى الجارية فوجدها ظريفة ثم ان الجارية تقدمت الى ابن بكار وسلمت عليه * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الموفية للستين بعد المائة) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية لما دخلت على على ابن بكار تقدمت اليه وسلمت عليه وتحدثت معه سرا وصار يقسم فى أثناء الكلام و يحلف انه لم يتكلم بذلك ثم ودعته وانصرفت وكان الرجل صاحب أبى الحسن جوهريا فلما انصرفت الجارية وجد للكلام محلا فقال لعلى ابن بكار لاشك ولا ريب ان لدار الخلافة عليك مطالبة أو بينك و بينها معاملة فقال ومن أعلمك بذلك فقال معرفتى بهذه الجارية لانها جارية شمس النهار وكانت جاءتنى من مدة برقعة مكتوب فيها انها تشتهى عقد جوهر فارسلت اليها عقدا ثمينا فلما سمع على بن بكار كلامه اضطرب حتى خشى عليه التلف ثم راجع نفسه وقال يا أخى سألتك بالله من أين تعرفها فقال له الجوهرى دع الالحاح فى السؤال فقال له على بن بكار لا أرجع عنك الا اذا أخبرتنى بالصحيح فقال له الجوهرى أنا أخبرك بحيث لا يدخلك منى وهم ولا تعتريك من كلامى انقباض ولا أخفى عنك سرا وأبين لك حقيقة الامر ولكن بشرط أن تخبرنى بحقيقة حالك وسبب مرضك فاخبره بخبره ثم قال والله يا أخى ماحملنى على كتمان أمرى عن غيرك الا المخافة أن الناس تكشف أستار بعضها فقال الجوهرى لعلى بن بكار وأنا ما أردت اجتماعى بك الا لشدة محبتى لك وغيرتى عليك وشفقتى على قلبك من ألم الفراق عسى أكون لك مؤنسا نيابة عن صديقى أبى الحسن مدة غيبته فطب نفسا وقر عينا فشكره على بن بكار على ذلك وأنشد هذين البيتين

ولو قلت انى صابر بعد بعده * لكذبنى دمعى وفرط نحيبى

وكيف أدارى مدمعا جريانه * على صحن خدى من فراق حبيبى

ثم ان على بن بكار سكت ساعة من الزمان و بعد ذلك قال للجوهرى أتدرى ما أسرتنى به الجارية فقال لا والله يا سيدى فقال انها زعمت انى أشرت على أبى الحسن بالمسير الى مدينة البصرة واننى دبرت بذلك حيلة لاجل عدم المراسلة والمواصلة فحلفت لها ان ذلك لم يكن فلم تصدقنى ومضت الى سيدتها وهى على ماهى عليه من سوء الظن لانها كانت تصغى الى أبى الحسن فقال الجوهرى يا أخى انى فهمت من حال هذه الجارية هذا الامر ولكن ان شاء الله تعالى أكون عونا لك على مرادك فقال له على بن بكار وكيف تعمل معها وهى تنفر كوحش الفلاة فقال له لا بد أن أبذل جهدى فى مساعدتك واحتيالى فى التوصل اليها من غير كشف ستر ولا مضرة ثم استأذن فى الانصراف فقال له على بن بكار يا أخى عليك بكتمان السر ثم نظر اليه وبكى فودعه وانصرف * وأدرك

شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الحادية والستون بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجوهري ودعه وانصرف وهو لا يدري كيف يعمل في اسعاف علي بن بكار ومازال ماشيا وهو متفكر في أمره اذ رأى ورقة مطروحة في الطريق فأخذها ونظر عنوانها وقرأه فاذا هو من المحب الاصغر الى الحبيب الاكبر ففتح الورقة فرأى مكتوبا فيها هذان البيتان

جاء الرسول بوصل منك يطمعني * وكان أكثر ظني انه وهما
فما فرحت ولكن زادني حزنا * علمي بأن رسولي لم يكن فهما

وبعد فاعلم ياسيدي انني لم أدر ماسبب قطع المراسلة بيني وبينك فان يكن صدر منك الجفاء فانا أقابله بالوفاء وان يكن ذهب منك الوداد فانا أحفظ الود على البعاد فانا معك كما قال الشاعر

ته أحتمل واستطل أصبر وعز أهن * وول أقبل وقل أسمع ومر أطع

فلما قرأها اذا بالجارية أقبلت تتلفت يمينا وشمالا فرأت الورقة في يده فقالت له ياسيدي ان هذه الورقة وقعت مني فلم يرد عليها جوابا ومشى ومشت الجارية خلفه الى أن أقبل على داره ودخل والجارية خلفه فقالت له ياسيدي رد لي هذه الورقة فانها سقطت مني فالتفت اليها وقال ياجارية لا تخافي ولا تحزني ولكن أخبريني بالخبر على وجه الصدق فاني كتوم للاسرار وأحلفك يمينا أنك لا تخفي عني شيأ من أمر سيدتك فعسى الله أن يعينني على قضاء أغراضها ويسهل الامور الصعاب على يدي فلما سمعت الجارية كلامه قالت ياسيدي ماضاع سر أنت حافظه ولا خاب أمر أنت تسعى في قضائه اعلم أن قلبي مال اليك فانا أخبرك بحقيقة الامر لتعطيني الورقة ثم أخبرته بالخبر كله وقالت الله على ما أقول شهيد فقال لها صدقت فان عندي علما بأصل الخبر ثم حدثها بحديث علي ابن بكار وكيف أخذ ضميره وأخبرها بالخبر من أوله الى آخره فلما سمعت ذلك فرحت واتفقا على أنها تأخذ الورقة وتعطيها لعلي بن بكار وجميع مايحصل ترجع اليه وتخبره به فأعطاها الورقة فأخذتها وختمتها كما كانت وقالت ان سيدتي شمس النهار أعطتها الى مختومة فاذا قرأها ورد لي جوابها أتيتك به ثم ان الجارية ودعته وتوجهت الى علي بن بكار فوجدته في الانتظار فأعطته الورقة وقرأها ثم كتب لها ورقة ورد الجواب وأعطاها لها فأخذتها ورجعت بها الى الجوهري بحكم الاتفاق ففض ختمها وقرأها فرأى مكتوبا فيها

ان الرسول الذي كانت رسائلنا * مكتومة عنده ضاعت وقد غضبا
فاستخلصوا الى رسولا منكم ثقة * يستحسن الصدق لا يستحسن الكذبا

وبعد فاني لم يصدر مني جفاء ولا تركت وفاء ولا نقضت عهدا ولا قطعت ودا ولا فارقت أسفا ولا لقيت بعد الفراق الا تلفا ولا علمت أصلا بما ذكرتم ولا أحب غير ما أحببتم وحق عالم السر والنجوى ماقصدي غير الاجتماع بمن أهوى وشأني كتمان الغرام وان أمرضني السقام وهذا شرح حالي والسلام فلما قرأ الجوهري هذه الورقة وعرف مافيها بكى بكاء شديدا ثم ان الجارية قالت له لا تخرج من هذا المكان حتى أعود اليك لانه قد اتهمني بأمر من الامور وهو معذور وأنا أريد أن أجمع بينك وبين سيدتي شمس النهار بأي حيلة فاني تركتها مطروحة وهي تنتظرني برد الجواب ثم ان الجارية مضت الى سيدتها وبات الجوهري مشوش الخاطر فلما أصبح الصباح صلى الصبح وقعد ينتظر قدومها واذا بها أقبلت وهي فرحانة الى أن دخلت عليه فقال لها ماالخبر ياجارية فقالت مضيت من عندك الى سيدتي ودفعت لها الورقة التي كتبها علي بن بكار فلما قرأتها وفهمت معناها تحيرفكرها فقلت لها ياسيدتي لا تخشي من فساد الامر بينكما بسبب غياب أبي الحسن فاني وجدت من يقوم مقامه وهو أحسن منه وأعلى مقدارا وأهلا لكتمان الاسرار وقد حدثتها بما بينك وبين أبي الحسن وكيف توصلت اليه الى علي بن بكار وكيف سقطت تلك الرقعة مني ووقعت أنت عليها وأخبرتها بما استقر عليه الامر بيني وبينك فتعجب الجوهري غاية العجب ثم قالت له انها تشتهي أن تسمع كلامك لاجل أن تؤكد عليه فيما بينك وبينه من العهود فاعزم في هذا الوقت على المسير معي اليها فلما سمع الجوهري كلام الجارية رأى أن الدخول عليها أمر عظيم وخطر جسيم لا يمكن الدخول فيه ولا التهجم عليه فقال الجوهري

للجارية يا أختي اني من أولاد العوام ولم أكن كأبي الحسن فانه كان رفيع المقدار معروفا بالاشتهار مترددا على دار الخلافة لاحتياجهم الى بضاعته وأما أنا فان أبا الحسن كان يحدثني وأنا أرتعد بين يديه واذا كانت سيدتك رغبت في حديثي لها فينبغي أن يكون ذلك في غير دار الخلافة بعيدا عن محل أمير المؤمنين لان جناني لا يطاوعني على ما تقولين ثم انه امتنع من المسير معها وصارت تضمن له السلامة وتقول له لا تخش ولا تخف فبينما هما في هذا الكلام اذا اعتمت رجلاه وارتعشت يداه فقالت له الجارية ان كان يصعب عليك الرواح الى دار الخلافة ولا يمكنك المسير معي فأنا أجعلها تسير اليك فلا تبرح من مكانك حتى أرجع اليك بها ثم ان الجارية مضت ولم تغب الا قليلا وعادت الى الجوهري وقالت له احذر أن يكون عندك جارية أو غلام فقال ما عندي غير جارية سوداء كبيرة السن تخدمني فقامت الجارية وأغلقت الابواب بين جارية الجوهري وبينه وصرفت غلمانه الى خارج الدار ثم خرجت الجارية وعادت ومعها جارية خلفها ودخلت دار الجوهري فعبقت الدار من الطيب فلما رآها الجوهري نهض قائما ووضع لها مخدة وجلس بين يديها فمكثت ساعة لا تتكلم حتى استراحت ثم كشفت وجهها فخيل للجوهري أن الشمس أشرقت في منزله ثم قالت لجاريتها أهذا الرجل الذي قلت لي عليه فقالت الجارية نعم فالتفتت الى الجوهري وقالت له كيف حالك قال بخير ودعا لها فقالت انك حملتنا المسير اليك وأن نطلعك على ما يكون من سرنا ثم سألته عن أهله وعياله فأخبرها بجميع أحواله وقال لها ان لي دارا غير هذه الدار جعلتها للاجتماع بالاصحاب والاخوان ليس لي فيها الا ما ذكرته لجاريتك ثم سألته عن كيفية اطلاعه على أصل القصة فأخبرها بما سألته عنه من أول الامر الى آخره فتأوهت على فراق أبي الحسن وقالت يا فلان اعلم ان أرواح الناس متلائمة في الشهوات والناس بالناس ولا يتم عمل الا بقول ولا يتم غرض الا بعمل ولا تحصل راحة الا بعد تعب
*وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿ فلما كانت الليلة الثانية والستون بعد المائة ﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان شمس النهار قالت للجوهري لا تحصل راحة الا بعد تعب ولا يظهر نجاح الا من ذوي مروأة وقد أطلعتك الآن على أمرنا وصار بيدك هتكنا ولا زيادة لما أنت عليه من المروأة فانت قد علمت أن جاريتي هذه كاتمة سري وبسبب ذلك لها رتبة عظيمة عندي وقد اختصصتها بمهمات أموري فلا يكن عندك أعز منها وأطلعها على أمرك وطب نفسا فانت آمن مما تخافه من جهتنا وما يسد عليك موضع الا وتفتحه لك وهي تأتيك من عندي بأخبار علي بن بكار وتكون أنت الواسطة في التبليغ بيني وبينه ثم ان شمس النهار قامت وهي لا تستطيع القيام ومشت فتمشى بين يديها الجوهري حتى وصلت الى باب الدار ثم رجع وقعد في موضعه بعد أن نظر من حسنها ما بهره وسمع من كلامها ما حير عقله وشاهد من ظرفها وأدبها ما أدهشه ثم استمر يتفكر في شمائلها حتى سكنت نفسه وطلب الطعام فأكل ما يمسك رمقه ثم غير ثيابه وخرج من داره وتوجه الى علي بن بكار فلاقاه غلمانه ومشوا بين يديه الى أن وصلوا الى سيدهم فوجدوه ملقى على فراشه فلما رأى الجوهري قال له أبطأت علي فزدتني هما على همي ثم صرف غلمانه وأمر بغلق أبوابه وقال له والله ما غمضت عيني من يوم فارقتني فان الجارية جاءتني بالامس ومعها رقعة مختومة من عند سيدتها شمس النهار وحكى له ابن بكار على جميع ما وقع له معها ثم قال والله قد تحيرت في أمري وقل صبري وكان لي أبو الحسن أنيسا لانه يعرف الجارية فلما سمع الجوهري كلام ابن بكار ضحك فقال له ابن بكار كيف تضحك من كلامي وقد استبشرت بك واتخذتك عدة للنائبات ثم بكى وأنشد هذه الابيات

وضاحك من بكائي حين أبصرني * لو كان قاسى الذي قاسيت أبكاه * لم يرث للمبتلي مما يكابده الاشجي مثله قد طال بلواه * وجدي حنيني أنيني فكرتي ولهي * الى حبيب زوايا القلب مأواه
حل الفؤاد مقيما لا يفارقه * وقتا ولكنه قد عز لقياه
مالي سواه خليل أرتضي بدلا * وما اصطفيت حبيبا قط الاهو

فلما سمع الجوهري منه هذا الكلام وفهم الشعر والنظام بكى لبكائه وأخبره بما جرى مع الجارية من حين

فارقه فصار ابن بكار يصغى الى كلامه وكلما سمع منه كلمة يتغير لون وجهه من صفرة الى احمرار ويقوى جسمه مرة ويضعف أخرى فلما انتهى الى آخر الكلام بكى ابن بكار وقال له يا أخى أنا على كل حال هالك فليت أجلى قريب وأسألك من فضلك أن تكون ملاطفى فى جميع أمورى الى أن يقضى الله ما يريد وأنا لا أخالف لك قولا فقال الجوهرى لا يطفئ عنك هذه النار الا الاجتماع بمن شغفت بها ولكن فى غير هذا المكان الخطير وانما يكون ذلك عندى فى بيت جنب بيتى الذى جاءتنى فيه الجارية هى وسيدتها وهو الموضع الذى اختارته لنفسها والمقصود اجتماعكما ببعضكما وفيه تشتكوان لبعضكما ما قاسيتما فقال على بن بكار افعل ما تريد والذى تراه هو الصواب قال الجوهرى فاقمت عنده تلك الليلة أسامره الى أن أصبح الصباح * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثالثة والستون بعد المائة﴾

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الجوهرى قال فاقمت تلك الليلة عند على بن بكار أسامره الى أن أصبح الصباح ثم صليت الصبح وخرجت من عنده وذهبت الى منزلى فما استقريت الا قليلا حتى جاءت الجارية وسلمت على فرددت عليها السلام وحدثتها بما كان بينى وبين على بن بكار فقالت الجارية اعلم أن الخليفة توجه من عندنا وأن مجلسنا لا أحد فيه وهو أستر لنا وأحسن فقلت لها كلامك صحيح ولكنه ليس كمنزلى هذا فانه أستر لنا وأليق بنا فقالت الجارية ان الرأى ما تراه أنت وأنا ذاهبة الى سيدتى لأخبرها بما ذكرت وأعرض عليها ما قلت ثم ان الجارية توجهت الى سيدتها وعرضت عليها الكلام وعادت الى منزلى وقالت لى ان سيدتى رضيت بما قلته ثم ان الجارية أخرجت من جيبها كيسا فيه دنانير وقالت ان سيدتى تسلم عليك وتقول لك خذ هذا واقض لنا به ما نحتاج اليه فاقسمت انى لا أصرف شيأ منه فاخذته الجارية وعادت الى سيدتها وقالت لها انه ما قبل الدراهم بل دفعها الى وبعد رواح الجارية ذهبت الى دارى الثانية وحولت اليها من الآلات والفرش ما يحتاج اليه الحال ونقلت اليها أوانى الفضة والصينى وهيأت جميع ما يحتاج اليه من المأكل والمشرب فلما حضرت الجارية ونظرت ما فعلته أعجبها وأمرتنى باحضار على بن بكار فقلت ما يحضر به الا أنت فذهبت اليه وأحضرته على أتم حال وقد زالت محاسنه فلما جاءت قابلته ورحبت به ثم أجلسته على مرتبة تصلح له ووضعت بين يديه شيأ من المشموم فى بعض الاوانى الصينى والبلور وصرت أتحدث معه نحو ساعة من الزمان ثم ان الجارية مضت وغابت الى بعد صلاة المغرب ثم عادت ومعها شمس النهار ووصيفتان لا غير فلما رأت على بن بكار ورآها سقطا على الارض مغشيا عليهما واستمرا ساعة زمانية ولما أفاقا أقبلا على بعضهما ثم جلسا يتحدثان بكلام رقيق وبعد ذلك استعملا شيأ من الطيب ثم انهما صارا يشكران صنيعى معهما فقلت لهما هل لكما فى شئ من الطعام فقالا نعم فاحضرت شيأ من الطعام فأكلا حتى اكتفيا ثم غسلا أيديهما ثم نقلتهما الى مجلس آخر وأحضرت لهما الشراب فشربا وسكرا ومالا على بعضهما ثم ان شمس النهار قالت لى يا سيدى كمل جميلك وأحضر لنا عودا أو شيأ من آلات الملاهى حتى انه تكمل حظنا فى هذه الساعة فقلت على رأسى وعينى ثم انى قمت وأحضرت عودا فاخذته وأصلحته ثم انها وضعته فى حجرها وضربت عليه ضربا بليغا ثم انشدت هذين البيتين

أرقت حتى كانى أعشق الارقا * وذبت حتى تراءى السقم لى خلقا

وفاض دمعى على خدى فاحرقه * يا ليت شعرى هل بعد الفراق لقا

ثم انها أخذت فى غناء الاشعار حتى حيرت الافكار باصوات مختلفات واشارات رائقات وكاد المجلس أن يطير من شدة الطرب لما أتت فيه من معانيها بالعجب ثم قال الجوهرى ولما استقر بنا الجلوس ودارت بيننا الكؤس أطربت الجارية بالنغمات وأنشدت هذه الابيات

وعد الحبيب بوصله ووفى لى * فى ليلة سأعدها بليالى * يا ليلة سمح الزمان لنا بها

فى غفلة الواشين والعذال * بات الحبيب يضمنى بيمينه * فضممته من فرحتى بشمالى

عانقته ورشفت خمرة ريقه * وحظيت بالمعسول والعسال

ثم ان الجوهرى تركهما فى تلك الدار وانصرف الى دار سكناه وبات فيها الى الصباح ولما أصبح الصبح صلى فرضه

وشرب القهوة وجلس يتفكر في المسير اليهما في داره الثانية فبينما هو جالس اذ دخل عليه جاره وهو مرعوب وقال يا أخي ما هان على الذي جرى لك الليلة في دارك الثانية فقلت له يا أخي وأي شئ جرى فاخبرني بما حصل في داري فقال له ان اللصوص الذين جاؤا الى جيراننا بالامس وقتلوا فلانا وأخذوا ماله قد رأوك بالامس وأنت تنقل حوائجك الى دارك الثانية فجاؤا اليها ليلا وأخذوا ما عندك وقتلوا ضيوفك قال الجوهري فقمت أنا وجاري وتوجهنا الى تلك الدار فوجدناها خالية ولم يبق فيها شئ فتحيرت في أمري وقلت أما الامتعة فلا أبالي بضياعها وان كنت استعرت بعض أمتعة من أصحابي وضاعت فلا بأس بذلك لانهم عرفوا عذري بذهاب مالي ونهب داري وأما علي بن بكار ومحظية أمير المؤمنين فاخشى أن يشتهر الامر بينهما فيكون ذلك سبب رواح روحي ثم ان الجوهري التفت الى جاره وقال له أنت أخي وجاري وتستر عورتي فما الذي تشير به علي من الامور فقال الرجل للجوهري الذي أشير به عليك أن تتربص فان الذين دخلوا دارك وأخذوا متاعك قد قتلوا أحسن جماعة من دار الخليفة وقتلوا جماعة من دار صاحب الشرطة وأعوان الدولة يدورون عليهم في جميع الطرق فلعلهم يجدونهم فيحصل مرادك بغير سعي منك فلما سمع الجوهري هذا الكلام رجع الى داره التي هو ساكن بها * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الرابعة والستون بعد المائة) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجوهري لما سمع هذا الكلام رجع الى داره التي هو ساكن بها وقال في نفسه ان الذي حصل لي هو الذي خاف منه أبو الحسن وذهب الى البصرة وقد وقعت فيه ثم ان نهب داره اشتهر عند الناس فاقبلوا اليه من كل جانب ومكان فمنهم من هو شامت ومنهم من هو حامل همه فصار يشكو لهم ولم يأكل طعاما ولم يشرب شرابا فبينما هو جالس متندم واذا بغلام من غلمانه دخل عليه وقال له ان شخصا بالباب يدعوك لم أعرفه فخرج اليه الجوهري وسلم عليه ووجده انسانا لم يعرفه فقال له الرجل ان لي حديثا بيني وبينك فادخله الدار وقال له ما عندك من الحديث فقال الرجل امض معي الى دارك الثانية فقال الجوهري وهل تعرف داري الثانية فقال ان جميع خبرك عندي وعندي أيضا ما يفرج الله به همك فقلت في نفسي أنا أمضي معه حيث أراد ثم توجهت الى أن أتينا الدار فلما رآها الرجل قال انها بغير بواب ولا يمكن القعود فيها فامض معي الى غيرها فلم يزل الرجل يدور به من مكان الى مكان وأنا معه حتى دخل علينا الليل ولم أسأله عن أمر من الامور ثم انه لم يزل يمشي وأنا أمشي معه حتى خرجنا الى الفضاء وهو يقول اتبعني وصار يهرول في مشيه وأنا أهرول وراءه حتى وصلنا الى البحر فطلع بنا في زورق وقذف بنا الملاح حتى عدانا الى البر الثاني فنزل من ذلك الزورق ونزلت خلفه ثم انه أخذ بيدي ونزل بي في درب لم أدخله طول عمري ولم أعلم هو في أي ناحية ثم ان الرجل وقف على باب دار ونحها ودخل وأدخلني معه وأغلق بابها بقفل من حديد ثم مشى بي في دهليزها حتى دخلنا على عشرة رجال كانهم رجل واحد وهم اخوة فلما دخلنا عليهم سلم عليهم ذلك الرجل فردوا عليه السلام ثم أمروني بالجلوس فجلست وكنت ضعفت من شدة التعب فأتوني بماء ورد ورشوه على وجهي وسقوني شرابا وقدموا الى طعاما فقلت لو كان في الطعام شئ مضر ما أكلوا معي فلما غسلنا أيدينا عاد كل منا الى مكانه وقالوا هل تعرفنا فقلت لا ولا عمري عرفت موضعكم بل ولا أعرف من جاء بي اليكم فقالوا أطلعنا على خبرك ولا تكذب في شئ فقلت لهم اعلموا أن حالي عجيب وأمري غريب فهل عندكم شئ من خبري قالوا نعم نحن الذين أخذنا أمتعتك في الليلة الماضية وأخذنا صديقك والتي كانت تغني فقلت لهم أسبل الله عليكم ستره أين صديقي هو والتي كانت تغني فاشاروا الى بأيديهم الى ناحية وقالوا ههنا ولكن يا أخي ما ظهر على سرهما أحد منا ومن حين أتينا بهما لم نجتمع بهما ولم نسألهما عن حالهما لما رأينا عليهما من الهيبة والوقار وهذا هو الذي منعنا عن قتلهما فاخبرنا عن حقيقة أمرهما وأنت في أمان على نفسك وعليهما قال الجوهري فلما سمعت هذا الكلام كدت أن أهلك من الخوف والفزع وقلت لهم اعلموا أن المروءة اذا ضاعت لم توجد الا عندكم واذا كان عندي سر أخاف افشاءه فلا يخفيه الا صدوركم وصرت أبالغ في هذا المعنى ثم اني وجدت المبادرة لهم بالحديث أنفع من كتمانه فحدثتهم بجميع ما وقع لي حتى انتهيت الى آخر الحديث فلما

شيء واحد كان عندي قالوا وهل هذا الفتى علي بن بكار وهذه شمس النهار فقلت لهم نعم فذهبوا اليهما واعتذروا لهما ثم قالوا لي ان الذي أخذناه من دارك ذهب بعضه وهذا ما بقي منه ثم ردوا الي أكثر الامتعة والتزموا أنهم يعيدونها الى محلها في داري ويردون الي الباقي ولكنهم انقسموا نصفين فصار قسم منهم معي وقسم منهم على ثم خرجنا من تلك الدار هذا ما كان من أمري ﴿وأما﴾ ما كان من أمر علي بن بكار وشمس النهار فانهما قد أشرفا على الهلاك من الخوف ثم تقدمت الى علي بن بكار وشمس النهار وسلمت عليهما وقلت لهما يا ترى ما جرى للجارية والوصيفتين وأين ذهبن فقالا لا علم لنا بهن ولم نزل سائرين الى أن انتهينا الى المكان الذي فيه الزورق فاطلعونا فيه واذا هو الزورق الذي عدينا فيه بالامس فقذف بنا الملاح حتى أوصلنا الى البر الثاني فأنزلونا فما استقر بنا الجلوس على جانب البر حتى جاءت خيالة وأحاطوا بنا من كل جانب فوثب الذين معنا عاجلا كالعقبان فرجع لهم الزورق فنزلوا فيه وسار بهم في البحر وبقيت أنا وعلي بن بكار وشمس النهار على شاطئ البحر لا نستطيع حركة ولا سكونا فقال لنا الخيالة من أين أنتم فتحيرنا في الجواب قال الجوهري فقلت لهم ان الذين رأيتموهم معنا لا نعرفهم وانما رأيناهم ههنا وأما نحن فمغنون فارادوا أخذنا لنغني لهم فما تخلصنا منهم الا بالحيلة ولين الكلام فأفرجوا عنا في هذه الساعة وقد كان منهم ما رأيتم من أمرهم فنظر الخيالة الى شمس النهار والى علي بن بكار ثم قالوا لي لست صادقا فاخبرنا من أنتم ومن أين أنتم وما موضعكم وفي أي الحارات أنتم ساكنون قال الجوهري فلم أدر ما أقول فوثبت شمس النهار وتقدمت الى مقدم الخيالة وتحدثت معه سرا فنزل من فوق جواده وأركبها عليه وأخذ بزمامها وصار يقودها وكذلك فعل بعلي بن بكار وفعل بي أيضا ثم ان مقدم الخيالة لم يزل سائرا بنا الى موضع على جانب البحر وصاح بالرطانة فأقبل له جماعة من البرية فاطلعنا المقدم في زورق وأطلع أصحابه في زورق آخر وقذفوا بنا الى أن انتهينا الى دار الخلافة ونحن نكابد الموت من شدة الخوف فدخلت شمس النهار وأما نحن فرجعنا ولم نزل سائرين الى أن انتهينا الى المحل الذي نتوصل منه الى موضعنا فنزلنا على البر ومشينا ومعنا جماعة من الخيالة يؤانسوننا الى أن دخلنا الدار وحين دخلناها ودعنا من كان معنا من الخيالة ومضوا الى حال سبيلهم وأما نحن فقد دخلنا مكاننا ونحن لا نقدر أن نتحرك من مكاننا ولا ندري الصباح من المساء ولم نزل على هذه الحالة الى أن أصبح الصباح فلما جاء آخر النهار سقط علي بن بكار مغشيا عليه وبكى عليه النساء والرجال وهو مطروح لم يتحرك فجاءني بعض أهله وقالوا حدثنا بما جرى لولدنا وأخبرنا بسبب الحال الذي هو فيه فقلت لهم يا قوم اسمعوا كلامي

*وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

*﴿فلما كانت الليلة الخامسة والستون بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجوهري قال لهم يا قوم اسمعوا كلامي ولا تفعلوا به مكروها واصبروا وهو يفيق ويخبركم بقصته بنفسه ثم شددت عليهم وخوفتهم من الفضيحة بيني وبينهم فبينما نحن كذلك واذا بعلي بن بكار تحرك في فراشه ففرح أهله وانصرف الناس عنه ومنعني أهله من الخروج من عنده ثم رشوا ماء الورد على وجهه فلما أفاق وشم الهواء صاروا يسألونه عن حاله فصار يخبرهم ولسانه لا يرد جوابا بسرعة ثم أشار اليهم ان يطلقوني لأذهب الى منزلي فاطلقوني فخرجت وأنا لا أصدق بالخلاص وأتيت الى داري وأنا بين رجلين حتى وصلت الى أهلي فلما رأوني على تلك الحالة لطموا على وجوههم فأومأت اليهم بيدي أن اسكتوا فسكتوا وانصرف الرجلان في حال سبيلهما وانقلبت على فراشي بقية ليلتي ولم أفق الا وقت الضحى فوجدت أهلي مجتمعين حولي يقولون ما الذي دهاك وبشره رماك فقلت ائتوني بشيء من الشراب فجاؤا الي بشراب شربت منه حتى اكتفيت ثم قلت لهم قد كان ما كان فانصرفوا الى حال سبيلهم ثم اعتذرت الى أصحابي وسألتهم عن الذي ذهب من داري هل عاد شيء منه فقالوا عاد البعض وسببه انه جاء انسان ورماه في باب الدار ولم ننظره فسليت نفسي وأقمت في مكاني يومين وأنا لا أقدر على القيام من محلي ثم قويت نفسي ومشيت حتى دخلت الحمام وأنا قلبي مشغول من جهة ابن بكار وشمس النهار ولم أسمع لهما خبرا في تلك المدة ولم أستطع الوصول الى دار علي بن بكار ولم يستقر لي قرار في مكاني خوفا على نفسي ثم تبت الى الله تعالى مما صدر مني وحمدته على سلامتي وبعد مدة حدثتني نفسي ان أقصد تلك الناحية وأرجع في ساعة فلما

أدرك المسير رأيت امرأة واقفة فتأملتها واذا هي جارية شمس النهار فلما عرفتها اسرعت وهرولت في سيري فتبعتني فداخلني منها الفزع وصرت كلما أنظرها يأخذني الرعب منها وهي تقول لي قف حتى أحدثك بشئ وأنا لم ألتفت اليها ولم أزل سائرا الى مسجد في موضع خال من الناس فقالت لي ادخل هذا المسجد لاقول لك كلمة ولا تخف من شئ وحلفتني فدخلت المسجد ودخلت خلفي فصليت ركعتين ثم تقدمت اليها وأنا أتأوه وقلت لها ما بالك فسألتني عن حالي فحدثتها بما وقع لي وأخبرتها بما جرى لعلي بن بكار وقلت لها ما خبرك فقالت اعلم اني لما رأيت الرجال كسروا باب دارك ودخلوا خفت منهم وخشيت أن يكونوا من عند الخليفة فيأخذوني أنا وسيدتي فنهلك من وقتنا فهربت من السطوح أنا والوصيفتان ورمينا أنفسنا من مكان عال ودخلنا على قوم فهربنا عندهم حتى وصلنا الى قصر الخلافة ونحن على أقبح صفة ثم أخفينا أمرنا وصرنا نتقلب على الجمر الى ان جن الليل ففتحت باب البحر واستدعيت بالملاح الذي أخرجنا تلك الليلة وقلت له ان سيدتي لم نعلم لها خبرا فاحملني في الزورق حتى أفتش عليها في البحر لعلي أقع على خبرها فحملني في الزورق وسار بي ولم أزل سائرة في البحر حتى انتصف الليل فرأيت زورقا أقبل الى جهة الباب وفيه رجل يقذف ومعه رجل آخر وامرأة مطروحة بينهما ومازال يقذف حتى وصل الى البر فلما نزلت المرأة تأملتها فاذا هي شمس النهار فنزلت اليها وقد اندهشت من الفرحة لما رأيتها بعد ما قطعت الرجاء منها * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفلما كانت الليلة السادسة والستون بعد المائة) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية قالت للجوهري فنزلت اليها وقد اندهشت من الفرح بعد أن قطعت الرجاء منها فلما تقدمت بين يديها أمرتني أن أدفع الى الرجل الذي جاء بها ألف دينار ثم حملتها أنا والوصيفتان الى أن ألقيناها على فراشها فأقامت تلك الليلة على حالة مكدرة فلما أصبح الصباح منعت الجواري والخدم من الدخول عليها والوصول اليها ذلك اليوم وفي ثاني يوم أفاقت مما كان فوجدتها كأنها قد خرجت من مقبرة فرششت على وجهها ماء الورد وغيرت ثيابها وغسلت يديها ورجليها ولم أزل ألاطفها حتى أطعمتها شيأ من الطعام وأسقيتها شيأ من الاشربة وهي ليس لها قابلية في شئ من ذلك فلما شمت الهواء وتوجهت اليها العافية قلت لها يا سيدتي ارفقي بنفسك فقد حصل لك من المشقة ما فيه الكفاية فانك قد أشرفت على الهلاك فقالت والله يا جارية ان الموت عندي أهون مما جرى لي فاني كنت مقتولة لا محالة لان اللصوص لما خرجوا بنا من دار الجوهري سألوني وقالوا من أنت وما شأنك فقلت أنا جارية من المغنيات فصدقوني ثم سألوا علي بن بكار عن نفسه وقالوا من أنت وما شأنك فقال أنا من عوام الناس فأخذونا وسرنا معهم الى ان انتهوا بنا الى موضعهم ونحن نسرع في السير معهم من شدة الخوف فلما استقروا بنا في أماكنهم تأملوني ونظروا ما علي من الملبوس والعقود والجواهر فانكروا أمري وقالوا ان هذه العقود لم تكن لواحدة من المغنيات ثم قالوا أصدقينا وقولي لنا الحق وما قضيتك فلم أرد عليهم جوابا بشئ وقلت في نفسي الآن يقتلونني لاجل ما علي من الحلي والحلل فلم أنطق بكلمة ثم التفتوا الى علي بن بكار وقالوا له من أين أنت فان رؤيتك غير رؤية العوام فسكت وصرنا نكتم أمرنا ونبكي فحنن الله علينا قلوب اللصوص فقالوا لنا من صاحب الدار التي كنتما فيها فقلنا لهم صاحبها فلان الجوهري فقال واحد منهم أنا أعرفه حق المعرفة وأعرف انه ساكن في داره الثانية وعلي أن آتيكم به في هذه الساعة واتفقوا على أن يجعلوني في موضع وحدي وعلى ابن بكار في موضع وحده وقالوا لنا استريحا ولا تخافا أن ينكشف خبركما وأنتما في أمان منا ثم ان صاحبهم مضى الى الجوهري وأتى به وكشف أمرنا لهم واجتمعنا عليه ثم ان رجلا منهم أحضر لنا زورقا وأطلعونا فيه وعدوا بنا الى الجانب الثاني ورمونا الى البر وذهبوا فأتت خيالة من أصحاب العسس وقالوا من تكونون فتكلمت مع مقدم العسس وقلت له أنا شمس النهار محظية الخليفة وقد سكرت وخرجت لبعض معارفي من نساء الوزراء فجاءني اللصوص فأخذوني وأوصلوني الى هذا المكان فلما رأوكم فروا هاربين وأنا قادرة على مكافأتك فلما سمع كلامي مقدم الخيالة عرفني ونزل عن مركوبه وأركبني وفعل كذلك مع علي بن بكار والجوهري وفي كبدي الآن من أجلهما لهيب النار لاسيما الجوهري رفيق ابن بكار فامضي اليه وسلمي عليه واستخبري به

من علي بن بكار فأعلمتها على ماوقع منها وحذرتها وقالت لها يا ستي فى خافى على نفسك فصاحت على وغضبت من كلامى ثم قمت من عندها وجئت فلم أجدك وخشيت من الرواح الى ابن بكار فصرت واقفة أرتقبك حتى أسالك عنه وأعلم ما هو فيه فاسألك من فضلك أن تأخذ منى شيأ من المال فانك ربما استعرت أمتعة من أصحابك وضاعت عليك فتحتاج أن تعوض على الناس ماذهب لهم من الامتعة قال الجوهرى فقلت سمعا وطاعة ثم مشيت معها الى ان أتينا الى قرب محلى فقالت لى قف هنا حتى أعود اليك * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة السابعة والستون بعد المائة * قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية قالت للجوهرى قف هنا حتى أعود اليك ومضت ثم عادت وهى حاملة المال فأعطته للجوهرى وقالت له يا سيدى نجتمع بك فى أى محل قال الجوهرى فقلت لها أتوجه الى دارى فى هذه الساعة وأتحمل الصعوبة لاجل خاطرك وأتدبر فيما يوصلك اليه فانه يتعذر الوصول اليه فى هذا الوقت ثم ودعتنى ومضت فحملت المال وأتيت به الى منزلى وعددت المال فوجدته خمسة آلاف دينار فاعطيت أهلى منه شيأ ومن كان له عندى شئ أعطيته عوضا عنه ثم انى أخذت غلمانى وذهبت الى الدار التى ضاعت منها الامتعة وجئت بالنجارين والبنائين فأعادها الى ما كانت عليه وجعلت جاريتى فيها ونسيت ماجرى لى ثم تمشيت الى دار على بن بكار فلما وصلت اليها أقبل غلمانه على وقال لى واحد منهم ان غلمان سيدى فى طلبك ليلا ونهارا وقد وعدهم ان كل من أتاه بك يعتقه فهم يفتشون عليك ولم يعرفوا لك موضعا وقد رجعت الى سيدى عافيته وهو تارة يفيق وتارة يستغرق فلما يفيق يذكرك ويقول لابد أن تحضر ولى لحظة ويعود الى حال سبيله قال الجوهرى فمضيت مع الغلام الى سيده فوجدته لا يستطيع الكلام فلما رأيته جلست عند رأسه ففتح عينيه فلما رآنى بكى وقال لى أهلا ومرحبا ثم أسندته وأجلسته وضممته الى صدرى فقال لى اعلم يا أخى أنى من حين رقدت ما جلست الا فى هذه الساعة فالحمد لله على مشاهدتك قال الجوهرى فلم أزل أسنده حتى أوقفته على رجليه وأمشيته خطوات وغيرت أثوابه وشرب شرابا فلما رأيت عليه علامات العافية حدثته بما كان من الجارية ولم يسمعنى أحد ثم قلت له شد حيلك فانا أعرف ما بك فتبسم فقلت له انك لا تجد الا ما يسرك ويداويك ثم ان على بن بكار أمر باحضار الطعام فاحضروه وأشار الى غلمانه فتفرقوا ثم قال لى يا أخى هل رأيت ما أصابنا واعتذر لى وسألنى عن حالى فى هذه المدة فأخبرته بجميع ماجرى لى من الاول الى الآخر فتعجب ثم قال للخدام ائتونى بكذا وكذا فأتوه بفرش نفيس وغير ذلك من تعاليق الذهب والفضة أكثر من الذى ضاع لى وأعطانى جميع ذلك فأرسلته الى منزلى وأقمت عنده ليلتى فلما أسفر الصبح قال لى اعلم ان لكل شئ نهاية ونهاية الهوى الموت أو الوصال وأنا الى الموت أقرب فياليتنى مت من قبل الذى جرى ولولا أن الله لطف بنا لافتضحنا ولا أدرى ما الذى يوصلنى الى الخلاص مما أنا فيه ولولا خوفى من الله تعالى لعجلت على نفسى بالهلاك واعلم يا أخى انى كالطير فى القفص وان نفسى هالكة من الغصص ولكن لها وقت معلوم وأجل محتوم ثم أفاض دمع العين وأنشد هذين البيتين

شكا ألم الفراق الناس قبلى * وروّع بالنوى حى وميت

وأما مثل ما ضمت ضلوعى * فانى ما سمعت ولا رأيت

فلما فرغ من شعره قال له الجوهرى يا سيدى اعلم أنى عزمت على الذهاب الى دارى فلعل الجارية ترجع الى بخبر فقال على بن بكار لا بأس بذلك ولكن أسرع بالعود عندنا لاجل أن تخبرنى قال الجوهرى فودعته وانصرفت الى دارى فلم يستقر بى الجلوس حتى رأيت الجارية أقبلت وهى فى بكاء ونحيب فقلت لها وما سبب ذلك فقالت يا سيدى اعلم انه حل بنا ما حل من أمر نخافه فانى لما مضيت من عندك بالامس وجدت سيدتى مغتاظة على وصيفة من الوصيفتين اللتين كانتا معنا تلك الليلة وأمرت بضربها فخافت من سيدتها وهربت فلاقاها بعض الموكلين بالباب وأرادردها الى سيدتها فلوحت له بالكلام فلاطفها واستنطقها عن حالها فأخبرته بما كنا فيه فبلغ الخبر الى الخليفة فأمر بنقل سيدتى شمس النهار وجميع مالها الى دار الخلافة ووكل بها عشرين خادما ولم أجتمع بها الى الآن ولم أعلمها بالسبب وتوهمت أنه بسبب ذلك فخشيت على نفسى واحترت

ياسيدي ولم أدركيف أحتال في أمري وأمرها ولم يكن عندها أحفظ لكتمان السر مني * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثامنة والستون بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية قالت للجوهري ان سيدتي لم يكن عندها أحفظ لكتمان السر مني فتوجه ياسيدي الى علي بن بكار سريعا وأخبره بذلك لاجل أن يكون على أهبة فاذا انكشف الامر نتدبر في شيء نفعله لنجاة أنفسنا قال الجوهري فأخذني من ذلك هم عظيم وصار الكون في وجهي ظلاما من كلام الجارية وهمت الجارية بالانصراف فقلت لها وما الرأي فقالت لي الرأي أن تبادر الى علي بن بكار ان كان صديقك وتريد له النجاة وأنت عليك تبليغ هذا الخبر له بسرعة وأنا علي ان أتقيد باستنشاق الاخبار ثم ودعتني وخرجت فلما خرجت الجارية قمت وخرجت في اثرها وتوجهت الى علي بن بكار فوجدته يحدث نفسه بالوصال ويعللها بالمحال فلما رآني رجعت اليه عاجلا قال لي اني أراك رجعت الي في الحال فقلت له أقصر من التعلق الباطل ودع ما أنت فيه من الاشتغال فقد حدث حادث يفضي الى تلف نفسك ومالك فلما سمع هذا الكلام تغير حاله وانزعج وقال للجوهري يا أخي اخبرني بما وقع فقال له الجوهري ياسيدي اعلم انه قد جرى ما هو كذا وكذا وانك ان أقمت في دارك هذه الى آخر النهار فأنت تالف ولا محالة فبهت علي بن بكار وكادت روحه ان تفارق جسده ثم استرجع بعد ذلك وقال له ماذا نفعل يا أخي وما عندك من الرأي قال الجوهري فقلت له الرأي ان تأخذ معك من مالك ما تقدر عليه ومن غلمانك ما تثق به وان تمضي بنا الى ديار غير هذه قبل أن ينقضي هذا النهار فقال سمعا وطاعة ثم وثب وهو متحير في أمره فتارة يمشي وتارة يقع وأخذ ما قدر عليه واعتذر الى أهله وأوصاهم بمقصوده وأخذ معه ثلاثة جمال محملة وركب دابة وقد فعلت أنا كما فعل ثم خرجنا خفية وسرنا ولم نزل سائرين باقي يومنا وليلتنا فلما كان آخر الليل حططنا حمولنا وعقلنا جمالنا ونمنا فدخل علينا التعب وغفلنا عن أنفسنا واذا باللصوص أحاطوا بنا وأخذوا جميع ما كان معنا وقتلوا الغلمان لما أرادوا أن يمنعوا عنا ثم تركونا مكاننا ونحن في أقبح حال بعد أن أخذوا المال وساروا فلما قمنا مشينا الى ان أصبح الصباح فوصلنا الى بلد فدخلناها وقصدنا مسجدها ونحن عرايا وجلسنا في جنب المسجد باقي يومنا فلما جاء الليل بتنا في المسجد تلك الليلة ونحن من غير أكل ولا شرب ولما أصبح الصباح صلينا الصبح وجلسنا واذا برجل داخل فسلم علينا وصلى ركعتين ثم التفت الينا وقال يا جماعة هل انتم غرباء قلنا نعم وقطاع اللصوص علينا الطريق وعرونا ودخلنا هذه البلدة ولا نعرف فيها احدا نأوي عنده فقال لنا الرجل هل لكم أن تقوموا معي الى داري قال الجوهري فقلت لعلي ابن بكار قم بنا معه فننجو من أمرين الاول أننا نخشى أن يدخل علينا أحد يعرفنا في هذا المسجد فنفتضح والثاني أننا ناس غرباء وليس لنا مكان نأوي اليه فقال علي بن بكار افعل ما تريد ثم ان الرجل قال لنا ثاني مرة يا فقراء أطيعوني وسيروا معي الى مكاني قال الجوهري فقلت له سمعا وطاعة ثم ان الرجل خلع لنا شيأ من ثيابه وألبسنا ولاطفنا فقمنا معه الى داره فطرق الباب فخرج الينا خادم صغير وفتح الباب فدخل الرجل صاحب المنزل ودخلنا خلفه ثم ان الرجل أمر باحضار بقجة فيها أثواب وشاشات فألبسنا حلتين وأعطانا شاشين فتعممنا وجلسنا واذا بجارية أقبلت الينا بمائدة ووضعتها بين أيدينا فأكلنا شيأ يسيرا ورفعت المائدة ثم أقمنا عنده الى ان دخل الليل فتأوه علي بن بكار وقال للجوهري يا أخي اعلم أنني هالك لا محالة وأريد ان أوصيك وصية وهو انك اذا رأيتني مت تذهب الى والدتي وتخبرها أن تأتي الى هذا المكان لاجل ان تأخذ عزائي وتحضر غسلي وأوصها أن تكون صابرة على فراقي ثم وقع مغشيا عليه فلما أفاق سمع جارية تغني من بعيد وتنشد الاشعار فصار يصغي اليها ويسمع صوتها وهو تارة يسكر وتارة يصحو وتارة يبكي شجنا وحزنا مما أصابه فسمع الجارية تطرب بالنغمات وتنشد هذه الابيات

عجل البين بيننا بالفراق * بعد الف وحيرة واتفاق
فرقت بيننا صروف الليالي * ليت شعري متى يكون التلاقي
ما أمر الفراق بعد اجتماع * ليته ما أضر بالعشاق
غصة الموت ساعة ثم تقضي * وفراق الحبيب في القلب باق

لو وجدنا الى الفراق سبيلا * لاذقنا الفراق طعم الفراق

فلما سمع ابن بكار انشاد الجارية شهق شهقة ففارقت روحه جسده قال الجوهري فلما رأيته مات أوصيت عليه صاحب الدار وقلت له اعلم أنني متوجه الى بغداد لاخبر والدته وأقاربه حتى يأتوا لتجهيزه ثم اني توجهت الى بغداد ودخلت داري وغيرت ثيابي وبعد ذلك ذهبت الى دار علي بن بكار فلما رآني غلمانه أتوا الى يسألوني عنه وسألتهم أن يستأذنوا لي والدته في الدخول عليها فأذنت لي بالدخول فدخلت وسلمت عليها وقلت ان الله اذا قضى أمرا لا مفر من قضائه وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا فتوهمت أم علي بن بكار من هذا الكلام أن ابنها قد مات فبكت بكاء شديدا ثم قالت بالله عليك أن تخبرني هل توفي ولدي فلم أقدر أن أرد عليها جوابا من كثرة الجزع فلما رأتني على تلك الحالة اختنقت بالبكاء ثم وقعت على الارض مغشيا عليها فلما أفاقت من غشيتها قالت ما كان من أمر ولدي فقلت لها عظم الله أجرك فيه ثم اني حدثتها بما كان من أمره من المبتدا الى المنتهى قالت هل أوصاك بشئ فقلت لها نعم وأخبرتها بما أوصاني به وقلت لها اسرعي في تجهيزه فلما سمعت أم علي بن بكار كلامي سقطت مغشيا عليها فلما أفاقت عزمت على ما أوصيتها به ثم اني رجعت الى داري وسرت في الطريق أتفكر في حسن شبابه فبينما أنا كذلك واذا بامرأة قد قبضت على يدي * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة التاسعة والستون بعد المائة﴾

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجوهري قال واذا بامرأة قد قبضت على يدي فتأملتها فرأيتها الجارية التي كانت تمشي من عند شمس النهار وقد علاها الانكسار فلما تعارفنا بكينا جميعا وسرنا حتى أتينا الى تلك الدار فقلت لها هل علمت بخبر علي بن بكار فقالت لا والله فأخبرتها بخبره وما كان من أمره ثم اني قلت لها كيف حال سيدتك فقالت لم يقبل فيها أمير المؤمنين قول أحد لشدة محبته لها وقد حمل جميع أمورها على المحامل الحسنة وقال لها يا شمس النهار أنت عندي عزيزة وأنا أحملك على رغم أعدائك ثم أمر لها بفرش مقصورة مذهبة وحجرة مليحة وصارت عنده من ذلك في قبول عظيم فاتفق أنه جلس يوما من الايام على جري عادته للشراب وحضرت المحاظي بين يديه فأجلسهن في مراتبهن وأجلسها بجانبه وقد عدمت صبرها وزاد أمرها فعند ذلك أمر جارية من الجواري أن تغني فأخذت العود وضربت به وجعلت تقول

ودعاني للهوى فأجبته * ودمعي خط الوجد خطا على خدي * كان دموع العين تخبر حالنا
فتبدي الذي أخفي وتخفي الذي أبدي * فكيف أروم السر أو أكتم الهوى * وفرط غرامي فيك يظهر ما عندي
وقد طاب موتي عند فقد أحبتي * فياليت شعري ما يطيب لهم بعدي

فلما سمعت شمس النهار انشاد تلك الجارية لم تستطع الجلوس ثم سقطت مغشيا عليها فرمى الخليفة القدح وجذبها عنده وصاح وصحت الجواري وقلبها أمير المؤمنين فوجدها ميتة فحزن أمير المؤمنين لموتها وأمر أن يكسر جميع ما كان في الحضرة من الآلات والقوانين وحملها في حجرة بعد موتها ومكث عندها باقي ليلته فلما طلع النهار جهزها وأمر بغسلها ودفنها وحزن عليها حزنا كثيرا ولم يسأل عن حالها ولا عن الامر الذي كانت فيه ثم قالت الجارية للجوهري سألتك بالله أن تعلمني بوقت خروج جنازة علي بن بكار وأن تحضرني دفنه فقال لها أما أنا ففي أي محل شئت تجديني وأما أنت فمن يستطيع الوصول اليك في المحل الذي أنت فيه فقالت له ان أمير المؤمنين لما ماتت شمس النهار أعتق جواريها من يوم موتها وأنا من جملتهن ونحن مقيمات على تربتها في المحل الفلاني فقمت معها وأتيت الى المقبرة وزرت شمس النهار ثم مضيت الى حالي ولم أزل أنتظر جنازة علي بن بكار الى أن جاءت فخرجت له أهل بغداد وخرجت معهم فوجدت الجارية بين النساء وهي أشدهن حزنا ولم أر جنازة ببغداد أعظم من هذه الجنازة ومازلنا في ازدحام عظيم الى أن انتهينا الى قبره ودفناه وصرت لا أنقطع عن زيارته ولا عن زيارة شمس النهار هذا ما كان من حديثهما وليس هذا بأعجب من حديث الملك شهرمان * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿حكاية قمر الزمان ابن الملك شهرمان﴾

﴿فلما كانت الليلة الموفية للسبعين بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد انه كان في قديم الزمان ملك يسمى

شهرمان صاحب عسكر وخدم وأعوان الا انه كبر سنه ورق عظمه ولم يرزق بولد فتفكر فى نفسه وحزن وقلق وشكا ذلك لبعض وزرائه وقال انى أخاف اذا مت أن يضيع الملك لانه ليس لى ولد يتولاه بعدى فقال له ذلك الوزير لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا فتوكل على الله أيها الملك وتوضأ وصل ركعتين ثم جامع زوجتك لعلك تبلغ مطلوبك فجامع زوجته فحملت فى تلك الساعة ولما كملت أشهرها وضعت ولدا ذكرا كأنه البدر السافر فى الليل العاكر فسماه قمر الزمان وفرح به غاية الفرح وزينوا المدينة سبعة أيام ودقت الطبول وأقبلت البشائر وحملته المراضع والدايات وتربى فى العز والدلال حتى صار له من العمر خمس عشرة سنة وكان فائقا فى الحسن والجمال والقد والاعتدال وكان أبوه يحبه ولا يقدر أن يفارقه ليلا ولا نهارا فشكا الملك شهرمان لاحد وزرائه فرط محبته لولده وقال أيها الوزير انى خائف على ولدى قمر الزمان من طوارق الدهر والحدثان وأريد أن أزوجه فى حياتى فقال له الوزير اعلم أيها الملك ان الزواج من مكارم الاخلاق ولا بأس ان تزوج ولدك فى حياتك فعند ذلك قال الملك شهرمان على بولدى قمر الزمان فحضر وأطرق رأسه الى الارض حياء من أبيه فقال له أبوه يا قمر الزمان اعلم انى أريد أن أزوجك وأفرح بك فى حياتى فقال له اعلم يا أبى اننى مالى فى الزواج أرب وليست نفسى تميل الى النساء لانى وجدت فى مكرهن كتبا بالروايات وبكيدهن وردت الآيات وقال الشاعر

فان تسألونى بالنساء فاننى * خبير بأحوال النساء طبيب
اذا شاب رأس المرء أوقل ماله * فليس له فى ودهن نصيب

وقول الآخر

اعص النساء فتلك الطاعة الحسنه * فلن يفوز فتى يعطى النسا رسنه
يعقنه عن كمال فى فضائله * ولو سعى طالبا العلم ألف سنه

ولما فرغ من شعره قال يا أبى ان الزواج شئ لا أفعله أبدا ولو سقيت كأس الردى فلما سمع السلطان شهرمان من ولده هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلاما واغتم غما شديدا على عدم مطاوعة ولده قمر الزمان له * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة الحادية والسبعون بعد المائة * قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك شهرمان لما سمع من ولده هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلاما واغتم على عدم مطاوعة ولده قمر الزمان له ومن محبته له لم يكرر عليه الكلام فى ذلك ولم يغضبه بل أقبل عليه وأكرمه ولاطفه بكل ما يجلب المحبة الى القلب كل ذلك وقمر الزمان يزداد كل يوم حسنا وجمالا وظرفا ودلالا فصبر الملك شهرمان على ولده سنة كاملة حتى صار كامل الفصاحة والملاحة وتهتكت فى حسنه الورى ويروى لطفه كل نسيم سرى وصار فتنة للعشاق وروضة للمشتاق عذب الكلام يخجل وجهه بدر التمام صاحب قد واعتدال وظرف ودلال كأنه غصن بان أو قضيب خيزران ينوب خده عن شقائق النعمان وقده عن غصن البان ظريف الشمائل كما قال فيه القائل

* بدا فقالوا تبارك الله * جل الذى صاغه وسواه
مليك كل الملاح قاطبة * فكلهم أصبحوا رعاياه
فى ريقه شهدة مذوبة * وانعقد الدر فى ثناياه
مكملا بالجمال منفردا * كل الورى فى جماله تاهوا
قد كتب الحسن فوق وجنته * أشهد أن لا مليح الا هو

فلما تكاملت سنة أخرى لقمر الزمان ابن الملك شهرمان دعاه والده اليه وقال له يا ولدى أما تسمع منى فوقع قمر الزمان على الارض بين يدى أبيه هيبة واستحى منه وقال له يا أبت كيف لا أسمع منك وقد أمرنى الله بطاعتك وعدم مخالفتك فقال له الملك شهرمان اعلم يا ولدى أنى أريد أن أزوجك وأفرح بك فى حياتى وأسلطنك فى مملكتى قبل مماتى فلما سمع قمر الزمان من أبيه هذا الكلام أطرق رأسه ساعة وبعد ذلك رفع رأسه وقال يا أبت هذا شئ لا أفعله

أبدا ولو سقيت كأس الردى وأنا أعلم أن الله فرض على طاعتك فبحق الله عليك لا تكلفني أمر الزواج ولا تظن اني أتزوج طول عمري لانني قرأت في كتب المتقدمين والمتأخرين وعرفت جميع ما جرى لهم من المصائب والآفات بسبب فتن النساء ومكرهن غير المتناهي وما يحدث عنهن من الدواهي وما أحسن قول الشاعر

من كاده العاهرات * فلا يرى من خلاص
ولو بنى ألف حصن * مشيدة بالرصاص
فليس يجدي بناها * ولا تفيد الصياصي
ان النساء خائنات * لكل دان وقاص
مخضبات بنان * مضفرات عقاص
مكحلات جفون * مجرعات غصاص

(وما أحسن قول الآخر)

ان النساء وان ادعين العفه * رمم تقلبها النسور الحوّم
في الليل عندك سرها وحديثها * وغدا لغيرك ساقها والمعصم
كالخان تسكنه وتصبح راحلا * فيحل بعدك فيه من لا تعلم

فلما سمع الملك شهرمان من ولده قمر الزمان هذا الكلام وفهم الشعر والنظام لم يرد عليه جوابا من فرط محبته له وزاده من انعامه واكرامه وانفض ذلك المجلس من تلك الساعة وبعد انفضاض ذلك المجلس طلب الملك شهرمان وزيره واختلى به وقال له أيها الوزير * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الثانية والسبعون بعد المائة) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك شهرمان طلب وزيره واختلى به وقال له أيها الوزير قل لي ما الذي أفعله في قضية ولدي قمر الزمان فاني استشرتك في زواجه قبل أن أسلطنه فأشرت علي بذلك وأشرت علي أيضا أن أذكر له أمر الزواج فذكرته له فخالفني فأشر علي الآن بما تراه حسنا فقال الوزير الذي أشير به عليك الآن أيها الملك أن تصبر عليه سنة أخرى فاذا أردت أن تكلمه بعدها في أمر الزواج فلا تكلمه سرا ولكن حدثه في يوم حكومة ويكون جميع الامراء والوزراء حاضرين وجميع العساكر واقفين فاذا اجتمع هؤلاء فأرسل الى ولدك قمر الزمان في تلك الساعة وأحضره فاذا حضر فخاطبه في أمر الزواج بحضرة جميع الامراء والوزراء والحجاب والنواب وأرباب الدولة والعساكر وأصحاب الصولة فانه يستحي منهم وما يقدر أن يخالفك بحضرتهم فلما سمع الملك شهرمان من وزيره هذا الكلام فرح فرحا شديدا واستصوب رأي الوزير في ذلك وخلع عليه خلعة سنية وصبر الملك شهرمان على ولده قمر الزمان سنة وكلما مضى عليه يوم من الايام يزداد حسنا وجمالا وبهجة وكمالا حتى بلغ من العمر قريبا من عشرين عاما والبسه الله حلل الجمال وتوجه بتاج الكمال وصار طرفه أسحر من هاروت وماروت وغنج الحاظه أضل من الطاغوت وأشرقت خدوده بالاحمرار وازدرت جفونه بالصارم البتار وبياض غرته حكى القمر الزاهر وسواد شعره كأنه الليل العاكر وخصره أرق من خيط هميان وردفه أثقل من الكثبان تهيج البلابل على أعطافه ويشتكي خصره من ثقل أردافه ومحاسنه حيرت الورى كما قال فيه بعض الشعراء

قسما بوجنته وباسم ثغره * وبأسهم قد راشها من سحره
وبلين عطفيه ومرهف لحظه * وبياض غرته وأسود شعره
وبحاجب حجب الكرى عن صبه * وسطا عليه بنهيه وبأمره
وعقارب قد أرسلت من صدغه * وسعت لقتل العاشقين بهجره
وبورد خديه وآس عذاره * وعقيق مبسمه ولؤلؤ ثغره
وبطيب نكهته وسلسال جرى * في فيه يزري بالرحيق وعصره
وبردفه المرتج في حركاته * وبسكونه وبرقته في خصره

وبجود راحته وصدق لسانه * وبطيب عنصره وعالي قدره
ما المسك الا من فضالة خاله * والطيب يروي ريحه عن نشره
وكذلك الشمس المنيرة دونه * ورأى الهلال قلامة من ظفره

ثم ان الملك شهرمان سمع كلام الوزير وصبر سنة أخرى حتى حصل يوم موسم * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثالثة والسبعون بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الملك شهرمان سمع كلام الوزير وصبر سنة أخرى حتى حصل يوم موسم تكامل فيه مجلس الملك بالامراء والوزراء والحجاب وأرباب الدولة والعساكر وأصحاب الصولة ثم ان الملك أرسل خلف ولده قمر الزمان فلما حضر قبل الارض بين يديه ثلاث مرات ووقف مكتفا يديه وراء ظهره قدام أبيه فقال له أبوه يا ولدي اني ما أحضرتك هذه المرة قدام هذا المجلس وجميع العساكر حاضرون بين أيدينا الا لأجل أن آمرك بأمر فلا تخالفني فيه وذلك أن تتزوّج لاني أشتهي أن أزوّجك بنت ملك من الملوك وأفرح بك قبل موتي فلما سمع قمر الزمان من أبيه هذا الكلام أطرق رأسه الى الارض ساعة ثم رفع رأسه الى أبيه ولحقه في تلك الساعة جنون الصبا وجهل الشبيبة فقال له أما أنا فلا أتزوّج أبدا ولو سقيت كأس الردى وأما أنت فرجل كبير السن صغير العقل أليس انك سألتني قبل هذا اليوم مرتين غير هذه المرة في شأن الزواج وأنا لا أجيبك الى ذلك ثم ان قمر الزمان فك كتاف يديه وشمر عن ذراعيه قدام أبيه وهو في غيظه فخجل أبوه واستحى حيث حصل ذلك قدام أرباب دولته والعساكر الحاضرين في الموسم ثم ان الملك شهرمان لحقته شهامة الملك فصرخ على ولده فأرعبه وصرخ على المماليك وأمرهم بامساكه فامسكوه وأمرهم أن يكتفوه فكتفوه وقدموه بين يدي الملك وهو مطرق رأسه من الخوف والوجل وتكلل وجهه وجبينه بالعرق واشتد به الحياء والخجل فعند ذلك شتمه أبوه وسبه وقال له ويلك يا ولد الزنا وتربية الخنا كيف يكون هذا جوابك لي بين عساكري وجيوشي ولكن أنت الى الآن ما أدبك أحد * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الرابعة والسبعون بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك شهرمان قال لولده قمر الزمان ولكن أنت الى الآن ما أدبك أحد أما تعلم ان هذا الامر الذي صدر منك لو صدر من عامي من العوام لكان ذلك قبيحا منه ثم ان الملك أمر المماليك أن يحلوا كتافه ويحبسوه في برج من أبراج القلعة فعند ذلك دخل الفراشون القاعة التي في البرج فكنسوها ومسحوا بلاطها ونصبوا فيها سريرا لقمر الزمان وفرشوا له على السرير طراحة ونطعا ووضعوا له مخدة وفانوسا كبيرا وشمعة لان ذلك المكان كان مظلما في النهار ثم ان المماليك أدخلوا قمر الزمان في تلك القاعة وجعلوا على باب القاعة خادما فعند ذلك طلع قمر الزمان فوق ذلك السرير وهو منكسر الخاطر حزين الفؤاد وقد عاتب نفسه وندم على ما جرى منه في حق أبيه حيث لا ينفعه الندم وقال خيب الله الزواج والبنات والنساء الخائنات فيا ليتني سمعت من والدي وتزوّجت فلو فعلت ذلك كان أحسن لي من هذا السجن هذا ما كان من أمر قمر الزمان (وأما) ما كان من أمر أبيه فانه أقام على كرسي مملكته بقية اليوم الى وقت الغروب ثم خلا بالوزير وقال له اعلم أيها الوزير انك كنت السبب في هذا الذي جرى بيني وبين ولدي كله حيث أشرت علي بما أشرت فما الذي تشير به علي الآن فقال له الوزير أيها الملك دع ولدك في السجن مدة خمسة عشر يوما ثم أحضره بين يديك وأمره بالزواج فانه لا يخالفك أبدا * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الخامسة والسبعون بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير قال للملك شهرمان دع ولدك في السجن مدة خمسة عشر يوما ثم أحضره بين يديك وأمره بالزواج فانه لا يخالفك أبدا فعمل الملك رأي الوزير في ذلك اليوم ونام تلك الليلة وهو مشتغل القلب على ولده لانه كان يحبه محبة عظيمة حيث لم يكن له ولد سواه وكان الملك شهرمان كل ليلة لم يجئه نوم حتى يجعل ذراعه تحت رقبة قمر الزمان وينام فبات الملك تلك الليلة وهو مشوش الخاطر من أجله وصار يتقلب من جنب الى جنب كأنه نائم على جمر الغضى ولحقه الوسواس ولم يأخذه

نوم فى تلك الليلة بطولها وذرفت عيناه بالدموع وأنشد قول الشاعر

لقد طال ليلى والوشاة هجوع * وناهيك قلبا بالفراق مروع
أقول وليلى زاد بالهم طوله * أمالك يا ضوء الصباح رجوع

﴿وقول الآخر﴾

لما رأيت النجم ساه طرفه * والقلب قد ألقى عليه سباتا
وبنات نعش فى الحداد سوافرا * أيقنت أن صباحه قد ماتا

هذا ما كان من أمر الملك شهرمان (وأما) ما كان من أمر قمر الزمان فانه لما قدم عليه الليل قدم له الخادم الفانوس وأوقد له شمعة وجعلها فى شمعدان وقدم له شيأ من المأكل فأكل قليلا وصار يعاتب نفسه حيث أساء الأدب فى حق أبيه الملك شهرمان وقال فى نفسه ألم تعلم أن ابن آدم رهين لسانه وان لسان الآدمى هو الذى يوقعه فى المهالك ولم يزل يعاتب نفسه ويلومها حتى غلبت عليه الدموع واحترق قلبه المصدوع وندم على ما خرج من لسانه فى حق الملك غاية الندم وأنشد هذين البيتين

يموت الفتى من عثرة من لسانه * وليس يموت المرء من عثرة الرجل
فعثرته من فيه تقضى بحتفه * وعثرته بالرجل تبرا على مهل

ثم ان قمر الزمان لما فرغ من الاكل طلب أن يغسل يديه فغسل يديه من الطعام وتوضأ وصلى المغرب والعشاء وجلس * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السادسة والسبعون بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن قمر الزمان ابن الملك شهرمان صلى المغرب والعشاء وجلس على السرير يقرأ القرآن فقرأ البقرة وآل عمران ويس والرحمن وتبارك الملك والمعوذتين وختم بالدعاء واستعاذ بالله ونام على السرير فوق طراحة من الاطلس المعدنى لها وجهان وهى محشوة بريش النعام وحين أراد النوم تجرد من ثيابه وخلع لباسه ونام فى قميص شمع رفيع وكان على رأسه مقنع مروزى أزرق فصار قمر الزمان فى تلك الليلة كأنه البدر فى ليلة أربعة عشر ثم تغطى بملاءة من حرير ونام والفانوس موقد تحت رجليه والشمعة موقدة تحت رأسه ولم يزل نائما الى ثلث الليل ولم يعلم ما خبئ له فى الغيب وما قدره عليه علام الغيوب واتفق ان القاعة والبرج كانا عتيقين مهجورين مدة سنين كثيرة وكان فى تلك القاعة بئر رومانى معمور بجنية ساكنة فيه وهى من ذرية ابليس اللعين واسم تلك الجنية ميمونة ابنة الدمرياط أحد ملوك الجان المشهورين * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السابعة والسبعون بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن اسم تلك الجنية ميمونة ابنة الدمرياط أحد ملوك الجان المشهورين فلما استمر قمر الزمان نائما الى ثلث الليل الاول طلعت تلك العفريتة من البئر الرومانى وقصدت السماء لاستراق السمع فلما صارت فى أعلى البئر رأت نورا مضيأ فى البرج على خلاف العادة وكانت العفريتة مقيمة فى ذلك المكان مدة مديدة من السنين فقالت فى نفسها أنا ما عهدت هنا شيأ من ذلك وتعجبت من هذا الامر غاية العجب وخطر ببالها أنه لابد لذلك من سبب ثم قصدت ناحية ذلك النور فوجدته خارجا من القاعة فدخلتها فوجدت الخادم نائما على بابها ولما دخلت القاعة وجدت سريرا منصوبا وعليه هيئة انسان نائم وشمعة مضيئة عند رأسه وفانوس مضىء عند رجليه فتعجبت العفريتة ميمونة من ذلك النور وتقدمت اليه قليلا قليلا وأرخت أجنحتها ووقفت على السرير وكشفت الملاءة عن وجهه ونظرت اليه واستمرت باهتة فى حسنه وجماله ساعة زمانية وقد وجدت ضوء وجهه غالبا على نور الشمعة وصار وجهه يتلألأ نورا وقد غازلت عيناه واسودت مقلتاه واحمر خداه وفترجفناه وتقوس حاجباه وفاح مسكه العاطر كما قال فيه الشاعر

قبلته فاسودت المقل التى * هى فتنتى واحمرت الوجنات
يا قلب ان زعم العواذل أنه * فى الحسن يوجد مثله قل هاتوا

فلما رأته العفريتة ميمونة بنت الدمرياط سبحت الله وقالت تبارك الله أحسن الخالقين وكانت تلك العفريتة من

الجن المؤمنين فاستمرت ساعة وهي تنظر الى وجه قمر الزمان وتوحد الله وتغبطه على سنه وجماله وقالت فى نفسها والله انى لا أضره ولا أترك أحدا يؤذيه ومن كل سوء أفديه فان هذا الوجه المليح لا يستحق الا النظر اليه والتسبيح ولكن كيف هان على أهله حتى نسوه فى هذا المكان الخرب فلو طلع له أحد من مردتنا فى هذه الساعة لأعطبه ثم ان تلك العفريتة مالت عليه وقبلته بين عينيه وبعد ذلك أرخت الملاءة على وجهه وغطته بها وفتحت أجنحتها وطارت ناحية السماء وطلعت من دور تلك القاعة وصعدت ولم تزل صاعدة فى الجو الى ان قربت من سماء الدنيا واذا بها سمعت خفق أجنحة طائرة فى الهواء فقصدت ناحية تلك الاجنحة فلما قربت من صاحبها وجدته عفريتا يقال له دهنش فانقضت عليه انقضاض الباشق فلما أحس بها دهنش وعرف أنها ميمونة بنت ملك الجن خاف منها وارتعدت فرائصه واستجار بها وقال لها أقسم عليك بالاسم الاعظم والطلسم الاكرم المنقوش على خاتم سليمان أن ترفقي بي ولا تؤذيني فلما سمعت ميمونة من دهنش هذا الكلام حن قلبها عليه وقالت له انك اقسمت على بقسم عظيم ولكن لا أعتقك حتى تخبرني من أين مجيئك فى هذه الساعة فقال لها أيتها السيدة اعلمي أن مجيئي من آخر بلاد الصين ومن داخل الجزائر وأخبرك بأعجوبة رأيتها فى هذه الليلة فان وجدت كلامي صحيحا فاتركيني أروح الى حال سبيلي واكتبي لي بخطك فى هذه الساعة انى عتيقك حتى لا يعارضني أحد من أرهاط الجن الطيارة العلوية والسفلية والغواصة قالت له ميمونة فما الذى رأيته فى هذه الليلة يا دهنش فاخبرني ولا تكذب على وتريد بكذبك أن تنفلت من يدي وأنا أقسم بحق النقش المكتوب على فص خاتم سليمان بن داود عليهما السلام ان لم يكن كلامك صحيحا لانتفن ريشك بيدي ولامزقن جلدك ولاكسرن عظمك فقال لها العفريت دهنش بن شمهورش الطيار ان لم يكن كلامي صحيحا فافعلي بي ماشئت يا سيدتي * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثامنة والسبعون بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن دهنشا قال انى خرجت فى هذه الليلة من الجزائر الداخلة فى بلاد الصين وهى بلاد الملك الغيور صاحب الجزائر والبحور والسبعة قصور فرأيت لذلك الملك بنتا لم يخلق الله فى زمانها احسن منها ولا أعرف كيف أصفها لك ويعجز لساني عن وصفها كما ينبغي ولكن أذكر لك شيأ من صفاتها على سبيل التقريب أما شعرها فكليالي الهجر والانفصال وأما وجهها فكأيام الوصال وقد أحسن فى وصفها من قال

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها * فى ليلة فأرت ليالي أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها * فأرتني القمرين فى وقت معا

ولها أنف كحد السيف المصقول ولها وجنتان كرحيق الارجوان ولها خد كشقائق النعمان وشفتاها كالمرجان والعقيق وريقها أشهى من الرحيق يطفئ مذاقه عذاب الحريق ولسانها يحركه عقل وافر وجواب حاضر ولها صدر فتنة لمن يراه فسبحان من خلقه وسواه ومتصل بذلك الصدر عضدان مدملجان كما قال فيهما الشاعر الولهان

وزندان لولا أمسكا بأساور * لسالا من الاكمام سيل الجداول

ولها نهدان كأنهما من العاج حقان يستمد من اشراقهما القمران ولها بطن باعكان مطوية كطى القباطي المصرية وينتهي ذلك الى خصر مختصر من وهم الخيال فوق ردف ككثيب من رمال يقعدها اذا قامت ويوقظها اذا نامت كما قال فيه بعض واصفيه

لها كفل تعلق فى ضعيف * وذاك الردف لي ولها ظلوم
فيوقفني اذا فكرت فيه * ويقعدها اذا همت تقوم

يحمل ذلك الكفل فخذان كأنهما من الدر عمودان وعلى حمله ما أقدرهما الا بركة الشيخ الذى بينهما وأما غير ذلك من الأوصاف فلا يحصيه ناعت ولا واصف ويحمل ذلك كله قدمان لطيفتان صنعة المهيمن الديان فعجبت منهما كيف يحملان مافوقهما وأما ماوراء ذلك فانى تركته * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة التاسعة والسبعون بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العفريت دهنش ابن

شهورش قال العفريتة ميمونة وأماما وراء ذلك فانى تركته لانه تقصر عنه العبارة ولاتفى به اشارة وأبو تلك الصبية ملك جبار فارس كرار يخوض بحار الاقطار فى الليل والنهار لايهاب الموت ولايخاف الفوت لانه جائر ظلوم وقاهر غشوم وهو صاحب جيوش وعساكر وأقاليم وجزائر ومدن ودور واسمه الملك الغيور صاحب الجزائر والبحور والسبعة قصور وكان يحب ابنته هذه التى وصفتها لك حباشديدا ومن محبته لها جلب أموال سائر الملوك وبنى لها بذلك سبعة قصور كل قصر من جنس قصر مخصوص القصر الاول من البلور والقصر الثانى من الرخام والقصر الثالث من الحديد الصينى والقصر الرابع من الجزع والفصوص والقصر الخامس من الفضة والقصر السادس من الذهب والقصر السابع من الجوهر وملأ السبعة قصور من أنواع الفرش الفاخرة وأوانى الذهب والفضة وجميع الآلات من كل ماتحتاج اليه الملوك وأمر ابنته أن تسكن فى كل قصر مدة من السنة ثم تنتقل منه الى قصر غيره واسمها الملكة بدور فلما اشتهر حسنها وشاع فى البلاد ذكرها أرسل سائر الملوك الى أبيها يخطبونها منه فراودها فى أمر الزواج فكرهت ذلك وقالت لأبيها يا والدى ليس لى غرض فى الزواج أبدا فانى سيدة وملكة أحكم على الناس ولا أريد رجلا يحكم على وكلما امتنعت من الزواج زادت رغبة الخطاب فيها ثم ان جميع ملوك جزائر الصين الجوانية أرسلوا الى أبيها الهدايا والتحف وكاتبوه فى أمر زواجها فكرر عليها أبوها المشاورة فى أمر الزواج مرارا عديدة فخالفته وغضبت منه وقالت له يا أبى ان ذكرت لى الزواج مرة أخرى أخذت السيف ووضعت قائمه فى الارض وذبابه فى بطنى واتكأت عليه حتى يطلع من ظهرى وقتلت نفسى فلما سمع أبوها منها هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلاما واحترق قلبه عليها غاية الاحتراق وخشى أن تقتل نفسها وتحير فى أمرها وفى أمر الملوك الذين خطبوها منه فقال لها ان كان ولابد من عدم زواجك فامتنعى من الدخول والخروج ثم ان أباها أدخلها البيت وحجبها فيه واستحفظ عليها عشر عجائز قهرمانات ومنعها من أن تذهب الى السبع قصور وأظهر أنه غضبان عليها وأرسل يكاتب الملوك جميعهم وأعلمهم أنها أصيبت بجنون فى عقلها ولها الآن سنة وهى محجوبة ثم قال العفريت دهنش للعفريتة وأنا ياسيدتى أتوجه اليها فى كل ليلة فانظرها وأتملى بوجهها وأقبلها وهى نائمة بين عينيها ومن محبتى لها لاأضرها ولا أركبها لان جمالها بارع وكل من رآها يغار عليها من نفسه وأقسمت عليك ياسيدتى أن ترجعى معى وتنظرى حسنها وجمالها وقدها واعتدالها وبعد هذا ان شئت أن تعاقبينى أو تأسرينى فافعلى فان الامر أمرك والنهى نهيك ثم ان العفريت دهنشا أطرق رأسه الى الارض وخفض أجنحته الى الارض فقالت له العفريتة ميمونة بعد ان ضحكت من كلامه وبصقت فى وجهه أى شئ هذه البنت التى تقول عنها فما هى الاقوارة بول فكيف لورأيت معشوقى والله انى حسبت ان معك أمرا عجيبا أو خبرا غريبا ياملعون انى رأيت انسانا فى هذه الليلة لو رأيته ولو فى المنام لانفلجت عليه وسال ريالتك فقال لها دهنش وماحكاية هذا الغلام فقالت له اعلم يادهنش أن هذا الغلام قد جرى له مثل ماجرى لمعشوقتك التى ذكرتها وأمره أبوه بالزواج مرارا عديدة فابى فلما خالف أباه غضب عليه وسجنه فى البرج الذى أنا ساكنة فيه فطلعت فى هذه الليلة فرأيته فقال لها دهنش ياسيدتى أرينى هذا الغلام لانظر هل هو أحسن من معشوقتى الملكة بدور أم لا لانى ماأظن ان يوجد فى هذا الزمان مثل معشوقتى فقالت له العفريتة تكذب ياملعون يا أنحس المردة وأحقر الشياطين فأنا أتحقق انه لايوجد لمعشوقى مثيل فى هذه الديار * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الموفية للثمانين بعد المائة) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن العفريتة ميمونة قالت للعفريت دهنش أنا أتحقق انه لايوجد لمعشوقى مثيل فى هذه الديار فهل أنت مجنون حتى تقيس معشوقتك بمعشوقى فقال لها بالله عليك ياسيدتى أن تذهبى معى وتنظرى معشوقتى وأرجع معك وانظر معشوقك فقالت له ميمونة لابد من ذلك ياملعون لانك شيطان مكار ولكن لاأجئ معك ولاتجئ معى الا برهن فان طلعت معشوقتك التى أنت تحبها وتتغالى فيها أحسن من معشوقى الذى أنا أحبه وأتغالى فيه فان ذلك الرهن يكون لك وان طلع معشوقى أحسن فان ذلك الرهن يكون لى عليك فقال لها العفريت دهنش ياسيدتى قبلت منك هذا الشرط ورضيت به تعالى معى الى الجزائر فقالت له ميمونة ان موضع معشوقى أقرب من موضع معشوقتك وها هو تحتنا فانزل معى لتنظر معشوقى

ونروح بعد ذلك الى معشوقتك فقال لها دهنش سمعا وطاعة ثم انحدرا الى أسفل ونزلا فى دور القاعة التى فى البرج وأوقفت ميمونة دهنشا بجنب السرير ومدت يدها ورفعت الملاءة عن وجه قمر الزمان ابن الملك شهرمان فسطع وجهه وأشرق ولمع وزها فنظرته ميمونة والتفتت من وقتها الى دهنش وقالت له انظر ياملعون ولا تكن أقبح مجنون فنحن بنات وبه مفتونات فعند ذلك التفت اليه دهنش واستمر يتأمل فيه ساعة ثم حرك رأسه وقال لميمونة والله ياسيدتي انك معذورة ولكن بقي شئ آخر وهو أن حال الانثى غير حال الذكر وحق الله ان معشوقتك هذا أشبه الناس بمعشوقتي فى الحسن والجمال والبهجة والكمال وهما الاثنان كأنهما قد أفرغا فى قالب الحسن سواء فلما سمعت ميمونة من دهنش هذا الكلام صار الضياء فى وجهها ظلاما ولطمته بجناحها على رأسه لطمة قوية كادت أن تقضي عليه من شدتها وقالت له قسما بنور وجهه وجلاله أن تروح ياملعون فى هذه الساعة وتحمل معشوقتك التى تحبها وتجيء بها سريعا الى هذا المكان حتى نجمع بين الاثنين وننظرهما وهما نائمان بالقرب من بعضهما فيظهر لنا أيهما أملح وان لم تفعل ما أمرتك به فى هذه الساعة ياملعون أحرقتك بناري ورميتك بشرار أسراري ومزقتك قطعا فى البراري وجعلتك عبرة للمقيم والساري فقال لها دهنش ياسيدتي لك علي ذلك وأنا أعرف أن محبوبتي أملح وأحلى ثم ان العفريت دهنشا طار من وقته وساعته وطارت ميمونة معه من أجل المحافظة عليه فغابا ساعة زمانية ثم أقبل الاثنان بعد ذلك وهما حاملان تلك الصبية وعليها قميص بندقي رفيع بطرازين من الذهب وهو مزركش ببدائع التطريزات ومكتوب على رأس كميه هذه الأبيات

ثلاثة منعتها عن زيارتنا * خوف الرقيب وخوف الحاسد الحنق
ضوء الجبين ووسواس الحلي وما * حوت معاطفها من عنبر عبق
هب الجبين بفضل الكم تستره * والحلي تنزعه ما حيلة العرق

ثم انهما نزلا بتلك الصبية ومدداها بجانب الغلام * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الحادية والثمانون بعد المائة) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان العفريت والعفريتة نزلا بتلك الصبية ومدداها بجانب الغلام وكشفا عن وجوه الاثنين فكانا أشبه الناس ببعضهما فكأنهما توأمان أو أخوان منفردان وهما فتنة للمتقين كما قال فيهما الشاعر المبين

يا قلب لا تعشق مليحا واحدا * تختار فيه تدللا وتذللا
واهو الملاح جميعهم تلقاهم * ان صد هذا كان هذا مقبلا

وصار دهنش وميمونة ينظران اليهما فقال دهنش ان معشوقتي أحسن قالت له ميمونة بل معشوقي أحسن ويلك يادهنش هل أنت أعمى أما تنظر الى حسنه وجماله وقده واعتداله فاسمع ما أقوله فى محبوبي وان كنت محبا صادقا لمن تعشقها فقل فيها مثل ما أقول فى محبوبي ثم ان ميمونة قبلت قمر الزمان قبلات عديده وأنشدت هذه القصيده

* مالي وللاحي عليك يعنف * كيف السلو وأنت غصن أهيف
لك مقلة كحلاء تنفث سحرها * ما للهوى العذري عنها مصرف
تركية الالحاظ تفعل بالحشا * ما ليس يفعله الصقيل المرهف
* حملتني ثقل الغرام وانني * بالعجز عن حمل القميص لاضعف
وجدي عليك كما علمت ولوعتي * طبع وعشقي فى سواك تكلف
لو أن قلبي مثل قلبك لم أبت * والجسم مني مثل خصرك منحف
ويلاه من قمر بكل ملاحة * بين الانام وكل حسن يوصف
قال العواذل فى الهوى من ذا الذي * أنت الكئيب به فقلت لهم صفوا
* ياقلبه القاسي تعلم عطفة * من قده فعسى ترق وتعطف
لك يا أميري فى الملاحة ناظر * يسطو علي وحاجب لا ينصف
كذب الذي ظن الملاحة كلها * فى يوسف كم فى جمالك يوسف

الحسن تخشانى اذا قابلتها * وأنا اذا ألقاك قلبى يرجف
أتكلف الاعراض عنك مهابة * واليك أصبو جهد ما أتكلف
والشعر أسود والجبين مشعشع * والطرف أحور والقوام مهفهف

فلما سمع دهنش شعر ميمونة فى معشوقها طرب غاية الطرب وتعجب كل العجب * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثانية والثمانون بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن دهنشا لما سمع شعر ميمونة فى معشوقها طرب غاية الطرب وقال انك أنشدتنى فيمن تعشقينه هذا الشعر الرقيق مع أن بالك مشغول به ولكن أنا أبذل الجهد فى انشاد الشعر على قدر فكرتى ثم ان دهنشا قام الى معشوقته بدور وقبلها بين عينيها ونظر الى العفريتة ميمونة والى معشوقته بدور وجعل ينشد هذه القصيدة وهو بلا شعور

أقوت معاهدهم بشط الوادى * فبقيت مقتولا وسط الوادى
وسكرت من خمر الغرام ورقصت * عينى الدموع على غناء الحادى
أسعى لاسعد بالوصال وحق لى * ان السعادة فى بدور سعاد
لم أدر من أى الثلاثة أشتكى * ولقد عددت فاصغ للاعداد
من لحظها السياف أم من قدها الـ * ـشرماح أم من صدغها الزراد
قالت وقد فتشت عنها كل من * لاقيته من حاضر أو بادى
أنا فى فؤادك فارم طرفك نحوه * ترنى فقلت لها وأين فؤادى

فلما فرغ من شعره قالت العفريتة أحسنت يا دهنش ولكن أى هذين الاثنين أحسن فقال لها محبوبتى بدور أحسن من محبوبك فقالت له كذبت يا ملعون بل معشوقى أحسن من معشوقتك ثم انهما لم يزالا يعارضان بعضهما فى الكلام حتى صرخت ميمونة على دهنش وأرادت أن تبطش به فذل لها ورقق كلامه وقال لها لا يصعب عليك الحق فأبطلى قولك وقولى فان كلا منا يشهد لمعشوقه أنه أحسن فنعرض عن كلام كل واحد منا ونطلب من يفصل الحكم بيننا بالانصاف ونعتمد على قوله فقالت له ميمونة وهو كذلك ثم ضربت الارض برجلها فطلع لها من الارض عفريت أعور أجرب وعيناه مشقوقتان فى وجهه بالطول وفى رأسه سبعة قرون وله أربع ذوائب من الشعر مسترسلة الى الارض ويداه مثل يدى القطرب له أظفار كأظفار الاسد ورجلان كرجلى الفيل وحوافر كحوافر الحمار فلما طلع ذلك العفريت ورأى ميمونة قبل الارض بين يديها وتكتف وقال لها ما حاجتك يا سيدتى يا بنت الملك فقالت له يا قشقش انى أريد أن تحكم بينى وبين هذا الملعون دهنش ثم انها أخبرته بالقصة من أولها الى آخرها فعند ذلك نظر العفريت قشقش الى وجه ذلك الصبى ووجه تلك الصبية فرآهما متعانقين وهما نائمان ومعصم كل منهما تحت عنق الآخر وهما فى الحسن والجمال متشابهان وفى الملاحة متساويان فنظر وتعجب المارد قشقش من حسنهما وجمالهما والتفت الى ميمونة ودهنش بعد ان أطال الى الصبى والصبية الالتفات وأنشد هذه الابيات

زر من تحب ودع مقالة حاسد * ليس الحسود على الهوى بمساعد
لم يخلق الرحمن أحسن منظرا * من عاشقين على فراش واحد
متعانقين عليهما حلل الرضا * متوسدين بمعصم وبساعد
واذا صفا لك من زمانك واحد * فهو المراد وعش بذاك الواحد
واذا تألفت القلوب على الهوى * فالناس تضرب فى حديد بارد
يا من يلوم على الهوى أهل الهوى * هل يستطاع صلاح قلب فاسد
يا رب يا رحمن تحسن ختمنا * قبل الممات ولو بيوم واحد

ثم ان العفريت قشقش التفت الى ميمونة والى دهنش وقال لهما والله ما فيهما أحد أحسن من الآخر ولا دون الآخر بل هما أشبه الناس ببعضهما فى الحسن والجمال والبهجة والكمال ولا يفرق بينهما الا بالتذكير والتأنيث

وعندى حكم آخر وهو أن ننبه كل واحد منهما من غير علم الآخر وكل من التهب على رفيقه فهو دونه فى الحسن والجمال فقالت ميمونة نعم هذا الرأى الذى قلته أنا رضيته وقال دهنش وأنا ايضا رضيته فعند ذلك انقلب دهنش فى صورة برغوث ولدغ قمر الزمان * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الثالثة والثمانون بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن دهنشا انقلب فى صورة برغوث ولدغ قمر الزمان فى رقبته فى موضع ناعم فمد قمر الزمان يده على رقبته وهرش موضع القرصة من شدة ما أحرقته تحرك بجنبه فوجد شيأ نائما بجنبه ونفسه أذكى من المسك وجسمه ألين من الزبد فتعجب قمر الزمان من ذلك غاية العجب ثم قام من وقته قاعدا ونظر الى ذلك الشخص الراقد بجانبه فوجده صبية كالدرة السنية أو القبة المبنية بقامة ألفية خماسية القد بارزة النهد موردة الخد كما قال فيها بعض واصفيها

بدت قمرا ومادت غصن بان * وفاحت عنبرا ورنت غزالا
كأن الحزن مشغوف بقلبى * فساعة هجرها يجد الوصالا

فلما رأى قمر الزمان السيدة بدور بنت الملك الغيور وشاهد حسنها وجمالها وهى نائمة فى طوله وجدة وفى بدنها قميص بندقى وهى بلا سروال وعليها كوفية من ذهب مرصعة بالجواهر وفى عنقها قلادة من الفصوص المثمنة لا يقدر عليها أحد من الملوك فصار مدهوش العقل من ذلك ثم انه حين شاهد حسنها تحركت فيه الحرارة الغريزية وألقى الله عليه شهوة الجماع وقال فى نفسه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ثم قلبها بيده ثانى مرة وفتح طوق قميصها فبان له بطنها ونظر اليها والى نهودها فازداد فيها محبة ورغبة فصار ينبهها وهى لا تنتبه لان دهنشا ثقل نومها فصار قمر الزمان يهزها ويحركها ويقول يا حبيبتى استيقظى وانظرى من أنا فأنا قمر الزمان فلم تستيقظ ولم تحرك رأسها فعند ذلك تفكر فى أمرها ساعة زمانية وقال فى نفسه ان صدق حذرى فهذه الصبية هى التى يريد والدى زواجى بها ومضى لى ثلاث سنين وأنا ممتنع من ذلك فان شاء الله اذا جاء الصبح أقول لأبى زوجنى بها * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الرابعة والثمانون بعد المائة﴾ قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن قمر الزمان قال فى نفسه ان شاء الله اذا جاء الصبح أقول لأبى زوجنى بها ولا أترك نصف النهار يفوت حتى أفوز بوصالها وأتملى بحسنها وجمالها ثم ان قمر الزمان مال الى بدور ليقبلها فارتعدت ميمونة الجنية وخجلت وأما العفريت دهنش فانه طار من الفرح ثم ان قمر الزمان لما أراد أن يقبلها فى فمها استحى من الله والتفت وجهه وقال فى نفسه أنا أصبر لئلا يكون والدى لما غضب على وحبسنى فى هذا الموضع جاء لى بهذه العروسة وأمرها بالنوم جنبى ليمتحننى بها وأوصاها انى اذا نبهتها لا تستيقظ وقال لها أى شئ فعل بك قمر الزمان فاعلمينى به وربما يكون والدى مستخفيا فى مكان بحيث يطلع على وأنا لا أنظره فينظر جميع ما أفعله بهذه الصبية واذا أصبح يوبخنى ويقول لى كيف تقول لى مالى أرب فى الزواج وأنت قبلت تلك الصبية وعانقتها فأنا أكف نفسى عنها لئلا ينكشف أمرى مع والدى فأنا لا ألمس هذه الصبية من تلك الساعة ولا ألتفت لها غير انى آخذ لى منها شيأ يكون أمارة عندى وتذكرة لها حتى يبقى بينى وبينها اشارة ثم ان قمر الزمان رفع كف الصبية وأخذ خاتمها من خنصرها وهو يساوى جملة من المال لان فصه من نفيس الجواهر ومنقوش فى دائرته هذه الأبيات

لا تحسبوا أنى نسيت عهودكم * مهما أطلتم فى الزمان صدودكم
يا سادتى جودوا على تعطفا * فعسى أقبل ثغركم وخدودكم
والله انى لست أبرح عنكم * ولو اعتديتم فى الغرام حدودكم

ثم ان قمر الزمان نزع ذلك الخاتم من خنصر الملكة بدور ولبسه فى خنصره وأدار ظهره اليها ونام ففرحت ميمونة الجنية لما رأت ذلك وقالت لدهنش وقشقش هل رأيتما محبوبى قمر الزمان وما فعله من العفة عن هذه الصبية فهذا من كمال محاسنه فانظرا كيف رأى هذه الصبية وحسنها وجمالها ولم يعانقها ولم يلمس بيده عليها بل أدار ظهره اليها ونام فقالا لها قد رأينا ما صنع من الكمال فعند ذلك انقلبت ميمونة وجعلت نفسها برغوثا ودخلت ثياب

بدور محبوبة دهنش ومشت على ساقها وطلعت على فخذها ومشت تحت سرتها قدار ربع ساعة وأرادت ولدغتها ففتحت عينيها واستوت قاعدة فرأت شابا نائما بجانبها وهو يغط في نومه وله خدود كشقائق النعمان ولواحظ تخجل الحور الحسان وفم كأنه خاتم سليمان وريقه حلو المذاق وأنفع من الترياق كما قال فيه بعض واصفيه

سلا خاطري عن زينب ونوار * بوردة خد فوق آس عذار
وأصبحت بالظبي المقرطق مغرما * ولا رأي لي في عشق ذات سوار
أنيسي في النادي وفي خلوتي معا * خلاف أنيسي في قرارة داري
فيا لائمي في هجر هند وزينب * وقد لاح عذري كالصباح الساري
أترضى بأن أمسي أسيرا أسيرة * محصنة أو من وراء جدار

ثم ان الملكة بدور لما رأت قمر الزمان أخذها الهيام والوجد والغرام * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة الخامسة والثمانون بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملكة بدور لما رأت قمر الزمان أخذها الهيام والوجد والغرام وقالت في نفسها وافضيحتاه ان هذا شاب غريب لا أعرفه ما باله راقدا بجانبي في فراش واحد ثم نظرت اليه بعينها وحققت النظر فيه وفي ظرفه ودلاله وحسنه وجماله ثم قالت وحق الله انه شاب مليح مثل القمر الا أن كبدي تكاد أن تتمزق وجدا عليه وشغفا بحسنه وجماله فيا فضيحتي منه والله لو علمت أن هذا الشاب هو الذي خطبني من أبي ما رددته بل كنت أتزوجه وأتملى بجماله * ثم ان الملكة بدور تطلعت من وقتها وساعتها في وجه قمر الزمان وقالت له يا سيدي وحبيب قلبي ونور عيني انتبه من منامك وتمتع بحسني وجمالي ثم حركته بيدها فأرخت عليه ميمونة الجنية النوم وثقلت على رأسه بجناحها فلم يستيقظ قمر الزمان فهزته الملكة بدور بيديها وقالت له بحياتي عليك أن تطيعني فانتبه من منامك وانظر النرجس والخضرة وتمتع ببطني والسرة وهارشني وناغشني من هذا الوقت الى بكرة قم يا سيدي واتكئ على المخدة ولا تنم فلم يجبها قمر الزمان بجواب ولم يرد عليها خطابا بل غط في النوم فقالت الملكة بدور ما لك تائها بحسنك وجمالك وظرفك ودلالك فكما أنت مليح أنا الأخرى مليحة فما هذا الذي تفعله هل هم علموك الصد عني أو أبي الشيخ النحس منعك من أن تكلمني في هذه الليلة ففتح قمر الزمان عينيه فازدادت فيه محبة وألقى الله محبته في قلبها ونظرته نظرة أعقبتها ألف حسرة فخفق فؤادها وتقلقلت أحشاؤها واضطربت جوارحها وقالت لقمر الزمان يا سيدي كلمني يا حبيبي حدثني يا معشوقي رد علي الجواب وقل لي ما اسمك فانك سلبت عقلي كل ذلك وقمر الزمان مستغرق في النوم ولم يرد عليها بكلمة فتأوهت الملكة بدور وقالت ما لك معجبا بنفسك ثم هزته وقبلت يده فرأت خاتمها في أصبعه الخنصر فشهقت شهقة وأتبعتها بغنجة وقالت أوه أوه والله أنت حبيبي وتحبني ولكن كأنك تعرض عني دلالا مع أنك جئتني وأنا نائمة وما أعرف كيف عملت أنت معي ولكن ما أنا قالعة خاتمي من خنصرك ثم فتحت جيب قميصه ومالت عليه وقبلت رقبته وفتشت على شيء تأخذه منه فلم تجد معه شيأ ورأته بغير سروال فدت يدها من تحت ذيل قميصه وجست سيقانه فزلقت يدها من نعومة جسمه وسقطت على ايره فانصدع قلبها وارتجف فؤادها لان شهوة النساء أقوى من شهوة الرجال وخجلت ثم نزعت خاتمه من أصبعه ووضعته في أصبعها عوضا عن خاتمها وقبلته في ثغره وقبلت كفيه ولم تترك فيه موضعا الا قبلته وبعد ذلك أخذته في حضنها وعانقته ووضعت احدى يديها تحت رقبته والأخرى من تحت ابطه ونامت بجانبه * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿فلما كانت الليلة السادسة والثمانون بعد المائة﴾ قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملكة بدور نامت بجانب قمر الزمان وجرى منها ما جرى فلما رأت ذلك ميمونة فرحت غاية الفرح وقالت لدهنش هل رأيت يا ملعون كيف عملت معشوقتك من الوله بمعشوقي وكيف فعل معشوقي من التيه والدلال فلا شك أن معشوقي أحسن من معشوقتك ولكن عفوت عنك ثم كتبت له ورقة بالعتق والتفتت الى قشقش وقالت له ادخل معه واحمل معشوقته وساعده على وصولها الى مكانها لان الليل مضى وفاتني مطلوبي فتقدم دهنش وقشقش الى الملكة بدور

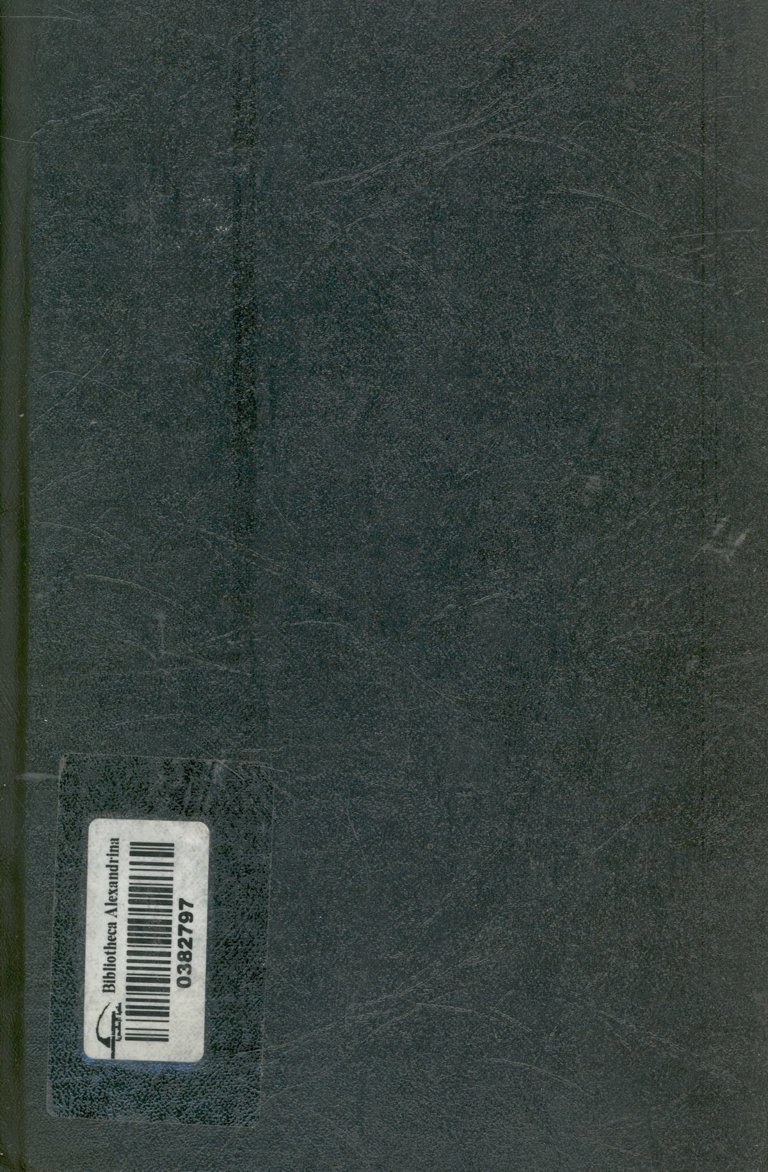
ودخلا تحتها وحللاها وطارابها وأوصلاها الى مكانها وأعاداها الى فراشها واختلت ميمونة بالنظر الى قمر الزمان
وهو نائم حتى لم يبق من الليل الا القليل ثم توجهت الى حال سبيلها فلما انشق الفجر انتبه قمر الزمان من منامه
والتفت يمينا وشمالا فلم يجد الصبية عنده فقال فى نفسه ما هذا الامر كأن أبى يرغبنى فى الزواج بالصبية التى كانت
عندى ثم أخذها سرا لأجل أن تزداد رغبتى فى الزواج ثم صرخ على الخادم الذى هو نائم على الباب وقال له ويلك
يا ملعون قم فقام الخادم وهو طائش العقل من النوم ثم قدم له الطشت والابريق فقام قمر الزمان ودخل المستراح
وقضى حاجته وخرج فتوضأ وصلى الصبح وجلس يسبح الله ثم نظر الى الخادم فوجده واقفا فى خدمته بين يديه
فقال له ويلك يا صواب من جاء هنا وأخذ الصبية من جنبى وأنا نائم فقال الخادم يا سيدى أى شئ الصبية فقال قمر
الزمان الصبية التى كانت نائمة عندى فى هذه الليلة فانزعج الخادم من كلام قمر الزمان وقال له لم يكن عندك صبية
ولا غيرها ومن أين دخلت الصبية وأنا نائم وراء الباب وهو مقفول والله يا سيدى ما دخل عليك ذكر ولا أنثى فقال
له قمر الزمان تكذب يا عبد النحس وهل وصل من قدرك أنت الآخر أنك تخادعنى ولا تخبرنى أين راحت هذه
الصبية التى كانت نائمة عندى فى هذه الليلة ولم تخبرنى بالذى أخذها من عندى فقال الطواشى وقد انزعج منه
والله يا سيدى ما رأيت صبية ولا صبيا فغضب قمر الزمان من كلام الخادم وقال له انهم علموك الخداع يا ملعون
فتعال عندى فتقدم الخادم الى قمر الزمان فأخذ باطوقه وضرب به الارض فضرط ثم برك عليه قمر الزمان ورفسه
برجله وخنقه حتى غشى عليه ثم بعد ذلك ربطه فى سلبة البئر وأدلاه فيه الى أن وصل الى الماء وأرخاه وكانت تلك
الايام أيام برد وشتاء قاطع فغطس الخادم فى الماء ثم نشله قمر الزمان وأرخاه ولا زال يغطس ذلك الخادم فى الماء
وينشله منه والخادم يستغيث ويصرخ ويصيح وقمر الزمان يقول له والله يا ملعون ما اطلعك من هذه البئر حتى
تخبرنى بخبر هذه الصبية وقضيتها ومن الذى أخذها وأنا نائم * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام
المباح

﴿ تم الجزء الاول ويليه الجزء الثانى وأوله الليلة السابعة والثمانون بعد المائة ﴾

﴿فهرست الجزء الاول من كتاب الف ليلة وليلة﴾

صحيفه

﴿ تمت الفهرست ﴾


Bibliotheca Alexandrina
03827797